



١٤

جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم التاريخ

العلاقات بين الجزائر والمغرب

٩٢٣ - ١٠٦٩ هـ / ١٥١٧ - ١٦٥٩ م

رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ

من إعداد

عمار بن عروف

بإشراف

الاستاذة الدكتورة ليلى الصباغ

دمشق ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م



١٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان موضوع العلاقات أيضا كان نوعا موسي هام في التاريخ لأنه يشمل المصير الأكثر روية فيه ، والتالي هو الذي يشون عصر الترس بين أحداث التاريخ التي أتبد ومتناقضة . وقد نأ بحث العلاقات في التاريخ يقتصر فالمها ، وحتى الفترة القريبة على دراسة العلاقات السياسية أو الدبلوماسية بين الدول ، وهذا نأبسم من الاهتمام بالتاريخ السياسي ، دون أنواع التاريخ الأخرى . ولكن خيري الدراسة التاريخية إلى ميز مبحث حياة المجتمعات ، دفع الدراسة إلى أن تأخذ مبرأنا في ميدان الاقتصاد ، ويمسح نواحي الحياة الاجتماعية ، وعلى هذا دراسة العلاقات بين الجزائر والمغرب لن تقتصر على العلاقات السياسية وإنما تشمل أيضا العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ولكن لابد لي أن أشر بحقيقة بأن الذي ونمضي إلى اختيار هذا الموضوع كان في بادئ المضي السياسي ، والمذات التساؤل الخير الذي كان وما يزال يلوحه تدير من القراء والمؤرخين والباحثين ، وهو لماذا لم تهاجر الدولة العثمانية على المغرب ، بعد امتداد نفوذها إلى الجزائر المجاورة له ، وليس لها أي عوق في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني (1520 - 1566) ؟ فذلك التساؤل دفعني إلى اعداد بحث حاولت فيه أن أجب عليه ، ومن ثم زاد اهتمامي أكثر بالعلاقات بين المغرب والجزائر التي انضمت تلقائيا تحت لواء الدولة العثمانية ، وكان نظامها العثمانيون هم الذين يتفدون بل ويمزجون أيضا سياسة الدولة العثمانية في السوح الخيري للمتوسطه وتجاه المغرب بالمذات ، ويطلبون على تحقيق مراميها فيه ، ولا سيما في المرحلة التي كانت فيها الجزائر وثيقة الارتباط بالدولة العثمانية أي في عهدي البايبرايات والباشاوات ، ويقتد العمدان من عام 925 - 1069 هـ / 1519 - 1659 م . ولذلك فقد حرصت على أن يكون موضوع رسالتي ، في العلاقات بين الجزائر والمغرب وبالمذات في الفترة التي كانت فيها الجزائر تحت حكم البايبرايات والباشاوات لأن هذين العمدين وقابلهما في المغرب عهد العمدين مرحلة مامة فضلا في تاريخ القسرين كما يتبين ذلك من خنل القسرين الأولين من هذه الرسالة ، ومرحلة مامة أيضا في تاريخ العلاقات بينهما . لأن العلاقات بين البلدين في هذه المرحلة ، لم تكن ذات طابع محلي ، وإنما اتسعت طابعا دوليا ، إذ دخلت فيها قسرون عديدة منها الدولة العثمانية ، ودول أوربية كثيرة منها الإمبراطورية الجرمانية المقدسة ، وإسبانيا ، والبرتغال ، وفرنسا ، وإنجلترا ، وكان لهذه القسرون تأثيرها الكبير في تلك العلاقات . وهذا التقييد في

العلاقات كان أحد الدوافع لاختيار هذا الموضوع لكشف خفاياها . وما زادني رغبة في الخوض في العلاقات بين البلدين في هذه المرحلة هو أنني وجدت أن العلاقات بصفة عامة والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بصفة خاصة غير مدروسة ، أو لم يتلحق الي جميع جوانبها ، ولم تدرس وحدة واحدة على امتدادها . فكانت الناية من هذا البحث هو استكشاف خفايا موضوع العلاقات بين البلدين في فترة شامة من تاريخهما ، وتوضيح تعقيداتهما ، وشمولها ، وتأثيرها وتأثرها في بعضهما .

وقد روي بحث العلاقات بين البلدين على امتداد زمني طويل نسبيا لاعتبارين أولهما أن الامتداد الزمني الداهل يتيح إمكانية ملاحظة تطور العلاقات بين البلدين في مختلف المراحل أي في حالات الضعف والقوة وحالات الاضطراب والاستقرار وحالات الوحدة والتجزؤ ، وملاحظة تطور العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الذي يكون عادة تاسورا بليضا . وثانيهما دراسة تلك العلاقات في مرحلة كان فيها المغرب تحت حكم السعديين متشبها بالاستقلال عن الدولة العثمانية ، بينما كانت فيها الجزائر اشتر ارتباطا بم هذه الدولة ، ومخططاتها تجاه المغرب وغيره .

اما اختيار سنة 1517م / 923هـ بداية للمرحلة المراد بعينها ، وليس سنة 925م / 1519م التي اصبحت فيها الجزائر تابعة رسميا للدولة العثمانية ، فإن سنة 923م / 1517م كانت السنة التي ابتدأت فيها العلاقات بين حكام الجزائر العثمانيين ، أي قبل الانضواء الرسمي للجزائر تحت لواء الدولة العثمانية ، وحكام المغرب ، وذلك بالعلاقة التي انشأها عروج بربروس ، الذي نستعد انه لم يكن مجرد مناصر يحمل لواءه ، وإنما عثمانني يحمل لواء النفوذ العثماني ، بدعم من الدولة العثمانية نفسها ، مع السلطان الجاسي المدعو محمد البرتغالي ، وذلك لما تمكن من صد النفوذ العثماني في سنة 923هـ / 1517م حتى تمكن باقوى الحرب الجزائرية ، وهي السنة التي استطاع فيها السلطان سليم العثماني (1512 - 1520) من جهته ان يمد نفوذه الى مصر كما ان سنة 923م / 1517م كانت السنة التي آل فيها الحكم في المغرب العثماني الى السلطان السعدي احمد الاعشى الذي فتح باب العلاقات مع الاتراك العثمانيين .

اما سنة 1069هـ / 1659م فتتوافق تماما مع السنة التي انهار فيها حكم السعديين في المغرب ، وحكم الباشاوات في الجزائر فبدأ عمل البلدان بذلك في مرحلة جديدة ، فسروى فيها سنة مناسبة للتوقف عندها على اصل التلحق الى الفترة التي تليها في بحث آخر .

وقد رجعت في بحثي هذا الى مجموعة كبيرة من الوثائق المطبوعة وغير المطبوعة المغربية والعثمانية والاوربية ، كما رجعت الى مجموعة كبيرة من المصادر المطبوعة والمخطوطة العربية والاوربية وبعض المصادر العثمانية شملت كتب التاريخ المسام والتراجم ، والرحلات ، ورجعت

الاسبان والبرتغاليين الباحثين على شواطئ الجزائر والمغرب على تلك العلاقات . وقد ثبت من الدراسة ان العلاقات بين القرن الرابع الاسلامي المذكورة لم ترق الى التعاون الحقيقي المفترض ان يحصل بينهما . وتلحقت الى النتائج التي سمجت عن ذلك واهمها :-

- استمرار الاسبان والبرتغاليين في احتلالهم لمواقع عديدة في البلدين .
- الانهيار التدريجي للولاسيين في المغرب والزنانيين في الجزائر .
- وعدم توحيد البلدين تحت سلطة واحدة .

وتناول الفصل الرابع بالبحث العلاقات بين البلدين في الفترة 956 - 982 هـ / 1549 - 1574 م اي في الفترة التي تلت انفراد السعديين بالحكم في المغرب ، وانفراد الاتراك العثمانيين بالحكم في الجزائر ، تلك العلاقات التي تميزت بالحرب تارة والحلم الخذر اخرى . فبحثت في الاسباب التي جعلت العلاقات بين البلدين تتطور في اتجاه النزاع بدل التساون . واتضح ان اهمها رفض السعديين الانصواء تحت لواء الدولة العثمانية ، ورفضهم في مسند نفوذهم الى الجزائر والمشرق ، لتحقيق اهدافهم الاقتصادية ، والسياسية . تلك الرغبة التي اصطدمت برغبة حكام الجزائر في مد نفوذهم الى المغرب ، تحقيقا ايضا لاهدافهم السياسية والاقتصادية والاستراتيجية .

وتلحقت بالتفصيل الى التدخلات العسكرية السعدية في الجزائر ، والتدخلات العثمانية في المغرب وما نشأ عنها من اصطدامات عنيفة بين المقيمين الاسلاميين المتباينين ، وما تطلبها من سفارات بين الجزائر والدولة العثمانية من جهة ، وبين المغرب من جهة اخرى . وما واصلت سياسة بين السعديين والاسبان كانت تعتمد على التساون للقضاء على الوجود العثماني في الجزائر الذي كان عامرا مشتركا على الطرفين . وما تلا تلك التدخلات من قيام سلام فليق بين البلدين .

اما الفصل الخامس فتناول بالبحث العلاقات في الفترة 982 - 995 هـ / 1574 - 1587 م وفيه تلحقت الى استئناف التدخل العثماني المباشر في المغرب ، ماو التهديد القوي له ، بعد ان حسم العثمانيون صراعهم مع الاسبان على تونس لمالهم ، واصبح طريق الامدادات من عاصمة الدولة العثمانية الى الجزائر اكثر امنا . فتمكنت الى الحطة الجزائرية على المغرب سنة 984 هـ / 1576 م . هي الثالثة - تلك الحطة التي نصبت عهد الطن السعدي سلطانا في فاس مشترقا بالسيادة العثمانية . واشترت الى العناون الكبيرة التي اثارها امتداد النفوذ العثماني الى المغرب لدى الاسبان والبرتغاليين ، وشرب عهد الطن من الاسبان تمهيدا لطعن السيادة العثمانية . كما اشترت الى الحطة البرتغالية التي استهدفت احتلال المغرب لمدفع مدبر امتداد النفوذ العثماني اليه على بلادهم وعلى ملاحتهم عبر الاطلسي . تسببت تلحقت الى الحديث عن مواقف احمد المنصور خليفة عهد الطن ، الراضة للاعتراف بالتبعية

للملطان العثماني مراد الثالث والمتحالف معه وصاحبه ه تلك المواقف التي جمعت هذا
الاخير بجزر حملة ضخمة لشزو المغرب . وألغت بأسباب تراجع الملطان العثماني من
غزو محمد ان سرك الحملة، وولت هذه الى الجزائر . وما تلا ذلك التراجع من
اعتراف الدولة العثمانية بالامر الواقع في المغرب ، اي بالمغرب دولة ذات سيادة ، والنصير
سلطانا مستقلا فيه ، ومن قوام سلام حذر بين الدولتين الى ان توفي الخلع علي بايبري
الجزائري ورائد الاسطول العثماني الذي كان مقصدا لخزو المغرب وذلك في سنة 995 هـ / 1587 م
واستبدل بسلام الهالبريانيات في الجزائر بنظام الباشاوات .

وتناول الفصل السادس والاخير من باب العلاقات السياسية بالبحث العلاقات في
الفترة 995-1069 هـ / 1587-1659 م ، اي في الفترة التي تتوافق مع عهد الباشاوات في
الجزائر . وقد عرضت في هذا الفصل اولا العلاقات بين حكام للجزائر والنصير ثم علاقاتهم مع
البناء هذا الاخير وحديثه ، وعلاقاتهم مع القوى السياسية المنتظمة التي قامت في المغرب
من غير الممديين كاندلسي سلا ، والجماعة الحياشي ، وقدي تطوان ، ومرايطي السمدلا
والاشراف العلويين . وقد بدأ من دراسة تلك العلاقات ان حكام الجزائر الباشاوات الذين كان
عهدهم عهد اضطراب ، شهد دائم في مدينة الجزائر وخارجها اربا عد طابوا اكثر فاكثير
الى اقامة علاقات سلام وحسن جوار مع المغرب خاصة في عهد النصير . اما بعد النصير
فان حكام الجزائر المدين لم تصالحتهم ظروفهم للتدخل القوى الحياشي فيه ، قد طابوا الى
تسجيع التجزؤ والاتقسام فيه ، حتى لا تتجه انظار حكام الى الجزائر الفارقة في اضطراب
مكاد يكون مرطفا ، وذلك بانامتهم لعلاقات وطيدة مع المنشقين من الممديين كالحياشي ، واندلسي
سلا ، والدلايين ، وتمازتهم معهم . ولكن نمو من السلام القلق ظل مرعبا حتى التحديد
الاخير من الفترة مدار البحث الذي شهد تعدد النزاع بين اتراك الجزائر والاشراف
العلويين الطامحين الى العلية .

اما بالنسبة لباب العلاقات الاقتصادية فلم يجر فيه السير بنفس النسخ التفصيلي
الذي اتبع في باب العلاقات السياسية ، لان البنية الاقتصادية والعلاقات الاقتصادية ، كما
تضح من استكشافها بلبشة التعل ، وعلى هذا الاساس فقد قسم باب العلاقات الاقتصادية
الى فصلين فقد تضاف الفصل الاول منها بالبحث البنية الاقتصادية في البلدين والموامل
لمؤثرة فيها . وقد تبين من الفصل ان البنية الاقتصادية في البلدين متشابهة ، الى حد كبير
خصوها الى موامل داخلية وخارجية ، قديمة وجديدة ، واحدة او متشابهة ثم تناولها
التفصيل في هذا الفصل . ذلك التشابه الذي جعل التبادل الاقتصادي بين البلدين ضيقا نسبيا .
اما الفصل الثاني من باب العلاقات الاقتصادية فتناول بالمرض مظاهر تسلك
لعلاقات في الحقل الاقتصادية المتنوعة ، الزراعة والصناعة والتجارة . وقد تبين من

الفصل وجود صلات بين الماطنين في تلك الحقول في البلدان، ظهر أثرهما في التطايع او
التضاد الكبر في المدن، والاساليب المعينة في البلدين، في حقول الزراعة، وتربية الماشية،
والصناعات والحرف. اما العلاقات في المجال التجاري، التي بدأ انها لم تأخذ صبغة
سياسية ولم تخضع لاتفاقيات رسمية ظلم هو الشأن في الحقول الاقتصادية الاخرى، فتم تناولها
ضمن الفترات الظلمة، وليس المواصلات بين البلدين، والقوافل التجارية المتبادلة، والميسر
التجارية المتبادلة، ووسائل التبادل، واخيرا مراكز التبادل التجاري.

واما الباب الثالث والاخير من الرسالة، المخصص للعلاقات الاجتماعية والثقافية،
فقد اتيح فيه نفس المنهج الذي اتبع في الباب السابق له. فتم فصلين، تناولت في اولها
العوامل المؤثرة في العلاقات الاجتماعية والثقافية، القديمة والجديدة. فاشترت ضمن العوامل
القديمة الى الروابط الجديدة التي كانت تربط بين المجتمعين المغربي والجزائري ربطا قويا
في المجالين الاجتماعي والثقافي ومنها الروابط الديمغرافية (الجوار)، والروابط التاريخية، والروابط
البشرية، والدينية، واللغوية، والثقافية. وضمن العوامل القديمة الجديدة، ذكرت حركة النقل
والهجرة من احد البلدين الى البلد الآخر للأفراد والجماعات، لمختلف الاغراض، تلك الحركة
التي كانت قائمة قبل المرحلة مدار البحث، والتي لم تحرف الهدوء في هذه الاخرة. وذكرت
ايضا استمرار تدفق المهاجرين الاندلسيين الى البلدين حتى مطلع القرن الحادي عشر
الهجري / السابع عشر الميلادي.

اما ضمن العوامل الجديدة، فاشترت الى الخرو الاسباني للجزائر والنسب البرتغالي
الاسباني للمغرب وما نجم عنه من آثار ملهية في مجموعها. ثم الى قيام الحكم العثماني
في الجزائر، والحكم الممدي في المغرب، وانسرها وتاثيرهما في العلاقات الاجتماعية والثقافية.
وتناولت في الفصل الثاني مظاهر العلاقات الاجتماعية والثقافية، فاشترت بالخصوص الى
حركة الهجرة والنقل التي لم تكن فقط عاملا من العوامل الاجتماعية التاثير في العلاقات،
انما ايضا مظهر من مظاهر تلك العلاقات. والى ما نشأ عن حركة الهجرة والنقل بين
بلدين من وجود جالية جزائرية في المغرب، وجالية مغربية في الجزائر، وتماثل
بعض الجزائريين في المغرب وبعض المغاربة في الجزائر للاقطاعات. وقيام الحاضرات
من لا زالت.

وتحدثت ايضا عما نشأ عن هجرة العقول ونقلهم بين البلدين للاخذ او العطاء
للغرضين مما اولمير ذلك من الاغراض من اعمار للمراكز الثقافية في البلدين بالعلماء،
لطلبية المغاربة والجزائريين، ومناقشات فكرية ودينية بين علماء البلدين، ومراسلات
بين العلماء، وبين العلماء واللبية، وبين المصوفة ومريديهم.

ومرست في الانحياز الى المراكز التي كان يجرى فيها التبادل الثقافي ، وهي التي كانت ايضا مراكز للتبني - اذ في الحقل الاخرى . فعددت اهمها ، وابرز طوائفها . فركزت في المغرب على المراكز التي استقبلت الكثير من علماء الجزائر ، واهمها : فاس ، ومراكش ، وشاويان ، وسجلماسة ، وقاريدانست ، وفي الجزائر ركزت على المراكز الثقافية القديمة احر من غيرها من قبل علماء المغرب وهي : تلمسان ، والجزائر قسنطينة ، ووزارة . واتيت بتوازيهم مجموعة لاولئك العلماء / ^{تناطت مساهماتهم} / ^{عرفت} / ^{بمناخاتهم} / ^{لذلك} / ^{لأن} عامة الناس وناصتها في تلك المراكز . ولم تغفل الاشارة الى مركز دمام للمبادلات الثقافية بين البلدين الا وهو البقاع المقدسة ، وكان علماء البلدين وللمتبعين يلتقون فيه للاخذ بعضهم عن بعض . وواضح ان هذا المركز يقع خارج البلدين . اما الهناتمة ، فذكرت فيها اهم الفوائد والاستنتاجات التي توصل اليها البحث .

ومحمد : ارجو ان يكون بحثي المتواضع قد اسهم في توضيح العلاقات المتعددة بين البلدين في فترة هامة من تاريخ علاقاتهما .

ولا يفوتني في ختام هذا التقديم ان اتقدم شكرا بفاثق تقديمي ويزيل شكري للاستاذة الفاضلة الدكتورة ليلى السبيح على الرعاية العلمية والتوجيه الحديدي لاولال الفترة التي قضيتها تحت اشرافها . ذلك التوجيه الذي كان له الفضل الكبير في اتمام هذا البحث وانما هو في الصورة التي دونتها . والحق ان توجيهاتهم ساسا وتوازيها مع الباحث كان ابرز بكثير مما تم انجازه . ولذلك فان الباحث هو الذي يتحمل مسؤولية كسب النقائص والاشغالات .

كما اتقدم بخالص شكري الى الاستاذ الفاضل الدكتور محمد خير فارس الذي فتح لي باب مكتبته ، وزودني فيها بالصادر والمراجع التي تتعلق بمضمون الموضوع ، وكان دوما على استعداد لمساعدتي ، ولم ييخل علي ابداء التوجيه والارشاد .

وخالص شكري ايضا الى الاستاذ الفاضل الدكتور احمد الربيع لفضله بمناقشة الرسالة ، وقبل ذلك لما افدت من توجيهاته وانا في مرحلة الدبلوم .

واود ان اشكر كذلك قسم التاريخ ، وكلية الآداب ، وجامعة دمشق ، ادارة واساتذة ، لما وجدته لدى الجميع من تعاون وساب . ولا انسى ان اشكر ايضا كل من تعاون معي وسهل مهمة بحثي وابجازه من غيمي المحبتات والوثائق سوريا والجزائر ، وشؤون الدلائل والخدمات اللزومة ، وان لا ينسى بالشكر الاخ عبد الكريم قراني الدلائل الجزائرية سورية لما ابداه من تعاون وما قدمه لي من مساعدة .

((وبالله التوفيق))

التعريف بأهم المصادر المتعددة في البعث

اعتمد البحث كما سلف القول على وثائق ومصادر ومراجع ومقالات كثيرة عربية وأجنبية وثمانية فيها يلي استمرار لا تمهيد .

أ - الوثائق العثمانية

أ - الوثائق العثمانية

اعتمدت على الوثائق العثمانية والمصورة المودعة في الجزائر ، وخاصة في مركز الدراسات التاريخية الذي قام بتسوير قسم هام من الوثائق العثمانية بتاريخ الجزائر (١) وهو الآن بصدد ترتيبها تسجيلا لمهمة الباحثين الذين لا يحسنون اللغة العثمانية . وقد تم فعلا تحرير قسم هام منها يتعلق بعهد البايليكيات وهو القسم الذي اخذت منه كثيرا . وسهيت ان تكون استفادتي من الوثائق الرسمية العثمانية المعهودة نبيرة فقامت لهذا الغرض بزيارة الى استانبول فنتني لم أوفق في الحصول على الوثيقة التي تمنح لأبحاث بالاطلاع على الارشيف ، ولما كنت ان الحصول عليها ليس أمرا سهلا ، ولا تعان لها فيها بذلك تأنيس . فحرصت ان تكون استفادتي من المراجع من الوثائق العثمانية نبيرة قدر الامكان ، ونفذا اطلعت على عدد من الوثائق المنشورة من كتب ومجلات من أهمها : مجموعة منشآت السلطان الفريدون بك في مولدين مابوحيه سنة ١٢٦٤ ، يحتويان على أكثر من ألف وثيقة بينها عدد من الوثائق باللغتين العربية والعثمانية تتعلق بالعلاقات بين الجزائر وبارتيمس ، وبين المغرب والدولة العثمانية ، وهو من وثائق كثيرة اوردها عزيز سامي في كتابه «الاتراك العثمانيون في شمال افريقيا» ، الذي حربه عبد السلام ادلم . وهو من الوثائق العثمانية التي نشرتها المجلة التاريخية المغربية التي تصدر في تونس وغيرها من المجلات . .

ب - الوثائق المغربية

ولانت استفادتي بصفة خاصة من المراجع منها في الكتب والمجلات المتخصصة . ان تعذر لي الذهاب الى المغرب للاطلاع على المخطوط منها . ومن أهم الكتب والمجلات التي رجعت اليها وانسدت من الوثائق الكثيرة المنشورة فيها ، اذ نزل على سبيل المثال لا الحصر :

الرسائل السعدية التي نشرها محمد الهامون في مجموع يتضمن نحو (٦٢) رسالة .

منها كتبها .

كتاب مناهل الصفا في آثار مولانا الشرف لمؤلفه عبد العزيز الغشتالي ، وزير السلطان محمد الذي احمد المنصور ، الذي يتضمن القسم المراجع منه نحو خمس عشرة وثيقة ، أفدت ايضا منها را وخاصة في العلاقات الثقافية والسياسية .

(١) انظر حول الوثائق الجزائرية مسعودي ، ونظرة حول الوثائق العثمانية بالجزائر وثمانية في تاريخ الجزائر المحدث / في / مجلة التاريخ / عدد ٤ ، الجزائر ١٩٧٧ .

— وكتاب نزعة العسادي لعماد المصنوع الوفاوي ، موضة الآ من الحادارة الانفسا من
لاحمد المقرى ، والاستقما لانهار دول المغرب الاقصى لآبي الحباس احمد بن خالد الناصري
العسادي ، وفيها من التكتيب .

وأذكر من المجلات التي رجعت اليها ، وافدت من الوثائق التي نشرتها :

— مجلة الوثائق التي تصدر من مديرية الوثائق المغربية منذ سنة ١٩٧٦ .
— ومجلة تطوان ، ومجلة ماس سهرين ، ومجلة تانود ، وآرشفيف ماروكس .

(Archives Marocaines) .

جـ - الوثائق الأوربية :

أما أهم الوثائق الأوربية التي رجعت اليها فهي المجموعة الضخمة القيمة التي جمعتها
من مختلف الخزائن ودور المعرفات الأوربية وعقبتها ونشرها الكونت هنري دونا ستري في
سلسلتين ، الأولى تتعلق بالدولة المهدية وتغطي الفترة (١٤٨٦ - ١٦٦٠) وهي التي افدت
منها كثيرا ، والثانية تتعلق بالدولة الفسالية (العلوية) وتغطي الفترة (١٦٦١ - ١٨٤٥)
ونلتها تحت عنوان : المصادر المفضلة لتاريخ المغرب (Sources Inédites de l'Histoire
du Maroc Première Serie , Dynastie Sa'dienne .)
وقد نشر دونا ستري المجلد الأول في سنة ١٩٠٥ وبلغ عدد المجلدات التي نشرها من
الدولة المهدية حتى تاريخ وفاته سنة ١٩٢٧ ثلاثة عشر مجلدا من السلسلة الأولى . وتابع بحمد
بيير دوسونيفسال ، وفيليب دوتوسي برينانك وشانتان دولا فيرون نشر الوثائق المتعلقة
بالدولتين المهدية والفسالية فهايز الآن مجموع المجلدات المتتالقة بتاريخ الدولة المهدية
وحدها واحد وعشرين مجلدا ، الرزوم المهمة والافادة منها كثيرا خاصة في العلاقات السياسية
نما رجعت الى مجموعات أخرى من الوثائق المنشورة خاصة تلك التي نشرها إيلي دولا برموداي بالجزائر
سنة ١٨٧٥ في الكتاب المسمى :
(Documents Inédits sur l'Histoire de l'Occupation Espagnole en Afrique " 1506 - 1574 ")

ومجموعة الوثائق الدبلوماسية التي نشرها شارل بيير (Charrière : Négociations

de la France dans le Levant, 4 Volumes .)

بباريس سنة ١٨٥٠ وهديدا من الوثائق التي نشرتها المجلات الأوربية كعجلة الاندلس
(Al- Andalus) ، ومجلة الدراسات العربية والخرية (M.E.A.H.) ومجلة المغرب
الاسلامي والمتوسط (R.O.M.M.) وغيره .

أما المصادر والمراجع :

أما العربية :

أما المصادر العربية والمحررة التي رجعت اليها واستفدت منها كثيرا فأهمها في :

■ تاريخ الدول والامارات

... كتاب مناهل الصفا في مآثر موالها الشرفا لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي المتقدم ذكره .
 وهذا الكتاب يؤرخ للدولة السعودية حتى اواخر عهد المنصور . ونحن ان يعتبر من نسب التاريخ
 الرسمي للدولة السعودية بحكم عازة مؤلفه بتلك الدولة وخاصة بالسلطان احمد المنصور الذي اتخذ
 من كتابه المقربين .

... كتاب تاريخ الدولة السعودية التاكفاد ارتبه لمؤلف مجهول الذي سلك فيه صاحبه
 سائرا مناقضا للفشتالي . حيث ان حسن على عدم السكوت عن مساوي السعديين .
 بل وعلى ابرازها مما جعلني آخذ منه لما آخذ من كتاب الفشتالي بحذر .

... كتاب نزهة الحادي بأشعار ملوك القرن الحادي احمد الصغير الرفواني المراكشي (المتوفى
 سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٨ م) الذي يعد اهل كتاب عن الدولة السعودية وأوقافها وأشرفها اقتصادا
 في تناول تاريخ الدولة السعودية والامارات التي تأسست في المغرب في اواخر السعديين . ولذلك
 فقد اعتمد عليه كثيرا .

... كتاب غزوات هرج وشير الدين لمؤلف مجهول . وهذا الكتاب الذي يؤمن لبداية الحكم
 العثماني في الجزائر من الكتب التي تم تحريرها من اللغة العثمانية الى العربية . وقد اخذت منه
 بعذر ايضا لعل مؤلفه الواضح الى ليل الحديث والثناء لشير الدين وحق بدون اعتدال .

■ التراجيع اما اهم المصادر التي اعتمدت عليها من تصنيف التراجيع فاهمها

... ناحة الناشر لمحاسن من نان بالمغرب من مشايخ القرن الحاضر لمحمد بن علي الشفناوي
 المعروف بابن عسكر المتوفى سنة ١١٨٦ هـ / ١٥٧٨ م . وكانت استفادتي منه جمة ولا سيما في الحلاقات
 الثقافية . ان ترجم لشخصية من علماء الجزائر الذين هاجروا الى المغرب وبعض الذين لم يهاجروا اليه .
 ... درة الحبس في اسداء الرجال ، وعذوة الاقتباس فيمن حل من الامم مدينة فاس .
 ونالها لأبي العباس احمد بن محمد المكاسبي المعروف بابن القاضي (المتوفى ١١٠٥ هـ / ١٦١٦ م)
 وفي هذين الكتابين وجدت مادة هامة لبحث الحلاقات الثقافية .

... الهستان في ذكر الاولياء والصلحاء بتلمسان لمحمد بن محمد بن احمد المعروف بابن
 التلمساني (نان حيا في سنة ١١٠٤ هـ / ١٦٠٥ م) . وقد افادني كثيرا في بحث الحلاقات الثقافية
 لخصي تراجيعه .

... روضة الآمن ونفي الهمم لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني الذي تنقل بين الجزائر
 والمغرب والمشرق وافدت من هذين الكتابين خاصة في بحث الحلاقات الثقافية .

... كتاب منشور البداية في تشيخ جمال من ادبي الحلم والولاية لعبد التكرم القنسنون
 القسنوني (المتوفى ١١٠٧٣ هـ / ١٦٦٣ م) . وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا . ومنه اخذت
 مادة هامة خاصة ببعض تراجيع علماء المغرب في عهد ايلة تترجمة محمد بن مزبان التواتي .

— نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي وهو لما تدل نسبه من علماء السودان الغربي • وقد أخذ عن التنبكتي المذكور الكثيرون من علماء المغرب واللبته عندما جني به أسيرا إلى موانئ فسي مطبخ القرن العاشر الهجري / المصادق • مشر الميادى • لدى غزو السعديين للمغرب • وفي نقابه المذكور تراجم كثيرة عامة لعلماء الجزائريين ومذاخره •

— خلاصة الاثر في اعيان القرن العاشر لآبي عبد الله محمد المحبي الحترفي سنة ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م الذي ذكره هو الاثني عشرة تراجم لعلماء الجزائر والمغرب وهو في أربع مجلدات •

الرحلات

ومن أهم كتب الرحلات التي رويت عنها الكتب

— النفحة المسكية في السفارة التركية لآبي الحسن علي القدر روتي الذي زار مدينة الجزائر وفيرها من المدن الجزائرية في سنة ١٠٩٢ / ١٥٨٩ م وهو في أربعة أجزاء إلى استانبول • ودون مشاهداته وإن لمحاته منها في كتابه المذكور الذي أخذت منه كثيرا من المعلومات التي تتعلق بهندسة العلاقات السياسية ولذلك به بعض العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

— ماء الموائد أو الرحلة المباشرة لآبي سالم المباشي المتوفى سنة ١٠٩٠ / ١٦٧٩ م وهي ماهرة طيبة حصرية في جزئين بفاصل سنة ١٢٢٤ / ١٠٦٦ م • وقد وجدت فيها مادة غنية فيها بعض مختلف وأنب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

— كتاب الاستقفا للمساوي • والقرصان المغرب لآبي القاسم الزباني • وكتاب الآثار المشاهير في شمال إفريقيا لعزير سامح وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي • وحرب الثلاثة سنة لأحمد توفيق المدني • وتاريخ المغرب في عهد السعديين لعبد الكريم تريم وتعريف الشاه مساف للمساوي • وتاريخ الجزائر الثقافي لمحمد الله •

ب — المصادر والمراجع الأجنبية

وقد اعتمدت أيضا على عدد من المصادر الأجنبية وأهمها المذكور منها :

١ — في صنف التاريخ :

— كتاب البرتغاليين وإفريقيا الشمالية لليزيد وسوزا البرتغالي

LUIZ DE SOUSA : Les Portugais et l'Afrique du Nord (trad, R, RICARD)

الذي قام روبرت ريكارد بترجمته إلى الفرنسية من البرتغالية ونشره في سنة ١٩٩٠ في لشبونة • وقد أخذت منه مادة هامة في بحث العلاقات السياسية •

— وكتاب الطهوفانية والتاريخ العام لمدينة الجزائر لمؤلفه فرأى ديبقود وهابيدو الأسباني الحترفي إلى الفرنسية من قبل مونبرو وسيدرون • سر • ذلك الكتاب الذي أخذت منه كثيرا في بحث العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية •

FRAY DIEGO DE HAEDO : TOPOGRAPHIE et Histoire Générale d'ALGER, traduit de l'Espagnol par MM. le D^r MONNEREAU et A. BENBRUGGER, in Revue Africaine.

١- كتاب تاريخ ملوك الجزائر لنفس المؤلف السابق الذي قام بترجمته الى الفرنسية المؤرخ
هنري دو غرامون (HENRI de GRAMMONT) في جزأ واحد . وهذا الكتاب تناول في نفسه
واقعه تاريخ الجزائر من خلال تراجم حكماء في القرن السادس عشر الميلادي وعلى غاية من الهمية
المباحث في تاريخ الجزائر في الفترة المذكورة ، ومناقشتها مع الدول المجاورة لها ، ومنها المغرب
ما يتضمنه من معلومات قيمة ، ولا سيما عن الفترة التي كان فيها اسيرا في الجزائر من ١٥٧٨ الى
١٥٨١ والفترة التي سبقتها . وقد اشذت كثيرا من هذا الكتاب في بحث العلاقات السياسية
لا سيما في الفصل الاول .

٢- وفي صنف الرحلات أشير الى التي استفدت منها كثيرا وهي :
- كتاب وصف إفريقيا (Description de l'Afrique) الذي ألفه بالابا المية الحسن
الوزان الاندلسي الأصل ، المغربي الدار ، المعروف لدى المغاربة بلقبون الافريقسي .
(LEON l'AFRICAIN) بعد ان امتدح بالاسر والتعصب ونقل الى عدة لغات ومنها
اللغة العربية .

ومن الترجمة الفرنسية للكتاب المذكور اشذت مادة مهمة تتعلق بالخواص الاقتصادية والاجتماعية
والثقافية والسياسية في كل من الجزائر والمغرب .

٣- وكتاب إفريقيا لمارمول تارافا ، خال الاسباني الذي دأب كصالحه بشمال إفريقيا خلال الثلث
الثاني من القرن السادس عشر الميلادي . وقد نقل مارمول الكثير من المعلومات الجغرافية ، تعرفنا عن
ساحله ، و اضاف اليها ما استجد في عصره من الأحداث السياسية فجاء كتابه تكملة لكتاب الوزان
المؤلف المذكور . وترجمه الى الفرنسية في ثلاثة مجلدات ضخمة (N. P. D'Ablancourt) وكانت
استفادت من تلك الاضافات غير قليلة .

٤- وفي صنف المذكرات ، رجعت الى كتاب تاريخ الاعراف (Hist. des Chérifs) لدييودور
طوريس (DIEGO de TORRES) الذي كان متيقنا في المغرب ويشغل في اقتداء الاسباني
خلال الثلث الثاني من القرن ١٦ م / ١٥٠٠ م . و كتابه المذكور يتضمن معلومات في غاية الهمية
عن الحياة السياسية في المغرب والعلاقات بينه وبين الجزائر والدولة العثمانية . ومن ثم فقد كان
لافتا للمباحث عن الرجوع اليه . وكانت افادتني منه نشرة . ورجعت ايضا الى مذكرات الاثبات دان
(Hist. de la Barbarie et ses Corsaires) المنشورة في باريس ١٦٣٧ . ومذكرات الفارس
د'ارلوسو (Mémoire D'Arvloux) الذي زار الجزائر في آخر الفترة مدار البحث ، ودون ملاحظاته
عن الوضع الذي آلت اليه الجزائر في اواخر عهد الباشا اولاد هداية عهد الاقوات .

اما المراجع الاوروبية التي استفدت منها كثيرا فاهمها :

- كتاب تاريخ الجزائر تحت الحكم العثماني لهنري دو غرامون (HENRI DE GRAMMONT :
Histoire d'Alger sous la Domination Turque.)

والجزء الثالث من كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية لا رنست ميرسييه (ERNEST MERCIER :

Histoire de l'Afrique Septentrionale.)

- F. BRAUDEL : La Méditerranée et le monde : كتاب المتوسط والعالم لبروديل :
Méditerranéen à l'époque de Philippe 2, (2 volumes).
A. COUR : Les Etablissements des Dynasties des : كتاب ارسيت دور المسمى :
Chérifs au Maroc et leurs Rivalités avec les Turcs de la Régence
d'Alger, (1509 - 1830).
J. HAMMER : Histoire de l'Empire Ottoman. (trad. J.J. HELLERT).
وانتفعت كثيرا من مقالات د. ب. بواوي . وشانتال دولا فيرون . وروبير رينارد المنشورة في المجلات الميمنة في الفهرس .

-- ((تنبيهات)) --

للاحالة على الكتاب الاجنبية ثبت ما يتعلق بتصرف المكلف به باللغة الاجنبية فاذا ما اشير
الى نفس المكاتب ذكر مصريا . وانقسم على اسم المؤلف ، واسم الكتاب باختصارا والاحالة
اليه بالمرجع او المصدر السابق .
وهذا جرى الامر بالنسبة للمجلات الاجنبية ، وانقسمت جميع الرقائق الاولية المنشورة
تحت عنوان :

SOURCES INÉDITES DE L'HISTOIRE DU MAROC. (S.I.H.M.)

بالرموز الاولى م . م . م . وتخصي الصادر المتكلمة لتاريخ المغرب . ولقنسي ابيت على موليمن
الرائق فرنسا واسبانيا وايطاليا وفرنسا او الهولندي الى بناسيب الرموز المذكورة
مع ذكر الجزء الهندس .

الباب الاول

العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب

من 923 هـ / 1517 م - إلى 1069 هـ / 1659 م •

تمهيد : لمحة عن العلاقات بين القدارين قبل سنة 923 هـ / 1517 م •

الفصل الاول : الحياة السياسية في الجزائر •

الفصل الثاني : الحياة السياسية في المغرب •

الفصل الثالث : العلاقات بين القوى السياسية المتشعبة في القدارين

923 - 956 هـ / 1517 - 1549 م •

الفصل الرابع : صراع الاهداف السياسية بين الاستقلال والتوحيد في الفترة

956 - 982 هـ / 1549 - 1574 م •

الفصل الخامس : السلام بين تبةمة المغرب للحنافيين وترسيخ سيناد في الفترة

982 - 995 هـ / 1574 - 1587 م •

الفصل السادس : الصراع على الخلافة في القدارين والسلام القلق بينهما

995 - 1069 هـ / 1587 - 1659 م •

لمحة عن العلاقات بين القلبيين قبل سنة 923 هـ / 1517 م

ان من يتأمل في تاريخ الجزائر والمغرب قبل المرحلة موضوع البحث يجد انه كانت بينهما من العصور صلات وملاقات قوية وفي مختلف المجالات ورائب الحياة ولا سيما في المجال السياسي فدا امر يديمي ه نال جزائر والمغرب قداران مشاهيران لا عواجز طبيعية تفصل بينهما او تعيق اتصالهما ولا تباين في البنية البشرية والاجتماعية والثقافية ويقوم سدا في وجه التواصل والاتصال ولعل كثر ما نضج القداران لخدم دولة واحدة وسواء في العهد الاسلامي او قبله ولاحقه ول التي خلعت القدارين فترة طويلة نسبيا قبل بداية العصور الحديثة هي دولة الموحدين

ومن المعروف انه لما دب الضعف الذي هذه الدولة في النصف الاول من القرن السادس الهجري الميلادي نشأت على انقاضها ثلاث دويلات هي :

١- الدولة الحفصية (١) (٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م في تونس والشرق الجزائري وورزها مدينة

٢- الدولة العبد الوادية او الزيانية (٢) (٦٦٢ هـ / ١٢٦٥ م) في وسط الجزائر وجزء من

٣- الدولة المرينية (٣) (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م في المغرب الاقصى ومركزها مدينة فاس

وكانت كل دولة من هذه الدويلات تحاول بسط نفوذها على كامل المغرب الكبير وبالتالسي دولة الموحدة المنقرضة وقد تطلعت الدويلتان الحفصية والمرينية من توحيد المغرب وذلك في الوقت فقد اما الدولة الزيانية التي كانت تتوسل ما من حيث الموق فقد بدت الدولة الاضعف صارتا بين فكي كاشة ومن ثم لموقعها ان دفاعيا اشرفه هيرويا وكانت تاول بصفة خاصة فاد على وزودها من الزوايا وان كان الحفصيون من الشرق والمرينيون من الغرب لا ينفقون عن دغل في شؤونها والتوسع على حسابها

وانا ان الحفصيون لم يسعوا بهند في اثناء صاولاتهم ففرض هيمنتهم على المغرب الكبير القضا على الاسرتين الزيانية والمرينية وانما اكتفوا بدخول سلاطينهم تحت سيادتهم والاعتراف بجمعية لهم فان المرينيين قد حملوا بالاعان هولا سيما حينما نالوا في ان قوتهم وفي عهد سلطانين ابي الحسن (٧٢١-٧٥٢ هـ / ١٢٢١-١٢٥١ م) وابنه ابي حسان (٧٤٩-٧٦٠ هـ / ١٢٤٨-١٢٥٨ م) على ضم المملكتين الزيانية والحفصية وعلى القضاء على حكم الاسرتين المملكتين ه بل ان تشيبت المرينيين بنم ملنة تلمسان وازالة حكم الاسرة الزيانية فيها واشد من بشيم بالقضاء على الاسرة الحفصية في تونس والمكالمات ووافق عديدة منهم ه

(١) نسبة الى ابي حفص جبر رئيس قبيلة اغتات المسمودية ه كان احفاده ولاة على تونس من قبيل الموحدين ثم استقلوا بالعلم فيها في عهد ابي زويا (٦٦٥ هـ / ١٢٦٨-١٢٦٩ م) (٢) نسبة الى قبيلة بني عبد الوادي اجداد زقات انا تسميتها بالزيانية فنسبة الى زيان بن ثابت مؤسس الدولة الزيانية الحقيقية هو مؤسس دويلات (٦٦٢ هـ / ١٢٦٨-١٢٦٩ م) (٣) المرينيون فقد من يدان القبيلة الهيرة زقات ومؤسس دولتهم الحقيقي هو ابراهيم بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥ هـ / ١٢٥٨-١٢٨٦ م) كتاب الجبره الدزالمين بيروت ١٩٧١

- ١- قرب تلمسان من فارس أو بمعنى آخر تواصل الحدود بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط.
 - ٢- الخصومات والمنافسة القديمة التي كانت بين المرينيين وبين الزيانيين حول المراعي وحول زراعة زناتة . وهي القبيلة التي ينتمون إليها .
 - ٣- الخصومات الجديدة بين الاسرتين ، الفاتية من تحالف بني زيان مع إواخر المرينيين ضد المرينيين الذين كانوا يطمحون آنذاك القضاء نهائيا على الدولة الموحدية ثم تالفهم أيضا مع خصومهم الآخرين فأدراة فتنة من بني الأحمر ، وتدخلهم في المغرب وإبوائهم للثائرين على المرينيين سواء كانوا من الأسرة المرينية أو غيرها ، وتأمرهم معهم ضدهم .
 - ٤- ضعف الدولة الزيانية الفعلي ، وتزايد الانقسام الدائم لها من الشرق ، مما أدامهم بها ودفعها إلى التسابق مع الانقسمين على التهامها .
 - ٥- أن القضاء على سلالة الزيانيين ، ولم يلبثهم اليهم ، وخطة استراتيجية عامة ، وأساسية في تاريخ تحقيق ما كانوا يطمحون إليه وهو إعادة توحيد المغرب الإسلامي ، الكهيرة تحت مملكتهم تأمين مملكتهم من الاضطراب السالفة الذكر ، التي كان يهددهم بها وجود الزيانيين إلى وأرهم .
- هذا بالإضافة إلى أنه منسب يضع تحت أيديهم الحرائر التجارية الهامة في مملكة الزيانيين ويوسع حدودهم حتى تلامس الدولة الحفصية في أقصى الشرق ، فتغدو أقرب مفعلا منهم فكان يجب الانسحاب من مملكة الزيانيين ، يرحل في قبضتهم مدينة تلمسان الهامة ، وضرب الزلي الصالح ، والقلب الصوفي الشهير سيدي بويدي (١) الذي كان مزارع نهر ، وهو امر لا يفتن الضاحض من أهميته ، وفي وقت أخذ فيه تيار التصوف ينتشر بقوة لم يبق في القرن الخامس الهجري / الخامس عشر الميلادي ذلك عصر العصور .
- وفي الواقع لقد تمكن المرينيين بعد موت بنو مراسن المؤسس الحقيقي للدولة العهد الوادعية (الزيانية) من محاصرة ابنائه حصارا شديدا وطويلا في تلمسان ، دام ثمان سنوات ابتداء من ١٢١٨ هـ / ١٢١٩ م ، ومن التغلب على أحقادهم بعد ذلك ، واحتلال تلمسان مرارا خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الهجري ، واخضاع مملكتهم لمسلطتهم المباشرة في فترات عديدة ، متتالية في قصرها ، كما تمكنوا في عهد السلطانين أبي الحسن وابنه أبي حفان ، من إخضاع الشرق الجزائري أيضا ، ومن القضاء على الحكم الحفصي فيه ، وفي تونس ، وبالتالي من توحيد المغرب الكبير تحت مملكتهم . إلا أن ذلك كان لفترة قصيرة ، ولأن تذبذب القبائل في ولائها لهما ، وعدم صدقها في الخروج اليهما ، مع الانقسام بين ان يستقر وبسيرة ملكهم في تونس والشرق الجزائري . كما أن التنافس القائم باستمرار على السدة بين الأمراء المرينيين ، عقب وفاة السلطان الحاتم أو مقتلهم أو عزلهم أو حتى انهزامه ، يفتي الفرصة لظهور الزيانيين ، كي يستجمعوا قواهم ويستعيدوا مملكتهم ، ويصبحوا دلائم من بعدهم ، بل لأن بتداعوا بدورهم في المغرب الأقصى ، وتأيد هذا الثأر أولئك أولئك على أطرافه . كما حدث مثالا في عهد أبي محمود موسى الثاني (٢٦٠ - ٢٩١ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٨١ م) ، وأبي مالك عبد الواحد (١٤١٢ - ١٤٢١ م) .
- (١) هو أبو بديع شعيب بن الحسن الخوش ، ولد في أشبيلية حوالي ١١٢٦ م ، وتوفي بقرية الحماك قرب تلمسان سنة ١١٩٨ م ، درس في المغرب ثم حل في بلاد الشام ، في المشرق ، وتعرف في حرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني ، وقرأ عليه كثيرا ، وأبهره بفراسة الصوفية ، وأودعه كثيرا من أسرارها ، استقران بداية بعد ذلك لتطامن كبره وفيها ، كما صيته وقرأت عليه . كما أنه من محققي الفقه على دلتها ، وقد استمداه ، ولما وصل إلى قرية الحماك المذكورة انتابها الحرف ، وتوفي فيها ، وأدخلها بن مريم ، الحبستان في ذنبا ، ولما والاه علماء بتلمسان (تحقيق ابن شيب) (محمد) الجزائر ١٩٠٨ صفحة ١٠٨ - ١١٤) .

وأمام فشل المرينيين في القضاء بصفة نهائية على الدولة الزيانية ، وانعقادهم في الاحتفاظ
دائمة بسيادتهم على تونس والشرق الجزائري ، فضعف انقباض سلاطينهم الذين تولوا بعد أبي عثمان
تجداد وذراريهم ، وتاجعهم بهم ، فقد بدأ انهم صرفوا انظارهم نهائيا عن الشرق الجزائري
منذ اواسد القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وقنعوا في اواخر هذا القرن
بأن يكون على مرش تلمسان سلطان زياتي ، ورياسة ان يكون تابعها لهم . بل انه لما آل الامر للمر
المر ، وآثر المرينيون ثم الى الوالاسيين ، وأصبح المغرب نفسه حينئذ فريسة لثقل العفسيين
والبرتغاليين والاسبان ، وهاجرا عن الدفاع عن نفسه ، ونسب سلاطين فاس عن التدخل فسي
الاسبان ، ولم يعد لهم نفوذ او سلطة على سلاطينها وعلى مملكتها ، فساد نوع من جنون الجوار
ان الوالاسيين ورثاء المرينيين لم ينفوا من ايراء التاجين الهم من الامراء الزيانيين المناوئين
سلطان الزيانيين ، لينتفوا رقة رابعة بأيديهم ، فبذلوا بها على هذا الاخير ، فلما حدث فسي
الى القرن الحاشي الهجري / السادس عشر الميلادي في عهد محمد بن محمد البرتغالي الوالاسي
١٥٠٤-١٥٢٦ م / ٩٢٢-٩٤٠ م الذي آوى الأمير يحيى بن محمد الزياني ثم سرجه فأسس
مارة مستقلة من تلمسان في سنة ٩٤٠ م .

فمن الحرف المريني الذي تقدم ، يمدن القول ، ان العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب
بعد انهيار دولة المرينيين ، وقيام الديانات الثلاثة : الحفصية والمرينية والزيانية ، وتحت مظلة
٩٢٢ م / ١٥١٢ م قد شهدت تاورات مختلفة بين حصرها في اربع مراحل زمنية متميزة وهي :
١- المرحلة الاولى : من سنة ٦٥٦ الى سنة ٧٦٠ م / ١٢٥٨-١٢٥٨ م ، وفيها تانست
الدولة المرينية قوية ، وكان سلاطينها يسعون الى توحيد المغرب الكبير تحت مملاتهم بالقضاء على
الديكتاتورية ، الحفصية والزيانية ، ولا سيما على هذه الاميرة . وقد تمكن السلطان المريني ابو
الحسن وابنه ابو عثمان كما ذكرنا من تحقيق هدفهما في اواخر العقدين : الرابع والخامس من القرن
الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

٢- المرحلة الثانية : من سنة ٧٦٠ الى سنة ٧٧٦ م / ١٢٥٨-١٢٨٤ م ، وفيها انضمت
الضفة ايدب في الدولة المرينية بعد موت أبي عثمان ، حيث تزايد نفوذ الوزراء ، ونشر المتروكون
على السلطة المركزية ، فصرف السلاطين المرينيون انظارهم نهائيا عن الشرق الجزائري ، وتركوا
ورثوا جهودهم على انضمار مملكة تلمسان لسيادتهم ، والقضاء على السلطة الزيانية فيها ان
انفس . وقد تحقق ذلك لغزات قصيرة في عهد أبي سالم (٧٦١-٧٦٢ م / ١٢٥٩-١٢٦١ م)
وأبي فارس (٧٦٨-٧٧٤ م / ١٢٦٢-١٢٦٢ م) وأبي الحباس (٧٧٦-٧٨٦ م / ١٢٧٤-١٢٨٤ م)

٣- المرحلة الثالثة : من سنة ٧٨٦ الى سنة ٨٢٢ م / ١٢٨٤-١٤٢٠ م ، وفيها ازداد ضعف
الدولة المرينية ، ولم يعد سلاطينها يتدخلون في تلمسان ومملكتها للقضاء على حكم الزيانيين فيها ،
وانما اقتصر سلطان زياتي موال لهم ، او مساعدته على انتزاع الحكم من السلطان العام ، وان مال
هذا الاخير الى الاستقلال عنهم ، فلما حدث في عهد أبي سعيد على العفسي (٨٠٠-٨٢٢ م /
١٢٩٨-١٤٢٠ م) .

٤- المرحلة الرابعة : من سنة ٨٢٢ الى سنة ٩٢٣ م / ١٤٢٠-١٥١٧ م ، وفيها بقي الضعيف
بأيد دولة المرينية والدولة الوالاسية التي ملقت في ٨٢٦ م / ١٤٧١ م اشد لاستقلال العفسيين

البرتغالي والاسباني ، وثورة المنشقين من السيادة المرزقية قصف المرينيين والوطاسيين عن التدخل في تلمسان ومليتها ، واقتفوا بآيوا المناوئين للسلطان الزياني الحاتم للتطويق به ، اذا مادحتهم الضربة الى ذلك . وفي هذه المرحلة استأنف السلاطين الحنصيون تدخلهم في تلمسان ، وابتدأوا خلال الاربع الثلاثة الاولى من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على الخضوع اليهم (1)

وعندما بيدوان الحلاقات الدزائرية - المغربية خلال اثنتين من قرنين من الزمن ، وقد خلص طليها طابع الصراع والفزع على السيادة والنفوذ ، ورغبة حاتم قل من : فاس (المغرب) وتلمسان (الجزائر) في تحقيق وتوحيدهم وملاحمتهم ، ولو على حساب بعضهم ، دون اقتناع بامانة التحالف الإسلامي ، او التحارب السياسي ، ورايمان بضرورة صرف تلك القوق الفاشلة في الصراع نحو الهنساء الدانلي ، وازالة مظاهر الضعف فيه ، مما انهك قوى البلدين ، وادامع بهما القوى الاوروبية الفاشلة العبارة ، فاسبانيا والبرتغال ، اللتين ودعا لهما لامة سائنة ، تحقق لهما اذا ما التهماهما اهدافا كثيرة اقتصادية ودولية وقومية وثقافية .

وقد كان هذا الضعف ، وذلك التدخل البرتغالي والاسباني في البلدين عاملا في ظهور قوى سياسية جديدة على صحن الاحداث في البلدين ، سمحت للموقف في وجه تلك التعديلات ، ففسد الدزائر ظهور العثمانيين ، وفي المغرب تميزت الاسرة الحانمة القابضة على السلطة فيه ، حيث آل الحكم الى الوطاسيين ثم الى السعديين ، وهذا بدوره ادى الى تداول العلاقات السياسية بين البلدين تدورا جديدا في الفترة الممتدة من (1123 - 1061 م / 1512 - 1651 م) ، وفي الاهداف والاهداء ، والقوى السياسية الداخلية والخارجية .

وقبل استئناف هذا التطور يحسن التعرف على الحياة السياسية في البلدين لما لها من اثر كبير في

ذلك التطور

(1) اعداد عن تدخلات المرينيين والاسبانيين في الدزائر : ابن خلدون ، المرجع السابق ، القسم (محمد بن عبد الله بن عبد الجليل) ، اقام الدار والضياف في شرف بني زيان وادار طوقهم الايمان مخطوطة المخطبة الوافية بالدزائر) ، من منه الى الفرنسية من قبل بارتولوميو BARGES (1848) Histoire des Beni-Zeiyun. Paris 1952 . تاريخ ملوك بني زيان ، باريس 1852 . تاريخ الدولتين الموحدية والعفصية . تونس 1286 . واندال الزركشي (محمد بن ابراهيم) ، تاريخ الدولتين الموحدية والعفصية . تونس 1117 . ابن ابي دينار ، الموحدين في اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق محمد الشمام . تونس 1117 . ابا المتياس احمد بن محمد الناصري السلاوي ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ابا المتياس احمد بن محمد ، الدار البيضاء ، المغرب 1156 - 1155 . الدزائر الثالث والرابع . وفيه من المصادر والدراسات المهيمنة في الشؤون .

((الفصل الأول)) =====

(الحياة السياسية في الجزائر) =====

1 - أوضاع الجزائر في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي :

ان من يتأمل في حياة الجزائر السياسية في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وحتى سنة (١٢٢٣ هـ / ١٥١٢ م) يجد ان الجزائر كانت تعيش في ازمة تهيبة حيث ان الدولتين الحفصية والزيرية اللتين كانتا تقتسمان النفوذ فيها ، الاولى في القسم الشرقي منها ، والثانية في القسم الغربي ، وقد بلغت ذروة نهضة من النخيل ونبهة عوامل عديدة بعضها قديم وبعضها حديث ، ومن السواحل القديمة نذكر :

- ١- التنافس على السلطة بين امراء كثر من الاسرتين الحافيتين .
- ٢- النزاع الذي قاد يكون مستعرا بينهما وبين الاسرة المرينية الحاكمة في المغرب ، فضلا قيام تلك الاسرة في اعقاب انهيار الدولة المرينية ، وذلك من اجل وراثة ممتلكاتها .
- ٣- استعانة المتنافسين والمتنازعين بالقبائل من امثال بني حامر (١) ، واوند واوند (٢) ، واولاد سبيحيد (٣) ، والشايبين (٤) ، وهذه القبائل التي استغلت حاجتهم اليها ، وضعفهم لتتفرع وتقلص نفوذهم الى حد كبير .

٤- تدهور الوضع الاقتصادي للدولتين نتيجة نقص مواردهما ، وتفرق مناطق عديدة من سلاطينهما ، واضطراب الدولتين الى تقديم قسم نهر ، وقد يبلغ نحو النصف من مدخلهما القليل ، الى القبائل حتى تأمنا شرعا ، مما كان له انعكاسه على القدرات العسكرية للدولتين ، فلم يتمكن بائناهما ان يقيما الجيوش النظامية الكبيرة العدد ، ذات التجهيز القادر على اغتصاف تلك القبائل وانحطاد المتفرقة ، او الحيلولة دون استقلالها ، وعلى مواجهة اي خطر خارجي ، حتى ان مازول كان بهذا العدد (ان سلاطين تلمسان لا يعتمدون البند الا لفترة الحرب .. وهم لا يملكون الحريات ولا الصلح .. وانهم لقراء جدا ..) (٥) .

٥- النفوذ المتزايد ، للقوى الدينية من رجال الدين المرابدين والمتصوفة لدى عامة الناس ، ونافسهم ، من تزايد ضعف الدولتين ، ومنزما من العاقلة على الامن والاستقرار في البلاد من ناحية ، ومواجهة الدمار الخارجي من ناحية اخرى ، وبمساهمة تلك القوى الدينية في اضعافهما من ارساق توريه الانتقاد لهما ، بل ومحاولة بحفر كبار المرابدين والمتصوفة ، تأليب الرأي العام عليهما (٦) .

(١) هم قرن من زينة ، واشهر قبائلهم بنو محمور ، وبنو حميد ، وبنو شافق ، ومن ابرز زعمائهم في النصف الاول من القرن العاشر بنو رضوان الذي كان يرتبط بحداقة النسب مع الزيرانيين ، انظر عنهم : Boyer (P.) : Histoire des Beni ameour. in R.O.M.M. No24, Aix-en-Provence 1977. P.40 et suiv.

(٢) كانوا يسيطرون على جنوب قسنطينة وزين ، انظر عنهم : Mercier (H.) : Hist. de l'Afr. Sept. t.3 Paris 1891 P.206.

(٣) كانت منتشرة في جنوب تونس وشمالها وشرقيها . انظر عنهم : ابن أبي دينار المزيح السابق .

(٤) فرع من بني المهيمل . انشأوا امارا في اناحية قرب القيروان ، ثم مدوا نفوذهم حتى اراغ .

تونس وشرقي قسنطينة . انظر : Monchicourt : Etudes Kairouanaises (1450-1592) Paris 1909.

(٥) Marmol (C.) : L'Afrique. Trad. (N.P.) D'Abiancourt, t.2, Paris 1667 P.332

(٦) انظر محمد بوعباس : اثناسيا ، الاسفار في امثلة افراسية عدد ١٤٠ ، الجزائر ١٩٨٨ (ص ١١٩-١٤٠) .

()

ومساعدة آخرين في قيام العمل الميثاق في الجزائر الذي قضى عليهم.

وقد نرى من ذلك الضعف الذي تورد فيه الدولتان الحفصية والزانية ، واضراب الجزائر
وتجزؤهما الى عدة وحدات سياسية صغيرة متنافرة ، لا يسود بينها الوئام ، فأغلب المدن الساحلية
توهران ، وتنس ، وشرشال ، والجزائر ، ودلمس ، وبجاية ، ووجيج ، والقل ، وغيرها ، كانت فسي
مدائح القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، اما تحت حكم امير زانية منشق عن الدولة
الزانية تأهب يحيى بن محمد الزانية في تنس ، او عن الدولة الحفصية كمهد الرحمن الحفصي فسي
بجاية ، او تحت حكم مولى منتخب من سكان المدينة ، توهران ، او شني قبيلة كصالم التوي ، و شني
قبيلة الثعالبية في مدينة الجزائر .

وكانت كل المناطق الجهلية في الفترة نفسها مستقلة ، وتأسست في بعضها امارات ذات اصل
مرايضي ، او شرفي من اهمها في امارة بني حوامر في الجبال القبائل جنوب بجاية . و امارة توكسوا
الواقعة الى الغرب من الامارة الاولى في الجبال ذاتها .
واستقلت المدن الداخلية كذلك عن غيرها ، فتم بعض الاسر فأسرة بني جلاب في تونز ،
و اقليم في ورجلة ، جنوبي الجزائر وغيرها .

وسادت القبائل على المناطق المسلمانية نهني حمار في القطاع الوحراني والذواودة في القطاع
القمندائيسي (٢).

اما الحوامل الجديدة فهي : اليهتها : تدفق امواج من الاندلسيين الى الجزائر ولا سيما
قرب سقوط غرناطة آخر امارة اسلامية في الاندلس بعد الاسبان سنة ١٤٩٢م / ٨٩٧هـ وسما
تلاهما من ايجار المسلمين في الاندلس على التصره ورفض الكثيرين منهم له ، وايثارهم الهجرة الى
المغرب الاسلامي . وقد دعم المماليك في الاندلس من سكان المدن ، وزادوا في قتلهم
وتأثيرهم فيها ، وكونوا في بعضهما : اليات كثيرة ، ولا سيما في المدن الساحلية ، ونشدوا التمسك
البحري ضد الشوادي ، الاسبانية وسفنها انتقاما ممن اضطهدهم ، انطلاقا من تلك المدن ، لذلك
النزول الذي كان احد الحوامل في غزو الاسبان للشوادي ، الجزائرية ، واحتلالهم العديد من المدن
المسماحية . مما كان له اسوأ الاثر على الدولتين الزانية والدغسية .

2- الغزو الاسباني : ان الغزو الذي آلت اليه الازرقي، مطلق القرن العاشر الهجري /
الماد من عصر الميلادى ، وقد شجع الاسبان الذين استغلوا وحدتهم السياسية ، وانتزحوا غرناطة
من المسلمين ، لما ذكرناه على فزو الموادى ، الذين لم يبقوا اراضهم المختلفة ،

(١) انظر دور أحمد بن القاضي في ابن جعفر... دوحه الناصر لخاص من نان بالحروب من مشايخ القرن العاشر... (١٢٠٩) ص ٩٢-٩٣.

(٢) إنذار من هذه الجهات السياسية وغيرها : الحسين الرزاق المسمى ليون الإفريقي :

Léon l'Africain: La Description de l'Afrique. Trad. (E) Epaulard
Paris 1956. et
Marvel (a.): OP. OIT. t.2 et 3.

الدينية : فخر المسيحية في الجزائر ، وتحديدها بالمسيحيين الأسبان • ومن يتفحص من المسلمين واليهود^(١) ، ويبعد حدود الأسبان من إسبانيا • هذا إلى ملاحظة المسلمين في فخر دارهم ، والقضاء عليهم أو تشتيتهم ما أمكن •

٣- الامنية والاستراتيجية : تقاسم قوائم حربية إمامية في الجزائر تحول دون الاتصال بين الجزائريين وبين بقايا مسلمي الاندلس ، ودون حصول هؤلاء على أية مساعدة من الخوارج مسلمي الجزائر ، وتجعل الغزو البحري انحصاراً من الشواطيء الجزائرية إلى الشواطيء الإسبانية غير ممكن ، وبذلك يضمن حداً للفرار التي كان يأملها غزاة الجزائر بشواطئهم ، ويؤمنون خدوئهم مواصلةهم الهامة بين إسبانيا وإيطاليا ، ويتخذون تلك الواحد الاممية مطلقاً لغزو المناطق الداخلية واستغلال الأوضاع النفسية فيها •

٤- السياسية : لتحقيق سيادة الأسبان على الدولة المغربية المتوسطة ، التي لا تتم بدون احتلال الشواطيء الجزائرية • وتزعم العالم المسيحي من ناحية زيادة شعبيتهم ، بغزوهم لهذا اسماهم اقتصادية ، كالمسيطرة على المراتل التجارية ، والمناطق التي تتميز بنبض اقليمها بالثروات الحيوانية ، والمعادن الزرادية ونعنا بة • وهران • واعتبار التجارة الخارجية للجزائر ، وبما القنول منها نحو مناطق افريقية إلى السودان ، والخفة بالذبح •

وقد تمكن الأسبان خلال الفترة ١٥١١-١٥٤٦ م / ١٥٠٥-١٥٢٥ م من ان يتلوا ويضعوا موانئ ومدنا عديدة في الساحل الجزائري ، كانت العرسى النهر اولها (١٥١١ م / ١٥٠٥ م) ثم وهران ثانياً في ١٥١٤ م / ١٥٠٩ م^(٢) ، وبداية ثالثاً في ١٥١٥ م / ١٥١٠ م^(٣) . وفي اعقاب احتلالهم لهذه الأخيرة ، سارت المدن المنيرة الواقعة بينهما وبين وهران إلى إعلان خضوعها ، والقسمول بشروط الأسبان صيماً كانت مذلة ، ونشبة ان يهيمنوا ما اصاب سكان وهران ، وبداية من قتل واسر وتشريد • ومن اهم هذه المدن : مستغانم^(٤) ، والجزائر^(٥) . وقد بنى الأسبان في مواضع استراتيجية هذه الأخيرة في سنة ١٥١٦ م / ١٥١٠ م حصناً فيها على صخرة تبعد عن شاطئ المدينة بنحو مئة متر فقط ، وجعلوا فيه حامية قوية • وبذلك أصبحت مدينة الجزائر هي الاخرى شبه محتلة ، إذ قد تمت المراقبة المباشرة للحامية الإسبانية ، وتمت راحة مدافعها^(٦) ، وكانت تنظر قد خضعت للأسبان بعد احتلالهم للعرسى النهر سنة ١٥١١ م / ١٥٠٥ م^(٧) . ولم يلبث ابو عبد الله بن محمد الزياني ، ملك تلمسان ، ان بحث في سنة ١٥١٨ م / ١٥١٢ م وفداً إلى إسبانيا ، يعلن خضوعه وتبعية

1) F. Elie de la Prinaudais: Documents Inédits Sur l'Hist. de l'Occupation Espagnole en Afrique 1506-1574. Alger 1875 P. 14.

2) " " " Le Commerce et la Navigation de l'Algérie avant la Conquête Française. Paris 1861.

(٣) برموداي : نفسه ص ٢١٦-٢١٧ ومارمول : المرجع السابق جز ٢ ص ٢٦١

(٤) مارمول : نفس المرجع ، جز ٢ ص ٢٦٤ ، والرحمن الوزان : المرجع السابق جز ٢ ص ٢٤٧

(٥) مارمول : نفس المرجع ، جز ٢ ص ٢١٥-٢١٦ ، والرحمن الوزان : نفس المرجع جز ٢ ص ٢٦٠

وبرموداي : الوثائق ص ١٢-١٤

(٦) برموداي : الوثائق ص ١٧-١٨ ، (٧) الوزان : نفس المرجع جز ٢ ص ٢٤٨

8) F. Diogo de Haedo: Topographie et Hist. Générale d'Alger. Trad. Monnerneau & Berbrugger. in, R.A. No. 83 Alger 1870 P. 415.

(٩) ميرسي : المرجع السابق جز ٢ ص ٨ ، والحدادي : (١٠) مد توفيق : حرب المائنة سنة الجزائر ١٩٦٨ ص ١٠٩

(١)

للملوك الأسباني . وفي نسخة ١٦٢٨ / ١٥٢١ تم تمكن الأسبان من احتلال مدينة مكنين الساحلية
للمؤامرة في وهران . وبعد نحو أربع سنوات تمكنوا أيضا من احتلال مدينة مكنة الساحلية .

ويبدو ان السرعة التي تمكن بها الأسبان من فرض سيادتهم على الشواطئ الجزائرية - خاصة
والساحلية التي احتلوا بها بعضهم - ولا تعود فقط الى التفكك الذي كانت تعاني منه الجزائر - من
خاصة في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، ولكن ايضا الى تآمر سائلي الأسبان
بمقارنته مع سائلي الجزائريين ووسائل دفاعهم . فبينما كان هؤلاء يحاربون كما يقول (برودييه)
تراق حلبة بالسيف والرماح ، وما الى ذلك ، فان الأسبان يحاربون بالسلاح الناري والمدفعية (٢)
ومع ذلك فان الأسبان لم يحققوا كل ما كانوا يهدفون اليه ، فالغزو البحري للجزائر المشوا لم يمس
الاسبانية ام يتوقف ، بل قوى وخاصة بعد ان استقر العثمانيون في الجزائر . ومن ثم فان الفصل
بين مسلمي الاندلس والجزائر لم يتحقق ، كما ان الجزائر ظلت بلدا مسلمانا ولم يترك لهم اسلحتها
ولم يستطيعوا التوغل الى اعماقها ، بل ظل احتلالهم مقصورا على بعض المواقع والمدن الساحلية .
فقط . يتكبر فيها الخوف والجمع ، كما يؤكد ذلك وثائق اسبانية كتبت سنة (٥)

ويغزو بعضهم عدم احتلال الأسبان للمدن ، والمناطق الداخلية الى انهم لم يتركوا جهودهم
على غزو الجزائر دون غيرها ، فقد نأوا في الوقت نفسه مع مسلمين يروسون في المناطق الاخرى ، وفي
اوربا ، نأوا بها ، ويغزو العالم الجديد . ويضاف الى ذلك ان المقاومة الجزائرية ، ما لبثت
ان انتقلت بزعامة بعض المرابطين العباديين ، فابن القاضي ، ثم بزعامة الاموية بربروس ، ومن تلاهم .
واشهرت الأسبان بالخضار الكبير عليهم حتى في المدن الساحلية القريبة من اسبانيا ، والتي يقدرون
تحويلها عن طريق البحر ، فذهب بهم او توغلوا او اقدموا على احتلال المدن الداخلية التي لا يمكن
تحويلها عن طريق البحر (٦)

ولكن الغزو الاسباني وان اقتصر على الشواطئ الجزائرية لسبب او لآخر ، فانه قد الحق اضرارا
بعميقة ليس فقط بالمدن المحتلة ولكن ايضا بالمناطق الداخلية المجاورة لها ، وفيما المجاورة ، اذ ان
احتلال الأسبان لكل من وهران ، وبنية ، وخنابة ، والتي كانت لها من المراكز الهامة لغتد - صف
الانشاءات الاقتصادية والاحتجاجية والثانية ، كان له انعكاسه السي على المناطق والمدن
الداخلية ، والتي كانت تعتمد عليها في تلك العائلات .
ولعل النتيجة الاهم التي نبعثت عن الغزو الاسباني للشواطئ الجزائرية ، هي التدخيل

العثماني في الجزائر لانقاذها من مخاطر

1) Barges (A.) : Complément de l'Hist. des Beni-Zéjan. Paris 1887 P. 418-420.

(٢) مارمول : المرجع السابق جزء ٢ ص ١٦٦ ، و برودييه : الوثائق ص ١٠٥٧ .

(٣) برودييه : نفس المرجع السابق ص ١٠٥٠ .
4) Braudel (F.) : Les Espagnoles et l'Afrique du Nord, in R.A. Alger (٤) 1928. P. 216.

(٥) اندريه برودييه : الوثائق ص ١٧٢ ، و شيرسا :
5) Ricard (R.) : Les Etablissements Européens en Afrique du Nord, du 15^{au} 16^{siècle}, et la Politique Restreinte, in R.A. Alger 1936. P. 688.

(٦) المهدى ابو عبيد : اضراب على تاريخ الجزائر في الاصل عدد ٨ الجزائر ١٩٧٢ ص ٢٧٨
Cour (A.) : L'Etablissement des
Dynasties des Chérifs au Maroc et leurs rivalités avec
les Turcs de la Régence d'Alger 1509-1830. Paris 1904, P. 238.

التدخل العثماني في الجزائر وتأسيس إيالة الجزائر

لما كان الأسبان يخزون الشوادي^(١) الجزائرية في مدالح القرن الحاشرالمعري/السادس عشر
الميلادي وكانت طلائع فزة البحر العثمانيين هائلة في الاسوة ببروس^(٢) عرق وخير الدين واسحق
وآخرون وقد وصلت الى العوض الغربي المتوسطية وانفذت وببعضه جهة وندماها وبلد مقدسية
بالسفن والشوادي^(٣) المسيحية عسائر نهيرة ومنتقدة من العواني التونسية التي اذن لهم المملكان
العقسي ابو عبد الله وعند باستعمالها مقابل دفع النقص من الخنائم وشروط اخرى^(٤) من القنا
لها فذاع صيتهم وانتشرت اخبار بطولاتهم في الشرق البحري وفتحت لهم انوار المهادين
الجزائريين وفي مقدمتهم ابو الهيثم احمد بن القاضي الزواوي الذي ((لما رأى قوة شسوة
المنساري الفار وانتشارهم في المغرب ونجدة المسلمين من مقاومتهم واثاب الترك وعرفهم بحسب
حزة هذه البلاد ولما يسمع من شدة الاثراك في الممارك وشدهتهم في المغرب والعنايق موارها لهم
المكورة فقصده بعين نيته وان يرفعوا من حزة الاسلام ما انخفض عبقروا من امره فاصحف موقال
ان بلادنا بقيت لك ولائيك اوللذئب فاقبل اثراك نوره مسرخين ووجعل هو يحض الناس طلى
اتباعهم والاندراط في سلجهم والمعين والائمة لا يبرهم عرق الترماني والذي هو الهاي فيهم
قد من الترك الجزائر وتاسيسان))^(٥)

ومن هذا النص يستخلص ان تدخل اياكل العثمانيين في الجزائر كان استجابة لطلبها
الجزائريين ووجدة لهم والمشاركة في الدفاع عن بلادهم وتحرير ما وقع فيها تحت الاحتلال
الاسباني ولكن عرق ومناخه الاثراك وقيل ان يدخلوا الى الجزائر او الى تلمسان وقاموا فسي
سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م بمداواة المديري بناية ولم تغفل بالفتح وفيها فقد عرق ذراعه^(٦)
ولما شفي من اصابته وجدد بناء قوته فخلال سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م و١٥١٤ هـ في السنة التالية
(٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م) بلدة جيجل التي استولى عليها البنيون بقيادة اندري دوريا فسي
سنة ٩١٩ هـ / ١٥١٢ م واقاموا فيها حصنا لهم وبالتحارب مع اهالي جيجل وسكان الحداقة
المباركة وراين القاضي المذكور وتغن عرق من القنا على الحصن وتحرير البلدة التي اصبحت
مفتدة قاعدة له^(٧) ومنها وندبه ثمة الى المملكان العثماني سليم الاول^(٨) وذلك ابتداءات
السلطة الرسمية من العثمانيين والنفوذ العثماني في الجزائر .

(١) فان ابوهم يد قرب نديا عثمانيا من جنود اامية جزيرة ميدلي المتوسطية العثمانية . اشتغل
عرق في البداية بالتجارة ثم تحول الى الشرق البحري . كما من من اخيه خير الدين في خدمة
المملكان بايزيد وقبل انتقالهما الى الشرق المتوسطية حيث اشتمر امرهما انتم من
ان يما اسحاق . اندرهم المملوك . فزلات عرق وخير الدين ونسرو الدين عبد القادر .
الجزائر ١٩٢٤ م ١٢٦ م ١٢٧ م . المرجع السابق : ٢٢٥ .

(٢) المملوك : المرجع السابق ص ١٢٠
(٣) محمد الصغير الوفرائي (او الوفرائي) : حزة العادي بانها رملوك القرن السادس الهجري
١٨٨٨ ص ١٧ .

(٤) F. Diègo de Haedo: Hist. des Rois d'Alger. Trad. et Annoté par H. Degrammont. Alger 1887 PP. 10-12.

(٥) المملوك : المرجع السابق ص ٢٥ .
Degrammont (H.): Hist. d'Alger sous la Domination Turque. Alger 1887.

(٦) المملوك : نفس المرجع السابق ص ٢٦ .

وفي سنة ١٦٦١ م / ١٥١٥ ق.م قام حرق بمحاولة ثانية لتحرير بجاية ، بمشارطة مئتين مائتا
المشردين في الدببال المجاورة ، وأما في المناطق القريبة منها ، إلا أنه لم يفلح .
ولم يلبث حرق في جيجل ، وبعد فشل الثاني في تحرير بجاية ، وفي وقت قصير حتى استعدي
من قبل أمالي مدينة الجزائر ، وأمرهم سالم التومي ، ولتخليتهم من العاصمة الاسبانية ، التي كانت
تحت أيديهم ، وتشمل حوزتهم ، وتكون دون موارستهم للخنزير المحرق ، فاستجاب لهم ، وكان جسم
الحصن الاسباني ، وبعد أن استولى على بلدة شرمان المجاورة ، ولكن مدفعيته لم تستدع التأثير
على الحصن الحرقى على الرغم من أنه لم يكن يبعد عن المدينة بأكثر من مئة متر ، كما ذكرناه ، وأنه ظل
يقف منه دواول ثلاثة أسابيع . ولم تلبث الحماقات بين سالم التومي وبين حرق أن جاءت بعد فشل
هذا الأخير في القضاء على الحصن الاسباني . وتبين حرق من قتله خيلة في الحماقات ، بعد أن استحال
عليه العديد من اعيان المدينة بالمهدايا وغير ذلك . وأما نفسه ، فأما على الجزائر ، بينما نجح
ابن سالم التومي في الفرار الى الاسبان في وهران ، وضربا الى اسبانيا ، ولما لم يساعد الاسبان
الانتقام من حرق قاتل والده واستمر باح الامارة منه .

واحتياطا لردود فعل الاسبان وغيرهم ، قام حرق بإجراء التخصيمات اللازمة لمدينة الجزائر
وتوسيع نفوذه ليشمل المنطقة المجاورة للمدينة . وذلك في هذه الاثناء سياسة ، ومن فيها بين
الشدة واللين ، والترديد والترديد ، وتلك ، وتلك مقبولا من الامالي . وتبين من
السياسة امرأة حاضها ضد بعض امالي المدينة من حرب العداقة المجاورة "عرب متحيزة" ، والحماطين
لسالم التومي ، وادع عن مائتين (١٠٠) ، ولكن الاسبان لم يرتدوا الى الوطن الجديد في المدينة ، فتميزوا
بمئة مائة في نفس السنة ١٦٦٢ م / ١٥١٦ ق.م القضاء على حرق قبل استغاثته واحدا الامارة
الى ابن سالم التومي ، وكانت تتألف من (٨٠٠٠) مقاتل نقلتهم (٨٠) سفينة ، بقيادة ديبو
دونيبرا (DIÉGO DE VERRA) ولكن تلك الحملة باءت بالفشل امام غطط حرق المجددية ،
التي كانت من القضاء على (٣٠٠٠) من نزلوا الى الارض واسر (٤٠٠) منهم . وتضافرت الحاصفة
منه ، ففقدت على محضام قلاع الاسدول بين فيها حرقا في البحر (٣).
وساعد هذا الانتصار الجاهل الذي حققه حرق ، وبماضته ، بالشعور ايضا مع سكان المدينة
وعرب المنطقة المجاورة ، على استقرار الامراء حاكم الجزائر الجديد ، وعلى مد نفوذه الى مدن اخرى ،
ساحلية وداخلية ، وفي مقاطعة الجزائر وخارجها ، فندلس والعديد ، وصليانة وغيرها .
ضم تنح وتلمسان .

وتربعت أنظار حرق ، قبل القيام به ، الى احدى لتحرير مدينة الجزائر من الحصن الاسباني
المواجه لها ، الى القضاء على الحماقات الحماطين لاسبان ، بينهم سدان تنح ، وطلة تلمسان .
وكان حميد الحميد ، سدان تنح ، بعد لم يفرج نهر حرق ، بالتقسيم مع حرب المناق
الجزرية احدى مدينة الجزائر ، الذين لم ينجحوا مع الحماطين الجديد ، والذي فرض سيات تعليمهم بالقوة ،
(١) أنار حول الاسباب ، الحزان ، المروج السابق جز ١ ص ٢٦ ، والمجلد ١ ، المروج السابق ص ٢٦
وبعد سدان سدان تنح ، من امدادهم بالذخيرة ، ولا تملك حرب حسان ، وأن المدد قد وصل
الى الاسبان ، كما أن قبل البذر قد حل . الأمر الذي جعل بعض الامالي ينسحبون للخلاعة ارضهم
(٢) اقتل من بعد الاحداث هایدو المروج السابق ص ١٥١-٢٢٢ .
(٣) نفسه ، ص ٢٤٤-٢٥٠ ، والمجلد ١ ، المروج السابق ص ٢٥٠-٢٥١ .

والزعم بفتح الضرائب، وللتأخر منه، فاستغلح حرق على مدينة الجزائر اخاء غير الدين، وتترك
 صوفى رأس (١٠٠٠) من التراك و (٥٠٠) من الاندلسيين، وتحتن حرق، وتحتن من الانتصار
 على قوات سلطان تنس الكبيرة، وفي المعركة التي دارت بين الدارفين على مقربة من تم رالف، وفي
 صيف ١٦٢٣ م / ١٥١٢ م، وذلك بفضل السلاح الناري الذي كان بحوزة قواته، والذي لا مثيل
 له لدى قوات سلطان تنس، فاضار هذا الأخير الى الفرار الى قاعدة مله، ولما ورد نفسه
 ملاقا، فر منها الى اقصى الجنوب الجزائري، فدخلها (حرق) ثم تقدم الى تلمسان، حيث كان
 السلطان ابو حمو الزياني الثالث الموالي لاسبان قد انتصب الملك من ابن اخيه ابن زيان واراد حربه
 الممنون، وذلك بعد ان تلقى دعوة من بعض اعيان تلمسان يريدونه فيها المصير الى مدينتهم
 لتخليصهم من ابي حمو المذكور، واحادة ابي زيان الى الملك، وتحتن حرق من تحقيق النصر على
 ابي حمو في المعركة التي دارت بين الدارفين، وفرو هذا الأخير الى فاس ثم الى وهران، ومن هذه
 الأخيرة توجه الى بلاد ملك اسبانيا شارل الأول (١) الذي استقبله به، ودخل حرق تلمسان في رمضان
 ١٦٢٣ م / سبتمبر ١٥١٢ م، واستعدون على الملك فيها، وقتل ابا زيان بحدان احاد الملك
 بضعة ايام، وذلك كل افراد الاسرة الحاكمة التي من فر منهم، والمتحالفين معهم من التلمسانيين
 ولما في توليد سلطاته في المدينة، وتعيينها، وكان قد اقام في وهران داريتا على تلمسان - حامية في
 قلعة بني راشد، التي تتوسط الدارفين بين تلمسان ومدينة الجزائر، لتأمين تلك المنطقة الى هذه
 الأخيرة وصول الامدادات اليه منها، ومن الجزائر واستند قيادة تلك الحامية الى ابنه
 اسحاق، وسعى الى اقامة تحالف دفاعي مع بني من سلطان فاس (محمد البرتغالي الوطاسي)
 ضد الدارفين والحدود المشتركة، فوعد سب هذا الأمر بالرض ووافق عليه (٢).

وبهذه الخطوات اطمأن حرق، وبقي في مدينة تلمسان الداخلية.

التدخل الاسباني في تلمسان والقضاء على حرج :

لم ينظر الاسبان بحسن الارتباط التي حققها الاخوة بربوس، والعداوات
 التبريرة التي عداوا في طريق ترديد الجزاء لجزائر تحت سلطاتهم، ورأوا ان خداعهم المتزايد
 سوف لا يتوقف عند تهديد مراتهم على ساحل المغرب النهر، بحدان يتصرفوا لها، بل سيتجاوزها
 الى اسبانيا نفسها، ولذلك فقد كان رد فعلهم التدخل السريع الى جانب السلطان العادل حرج
 ابي حمو الثالث، فقدموا اولاً الرخصة على حرق الى الجزائر، بقضائهم على حامية قلعة بني راشد
 بما في ذلك اسحاق، وشقيق حرق وغير الدين، ثم حاصروا حرق في تلمسان، وكان هذا الأخير
 يأمل في وصول الحددين من اسبانيا الى الجزائر، ولما طال انتظاره حاول الفرار في اتجاه
 الغرب من القليل من التراك الذين بقوا على قيد الحياة، ولكن الاسبان ادركوه متجنباً بعد محاربة
 عنيفة من القضا عليه، وعلى رفاقه في ماي ١٥١٨ م في بني يزناش (٣)، واحاد الاسبان الملك في
 تلمسان الى ابي حمو الثالث الذي قبل ان يدين خريبة منوية لهم، ومقدارها (١٢٠٠٠) دونجات
 (١) حيدرو المزيح السابق من ١٥٦٥-١٥٧٧ والمحمول، الدرس السابق من ١٥٦٢-١٥٦٣ ومارمول، المزيح
 السابق من ١٥٦٣-١٥٦٤.
 (٢) عن شارل الاول ملك اسبانيا، امراء اورا على ألمانيا في ١٥١١ / ٦ / ١٨ باسم شارل الخامس
 (شارل الخامس)
 (٣) انظر ص ١٣٤ الاية

(١)

البحرية و (١٢) من الدخيل وستة من اناء المتصور و تسامحة على التهمة .

ومقتل حرق واخيه اسحاق والقوات التي كانت معها ، تعرض الوجود العثماني في الجزائر الى قوة نادت تقضي عليه وتخلصت من جديد ازاء الدولة التي اخذ حرق في انشائها بعودة ابي حمور الى مملكة تلمسان ، وجميدة الحميد الى تونس .

انقضاء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية :

بيع خير الدين في مدينة الجزائر ، خلفا لـ أخيه حرج ، فخرج فوراً في الاستعداد لمواجهة حملة اسبانية متوقفة ، قد يشترك فيها عليهم ملك تلمسان . ولم تكن توقعاته وهمية ، إذ تحررت في صيف سنة ١٥١٨ م / ٩٢٤ هـ ، أي بعد شهر قليلة من مقتل أخيه حرج واسحاق ، بقيادة نائب ملك صقلية ، هيبودور مناد (Hugo de Moncade) ، للقضاء على البقية الباقية من الترك في مدينة الجزائر ، وأرغز قائد الحملة الى سلطان تلمسان للتشرك بقواته الى مدينة الجزائر ولكن الجزائريين بقيادة خير الدين تمكنوا من القضاء على الحملة الاسبانية قبل ان يصل هذا الأخير ، ولم يسلم من القتل او الاسر او الفارق في البحر الا الحد القليل (١) .

وفي اعقاب هذا النصر الباهر ، خرج خير الدين على الرحيل الى اقليم الرمي فترك مدينة الجزائر للجزائريين ومن ينتخبونه منهم . وبيع اصل الجزائر لهم وامانها من العلماء والصلحاء والمشايخ لخيرهم بحزمه . ولكن هؤلاء اصروا على اقامتهم في الجزائر ، ووافقوا على اقتراحه بصرف الولاية الى السلطان سليم العثماني ، وضرب المنة باسمه حتى يضمن مساعدته وتزويده لهم بما يلزمهم من الرجال وآلات الجهاد لحماية مدنتهم . وكتبوا لخير الدين ((كتابا على لسانها الى حوزة السلطان العثماني المذكور يخبرونه بصرف الولاية اليه ، وانهم من جملة من تنفذ فيهم احكامه ، ويقع فيهم نقضه (٢)) . وكتب هو كتابا آخر الى السلطان سليم ، والذي رجب بطالب اهل الجزائر وخير الدين الانضمام تلقائيا تحت لوائه ، وسر به كثيرا (٣) ، لأنه كان متأويا من رغبته بمداومة في مد نفوذه ليشمل كل العالم الاسلامي ، والحري ، مشوقه ومغريه ، حتى يكون اشرقة في صراعها مع ارباب المسيحية وعسكرها واستراتيجيا واقتصاديا .

ويبدو ان السلطان سليما كان يخلع اصلا ليمسك نفوذه على كامل شمال افريقيا والحدوس الغربي المتوسط ، فقد نسب اليه قوله لأحد ثمة سره . . . ((ان البحر الابيض المتوسط هو حجارة من خلق واحد يمتد الى بوناز متهته فكيف ياتي ان تتجمع فيه مدن مختلفة ثم انهم لا يتوبون تحت اسم الدولة المحلية ، فقدم الاجتماع في بلوز ، هذه الناية المقصودة هو من قصور البحرية المعزى بشأن الدولة . . . اني آليت على نفسي ان امدتها ان مد الله في عمري ، اني اعزمها الراحة والمسنون ، ما لم انشيء الاساطيل الدافية لئلا المرجوبه واستولي على ثغور البحر الا بهيمنة المتوسطة . . .)) (٤) .

- (١) ان ارض من ملاحات عليها ما يدور المربع السابق من ٢٧ - ٣١ مارمول المرجع السابق : جز ٢ ص ٣٩١
- (٢) المربع السابق من ٣١ - ٤٣ المربع السابق من ٣٢ - ٣٤
- (٣) المربع السابق من ٣٩ - ٤٣ ما يدور المربع السابق من ٣٩ - ٣٧
- (٤) ان الرسالة اصلها مدينة الجزائر السلطان العثماني باللغة العثمانية في المجلة التاريخية المغربية عدد ٥ / ١٩٧٦ هـ ، ص ٩١ ، وانظر المربع السابق من ٤٢
- (٥) ما يدور المربع السابق من ٣٦ - ٣٧ وفي تاريخ الانضمام قبل حملة (هيبودور مناد)
- (٥) احمد جودت : تاريخ جودت و ترجمه همد القادر افندي : جز ١ بيروت ١٨١٠ ص ١٤٦

(١) وتذكر المراجع هـ ان السلطان سليما بذل فعلا جهودا كبيرة لترقية البحرية العثمانية .
 فحينئذ سرعه ذلك . وتشير المراجع من جهة اخرى هـ الى تقديره المون للخدمة ببروس (٢) الذين
 يحملون في الحوض الشرقي الممتد قبل انضمام الجزائر بشكل رسمي الى الدولة العثمانية .
 واعتزاه المسير بنفسه الى المغرب (٣) ولحق الاجل ام يملسه .

وقد كان كتاب انضمام الجزائر تحت سيادة الدولة العثمانية بتاريخ اوائل ذي الحجة
 سنة ١٢٥٠ هـ / الموافق اوائل انتوير او اوائل نوفمبر ١٥١٩ م (٤)

جزائر في عهد البايلريايات ٩٢٥ - ٩٩٥ هـ / ١٥١٩ - ١٥٨٧ م

ارسل السلطان سليم صعبة مبعوثي الجزائر اليه مندوبا هـ وقابا الى اهل الجزائر وغير الدين
 بول ما تبوه اليه هـ وانهم ممن تشبه غايته وترسوم رمائته (٥) وذلك غدت الجزائر تابعة للدولة
 العثمانية واسمى غير الدين هـ انما لما تاهما للسلطان العثماني . وقد امد السلطان سليم شهر
 الدين بالمساعدة العسكرية التي كان في حاجة ماسة اليها هـ حيث ارسل اليه (٦٠٠٠) جندي
 يسكن بالذمار الى الجزائر لئل من يريد ذلك من الاتراك هـ ووافق ان يكون للافشاريين في الجزائر
 نفس الامتيازات التي كان يتمتع بها الافشاريون في جامعة الدولة (٦) فقصدهما عدد آخره مما سبق
 غير الدين ان يقيم حاميات في الغرب الجزائري منها هـ مستغانم هـ وتونس هـ ومليانة هـ وغيرها (٧)

وعندما غدت مدينة الجزائر وتوابها منذ اوائل سنة ١٢٥٠ هـ / ١٥١٩ م تابعة للدولة
 العثمانية دون ان تتوشم هذه الاشيرة حناء خروا هـ انما غدت بالعبية لبلاد الشام مصر هـ وهذا
 غير الدين هـ انما تابعها للسلطان العثماني هـ الا انه كان في واقع الامر يتمتع بسلطات واسعة في
 الجزائر لا تقل عن سلطات الملوك هـ ولا سيما في الشؤون الداخلية هـ وان لم يكن رسميا الا بالرياسة
 او امير الامراء هـ وهو اللقب الذي جعله هـ وعطه الختام الاساسيون في الجزائر في الفترة الممتدة من
 ١٢٥٠ - ١٢٩٥ هـ / ١٥١٩ - ١٥٨٧ م هـ التي تصرف بحكم البايلريايات هـ وقد كان هؤلاء يدينون
 لفترة غير محدودة بوزن هـ وغالبا ما كانوا يستمدون لاستقام منصب اولى هـ هو منصب وزير البحرية
 العثمانية

ردود فعل ملادين تونس وتلمسان هـ وموقف غير الدين منهم هـ

لم يترك السلطان العثماني ابراهيم الام هـ ولا السلطان الزناتي ابراهيم الثالث للتأخر
 الجديد الذي شهدته مدينة الجزائر هـ فيما يتعلق باوتباطها بالدولة العثمانية هـ واستقرار الامر
 فيها لغير الدين هـ وتوجسا شقيقة على ملئها هـ هذا الاشهر (٨)

- (١) محمد نرد علي هـ الاسلام والخدمة الحربية جزاء القاهرة ١٩٦٨ ص ٤١١ .
- (٢) المجلد هـ المربع السابق ص ٢٦
- (٣) احمد جردت هـ المربع السابق جز ١ ص ٤٥
- (٤) اندر با مشرق (٣) من الصفحة السابقة
- (٥) المجلد هـ المربع السابق ص ٤٦
- (٦) هـ يدوه المربع السابق ص ٢٦
- (٧) المجلد هـ المربع السابق ص ٤٤
- (٨) المجلد هـ المربع السابق ص ٤٤

أدلا الرأي في أمره ، واستقرا على ضرورة تأليب بل من ، أحمد بن القاضي السزواوي ، ومحمد بن
عليه (١) ، وكان خير الدين قد استند إلى الأول ، رغم القبائل الشرقية ، وإلى الثاني خلد
قبائل الغربية (٢) ، وتقدم مساعدتهما لهما لاقتناء عليه .

آب موقف خير الدين من سلاطين تلمسان :

تمنح عبد الله الذي خلفها ، وهو على الملك في تلمسان من تأليب حرب الخرب الزاوي
على خير الدين ، وحركة خطة في إنشاء مدينة الزاوي ، إلا أنها انهزمت أمام خير الدين الذي استطاع
أيضا إخضاع المناطق الغربية التي تمردت عليه (٣) ثم تدخل في شؤون تلمسان ، فأبان فسي
بادي الأمر الأمير الزاوي المسعود على انتزاع الملك من أخيه عبد الله ، ولكنه لم يلبث أن تمرد
عليه ، وعين عبد الله المخلوع على انتزاع الملك من أخيه المسعود ، بشرط أن تكون المسنة
والعناية للسلاطين سليم الأول (٤) ، وكان أحمد الفقيه هو الذي توسل بين الدافين (٥) ، إلا أن عبد الله
مال بهت هو الآخر أن تمرد على خير الدين ومال إلى الأسبان ، فعاربه بيلرباي الجزائر وانتصر عليه
وأخذه غدا منه وأبقاه على كرسي الحكم في تلمسان ، وتعمد له عبد الله بمضايقة غريبة التبعية اسم
خير الله لم يلبث أن تقرب مرة أخرى من الأسبان وتحالف معهم (٦) ، فحرضه سلاطين
على الثورة ضد خير الدين ، وأمدوه بمال عظيم وفتحوا إليه (١٤) سفينة لمساعدته واتفقوا معه
على أن يهاجم الجزائر من البحر في حين تهاجمها السفن الأسبانية من البحر وذلك في سنة ١٤٠ هـ

/ ١٥٢٢ م (٧)

وكان خير الدين قبل التاريخ المذكور قد وجه ضربات موجعة للأسبان في الجزائر وفسي
إسبانيا ، حيث تمكن كما ذكره من القضاء على خطة اليهود ومناد ، وتمنح في سنة ١٢٥ هـ / ١٥٢٩ م
من القضاء على الحصن الإسباني المقابل لمدينة الجزائر (٨) ، وزرعت غزواته البحرية للشوادي والجزر
الأسبانية والأيطالية ، والربح في قلوب رعايا شارلنان ، فأراد هذا الأخير أن يلجأ بحرب مع سلطان
تلمسان . وقد تحرك عبد الله على رأس قوات كبيرة من تلمسان نحو الجزائر ، إلا أن خير الدين
الذي لم ينتظر وصوله إلى مدينة الجزائر لم يخرج إليه وتمنح من تحقيق الانتصار عليه بعدم حركة عنيفة ،
فأشار إلى العبد المغموم ، فعفا عنه خير الدين وفتح إلى الجزائر ، وبدوا أن هذا الأخير الذي كان
يتمنح الرجوع إلى القسطنطينية في سنة ١٤٠ هـ / ١٥٢٢ م ، ولم يشأ أن يدخل تنجيها على الحكم
في تلمسان ، وقد لا يساعد على استقرار الأمور في الحرب الزاوي .
وإذا كان موقف خير الدين من سلاطين تلمسان هو ما اتضح التدخل في شؤون تلمسان
لتصليب سلطان موال له ، من أبدأ ، بغير العزيمة تجاه السلاطين المولى ولو صدر منها أي أخذ عليه ،
فما كان موقفه من سلاطين تونس وشاوييه الذين ؟

(١) نفسه ص ٤٤

(٢) نفسه ص ٤١

(٣) نفسه ص ٤٦

(٤) نفسه ص ٤٦

(٥) الأرشيف العام لميلان

(٦) الأرشيف العام لميلان

(٧) نفسه ص ٦٨-٦٦ ، وأمدوه بالمرتب السابق ص ٤١ وبريمودي ، المرتب السابق ص ٣٧

بإسمه وقف خير الدين من سلاان تونس، ومناقبه الأشراف :

لقد نجى السلطان الحفصي أبو عبد الله محمد بن محمد عدولات عديدة في استمالة ابن القاضي الزواوي إليه (١) ثم أرسل قواته للهجوم على المناطق التابعة لخير الدين في شرق الجزائر ففوز به هذا الأخير قواته لصددها وتغلبت بالفصل من تحقيق النصر على الحملة الحفصية ومسن مساهمة البرابطين من مسترتونس في إخماد جهال التهاطل المنيعة (٢) وفي أثناء ذلك انقضت قوات ابن القاضي الذي انحاز إلى جانب الحفصيين على الأتراك وأبادت الكثير منهم . واستولى ابن القاضي المذكور على النواحي الشرقية للجزائر . ولكن قوات جديدة بقيادة حسن قارة تمانت من أزمجه فيها . وحينئذ حمل أحمد بن القاضي على استمالة وإشراء باقتسام حكم تلك الجهات معه فوانته وتبرد على خير الدين . ثم إن أحمد بن القاضي نجح أيضا في تعريض بعض مشايخ الجزائر وأعيانها على الثورة ضد خير الدين . إلا أن هذا الأخير تمكن من إحباط ثورتهم بشدة .

— خير الدين يلتقي إلى جيبول —

أمام تقلص نفوذ خير الدين في الجهة الشرقية وتذبذب سلاان تلمسان في ولائه وعدم أدامتانه على نفسه في الجزائر ، والقوات التركية القليلة التي بقيت معه فيها ، وانشغال السلطان الحشاني سليمان القانوني الذي خلفه والده سليمان في سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م . بدروب البحرية والبرية في الحوض الشرقي للمتوسط ، وفي أوروبا (٣) أثر الانتداب إلى مدينة جيبول والاقامة فيها ، على البقاء في مدينة الجزائر . وقد كانت مدينة جيبول كما رأينا أول مدينة استقر فيها الأشعرية بربورس ، وإن أهلها أكثر اعتدالا لهم . وبقيت فيها بضع سنوات (٤) قام خلالها بربورس بحالات وايدة من أمير بني عباس (٥) . المنافس لابن القاضي ، وبعد نفوذه إلى مدينة القبل الملاحية الأخيرة ثم إلى مدينة قسنطينة ونهاية في الفترة ٩٢٦-٩٢٨ هـ / ١٥٢٠-١٥٢٢ م (٦) وبذلك قلص نفوذ السلطان الحفصي في الشرق إلى حد كبير ولوا إلى حين لأن الأمر لم يستتب له تماما فيها بعد هودته منها (٧) . كما قام بمثل أقامته بربورس بتنشيط الغزو البحري انطلاقا من هذه الأخيرة . ونقل عدد غير قليل من مسلمي الأندلس (٨) إلى الشواطئ الجزائرية ، وذلك على اتصال ببعض أعيان مدينة الجزائر التي خضعت بعد رحيله عنها لابن القاضي .

(١) (٧) المجهول : المرجع السابق ص ٥٠

(٢) برونلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الإسلامية . ترجمة نبيه أمين فارس وميرالهملي بروت ١٦٦٨ ص ٤٥٠-٤٥١ .

(٣) مسيب المجهول : في المرجع السابق ص ٤٤ يكون قد بقي ٣ سنوات فقد . ومسبب فيسره يكون قد بقي بين ٦ سنوات ، اندلر دوفرامن : المرجع السابق ص ٢٢ ، وميرسي : المرجع السابق جز ٣ ص ٢٨-٢٩ .

(٤) ميرسي : نفسه : المرجع السابق جز ٣ ص ٢٨

(٥) ما يدور : المرجع السابق ص ٣٧

(٦) داغرامون : المرجع السابق ص ٢٤ ، وميرسي : المرجع السابق جز ٣ ص ٢٨-٢٩

(٨) المجهول : المرجع السابق ص ٦٠

عودة خير الدين الى مدينة الجزائر

ولما مات السلطان الحفصي أبو محمد الله الذي قلب لخير الدين ظهر العجز في نسخة ١١٢٢ هـ / ١٥٢٦ م ، وزحف هذا الأخير الى مدينة الجزائر ، ودخلها بعد ان خاض صراعا حنيفا ضد ابن القاضي ، في احتواهما قتل فيه هذا الأخير خدرا على يد بعض اتباعه ، وكان ذلك سبب هزيمة حركه ايضا . (١) وهذا على الاربعين في سنة ١١٢٣ هـ / ١٥٢٢ م . وقبل ان يستقر تماما فيها ، وتعرض الى شرشال ضد نفسه الآخر ، حسن قارة ، وتمكن من القبض عليه ، وقتله ، وقتل مجموعة من خلصائه (٢) ، ثم انهى لمحاربة الحسين ابي احمد بن القاضي ، وبقي في داليه نحو سنتين الى ان دالب الملق ، واهدى استعداده لدفع ضريبة سنوية قدرها ثلاثون حملا من الفضة (٣) ، وذلك في ١١٢٥ هـ / ١٥٢٦ م .

تحرير الجزائر من الحصن الاسباني

تفرغ خير الدين بعد القضاء على النواثين له ، واشتغاع المناطق المتدودة للقضاء على الحصن الاسباني ، الذي كان يخفق مدينة الجزائر ، ويراقب مدخلها الى الميناء ، مما يجعل خزانة الجزائر لا يدخلونه ولا يرسون فيه . وتمكن بعد خمسة عشر يوما من القصف المدفعي الحثيث ، حصد الحصن في ماي ١٥٢٩ من دهم اسواره ، وقتل او اسر جميع من بقي على قيد الحياة فيه . (٤) وبذلك حرر مدينة الجزائر من اغدار ذلك الحصن ، وحرر ميناءها ، فأصبح مستحلا من قبل غزائهم . وقد كان لتحرير الجزائر من الحصن المذكور او البنون ، ودوى تهيير لدى المسلمين والتمساري نفس خير الدين شهية تهيير جملة القرددين في ولائهم كمحمد الله سلطان تلمسان اثر شهية وانحائها ، وعمق اقدامه رسوخا في الجزائر .

وفي اعقاب القضاء على الحصن ((البنون)) صعد خير الدين تهديده لبلوغود الاسباني في المراتز الاخرى ، حيث دعا سلاطين تلمسان وقاس وبادس وخزانة البحر التونسيين الى توحيدهم ، وشن هجوم مشترك يري ويحرق على الاسبان في وهران (٥) ، الا ان هذا الهجوم لم ينفذ ، لعدم حصول تجاوب كاف من جميع الادراف ، ولكن الحملات الاسبانية اصبحت تتهبش في خوف دائم ، ولا سيما بعد ان قذاح محمد الله سلطان تلمسان التموين عنها ، فأصبحت تتهبش في خوف ورجح معا ، لأن وصول التموين اليها من اسبانيا كان كثيرا ما يتأخر (٦) .

وان رد فعل الاسبان على ستور (البنون) وتزايد هجمات خزانة الجزائر ، لم يثقل شارلنان لأندري دوريا بالقيام بمهاجمة خزانة الخزانة ، فقام بهذا العمل بعدد بهجوم مفاجئ على مدينة شرشال الساحلية ١١٢٨ هـ / ١٥٢١ م ، الا ان أهل المدينة الذين تعدد سنوا

(١) نفسه : ص ٦١-٦٢ ، ويرسي : المرجع السابق جز ٣ ص ١٢٠ .

(٢) المجلد : المرجع السابق ص ٦٢-٦٤ .

(٣) نفسه : ص ٦٦ .

(٤) نفسه : ص ٦٦-٦٨ ، ويرموداي : المرجع السابق ص ٣٢ وهاي دو : المرجع السابق ص ٤ .

(٥) ويرموداي : نفس المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(٦) نفسه : ص ٥٦ .

القضية مع الحامية ، انقضوا على المبراجين وهم منشغلون بأعمال الذهب في المدينة ، فقتلوا
مئزر الكثيرين ، ثم ان دوريا اصدارا لانسحاب على جبل من شرشال قبل ان يلحق به
يرالدين ، الذي تحرك اليه من مدينة الجزائر ، ولما لم يلحق به في شرشال اسرع في طلبه
الشواطي ، الا انه لم يلقه ، فعاد الى الجزائر (١).

٢- قيام الفارود و بازان (D. Alvaro de Bazan) بحملة في ١٠ محرم ٩٣٨ هـ / ١٢٤ اوت
١٥٣ على مدينة جنين الساحلية ، التي كانت شبه خالية ، ان لم يكن فيها الا حامية زانية صغيرة
من من احتلالها ، وكان القصد من ذلك هو حرمان تلمسان من منفذها البحري ، الذي كانت
تستعمله للتجارة الاوربية ، والى عهد الله ، سلكان تلمسان العمالي لخير الدين
تراجع عن ولائه ، والاستفادة بمزايا جنين الاخرى (٢).

٣- التفكير في القيام بحملة بحرية ، يتودها شارلطان نفسه ضد مدينة الجزائر للقضاء
على مصدر الغنائم (٣) ، ولكن غزاة الجزائر لم ينفوا من مهاجمة الشواطي ، والسفن الاسبانية ، حصة
الحاق بمسائر كبيرة بها ، وتأييد الثروات التي كان يقيم بها الاندلسيون من حين لآخر ، وتقديم
لحمون لهم ، ونقل الثمر منهم الى الشواطي ، الجزائرية ، وكنتى بات نقل غزاة الجزائر للمهاجرين
الاندلسيين ، عقب كل عملية خروا للشواطي ، الاسبانية من التقاليد المحترمة (٤).

استدعاء خير الدين الى استانبول ، والولاية الاولى لحسن آغا ،

وفي سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م ، استدعى السلطان المصطفي سليمان القانوني خير الدين
اليه ، واستند له قيادة البحرية الحثمانية ، وفوض له الامر في دار الصنعة (٥) ، وقبل توجهه الى
استانبول استغلف على الجزائر حسن آغا .

وقد كان هذا الاخير من تبار مساعدي خير الدين ، والمقرين اليه ، نشأ وترى في بيتهم ،
ومهد له قبل استخلافه بمهمات عديدة ، اظهر فيها ذكاء وشجاعة ، وهو اصلا من جزيرة سردينيا (٦).
وتميزت ولايته الاولى (٩٤٠-٩٤٢ هـ / ١٥٣٣-١٥٣٥ م) بالتدخل في شؤون تلمسان
حيث قام باعانة الامير الزياني محمد بن عبد الله ، الذي كان يقيم في مدينة الجزائر ، بعد ان
فشل في الاطاحة بوالده ، وفي الحصول على من سلكان قاس ، واسبانيي وهران ، على انتزاع
الملك في تلمسان ، ومن اغيبه عبد الله الذي تولى بعد وفاة والدهما في اواخر سنة ٩٤٠ هـ /
١٥٣٣ م ، وبنج فعلا بفضل تلك الاعانة من اغتال الملك منه في ٢٨ رجب سنة ٩٤٠ هـ / ١٢ / ٢ /
١٥٣٤ م (٧) ، كما تميزت بمشاركته الى نائب خير الدين في محاولة صد حملة شارلطان على تونس .

(١) المرجع السابق ص ٢١-٢٢ ، وماربول ، المرجع السابق ص ٢٩٦ ، ومايد والمرجع
السابق ص ٤٤-٤٥ .

(٢) برموداي ، المرجع السابق ص ٥٧-٦٠ .

(٣) نفسه ، ص ٨١ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٠-٨٢ .

(٥) نفسه ، ص ٨٨-٨٩ ، و برموداي ، المرجع السابق ص ٧٠ .

(٦) نفسه ، ص ٨٩ ، المرجع السابق ص ٦٢ .

(٧) برموداي ، المرجع السابق ص ٤٧-٥٠ ، و Ruff (P.): La Domination Espagnole A Oran. 1534-1558. Paris 1900, P.36.

استيلاء خير الدين على تونس عام ١٥٣٤ / ١٥٣٤ م

كان لتونس أهمية كبيرة في تأمين المواصلات بين العواصم المغربية والشرقية للمتوسط، وبين مملكة الدولة العثمانية وإيالة الجزائر، إذ تتحكم في المضيق بينهما وبين صقلية. وكان لتونس أهمية أخرى في توليد الحكم العثماني في الجزائر، بل وفي كل شمال أفريقيا. وقد أدرك خير الدين أهمية لاسيما بعد أن حان من مؤامرات سلاطان تونس، منذ كان بايلرباغا في الجزائر، فلما استسلم قيادة الأسطول العثماني في سنة ١٥٤٠ / ١٥٣٣ م، كما ذكرنا، كانت أولى أعماله البارزة الإقدام على ضم تونس إلى السيادة العثمانية في سنة ١٥٤١ / ١٥٣٤ م، تمهيدا لمسيطر السيادة العثمانية على كل المغرب الكبير (١).

وقد استغل خير الدين في مجيئه على تونس في صيف السنة المذكورة عدة عوامل منها: إضعاف أرباب البلاد التونسية وتجزؤها، وكراهية السكان للسلاطان الحسن الذي أساء المسيرة فيهم، واقتناعه السلاطة من أنبه الأكبر (الرشيد) الذي اضطر إلى الابتلاء، إليه، له، حوته ضد ما فيه لاسترجاع ملكه، ودموية بعض أعيان تونس وأهلها له، ووجدتهم بأن يفتنوه من مدينة تونس والبلاد التونسية (٢).

ولذلك فإنه لم يبعد أي صعوبة في الدخول إلى تونس التي خضع منها السلاطان الحسن، فإلى عرب البلاد التونسية، بل إن خير الدين لقي الترحيب من قبل سكان مدينة تونس (٣) إلا أن هؤلاء ما لبثوا أن ثاروا عليه لما علموا أن السلاطين لم يبدوا بمحبته الأمير الرشيد العفسي لتتبعه كما أشاع، ولما كان منتظرا أن يفعل، وأنه أخذ تونس باسم السلاطان العثماني سليمان القانوني، وقاد الحسن العفسي الذي عاد إلى تونس متخفيا، ثورة التونسيين ضد خير الدين، إلا أن هذا الأخير تمكن من القضاء على ثورتهم بصفوف. وفر الحسن ثانية إلى طوائف العرب في داخل تونس، بينما قبل سكان تونس العاصمة بالأمر الواقع (٤) وضايف خير الدين من نشأته لتوطيد سلاطته في المدينة، ثم في كل البلاد التونسية، مستملا أسلوب الترفيع والترتيب، والحفوتارة والبلدان أخرى (٥). وتمكن في فترة قصيرة من القضاء بزمم الأمور فيها، ودانت له القبائل بالولاء، وخضعت له المدن المختلفة، وباتت محاولات الحسن في دفع التونسيين إلى الثورة ضد خير الدين بالفشل. وحينئذ توجهت دارته إلى جلب المعون من الأسبان.

رحلة شارلطان على تونس ١٥٤٢ / ١٥٣٥ م

لما كان استيلاء خير الدين على مدينة تونس المهمة ليرضي الأسبان وسائر الألبانيين والبابا نفسه، ولذلك فقد صمم شارلطان على إعادته إليها، وزاد تصميمه لما اتصل به السلاطان

- (١) قول: المرنج السابق ص ٢٤٦
- (٢) ما يدور: المرنج السابق ص ٤٦، والمعجم: المرنج السابق ص ٩٢، وابن أبي دینار: المرنج السابق ص ١٦٢-١٦٤، وبن موداي: المرنج السابق ص ٩٤-٩٥، ٦٨
- (٣) بن موداي: المرنج السابق ص ٩٥-٩٦، والمعجم: المرنج السابق ص ٩٦-٩٣
- (٤) المعجم: نفس المرنج السابق ص ٩٣

الحسن الحفصسي المخلوع ، بهدأ عونه ضد خير الدين لاسترجاع ملته ، فبمزمحلة ضخمة في التاريخ المذكور ، تمكن بها من انتزاع تونس من خير الدين ، بعد معارك عنيفة ، وإعاد الحسن الحفصسي إلى عرشها بعد أن نهله بعدة شروا. أهمها : احتفاظ الأسبان بصفة دائمة بحلق الوادي ، وإقامة حصن لهم فيه ، وضميرية أهمية له (١) ، ولكن الهدف الرئيسي للحملة الأسبانية الضخمة التي اشتركت فيها عدة أم صنهاجية لم يتحقق . إذ لم تتمكن من القضاء على قوة خير الدين الذي انسحب إلى الجزائر ، ومنها إلى جزيرة مايورقة الأسبانية ، وماجيم ماهون ، وشرها ، وأحرقها بعد تمجها . وأسر أكثر من ستة آلاف أتى بهم إلى الجزائر (٢) . وذلك ثار خير الدين حسن لهزيمة في تونس قبل أن يعود إلى استانبول ، وغف من ذوي القصار شارلكن عليه ، ونفس على هذا الأخير وعلى رعاياه فرحتهم بالنفس .

ونان خير الدين يحتم تحرير وسمرا (٣) . حين دعاه السلطان العثماني للسودة . فاستألف حسن آغا للمرة الثانية على الجزائر التي قادها هو وأخيه وحاشيته في أواسر سنة ١٥٤٢ م / ١٥٣٥ م (٤) ولم بعد بعد ما اليها ، وتوفي عام ١٥٥٥ م / ١٥٤٨ م مثالا بانتصارات بحرية جديدة على الأسبان وحلفائهم .

ويعتبر خير الدين المؤسس الحقيقي لنفسه العثماني في الجزائر ، وواضح السياسة التي اتبعها من بقاء بعده ، وراسم الأهداف التي تحقق بعضها في عهده ، وبعضها في جهود من تولوا بعده ، فتحرير الجزائر من القواعد الأسبانية ، وتوحيد البلاد الجزائرية وسد السيادة العثمانية على كامل المغرب الكبير ، ومساعدة مسلمي الأندلس . ولذلك كان لابد من تفصيل القول قليلا بالنسبة لعهد . ويضاف إلى ذلك من جهود ان مدينة الجزائر أصبحت منذ عهد عاصمة للبلاد الجزائرية كلها تقريبيا ، وهو الذي بنى لها ميناءها ، وأوقف الأوقاف الجديدة على بحر مساجدها . لما أنه هو الذي نهض ببناء ميناء شرشال ، وانقلد الكثير من الأندلسيين العظماء من في أسبانيا .

— الولاية الثانية لحسن آغا : (١٥٤٢ - ١٥٥٠ م / ١٥٣٥ - ١٥٤٢ م) :

كان على حسن آغا في بداية ولايته الثانية ان يستعد لمواجهة حملة أسبانية تسرد (٥) إليها ان شارلكن يحتم القيام بها بعد أن . حملته على تونس ، مما أثار مناوفاة كبيرة في الجزائر . فاجتمع أولا في تعصين مدينة الجزائر ، وأن برا. التريعات اللازمة على أسوارها بإعادة الهند ، والأدوات إلى سكانها ، فاجتمع بأحوال الرحمة ، وما تزود بالأسلحة من فرنسا (٦) .

- (١) بريموداي : المرجع السابق ص ٢٩ - ٢٦ ، وابن أبي دينار المرجع السابق ص ١٦٤
- أحمد بن أبي الصيافة : احوال أهل الزمان بأخبار طوطي تونس عهد الأمان تونس ١٩٦٣ ج ٢ ص ١٣
- (٢) الببهنزل : المرجع السابق ص ٩٩ - ١٠٢ ، ومايدو : المرجع السابق ص ٥١
- (٣) بريموداي : المرجع السابق ص ١٧٧ - ١٧٩
- (٤) نفسه : ص ٢٠٣ ، ومايدو : المرجع السابق ص ٥٢
- (٥) نفسه : ص ٢١٤ - ٢١٥
- (٦) نفسه : ص ٢١٤ - ٢٢٠ ، والمجهول : المرجع السابق ص ١١٥ .

استشعر من بنساء السفن ، وتوجيهه الخزانة الى الشواطيء الاسبانية المعروفة بخنائم وفيرة منها .
ولكن هزيمة خير الدين في تونس واحتمال قيام الاسبان بحملة اخرى ضد الجزائر كان لها
تأثيرها في انقلاب مواقف بعض مراكم القوي في الجزائر وهي :

١- سلطان تلمسان :

بعد وصول الانباء بهزيمة خير الدين امام شارلنجان في تونس بادى السلطان الغياثي محمد بن
داود الله الذي كان لحسن آخا الفضل في وصوله الى الملك كما تقدمت الاشارة ، الى التقرب من
اسبان ، فمعرض في نهاية شهر صفر ٩٤٢ هـ / اوت ١٥٣٥ م ان يكون معهم وتأجبا لشارلنجان
ان يدفع الضريبة التي كان يدفعها ابوه وجده ، وان يعيد الاسرى الاسبان الذين وقعوا في
مقتله في ٢٢ من ٩٤٢ هـ / ٤ / ٧ / ١٥٣٥ م في المحرقة التي بناها بجيشه مع القوات الاسبانية
في جاية ، اخبره عبد الله من وهران لانتزاع الملك منه (١) بل وابدى استعدادا له لان يقبض
خير الدين بزيرو من ان التبا اليه بعد هزيمته ، ويسلمه اليهم (٢) وتوصل في رسالته المؤرخه
٢ ربيع الاول ٩٤٢ هـ / ٥ / ٩ / ١٥٣٥ م لشارلنجان ان يتبله تأجبا ، وحليفه ، ويعينه حمايته
ان تلك الرسالة مرفوقة بمشروع معاهدة سلام لمدة عشر سنوات موق من قبله ، وجدد فيه عروضه
سابقة الذكر ، والى ان ينفذ الاسبان من ايوان اخبره عبد الله وتأيدهم له ، وان يعيد له
مناطق الداخلية التي اختصها الاتراك من ملنة تلمسان اذا ما تمكن من احتلال المدن الساحلية
لجزائر ، وشرشال ، وتونس (٣)

وفي ٥ ربيع الثاني ٩٤٢ هـ / ٣ / ١٠ / ١٥٣٥ م وقع على نص المعاهدة كما اقترحه عليه
الام وهران وفيه تنازلات واعتيازات انسانية لاسبان (٤) الا ان الامبراطور شارلنجان لم يذ ضرورة
ما يهدد واتوقع معاهدة مع سلطان لا حول له ولا قوة ، متذبذب الولاء ، في الوقت الذي كان فيه
خبره عبد الله اللاجئ ، عنده مستعدا للتنازل عن كل شيء مقابل ان يجلسوه على كرسي الملك
تلمسان اسما بلا رسم (٥)

ورغم انه لم يهدد التنازل لى شارلنجان فان السلطان محمد لم يقف من دارق حساب
اسبان ، ويبدو انه لم يفتي له الا بعد سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م وهي السنة التي شهدت انتشار
ملة شارلنجان في الجزائر .

٢- سلطان تونس :

اما سلطان تونس ، حميدة المهد الذي اعاد خير الدين الى سلطنته بعد ان جوده اخوه
من منها ، واما رأينا في سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، فقد قام بدوره في احقاب هزيمة خير الدين

(١) بريموداي : المرجع السابق ص ٤٧ و ١١٢ و ١١٣ : المرجع السابق ص ٣٥ وما يليها

(٢) بريموداي : نفس المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٨

(٣) نفسه : ص ١٤٨ - ١٥٠

(٤) نفسه : ص ١٨٠ - ١٨٢

(٥) اندار التنازلات التي قبلها عبد الله لى تنصيبه ملنا على تلمسان من قبل الاسبان في سنة ١٥٤٣

(٦) يلقب في الوثائق الاسبانية بقائد تونس ، ورا الشىء الرئيس للشرق ، اندار بريموداي : نفس
المرجع ص ٢١٧

في تونس، وتردد انتهاء حملة أخرى على الجزائر بالتقريب من الأسبان (١) وأبدى لمؤلا، استعداداً للمساعدة في الحملة المنتظرة على الجزائر بثلاثة آلاف من حملة الرماح، ويتوفر الأغذية للقوات الأسبانية بمصر مناسباً (٢) على أمل أن يفوز بحداقة الأسبان ودعمهم له فيما يحرضه من قنايس (٣)

٢- أمير كوكسوي

شمر أحمد بن القاضي من بزمته في التقرب من الأسبان في بجاية ومدفوعاً بدون شك ببعده على الاتراك العثمانيين ولما كان بين مؤلفه وبين أسرته من نزاع في عهد خير الدين، ونزخته الاستقلالية. ولما اتهم خير الدين في تونس بلفظ شارلنك عام بجاية باشعار ابن القاضي حتى يتمكن هذا الأخير من أن يتداع عليه الطريق البري إلى الجزائر (٤). ولكن خير الدين ما د من طريق البصر فلم يفتنه فعل أي شيء. وبين قام شارلنك بحملته على الجزائر في سبحة ١٤٨٨م / ١٥٤١م، سار ابن القاضي على رأس قواته للمشاركة فيها ولكن الفارسة أعاقت شارلنك قبل أن يصل موبقاته إلى مدينة الجزائر، فساد ادراجته إلى جبله.

وحسب ما يدور، فإن ابن القاضي قد زود شارلنك بالأغذية، ولعل ذلك في بداية عند سار ان هذا الأخير في أمم العجالة إليها (٥) وأن بعد فشل الحملة المذكورة على الجزائر على صلة شارلنك وأسباني بجاية، على في رسائله، ومن طريق رسله على القيام بحملة أخرى ضد الاتراك الجزائر، وبعد مشاركته الفعالة فيها (٦) ولكنه لم يجد التقارب المربوب.

٤- سلطان تونس

أما الحسن العفسي سلطان تونس فقد حاول هو الآخر استغلال هزيمة خير الدين، فأعد رمضان ١٤٤٢م / مارس ١٥٣٦م حملة لاسترداد مدينة قسنطينة من الاتراك العثمانيين (٧) فيما أن سنانها قد طلبوا منه تعيين حاكم لهم (٨).

حملة شارلنك على الجزائر (١٤٨٨م / ١٥٤١م)

لم تسبق الظروف لشارلنك بالقيام بحملة على الجزائر قبل التاريخ المذكور. وكان قد صمم على مهاجمة نانت الظروف، وبعد أن تزايدت شكاوى رعاياه من هجمات غزاة البصرالجزائريين (٩).

(١) نفسه، ص ٢٢٧

(٢) نفسه، ص ٢٢١

(٣) نفسه، ص ٢١٨

(٤) نفسه، ص ١٢٤

(٥) مايدو، المرنج السابق، ص ٦٥

(٦) انظر صورا من رسالة من محمد بن القاضي إلى شارلنك، ورسالتين من محمد بن القاضي إلى حاكم بجاية في، والمدني، المرنج السابق، ص ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٧

(٧) برموداي، المرنج السابق، ص ٢١٥

(٨) نفسه، ص ٢٠٣

(٩) المرنج، المرنج السابق، ص ٨٠، ١٠٢.

ان تادات التجارة الاسبانية والايطالية في المتوسط. تتوقف لانعدام الامن وتزايد انكسار السفن التجارية في قبضة خزاة الجزائر وانه انشغال شارلوتان في السنوات الماضية التي كانت على تونس بحربيه في الديبلوماسية الاوروبية مع فرنسا وانجلترا ولم يتجمل بهمل قضية الوجود عثمانى في مدينة الجزائر بالذات . فهو اما تذخر الوثائق والمصادر المعاصرة قد دخل في مفاوضات مع خير الدين بربروس (١) ودخل حكام وهران الدونت والوديت في مفاوضات مماثلة مع حسن باشا (٢) للحصول على مدينة الجزائر دون حرب . ولما غاب سعيه وسعي عثمانى وهران عن حملة عليها . وقد كانت سلطته فعلا في دارو غير مناسبة لانهاضها ولما قيام بهجوم بحري على وهران في شهر اكتوبر وهو شهر تصفد فيلالا مار بشرة . وباشد فيه الهبوط في الجزائر . ولكن استمالة شارلوتان بقوة الجزائريين بقيادة حسن آغا . وجماعته لا يستعمل الى نتائج ريبين له . كما تدرى دورا . وفيه بتأجيل الحملة الى فصل الربيع المواسي لانهاضها . وفي هذا قرارهم الى الاعتقاد بان حسن آغا قد قبل بتسليم الجزائر وشرط قيام شارلوتان بعملية مرة تدفع منه المكافاة وتلزمه على انه كان دورا على تسليمها (٣) . ولكن الواقع كذب هذا . فتاد . ان كان دور حسن آغا في قيادة الجزائريين الى تقيده ابرار على الضم . حملة مسيحية . دة اعدام اميراطور مسيحي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . و تهيرو (٤)

وقد تضافرت مع ارادة الجزائريين بقيادة حسن آغا في المقاومة والمهادنة . قوى الديبلوماسية من ايام الارويان . في الحاق النائرة بعملية شارلوتان . وقد تناول تفاصيل هذه النائرة مصادر كثيرة عديدة مما يجعلنا في حق من النواصير فيها (٥)

اما نتائج هذه الحملة فمديدة . واهمها : احيى النواصير النيرة التي منيت بها الحملة في تاد والأزواج . او الخناصير النيرة التي جعلت عليها الجزائريون . والتي صار يضرب بها المشعل الانزان التي تلتها في اوروبا المسيحية . او ماناله حسن آغا . واعيان الجزائر . واهمها . تقدير السلطان العثماني . ولكن اذما على الاملاق ترسيق د عائم الوجود العثماني في الجزائر . ووضو الخري للموسم . اشردن اي وقت منى . ان كان فشل حملة شارلوتان امام الجزائر بداية . اة . مديدة . فدا موقف الاسبان فيها . موقفا الدفاع بعد ان كانوا في موقف الهجوم . انما لبشوا . فعدوا بداية . واسبحت وهران والعرض التهيروا مفرى مرض . عمليات مديدة . وتفرغ فيهم . اما الجزائريون العثمانيون لتوطيد نفوذهم في الجزائر . وتوسيعه في الغرب والشرق . الى المغرب . ونحو الجنوب ليشمل الصحراء الجزائرية . بعد ان كان نفوذهم محصورا في شمال الجزائر

(1) Watbled & Monneroeau: Négociations de Charles-Quint avec Kheir-Edine. in R.A. Alger , t. 15, P.P. 138-141.

(2) Négociations Entre Hassan Agha et le Comte D'Alcaudate ; in R.A. Alger 1865 P.379.

(3) المرجع السابق ص ١٢٧
(4) انظر مفاوضات حسن آغا في المرجع السابق ص ٣٢٩ و د فرامون : المرجع السابق ص ٥٨
(5) انظر د برة التهيرو هايدو : المرجع السابق ص ٦٤-٦٢ . والمجموع : نفس المرجع ص ١١٥-١١٢
(6) المرجع السابق ص ١١٥ . ما يليها . مارمول : المرجع السابق ص ٢٠٢
١٥٨٠ . هايدو : المرجع السابق ص ١٢٧ . والمدني : المرجع السابق ص ٢١٧-٢٨٠
ود فرامون : المرجع السابق ص ٥٨ . ومقالة بلعيمي : المرجع السابق في مجلة تاريخ وعقارة المغرب عدد ٦ - ٧ الجزائر ص ٢٤-٥٦

الحملة على مستغانم (١٥٩٩ / ١٥٩٣)

وفي اواخر مقاومة امتداد النفوذ العثماني في المغرب الجزائري قام د النوديت في ١٤ من اكتوبر
١٥٩٣ / ٣ / ٢١ م بحملة على مستغانم بهدف انتزاعها من ايدي الاتراك العثمانيين ،
وكان من اعمدة استراتيجية هاذي قريبة من وهران ، وتشرف على الداريق بينهما وبين مدينة
غرداية الا انه قتل راجعا من مشارفها ، لوصول تعزيزات عثمانية كبيرة اليها . وبعد وصوله
في التراجع الى وهران ، تعرضه الى هجمات حرب المغرب الجزائري من جهة البر وقصص
من الجزائر من جهة البحر . بحيث شدد غسان بن برة (١) وكان من بين من يسمون
الجزائريين مستغانم سلطان تنص (٢)

الحملة على مستغانم

ورغبة في اعادة هيبة الاسبان التي تعرضت لهزيمة كبيرة في مستغانم ، قام د النوديت بحسين
على حامية معسكر العثمانية ، واضطرت هذه الأخيرة الى الانسحاب من المدينة الى حيسين
في (٣) والى هذه الحملة انضم المنصور بن ابي غانم قائد بني راشد . وكان المنصور شديدة
في بلاد الزياني (٤) ، ولما كان تاهسان العوالي لا تترك الجزائر وما يخصه انه تحصل
عدو له ولجؤا ، وسنرى انه كان من اعداء الاتراك الاشداء في الحواشي التي سنذكرها .
ولم ينتفد حسن آغا بتوايد ساداته في الشمال والمغرب ، بعد ان تأثرت في احقاب هزيمة
الدين في تونس ، ولكنه سعى ايضا الى بند حزم الاتراك العثمانيين في الجزائر الى الجنوب ،
بهذا العدد بحملة الى بئر (٥) وما جاورها من بلاد الزياني ، ولا يخفى ما لبسته من
سياسة اقتصادية فهي محطة لتوافد التجارة الداخلية الى بلاد السودان والآية منه ، وما انما
السياسة مائة للجزائريين والمغاربة .

(٦)
وقد شهدت ولاية حسن آغا الثانية ببلاد الاسبان من غنابة في اواخر سنة ١٥٩٧ / ١٥٩٠ م
ان كانوا كثيرا من هجمات قبائل الشرق الجزائري ، واتراك قسنطينة . وكانت ولايته الاولى
شهدت ببلاد الاسبان من غنابة في اواخر سنة ١٥٩١ / ١٥٣٤ م ، بعد تخريبهم لمحمدا (٧)
ولم يدال عمر حسن آغا كثيرا بعد بحملة انتقامية التي اجرها ، انه توفي على الاربع في

سنة ١٥٥٠ / ١٥٩٣ م (٨)

(١) انظر من حملة مستغانم / د فرامون ، العربي السابق ص ٧١ و ٧٢ ، المرجع السابق ص ١٠٢

(٢) رؤوف ، المرجع السابق ص ١٠٥

(٣) ماركول ، المرجع السابق ص ١٠٦ و ١٠٧ ، المرجع السابق ص ١١٢

(٤) اندر حنة ، ص ١٠٦ ، اسبانيا جز ١ ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣

(٥) ماركول / المرجع السابق ص ١٠٦ ، ص ١٠٧

(٦) بريموداي / المرجع السابق ص ١٠٧ ، ص ١٠٨

(٧) رؤوف / المرجع السابق ص ١٠٦ ، ص ١٠٧

(٨) ماركول / المرجع السابق ص ١٠٨ ، وانظر ص ١٠٩

الولاية الاولى لحسن بن خير الدين
١٥٤٤ - ١٥٤٥

حين حسن بن خير الدين بيلربايا على رأس منومة الجزائر في سنة ١٥٤١ / ١٥٤٤ م خلفا
ن آفا ، تلبية لرغبة والده ، وتقديرا لجهوده آن بروس في مد النفوذ العثماني على
افريقيا .

ولما وصل الى الجزائر في ٢٩ ربيع الاول ١٥٤١ م / ٢٠ جوان ١٥٤٤ م ، كان حاجي باشا
تولى الامر في الجزائر مؤقثا بعد حسن آفا ، وقد تمكن من القضاء على ثورة الشيخ بوزاريق
بمائل نواحي مليانة ، الذي ثار في اعقاب موت حسن آفا ، وزحف بقوات كبيرة من الثبائل للقضاء
ثم الاثراك في الجزائر (١) . فتفرغ البيلربايا الجديد للقضية تلمسان التي اشتد التنافس
في عهد ، اولا بين الاسبان ، واثراك الجزائر العثمانيين ثم بين هؤلاء والاشراف الموحدين .

صراع الاسبان العثمانيين على تلمسان :

كان الاسبان لما تقدم حرمهم على عدم استقرار الامر في تلمسان للاثراك العثمانيين ، و
راء الزناتيين الموالين لهم . ولذلك فان السلطان محمد بن عبد الله الذي استرجع الملك
من ابنه عبد الله ، لما تقدم ، ما ليته ان اطلع به اشوة الاثراك احمد ، الذي كان يدعوه
المصور بن ابي خانم . وكان هذا الاثراك قد حارب مواليا للاسبان ، وربما تم هذا بدعم من
الملك . ما جعل ابن خير الدين لا يتأثر كثيرا عن المسير الى تلمسان لازاحة احمد وغالعين العثمانيين .

وقد تمكن في ربيع الثاني من سنة ١٥٤٢ م / جوان ١٥٤٥ م من الدخول الى المدينة التي
فيها المنصور وابن اخته احمد واتباعهما متوجهين الى دبدو في شرق المغرب ، ومنها المسير
ان في وهران ، بعد فترة من الاسر في المدينة المغربية من قبل اميرها مولاي صابر (٢) .
حسن الاثراك الملاحقات بينه وبين اثراك الجزائر كما سنرى . ونصب حسن بن خير الدين
في تلمسان آفا احمد المخلوع ، المدعو المنتصر (MONTAREZ) وترك له عند خروجه
درعانية تحميته . ولكن الاسبان تدخلوا من جديد في سنة ١٥٤٣ م / ١٥٤٦ م لتقديم
السلطان احمد المخلوع ، والظاهر المنصور ، وتكررت حملتهم نحو تلمسان ، وسار حسن بدور
سبيل الحيلولة دون تحقيق فرغهم ، الا انه قد توفي في هذه الاثناء ان وصله نبأ وفاة والده
الى الجزائر قبل ان يعاينهم بالحملة الاسبانية التي تكررت في اتاب تلمسان . وارجح
يد والى حامية تلمسان العثمانية لاجل اسمائها التي استعان بها مما سمح لـ احمد وغالعين ان
ثانية الى تلمسان ، وان يستلم الملك فيها دون صعوبة (٣) .

انذار عن ثورة بوزاريق ، مايدرو ، المربيع السابق ص ٢٠-٢١

نفسه ، الصفحة ٧٤ ، والمصادر ، الاستقفا جز ٤ ص ١١٢

روند ، المربيع السابق ، ص ١١٥ ، مايدرو ، حوار من مولى ، حوار من مولى وهران

نفسه ، ص ١١٦ ، مايدرو ، المربيع السابق جز ٢ ص ٢٤٨-٢٥١ ، مايدرو ، المربيع

السابق ص ٧٤ . ومايدرو ان تاريخ . ملحة حسن بن خير الدين ، انه ليس متفقا عليه ، فبحسبهم
يحدث الحملة في سنة ١٥٤٦ واثرون في سنة ١٥٤٧ وبسببهم في سنة ١٥٤٨ .

١- حملة الاسبان الثانية على مستغانم (١٥٥٤م / ١٥٤٧م)

حاول الاسبان استغلال ظروف حسن ابن خير الدين المذكورة للقيام بمحاولة ثانية لانتزاع مدينة مستغانم من ايدى الاتراك ولكن حامية مستغانم التي انضمت اليها حامية تلمسان ، وبذلك تمها اندادات من الجزائر استلاحت السمود ، وبعد الاسبان صموية كبيرة في الانسحاب الى وهران للمرة الاولى ، وتهدوا حسانر كبيرة .

وكان من نتائج فشلهم الثاني امام مستغانم انحصارهم في وهران ، والتفاوض مع بالدفاع من أنفسهم فقد اوال فقد من السنين تقريبا ، مما سمح لاثراك الجزائر ان ينهوا قضية تلمسان لصالحهم .
٢- حماية حكم الزبانيين في تلمسان

تقدم ان الزبانيين فقدوا استقلالهم في حكم مملكتهم التي ما انفلتت تتقلد حتى باتت تناد تكون مقصورة على مدينة تلمسان فقط ، وذلك منذ العقد الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، واضمحروا اما تابعين لاسبان ، او لاثراك الجزائر العثمانيين ، واستمر وضعهم يتدهور باستمرار تمهيدا لنزولهم نهائيا عن العرش السياسي .

وفي احقاب الفتح لاسپاني الاخير امام مستغانم ، تدخل حسن بن خير الدين في تلمسان سرقة اخرى ، ونصب سلالنا مواليا له (١) ، وذهب احمد وعالم يظليون حور الاسبان وارب تلمسان لاستعادة الملك ، بدون جدوى (٢) .

٣- التدخل السعدي في تلمسان (١٥٥٧-١٥٥٨م / ١٥٥٠-١٥٥١م)

وفي الوقت الذي بدأ فيه وكان امر تلمسان قد خلاص لاثراك الجزائر العثمانيين ، واستتب لهم ، انا بالاشراف السعديين الذين قضا على الدولة الوالدسية ، واستكملوا توحيد المغرب ، يومهم من انارهم لهم تلمسان الى مملكتهم . وتغنوا من استرلها فحلا في سنة ١٥٥٧م / ١٥٥٠م ، ولكن واث حسن بن خير الدين تلمسان من انزلهم مدبا في السنة التالية بعد سراج حنيف ، سنة وداليه التمهيل في الفصل الرابع ، وابعدوهم الى مازا نهر الطوية .

وازاء الاتحاد المصحدة من جهة ، والتدخلات الاسبانية من جهة اخرى ، قرر حسن بن خير الدين في سنة ١٥٥٨م / ١٥٥١م ان يكون حكم مدينة تلمسان بيد قائد تركي ، بدون ان يكون الى جانبه سلالان زباني ، ومهما كان ضعيفا ، وان يقيم فيها حامية ترنيسة قوية ، فوضع بقراره ذلك نهاية حكمهم الاسرة الزبانية التي خدت منذ مدة عقود بالاقوة ولا شعبية (٤) .

- (١) دوفرامون ، العربي السابق ص ٢٥ وروفي العربي السابق ص ١٢٠-١٢٤
- (٢) سبب خلال سنة ١٥٤٨ السلطانين محمد في اقرين ثم الحسن في اقنور ، وكلاهما حسن ابنه عبد الله ابنه . انظر : . . . اسبانيا جز ١ (المقدمة) ص ٢٠٢ ، انظر اوه
- (٣) . . . اسبانيا جز ١ ص ٢١٤-٢١٦ .
- (٤) انظر عن نهايتها ، المصدر السابق ص ١٩١-٢٠٢ .

صالح رايس يخلع حسن بن خير الدين
١٩٥١-١٩٦٢ م / ١٣٧١-١٣٨٢ هـ

وفي اعقاب الهدام بين اتراف الجزائر الشماليين واشراف المندوبين المستعدين
حسن بن خير الدين الى استانبول لاسباب الاتي ذكرها في الفصل الرابع عشر . وفي
انتشار وصول البايلى الى الجزائر استضافه حسن على الجزائر القائد صفا ، الذى قاد جيشه
الجزائري الى النصر على المندوبين (١) . وكان البايلى الى الجزائر هو صالح رايس . وهو من اصل
مصري ، ولد في الاسكندرية (٢) . وفور استأنفه الحزم في الجزائر في ربيع الثاني سنة ١٩٥٩ م / افريل
١٩٥٧ م ، حصل على تعيينه على قائده مع المندوبين ، وتوصل الى اتفاق سلك معهم لم يدم طويلا
كما سخرى مفصلا في فصل الحملات السياسية الرابع . وبعد الاطمئنان من جهة المندوبين
قام بملحة الى تونس وورقة في الجنوب الجزائري لاضعاج اعراسها الذين تمردوا على دفسج
الشرعية المعتادة ، ورافقه في تلك الحملة عبد العزيز امير بني عباس .

وقد تمكن صالح رايس من تثبيت نفوذه على المذاقين ، واخذ اليهود من احيائها ، واميرها
بأداء الضريبة المفروضة له حكومة الجزائر . وعصب ما يدور هناك امراء تونس وورقة للموالين
للحزم ، خوفا من بطلان الاترا (٣)

(٤)
وينيف مارمول ، بان صالح رايس عاد من تونس وورقة بخمسة عشر رجلا مفعلا بالذهب .
ولا يجب فقد كانت المدينتان مركزين تداريين هامين للثغارة بين الجزائر وتونس في الشمال
وبالد السودان في الجنوب . وبالحمران تداري صالح رايس الى الجنوب ام يكن فقد من اجل
الضريبة التي امتنع من ادائها امراء المدينتين المذكورتين ، ولكن ايضا من اجل استعادة السيطرة
على الدايق القباري الذي تقطن فيه وورقة وتونس اما الى تونس وطرابلس او الى الجزائر الشمالية .

وفي اتر رجوع صالح رايس وعبد العزيز ، امير بني عباس ، وب النزاع بينهما . لأن صالح
رايس كان يريد اضعاج الزعامات المحلية الهمة ، وهو اكرام يكن لينضم من حوز امير بني عباس
على استقالته وفشارطيه . وعصب مارمول ، فان سبب النزاع هو الخيفة التي حادها بها من الجنوب ،
والتي شجر امير بني عباس انه لم يحصل على دعمه المعزى منها ، بالاضافة الى دسائس حزم قورمو
عبد الا مير المذكور ، الذي اهدى بدولة نبرة في ضد المندوبين عن تلمسان ، فاقته بدولة
حسن المذكور (٥)

وقد حصلت بين الطرفين حدة معاراة قاي امداد صالح رايس بنفسه ، والاخرى ولده محمد
والثالثة سنان رايس ، انتبعت جميعها بانتمائها لاترا (٦) . مما جعل خداه يستفدن وشتمه
زاد ، واتباعه يتشرون . وما زاد امره غدارا ، انه كان يقيم علاقات مع القوى المعادية للحزم
التركي في الجزائر والاسيان والمندوبين ، يستهدف التمازق لاقضا على الحزم المذكور (٧)

(١) مايدو ، المربع السابق ص ٨٢-٨٤ م . م . م . اسبانيا جز ٢ ص ٢٠٦ م . م .

(٢) مايدو ، نفس المربع ص ٨٥

(٣) نفسه ، ص ٨٦-٨٨ م .

Feraud: Los Beni-Djellab, in R.A., No. 136.

(٤) مارمول ، المربع السابق جز ٢ ص ٢٠٥-٢٠٦ م .

(٥) نفسه ، ص ٢٦٦-٢٦٧ م .

(٦) م . م . م . اسبانيا جز ٢ ص ٢٧٦ م .

ولذلك فان صالح رايس توجه الى القضاء على القوى التي كان يسعى الى القضاء عليها
 وسان وسعيد بين واما توجهه الى القادة من امير نونو الخفاف والتقليدي لا مير بني عباس . فيجد
 قد اطلق معه في سنة ١٥٥٩م / ١٥٥٢م اشركه في . حملته على المغرب في السنة التالية (١)
 الحملة التي منته من تنصيب ابي . حسن الخواصي . سلطانا على فاس في صفر ١٥٦١م / ١٥٦١م . انفي
 ١٥٦١م . ومن احتلال حبر باد من شمال المغرب . واعادة الامارة الى مولاي عمار في دبدو .
 قالي من مد النفوذ العثماني الى المغرب . وسنعود الى تفاصيل هذه الحملة في الفصل
 .

تقرير ببايسة : (١٥٦٢ / ١٥٥٥م)

بعد ان وجه صالح رايس خبرته الى المعديين في المغرب . فانه انصرف الى تحرير الشواحي
 زائرة من بقية القواعد الاسبانية . وذلك ليس فقط بهدف دحر الاسبان . واخراجهم من
 راضي الاسبانية . ولكن ايضا لدم وحدة البزائر . بحرطان بعض الزعامات المحلية . بنين عباس
 الذي كانوا يبدونه لدى اسباني . بداية وهران . او من المحتمل ان يبدوه عندهم .
 ميدا للقضاء على ما بقي من الزعامات المحلية . وقد اخذت هذه في التناقض بعد انباء عن
 رايين في تامسان وحت . سيدة الهمد سلطان . تنصرف في المقدم السادس من القرن العاشر الهجري /
 سادس عشر الميلادي . الذي خلفه القائد . صفا الترتي (٣) . فقام بهذا الهمد باعلان الهمد سلطان
 تقرير ببايسة . فتدبعت لديه قوات كبيرة من الميامين البزائريين الى جانب القوات التركية
 بثمانية . وتمكن من تحريرها في ١٢ ذي القعدة ١٥٦٢م / ١٥٦٢م / ١٥٥٥م . وبعد ان
 تسلمت حاجتها له .

ويلاحظ من خلال الوثائق الاسبانية انباء كانت حامية صغيرة تتألف من (٥٠٠) جندي
 وشباب مؤمنين على ثلاثة حصون (٣) . وقد كان تقرير ببايسة بعد نحو (٤٦) سنة من الاستعمار
 الاسباني . وكانت كافية لتفقد ما كان يحتملها السياسية والثقافية والاقتصادية لفترة دويلة .

الحملة على وهران : (١٥٦٢ / ١٥٥٦م)

اغذ صالح رايس فور توجهه من ببايسة في الاعداد لحملة كبيرة على وهران والعرض الكبير
 وارسل في طلب الحون من الدولة العثمانية . وجاءه المدد المدلوب (٤) . وكان على اية التدرج حين
 واقاه ابله في شعبان سنة ١٥٦٣م / جوان ١٥٥٦م . بعد اربع وعشرين ساعة فقد من اسبانيته
 بوايا الحصون (٥) فاضل . حسن قورصو الذي انتحبا لانتشاريون خليفة له . تسيير الحملة .

- (١) . ابله . و . المرحون السابق ص ٩٠ (ام يشترك امير بني القاضي شمس الدين الدولة واما شارفت
 قواته فتد . . .)
- (٢) . نفسه ص ٨٤ .
- (٣) . نفسه ص ٩٢-٩٥ . ومارمول المرحون السابق ص ٢ ص ٤١٨ . وبن موداي : المرحون السابق
 ص ٢٧٣-٢٧٤ .
- (٤) . حسب ما يدور . فان المدد يتألف من (٤٠) خاليرة (سفينة حربية كبيرة) و (٦٠٠٠) من
 البند الترتي . وانظر ملوك البزائر ص ٩٦ .
- (٥) . نفسه ص ٩٦-٩٧ . وهو اللواء الذي قتل على شير من العلماء ايضا .

ماتاد يختم الحصار على وهران حتى جاءته الاوامر من السلطان العثماني بالانسحاب ، وعودة
السلطان العثماني ، وذلك فيما يبدو لعدم الاطمئنان الى قيادة حسن قورصو من جهة ، ولأن
ري دوريا قد توجه الى الحوض الشرقي من جهة اخرى ، مما يتطلب وجود الاسطول العثماني
للمساعدة ، وقد يكون السلطان العثماني قد تخشى ايضا من اصابة جيشه بالوباء الذي
انتشرا في الجزائر (١)

وهكذا انجس وهران وبرسانا اليبوس من غدار حقيقي ، وكانت هذه اهم محاولة لتحرير
ان في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ،
كانت المحاولات الاخرى الجديدة ، ومنها محاولة حسن بن خير الدين في سنة ١٧١١م / ١٥٦٢م
سخرى تفقر الى دعم الاسطول العثماني من جهة اليبوس .

ومما تقدم يتضح ان حمود صالح رايس في المصالحة الداخلية كانت ترمى الى توليد العنيم
عثماني بالقبول على التزامات معينة ، او انضمامها الى سلطاته ، واستكمال تحرير الشواطئ
زائرية ، ومن ثم ترقية الوحدة السياسية للجزائر .

اما في المجال الخارجي فكانت جهود حمود من جهة الى مد النفوذ العثماني الى المغرب ، واستغلال
الامتاحة للتدخل في هذا المجال .

اضراب الحكم في الجزائر بعد موت صالح رايس :

ماتاد حسن قورصو يعود من وهران الى الجزائر حتى وصل محمد تازولي البايبراي الجديد ،
ي حين لخلافة صالح رايس ، فلم يشأ استقباله وتسليم السلطة له . ولدى محمد تازولي الذي فتر
الزواج ، عدل عن ذلك ، ونجح في استمالة دائرة الرياس (رجال البحر) ، وكانت بين هذه
الدائرة والياند الاثنتي الذي كان ينتمي اليه حسن قورصو ، خلاف ، جعلها لا تتعزز لتأييد
الانغبيس . ومن طريق الدائرة دخل تازولي الى المدينة وتمكن من استلام السلطة والقبض على
من قورصو وعلى ابناء ابيه ، وقتلهم ، وذلك في اواخر ذي القعدة ٩٦٢هـ / سبتمبر ١٥٥٦م ،
بقية اتباعه يتحينون الفرصة للتدخل منه . وبعد بضعة اشهر فقد تمكن يوسف قائد تلمسان
قتله ، وانتزعت الانكشارية سائلا . الا ان حكمه لم يستمر الا ستة ايام ، حيث مات بالاعون
الاختيار بعد ، على القائد يمين الذي عمل على اعادة الهدوء الى المدينة (٢) .

وقد كان الاضراب الذي شهدته مدينة الجزائر فرصة ذهبية للمستعدين والاسبان المتدخل
المغرب الجزائري ، وتحقيق اطماعهم ، فأقدم المجاهدون على احتلال تلمسان في صبان ١٦٦هـ /
ان ١٥٥٢م ، ثم انسحبوا منها بعد حين للمجدد الاثني الذي نازره ، وفي حين ذهب النور يست
ثم وهران الى اسبانيا لاحتضار القوات المارزة لاحتلال مستغانم .

(١) انذار من الاسبان ، هايدو ، نفذ الممرق السابق ص ٦٩ ، ومارمول : المربح السابق ص ٢٦٦
(٢) انذار من هذه الاخباريات ، هايدو ، نفذ الممرق ص ٩٩-١١٢ ، ويرموداي : المربح
السابق ص ٧٧٨-٧٧٥ .

الولاية الثانية لحسن بن خير الدين
(١٥٦٨ هـ / ١٥٥٧ - ١٥٦١ م)

قبل ان يعود النوديت من اسبانيا ويتنزل المحدثون من اخضاع الدامية القرنية فسي
للمساجين ووصل حسن بن خير الدين الذي حين المرة الثانية على رأس حكومة الجزائر الى مدينة
الجزائر واستلم الحكم فيها دون أي معارضة في شعبان سنة ٩٦٤ هـ / جوان ١٥٥٧ م . ثم
سعى الى تلمسان لاسترجاعها ولفك الحصار عن حاميتها ، ولم ينتظر المحدثون وصوله لانتساب
من المدينة . ولكن حسن بن خير الدين لم ينتصف بذلك ، فأرسل من يقاتل السلاطين السعدي
في هذا الشأن ، وياتيه برأسه . فكان له ما أراد في شهر ذي الحجة ٩٦٤ هـ / أكتوبر ١٥٥٧ م .
ثم اقدم على شن هجوم على المغرب لاحتلال فاس ، إلا ان دعوته باء بالفشل ، وسعى الى هذه
الامدادات بالتفصيل في الفصل الرابع . وقد طرد من المغرب ومودع منهم من طريق
البحر ، واستعد لحملة النوديت التي استهدفت مستغانم للمرة الثالثة .

حملة النوديت الثالثة على مستغانم
ذو القعدة ٩٦٥ هـ / اوت ١٥٥٨ م

فأثارت النوديت فرصة التدخل في مستغانم او في الجزائر ، حين كان الوضع في هذا الاخير
من اربا قبل عودة حسن بن خير الدين الى الجزائر ، وذلك لتأخر حصوله على القوة الثانية . فساراد
ان يقتحم هزيمة ابن خير الدين في المغرب ، في ربيع ٩٦٥ هـ / افريل ١٥٥٨ م ، فشن حملة
كبيرة على مستغانم (١) في محاولة ثالثة لاحتلال هذه المدينة المهمة التي كان يتخذها
الأتراك العثمانيون قاعدة لعملياتهم في المغرب الجزائري ، وضد وهران على الخصوص . الا ان
المعاركة الثالثة لم تكن افضل من سابقتها ، بل هي اسوأ بكثير ، ذلك انه لم يتخذ من اقتحام
المدينة قبل وصول الامدادات النيرة المها من الجزائر وتلمسان ، الامر الذي جعله يأمر بعد وصوله
الامدادات بالانسحاب ، وان ذلك في فوضى واضراب . وما نادى به الى قرية مازافران العبارة
لمستغانم ، حتى وجد نفسه محاصرا من جميع الجهات ، مضطرا الى القتال في فوضى واضراب ،
وفي اعياء ووجع وحمل ، فلقى مصرجه وقتل او اسر كل جيشه في ١٢ ذي القعدة سنة ٩٦٥ هـ /
٢٦ / ٨ / ١٥٥٨ م . ولم يبق احد ليوصل خبر التارسة الى بقية الاسبان في وهران والمرسى النخير (٢)
وذات الفرصة مواتية لتحرير وهران والمرسى النخير لوان حسن بن خير الدين اقدم على السير
اليهمسا مباشرة من مستغانم ، اذ لم يبق فيها غير العروس والنساء والادقان والمجسزة ،
ولنفسه لم يفتنهما ، وذلك فيما يبدو راجع لحدود الاسرى النخير الذي قدر بنحو (١٢٠٠٠)
وربما لنقص المدفعية ايضا لاقتحام اسوار وهران الضخمة .

(١) كانت تتألف حسب هايد ومن اشرف من (١٢٠٠٠) جندي ، انظر ملوك الجزائر من ١١٧

- ١١٩ -

(٢) روف : المربع السابق : ١١٧ .

— موقعة حسن بن خير الدين من أمير بني عباس —

لم يهتم حسن بن خير الدين بإيرانه الممثلة بينه وبين الأعداء الأسبان لمسبب هبل ساس للقيام على الزمامات العملية المتعددة ، واستعمالها ، ومن هؤلاء : أمير بني عباس ، وأمير تونس . وقد أصبح عبد العزيز أمير بني عباس يشغل من أرا تهيروا على العثمانيين ، إذ لم يتخف برفضه الأشخاص لهم ، وإنما كان يقوم أيضا بمهام مهمة المناطق الخاصة لسيارتهم ، ويهددهم في بداية ، كما ويهدد مواضعهم مع قسنطينة ، ويهدم استعدادهما للتحارب مع السعديين . وما كان يزيد من قلق نظام الجزائر ، أن قوته العسكرية كانت في تزايد مستمر ، بما كان يضعه إلى صفوفه من الأسبان الهاربين من سجون أتراك الجزائر ، ومن مسلمة النصارى (١) الأمر الذي جعل حسن يقرر محاربتهم ، فجهز لهذا الغرض عسكتين (٢) الأولى ، في سنة ١٥٦٦ هـ / ١٥٥٨ م ، وفيها اهتم على الخصوص ببناء بعض الأبراج في المناطقة المجاورة لمقر عبد العزيز كنج مبانته ومن زمره ، بنى حصنه في قلعه ، وتوفير الأمن لحرب سهول مبانسة وغيرها ، وتأمين طريق المواصلات بين الجزائر وقسنطينة . إلا أنه ما كان يعود إلى مدينة الجزائر حتى هجم عبد العزيز على الأبراج والعصبات القريبة فيها فأبادها واستأصل شأفة من فيها .

وقبل أن يقوم حسن بعملته الثانية حاول استمالة أمير بني عباس من طريق العصاة ، ولكن عبد العزيز رفض أن يزوجه من ابنته ، وسئل ما الذي أبى القاضي أمير توكو ، وتزق من ابنته واشرك صهره في العملة على خصمهما المشترك . وبعد ما أركه صيغة جديدة ، كان النصر يؤول فيها إلى عبد العزيز ، ثم قتلته ، واستلم القيادة أشوه " امقران " ، واستمر في المقاومة ، الأمر الذي جعل ابن خير الدين ينسحب بعد ثمانية أيام من القتال دون أن يحقق انتصارا حاسما . وكان ذلك أشد وصول أنباء بتحريك السلطان السعدى إلى تلمسان ، وتحريك حملة مسيحية ضخمة مؤلفة من الأسبان وحلفائهم إلى دارابلس الغرب . تستمدف القيا على الوجود العثماني في الشوسى الغربى المتوسط ، وبعد قلاع طريق الامدادات من الإثراء العثمانيين فيه . وهي الحملة التسمي تخدمت في بربيه سنة ١٥٦٨ هـ / ١٥٦٠ م (٣) أمام الأسطول العثماني . فنجت بذلك الجزائر من خطر جسيم ، أما انسحاب السعديين في أعقاب ذلك من تلمسان دون قتال . ولكن أمير بني عباس الذي بقي متغفلا باستقالته ، ونفوذ له ليس فقد . على مذاقته ، ولكن أيضا على المناطق المجاورة لها من جهة الجنوب والشرق ، ومستعدا للاعتراك مع موحية الأتراك (٤) .

وبد حبيب مايد والى ان حسن بن خير الدين اعترف بأمر بني عباس أميرا تايها دون أن يكون صبرا على دفع الضريبة له ، وأن هذا الأمر اقام معه تعالفا دافيا وموسما (٥) .

- (١) مايدوه الحرب السابق من ١١١
- (٢) نفسه ، وهو لا يتعدى إلا من حملة واحدة في سنة ١٥٥٩ في حين يتحدث مارمول حسن
- أثنين ، وأنظر أفريقيا جزر ٢ ص ٤٢٨
- (٣) مارمول ، نفس المصدر ص ٥٥٢ - ٥٦٠
- (٤) نفسه ، جزر ٢ ص ٤٢٧ - ٤٣٠
- (٥) مايدوه الحرب السابق من ١٢٠

وأن حسن بن خير الدين قد أخذ يمدد حملة على المماليك في المغرب سنة ١٥٦٨ م / يوليو
قادة البند الانتشاري عليه القبض وأرسلوه مقيدا إلى استانبول في ذي القعدة ١٥٦٨ م / يوليو
١٥٦٩ م بدوى أنه كان يتقرب كثيرا من المماليك ويريد الاعتماد عليهم تمهيدا للاستقلال بحسن
الدولة (١).

وهذا الموقف من البند الانتشاري، وقادته بدل على تزايد دخارهم على غلام الجزائر
هذا الدخار الذي ما انفك يكتسبوا من سفره لبيع الذرة في نهاية المرحلة مؤمن الدرر.

الولاية الثالثة لحسن بن خير الدين - حسن
١٥٦٩ - ١٥٧٤ م / ١٥٦٩ - ١٥٦٩ م

تمنح حسن بن خير الدين من قبله بما اتبعه به قادة الانتشارية • وبعد وفاة خاله
البارباري أحمد بعد بضعة أشهر • وبعد أنه بعثه إلى الجزائر للمرة الثالثة في شوال ١٥٦٩ م /
١٥٦٩ م أي بعد نحو سنة قدما من خيابه من الزاوية (٢).

وقد وجه حسن بن خير الدين في ولايته الثالثة اهتمامه إلى تحرير وهران والعرض الكبير
من الأسبان لتأنيده مرارا أن لا اطمئنان على مستنانيه وتلمسان وكل الغرب الجزائري • ومد يد
الجزائر نفسها • طالما بقي الأسبان فيها • وأن التقدم على أية حملة على المغرب المماليك •
والأسبان في وهران • ورسالة النهر من ناحية كبيرة • لأن من الزبوجة يكون مهددا بالقناج حسن
قبلهم (٣) إلا أن حملته عليهم في سنة ١٥٧٠ م / ١٥٦٩ م قد باءت بالانقراض بعد حصار
دام شهرين • لاستبسال الأسبان في المقاومة • حتى جاءهم مدد كبير من أسبانيا • الأمر الذي جعله
يأمر برفع الحصار عنها على مضض (٤) • على أمل القيام بمحاولة أخرى •

وأن رد الأسبان على هذه الحملة • القيام في ذي القعدة ١٥٧٠ م / يوليو ١٥٦٩ م •
بمطالبة ضد حصار باد من الذي كان بيد الاتراك العثمانيين منذ ١٥٦١ م / ١٥٥٤ م • انتهت حربي
الجزائر بالفشل • ولحقهم أضرار بالغة في القوة القتالية وتخلفوا من احتلاله في ٢٨ صفر ١٥٧٢ م /
٦ سبتمبر ١٥٦٤ م (٥).

وبينا أن يريد حسن بن خير الدين التخلي عن نهائيا من الأسبان في وهران والعرض الكبير
والله لهذا الغرض يحاول العثمانيين • وأن العبدان من أسبانيا البدء أولا باحتلال جزيرة مالده
التي كان فرسانها وقراصنتها يشغلون حصارا على الموانئ بين الجزائر والدولة العثمانية •

- (١) مايدو • المرحوم السابق ص ١٢٢
 - (٢) مايدو • المرحوم السابق ص ١٢٢
 - (٣) بداية حملته على قاس في أبريل ١٥٥٨ • مشيئة أن يكون الأسبان قد قلعوا الداريق الهيرى
ما حسن من داريق البحر • • وقرأه • المرحوم السابق ص ٨٧
 - (٤) مايدو • المرحوم السابق ص ١٢٢ • ١٥٧١ - ١٥٨٤ • مايدو • المرحوم السابق ص ١٢٨
 - (٥) مايدو • المرحوم السابق ص ١٢٢ • ١٥٦٩ م / ١٥٦٩ م
- (٥) مايدو • فرنسا • ١٥٦٩ • ١٥٦٩ • مايدو • المرحوم السابق ص ١٢٢ • ١٩٣٤ م • ٣٧ •

على الاسطول العثماني لتحتلها في الحقيقة الواقع بين الحوضين الشرقي والغربي . فدعا
من ابتداء من سبتمبر ١٥٦٤ لاستعداد الحملة عليها (١) . وكانت مشاركة الجزائر في الحملة
في مالطة في شوال ٩٧٢ - صفر ٩٧٣ / ماي وسبتمبر ١٥٦٥م مشاركة فعالة بقيادته (٢) ، ولسو
في الفصل كان مصير هذه الحملة .

وقد قام حسن بن خير الدين قبيل نهاية لانسجام في حصار مالطة . بتحسين حالته مع
الدولة بن محمد الشيخ المهدى حتى يأمن من وجهه على الغرب الجزائري في اثناء غيابه عن الجزائر ،
فحينئذ تولد الدارقين الى الحملة . ضد الاسبان ، الامر الذي دفع الملكة فيليب الى ارسال
زيدات الى وهران (٣) .

ومكافأة من السلطان سليم بن سليمان لخدمات حسن بن خير الدين التي قدمها للدولة
منه بعد موت بيهانه باغا اميرالا لبحرية العثمانية في رجب ٩٧٤ / ١٥٦٧م فنادى بالجزائر
مائي (٤) . بعد ان كان قد ثبتت النظم العثمانية فيه ، ونظف وراءه تنظيمها اداريا لها . ففي
يده تم تقسيم الجاند الجزائرية الى ثلاثة اقسام رئيسية هـل قسم كان تحت اشراف باي ، ولذلك
ان هذا القسم يدعى بايلاسك ، وهذه الاقسام او البيالات هي :

١- بايلك الغرب : وقد استعدته اثر عودته من حصاره لوهران والدرسي الكبير ٩٧١ / ١٥٦٣م
جعل مقره في مدينة مازونة القديمة الدائمية الواقعة بين تونس ومستغانم . ويشغل موقعها مسطحا
تت غير ممددة من قبل الاسبان ، لما ان هذا الموقع كان يسهل للباي ان يقدم مساعدته على
فاج السرعة لكل من حاميات تدر ومستغانم وقلعة بني راشد ، وحتى الى تلمسان .

٢- بايلك الجنوب : وهو اقدم من الاول ، هـل استعدته في سنة ٩٥٥ / ١٥٤٨م .
تت قاعدته مدينة المدية الدائمية (٨٥ كلم جنوب مدينة الجزائر) ، وحده من الشمال مسهل
تجربة ، ومن الشرق وطان بني سليمان ، وسور الخزلان ، ويحده جنوبا الى احصاق الصحراء .

٣- بايلك الشرق : وكانت قاعدته مدينة قسنطينة ، ولا يعرف بالنيابة متى استعدته ، وذلك
في مدينة قسنطينة التي توافر بين الاتراك العثمانيين في الجزائر والحفصيين في تونس ، الى
تم خلعت ثمائيا لفنود الجزائر ٩٨٠ / ١٥٧٢م . وسبب احد الحرائج (٥) . فان اول باي
قسنطينة هو : رمضان الذي تولى في حدود سنة ٩٥٠ / ١٥٤٣ - ١٥٤٤م) ، وعليه فيكون هذا
بايلك اول البيالات المستحدثة .

٤- وهناك قسم صغير راي كان يقعد بين دامن شرقا ، وتغر غربا ، وبين البعرة مالا ، والحدود
من الية لبايلك الجنوب ، كانت ادارته تحت الاشراف المباشر للبايلري ، وهو الذي كان يعرف
بدار العسكران .

(١) (٢) مايدو : المزيغ السابق ص ١٢٠

(٣) م . م . انظر : جز ١ ص ٨٥

(٤) مايدو : المزيغ السابق ص ١٢١ ، ويرسي : المزيغ السابق ص ٣٢ ص ١٠١

(٥) انظر : محمد المهدى : ام الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ قسنطينة) ، قسنطينة

١٩٨٠ ص ١٥٣ وهو ينقل عن اللبيري : ملاح السفينة في بصر قسنطينة .

وقد كان كل بايكة يشتمل على عدد من الأقاليم والى وائل ومان على عدة قرى وقبائل • وكان
عظم الزمان يستند عادة الى تربي أو تلوطين ، والحكم في القرى والقبائل لشيوخ من أهلها •

والقبائل حسب خلافتها بالسلافة ثلاثة أنواع :

١- قبائل موزنية متساوية من الدولة المزمعة سلاتها وحفظ الامن وجمع الضرائب •

٢- قبائل الدائرة وكانت هذه تعد الدولة بحوزتها المادى والبشرى عند الحاجة ، وسلا

الموسم من كان محفيا من اداء الضرائب مقابل خدماته •

٣- قبائل الرعيمة ، وهي التي كانت تدفع الضرائب ، ولا تتمتع بأى افضاء •

وعناك عدد من رؤساء القبائل والاسر الكبيرة ، وليس القاصي ، وليس حياض ، وليس بجازب وغيرهم ،
الموا يستغلون بفقرهم مع الشهادة لاشراة الثمانيين (١)

وقد انشا حسن بن خير الدين ندلك ، موهبة من الابراج والحصون في مدينة الجزائر
والمقاطعات ، اسمها : البن الذي يعمل اسمه في مدينة الجزائر والذي بناه في سنة ١٥٥٢م / ١٥٤٥م

في الموقع الذي شيع فيه الامبراطور شارلمان الذي دخلته على الجزائر ١٥٤٨م / ١٥٤١م ، ولم يكن
يعمل ايضا اسم بن الامبراطور ، وقد كان هذا البن صغيرا ثم وسعه حسن فنزاه سنة ١٥٨٥م /

١٥٧٧م وهو لا يبعد عن مدينة الجزائر الا بنحو ١٧٠٠ خدوة نحو الجنوب (٢) ومن مباناه
ومن زمره وغيرهم (٣)

ومدينة لاندلسيين في التليمة (٣٠ كلم غرب الجزائر) سنة ١٥٥٧م / ١٥٥٠م كان يسمونها
اشرم (٣٠٠) عائلة من مختلف شعوب الاندلس (٤)

وبنى مستشفى في مدينة الجزائر (٥) وحاما بميلانها ايضا • وساهم في بناء مرسى
مدينة الجزائر (٦) • وبنى بها : ميسا (٨)

حسن بن صالح رايى • عائلة حسن بن خير الدين •
١٥٧٦-١٥٧٧ / ١٥٦٨-١٥٦٩

استلمه مدبر صالح رايى العظم في الجزائر خلفا لحسن بن خير الدين في رجب ٩٧٤م /
جانفي ١٥٦٧م • ولم يكن غريبا عن الجزائر فقد كان فيها في عهد والده ، وساهم في الخطبات

الدينية في عهده نقاب وقائد ، فقد ارمها قيادته بطلقة لاجتماع امير بني حياض في ١٥٦١م /
الدينية في عهده نقاب وقائد ، فقد ارمها قيادته بطلقة لاجتماع امير بني حياض في ١٥٦١م /

١٥٥٢م • ولحق عهده تلك بامت بالخدمة في (٩)
(١) انار من التتاليم الاداري خصوصا في عهد البابا رايان ، الفصل الثامن من كتاب تاريخ

افريقية الشمالية اميرسي • جز ٢ ص ١٢٨ وما يليها •
(٢) هايدو ، الطوفان في المغرب السابق • عدد ٨٢ ص ٤٢٨ • ٤٢٠ •

(٣) مارمول ، افريقيا جز ٢ ص ٤٢١-٤٢٢ • بناها لدى عهده ضد امير بني حياض سنة ١٥٦٥م /
١٥٥٨م •

(٤) نفسه • ص ٢٦٩ •
(٥) انار يتن من البقين ارضي وطلوى فيه حمر خرف فقط ، انار هايدو ، الطوفان في المغرب

السابق • عدد ٨٨ ص ٣١٠ •
(٦) انار هايدو ، الطوفان في المغرب السابق • عدد ٨٩ ص ٣٨٤-٣٨٥ •

(٧) ميرسي ، المغرب السابق • جز ٢ ص ١٤٥ •
(٨) بناء الشقيق امير بني حياض الذي واقاه الاجل في الجزائر ، انار هايدو ، الطوفان في المغرب

السابق • عدد ٩٠ ص ٤٦١ •
(٩) مارمول ، المغرب السابق • جز ٢ ص ٤٢٧ •

١- أما اسم انجازاته على الصعيد الداخلي في ولايته فمهمسي :

استعمل الخلاف الحزين الذي كان بين رجال البحر او طائفة الرهاص والانتشاريين ، بتحويله الى التوفيق بينهم ، بحيث جعل رجال البحر يسعون للانتشاريين بالمصاحبة معهم في عمليات الغزو البحري ، حتى يصلوا على نصيب من الغنائم ، وقد كانوا يرفضون ان يشركوهم معهم ، وفي مقابل ذلك فتح ابواب الدخول الى سفوف الانتشارية (او الجيش البحري) لكل من يرضى في ذلك من رجال البحر الاتراك ، ومسلحة القناري (١) الا ان الخلاف لم يزل قائما لأن رجال البحر ظلوا يحرصون على ألا يشاركهم في الانتشارية في عمليات الغزو البحري بل سيشتد اشرفي الفترة ما بعد ولاية محمد بن صالح راجس .

٢- تعزيزه للقوة الدفاعية لمدينة الجزائر ، بانشاء برجين آخرين اتم انجازا احدهما في عيسه وانقل الآخر خلفه الحلي (٢) .

٣- قمعه لثورة قام بها اهل مدينة قسنطينة بشدة في سنة ١٧٦٦هـ / مارس ١٥٦٨م (٣) جعل السلطان العثماني الذي تلقى شكاوى منه من اهل المدينة يحزله ويعين بدلا للحلي عليا .

٤- انشاؤه لحمام اشرفي مدينة الجزائر على قرار حمام حسن بن ميرالدين (٤) واما اهم حدث وقع في هذه على صعيد العلاقات الخارجية ، فمحاولة خوان غاسكون (Juan Gascon) الاسباني الفاشلة لاقراق السفن الجزائرية والالاق سراج الاسرى المسيحيين في اواسد اعوام ١٧٧٥هـ / ١٥٦٧م اعباءة المدينة واعتادها بمساعدتهم ، مهددوا انه قد ان على صلة بالاسرى النصارى ، وكان عدد هم كبيرا في الجزائر .

وقد حاول الفرار ببعض الاسرى بعد فشل محاولته ، ولكن بعبارة الجزائر القوا عليه القبض في عرض البحر ، وقضي عليه تحت التمدية (٥) .

محمد الحلي (٦) (١٧٥٠-١٧٦٥هـ / ١٥٦٨-١٥٨٧) :

هو واحد من الاعاين الذين استاءوا بعد استلامهم ان يرتقوا الى اعلى المراتب في الدولة العثمانية بفضل نشاطهم ومجتهم . عين بايلربايا على الجزائر في رمضان ١٧٧٥هـ / مارس ١٥٦٨م خلفا لمحمد بن صالح راجس في اقطاب اعتماد هذا الأمير لثورة قسنطينة ، وعمله للخلاف الذي كان قائما بين الانتشارية والبحرية لما مره ولذلك فان الحلي عليا صرفه انشراعه الى توسيع النفوذ العثماني في الحوض الغربي للمتوسعة ، فصحى الى ضم تونس ، ومساعدة ثورة الاندلسيين

(١) هايدو : ملوك الجزائر ، ص ١٧٢-١٥٥ .

(٢) اندر جنبها : هايدو ، الداويزرافيا ، في البداية الافريقية عدد ٨٢ ص ٤٢٥-٤٢٨ .

(٣) هايدو : ملوك الجزائر ، ص ١٧٤-١٣٥ .

(٤) هايدو ، الداويزرافيا ، عدد ٨١ ص ٣٨٦ وما يليها .

(٥) بشار فلنسي : اندر عن مفاخرته : دوفرامون ، المزين السابق ص ١٠١-١٠٢ .

(٦) هايدو : ملوك الجزائر ، ص ١٧٦ وما يليها .

وقد اعد الملق علي حملة لبيصرة و كان ينوي توحيدهما في الواقع لتحرير وهران ، وفي الوقت الذي كانت مستدلي فيه ثورة طومسة في الاندلس ، اعد لها بالتنسيق مع الجزائر ، فيشنغل الاسبان من تقديم الحون لورمان ، ويعتق الاندلسيون بحون الجزائر ما ينفونه من حرية واستقلال . الا ان الاسبان اتشفوا انسر الثورة قبل قيامها ، وتبجروا الى ما عن علي الملق علي ، فاشدوا احتيااتهم . ومن ثم تأخر اندلاع الثورة قليلا ، وحصل ل علي علي اتجاء مملته من وهران في الحرب الى تونس في الشرق .

في ضم تونس : ١٩٧٧هـ / ١٥٦٩م

كانت تونس لما اوضحنا ذات أهمية حيوية بالنسبة لتأمين التزود العثماني في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ولذلك كان احتلالها دوما نصب عين عظام الجزائر منذ عهد خير الدين ، وكما افتم هذا الاخير اوضاعها السيئة لشحن حملة عليها في سنة ١٥٣٤م ، وافتم الحلقي علي الاوضاع المتردية فيها في عهد السلطان محمد بن الحسن الحفصي والدعوة التي تلقاها من بعض الناقسين على الوضع من اعيان تونس . ومن الاتجا نأبي ال ايب الغدار وغيره (١) وانشغال الاسبان بثورة الاندلسيين التي اندلعت في صيف ١٥٧٦م / راني ١٥٦٩م ، فشن حملة برية على تونس في رماي الاولى ١٥٧٧م / اكتوبر ١٥٦٩م ، وتخذ من احتلالها في رجب / ديسمبر من نفس العام ، بعد انتصاره على السلطان الحفصي المذخور في مرسى بار ، وسين علي الحداب ، وقرار هذا الأخير الى الاسبان ، والبا مؤتمهم لاسترجاع مائه ، كما تخذ من اخضاع المدن الساحلية والمناطق الداخلية (٢) وارسل في الب الاساول العثماني وقوات عثمانية تهيئة للقضاء على الحين الاسباني القوي في حلق الوادي ، وان يدون القضاء على هذا الحين تذل تونس مهددة وبذل النفوذ العثماني فيها ممرضا للمراسر (٣)

ولكن السلطان العثماني كان في حاجة الى الاساول لفتي قبرص فلم يذهب بالتالي الى الب ، وحاد الحلقي علي الى الجزائر ، وتأخر الهجوم على حلق الوادي الى سنة ١٩٨٢هـ / ١٥٧٤م ، كما مد غري واستغلف على تونس القائد رمضان حامية من الاتراك والزوايين .

في مساعدته لثورة الاندلسيين :

(٤)

قدم الحلقي علي لثورة الاندلسيين التي اندلعت في الايام الاولى من سنة ١٥٦٩م حون الجزائر المادي والبشري غير المحدود (٥) . فارسل الاساول الجزائري معلا بالمتدوين والاسلحة والذخيرة ، رغم ان الفصل الذي اندلعت فيه الثورة كان غير مناسب للبحار ، وقد شتت الحاصفة اثنتين وثلاثين سفينة منه ، ولم تتخذ سوى سبع سفن من ثغرين مملتها ، مما عن الثورة من مد كبير . (١) (٢) اندلعت اوضاع السلطانين ابي دينار ، المومن من ١٦٩م ، بما يلهمها ، وما يدو المومن من ١٤١م

(٣) عزيز سامي ، المرنج السابق من ٢٣٦ و ٢٣٧

(٤) اندلعت هذه الثورة : رسالة فيرثوفو السفير الفرنسي في اسبانيا الى دائرين المديتية بتاريخ ١٥٦٩ / ١ / ٦ ، في رسالة تاون عدد ٧ من ١٠ ، واندلعت هذه الثورة / نهاية اندلس

وتاريخ الحرب المقدس في ١٥٦٩م ، احيى السباح : ثورة مساحي الاندلس في رسالة الاسالة عدد ٧٧ الجزائر ١٩٧٥

(٥) من الحون الذي قدمته لثورة : رسائل فيرثوفو الى دائرين بتاريخ ١ / ٦ و ١ / ١٣ / ١٥٦٩م ، في رسالة تاون عدد ٧ / ٧ ، وما يدو ملوك الجزائر من ١٣٩ - ١٤٠

امون : المرنج السابق من ١٠٥ - ١٠٥

لوران المدد الجزائري لم يتفاجأ بعد ذلك من الشواربم انشغال الحلق علي في تونس، وتشديد
الاسبان الحراسة على شواطئهم للسيولة دون وصول أية امدادات للشوارب .

في ١٠ جمادى الاولى ١٠٩٧٧ / اكتوبر ١٥٦٩ م، ارسلت الجزائر عدة اخرى للشاويين، كانت
تألف من (٤٠٠٠) مقاتل ونحو (٥٠٠) من قدامى الانتشاريين قادة لهم .
وفي ديسمبر من نفس العام تمكنت سفينتان جزائريتان من انزال الذخيرة والاسلحة
للشوارب .

الا ان انشغال الحلق علي في تونس، والسلاان العثماني في قبرص، ثم انشغالهم
بالاستعداد لصد حملة صليبية تهييئة اعداء الاسبان والبنادقسة وحلفاؤهما قد حصر
الاندلسيين من دعم حقيقي . وان لم يفقد هؤلاء الاامل في هذا الدعم (١) الا بعد ان تعلم
الاسدول العثماني في ليبانتسي في ١٠ جمادى الاولى ١٠٩٧٩ / اكتوبر ١٥٧١ انهم استطاعوا
الصليبية المذكورة .

مشاركة الجزائر في معركة ليبانتسي .
١٧ جمادى الاولى ١٠٩٧٩ / ٧ / ١٠ / ١٥٧١ م

وقد كانت مشاركة الجزائر في معركة ليبانتسي مشاركة ملحوظة ، وفيها برز بحارتها بقيادة الحلق
علي . تأخر ربحان البحر ، وكانت السفن الحربية الجزائرية هي الوحيدة التي نجحت من
العارضة التي لحقت الاسدول العثماني في هذه المعركة البحرية الهامة (٢) .

وتقديرا من السلطان العثماني (سليم الثاني) لادور الحلق علي في هذه المعركة ، وفضله
في انتقا ما تبقى من الاسدول العثماني ، اسند له مقاليد هذا الاسدول من الاحتفاظ ببنفس
بايلرباي الجزائر ، وذلك في ٧ ذي القعدة ١٠٩٧٩ / ٢٢ / ٣ / ١٥٧٢ م (٣) .

وقد نجح الحلق علي في اعادة بناء الاسدول العثماني في ظرف قصير ، مما فوت على المنتصرين
الاستفادة من انتصارهم (٤) . وقدم للدولة العثمانية خدمات جليلة من موقع منصبه الجديد ، الا انه
لا يمكنها الا ما تعلق بالجزائر وما جاورها ونفيا .

استمر في خدمة السلطان العثماني (سليم الثاني) على استراتيج تونس، والقضاء على الحصن
الاسباني في حلق السوادى .

وقد كان دون عنوان قائد الحملة الصليبية التي انتصرت في ليبانتسي، قد استقل تونس في ١٨١١ م /
١٥٧٢ م وانتزعا من ايدي العثمانيين ، وتقاتل معهم فيها مع السلطان محمد بن الحسن العفص (٥) .

(١) انظر راجع السلطان العثماني سليم الثاني الى اعيان (مندبول) بالاندلس الذين داهوا
ارسال الاسدول العثماني ، وهو يتألف ١ صفر ١٠٩٧٩ / ٢٥ / ٦ / ١٥٧١ م في مهمة دفترى
رقم ١٤ / ص ٤١٠-٤١٢ .

(٢) انظر من الدور البارز للحلق علي في المعركة ما يدور المرح السابق ص ١٤٧ .

(٣) مهمة دفترى رقم ١٠٩٧٩ م وما يدور المرح السابق ص ١٤٧-١٤٨ .

(٤) Braudel (F.) : La Méditerranée et le Monde Méditerranéen. Paris 1936.
t.2, P.P.395-396.

(٥) ابن ابي دينار / المؤرخ ص ١٧٤-١٧٥ .

فوافق السلطان العثماني على تزويج حفلة ضخمة لثريير تونس وحلق الوادي في سنة ١٨٨٢م / ١٥٧٤م . وكان الحلق علي هو قائد الاسطول ، وسنان باشا قائد الحملة . وقد نجحت هذه الحملة في تحقيق اهدافها ، حيث تمت من القضاء على الوجود الاسباني في بعض البازد التونسية ، كما تمت من القضاء نهائيا على الدولة العفصية . وبذلك ، خلا من تونس للعثمانيين (١) وازداد اطمئنان البزائر على هذا مواصلة لها مع حاكمية الدولة العثمانية .

٢- تجديده للسلطان العثماني (مراد الثالث) على ضم المغرب في ١٨٨١م / ١٥٨١م وقبل ذلك على التدخل فيه لصالح الامير السعدي عبد الملك ، الذي كان لا يثق عند الاتراك . وسفود للعديد بالتفصيل عما تم عمله بهذا العهد في الفصل الخامس عشر .

وبخاتمة القول : فان الحلق علي كان احد اشهر البايبريات ، واشهرهم ايها ، ان انه لما توفي في ٢٨ رجب ١٢١٥م / ٢٢ / ٦ / ١٥٨٧م ، انتهى السلطان مراد الثالث العمل بنظام البايبريات في البزائر . واصبحت البزائر مجرد باشاوية مثلها مثل تونس ودارالبلد وغيرها من الباشاويات في الدولة العثمانية ، ويحكمها باشا لمدة ثلاث سنوات او اقل ، كما سترى عند الحديث عن سمات عهد الباشاوات .

وقد كان الحلق علي ايها احد ابرز القادة العثمانيين البصريين ، واشهرهم ذكرا ، ونبؤهم . وما يشهد على نبؤه انه فكر في فتح قناة بين البحر المتوسط والبحر الاحمر (قناة السويس) . وما عرف العمل في عهد السلطان العثماني سليم الثاني ، ولكن هذا الاخير كان شعبيا فيما يبدو في الاتفاق عليها ، وتأخر فتحها ثلاثة قرون (٢) .

وقد تداول على خلافة الحلق علي في البزائر بعد استلامه مقاليد البحرية العثمانية خلال الفترة (١٨٠-١٩٥م / ١٥٧٢-١٥٨٧م) عدة باشاوات ، كان لكل واحد منهم سهم سود ، وشعاره المتميز .

ولذلك يمكن ان يعتبر عهد الباشاوات الفعلي قد بدأ من عام ١٨٠م / ١٥٧٢م بدل ١٩٥م / ١٥٨٧م وهو الباشاوات هم :
١- احمد باشا العربي (٣) : (١٥٧٢-١٥٧٤م) ؛

عربي الاصل من اسندرية مصر وتولى البزائر (٤) ، وبعد الفرية القاضية التي تلقاها من الاسطول العثماني في ليبيا ، وما تلاها من تهديد دون خوان بعملة على شمال افريقيا فهاجم دارالبلد .

- (١) انظر تفاصيل هذه الحملة ونجاحها في برموداي ، الحرب المايك من ١٨٥٢-١٨٨٥ وبين ابي دينار ، الموتى ، ص ١٨٦ وما يليها .
(٢) دوترامون ، المربع السابق ص ١٢٢ .
(٣) انظر عنه هايدو ، ملوك البزائر ص ١٥٤-١٥٧ .
(٤) وصل الى البزائر في ٢ / ٥ / ١٥٧٢م ، وبهتة عبد الملك السعدي ، انظر ص ١٨٤-١٨٥ .

أولا : بأجراء المزيد من التحسينات في مدينة الجزائر تحسبا للهجرة ، فبنى لهذا الغرض عددا من الحصون والقلاع لإلا مسوار ، ووسع المندى الصيدك بالمدينة ، ودعم الأبواب وهددنا وأزال من حول القصبنة المبانى التي كانت ملتصقة بسورنا ، والبساتين القريبة منها حتى لا يتخذها العدو متارسله . (1)

ثانيا : بالتمدد أو انخضاع الثورات التي قامت هنا وهناك اغتناما منها للفرصة المصيبة ، (2) وربما بتحريض من الأسباب تميدا لحظتهم التي وجمت أخيرا إلى ترنم في جمادى الثانية 988 هـ / أكتوبر 1573 م ، هـ سورة الفريق الموالى للحفصيين ، والمناون للحم الحثاني في قصه ليلة برغامة عبد المؤمن شيخ الاسلام ، وأولاد ساره ، وذلك في سنة 980 هـ / 1572 م ، وقد تمكن من القضاء عليها بقتل عبد المؤمن ، وثقوة الفريق الموالى للحم الحثاني فيها برغامة عبد الكريم بن الفنون ، (3) وثورة أمهر بنى عباس في السنة التالية 981 هـ / 1573 م التي لم يتمكن من القضاء عليها مبرما بالرغم من الحاق الهزيمة برغيمها في معركةين . (4)

ثالثا : بالاحتياط لهجوم محتفل من قبل عبد الله بن محمد الشيخ السعدى على تلمسان ، (5) لمجد ان تمكن من اغتيال أخيه عبد المؤمن فيها . (6)

ورابعا : بالاستعداد للمشاركة في الحملات العثمانية لتحرير تونس وخلق الرادى سنة 982 هـ / 1574 م . وقد كانت علاقته مع الانكشاريين حسنة ، على الحد من علاقة الـ علي بهم . (7) إلا انه مات مقتولا فسي سنة 986 هـ / 1578 م على يد زملائهم انكشاريين بـ جزيرة تيبور . بقي أصبح واليا عليها في سنة 985 هـ / 1577 م بعد استدعائه من الجزائر ، (8) في سنة 982 هـ / 1574 م . (9)

(1) انظر عن هذه المنشآت : نايدو ، الديموغرافيا في المروج المطبق ، عدد 83 ص 419 .
(2) نابل اينما ملك فرنسا اغتنام أنظر مابعد لبيانتى ليدالب بن السلطان الحثاني اسناد حكومة الجزائر لا تيسر
أنسو ، أنظر ميرسي : المروج السابق 3 ص 113 .

(3) اسندت المناصب الدينية التي كان يتولاها عبد المؤمن بامارة رجب الحج ، منذ الحم الحفصي ، وشيخ الاسلام له . انظر عن عبد الكريم هذا : منشور الجدايا لحفيدة عبد الكريم (ص 406) .

(4) مهمة دفتون رقم 22 ص 317 ، حم رقم 418 بتاريخ 13 / 4 / 981 هـ .

(5) كانت الجزائر قد حاولت عقب معركة لبيانتى عقد حلف مع عبد الله السعدى في سنة 1572 م ، لكن سفيرها حارب مراد لم يستقبل ، انظر الفصل الرابع .

(6) كان عبد المؤمن وأخوته قد التجأوا إلى الجزائر خوفا من بدار انعيم عبد الله بهم منذ سنة 1559 م ، اصفا اغتيال عبد المؤمن فدان تبيل فيفري 1572 . انظر اعلم عبد الطل للسلطان بوفاته في : مهمة دنتون رقم 18 ص 150 بتاريخ 27 / 9 / 979 هـ .

(7) حسب نايدو : ينون الانكشاريون قد مددوا العلى بالقتل ، وأنه ذهب من الجزائر بالمبارك ، لما دعي للمشاركة في معركة لبيانتى ، انظر طوك الجزائر ص 145 .

(8) حسب نايدو أيضا : فان الاتالى في الجزائر هم الذين ذهبوا تبديله بـ رمضان باشا . انظر طوك الجزائر ص 159 ، وخامس 2

(9) نايدو : نفس الحد والسابق ص 157

وأمام استعدادات فيليب الثاني الشخمة لغزو جارتها البرتغال في سنة ١٥٨٨/ ١٥٨٠ م اجبرى
 حسن فينزيانو مزيدا من التعصيفات في المدينة (١) خشية ان تكون تلك الحملة موجهة ضد الجزائر.
 ان كان لا يعلم وبنيتها . وكان قد قام هو على رأس غزاة الجزائر بعملية بحرية على ما يورثه والينانت وغيرها
 المشوارى . الاسبانية في صيف سنة ١٥٨٦/ ١٥٧٨ م وشجع غزاة الجزائر على الغزو البحرى (٢)
 وقد فادر الجزائر في شعبان ١٥٨٨/ سبتمبر ١٥٨٠ م بعد وصول جعفر باشا ، في اشهر
 الشكوى التي تقدم بها اهالي الجزائر ، وعندما انتشأرى غده ، كما اسلفنا - الى اسفلان
 المشانق .

د - جعفر باشا (١٦٨٨ - ١٦٩٠ / ١٥٨٠ - ١٥٨٢) :

احله من العبره وتقلب في مناصب عديدة قبل ان يعينه السلطان العثماني على رأس خوخسة
 الجزائر التي اضاربت الاوضاع فيها . ولم يكن من المقربين من الخلي على ، فان حاكما حاد لا
 يشهد ما يدور الذي ان في الجزائر حينئذ ، وكذا ، ولا يثا (٣) . وقد تولى جعفر باشا من اعادة
 الامر الداخلي الى مجاريها ، وقضى على مؤامرة حاكمها ، هذه قادة الجند الانتشار .

اما سياسته الخارجية ، فتعززت بتشجيعه للتجارة في الجزائر مع الدول الأوروبية من ابريق
 دعوة التجار الأوروبيين ، والذين كان منهم في الجزائر ان ينتقل الى آخرين في اسبانيا ، وفي كسل
 البلاد المسيحية للمعنى . بلل حرية ، وبعد بأن تكون معاملته مسخرة (٤) .

كما اتسمت سياسته بميله الى اقامة علاقات حسن جوار مع نظام المغرب ، ولذلك لم يتعمد
 حملة الخلي على ضد هؤلاء . وكان هذا الأخير قد جاء الى الجزائر في ربيع الثاني ١٦٨٩/ ماي
 ١٥٨١ م على رأس الاسطول العثماني بغية غزو المغرب ، وسفرى ذلك في الشبل الخامس ، ولذلك
 ما ناد الخلي على يعود من الجزائر الى استانبول حتى استمدى جعفر باشا ، واحيد حسن فينزيانو
 الى الجزائر .

الولاية الثانية لحسن فينزيانو :

١٦٩١ - ١٦٩٥ / ١٥٨٢ - ١٥٨٧

انتم في ولايته الثانية بتنشيد الغزو البحرى على اوسع نطاق ، ومشاركتها بحرية في (٥)
 واستمراره بقايا مسلمي الاندلس وبروز عدد من غزاة الجزائر ، اقيمت شهرت مع الاتفاق فنامسي
 ارناؤوا ، وبران رايس على سبيل المثال (٦) . وقد وضع هذا الأخير من نشاطه ليشمل اهلها الصعيد
 المسيحي ، ومشارف اوريا .

ولما توفي الخلي على في ٢١ رجب ١٦٩٥ / ٢٢ / ٦ / ١٥٨٧ م دعي حسن لشانقته ، وقد اظهر
 في هذا المنصب مقدرة لا تقف عن مقدرة سلفه ، واستفاد بانضمام الجديد الى ان توفي في ١٠٠٠ / ١٥٩١ م .

- (١) انوار من مذقات مميزات : ما يدور عن تاريخ المايق ص ١٧٧ من الالهوفرافيا عدد ١٧٦ - ١٧٦ - ١٧٦
- (٢) ما يدور : طوطم الجزائر ص ١٧٦
- (٣) (٤) نفسه : ص ١٨٢ - ١٨٦
- (٥) نفسه : ص ١٩١
- (٦) انوار من ذقات مميزات : ما يدور / نفسه من ص ١٩٦ وما يليها .

البحر في عهد الباشاوات

١٩١٥-١٩٠٦ / ١٥٨٧-١٥٨٦م

=====XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX=====

د. المؤرخون الذين تناولوا العهد العثماني في الجزائر بالكتابة على تسمية الفترة الممتدة من سنة ١٥٨٧ إلى ١٦٥٩ بعهد الباشاوات ، واشتهارنا مرحلة متميزة عن الفترة السابقة المسماة بعهد البايبريات ، فما هو مبرر هذه التسمية ، وما هي مميزات هذه المرحلة ؟

ادخلت الدولة العثمانية في احتلال موحّد للعالم في رجب ٩٩٥م / جوان ١٥٨٧م تعدّلا على إدارة البلاد التابعة لها في غربي شمال افريقية ، فالضمت بيلربكية الجزائر التي ظلّ الملك علي يحتفظ بلبتها حتى وفاته ، ووصلت هذه الأخيرة مجرد باشوية مثلها مثل تونس وأرابلح وغيرها من الباشاويات التابعة للدولة العثمانية ، بيد أن موطف برتبة باشا يحلّ السلاطين العثمانيين لمدة ثلاث سنوات ، وقد يخلّله قبل انتظامه ، ولا أعرف لهذا الباشا على الباشويتين العنبرتين للجزائر كما كان الأمر في عهد الداي طلسي .

وكان الهدف فيما يبدو من وراء هذا التعديل ، هو زيادة نفوذ السلاطين العثمانيين في بلاد شمال افريقيا ، وتقوية ارتباط هذه الأخيرة به من طريق تجزئتها إلى ثلاث باشاويات مستقلة ، وتعيين حكام مؤقتين لها ، لا تصح لهم فترة منهم التسمية بالتفكير في الاستقلال من الدولة كما كان الأمر في عهد البايبريات الأقوياء .

إلا أن هذا التعديل لم يحل دون انحصار نفوذ السلاطين العثمانيين في شمال افريقيا ، وظهور ميل استقلالية فيها ، وذلك راجع إلى أن الباشاوات الذين كانوا يرسلونهم لإدارتها لم يمتدحوا المعك بزم الأمر فيها صلتا معنصا ، وبالتالي فإنهم لم يستطعوا الحفاظ على نفوذ الباب العالي قويا . ويصوب مبرر الباشاوات من التعديل في زمام الأمور في باشوية الجزائر إلى أن الباشاوات الذين كانوا يسمون لإدارتها ، لم يعرفوا بتفانيهم العسكرية أو الإدارية ، كما كانوا يسند محلي فيها ، يعتمدون عليه ، إذ كانوا قريباء منها ، لم يولدوا ولم ينشأوا فيها ، ولم يلتوا دعواتنا من قبل الجند الانفشاري ، وربما بالبحر الذين كانوا يرون فيهم مجرد موظفين مؤقتين لا أساس لهم في البلاد ، ولا تأثير لهم فيها . (١) فمن حين تمكن الانتشارية على الأرض الزراعية بتزويجهم من السكان ، وانخراطهم في مختلف أعمالهم .

لقد كانت الدولة العثمانية حينئذٍ تدار بين الدول الأوربية في البحر المتوسط قويا خلال الأربعين الأولى من القرن السادس عشر . تحتلّ نظام الجزائر بحماية من بين أهم المصالحات القوية التي أظهرت نشاطها في أوروبا البحرية والبحرية إلى الخصوص ، المعروفة لدى بقية الجزائر بحارها ذلك أن البايبريات كانوا همومين لمساعدة الدولة في رسم سياستها في البحر الأبيض المتوسط ، ولا سيما بعد معركة ليبانتى سنة ١٥٧١م / ١٥٧١م ، وفي العثمانيين أنفسهم سنة ١٥٨٢م / ١٥٨٢م ، وبالمثل الدولة إلى النهضة ، وبمساعدة أعدائها التتار ، فلم يجدوا اختيارا

(١) محمد خير فارس / تاريخ الجزائر الحديث ، دمشق / ١٩٦٩ ص ٥٩ - ٦٠

لأنهم الباشاوات ((الباشاوات)) دقيقتا وموقفا دائما، بحيث يعمل على الباعوية من كان غير معروف فيها ولا مشهود له بالنفاية من طريق بذل المال أو والتبذير للمقربين من السلطان على أمل الحصول على أخصاف ما بذلوا من باعوية الباشاوات، ولذلك فإن الاهتمام بجميع المال استمدالات الرئيسية للباشاوات وربما صرف بعضهم كل اهتمامهم في إشباع رغبتهم وأصلوا الشؤون الأخرى، الأمر الذي أسقط سيقتهم واحترامهم ولا سيما في نذر جند الباشاوات ومعارضها .

ولما كان هؤلاء وأولئك متحدين على صدم الامتثال والاعتراف بالسلطان الوهابي، فغرضون طاعتهم فرضا، ويتخزون منهم احترامهم اقتضاه، وفي وقت كانت فيه الدولة العثمانية في حفس حوان قوتها، ينقلبها التدهور لردعهم، فكانت عليهم بالهشوا أن العلم روا روحا تعريفة تجاه الباشاوات الذين لا يهتمون بالبلديات، واستقلالية تجاه السلاطين العثمانيين، وفي وقت مالت فيم الدولة العثمانية نحو الانحطاط، فقد حدثت مرات عديدة في عهد الباشاوات أن رفضوا اعتراف البند الانتشاري حينما، والبشارة الخزة حينما آخر، وأرسلوا معادان أوامر السلطان العثماني، وأرسلوا بهيات الباشا، وأن اتشد ديوان الهند، فأولئك الرياس موقفا لا يتماشى مع رغبة هذا الأخير أو ميثقة الباب العالي .

ونذء المواقف الراقية أو المعترضة كثيرة نذكر على سبيل المثال منها :
- رفض ديوان الطائفة الامتثال لتوجيهات الباشا حسن بوريشة (١٠٠٧ - ١٠٠٩ هـ / ١٥٩٨ - ١٦٠٠ م) بعدم التعرض للمسلمين الفرنسية أو الامانة الراية الفرنسية بسوء .

- رفض ديوان الدلائفة وديوان الهند معا التهنون بالاتفاقية التي أبرمتها الدولة العثمانية مع فرنسا في ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م، وطالبهم أم لذه الأخيرة على أن توقع معهم اتفاقية منسب شروطهم، فمسم في سنة ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٨ م .

- عدم الاستجابة لساس الدولة العثمانية السلمية والتوفيقية بين الجزائر وفرنسا .
- الرفض، لشراؤهم من الدلائفة الاسهام في الحملات والحملات التي كانت الدولة العثمانية تحدد ما طام يستوجب الباب العالي لشروط التمهيد من التماسات التي تلحقهم نتيجة لمشاركتهم في معاركها وانشغالهم من الخزو الهجري الاهتيادي الذي تشكل منافعهم فيه مورد عم الرئيسي (١٠) .

ولما لم يُجيب الباب العالي التمهيد، فإنه رضى لشروط خزة الجزائر ابتداء من سنة ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م، حيث بحث في هذه المسنة (١٦٠٠) سلا لاني الى علي بقتشين رئيس الدلائفة في مقابل اسهامه بست عشرة سفينة، وبحث في سنة ١٠٥٨ هـ / ١٦٤٨ م الى رياس الجزائر بستين السفنة سلا لاني (١١) في سنة ١٠٦٢ هـ / ١٦٥٢ م بنعمتين الاسلاماني، وهكذا كان الباب العالي يبحث بالتصويغات ملقا ليضمن اسهام خزة الجزائر في الامداد العثماني .

كما حدث مرات عديدة أن أقدم ديوان السلطان الانتشاري في الجزائر على تمديد مبعوث السلطان العثماني ومعارضة باشا الجزائر في قبره أو وضعه في السجن، أن هولم يمايزم أو سدا (١٢) أحد عميد ووزيره، فأقره شراء الباشاوات انصاحهم . وما يسمها، وانظر تاريخ ملوك الجزائر (١٣) ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠ .

(٢) انظر من المواقف الراقية أو المعترضة المذكورة : د ورامون / المربع الهامة، من ١٤٦٥ و ١٤٦٦ و ١٤٦٧ و ١٤٦٨ و ١٤٦٩ و ١٤٧٠ .

(٣) نفسه، ص ٢٠٢، ١٩٤، ١٩٥ .

من المسحوب المستعمل (١)

(٢)

٢- ثورتى الكراغلة في سنة ١٠٠٤هـ / ١٥١٦م و ١٠٤٣هـ / ١٦٢٣م وكان الكراغلة
تتمون بالظلم ويحسون بالضعف لأن الاتراك الذين كانوا يعيشون من تزايد عدد دمهم ، ومن
تعمال اقدامهم على انتزاع السلطة منهم بالتعاون مع اغوالهم الجزائريين ، كانوا يحاولون بينهم
بين المناصب العليا في الادارة والبيروقراطية (٣) ولذلك كانوا يتعينون الفرصة للثورة على الاتراك
انتزاع حقوقهم في المساواة بأبائهم . وقاموا في سنة ١٠٠٥هـ / ١٥١٦م بأول ثورة لهم ، مستغلين
نزاع الذي كان قائما بين البند الانكشاري ، ونضربا بشا ، وأسفرت هذه الثورة التي سالت
بها دماء كثيرة في مدينة الجزائر من تخفيف الانكشاريين لخلواتهم . ولكن هؤلاء ما لبثوا ان انتقموا
لهم ، وداردوهم من المدينة . وفي سنة ١٠٤٣هـ / ١٦٢٣م قدر الكراغلة ان الدارف مناسب
لحدود اليها ، واشغال نار الثورة فيها بالتعاون مع سكانها من الامالي ، لأن الاوضاع فيها
انت مضاربة ، ونتيجة داخيان البند الانكشاري ، وتعمدها الباشا حسين (١٠٤٠ - ١٠٤٤هـ /
١٦٢٣ - ١٦٢٤م) ، وحادوا الى مدينة الجزائر متزينين في زي فلاحين . وقابلوا الاتراك بثورتهم
في ٢٢ من ربيع ١٦٢٣م ، وبقوا في بادئ الامر بمصر النجاش ، ولكن الاتراك فيها سارعوا
لما استعادوا زمام المبادرة وتمكنوا من القضاء على الثائرين بعنف شديد ، ولم يبق منهم الا من
فر الى بلاد القبائل (٤) .

٣- ثورة بلاد القبائل التي استمرت تقريبا طوال عهد الباشاوات بشدة متفاوتة
وقد حدثت هذه الثورة التي اندلعت في مطلع القرن الثاني عشر الهجري / اواخر القرن السادس
عشر الميلادي ، بنواعة بني القاضي ، والعلم العشماوي في الجزائر ، تهديدا قويا ، وخديرا ، لأن
حملات هؤلاء ، وصلت مرات عديدة الى متبصرة ، وإلى أسوار مدينة الجزائر نفسها . ولأن
الثائرين كانوا على صلة بالقوى الخارجية من اسبان وسعديين ، بهدف التعاون معهم ضد
اتراك الجزائر العثمانيين . وانجسرا لأن استمرار ثورة بلاد القبائل فترة طويلة ، وانفاق
خاتم الجزائر العثمانيين في القضاء عليها بصفة نهائية قد شجع جهات اخرى في الشرق

(١) انداز من ثورة بني عباس ، ما يدور المربع السابق ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، ودورامون : المربع
السابق ص ١٢٩

- Féraud: Notice sur les MOKRANI, in Recueil de la société Archéologique de Constantine. 1871-1872 P.232 et suiv.

- Berbrugger: Epoque militaires de la Grande Kabylie. Alger 1847, P.101 et suiv.

(٢) الكراغلة هم أبناء الاتراك من الامهات الجزائريات .
(٣) يعتبر حسن بن خير الدين ، الذي تولى رئاسة حكومة الجزائر ثلاث مرات لما كان في فرنسا ،
مع انه من ام جزائرية استثناء لا يقاس عليه ، ومن المناصب العليا التي كان الكراغلة
لا يرتقون اليها ، منصب الاقام ورئيس البيروقراطية ، ومنصب الخزائن ، او أمين المال
وتنظيم المحن ، ووزارة الشغل . . .

(٤) انداز من ثورتى الكراغلة : دورامون : المربع السابق ص ١٤٠ ، ١٥٢ ، ميرسي / المربع

السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

Boyer(P.): Le problème Koukoulouli dans la régence d'Alger. 2^e Congrès International et Nord Africain 1970, P.P. 79 - 94.

والخريف الجزائريين على الثورة أيضا على الاتراك العثمانيين (١).

٤- ثورة تلمسان : (في الفترة ١٠٣٥-١٠٣٧ / ١٠٣٧-١٠٣٨ م) :

وقد كانت نتيجة تصفد الاتراك العثمانيين في المدينة ، وطفيان قائد هم محمد بن سوري فيها وربما كانت أيضا نتيجة تحريض من بعض القوى المشرقية المجاورة لتلمسان ، وهو ما يوجب به اسم قائد الثورة المدعو السوسي المشرقي ، ولم يدهن الاتراك بهذا القمع هذه الثورة بشدة . (٢)

٥- ثورة الشرق الجزائري : وقد اندلعت في سنة ١٠٤٨ / ١٦٢٨ م في أعقاب قسمل مراد باي حاكم قسنطينة محمد بن الصغري شيخ حرب الذواودة والحناشة فدر في سنة ١٠٤٧ / ١٦٢٧ م ، متهمًا إياه بالخون من الداعة ، وقد تزعم الثورة أحمد بن الصغري ، وأن هدفه الانتقام من قتل أخيه . وتضافت ثورته مع ثورة قبائل شمال قسنطينة وشرقيها التي تضمرت تجارتها من جراء تخريب الاتراك العثمانيين في سنة ١٠٤٨ / ١٦٢٨ م للمراكز التجارية الفرنسية التي كانت تتعامل معها ، وتعاون الفاقون على الاتراك في الشرق الجزائري ، فأهملوا هزيمة كبيرة بهم في واقعة قبائل ، وذلك في ١٠ / ١٠ / ١٦٢٨ م ، تدور في اثرها نفوذ العثمانيين في الشرق الجزائري تدوروا تدويرا ، إذ باءت المحاولات المتديدة التي قام بها حكام الجزائر باستعادة نفوذهم وسيادتهم عليه فاشل عقد من العنين بالفشل . وأخيرا استعان حاكم الجزائر محمد يوسف باشا بنفوذ المرابطين والعلماء مثل محمد ساسي البوني . وأبي مهدي عيسى الشالبي لتمهيد الثورة في الشرق الجزائري ، ونجح الثائرين يقبلون بالعودة إلى طاعة الحاكم التركي العثماني . وتضافرت جهود هؤلاء مع تخطب الثائرين ومع الشغائر والأضرار الناجمة التي خلفها وباء الطاعون الذي استفحل في العقد السادس من القرن السادس عشر الهجري / السادس من القرن السابع الميلادي على إعادة الهدوء إلى القطاع الشرقي من الجزائر . (٣)

٦- اضطرابات في مدينة الجزائر في سنة ١٠٥٤ / ١٦٤٤ م ، وسببها انغزاة الجزائريين رفضوا الاسهام في حملة جديدة أعدتها السلطان العثماني لأتراكهم ليحصلوا منه على تموينات عن الشغائر التي لحقتهم في محنة فيلونه (VELONE) فأرسل مبعوثين للقضاء على زعمائهم ، وفي مقدمتهم

(١) انظر عن ثورة بني القاني واتصالاتهم الخارجية : د. فرامون ، المراجع السابق ص ١٤٠ وما يليها ، وميرسي ، المراجع السابق ج ٣ ص ٢٧٠ وما يليها . و : Boyer (P.) : Espagne et Kouko, les négociations (de 1598 a 1610) in R.O.M.M., No. 8, 1970 P.P. 25 - 40.

(٢) انظر عن ثورة تلمسان : ابن المفتي : تاريخ باعارات الجزائر في / المجلد الآسيوية مسلم ١٩٢٧ ص ٢٠٣ ، ومحمد بن سليمان / نسبة اللائقين في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الحديث لمحمد الله . الجزائر ١٩٧٨ ، ود. فرامون ، المراجع السابق ص ١٥٩ ، وميرسي المراجع السابق ج ٣ ص ٢٧٠ .

(٣) انظر عن هذه الثورة : Vayssettes: Recueil. Constantino 1867, P.P. 333 et suiv.

ود. فرامون ، المراجع السابق ص ١٨٤ ، ١٨٦ - ١٨٧ . ومقالته : Boyer (P.) : La politique religieuse des Turcs in R.O.M.M., No. 1, 1966 P. 34.

ومجلة الثقافة الجزائرية عدد ١٥ : الجزائر ١٩٧٩ .

على بتشسينين ، رئيس الدائفة الرياض ، فثار هؤلاء ، واستولوا على السلطة في مدينة الجزائر سنة
 ١٧٠٨ . وحل رئيس الدائفة المذكور محل الباشا . ونحن الانكشارية ما لبثنا ان ثاروا وطالبوه بدفع
 رواتبهم وأهلوه فترة قصيرة لتدبير المال . ولما لم يكن لديه المال الكافي ، ولا القوة الكافية
 لاضاعتهم ، فقد آثر الفرار الى اسماعيل بنى القاضي في بلاد القبائل . فاضطربت الامور
 في المدينة . وكانت ستضطرب أكثر لو لم يسرع السلطان العثماني الى تعيين باشا جديد ، وارسال
 التوجيهات لخزاة الجزائر ، ويبدو ايضا انه تلف الباشا الجديد بالقضاء على رئيس الدائفة
 ان مات هذا الاخير بعد فترة وجيزة من حودته الى الجزائر .

وانذا فان عهد الباشا وايت تتميز بالاضراب الشديد في مدينة الجزائر وثار بها هوان
اعلم ما تعزبه عهد الباشا وايت ايها هو تدد الاطماع والتدخلات الخارجية في الجزائر ، حيث
تعرضت مدنها السطحية وفي مقدمتها مدينة الجزائر العاصمة الى حملات اوروبية عديدة : اسبانية
وتوسكانية ، وفرنسية ، وانجليزية ، وهولندية اصعبها الحملات التي وقعت في السنوات الآتية ، (1)

- | | |
|---|--------------|
| • حملة إسبانية على الجزائر انتهت بالفشل | ١٦٠١ / ١٦٠١م |
| • حملة إسبانية لاحتلال ((تامنوت)) قرب آزفون بين الجزائر وبلجاية | ١٦٠٢ / ١٦٠١م |
| • هجوم التوسلانيين على ميناء الجزائر | ١٦٠٤ / ١٦٠١م |
| • حملة توسلانية على عنابة • انتهت بتخريب المدينة | ١٦٠٧ / ١٦٠١م |
| • حملة توسلانية على برش • وبجبل • انتهت بتخريب مدينة برش | ١٦١٠ / ١٦٠١م |
| • حملة إسبانية على بجيجل • انتهت بالفشل | ١٦١١ / ١٦٠٢م |
| • ١٦٠٢ / ١٦١٢م • محاولتان فرنسيتان لاحتلال بعض المواقع على الشواطيء الشرقية للجزائر | ١٦١٢ / ١٦٠٢م |
| • حملة انجليزية على الجزائر • انتهت بالفشل | ١٦٢١ / ١٦٠٣م |
| • حملة هولندية على مدينة الجزائر • انتهت بحصول الهولنديين على اسرارهم | ١٦٢٤ / ١٦٠٣م |
| • حملة فرنسية على مدينة الجزائر انتهت بالفشل | ١٦٢٧ / ١٦٠٤م |
| • حملة هولندية على الجزائر انتهت بتوقيع معاهدة سلام | ١٦٥٢ / ١٦٠٦م |
| • حملة انجليزية على الجزائر انتهت بتوقيع معاهدة سلام | ١٦٥٥ / ١٦٠٦م |

كما تدرج تحت حدودها الشرقية والشمالية التي تدرج تحت وادي جومات من حطام تونس والمناسير (٥).
 في احوال ١٠٦٢ / ١٦١٤ م و ١٠٦٧ / ١٦٢٨ م (٦) ١٠٦٠ / ١٦٥٠ م و ١٠٦٤ / ١٦٥٤ م
 وقام الاسبان في وهران والمرسى الكبير بتوسيع نطاق نفوذهم في الغرب الجزائري لمساعدة بعض
 قبائل بني عامر وتمشوا من اعيان عدد من القبائل والمعاملات التي قام بها ضدهم اتم براك
 الجزائري وقبائل الغرب الجزائري الموالية لهم و خاصة في احوال ١٠٠٨ / ١٥٩٩ م و ١٠١٥ /
 ١٠٦٠ م و ١٠٢٢ / ١٦٢٢ م و ١٠٦٤ / ١٦٥٢ م (٧).

- (۱) انداز من مذابح و معاملات : د و فرامون : المربع السابق
(۲) انداز من النزاع بين البزائر و تونس بين اي دينار : المونس من ۶۰۷ و ۶۰۸ •
(۳) السكوى : الاستقصا : ج ۷ من ۲۰ و ۲۱ •
(۴) انداز من معاملات القرنية العثمانية : د و فرامون : المربع السابق من ۱۴۷ و ا بين عريسم
البيستان من ۱۲۲ و بالنسبة لعملة ۱۵۹۹ •

وقد كانت بعض المصالح الأوروبية المشار إليها ردا على الغزوات التي كان غزاة البحر
الجزائريين يشنونها على السفن والشواطئ الأوروبية ، تلك الغزوات التي توسع نطاقها فتمتد
تحت سيطرتها على بعض الجزر المتوسطية ، وأنها تشمل أيضا المحيط الأطلسي من جزيرة ماديرا
جنوبا إلى جزيرة آيسلندة شمالا مروراً بالمحيط الهندي والبرتغالية والانكليزية والايروندية .

وقد أصبحت هذه غزوات الجزائريين كثيفة أيضا ، إذ غدا الغزو البحري بالنسبة
للشبان الذين زاعروا على المصالح العامة أحيانا ، ويشكل أو آخر لما يدره عليهم من
مخاطر وأرباح . ومنعت الدول الأوروبية من وراء البحار الغزوات الكثيرة ، والراسخ الدائم ، المسمى غزاة
الجزائريين بنسائر كثيرة ، وتذكر إحدى الإحصائيات ، أن الغزوات الجزائرية تمتد خلال الفترة
١٠٦٢ - ١٠٦٣ / ١٠٦٤ - ١٠٦٥ م من أسير ٩٢٦ سفينة بمن وما فيها . وشهدت فرنسا
وحددها خلال الفترة : ١٠٦٢ - ١٠٦٣ / ١٠٦٤ - ١٠٦٥ م ، غسارة ثمانين سفينة ، علما أنها
أقل الدول الأوروبية غسارة ، وبلغ عدد الأسرى في الجزائر أحيانا نحو ثلاثين ألف أسير من مختلف
الدول الأوروبية ، كانوا يستعملون في التدبير في السفن ، وفي أعمال وخدمات أخرى لأصحابهم .
ومن أبرز غزاة البحر الجزائريين في عهد الباشاوات : مراد راي ، ومامي أرناؤود ، وسليمان
رايس ، ومحمد بن علي ، وتشنين (١) . وهم في معظمهم من سلالة المنصور ، أو من الهاندل الأوروبية
المتابعة للدولة العثمانية .

وقد اتخذت النشاط البحري لولاها الغزاة وغيرهم على العلاقات الجزائرية مع الدول الأوروبية ،
فتميزت بالعداء والتوتر مع معظم الدول الأوروبية ، وأسبانيا والبرتغالية وفرنسية وبلجيكية قبل أن
تتغير اتفاقية السلام مع الجزائر في سنة ١٠٦٢ / ١٠٦٣ م ، وانتهى قبل أن تتغير هي الاخرى
اتفاقية سلام مع الجزائر في سنة ١٠٦٥ / ١٠٦٥ م .

أما مع فرنسا فتميزت بالتذبذب بين السلم والحرب ، شأن العلاقات بين الجزائر وتونس ،
وبين الجزائر والمغرب ، إلا أن السبب في تذبذب العلاقات الجزائرية مع البلدان اللاتين ، من
لا يعود إلى الغزو البحري ، بل يعود إلى تدخل البلدان في حدود الجزائر ومحاولة استغلال ظروف
الضعف التركي المحلية في الجزائر .

وأخيرا فإن عهد الباشاوات قد تميز أيضا بنشأة الأويشة والمجاهدات والكوارث الطبيعية
التي أصابت الجزائر ، والحقت بها أضرارا فادحة ، ومن أهم المجاهدات والأويشة نذكر على سبيل المثال ،
- وباء الداعون الذي اجتال الجزائر في عهد سليمان باشا (١٠٠٠ - ١٠٠٣ / ١٥٩٢ -
١٥٩٥ م) وهو الوباء المعروف بالداعون تونس ، والانتقاله من هذه الأخيرة إلى الجزائر والداعون
الذي اجتال الجزائر في الاموات الأولى من القرن السابع عشر .
- والمجاعة الرسمية التي هزتها الجزائر عقب مجاعة شديدة فوسنتي ١٠٦٠ - ١٠٦١ م /

١٦١١ - ١٦١٢ /
(١) أعطى هذه الإحصائيات : د. فرامون ، في المراجع السابق ، ص ١٢٨ - ١٣٠ .
(٢) انظر من مراد راي ، ومامي أرناؤود ، ما يدور المراجع السابق ص ١٥٩ و ١٦٦ .
(٣) ميرسي ، المراجع السابق ، ص ٢٠٠ /

والربيع الكبير الذي ذكره في سنة ١٠٣٥ - ١٠٣٦ / ١٦٦٦ - ١٦٦٧ م والذي
تجدد في سنة ١٠٣٥ - ١٠٣٦ / ١٦٦٦ - ١٦٦٧ م .

والداعون الذي استمر بضئ سنوات ١٠٤٩ - ١٠٥٢ / ١٦٣٩ - ١٦٤٢ م وتجدد في
سنة ١٠٥٢ / ١٦٤٧ م واستمر حتى سنة ١٠٦٠ / ١٦٥٠ م ثم تجدد في سنة ١٠٦٤ / ١٦٥٤ م

وبكذا يمكن القول ان الدزائر في عهد الباشاوات بناد الربيع فيها يكون مزمنا . وذلك
لضعف دور الدولة في التخفيف منها . وبعيد الناصر بدارق الوقاية والملاح . مما جعله يتجدد
باستمراره وفي ارضة متقاربة جدا . (١)

تلك كانت ابرز مميزات عهد الباشاوات . وتقدر الملاحظة الى ان عدد الباشاوات الذين
تداولوا على كرسي باشوية الدزائر في الفترة ١٩٥٠ - ١٠٦٩ / ١٥٨٧ - ١٦٥٩ م ليس محروفا
على وجه الدقة . ان ان مخالفات اختلافات في عدد هم وفي اسماء بعضهم وفترات حكمهم
وفي تعاملهم لدى من ارغوا او شربوا حول هذه الفترة (٢) على انه يمكن القول : بان عدد هم
على وجه التقريب كان حوالي اربعين باشا . منهم من اتم فترة ثلاث سنوات في الحكم . ومنهم من
مات او عزل او قتل . قبل ان يتم . وقليلون فقط هم الذين تولوا الباشوية فيها مرتين
او ثلاثا .

✱

✱

✱

ما تقدم يمكن التمسك به :

ان مجيئ العثمانيين الى الدزائر في صالح القرن السادس عشر الميلادي (١٠٠٠ هـ) فان بداية
الحمد جديد وذلك ان جهودهم قد تضاعفت منذ عهد عري وغير الدين على اقامة وارساء دعائم
دولة جزائرية حديثة وهي ايلة اونياية او مملكة الدزائر . قاعدتها مدينة الجزائر . التي احدثت
الجزائر تاجها اسمها الحديث . بعد ان كان مقبورا على المدينة فقط . ووضع لهذه الولاية
تنظيم اداري جديد . وفدت لها حدود سياسية بئية . اشدت تشكك وتوضيح منذ عهد الباي ارياي
لتأخذ شكلها النهائي فيما بعد . وذلك على انقراض حساب المحدثات السياسية الحديثة التي
كانت قائمة فيها . والتي عجزت من المقايمة او الاستمرار . فقصوا على بعضهم قضاء نهائيا
تالدا وتين المرمتين الزبانية والافندية في غرب الدزائر وشرقها . وابتقوا على بعضهم الآخر . تابعها
لهم نامارات بني مجازب في توفرت . وحلهم في ورنله . بجنوب الجزائر . وبني عباس . وبني القاضي
في شمالها . وعلى حساب المواق والمراثر التي اطلبها او اخضعها الاسبان كمدينة الدزائر وبناية
ونابسة . وغيرها . . فان مجيئ العثمانيين الى الدزائر حامل توحيد الدزائر المفتتة والسبالة
المبشرة في اراضيها . وحامل استقرار لادوضاع التي كانت مضطربة فيها . وحامل انتان وتبرير لها .

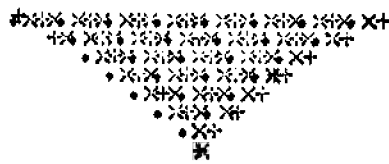
(١) انظر من الاوتة والمعاملات والكوارث الاخرى . د. زمامون . المربع السابق ص ١٢٩
١٤٢٧ ١٥٠ ١٥٨ ١٦٢ ١٨٩ ١٩١ ٢٠٠ ٢٠٣ .

(٢) انظر ابن المفتي . تاريخ باشاوات الدزائر في المربع السابق . وابن عبدوش . ص ١٢٠
الاسفار في المربع السابق

- الامتداد الى الاسود - جان .
- وان ارتباط الجزائر القوي بالدولة العثمانية في عهد البايبريات ، جعل منها القاعدة الامامية للدولة العثمانية في شمال افريقيا وفي الشرق والغرب المتوسط . في صراعها مع الاسبان والبرابرة البرمانية المقدسة ، والقاعدة التي امتد منها النفوذ العثماني الى باقي شمال افريقيا ، كان ارتباطها القوي هذا لم يمنعها من ان تتفق بحرية واستقلال كبيرين ضمن الدولة العثمانية .
- وان يكون لها من حيثها المتميزة ، وسيادتها المحترمة ، وان يكون حكمها البايبريات شجع بالملوك المتحالفين معها منهم بالملوك التابعين او الخاضعين ، اما ان لهم من سلطات دالة غير محددة بزمان ، وكلمة نافذة ، ومناطة سامية ادى الدولة العثمانية بالرغم من ان السلطان العثماني هو الذي كان يعينهم .
- وان استقلال الجزائر وحيثها ضمن الدولة العثمانية قد اعطى لها قوة مضاعفة ، قوة اتيبة عن حرية حكمها في اتخاذ القرار والمبادرة ، وقوة اخرى مستمدة من قوة الدولة العثمانية التي كانت تمد حكمها بالسلطان والريال عند الضرورة . بحيث لم تعد فقط كانت ممر الى التوسيع من القادمين من الشرق او من الغرب بل انها أصبحت اهلها ولا سيما في اواخرهم .
- البايبريات في موقف المحقق على جارتها تونس وفاس كما رأينا ، وسنرى ، وبذلك أصبحت في المضي لمد النفوذ العثماني اليها .
- وان سياسة البايبريات المهادنة التي توحيدها البلاد وتحرير المواقف المحتلة من الاسبان كانت تمثل رغبة السكان مما دفع هؤلاء الى التعاون معهم ، الامر الذي ساعد على استقرارهم في الجزائر ، وعظم لهم ، الا ان استمرار المالحق للسلطة وعدم القبول بمشاركتة الاهالي لهم فيها ، ومعاملتهم لهم لا بمعاملة التابع للمتبوع قد ادى الى قيام ثورات ضد حكمهم في مختلف الفترات ولما صنعت الفرصة هانوا ينادون الى قصصها بشدة ، الامر الذي ما انفك يفاقم بينهم وبين الاهالي ويتسبب في ثورات جديدة ضدهم ، لا سيما في العهود التالية التي أصبحت الشقة فيها بين الحاكم والمحكوم واسعة جدا .
- وقد صاحب قيام الحكم العثماني في الجزائر امتداد نشاط الخنزو البحري ضد الشواطس . والمنافسة الازوية الاسبانية منها على الغزو ، نتيجة الغزو الاسباني من جهة لشواطي المغرب الكبير . و هجرة المسلمين من الاندلس ، وانضمام الهالكين منهم فيه ، وكان دافع التمسك بالدين هذا الخنزو اوضح في عهد البايبريات منه في العهود التالية ، التي اغتلت فيها بدافع الكسب المادي ، وربما غلب عليه هذا الأخير . وقد كانت فئات الخنزو البحري تشكل احد المصادر الرئيسية لغزينة الدولة ، مما جعل بعض البايبريات يولونه اهتماما خاصا ، تنظيمها وتنشيطها .
- وان انتهى الصراع الكبير اذ غلبته على الاتق بين الدولة العثمانية وأوروبا المسيحية الذي تميز به عهد البايبريات في الموضوعين الغربي والشرقي المتوسط ، على العكس ، وسيل الدولة العثمانية واسبانيا الى السلم بعد محنة ليبانتس . رغم تونس في المسيحيات قد جعل السلطان يميل اهلها الى التنقية من احمية قاعدته الامامية في شمال افريقيا ، والى التقليل من السلطات التي كان يتمتع بها . انتهى البايبريات بفقر بعد موت الخلق علي في سنة ١٠٩٥ / ١٥٨٢ م الذي كان يجمع بين منسبي

البابليزي ، وقبول ان باشا ان يجمعيل الجزائر مرة بامسوية شأنها شأن تونس وبارابلس .
 الا ان هذا التغيير الذي احدثه السلطان العثماني لم يشمل تغييرا ذا معنى اي سياسي
 لالتماني في الجزائر ، ان ظلموا مبعدين من السلطة الفعالية طوال هذا العهد وفي
 الوتيت نفسه هاشوا الصراعات الداخلية بين هؤلاء الباشاوات والانتشارية ، وبين الانتشارية
 والبراس تلك الصراعات التي جعلت الباشاوات تسيرون في اضطراب ، أعاق تداورها
 في مختلف المجالات نحو الانهيار .

ونان حكم الباشاوات كما بينا العهد الذي خرجت فيه الجزائر وهي اقتر استقلالا
 من الحكم العثماني ، الا انها بالمقابل اضعفت قوة الصراعات الداخلية على السلطة
 بين اطراف القوى المذكورة ، ذلك الصراع الذي انتهى باستلام الاقناعات للحكم
 في الجزائر في سنة ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٩ م .



الفصل الثاني

الحياة السياسية في المغرب

=====

أوضاع المغرب في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي :

قد لا يختلف من الوضوح في المغرب ، في هذه المرحلة عن نظيره في الجزائر ، وان من ينظر فيه يرى انه كان هو الآخر في محنة ، فالوطاسيون ^(١) الذين آل اليهم الحكم في فاس بالمغرب في الربع الاخير من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، قد عجزوا عن توحيد المغرب كله تحت سلطتهم ، ومن توفير الامن والاستقرار له . كما عجزوا عن حماية شواطئه من الغزو الاسباني والبرتغالي ، فهذا المغرب في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

أ- جزأ الى وحدات سياسية صغيرة كثيرة ، تحت زعامات قبلية ، او دينية ، او مجالس محلية ، متنافسة ، متناحرة ، مستقلة تماما عن فاس ، او لا تتبعها الا اسميا . ومن هذه الوحدات السياسية الكبيرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

أ - في الشمال والشرق المغربيين : امارات شفشاون ، وآجوا ، وديبو .

ب - في وسط المغرب وفريسيه : امارات ابن حدو واخيه ابي فارس في الجبل الاخضر وامارة ابن عامر في تنسيسة ، وامارة آل فرسون في آسفي ، وجمهريات مدن تافزه ، والجمعة وآزمور ، ونفوذ رؤساء القبائل في سهول دوكالة وتادلا .

ج - وفي جنوب المغرب وغربه : نذكر امارة آل شنتوف في مراكش ، وامارة مولاي ادريس الهنيتاتي في جبل هنتاته بالاطلس الكبير ، وجمهريات مدن تارودانت ، وتديسي ، وتفتنت ، ونفوذ الشيخ محيى في شيوخ ، ونفوذ الموايط ابن المبارك في آقصة .

(١) الوطاسيون فرع من بني مرين الذين ينتمون الى قبيلة زناته البربرية . غير انهم ليسوا من ابناء عبد الحق ، جد سلاطين بني مرين ، كانوا يرتبطون مع هؤلاء بالاضافة الى النسب والمصاهرة ، بالصلبة ، والخدمة ، حيث شغل الوطاسيون قبل عهد سلطنتهم ١٤٧١ - ١٥٥٤ مناصب سامية ، في الجيوش والدولة ، كالوزارة في عهد عبد الحق آخر سلاطين المرينيين . وقد نكب هذا الاخير قبل مقتله ، الاسرة الوطاسية التي زاد نفوذها حتى طغى على نفوذه ، ولم ينج من الاسرة المنكوبة غير محمد الشيخ واخيه محمد لحلو . وقد نجح محمد الشيخ في تأسيس الدولة الوطاسية في سنة ١٤٧١ ، انظر السلوان / الاستقفا

ونفوذ شيوخ عرب اولاد زرقان في تافيلالت ، وغيرهم .

وقد كان امير جهاد هنتاته في صراع مع امير مراكش ، كما كان امير الجبل الاخضر فسي صراع مع هذا الاخير ، وكان عرب وكالة وتادلا في صراع مع بربر الجبال ، وسكان المــــــردن . وكذلك كان النزاع قائما بين وحدات سياسية اخرى ، هذه وبين احياء المدينة الواحدة كــــــما هو الشأن في تخاوست . وبين " قصور " سجلماسة ، وغيرها .^(١)

٢- هدفا للغزو الخارجي : ان التمزق والانقسام والاضطراب الذي كان يعاني منه المغرب في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي قد شجع الاسبانيان والبرتغاليين على المضي قدما فيما شرعوا فيه منذ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي من غزو للشواطي* المغربية واحتلال لمدنها ، والهجوم على ما جاورها من المناطق تحقيــــقــــا لاهدافهم الرامية الى : القضاء على قواعد غزاة البحر المغربية الذين كانوا يهددون شواطئهم وسفنهم ، واتخاذ قواعد لهم على الشواطي* المغربية المشرفة على الطريق الى غرب افريقيا والهند ، والعالم الجديد ، وعلى الطريق البحري للمتوسط الى استغلال موارد المغرب وخيرات من قح واصواف وخمول وعبيد وغير ذلك ، والى نشر المسيحية وشن حرب على المسلمين الكفار وغير ذلك من الاهداف .

وقد تمكن الاسبان في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي من احتلال بلدة غساسة في سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٠٤ م^(٢) وعبر بادس على المتوسط في سنة ١٠١٤ هـ / ١٥٠٨ م^(٣) . وكانوا قد خرجوا في مطلع القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي مدينة تلوان المتوسطية في سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م واحتلوا الموقع المسمى (Sta Cruz de Mar Pequena) على شاطئ الاطلنسي المواجه لجزر كناريا في سنة ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م ، ومدينة يبلطة في ١٤٩٧ م على المتوسط .^(٤) ^(٥)

اما البرتغاليون فقد تمكنوا في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي من احتلال موقع مازاكان في سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م واغادير في سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م .^(٦)

(Sta Cruz de Cap d'Aguor) .

(١) انظر عن هذه الامارات والوحدات السياسية المختلفة : الوزان - المرجع السابق ج ١

ومارمول : المرجع السابق ج ٢

(٢) الوزان المرجع السابق ج ١ ومارمول المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٧

(٣) الوزان نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٤ ، ومارمول نفس المصدر ج ٢ ص ٢٥٢

(٤) م.م.م. البرتغال . ج ١ (التتايق البرتغالي الاسباني في جنوب المغرب)

(٥) م.م.م. ج ١ : اسبانيا جز ١ ص ٣-٤ والوزان المصدر السابق ج ١ ص ٢٩٠

(٦) الميلادي : الاستقصا ج ٤ ص ١٣٦

(٧) مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤

وآسفي في سنة ١١٤ هـ / ١٥٠٨ م^(١)، وآزمور في سنة ٩١١ هـ / ١٥١٣ م^(٢)، وكل هذه المدن والمواقع تقع على الساحل الأطلسي، وتللموا في سنة ١٢١ هـ / ١٥١٥ م إلى احتلال مدينتي مراكش، وفاس^(٣) الدائمتين، وكانوا قد تمكنوا في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي من احتلال مدن سبتة في سنة ١١٨ هـ / ١٤١٥ م، والقصر الصغير في سنة ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م^(٤)، وطنجة في سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م^(٥)، وآصلا في سنة ١٧٦ هـ / ١٤٧١ م^(٦)، وهذه المدن تقع على المضيق أو تشرف عليه، كما تمكنوا من تدمير مدينة آغف في سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م^(٧)، ومن شن الهجوم على مدن المراكش والقصر الكبير وغيرها .

وبلاحظ ان الاحتلال الاسباني قد تركز على ساحل المتوسط فقط، بينما تركز الاحتلال البرتغالي على الساحل الأطلسي، ولم يكن ذلك صدفة، وانما نتيجة الاتفاقيات التي توصل اليها الاسبان والبرتغاليون، والتي حددت مجال استعمار كل منهم دفعا للنزاع والاعتماد فيما بينهم . واهم هذه الاتفاقيات، اتفاقية توريس بلانس في سنة ١٠٠ هـ / ١٤٩٤ م، واتفاقية سبتر في سنة ١٠٥ هـ / ١٥٠٩ م . ويقتضي هاتين الاتفاقيتين، كان مجال نفوذ الاسبان من حبر بادس، وما يليه، ونحو الشرق . وكان مجال نفوذ البرتغاليين ونحو المغرب، يتد من غرب بادس وحتى رأس بوجادير، ونام بأقصى الساحل الأطلسي للمغرب، باستثناء موقع سانتا كروز دومار بيكينا، الذي اعطاه الاسبان قبل التوصل الى هاتين الاتفاقيتين في سنة ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م^(٨) .

جـ - ممرحا لنشاط القوى الدينية :

- وازاء تزايد الخطر الخارجي على المغرب، وعجز الوطاسيين عن الدفاع على كل الشواطئ المغربية، وعن فرض سلطتهم على كل اجزاء المغرب، تحركت القوى الدينية المؤلفة من رجال
- (١) الوزان : المرجع السابق ج ١ ص ١١٧ - ١٢١
- (٢) نفسه ص ١٢٦
- (٣) في هذه السنة ١٥١٥ م غزوا مدينة مراكش في افريل، ثم شنوا حملة على المصورة، وانظر مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٦٣ - ٦٥ ، ١٤٩ - ١٥٣
- (٤) نفسه : ج ٢ ص ٢٣٢ - ٢٣٦ ، والوزان : المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٥
- (٥) الوزان : نفس المصدر ج ١ ص ٢٦٤ ومارمول : نفس المرجع ج ٢ ص ٢٠٣
- (٦) الوزان : نفس المرجع ص ٢٦٠ ومارمول : نفس المرجع ص ٢٢١ - ٢٢٢
- (٧) الوزان : نفس المرجع ص ١٦٠ - ١٦١ ومارمول : نفس المرجع ص ١٤٨
- (٨) انظر عن هاتين الاتفاقيتين : التسابق البرتغالي - الاسباني في ٢٠٠٢ م : البرتغال ج ١

الدين المرابطين والاشراف، الذين كانوا ينتمون غالبا الى الطرق الصوفية المحلية منها كالطريقة الشاذلية^(١)، والاربية الجازولية^(٢)، المستقرة عنها او التي انتقلت اليه من المشرق كالطريقة القادرية^(٣)، وانتشرت تلك القوى الدينية في المغرب بعد ان كانت محصورة في المدن، ووسعت نطاق نشاطها، ليشمل مختلف جوانب الحياة الدينية والتعليمية والسياسية وغيرها في مناطق وجودها. فقامت بالدعوة الى الجهاد، وتعبئة الناس لهذا الغرض وقيادتهم، وجمع المال لاقتداء الاسرى، وانشأت الزوايا لتعليم الدين وغيره، وتدخلت لحل الخلافات بين المتنازعين، ولغرس الامن في مناطق فعاليتها. وهذه كلها ادوار ايجابية، ولكنها لم توظف نفوذها المتزايد في مناطق نشاطها لدعم السلطة المركزية في فاس. بل اخذت تنشئ امارات مستقلة هنا وهناك في مختلف انحاء المغرب، كإمارة شفشاون^(٤)، في الشمال على سبيل المثال. بل يمكن اعتبار كل زاوية امارة مستقلة، ان كانت تتشعب بنفوذ كبير في منطقتها^(٥). ولما كانت حريصة على توسيع نطاق نفوذها والمحافظة على استقلالها، فقد ساعدت بذلك في زيادة تفتت السلطة في المغرب وتجزؤه، وهذا دور من ادوارها السلبية.

وما تقدم يمكن القول ان المغرب كان يعيش في ازمة شديدة في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، حيث الغزو الخارجي مستفحل، والتجزؤ الداخلي شديد، الامر الذي جعل المفارقة يتلحسون الى سلطة حاكمة قادرة على توحيد شتات المغرب واجزائه، وعلى توحيد صفوف المفارقة في وجه الخطر الخارجي، وعلى تحسين اوضاعهم، وكانت تلك السلطة هي سلطة السعديين، فمن هم هؤلاء السعديين؟

(١) نسبة الى ابي المعسر علي بن عبد الله الشاذلي تلميذ عبد السلام بن مشيش. ولد بقبيلة غماره في شمال المغرب سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٧ م، وتوفي وتوفي في تونس وسكن شاذلية فنسب اليها وتوفي بصعيد مصر في سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، انظر عنه الزركلي، الاعلام ج ٥ ط ٣ بيروت ١٢٩٠ (٢) نسبة الى محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر بن سليمان صاحب دلائل الخيرات، توفي في المغرب سنة ٨٢٠ هـ / انظر عنه متق الاسماع في ذكر الجازولي والشيخ محمد المهدي الناصي ف..... ابن ١٣٦٣ هـ والصادر التي تتحدث عنه والتي ذكرها الزركلي في الاعلام ج ٧ ص ٢١

(٣) نسبة الى عبد القادر الجيلاني احد اقطاب الصوفية في المشرق، توفي ببغداد سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م، انظر حوله الزركلي : الاعلام ج ٤ ص ١٧١-١٧٢ والصادر التي ذكرها (٥٤) ابن عسكر : دوحه الناصر ص ٢١-٢٢ و ص ٨٣-٨٤

في قسامة دولة السعديين والسليمان التديني لدولة الواسيين :
(916 - 956 م / 1510 - 1549 م)

السفر بن اسرة عربية الاصل كما هو موكد لدى كل من ابن لهم ، انتقل اواثلهم
من بني بالمجاز الى درعة بجنوب المغرب ، واستوطنوا قرية تاغمارارت وذلك في المئنة
السادسة الهجرية على ما هو عند الزباني . وكان الاعتقاد السائد لدى المغاربة انهم من
الاشراف وذكر ابن القاضي عمود نسبهم الشريف ، الا ان الخافسين ، وخاصة في ايام ضعفهم ، كما شراف
سجلنا سابقا لحسنين وخصوصهم . السعديين من بقايا الواسيين والرينيين وانصارهم .
كانوا يطمعون في صحة نسبهم الشريف ، معتدين في ذلك على البتر الذي لوحظ في عمود
نسبهم كما ذكره ابن القاضي (٢) ، وعلى ما نقل عن المقرن من ان نسب السعديين يعود الى بني
سعد بن بكر بن دوازن قوم حليلة السعدية مرضمة النبي (ن) اي من غير قريش وهو قول تراجم
عنه المقرن نفسه ، وصرح بشرفهم في كتابه " نوح الذهب " ، واكد السلطان العلوي محمد بن
عبد الله للزباني ان نسب السعديين الشريف لاخبار عليه ، واعترف انهم ينحدرون من جـ
واحد (٤) ويسمى السعديون ايضا بالزيدانيين نسبة الى جدهم زيد بن احمد ، الا ان اسم
السعديين هو الذي شاع استعماله ، وخاصة في المصادر الغربية والمراجع العربية التي التفت
بهم زوايا دولتهم .

وقد ظن السعديون متى مطلع القرن الماشر الهجري / السادس عشر الميلادي يقيمون
في المغرب حياة بسمية دينية وعلمية ، ولم يبرزوا على المسرح السياسي الا حين اشتدت وطأة
البرتغاليين على سنان الجنوب المغربي ، والحقوق بهم احرارا في انفسهم وممالئهم الاقتصادية
دون ان يتدخل الواسيون لحمايتهم ، او ان يكون عنالامل في تدخلهم ، حيث كانوا
مشتغلين بالدفاع عن اشمال ، فالتفتت اهل الجنوب الى هؤلاء السعديين لقيادة
صوفهم ضد البرتغاليين ، بعد ان رفض ابن المبارك (٥) رابط آفة الكبير ، ان يتولى هذه
المهمة بوجههم الى ابي عبد الله محمد عميد الاسرة السعدية الذي قبل ان يتولاها بـ
اتصالات ومشاورات بينه وبين الرابط الآنف الذكر ، وبينه وبين بني قومه ، وفقهاء السوس واعيانهم في

سنة ١١٥٠ هـ / ١٥٠٩ م وتمت المباحة له في مدينة تدمري بالسوس في سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م (٦)

(١) ابو القاسم الزباني : الترجمان المغربي في مجلة المرب الاسلامي والمتوصل عدد ٢٣ . ايكس
بروفانس ١٩٦٢ (R.O.M.M. , AIX-EN-PROVENCE.)

(٢) درة الجبال في اسماء الزجاء تحقيق محمد الاسعد ابو النور القايرة وتونس ١٩٧١ م ١٠٦

(٣) الافرائي المرجع السابق

(٤) الزباني : المرجع السابق ص ٢٤٢

(٥) انظر عنه ابن عسك المرجع السابق ص ٨٣ - ٨٤

(٦) الافرائي : الفزعة ص ١٦١

وتلقب ابو عبد الله بالقائم بأمر الله . وقد صلت له كل قبيلة بايعة عشيرة من رجالها المقاطعين فبلغ السبعون / ٥٠٠ / رجل ما يعني ان عدد القبائل التي بايعة كانت خمسين قبيلة . وكانت هذه القوة هي نواة الجيش السعدي النظامي . وقد اسند قيادتها لابنه الاكبر احمد الامرج (١)

وما تقدم نستدل به ان ابا عبد الله القائم بأمر الله السعدي لم يفرش نفسه على امسك السوس بجنوب المغرب فرغا ، وانما اختاره مخرلا " اختاراً " واسندوا اليه مقاليد امورهم بحسب ارادتهم . ولم يكن هذا الاختيار على اساس العصبة القبلية حيث ان القبائل الاولى التي بايعة ابا عبد الله هي قبائل بربرية من مغمودة ، وانما وقع الاختيار عليه لشرفه فيه ، وسمعة أسرته العلمية والدينية ، وتزكية الراهب الكبير رابن الحبيب لوفوره من الراهبين كآبي البركات التدسي (٢) وابن عمر المنفري (٣) .

وما تقدم ايضا يمكن ان نستنتج ان المبرر الاساسي لمبايعتهم له هو الجهاد ضد البرتغاليين واعوانهم ، وقيادة صفوف المجاهدين ضدّهم ، وحماية اهل الجنوب ومسالحتهم من اخطار اعدائهم . ويمكن تقسيم حياة الدولة السعدية الى اربع مراحل بحسب اوضاعها وفعاليتها . المرحلة الاولى من قيام الدولة السعدية ٩١٦ - ٩٣٢ هـ / ١٥١٠ - ١٥٢٥ م :

صراع السعديين ضد البرتغاليين واعوانهم :

تميزت هذه المرحلة بالصراع السعدي - البرتغالي ، وبعد السعديين لسلطتهم على الجنوب المغربي . فبعد مبايعة اهل السوس لآبي عبد الله دعاهم الى القيام بحملة على البرتغاليين في مرسى تفتت ، وتمكن من احراز انتصار اولي عليهم ، ومن اجهارهم على الجلاء عن المرسى المذكور في سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م . ولكن الخلاف الذي حصل بين بعض القادة في تدسي ، وبين القائم بأمر الله محمد هذا الاخير ، يعود الى بلدته في درعة ولعل بها نحو السنتين ، توقد خلالها عن قيادة اعمام الجهاد ولما زان ما اغضبه ، عاد الى تدسي في سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ، وللب من اهلها ان يهايموا ابنه الاكبر احمد الامرج بالامارة فاستجاب الناس لطلبه (٥) . ان محمدا انقاص بأمر الله انتقل مع ولده المذكور الى تدست بحفاضة حاحبة

(١) الزباني : المربيع السابق ص ٣٤٤

(٢) الافراني : المنزهة ص ١١

(٣) ابن عسكر : المربيع السابق ص ٦٥ - ٦٦

(٤) الافراني : المنزهة ص ١١

(٥) نفسه

باللب من أهلها الذين اضربهم البرتغاليون واعوانهم من المفاربة كبحي بن تافوفت^(١) والشيخ بوجمعة^(٢) والشيخ مومن^(٣) وغيرهم ، بينما بقي ابنه محمد الشيخ بالسوس بنظم هذه المقاطعة ، ويوسف فون السعديين فيها ، واتخذ من مدينة تارودانت التي دخلت في طاعته سنة ١٢٠ هـ / ١٥١٤ م قاعدة له .

وفي مقاطعة عامه غار المفاربة بقيادة احمد الاعن ضد البرتغاليين واعوانهم معارك عديدة ، لم يكن النصر فيها دائما لحليف السعديين ، ومن اهم المعارك التي خاضوها معركة قرب تدنيست في سنة ١٢٠ هـ / ١٥١٤ م ، انهزم فيها السعديون واحرق البرتغاليون تدنيست ، ودروا المدن والقرى الموالية للسعديين ، وفي سنة ١٥١٥ هـ هاجم البرتغاليون مدينة مراكش ، لكن محاولتهم لاحتلالها باءت بالفشل ، امام وصول امدادات الى المدينة من السعديين والوطاسيين^(٥) . وفي سنة ١٢٣ هـ / ١٥١٧ م توفي القائم بامر الله واستر ولد ، احمد الاعن في محاربة البرتغاليين بنجاحات مختلفة ، ثم رآه يهود مع يهود اخيه محمد الشيخ في التخلد من اعوان البرتغاليين ان بفضلهم كان البرتغاليين يتوغلون الى المناطق الداخلية ، ويلحقون اكبر الاضرار بها . ونجح السعديون من طريق الموالين لهم في القضاء عليهم واحدا بعد الآخر . ومقتل يحيى بن تافوفت في سنة ١٢٥ هـ / ١٥١٦ م تخلد السعديون من عقبة كبيرة ، وفقد البرتغاليون في يحيى حليفا مخلصا ، قدم لهم خدمات جليلة . ولم يجدوا من يعوضه فبدأ نفوذهم في التقهقر عن المناطق الداخلية واستمر في التقلص والاندثار . حتى باثوا مهددين في آسفي وآزمور وآفادير وغيرهما . . . بينما اخذ نفوذ السعديين في التزايد والتوسع في الجنوب المغربي ، حيث تواصلت خضوع المدن والقرى في المقاطعات الجنوبية كداسة ، وتيوط ، وتفاوست ، بالاعانة الى تدسي ، وتارودانت ، وكذلك هذه المدن من المراكز التجارية الهامة ، ولكن اهم مدينة خضعت لهم مدينة التي ذكرناها ، وكانت مدينة مراكش في سنة ١٣٠ هـ / ١٥٢٤ م . وسواء اكان خبيث مراكش سلطانا^(٧) منوه^(٨) ، فان خضوعها في النهاية لهم ، بعد موت اميرها الناصر بوشنتوف بعد انجازا كبيرا

(١) قائد عرب بني واحة رحاجه . والقائم العام للقبائل للبرتغاليين ابتداء من عام ١٥١٦ م
Torres(Diogo de):Relation de l'origine et succès des Chérifs.Paris 10

الوزان : المرجع السابق : ١ ، ومارمول المرجع السابق ج ٢ ص ٦٣ ، ٩٢٠
(٢) انظر مارمول : المرجع السابق : ١

(٣) قائد عرب بني واحة رحاجه ، مارمول نفس المرجع ج ٢ ص ٦٥

(٤) انظر مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٠ ، ٩٢٠

(٥) مارمول : نفس المرجع ج ٢ ص ٦٥

(٦) طويريس / المرجع السابق ص ٧٣-٧٤ (قتل عرب اولاد عمران

(٧) الافرائي : النزعة ص ١٩ . وعند الزباني كان الدخول ١٢٧ هـ / ١٥٢١ م . الترجمان ص ٣٤٥

(٨) حسب البربر ان الاخيرين احمد الاعن ومحمد الشيخ دخل مراكش للتشاور ورجع اميرها في

سلطة على آسفي ولما اغتاليا به قتلاه واعلن الاعن سلطانا انظر المرجع السابق ص ٢٥-٢٩

ما الافرائي فيذكر ان ملوك مراكش كاتبو الاعن ودخلوا تحت طاعته انظر النزعة ص ١٩ بينما يذكر

زباني ان الدخول كان منوه المرجع السابق ص ٢٤٥

في طريق توحيد كل الجنوب المغربي تحت سلطتهم وبداية لمرحلة جديدة في طريق توحيد المغرب كله
المرحلة الثانية من قيام الدولة الموحدية : 932 - 956 هـ / 1525 - 1549 م

صراع الموحدين مع الوطاسيين ومع البرتغاليين
وهذه المرحلة تميزت باستمرار الصراع بين البرتغاليين ، والسعديين ، وبين هؤلاء الآخرين والوطاسيين ، واستكمال السعديين لتوحيد اجزاء المغرب تحت سلطتهم .
وقد تلال السعديين لمراكش التي كان اميرها من اتباع الوطاسيين استياء السلطان
الوطاسي ، ان هذا لهذا الاخير ان هدف السعديين ليس فقط الجهاد بل
ولكن احمد الاعرج سارع الى التخفيف من استياءه خشية ان يهاجمه
ستعداداته و يتخذ احتياطاته ، بأن عرس عليه ان يكون عاملا له على مراكش ،
لان يدفع له ضعف ما كان يدفعه له سلفه ^(١) ، ولما كان محمد البرتغالي
الشمال بالتي هاجمها في ٣١ / ٥ / ١٥٢٤ م وحدها ما لا يقل عن اربع
مرات ^(٢) بعد قتل العرش وتجهل في اتقان سوقه حازم تجاه احمد الاعرج .

ولكن هذا الاخير بعد ان وطد نفسه في مراكش ولم يثب بالتزاماته رغم التحذير والتهدد
من السلطان الوطاسي ^(٣) ، فقرر محمد البرتغالي حينئذ ان يهاجمه ، وقبل ان ينجز خطته
توفي في بيماني الأخيرة ٣٢ / ٥ / ١٥٢٦ م واعتقب وقاته نزاع بين اخيه ابي حسون وبين ولده
احمد ، ولما خلى عنها الطت لهذا الاخير في ذن الحجة ٣٢ / ٥ / ١٥٢٦ م طالب احمد الاعرج
بما استحق عليه من غريبة التهمة ، فلم يستجب له ، بل وتحالف مع الامراء المستقلين عن فاس
كأبن حدو وادريس ^(٤) المتقدم ذكرهما ، وحسن مدينة مراكش ، فلم يبق امام السلطان
الوطاسي الا الحرب ^(٥)

١ - حصار الوطاسيين لمراكش : ١٥٢٧ م هادن الوطاسيون والسعديون في اواخر الاشهر
الاولى من سنة ٣٣ / ٥ / ١٥٢٦ م البرتغاليين ليتفرغا للصراع ، بعضهم بعضا ، وتحرك السلطان
الوطاسي الى مراكش في جموع كبيرة ، وفرغ الحصار عليها ايما ، وامام وصول مدد كبير من
تارودانت بقيادة سعد الشيخ ، ووصول انباء من فاس عن ترمد ابناء عم السلطان الوطاسي ، رفع
هذا الاخير الحصار عن عجل الى قاعدة ملوكه ، متكيدا في اثنا الانسحاب خسائر كبيرة ^(٥)

(١) طويريس / المرجع السابق ص ٦٠ السلاون / الاستقصا ص ١١
Luiz de Sousa : Les Portugais et l'Afrique du nord de 1521 a 1557.
trad. R. Ricard, Portugal 1940, oh. 16.

(٢) طويريس / المرجع السابق ص ١١
(٣) لويس دوسوزا / المرجع السابق ص ٧٠ والسلاون / الاستقصا ص ١١
(٤) طويريس / المرجع السابق ص ٩٢
(٥) انظر عن حصار مراكش طويريس : المرجع السابق ص ١٦ . الافرائي : النهضة ص ١٩
السلاون : الاستقصا ص ٤٧ - ٤٨ وعنده ان الذي حاصر مراكش هو محمد البرتغالي .

٢- معركة آناماي :

تمكن احمد الوطاسي من اخمد التمرد ، ومن تجهيز حملة اخرى ضد السمديين ، وكان اللقاء هذه المرة بآناماي خان مراكش ، ولم ينته فيها بيد وبتصر حاسم لاهد الطرفين ، فافترقا على صلح ، وذلك في سنة ١٢٥ هـ / ١٥٢٨ م ^(١) .

٣- معركة بوعقبه ١٤٣ هـ / ١٥٣٦ م

ظل السلطان الوطاسي ينظر الى الاشراف السمديين على انهم مفتشون للسلطة في مراكش ، وبينما كان هؤلاء يرون انهم احق بالملك منه ^(٢) ، ولذلك فانهم ما فتئوا يوسعون سلطتهم ، الامر الذي جعل النزاع يتجدد بين الطرفين وفي سنة ١٤٣ / ٣ / ٩ هـ ١٥٣٦ / ١ / ٩٦ م حملا على بعضهم بقوات كبيرة والتقى على نهر المبيد ، وانتهى الصراع المنيف الذي دار بينهما بهزيمة كاملة لجيش السلطان الوطاسي ، على الرغم من تفوقه المدد (٢٠٠٠ ر.م. مقابل ١٢٠٠٠) ، ونجا السلطان الوطاسي بنفسه بصعوبة ^(٣) .

تقسيم المغرب بين الوطاسيين والسمديين : ١٤٣ هـ / ١٥٣٦ م وفي اعقاب هذه الحرب

التي مات فيها خلق كثير تدخل كبار علماء فاس واعيانها لعقد الصلح بين الوطاسي والاخوين الاعن ومحمد الشيخ ، ولم تكن مهمتهم سهلة ، اذ امتنع الشريفان عن تقديم التسهيلات لابراهيم ، ونش الاتفاق الذي توعدوا اليه على ان يكون للسمديين ما يلي تادلا جنوبا حتى اغراب السوس ، وللوطاسيين ما يلي تادلا شمالا الى رباط تازة ، وان تكون درعة للسمديين وسجلانية للوطاسيين ^(٤) . دون ان اشارة الى تبعية او خضوع الشريفين الى السلطان الوطاسي ما يعني ان المغرب قدما يتألف من مملكتين رئيسيتين لا تبعية لاحدهما للآخر ، فتهدمت الاوطان على الرعية ^(٥) ، ولكن الى حين فقد ، اذ ما لبث الطرفان الوطاسي والسمدي ان اصلا ما كما سترى بعد حين ، وقبل ذلك نشير الى ان السلطان الوطاسي الذي انهزم هزيمة كاملة ، فقد هدنة جديدة مع البرتغاليين في ٢٧ صفر ١٤٥ هـ / ٢٤ / ٧ / ١٥٢٨ م لمدة ١١ عاما ^(٦) ، ليؤمن بآناماي ، ويستمد من جهة اخرى للجولة القادمة مع خصومه السمديين ^(٧) .

(١) النزعة للأفرازي ٢٠ - الاستقصاء للسلاون ١٥٠

(٢) المجهول : المرجع السابق ص ٦

(٣) طويري / المرجع السابق ص ١٠٢-١٠٤ و م.م.م.م : البرتغال ج ١ ص ٤٠

(٤) الأفرازي : المرجع السابق ص ٢٠ - السلاون / الاستقصاء ج ٤ ص ١٥٣-١٥٤

(٥) الأفرازي - نفس المرجع ص ٢١ المجهول : المرجع السابق ص ٧

(٦) المجهول : نفس المرجع ص ٢

(٧) م.م.م.م : البرتغال ج ٣ ص ٤٤ و م.م.م.م : اسبانيا ج ١ ص ٩٠

(٨) السلاون : الاستقصاء ج ٤ ص ١٥٠ ، وعنده ان الهدنة كانت لمدة ثلاث سنوات

ولكن هذه الهدنة سببت له متاعب داخلية كثيرة مع الإمارات الشمالية التي كانت تقوم بأعمال الجهاد ضد المراكز البرتغالية ، ومع إمارة ديدو شرق المغرب التي استاءت من سياسته . الأمر الذي اضطره إلى استعجال القوة لاختصاص إمارة بني راشد في شفشاون في محرم ١٤٨ هـ / مات (١) ١٥٤١ ، وإلى اتباع سياسة الصاهرة مع أمير ديدو ومع السيدة حاكمة تيلوان ، حيث أصدر إلى الأول في ابنته ، وتزوج بالثانية (٢) ، كما كانت هدنته مع البرتغاليين سببا في فقد سمعته لدى عموم المجاهدين وأتباع البهاد (٣) .

أما أحمد الاعن ومحمد الشيخ فقد استفلا الهدنة مع الوطاسيين ، وهدنة أخرى عقداها مع البرتغاليين في ١٥ نونبر القعدة ١٤٧٠ هـ / ٢٥ / ٤ / ١٥٧٧ م لمدة ثلاث سنوات ، في سنة (٤) نفوذهم على المناطق التي لم تخضع لهم بعد في الجنوب المغربي ، كأعلى درعة التي كانت تحت حكم مزوار (مقدم) موال للبرتغاليين وعلى المناطق الأخرى التي كانت تحت نفوذ القبائل الصمودية الموالية للبرتغاليين (٥) بحيث امتد نفوذهما على كل المناطق في الجنوب المغربي ، ومقاطعات وسط المغرب فيما عدا الأطراف المجاورة للمراكز البرتغالية ، كما استفلاها في تنظيم مملكتها التي غدت تشمل مناطق واسعة ذات أهمية اقتصادية كبيرة كدرعة ، والسور ، ومراكس .

الا ان ملكتهما كانت لا تزال تفتقر الى مناه كبير صالح يتناسب مع الاعمية التي اعرجت
هذه المملكة ، يمكن ان يقصده التجار الاوربيون بكل حرية لشراء السكر المقوي الذي اخذ
محمد الشيخ بمفاته نائبا لاخته في السوق يستكثر من زراعته هناك (٦) فصم على تحرير مناه
آفادير الهام الواسع من البرتغاليين مهما كلفه من ثمن وقتجدد الصراع بين السعديين
والبرتغاليين بعد انقضاء اجل الهدنة بهجوم كبير قام به محمد الشيخ ضد المركز البرتغالي
وبعد حصار دام سبعة اشهر تمكن الامير السعد من اقتحام المركز وقتل واسر كل من كان به
متكبدا من اجل تحريرهم (٧) فانت آفادير اول مركز هام يحرره السعديون وذلك
في ذي القعدة ١٤٧٠ هـ / ١٥٤١ م الذي زادهم شعبية وشهرة لدى المغاربة ، وافزع كل
اعوان البرتغاليين ، واغلبهم فتسارعوا الى افلان خضوعهم للسعديين (٨)

(۱) لویزیدوسوزہ النورجیہ السابقہ ص ۱۴۸

محمد داود تاریخ تہوان الجبر والناسخ طران ۱۹۵۹ ص ۸۶

(٣) ابن عسکر الدعوة في ٤ - إترجمة محمد بن يحيى البهلواني (

(۴) م.م.ت.م : البرتنال ج ۳ ص ۴۴۴

(٤) م.م.م.؛ المجلد الأول، ص ١٠٥-١٠٦
 (٥) المرجع السابق، ج ٣

وأيضاً :.. المرجع السابق ع ١٠٥-(١٠٧)

(٦) طويريس : نفس المربع السابق ص ١٠٨

(١) مارمول المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦

8) BOULET(l'Abbé): Histoire de l'empire des oherifs en afrique. (A
Paris 1733. P. 128.

وغم محمد الشيخ غنائم كبيرة من هذا المركز واخذ فوراً في استغلال مينا آغادير في التجارة
بمالا ورعين ، ولا سيما من ربي السلاح منهم (١) .

وكان التجار الاوربيون يقبلون على مينا آغادير لشراء السكر والجلود والشمع وغيرها من السلع .
وكان رد فعل البرتغاليين على سقوط آغادير بيد السعديين ، وتعرض آسفي ايضا للحصار ،
قيام الحاكم البرتغالي لهذه الأخيرة . بهجوم مفاجئ على غرب النادلين المجاورة ، وتكبير
الحكومة البرتغالية في القيام بحملة ضخمة ضد مدينة مراكن ، بمشاركة السلطان أحمد الوطاسي
ولكن تراجع هذا الأخير بعد ان ابدت استعدادا للمشاركة في الحملة (٢) جعل البرتغاليين
لا يجدون فقط عن تنفيذ مشروع الحملة بل ويقررون ايضا الجلاء من آسفي وآزمور في شبان
١٣٨ / ديسمبر ١٥٤١ م (٣) والاحتفاظ فقط بمازاكان على ساحل وكالة ، من زيادة تحصين هذه
الأخيرة .

وفور جلاء البرتغاليين من المدينتين المذكورتين قام أحمد الاعن بالاستيلاء عليهما
واعاد آسفي (٤) اما آزمور فقد استمرت خربة خالية لقربها من مازاكان وقيام البرتغاليين بشن
غارات عليها من حين لآخر انطلاقا من عذا المركز (٥) .

وقد برر البرتغاليون انسحابهم من آسفي وآزمور برغبتهم في التخفيف من خزينة الدولة
لان الاحتفاظ بهما قد فداعيهما كبيرا عليها ، ان لم يعد للمركزين جدوى كما كانت سابقا قبل
اشتداد قوة السعديين ، وتطويع هؤلاء لنفوذهم على ما جاورهما من المناطق الداسلية حتى
بات لا يتجاوز اسوار المدينتين ، وهذا بالإضافة الى ان آسفي ليس لها مرفأ صالح ، وتوطينها
وامدادها عن طريق البحر ليس سهلا ، وان آزمور لا يمكن ان تستقبل السفن الكبيرة بسهولة .
منب نهرام الرين الخبير .

وقد كان التفكير في الجلاء عنهما منذ سنة ١٤١ هـ / ١٥٣٤ م واردا . الا ان ملك البرتغال
لم يجرؤ حينئذ على الامر بذلك خشية ردود الفعل المضادة وانتهاه بالتخلي عما حققه
اسلافه بشن غا (٦) .

وتحرير السعديين لآغادير ، وجلاء البرتغاليين تلقائيا عن آسفي وآزمور واخذ وجود هؤلاء
على الشواطيء المغربية في الانحسار ، ولا سيما عن الشواطيء الجنوبية والوسطى للمغرب ،
بحيث لم يبق لهم غير مازاكان .

(١) مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٣

(٢) لويز دوسوزا - المرجع السابق ص ١٥٠ - ١٥٤

(٣) نفسه ص ١٤٨ - ١٤١

(٤) نفسه ص ١٠٠ و ١٠١ م . ت . م : فرانسا ج ١ هاش ٣ ص ١٤١

(٥) مارمول / المرجع السابق ج ٢ ص ٨٥

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٠٠

(٧) نفسه ج ٢ ص ٨٥ و ١٠٠ لويز دوسوزا / المرجع السابق ص ١٥٦ و ١٦٠

النزاع بين الاخوين احمد الاعرج ومحمد الشيخ في الوقت الذي كان من المنتظر ان يوجهه السعديون جهودهم لتحرير ما زان التي بقيت بيد البرتغاليين ، اذا بنزاع ينشب بينهم الاخوين استمر بضع سنوات . واسباب هذا النزاع كما ذكرها طوريس^(١) ، اقتناع الاعرج بكلام الوشاة بأن اخاه محمد الشيخ لم يعدل معه في القسمة للفنائم التي ظفر بها في آفاد يسسر وان هذا الاخير تصرف في اقتسامها لاكولي عهد وانما كسلطان ، الامر الذي جعله يكتب لاهيه وبأمره بالحضور اليه ولكن محمد الشيخ رفض الحضور ، وحاول استبعاد ظنونه بدون جدوى . وبعد ان الشصبة الكبيرة التي جعل عليها محمد الشيخ في حملته على آفاد يره والشهرة التي نالها بعد انتصاره قد جعلت احمد الاعرج يفار من اخيه ويحسده .

وتمعد الخلاف ان رفض محمد الشيخ الحضور الى مراكز كما أصبح اخوه الاعرج ، وازاء الحاج هذا الاخير في اعادة قسمة الفنائم والحضور ، طلب محمد الشيخ بدوره ان يذهب اليه فقط اقتسام الفنائم ، ولكن ايضا اقتسام المملكة ، وان يعلن ابنه محمد الحران ولها للعهد بعدهما على كد المملكة باعتباره اكبر ابنائهما ، وان وسية والدتهما تقضي بأن يلي انك من بعده الاكبر فالاكبر في الاسرة من بينه ، وشالب ايضا بأمر اخر فاستشاط احمد الاعرج غضبا ، وتطور الامر بينهما الى نزاع مسلح . وبات جميع محاولات التوفيق بينهما بالفشل^(٢) .

وقد تمكن محمد الشيخ من الانتصار على اخيه واسره في احد الحمارك ثم اطلق سراحه بعد قبوله بتسليم المملكة بينهما ، وبأن يكون محمد الحران ولي عهد لهما ، وبينوا اخر تضمنتها المعاهدة التي عقداها بينهما^(٤) . ولكن احمد الاعرج نقض هذه المعاهدة بعد ان اصبح طليقا بنعز انهم وقصصها وهو اسير . فتجدد النزاع بينهما وانهمز الاعرج مرة اخرى في معركة لكاهرا الهامية سنة ١٥١٠م / ١٥٤٤م ، الفعلي دخل في اثرها محمد الشيخ الى مراكز قاصدة ملك اخيه واستقر بها ، وعرض على هذا الاخير الذي لجأ الى احد الزوايا ، ان يستقر هو وعائلته ، ومن شاء في تافيلات ، فتوجه اليها واقام بها الى حين^(٥) .

(١) طوريس / المرجع السابق ص ١١٤-١١٦ وانظر ايضا الافراني : النزعة ص ٢٢

(٢) الافراني : النزعة ص ٦٧

(٣) انظر تفاسيد النزاع في طوريس / المرجع السابق ص ١١٦-١٤٤

(٤) طوريس : نفس المرجع ص ١٤٧

(٥) نفسه . وانظر الزباني : المرجع السابق ص ٣٤٥

لم يكن نزاع الاخوين لمضي دون ان يؤثر على سمعة السعديين ونظرة الناس اليهم ،
فالقبايل السوسية التي عرفت السعديين قادة للجهاد ، قد اخذت بعد نشوب النزاع بين
الاخوين من اجل السلطة والنفوذ ، واقتسام الغنائم وغير ذلك من الامور ، تغيرت نظرتهم
اليهم . فبدأت بالتمرد طو الاخوين والثورة عليهما ، واوون هذه الثورات كانت ١٥٤٣م
بقيادة المراهب سيد عبد الله في الاطلس الكبير^(١) ثم تالت الثورات وسنرى ان محمدا الشيخ
قتل وهو يقود حملة لاجساد احدى الثورات في جبال الاطلس الكبير .

اما البرتغاليون فأرادوا انتهاز فرصة الصراع بين الاخوين لتوجيه ضربة قاصمة لهما بالتعاون
مع السلطان احمد الوطاسي^(٢) ، الا ان هذا كان مشغلا في الشبان بتمردات الامارات الشمالية
والشرقية^(٣) ، فلم يتجاوب معهم ، ولعل ذلك حرجا منه ايضا على الا يفقد ما بقي له من شعبية ،
بعد ما فقد الكثير منها من جراء عدنته معهم ، وخشيته من ان يؤسس تدخلهم ضد السعديين
الى ترك الاخوين لخلافتهما وتوجيه قواتهما ضد بعضها .

ولكن انفراد محمد الشيخ الطموح بالسلطان^{في مراكش} ، وتفوقه على اخيه الاعن ، اشمع السلطان الوطاسي
بالخطر ، ولذلك فقد رغب بطلب هذا الأخير مساعدته على استرجاع مملكته من اخيه ، وتجاوب
معه^(٤) .

معركة درنه في رجب ١٥٤٢هـ / ١٥٤٥م
لم يخفر محمد الشيخ لاحد الوطاسي استعداداته
لمساعدة اخيه غده ، فطمع ليضم مملكة فاس ، وثقلن الصلح الذي ابرم منذ عدة سنوات في اعقاب
معركة بوعقبة ، وطالب احمد الوطاسي بأن يتغلب له عن مقاطعة تادلا ، وقبل ان يحصل على
الجواب ، اخذ في جهاية الضرائب عنها ، وهب الوطاسي لاجماده عنها ، وزحف محمد الشيخ
الى لقائه فاصطدما على نهر دين ، احدى فروع نهرام الربيع في رجب ٥٢هـ / سبتمبر ١٥٤٥م وكسبان
السداء عنيفا لا شترالى قوات كبيرة فيه ، من المشاة والفرسان وحطة السلاح النار ، من كلا
الجانبين ، وكان النصر في النهاية حليف محمد الشيخ الذي تمكن من اسر السلطان الوطاسي
وابنه ابي بكر^(٥) ، وسقطت مقاطعة تادلا في قبضته ، وغدا الطريق الى فاس مفتوحا امامه ، فتقدم
اليها ، وقصد الدغول اليها ، فامتنع اهل فاس^(٦) بقيادة ابي حسون الوطاسي ومحمد القصرى

(١) : المرجع السابق ج ٢ ص ١٢٣-١٢٤
(٢) : لويز وسوزا المرجع السابق ص ١٤٧-٥٠ (سفار طوك البرتغال الى السلطان احمد الوطاسي)
(٣) : في سنة ١٥٤٢م ، اطلق بحكم زوجته في تطوان ، وحكم صهره في دبدو ، وكان ولا امير
شفشاون ، غير ثابت

(٤) : لويز / المرجع السابق ص ١٤٨

(٥) : نفسه ص ١٥٢-١٥٧ : الافرنى ص ٢٧-٢٨ - السلاوى : الاستقصاء ج ٤ ص ١٥٦

(٦) : لويز / نفس المرجع ص ١٦٤

ابن السلطان الوطاسي الاسير ، الذي هو بن سلطانا مؤقتا ، خلفا لوالده واستعدوا لمقاومته .
وكتب محمد الشيخ اعضاء الاسرة الوطاسية ، واعيان فاس يطلب منه تسليمه مدينة مكناس في مقابل
اطلاق سراح السلطان الاسير ، وهدد باستئصال القوة لتحقيق طلبه . (١)

الا ان خوفه من ان يختتم اخوه فرصة غيابه عن مراكز معظم قواته فيقد على استبعاد تهديده
جعله يعود الى مراكز ، ومعه السلطان الوطاسي الاسير دون ان ينفذ تهديده . وقد كان
الفاسيون من جهة اخرى قد استعدوا لمقاومته ، ثم ان الاسرة الوطاسية قامت بتوجيه نداء الى
السلطان الميثاني سليمان القانوني يطلبون منه التدخل لدى محمد الشيخ لاطلاق سراح
السلطان الاسير . (٢)

وكان رد فعل السلطان السعيد الاسير الى القضاء على الدولة الوطاسية قبل ان يستفحل
التدخل الميثاني في المغرب ، دون اكمال توجيه بعض الحملات ضد الحامية البرتغالية في
مازاكان لزيادة شعبيته ، والظهور بظهر الصاعد الساعي الى توحيد اجزاء المغرب ، وضمن
اهم هذه الحملات حملة صوم ١٥٤٢ هـ / ١٥٤٢ م التي تمكنت من الانتصار على (لويس د لورديو)
حاكم مازاكان ، بعد استدراجه الى خان اسوار المدينة المنيعه وكان تحقيقه عليه بعد اعصابته
بجراح . (٣) فهذه الانتصارات المتوالية لمحمد الشيخ على الوطاسيين والبرتغاليين جعلت شعولا
واولئك يسمون كل من جهته الى التقارب ، والتعاون ضد السعيديين ، البعد والمشارك ، ولكن
الثقة بين الطرفين ، والاخلاص في نواياهما ، كانت ضعيفة فيما يبدو ، ولذلك لم تتبلور مفاعيلهما
الى حركة او فعل حقيقي .

ضم محمد الشيخ لفاس والقضاء على الدولة الوطاسية ١٥٦١ هـ / ١٥٤١ م لم تنجح الوساطة
الميثانية ، وكب المساعي والجهود الاخرى في اطلاق سراح السلطان الوطاسي الاسير ،
لان محمد الشيخ اصر على ان تكون / مدينة مكناسية القريبة من فاس ، وليتخذها بدون شك رعايا
لاحتلال هذه الاخيرة ، وفرض الوطاسيون لشرطه . (٤) وعاد احمد الوطاسي الى ملكه في
جمادى الثانية / ٩٥٤ هـ / ١٥٤٢ م بعد نحو سنتين من الاسر في مراكز ، واخذ يسل على تعزيز
قوته للتأثر من خصمه وطلب مساعدة برتغالية ، ماثلة للمساعدة التي قدمها شارلوكسان

(١) طويريس : المرجع السابق : ص ١٦٤ وابن القاضي ، الدرر ج ٢ ص ٩٦

(٢) طويريس : نفس المرجع السابق ص ٢٠٧

(٣) نفسه ص ١٧١ - ١٧٦

(٤) ع. م. ث. ج. فرائص ج ١ ص ١٤٩

(٥) طويريس : المرجع السابق ص ٢١٥

سلطاني تونس وتلمسان (١) ووعد بهد أحمد الاعرج (٢)، فأتخذ محمد الشيخ ذلك ذريعة
 قضا على الدولة الوطاسية التي تقل نفوذها كثيرا بعد تسليم مكناسة، إذ أن مناطق عديدة
 قد خرجت قبلها عن طاعة سلطان فاس قبل معركة وادي درنة في سنة ١٥٤٥ م وبعد هبها
 منها تلمسان التي تمكن فيها محمد الحسن المنصور من الاطاحة بحكم السيدة الحرة، زوجة
 سلطان الوطاسي، في اواخر سنة ١٥٤٤ هـ / ١٥٤٢ م وفي نفس الفترة نجح مولاي عار في الاطاحة بحكم
 فيه في دبدو واستقل بالامارة.

أرسل محمد الشيخ لحملته على فاس بأنه بعد طلبها من السلطان الوطاسي، ولما كان جواب
 هذا الأخير هو الرفض كما كان منتظرا، سمر السلطان السعدي حملة الى فاس في ١٥٥٥ هـ / ١٥٤٨ م.
 بعد الوطاسي قوات كبيرة لمواجهة، وبداية مدد من حليفه أحمد الاعرج بقيادة ابنه زمران،
 كان النصر هذه المرة في المعركة التي دارت رحاها قرب فاس في ٢٣ ربيع الاول ١٥٥٥ هـ / في
 ١٥٤٨ / ٥ / حليف الوطاسيين (٣)، فأعد محمد الشيخ حملة أخرى ضخمة قوامها ثلاثون ألفا
 من مشاة وفرسان قادها بنفسه (٤) في رمضان ١٥٥٥ هـ / أكتوبر ١٥٤٨ م وحاصرها مدينة فاس (٥).

وقد تخلل الحصار مناوشات واشتباكات عديدة، وأخرج أسوار المدينة ثم في داخلها، تكبد فيها
 طرفان خسائر كبيرة كما تخللت مفاوضات بين السلطان الوطاسي، ومحمد الشيخ، لم يقبل
 هذا الأخير فيها بخير تسليم فاس إليه. وتحمل السلطان الوطاسي ومنه أحد فاس الحصار
 خمسة أشهر، معتقدين أن فصل الشتاء كفيل بإجبار السلطان السعدي على الانسحاب
 لا أن هذا الأخير لم يفعل، بل وشدد الحث على المدينة حتى اضطر السلطان الوطاسي
 إلى الاستسلام له، بعد أن أخذ منه تعهدا بعدم الحث إلا أن بأحد فاس وذلك في شهر
 ربيع الثاني ١٥٤٩ م (٦).

ودخل السلطان السعدي فاس منتصرا، وعفا عن أهلها، وحصل على بهمتهم، ومارعت المناطق
 القبائل إلى إعلان خضوعها له، ومن لم يفعل كمولاي عمار أمير دبدو وأبي حسون أمير بادس، وبعد
 لادن في شرق المغرب كغرسيف وغيرها، أرسل جيشه لاحتلالها وأخضاعها، وتحقق ذلك
 بسهولة، إذ أثار أمير دبدو والفرار (٧) إلى الأسبان في طلبه على المقاومة، وفر أبو حسون من بادس
 إلى مليلة أيضا (٨)، وخضعت غرسيف وكل مدن شرق المغرب بها في ذلك وجده التي كانت تحت

(١) م. م. ت. م. : أسبانيا ج ١، ص ٢١٤، رسالة بتاريخ ١١ / ٤ / ١٥٤٧

(٢) القشتالي ماهر المصفاي، ما نمر مواليسنا الشرفاء، تحقيق عبد الكريم، الرباط 1972 ص 74.

(٣) م. م. ت. م. : البرتغال ج ٤ ص ٢٦٨

(٤) طوريس : المرجع السابق ص ٢٦٣

(٥) انظر عن حصار فاس وما تخلله نفس المرجع ٢٢٤ - ٢٢٢ المجهول : المرجع السابق ص ١٥

(٦) م. م. ت. م. : أسبانيا ج ١ ص ١٤٩

(٧) نفسه : ص ٤٢١ - ٤٢٣

(٨) نفسه : ص ٢٣٢ و طوريس : المرجع السابق ص ٢٤٦ - ٢٤٨

بها ، كما استرجع مولاى عمار بهذه المناسبة امارته في دبدو ، وعاد بنفس المناسبة احمد الاعين
 ابنه زيدان الى تافيلالت (١) مما تطلب منه بذل جهد كبير خلال بقية سنة (١٦٦٠ هـ / ١٥٥٤ م)
 استرجاع فاس من ابي حسن ، الذي اخذ فور عودة الاثراك منها الى الجزائر في اعداد الجيوش ،
 جهيدا للجولة القادمة معه ، والذي جدد الاتصالات مع البرتغاليين ، وعقد حلفا دفاعيا وهجوميا (٢)
 بين احمد الاعين صده - ولا استرجاع تافيلالت من اخيه وثار من ابي حسن ، هجر جيشين لضرب كل
 من الطرفين المتحالفين في نفس الوقت وكل واحد على انفراد ، احدهما بقيادة ابنه عبد الله
 وهذا وجهه الى فاس ضد ابي حسن فحجب (١٦٦٠ هـ / جوان ١٥٥٤ م) ، والاخر تولى قيادة
 هو ، وسار به ضد اخيه وابناؤه وحاصرهم في تافيلالت . وبينما انكسر الجيش الاول وانهمزم
 شبر هزيمة (٤) ، تمكن الجيش الثاني بفضل مكر محمد الشيخ وخداه من الدخول الى تافيلالت
 والقبض على اخيه وابناؤه فيها . وذلك تفرد لابي حسن بكل قواته وعلى مقربة من فاس ، عبرت
 صرقتين الطرفين السعدون والوطاسي في شوال (١٦٦٠ هـ / سبتمبر ١٥٥٤ م) استسلم فيهما
 ابو حسن قبل ان يختاله غدرا احد اعوان محمد الشيخ الذين اندسوا في صفوفه ، فاضطرب
 جيشه وانهمزم ، ولان اثنان من ابناؤه ابي حسن الى الفرار ، واستقر احدهما عند الاسبان والآخر
 عند الاثراك في الجزائر . ودخل محمد الشيخ ظافرا الى فاس للمرة الثانية في ٢٤ شوال ١٦٦٠ هـ
 (٥)
 ١٥٥٤ / ٩ / ٢٢

ولم يخفر هذه الحرة للفاسيين ، تأييدهم لابي حسن وترحيبهم بعودته الى فاس ف " تحكّم
 في اهل فاس بالاذلال " والامانة وادب حسائفه فيهم وقهر اهلها بانواع الافغان ، وتلى اكثرهم
 للشرق ، واجلاهم للجهال والبهادى وفعل بهم السجائب من الافعال ذوات الصائب (٦) وطالبهم
 بتمويه ما اخذه الاثراك المشانين من امواله فداة دخولهم الى فاس وكان يقتل كل من حاول
 اخفاء امواله هروبا من التتمويه وبلغ عدد الذين قتلهم من اثرياء فاس المشين (٧) لمحاولتهم
 اخفاء اموالهم .

لقد قننى محمد الشيخ بمقتله ابا حسن ، الذي كان اخطر منافئه - على الدولة الوطاسية
 بصفة نهائية ، اذا لم يستطع احد من الامراء الوطاسيين الذين استقروا عند اثراك الجزائر
 المشانين ان يهدده او يحيى الدولة الوطاسية من جديد .

(١) سيأتي الحديث عن هذه الحملة في فصل العلاقات السياسية لرابح .

(٢) م . م . ت . م . : اسبانيا ج ٢ ص ١٦٥

(٣) طويريس / المرجع السابق ص ٣٧٦-٣٧٧

(٤) طويريس نفس المرجع ص ١٧٨ و : م . م . ت . م . : اسبانيا ج ٢ ص ١٧١-١٧٤

(٥) طويريس : المصدر السابق ص ٣٨٦-٣٩٠ و م . م . ت . م . : اسبانيا ج ٢ ص ٢٠٨ ، ٢٤٩

الافرائي : المرجع السابق ص ٣١ ، المجهول : المرجع السابق ص ٢١

(٦) المجهول : المرجع السابق ص ٢٢

(٧) طويريس : المصدر السابق ص ٣٩١-٣٩٢

بأسره اخاه احمد الاعرج وابناه علي الضاويين له ٤ من داخل أسرته ، ولكن محمدا
 بن لم يطمئن على ملكه ، الا بعد ان قتل ايضا كبار انصار الوطاسيين في فاس من الملماء
 فقها امثال القاضي ممد الوهاب الزقاق في فاس (١) وخطيب مكناسة ابي علي حرزوز (٢) والمفتي
 الواحد الوشريني (٣) وغيرهم الذين كانوا يؤيدون الناصر عليه في خطبهم ، واحاد يشهدون
 بهم ويرفضون الولاة له .

فه من القون الدينية : وفي سبيل ارساء دعائم الطك وتوطيد ها لم يتردد محمد الشيخ
 ي كان يتخوف على ملكه من المرابطين والمتصوفة ايضا ، لدخول السعديين الطك من بابهم ،
 امتحان ارباب الزوايا المستدرين للشيخة ، الذين كان يشت في حقيقة نواياهم ، وولا لهم
 فضع زواياهم للمراقبة والتفتيش (٤) فأخلى بعضها ونفى اصحابها الى اماكن معينة كسيد عبد الله
 وبنو الذي اغلق زاويته في مراكش ، واجر برحيله الى فاس (٥) وابي علي الحسن الصياحي وغيرهما (٦)
 لم يتردد ايضا في قتل الممارضين لسياسة التفرقة كأرباب الزوايا الاطلس الكبيــر
 سرهم .

وكان محمد الشيخ قد الفس جميعا لامتيازات التي كان ارباب الزوايا يتمتعون بها كالاغفاء
 اداء الشريعة .

ولكن هذه المواقف الصارمة التي وقفها واتخذها محمد الشيخ تجاه القون الدينية لم
 حقق الغرض المتوخى ، اذ ان هذه القون التي قضى على امتيازاتها ، لم تخضع ولم تستكن له
 لا رهبة من بطشه ، وذلك تتحين الفرص للثورة عليه ، بل وللقضاء على حكم أسرته . واوليس
 هذه الفرص السانحة للثورة كانت في اعقاب انهزام (محمد الشيخ) امام حملة صالح رايس
 ابي حسون على فاس في سنة ١١٦١ هـ / ١٥٥٤ م حيث اشتمل لهيب الثورة في مختلف جهات
 المغرب بدعم وتحريض من طك القسطنطيني فتمسكت امتيازاتها السابقة . وهذا ما جعل
 محمدا الشيخ ينفق كل جهده في السنوات الاخيرة من حكمه في التحرك لقمعها .

(١) انظر عنه ابن عسكر ص ٤٣-٤٤

(٢) نفس المرجع ص ٦٢-٦٣

(٣) نفس المرجع ص ٤١-٤٣

(٤) الافراني : الفزعة ص ٤١

(٥) نفسه ص ٤١ ، ابن عسكر : دوحة الناصر ص ٨١-٨٢

(٦) ابن عسكر : المصدر السابق ص ٦٤-٦٥

(٧) تاريخ المرجع السابق ص ١٠١

ولا يعني هذا ان محمد الشيخ لم يكن يحاول اهدا كسب القون الدينية الى جانبه عن طريق اللين ، ومجاطة بعض كبار المراهطين الذين لا يتوجس خيفة منهم او من اتباعهم كسياسي حمزة المراكشي^(١) ، وغيره ، فأشال سيد حمزة كانوا موضع التقدير لديه .

موقفه من القون القبلية : وكما اتسم موقف محمد الشيخ بالشدة والحزم تجاه القون الدينية كان موقفه كذلك تجاه القون القبلية ، ولا سيما المتذبذبة في ولائها كقبائل الضرب (غربسلطة فاس) وغيرها التي تغلبت عنه في معركة كدية المخالي قرب فارس ، التي خاضها ضد حملة صالح رايس ، ووالي حسون ، ومالت الى صفوف هذا الاخير فجرت عليه الهزيمة ، والتي قامت بعد ذلك بنصرة ابي حسون ضد جيشه بقيادة ولده عبد الله ، فلما تمكن من القضاء على الدولة الوطاسية للمرة الثانية^(٢) . . . انتزع غيلهم وارجلهم كافة ، وضرب عليهم الخراج ، ونظمهم في سلك الرعايا الفارمة . . . وغرب اعيانهم ورواسيتهم كافة بأولادهم الى مراكز والقائد بنسبهم منها فلم يجر لهم رزقا ، ولا اقلصهم ولنا ، ولا شرب لهم بسهم واغرب بهم عروق الد . . . وجوب الفقر^(٣) .

وكان محمد الشيخ من جهة اخرى يقوم بنقل القبائل من جهة الى اخرى سواء لتحقيق الامن ، او لاضحات شوكة تلك القبائل او للاستفادة من خدماتها في الموقع الجديد . وهكذا نقل علي بن سبيل المثال عرب الرحامنة من تفاوست بأقصى جنوب المغرب ، الى تامسنا بغربي مملكة فاس^(٣) ، وهذه السياسة التي اتبعها محمد الشيخ تجاه القبائل الموالية والحادية اتبعها ايضا خلفاؤه كما سنرى .

اهتمام محمد الشيخ بالدين :

عنى بفرض سلطته على كامل اجزاء المغرب ، وبتقريب مركزها قويا في مغرب غدا متعودا على تجزؤ السلط وتفتتها وحزمتها يدافع عن هذا الاخير ضد التدخلات الخارجية ، ويحقق طموحاته والتوسع شرقا وشمالا وجنوبا ، اولى محمد الشيخ اهتماما كبيرا بتكوين جيش نظامي قوى كبير فعمل على الاستكثار من الدين ، وطور تسليحه تسليحا جيدا ، وهذا الامر جعله دوما في حاجة كبيرة الى المال وبشكل منتظم . ولتوفير هذا المال :

- (١) قال ابن عسكر في ترجمته : كان . . . قائما على الجادة في مقام الزهد والورع والتفقه عن الدنيا حتى خفي منها ، ولم يلتصق به منها شيء . . . جاء الخبر الى السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ بأن الشيخ حمزة في النزاع فقاتل السلطان اولاده اذ دعبوا لصنوبر وفاة هذا الولي . . . انظر الدوحة ٩٩
- (٢) القشتالي : مناهل الصفاء ص ١٠٩
- (٣) الزباني : المربعين السابقين ص ٣٤٢

— اهتم بالتجارة الخارجية فنشطها ، وعمل عند كان ولي عهد لاخيه علي
استمارة الحيوية والنشاط الاقتصادي للجنوب المغربي ، الذي كان قد تأثر كثيرا بالفساد
البرتغالي ، وبحول مجاور التجارة بعد اضطراب الامور فيه نحو الشرق ، وذلك بأن قسام
بعدة خطوات ، واضعافها في باب العلاقات الاقتصادية بحيث اوجد مدخولا هاما من التجارة
في السكر وغيره من المواد من الدول الاوربية . كان يمكن من الانفاق على جيشه وتسليحه .
وقد كان يتبادل السكر بالاسلحة الاوربية الحديثة والمتفاد الحربي وغير ذلك مما يحتاجه .
ولكن موارد من التجارة في السكر والثروات الباطنية ومن الرسوم الجمركية لم تكن منتظمة
ولا كافية لتغطية احتياجات المتزايدة الى المال ، ولذلك فقد :
— اعتم ايضا بالضرائب وجمعها وتنظيمها فالنفي الاعفاءات الكثيرة التي كانت تشتت بها بعض
الفئات الاجتماعية كالمرايطين والاشراف ، ومن الضائقة الضيقة المستعمية . وفرض ضريبة الخراج
على الارض المنتجة في السهل والجبل . واستصدر بشأنها فتوى من احمد الملم والد ^(١) ~~الديين~~
وكان عبد المؤمن الموعود ، قد سبقه الى فرض الخراج على الارض المغربية واستحدث ضريبة
سماها النائية او ضريبة الرأس ، وفيها يقول الافرائي : (وكانت هذه النائية في زمن السلطان
ابي عبد الله محمد تفرض على حساب السكان ، وبفرض الشيء الخفيف في ذلك) . (٢) اما ~~طوريس~~
المناصر لمحمد الشيخ فيصدر مقدارنا بأربعة اخماس الدوكات من كل رجل وامرأة ابتداء
من سن ١٢ سنة . ^(٣)

وكان محمد الشيخ لا ينزه عنها احد ^(٤) . وعنده " المسلمون كلهم سواء في عذا الامر " ^(٥) .
ولكن سياسته الضريبية لم تكن دون معارضة شديدة من قبل السكان ، فالضريبة التي استحدثها
ظل المفاربة ينظرون اليها على انها غير شرعية كما كان ينظر اصحاب الاراضي الجبلية
على الخسوس الى ضريبة الخراج على انها غير شرعية باعتبار ان الجبال في المغرب لم تفتى
عنوة من قبل الفاتحين المسلمين حتى يلزمها الخراج ، بدل الزكاة فقط .

(١) الافرائي : النزهة ص ٣٦

(٢) نفسه ص ٣٩

(٣) طوريس : المربع السابن ص ٤٠١

(٤) الافرائي : النزهة ص ٤٠

(٥) ابن عسك : الدعوة ص ٨٥

وكان اعرار محمد الشيخ على تلبين سياسته التبريرية سببا في قيام ثورات عديدة منها ثورة سكان جبل الالاس الكبير في ١٥٤٧/٥٤٧ م. وقد حمل السلطان مسؤولية هذه الثورة لشيخ الزوايا في المنطقة الثائرة فقتل احد عشر منهم (١) ، ولكن قتلهم لم يزد سكان المناطق الجبلية الا نفقة على سياسته ، فعانى كثيرا في سبيل اخضاعهم .

وفضل الموارد النادرة (٢) التي حصل عليها محمد الشيخ من التجارة والرسوم الجمركية والنفرائب المستطرفة ، استطاع ان يكون جيشا نظاميا كبيرا قدر بنحو عشرة آلاف ، غير ما يضاف اليه في حالة الحرب من قبائل الجيش (٣) المخزنية . كما استطاع ان يوجد بعض المنشآت الهامة كمناخ آفادير ، وجسرام الربيع ، ومعارض السكر في السون وغير ذلك .

التنظيم الاداري : اما ما يتعلق بتنظيم شؤون دولته الداخلية التي اختار لها مدينة مراكش عاصمة بدلا من مدينة فاس ، هذه المدينة التي لم يشعر فيها بالاطمئنان ليس فقط خوفا من اهلها الذين ظلت قلوبهم مع الوطاسيين ، ولكن ايضا من جيرانه الاتراك المشانين ، فقد استعان بخبرة الوزير الوطاسي الاسبق قاسم الزرهوني في الذي علم السمديين " كيف يباشرون الامور مع اعيان القبائل وأكابر القوم ، وكيف ينمق الديوان ، ومن يختاره من العلماء والادباء والكتاب والعقلاء والقواد ، وكيف يكون قصودهم ومنازلهم في المجالس الى غير ذلك من الامور . . . وضبط لهم ملكهم ، وزينه ، وشرف امرهم وحسنه واعلى منازلهم واتقنه . . . " (٤)

ذلك ان السمديين كانوا حتى دخولهم الى فاس لا يزالون بدوا في همتهم وشرقيتهم حياتهم ، وادارتهم للامور فتوخيت حياتهم يد الوزير المذكور الذي علمهم ايضا " كيف يلبسون الثياب ، وكيف يشدون الشدود والعمائم وكيف يركبون المراكب يزد عجب ، وكيف يشبهون السلاح " (٥) . . .

الا ان جهاز محمد الشيخ الحكومي كان ممثله من اهل الجنوب حيث جعل قضاته من اهل السون وعلماءهم ، والولاة في كل غلطة منهم (انهم كانوا انصاره واعوانه) (٦) وقد قسم محمد الشيخ المقاطعات المغربية ومدينة الرئيسية على ١٧١٠ . فكانت مدينة فاس تحت ادارة ولي العهد ، ومدين تارودانت ، وسجلماطة ، ومكناسة تحت حكم اولاد ، الآخرين . وكان جهازه الحارمي انترزقا يتألف من الوزير الكاتب الرئيس (كاتم السر) ، وحاجب القصر وامين المال ، وعدد من القادة امختلف الصمات والقضاة ، وجباة الضرائب وحرس السلطان ، واصحاب المشورة واقارب السلاطين (٧) .

- (١) دوريس : المرجع السابق ص ١٩٤
(٢) نفسه : ص ٢٠١
(٣) نفسه : ص ٣١٩
(٤) دوريس : المرجع السابق ج ٣ ص ٨٧
(٥) دوريس : المرجع السابق ص ٢٤
(٦) دوريس : المرجع السابق ص ٣١٥-٣١٩

ب - العلاقات الخارجية لمحمد الشيخ :

١ - مع بلاد السودان :

توجهت انتارات السعديين منذ قيامهم في جنوب المغرب نحو بلاد السودان بحكم - م
العلاقات التجارية التي كانت بين هذه المنطقة من المغرب ، وبلاد السودان . وسعى إلى بسط
نفوذهم على معادن الملح في تيفازة شمالي بلاد السودان وكانتوا بشأنها السلطان السوداني
لاسكيا اسحاق الاول ولعلوا منه التنازل عنها لهم ، وهذا في عهد أحمد الامرج ، فلم
يسمهم إلى طلبهم (١) .

ولما آل الحكم إلى أخيه محمد الشيخ في سنة ١٥١١ هـ / ١٥٤٤ م كاتبة مرة أخرى
في لفتة الترشع وكان رده ليس فقلد الرقص وانما أرسل إلى حلبة النسي د وهد به جنوب المغرب
سلاسل في إحدى اسواقها ثم رجعت ، فمهرز حلة استولت على المعادن المذكورة وعلى ودان .
كان رد فعل السلطان السوداني ، طح تيفازة . ثم تلور الامير محمد ذلك إلى التفاهم
على اساس ان يتسلم السلطان (٢)
في عن معادن الملح لاسكيا مقابل نصيب معلوم من المال .
ومع هذا بدأت العلاقات
بين السودان بداية صعبة تميزت بالتهديد واستفدام
قوة .

٢ - مع البلاد الأوروبية :

كانت العلاقات مع أوروبا
مهمة باستثناء اسبانيا والبرتغال علاقات سلمية وتجارية
الغصوص . وشجع محمد ال
التجار الأوربيين على المجيء إلى المغرب للتجارة بمحاطة
حسنة لهم وضمان أمنهم في بلاده فأقبلوا إليه وحقق الجانبان المغربي والأوروبي أرباحا كبيرة .
أما العلاقات مع اسبانيا والبرتغال فكانت سيئة وذات طابع عنيف في البداية ، وسلمي
نهاية عهده . بين وقد نفسه مهددا من أتراك الجزائر . وتذهب الوثائق كما سنرى فسمي
فصل السر إلى أنه سمي إلى عقد تحالف مع الاسبان ضد هؤلاء في أعوامه الأخيرة ،
أنه عقد هدنة مع البرتغاليين في سنة ١٦٢٢ هـ / ١٥٥٥ م لمدة ستة أشهر ثم طال . (٣)

عبد الرحمن السعدي تاريخ السودان تحقيق محمد بن بارسون ١٩٦٤ ص ٩٦
نفسه ص ١٠٠ . والفشتالي المرجع السابق ص ١٢٠ . ومارمور المرجع السابق ص ٣٠٣
٢٠٠٣ م . اسبانيا ص ٢٢٢ - ٢٢٤ م . شوم . المرجع السابق ص ٥٠٠ .

٣- أما علاقاته مع بربرائه الأتراك المشانين فكانت كما ورد مرصا تتميز بالمداء والعنف ، وسنرى في فصل العلاقات السياسية أسباب ذلك بالتفصيل الممكن . وفككتني الآن بالاضافة الى ما تقدم أن محمد الشيخ قد مات مقتولا في ذي الحجة ١٢٤ هـ / أكتوبر ١٥٥٧ م على يد أتراك بعضهم حاكم الجزائر خصمها لاغتيا له . (١)

وبلا عمل انني اطلت الوقوف قليلا عند عهد محمد الشيخ ، وعذري انه كان الموحسد للمغرب ، فهو الذي ((أقعد قواعد الملك وأسس مانيه واحيا مراسم الخلافة الدارسة ومعالها (٢) الخلافة . . .)) ورسم سياستها الداخلية والخارجية ، ومنها علاقاته مع جارتها الجزائر التي ظلت تسير طيها في عهده وعهد خلفائه .

عبد الله يخلف والده ويسير على نهجه :
 ١ - سياسة
 آمل انكم في المغرب بعد مقتل محمد الشيخ ع
 الطبق بالغالب بالله ، الذي كان يقيم في فاس وكان
 أهل مراكش ، دون أي معارضة ، هو الانتقام من
 تارودانت . وما كان يحقق غرضه ذلك حتى قاد حـ
 سنة ١٢٥ هـ / ١٥٥٧ م ضد فاس . ونجح عبد الله
 للحديث عن هذه الحملة بمزيد من التفصيل في النص
 بين عبد الله وأخوته بربران ما حل بدله الشك والظن ، مما جعل السلطان السعدي الجديد يقضي
 على أخيه عثمان ، الذي قام بدور كيهن في ضد الحملة الجزائرية ، (٢) فخافه أخوته الآخرون وهم
 عبد الملك ، وعبد المؤمن ، وأحمد ، وفروا الى الجزائر عند أتراسها المشانين . (٣) فخبلا
 له الجوفعين ولده محمدا وليا للمهد ، ونائبها له علي فاس ، وهذا مغالفة للقاعدة التي وضعها
 القائم بأمر الله ، والتي تقتضي بأن يلي الحكم الأكبر فالأكبر من الأبناء في الأسرة .
 وقد كان وجود أخوته عند الأتراك في الجزائر يثير لدى عبد الله صغاف كبيرة (٤) . ان كان
 يخشى أن يأتوه بـ حملة منها كما أتى أبو حسون من قبلهم . ولذلك فان عبد الله اهتم كثيرا بـ
 ((تربية البيوت وترتيبها ، وادخار الذخائر ، واستعدادها ، وتكثير المدة وآلات الحرب ،
 وتمهير غزائن البارود ، واهمية الزرع ، وغير ذلك ما يحتاج اليه ، ويتحصن به من الرقائـج .

١- الأغرائي : المربع السابق عن ٤٤

٢- نفسه ٥٥٥

٣- المجهول المربع السابق عن ٣٦

٤- نفسه

(١) ، وأبقى على النظام الضريبي الذي وضعه والده ، من أجل توفير المال ،
اللازم لتربية هذه النخيل واستثمارها . وأولى عناية كبيرة أيضا لزراعة قصب السكر والتجارة فيه ،
فكان يحصل على مورد هام من التجارة فيه .

موقفه من القوى الدينية :

وأمام شموه بالخطر الخارجي ، ولا سيما من جهة الشرق ، وبالخطر الداخلي على ملكه بسبب
الثورات التي قامت نتيجة سياسة والده الضريبية وغيرها ، تقرب عبد الله من بعض كبار المراهطين
مثل أحمد بن موسى الجزولي (٢) وغيره . واستعان بما كان لهم من تأثير في توطيد ملكه ،
وتهدئة الجنوب الحضرمي الذي كان ثائرا منذ عهد والده .

إلا أن بيد الله كان من جهة أخرى متشددا ، عازما ، تجاه كل من يمارس سياسته
أو يتشدد في ولائه له ، كما وثقه على سبيل المثال من أتباع أبي الدباس أحمد بن يوسف الذين
كان يعتقد أنهم من الموالين للأتراك كشيوخهم المشهور (٣) فقد قتل بعضهم ، وسجن آخرين
بدعوى الزندقة والفساد .

موقفه من القوى القبلية :

وفي أبواه الخطر الخارجي مال عبد الله أيضا إلى تعميق علاقاته مع القبائل الحربية ،
بحافي ذلك القبائل التي نكحها والده . فالتفت إلى أعيانها الذين كان والده قد غلبهم إلى
مراكش وأعطاهم فيها . (٤) وأجرى لهم رزقا ، وألحق بهم فرسانا ، فأقاموا يرتضون أحلاف تلك
القبيلة القليلة . . . (٤) .

موقفه من القوى الاجتماعية :

هذا في حين كان موقفه في غاية الصرامة تجاه المعارضين لسياسته المهادنة والمسالمة
للإسبان ، مثل أمراء شفشاون ، ومقدمي تطوان ، الذين كانوا يقومون بالجهاد ضد المراكز الإسبانية
والبرتغالية في شمال المغرب ، ومعارضون دوما مهادنة النصارى المعتولين ، ومسالمة منهم ،
وعذا منذ عهد البواسيين . فوجه حملة في الثاني من سنة ١٥٦٩ م (١٥٦١/١٠/١٢) في
بقيادة ولد أمه محمد بن عبد القادر ، قضت على إمارة بني راشد في شفشاون ، التي تأسست
قبل نحو قرن من الزمان . (٥) ثم أخرجهم من ذلك في ١٥٦٥ م / ١٥٦٧ م القائد الحسن عن

(١) نفسه - ١٥٦٥ م / ١٥٦٧ م

٢- الأفراني : المرجع السابق ص ٤٨

٣- أ. ت. - ور : المرجع السابق ص ١٣٩ - ابن عسك : المرجع السابق ص ٩١ - ٩٢ .

٤- الفشتالي : المرجع السابق ص ١٠٩ - ١١٠ .

٥- ابن عسك : المرجع السابق ص ٢٢ مرمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٧٣ السلاوي : المرجع السابق

ج ٥ ص ٤١ .

(١) وانتهاز فرصة موت أمير دبدو مولاي عمار في سنة ١٧٠٠ هـ / ١٥٦٣ م لم يقضي
أغيا على إمارة دبدو التي مضى على تأسيسها هي الأخرى نحو قرن من الزمان (٢) ، وليقبه --- م
ها حاكما مع حامية قوية لحمايتها من الأتراك المشانبيين والمتعاونين معهم من قبائل شرق المغرب.
2- علاقاته الخارجية : أما علاقاته الخارجية فتميزت بسعيه إلى
توطيد العلاقات مع الدول الأوروبية الغربية كفرنسا وإنجلترا واستمراره في التقرب من الأسبان ،
مهادنة ملوك بلاد السودان ، في حين تميزت علاقاته مع برائه أترك الجزائر المشانبيين
لتذبذب كما سنرى ذلك فضلا في فصل العلاقات السياسية . أما الآن فنلقي مزيدا من التوضيح
على علاقاته مع الدول الأوروبية المختلفة ، لما كان لبعضها من أثر في علاقاته مع الجزائر .

علاقاته مع فرنسا وملكة نافار :

حصل بين عبد الله وبين فرنسا تقارب عن طريق الأمير انطوان دوبرون ، أمير نافار
في سنة ١٦٧٠ هـ / ١٥٥١ م . وقبل عبد الله أن يسلم للأمير المذكور مدينة القصر
الصغير الواقعة على المضيق بين سبتة وملنجه المصطبتين من قبل البرتغاليين ، وقد
جاء منها هؤلاء في سنة ١٥٧٠ هـ / ١٥٥٠ م . كما وافق على تقديم التسهيلات
التجارية والأمنية الممكنة للفرنسيين ، على أن يمدد هؤلاء في مقابل ذلك بمساعدات
مسلحة (٣) . ولكن فيليب الثاني استاء من هذا التقارب الذي ينطوي على تهديد
لأسبانيا في حال تجديد النزاع بينه وبين فرنسا لقرب موقع القصر الصغير من أسبانيا
وانتهى الأمر بتراجع عبد الله عن عرضه السابق الذكر وبذلك فشل التقارب بينه
وبين انطوان دوبرون (٤) .

علاقاته مع إنجلترا :

سعى عبد الله إلى التقرب أيضا من إنجلترا التي لم تكن لها أطماع إقليمية واضحة
في المغرب ، في هذه الفترة . فبحث رسالة إلى إليزابيث ملكة إنجلترا بتاريخ ١٧٧٠ هـ
/ ١٥٦٩ م يهدى لها فيها رغبته في صداقتها ، واستعداداته لتقديم طلباتها (٥) .
وقد كان التجار الإنجليز يترددون على الشواطئ المغربية بقصد التجارة مع المغاربة ،
حيث كانوا يحققون أرباحا كبيرة . وذلك على الرغم من حظر البرتغاليين التجارة مع المغرب

(١) الزياتي بالمراجع السابق ص ٣٥

(٢) مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩

(٣) - ١٠٠٠ م . فرنسا ج ١ ص ١٧٨ - ١٨١

(4) Pierrot Deselligny (I): *Traité d'Antoine de Bourbon avec le Chérif de Fez et tentative d'expédition au Maroc. Maroc 1891.*

(٥) - ١٠٠٠ م . إنجلترا ج ١ ص ١٨

على الاوربيين كي لا ينافسوه على التجارة فيه .

ب- علاقات مع البرتغاليين :

كان السلم يغلب على علاقات مع البرتغاليين ، اذا استثنينا حملة على مازاكان ((البريجة)) ، وعصاره لها بواسطة ابنه محمد وقائده على بن وده ، وعدد ضخم من المسلمين في ربيع سنة ٩٦٠ هـ / ١٥٦٢ م ، ثم فكه الحصار قبل تحقيق النصر الكامل (١) . ويذهب صاحب تاريخ الدولة السعدية الى القول بأن رفع الحصار من مازاكان والتخلي عن تحريرها ، كان لقاء تموين مالي هام ، تلقاه عبد الله من البرتغاليين . بينما تمزق الوثائق سبب اغتصاب المغاربة عن مازاكان الى صود القوات البرتغالية ، ووصول الامدادات الى النقطة المعاصرة (٢) . ولكن استلام دون سنياستيان ، الطك في البرتغال ، وشموه الى استرجاع كل المواقع التي جلا عنها البرتغاليون ، جعل عبد الله يسارع الى تعيين آغادير وغيرها ، خوفا من الهجوم عليها (٣) .

د- علاقات مع الاسبان :

ان عدم اطمئنان عبد الله على ملكه من جيرانه اترك الجزائر قد جعله يمتدح في التقارب الذي بدأه والده مع الاسبان ، واشترك فيه وهو بصفتة ولي عهد . وتظهر اثره هذا التقارب في مواقف عديدة منها : تدخله في تلمسان في سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م في الوقت نفسه الذي تحرك فيه الاسبان وسلفاؤهم الاوربيون في حملة ضخمة لطرد الاتراك من كل شمال إفريقيا (٤) وكذلك في موقفه السلمي من احتلال الاسبان لجزر بادي والذي كان بيد المشائين في سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٤ م . وفي موقفه الاحتشاذل من ثورة سلمي الاندلس التي اندلعت في مطلع ٩٧٦ هـ / ١٥٦٩ م . فقد تتابع عن مد المسلمين الناضرين في الاندلس بالمساعدة التي كان قد وعدهم بها قبل قيام الثورة (٥) فلما قاموا على النصارى تراشوا وعدهم به من الاغاثة ، وكذب عليهم ، غشا منه لهم ولد بن الله عز وجل (٦) . وكشف المؤلف المجهول ان موقفه

المجهول : المرجع السابق ص ٣٧

(2) Henri Tarrassé: Histoire du Maroc. Casablanca 1950, t.2, P.181

ميرسي : المرجع السابق ج ٣ ص ١١٩

المجموع : المرجع السابق ص ٣٦

نفسه : ص ٣٨

هذا، كان بمقدوره تحقيق ((مصلحة لملكه الزائل)) وأنه كانت بينه وبين النصارى مكاتبات في ذلك
ومراسلات ، وأنه استشار معهم وأشار عليهم أن يغربوا أبنائهم الأندلس الى ناحية المغرب وقصدوا
بذلك تحصيل مزايا له ، ويكون له منهم بمدة فاس ومراكش . ومن عظماء منتفع به في مصالح ملكه (١)
أما المؤرخ مصطفى البناي (٢) ، فيسزو سبب عدم تقديم عبد الله المساعدة لثورة
مسلي الأندلس الى افتقار عبد الله للسفن الناقلة حينئذ ، الأمر الذى جعله يباشر في صناعتها (٣)
والواقع أن الأسبان كانوا قد فرضوا رقابة مشددة على شواطئهم لئلا تأتي للثوار المساعدة
سواء من المغرب أو من الجزائر أو من غيرها . وقد استغل عبد الله بالفعل المهاجرين الأندلسيين
الى المغرب في اعتاب فشل ثورتهم ، فشكل منهم جيشه الأندلسي المؤلف من نحو ١٤٠٠٠ جندي
سماه جيش النار وأقطبهم بمراكش اراض اغترسوها وجعلوا منها بساتين وجنات (٤) . ولكن الأندلسيين
لم ينفروا له تقاسمه ، وإن هم لم يتمكنوا من خذلانه ، فقد عذلوا فيما بعد ابنه محمد لدى حطبه
اتراك الجزائر العثمانيين مع عبد الملك السعدى الى المغرب كما سنرى .

١ - علاقاته مع بلاد السودان :

كان اعتماد عبد الله منصفا كليا الى الشمال ، ولا يبدو أنه كانت لديه سياسة معينة بخصوص
بلاد السودان ، كما كان لوالده وعنه أحمد الاعرج ، فلم تذكر المصادر رايه خطط أو قام بحملات على
بلاد السودان أو اطرافها ، أو حاول ادخال تغييرا آلت اليه الامور في عهد والده .
ومما تقدم نخلص الى القول ان عبد الله كان يربط على مسألة الأسبان ، وكسب ودهم
وعلى إقامة علاقات حسنة مع الدول الأوروبية ، المصداقية منها لبرائه الاتراك العثمانيين ، وغير
المصداقية ، سعيها للحصول بذلك على الاطمئنان في مملكته . كما حل على تعميق علاقاته مع
القوى الداخلية . وبفضل ذلك تميز عهده بنوع من الهدوء والاستقرار ، قلما عرفه المغرب في
عهود من سبقه ((فكانت ايام ايام رفاهية وعافية)) (٥) كما سمح له بتشييد منشآت عديدة مدنيّة
وعسكرية وطبية ، وإن يستمر في الحكم فترة طويلة من ١٦٥ هـ / ١٥٥٧ م الى ٢٨ رمضان سنة ١٦٨١
/ ٢١ يناير ١٥٧٤ م (٦) .

التنافس على الملك بين محمد المتوكل على الله وعنه عبد الملك وعلاقاتهم الخارجية :

إن ايام الرفاهية والعافية التي تحدث عنها المؤلف المجهول في عهد عبد الله لم تدم
طويلا بعده ، إذ ما لبث أخوه عبد الملك الذى كان لا يزال عند اترك الجزائر العثمانيين ، أن ناول

- ١ - نفسه ٣٤٤ هـ
- ٢ - هو مصطفى ابن حسن الهاشمي المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ / ١٥٠٠ م مؤرخ اصله من بفاة بفارس
- ٣ - عين قاضي في حلب سنة ١٠٩٤ هـ / ١٥٨٥ م انظر عنه الزركلي الأعلام ج ٨ ص ١٣١ .
- ٤ - مصطفى البناي البحر الزخار والعلم الطيار / في . مستقذات منقولة عن المغرب لقائمان الجزائر
- ٥ - الفشتالى المبرج السابق ص ٦٢ مرمول : المبرج السابق ص ٦١ م . مرمول : فرنسا ج ١ ص ٣١٨ .
- ٦ - نفسه ٣٤٤ هـ ، روبرت المبرج السابق ص ٢٣٤ م . الا فراني المبرج السابق ص ٥٦

دون تحقيق الملك البرتغالي لوطره . ولكن فشله المتكرر لم يثنه عن الاستمرار في غزو المغرب .
واليه التجأ المتوكل بعد فشله أمام عمه عبد الملك وأحمد لمساعدته على استرجاع ملكه . وكانت
النتيجة ليس فشلهما فقط ولكن ايضا مقطعهما في وادي المنان كما ذكرنا .

ونشير الآن الى أن عبد الملك (٩٨٣ - ٩٨٦ هـ / ١٥٧٦ - ١٥٧٨ م) ، الذي نجح
في العودة الى المغرب بعد اقامة طويلة في الجزائر عند اتراكها العثمانيين ، بفضل دعم
هؤلاء له ، أخذ فور دخوله الى فاس في مارس ١٥٧٦ ذي الحجة ٩٨٣ هـ ، ^(١) وعودة الحملة
الجزائرية ، في تجديد الاجناد من مختلف القبائل بما في ذلك التي كان والده قد اقصاها من
الخدمة كحرب الـلط ^(٢) . ومن الاندلسيين الذين جنسوا اليه من صفوف المتوكل على الله ،
ومن الزواوين والأتراك الذين تخلفوا من الحملة الجزائرية ، وغيرهم . وبفضل العدد الكبير
الذي جنده استطاع ان يخوض نحو ٢٤ معركة ضد خصمه ، وينتصر فيها ، وان ينتزع مراكش من
المتوكل . مما جعل هذا الأخير يلتجئ الى البرتغاليين لطلب عونهم . كما شرع عبد الملك في
بناء السفن في الدراعي وسلا ، ولتنشيط الغزو البحري ، ليقوم له سنة ١٥٧٦ بخططه بـ نفقاته ،
((وصار اهل الاندلس يسافرون في البحر مع اهل المغرب)) ، ويقولوا بالخصاري اشد تضيق ، وكثرت
الغنائم ، وكان اكثر ما يستفيد مولاى عبد الملك ، وبذلك يمدد من المال انما هو من غنائم
النصارى ، ومن الغنائم الجهادية . . .) (٣) .

أما الخراج فقد تعطل في عهده ، مما جعله لا يصادم بشأنه مع المعارضين والرافضين
له من القوى الدينية والقبلية ، بالاضافة الى انه سلك سيرة حسنة مع الناس جعلته في نظـر
حتى المتشددين في احكامهم تباه السعديين كالمجهول ، أفضل ملوك السعديين ، عيـث
((نادى بالامان ، والمفوع عن الجناة ، والصفح عن العصاة)) (٤) .
هذا فيما يتعلق بسياسة عبد الملك الداخلية ، وقد حرص كمن سبقه على ان تكون له
علاقات طيبة مع الدول الأوروبية التي لم تكن لها اطماع واضحة كفرنسا وانكلترا ، ومع اسبانيا لمواجهة
اي تهديد من جهة الشرق .

-
- (١) ابن القاييم المرجع السابق ص ٣ - المجهول: المرجع السابق ص ٤٨٥ - ٤٩٠ وعند هذا الأخير
ان من اسباب الهزيمة نزوح الاندلسيين الى عبد الملك وتخليهم عن محمد بن عبد الله .
 - (٢) الفشتالي: المرجع السابق ص ١١٠ - الزباني: المرجع السابق ص ٣٥٢ - ٣٥٤
 - (٣) المجهول: المرجع السابق ص ٥٢ - ٥٣ .
 - (٤) نفسه .

أ - علاقاته مع فرنسا :

عرض عبد الملك صداقة على هنري الثالث متى قبل ان يستقر له الامر في مراكش ، وحصل هذا القرار اليه حديقه الفرنسي الثابت كاهنيت (١) ، في ربيع الاول ٩٨٤ هـ / جوان ١٥٧٦ م وفي السنة التالية ارفد طبيبه الفرنسي غيوم بهرار سفيرا اليه لايام حلف بينهما ، ما يدل على تطور العلاقات بسرعة بين الطرفين ، ووافق عبد الملك على ان يكون لفرنسا قنصل في المغرب . وكان القنصل الاول هو بهرار نفسه . (٢)

ب - علاقاته مع انجلترا :

ارسل عبد الملك ايضا بعد دخوله الى مراكش بطلب رسالة الى اليزابيث ملكة انجلترا ، يخبرها بهد لوسه على فرسي الملك في المغرب ، ويعرض صداقة طمها . وجاء في رسالته المؤرخة برجب سنة ٩٨٤ هـ / سبتمبر - اكتوبر سنة ١٥٧٦ م ((وكل ما يعرض لك في بلادنا من الاغراض ، فانه مقبول ما يوافق غرضكم ومرادكم ، الا ما منعنا شريعتنا منه فاننا نقف فيه على مقتضى نهجها ، ومع ذلك فبنا بكم طسوط بواجبه من المنفعة فلا تقلعوا عنا أشباركم واغراضكم)) . وردت عليه اليزابيث برسالة مؤرخة في ١٩ محرم ١٩٨٥ هـ / ١٠ افريل ١٥٧٧ م ، وتوجيه ايدمون هوكان (Edmon Hogan) سفيرا عنها اليه . وقد وصل الى مراكش في ١٣ ربيع الاول ٩٨٥ هـ ١٥٧٧/٦/١١ . ورحبت صداقة ، وابتدت استعدادها لعقد تحالف معه ، ومعااهدة سلام (٤) كما طلبت منه ازالة الصعوبات التي كانت تواجه التجار الانكليز في المغرب ، فقدر عبد الملك منح تسهيلات لهم ولا مكشمان الا من السلامة لهم في المغرب ، وسرية البيع والدخول والخروج ، وسرية المرور للسفن الانكليزية عبر شواطئ المغرب نحو الشرق . الخ . (٥)

وقرر ان يرسل سفيرا الى اليزابيث لعقد معاهدة صلح و سلام بصفة نهائية . (٦) ورحبت ملكة انجلترا بما قدم عليه ، ولكنها اشترطت ان تكون وفادته سرية حتى لا يثير امر وجود السفير - المغربي في بلادها متاعب لها مع جيرانها الطوك المسيحيين . كما شكرته على القرارات التي اتخذها في صالح التجار الانكليز . ووعدت من جهة اخرى بطلبية رغباته من المعتاد الحسن - ي

على ان يلتزم الامتياز والاختيار للغرض نفسه .

- ١ - تعرف عليه حين كان في الجزائر في سنة ١٥٧٣ م ، وهو صاحب سفينة انظر عنه م.م.ت.م
- ٢ - جاء كاهنيت : السفارات والبعثات المغربية الى فرنسا ، في مجلة تطوان عدد ٦ ص ١٥٧ - ١٥٨
- ٣ - ابن تايهت : من زوايا التاريخ المغربي في / مجلة تطوان عدد ٩ ص ٣٢ - ٣٣
- ٤ - نفسه
- ٥ - نفسه
- ٦ - نفسه
- ٧ - نفسه

زوال التهديد البرتغالي الذي استمر بضعه سنوات يخلق بالضرورة ويهدد أنفسهم .
 بروز المغرب ، باعتباره الدولة القوية ، واكتسابه هيبة كبيرة لدى القوى الخارجية المجاورة له وغير
 المجاورة ، وتقرب هذه الدول منه ، وتودد لها اليه بما في ذلك البرتغال .
 الحصول على فئات كبيرة من ~~المنح~~ ^(١) ، واستيلاء كثيرين حصل المجاورة على
 أموال كثيرة من فدية قسم منهم .
 وأخيرا مهاجمة المجاورة لـ أحمد بن محمد الشيخ الطقب بالمنصور سلطانا ، خلفا لأخيه عبد
 الملك الذي وافاه اجله في ميدان المعركة .
 أما البرتغاليون الذين فقدوا ملكهم وزهرة شبابهم ، قتلوا أو أسروا ، فإنهم لم يلبثوا ان فقدوا
 أيضا استقلالهم ، إذ استولى فليپ الثاني على مملكة البرتغال في سنة ١٥٨٨ هـ / ١٥٨٠ م ،
 في أعقاب موت الكمارد بنال هنري خليفة سيباستيان ، وألحقها مع مستعمراتها بملكته ^(٢) .

عهد المنصور : ٩٨٦ - ١٠١٢ هـ / ١٥٧٨ - ١٦٠٣ م

١- سياسته الداخلية :

كانت جهود أحمد المنصور الأولى بعد مبايعته موجهة الى :
 ١- تنظيم الديار . ٢- توفير الامن . ٣- اخضاع المناطق المتمردة . ٤- اقامة حكم مركزي قوى .
 - الجيوش : نجح أحمد المنصور في استرضاء الجند الذين ثاروا ضده عادة
 بدخوله الى فاس قادما اليها من وادي المخازن ، وطالبوه بالخطا ، والزيادة فيه ، جريا على
 العادة التي كانت متبعة في عهد اخيه عبد الملك . وهي عادة البقشيش ، التي اخذوها عن
 الاتراك العثمانيين . وكان استرضاءهم أولا بالكلام ، ثم بالطلاء ، بعد ان تفاقم امر ثورتهم .
 فعاد المردود والاستقرار الى مدينة فاس ^(٣) . وحسب الفشتالي فان الذي حرّض الجند على
 الثورة ، هو القائد الاندلسي محمد زرقون ^(٤) . وكان فرضه فيما يبدو الاطاحة بالمنصور -
 لتنصيب اسماعيل ابن عبد الملك ، ولي نعمته ، وربما كان ذلك بايعاز او تنسيق مع اتراك الجزائر
 المشانبيين ^(٥) .

- ١- من هذه الخنائب : ٢٢ قطعة مدفعية ، وسهمائة مركبة بمخالبها وشيرانها واشيا . اخرى ذات قيمة معتبرة ، انظر مجلة تطوان عدد ٩ ص ٥٢ .
- ٢- الفشتالي : المرجع السابق ص ٨٩ .
- ٣- انظر عن هذه الثورة الفشتالي : المرجع السابق ص ٤١ - ٥٢ .
- ٤- نفسه : ٤٤ - ٤٦ للمشتالي
- ٥- كريم ، ماضى المصفاها ص ٤٦

ولذلك فإن المنصور لم يخفله ، ولقادة الاندلسيين الآخرين كأبي الفضل الغري الذي كان مثل محمد زرقون في ندوة اتراك الجزائر العثمانيين قبل اشتغالهما مع عهد الملك الى المغرب ، وسعيد بن فرح الدفالي ، قائد الجيوش الاندلسي في عهد عبد الله ، وعهد ابنه محمد المتوكل على الله ، تأمرهم عليه ففتك بهم جميعا في يوم ١ رجب سنة ١٨٦ هـ / ١٥٧٨ / ١ / ٣ م (١) .

وقتلهم ولائاً الثلاثة ((استقامت احوال البند من يومئذ رغبة ، ورغبة ، واستوت قدم امير المؤمنين في ملكه . . .)) (٢)

وبعد نجاحه في القضاء على عدد البند وفي التخلص من القادة الاندلسيين المتأمرين عليه ، ((أخذ في ترتيب الجيوش وترتيبها ، وضبطها)) الى ان تمكن امره وقوى سلطانه (((٣) . بحيث جعله اداة طيعة في يده ، ووسيلة فعالة لتعقيق اهدافه وطموحاته .

وكان المنصور في تنظيمه لجيشه متأثرا الى حد بعيد بنموذج الجيش العثماني الانكشاري في الجزائر ، الذي ظهرت له فعاليتها في حملاته على المشرق ، فكانت له مدرسين من الاتراك . وقد منته موارده المالية الثيرة ، وغنائم الكهيرة من الاسلحة النارية والمدفعية في وادي المخازن ، من الاستكثار من الجيش النظامي ، وتسليحه تسليحا جيدا . وكان الجيش النظامي للمنصور ، المشاة منه والفرسان يتألف من اندلسيين ، واتراك ، واعلاج ، وبنوالة جميعا يشكلون ثلثه الضاربة ، وجزائريين (زواويين) وسودانيين (بعد غزو السودان على الخصوص سنة ١٩١ هـ / ١٥١١ م) ، بالاضافة الى المصارية . وكان عدده حوالي ١٥٠٠ جندي نظامي ، ولكنهم عند الحاجة تدعمه القبائل المخزنية التي كانت تتمتع بمقابل ذلك بالاعفاء من الضرائب وبالاقطاع ، بحيث يبلغ عدد جيشه نحو ٤ ألفا بين المشاة والفرسان .

وقد ظهرت فعالية هذا الجيش في القضاء على جميع التمردات والثورات القليلة التي قامت في المغرب بعد استلام المنصور للسلطة فيه ، بسهولة وسرعة ، وفي غزو بلاد الســـــــــــــــــــــودان والاستيلاء عليه . ولم يقتصر اهتمام المنصور على الجيش البري بل تجاوزه الى الاهتمام بالجيش والاسطول البحريين ، وخاصة في اواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، حيث كان يستثمر من قطاع الاسطول في موانئ سلا والرباط والمراةش ، ومن الجيش العامل عليهم . واستغل وفرة المعتمد من من السودانين ، فضم قسما منهم للحمل في البحرية كصيد فيـــــــــــــــــــــن وجنود . كما استغل علاقاته الحسنة مع الانكشاريين ليعطى مساهمتهم في هذا المجال ، كتزويده (٤)

(١) (٢) الفقهاني: المرجع السابق ص ٤٧
(٣) المرجع السابق ص ٦٦ وانظر عن الجيش في عهد المنصور مجلة تطوان عدد ١٦٦
Andrzej Dziubinski: L'armée et la flotte Marocaine de guerre, in Hosp. Tamuda, Rabat 1972, vol. 13 P.P. 61 - 94.

(٤) الفقهاني : المرجع السابق ص ٣٦
(٥) ابن تائوت : من زوايا التاريخ في مجلة تطوان عدد ٣٠٨ - ٣١

بالمعدات اللازمة لبناء السفن والنجارين وغير ذلك .

بما قد تطلبه الامن . فان المنصور انتهز فرصة سبب اعيان القبائل من كل جهات المغرب الى فاس لمبايعة البيعة الجامعة ، ((وأخذ معه في الاتفاق على تأمين الطرق ، وكل شيخ ضمن ما يضيغ في ترابه ، وأخذ المنصور على رؤساء القبائل بذلك ، وأصلح احوال المغرب في ايام قليلة . . . فانتشبت الحافية ، وظهرت الهدنة من باب تازة الى اقصى السور . . .)) (١) .

وكان معرض المنصور على توفير الامن كبيرا ، ولم يكن يتردد في تسليط اقصى العقاب على من يحاول الاذلال به . وقد لاحظ عبد الواحد الحمدي قاضي فاس قصة اعوان المنصور ، وأبدى ملاحظته لهذا الاثر فكان جوابه له ((لولا ما رأيت ما امكنه ان تبني من اصحابه عشرة ايام في امن ودعة ، فان اهل المغرب مجانين ما رستانهم هي المعن السلاسل والاغلال . . .)) (٢) .

ومن عرصة على الامن في الداخل ، امره بتعمير الاماكن المخوفة التي لا توجد فيها الدعاميات ، بالسكان الرحل ، والزامهم بسكنائها ، واتاهم الاراضي التي تكفيهم ، على أن يكونوا مسوئين عما ينسحب للمسافرين في منطقتهم . وفي الدار عرض المنصور على توفير الامن

الداخلي للمغرب وسماحه من تهديد القوى الخارجية الحدود له كاشيد حسونا عديدة في المواقع الاكثر احتمالا بأن تتمرض الى اعتداء او غزو خارجي كشمال المغرب وشرقه . فبنى بهذا انصدب حصنين كبيرين ، وحدة ابراج في مدينة فاس ، وزاد في حصن الفتح بالعرائش من جهة البحر ثم عززه بحصن ثان ، ليقطع امل الطامعين في ميناء العرائش الممتاز . وبنى حصنا كبيرا في تازة بشرق المغرب ، وسكن المدن الساحلية كآسفي ، وآزمور ، وآسبلا وغيرها . (٣) .

جاء واما ما يتعلق باخضاع المناطق التي خرجت عن سلطة الدولة ، او مالت الى الخروج عنها ، ونتيجة للدور السلطاني التي شهدتها المغرب قبل ولاية المنصور ، فان هذا الاخير ما ان حصل على البيعة ، وانتهى تمرد الديند في فاس ، حتى وجه الدعامات الى تلك المناطق في الشمال ، انطلاقا من فاس ، وفي الجنوب انطلاقا من مراكش ، ((لاستئصال شأفة الخوارج عليها ، وتدريج النازحين الذين اختلفوا من رعاياها ، وتصعيد القاصية والدائنة من اعمالها . . .)) (٤) وما توقف عن ارسال الدعامات اليها الا بعد ان خضعت كل المناطق معها كانت بعيدة او قريبة الى سلطة

الدولة .

- (١) المجموع : المروج السابق ص ٦٦ .
- (٢) الأفراني : المروج السابق ص ١٥٨ .
- (٣) أحمد بن القاسي : المنتقى المنصور ص ٩٥ .
- (٤) انظر من هذه النسخات العسكرية الفشتالي : مناقب السيف ص ٢١٤-٢٦٥ .
- (٥) نفسه ص ٥١ .

١- اقامة حكم مركزي :

وقد اهتم المنصور في جعل الدولة السعدية دولة قوية محكمة التنظيم ، وفي
الدولة المتقدمة في عهده . واستفاد مما وصلت اليه على الخدم من الدولة العثمانية ،
طور في مجال التنظيم الاداري ، ولكن دون ان يبتلع كآثره عهد الخدي الذي ((جنح بالدولة
السيرة الحكيمة ، وحمل الناس عليها حملا عنيفا ، فشن عليهم ذلك لتناثر الطباع ، واضطربت
وال لتخريب الحادة ، واهناس الامور غير المعتادة . . .)) (١) . وانما الف بين السيرتين
جدة والحكمة . (٢)

فما استبدته المنصور تذكر ، الديوان ((وقد اتخذ يوما لرحاء للمشاورة ، وسماه يوم
البيان ، تجتمع فيه وجوه الدولة واعيانها ، ويتطرحون فيه . ووه الرأي فيما ينوب من جلائل الامور ،
ثم النوازل . . .)) (٣) . ونذكر ايضا الامور المتعلقة بالمراسيم التشريعية وتنظيم الاستقبالات
والاستعراضية . واختراعه لاشكال من الخط ((الشفرة)) ، على عدد حروف المعجم
بها ما لا يريد ان يطلع عليه احد . (٤) وكان يستعمل الشفرة في مراسلات المهمة بهنه ومن
وقاد عملياته وابنائها . ونذكر بالاضافة الى ما تقدم اقامته لجهاز مخابرات وتجنس ، ليس
على مستوى المغرب ان كانت عناصر مخابراته منتشرة ايضا في البلاد المجاورة للمغرب ، وحتى
بعدة عنه ، مبالغة في الحرص على امنه وامن المغرب في الداخل واحتياطا للاخطار الخارجية .
وكان المنصور عريضا على المحافظة على اوقات العمل الاداري ، لا يقبل التهاون فيه
بانه . كما كان لا يتراخى في قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولا يبطئ بالجواب عليهم . (٥)
وقد كانت المناصب العليا المدنية بيد المغاربة ، ولا سيما من اهل الجنوب ، اما المناصب
كبرى فقد تقاسمها مع المغاربة الاعلاج والاندلسيون والأتراك ، وبفضل ادارته الصعكة
والمنظم ، الديد التلويح ، وجهاز مخابراته ، وشخصيته القوية ، كان المنصور يتغلب
لصعوبات التي واجهته ، واستطاع ان يحكم المغرب حكما مائلا مدة ربع قرن ، وان يوسع
الى بلاد السودان كما سيأتي .

المنصور من القوى القبلية :

كان النظار ايضا في شأن القبائل وتنظيمها استأثرت بها اهتمام المنصور بعد ان آل اليه
، لما للقبائل من تأثير في الامن والاستقرار اللذين كان المنصور عريضا على توفيرهما .
مغرب باعتبارهما اساسيين لتحسين جميع الاوضاع التي تأثرت بالحرب الاهلية التي شهدتها

فشتالي : المرجع السابق ص ٢٠١
مؤرخين تدعيم الدولة السعدية في عهد المنصور : B.Harakat: Le makhzen Saâdion
in R.O.M.M., No. 15 & 16, Aix-en-Provence 1973, P. 149
فراني : المرجع السابق ص ١٥٧ - ١٥٨
سنة : ص ١١٩ ، والفشتالي : المرجع السابق ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، وانظر نموذجا عنها في
مجلة شمس بريس سنة ١٩٢٧ ص ٢٢١
فشتالي : نفس المرجع السابق ص ٢٠٧

المغرب طول عهد عبد الملك . فقام بنقل بعض القبائل من جهة الى اخرى كتحفه لعرب الجنوب : عرب مراكش وبلاد السوس ، كأولاد ، مطاع وغيرهم الى الشمال وانزالهم بين قبائل عرب الخلط ، وأولاد حسين ، المعتندين بالولا ، ضغطا لهم وهذا من منهم ، واستغدم بعضها في الجيش ، كما فعل مع عدد من قبائل الخلط ، وابقى بعضا منها في عداد قبائل الرعية كقبيلة قبائل الخلط . (١) وبقي في الجنوب عدد يدا من القلاع في المواقع الرئيسة التي تتحكم في الطرق ، وتسمح له بالسيطرة على القبائل المتطرفة . (٢)

الا ان حروبه على توفير الامن والاستقرار ، وتنظيم القبائل وضبطها جعله يصطدم مرارا بقبائل التي تحدثت على اثار الاضطرابات والفتن ، والميل الى التمرد والعصيان ، والتذبذب في ولائها ، كمغرب أولاد حسين المعقلين ، وعرب الخلط وسفيان ، وسغثار ، وكلهم من جيشهم بالرغم من محاولة المنصور استمالة هؤلاء بالخدمة والاقطاع ، واشرايهم من عداد الرعايا الفارمة بقبائل الخلط واسلافها ، وعرب أولاد حسين لم يكفوا عن تمديد الامن في الاسواق والطرق ، واثارة الفتن والاضطرابات مع عرب الجنوب الذين انزلهم المنصور بينهم ، وسلبهم الى التمرد والعصيان لا وامر الدولة ، الامر الذي دفع المنصور الى ان ينتقم منهم من حين الى آخر . (٣)

موقفه من القوى الدينية :

ان أسلوب الشدة والسرعة الذي اتبعه المنصور تجاه القوى القبلية ، طبقة ايضا تجاه بعض زعماء القوى الدينية كآبن قرقوش الآتي ذكره وابن احمد بن موسى الجزولي . (٤) ، ما جعل القوى الدينية تروى جانبها ، وتستعين له ، ريثما تحين الفرصة المناسبة للثورة كما في عهد ابنائه . غير انه في الوقت نفسه الذي كان المنصور يتبع فيه أسلوب الشدة تجاه بعض المرابطين كان يتقرب من آخرون ، ويحرص على ارضائهم وكسبهم الى جانبه ، للدور الذي يمكنهم ان يساهموا به في توطيد دعائم حكمه واستقراره ، وان كان اعتماده الاساسي في هذا الامر على الجيش الذي اولاه كما اسلفنا عنايه واهتمامه ، فكان غير معين له . فالشيخ ابو عبد الله البصري الكناسي على سبيل المثال ، الذي كان من اولياء الله الصادقين علما ، كان ممن يرغب المنصور في لقائهم رغم انه كان يطرح معه الادب المستعمل من الطوائف في القول والتمل ولا يبالى بها قال اوفهم

(١) انظر الفشتالي : المرجع السابق ص. ١١

(٢) مونتاني : المرجع السابق ص. ٩٢

(٣) انظر كهن العمارة الانتقائية ضد القبائل المصرية في اعوام ١٥٨٢ - ١٥٨٨ - ١٥٨٩

(٤) ١٥٩٦ : الفشتالي : المرجع السابق ص. ٦٥ ، ٩٨ ، ١١١ - ١١٢ ، ١٩١ ، ١٩٣

(٤) مات وهو في سبعين تارودانت : انظر :-

((وكان (المنصور) . . . يخضع له جناح الذل من الرعية ، ويليق له في القول حتى ينصرف راضيا ، ويمشي شاكرًا داعيًا . . .)) (١) . كما كان يزور قبور كبار الأولياء ، ولا يخفسي ما تركه زيارته لها من أثر طيب لدى اتباع أولئك الأولياء . وكان المنصور من جهة أخرى يقرب الملوك والأدباء ، ويخفق عليهم بالعثا بل بالالوف من الدنانير ، حتى ينصرفوا أيضا مدهين شاكرين ، محبتين لذكره بين الناس ، مؤيدين له غاضين الطرف عن شدة ولأته على الرعية في الضرائب واعتسافه وجوره . (٢)

ولكن قوة جيشه ، وكثرة ماله لم تحل دون قيام ثورات كبيرة وخطيرة ضده ، وإن كان أكثرها بزعامة أفراد من الأسرة المالكة . وأهم هذه الثورات :

١- ثورة داود بن عبد المؤمن وأهل السوس ٩٨٧ - ٩٨٨ هـ / ١٥٧٩ - ١٥٨٠ م :
ثار داود ضد عمه المنصور في السوس بجنوب المغرب ، في احتساب تمهين هذا الأخير لولده محمد الشيخ ، ولما للمهد ، واغذه البيعة له من الناس في ٢ شعبان ٩٨٧ هـ / ٢٤ / ٩ / ١٩٧٥ م ، مما يعني أنه كان يعني نفسه بولاية المهد فخابت أمنيته . وكان المنصور يتوقع تمرد عليه ، ولذلك أتى به معه إلى مراكش ، ولم يتركه في مكناسه التي عقد له دلي ولايتها ، واتخذ احتياطات تباعه .

وقد وجد داود في أهل السوس أنصارا لثورته فأسرع المنصور إلى توجيه الجيوش للقضاء عليه قبل استفحال خطرته ، واتصا له بالقوى الخارجية ولا سيما بأتراك الجزائر المشانين (٣) . وتمكنت قوات المنصور في ربيع سنة ٩٨٨ هـ / ٥٨٠ م من محاصرة ابن عبد المؤمن في وادي هرغة ولم ينج بنفسه إلا بصحبة ، وفر إلى عرب الوداية في الصحراء ، حيث مات هناك مقتولا (٤) . ونجحت قوات المنصور في القضاء على جميع المتمردين في السوس ، وأذن عن أهلهم (ومستطاعاتهم) وخلصت أتابقتهم (٥) .

(١) الفشتالي : المرجع السابق ص ٤٤
(٢) المجهول : المرجع السابق ص ٦ ، الأفراني : المرجع السابق ص ١٠١ ، ١٥٨ ، السلاوي : الاستبصار ص ١٨٩
(٣) كان الأتراك قد حاولوا الاتصال به لمساعدته انظر فصل العلاقات السياسية
(٤) انظر عن هذه الثورة الفشتالي : المرجع السابق ص ٥٦ - ٥٨
(٥) نفسه : ص ٥٨

٢- ثورة الحاج قرقوش :

كانت ثورة المراهض الحاج قرقوش في شمال المغرب ، بمقاطعة الهبط ، حيث دعا لنفسه ((ولحن شارة الملك واتخذ الآلة ، وتسمى في كتابه بأمر المؤمنين)) (١) . وادعى انه من الاشرف . وسرى خبره في المقاطعة ، فانثالت عليه جموعها ، واشتمل لهيب ثورته ، وذلك في ١٥ سبتمبر سنة ٦٩٦ هـ / ١٥ جانفي ١٥٨٨ م وبذل المدد الكبير من القوات السمديّة من حطة سلاح النصار ، التي حركها المنصور رطلي عهده من فاس ، وعددها ٦٠٠٠ مقاتل على حرم المنصور وعلى القنصاء على الثورة بسرعة ، قبل استفحالها ، كما يدل على انه لم يستعن بخصمه ، ذلك ان الثورة قامت في المنطقة القريبة من المراكز الاسبانية ، مما قد يدفع الاسبان الى مساعدته ، ولا سيما ان علاقات المنصور بهؤلاء في هذه السنة كما سنرى بعد قليل لم تكن على ما يرام .

ولكن الحاج قرقوش لم يطلق في نهاية الامر فيما بعد وادى مساهمة من الاسبان او غيرهم ، وأدرك انه لن يكون له اي حظ في النصرة واجه باحاثاته الخاصة المحدودة القوات السمديّة الكثيرة المسلحة تسليحا جيدا ، فأثر ان يتوارى عن الأنظار ، واعتفى في أحد الحلاجي الى ان قبض عليه في ٢٨ رجب ٩٩٧ هـ / في ١٢/٦/١٥٨٨ م ، واخذ الى فاس حيث اعدم (٢) . وسلط المنصور على اسفاره من أهل تميزان الذين آزره وآزره عقابا فسي منتهى القسوة ان ((استباحتهم السيوف بالقتل رجالا ، وساء ، وولدانا... واجتمعت المساكر على حرائقهم ، فخرقوا الديار . واقتلعوا الاشجار ، وعفوا الآثار .)) (٣) . ولعله قصد بهذا الكتاب ان يكون عبرة لمن تسول له نفسه ان يثور او يؤيد الثائرين .

٣- ثورة السعاسنة بن عبد الله

1003 - 1004 / 1595 - 1596

نعم المنصور بالامن والاستقرار الداخلي بنح سنوات بعد القنصاء على ثورة الحلاج قرقوش استغلها في التوسع الى بلاد المودان الذي سيطر عليه الحديشقة . ولكن ثورة ابن اخيه الناصر ابن عبد الله النساب في ربيع 1003 / 1595 م في الشمال ايضا قد نصبت عليه هدوء .

(١) نفسه : ص ٩٣ - ٩٤

(٢) نفسه : ص ٩٥

(٣) نفسه : ص ٩٦

(١) واستقراره وأثارت لديه مخاوف كبيرة لان الذي اثاره ضده هو فيليب الثاني ملك اسبانيا .
ولان ثورة الناصر انتهت تجاوبا كبيرا لدى جبال الريف ، وعرب شرق المغرب وغيره ، ((واهتز
المغرب لقيامه وتشوقت له العمون، لعل القلوب عن المنصور لشدة وطأته واعتسافه للريعية (٢))) .
وأخيرا لانه كان يخشى ان يجد الناصر لدى لائراك العمون والمساعدة . ولذلك فقد استنفركل
قواته واتخذ ما أمكنه من الاحتياطات لتطويق الثورة قبل القضاء عليها . اما الناصر الذي تمزقت
صفوفه بالقوات المحددة التي انحازت اليه ، فقد تمكن من استغلال تازة في شرق المغرب ، ثم
تقدم نحو قاس فغلب اليه محمد الشيخ بن المنصور ، وتمكن هذا الأخير من الانتصار عليه
في المعركة التي دارت بين الطرفين في سفح جبل مدغرة ، وفيها أصيب الناصر برصاصة فسي
ركبته الا انه استطاع ان ينسحب الى جبل بني يزناسن ، الواقعة بإيالة الجزائر ، واقام هناك
في دار بن مشعل بحال احسن (٣) .

وبعد ان استأذن المنصور اتراف الجزائر في ملاعقة الناصر الى مكمنه المذكور ، شن ابنه
محمد الشيخ حملة أخرى ضده ، ولكن انحياز فريق من قواته الى الناصر جعلته يتراجع لتتطوّر
حملة جديدة في حين تسبّب الناصر من انضم اليه ، وزحف الى قاس ، وعلى مقربة من هذه الأخيرة
جرت معركة دموية بين محمد الشيخ انتهت بانتصار هذا الأخير في رمضان ١٠٠٤ هـ /
ماي ١٥١٦ م . وعاد الناصر الفرار لكن احد قواد محمد الشيخ تمكن من اللحاق به وقتله (٤) .
سحق الناصر انتهت الثورة التي اثارت الرعب في قلب المنصور ، فأمر بإقامة الافراج ،
وارسل البشائر بالناصر الى مختلف جهات المغرب ، وإلى الطوك والامراء والشخصيات البارزة التي
كان على اتصال بها في الخارج ، كباشا الجزائر ، والسلاطان الحشاني ، وقاضي القضاة
المالكية في مصر ، وسلاطان مكة وغيرهم (٥) . وبماتة الوفود التي بعثتها بالنصر ، ونظم له الشعراء
بهذه المناسبة القصائد المديدة (٦) .

- (١) كان الناصر لا يزال في البرغالين منذ عشية معركة وادي المخازن ثم لدى الاسبان بعد
احتلالهم لالبرتغال في سنة ١٥٨٠ م . وقد تم نقل الناصر من اسبانيا الى طليلا في ٧ ماي
١٥٨٥ م . ومن ثم انتقل الى الجبال المجاورة . انظر عن اقامة الناصر في البرتغال
في اسبانيا : CH. de la Veronne: Le séjour en Andalousie des deux princes
Saadiens (1580-1595), in R.O.M.M., No. 7, Paris 1970, P. 187 et s.
(٢) المرجع السابق ص ١٠١
(٣) المرجع السابق ص ١٧١ - ١٧٤
(٤) نفس المرجع ص ١٧٤ - ١٧٦
(٥) نفس المرجع ص ١٨٢ وما بعدها
(٦) الفشتالي : نفس المرجع ص ١٧٦ - ١٨٣
(٧) الفشتالي : نفس المرجع ص ١٧٦ - ١٨٣
(٨) الفشتالي : نفس المرجع ص ١٧٦ - ١٨٣
(٩) الفشتالي : نفس المرجع ص ١٧٦ - ١٨٣
(١٠) الفشتالي : نفس المرجع ص ١٧٦ - ١٨٣

بمحمد الشيخ ، وموت المنصور :

حكم المنصور بعد أن قضى على الناصر وشورته سبع سنوات أخرى ، إلا أنها لم تكن أفضل سنوات حكمه ، ذلك أن ولاء الطاعون قد تلا ثورة الناصر ، واحتاج المغرب كله ، واستمر سائداً بعض سنوات ، لا يكاد يخف حتى يشتد من جديد (١) . وكان يقضي باستمرار على خلق كثير ، نفس على المنصور راحته وأمنه أيضاً ، إذ اضطراب بعض فترة تحت الغمام خارج عاصمته (٢) ، قطع الصلات ، ولا سيما عن العالم الخارجي خائفاً أن يتهز أعداؤه الأسبان أو الأتراك الفرصة بها جملوه . (٣)

ولكن ما نخص عليه أكثر راحته ، هو سوء سيرة ولده محمد الشيخ في فاس ، حيث صار ((يأكل أموال الرعية ولا يحكم بالسوية)) (٤) . والادعى من ذلك هو تقريره من كان هو قد بعد لهم من الحرب كعرب أولاد حسين ، ومن كان محروفاً بولائه للزوايا العشائرية كعرب أولاد طلحة (٥) . ورفقه الخيل بتوحيدهاته ، والحضور إليه ، وانحازا تهاديه بالجواهر إلى الأتراك أن هو ما جمعه (٦) . الأمر الذي جعله يربو تحركه إليه بل ويقتب إليه لتهدئته وحسنه على الترابيع عما هو قائم ولده (٧) ، في انتظار أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لتأليف حركته كالتقرب من الأسبان رغم ما بدر منهم من موقف معاد منذ بعض سنوات . وفي أكتوبر ١٦٠٢ تعرض بسرعة وسرية على رأس ٨٠٠٠ فارس (٨) . ووصل إلى مشارف فاس دون أن يعلم به ولي عهده فلم يكن أمام هذا الأخير إلا الفرار في آمل حيلة ، إلى إحدى الزوايا في وسط المغرب ، وهناك بقي عليه القبس بعد معركة عنيفة ببلانته .

وقد وجد المنصور فاس في حالة سيئة فتأسف (٩) . وأمر بالمداقات ، وبرد المظالم ، وسجن ولده في مكانة (١٠) ، واستدعى ولده زيدان من تادلا لاستخلافه ، واستعد للعودة إلى مراكش ، ولكن الوفاء الذي كان سائداً كما ذكرنا في المغرب يكلم يستنهضات بعد أيام قليلة من إصابته به في ١٥ ربيع الأول سنة ١٠١٢ هـ / ٢٣ أوت ١٦٠٣ م (١١) ، قبل أن يفصل في أمر ولاية المهد مما كان له نتائج وخيمة كما سنرى . ولابد من التأكيد في نهاية المطاف في سياسة المنصور الداخلية أن اهتمامه لم يقتصر على توفير الأمن والاستقرار وانحمار الثورات فقط بل كانت له جهود في الإصلاحات الاقتصادية والثقافية سنشير إليها في الفصول المخصصة لتلك المجالات .

له جهود في الإصلاحات الاقتصادية والثقافية سنشير إليها في الفصول المخصصة لتلك المجالات .

- (١) استمر الوفاء من ١٥٩٧ - ١٦٠٨ انظر ريزنرث : العون السابق ص ١٤١
- (٢) انظر المهد السابق ص ٦٢ - ٦٣
- (٣) المهد السابق ص ٧١
- (٤) انظر رسالة المنصور إلى ولي عهده في الزهراء لا فراني ص ١٧٤ - ١٧٥
- (٥) المهد السابق ص ٧٢
- (٦) انظر المهد السابق ص ٧٢
- (٧) المهد السابق ص ٧٤
- (٨) المهد السابق ص ١٨١ - ١٨٨
- (٩) (١) (١١) لا فراني : المهد السابق ص ١٨١ - ١٨٨

علاقات المغرب مع الجزائر :

باعتبارها اثر الانتصار الكبير الذي حققه المغاربة في معركة وادي المخازن ، واعتلاسه كرسى الملك ، وفقد دول عديدة من الجزائر والقسطنطينية ، واسبانيا ، والبرتغال ، وفرنسا ، وانجلترا وغيرها . في اللحظة بالنصر والملك ، وكان مبعوث هذه الوفود مناسبة المنصور للظفر في العلاقات بينه وبين الدول التي اوفدت رسلها اليه . ومنذ عند استعصمت العلاقات بينه وبين الدول المذكورة على نحو أو آخر ، والتأمل في علاقاته معها يجد انها لم تكن دوما على نخط مستقيم ، فالتذبذب هو الصفة الغالبة عليها . فتارة كان يطور علاقاته مع هذه الدولة نحو الصداقة والتحالف ، وتارة يطورها مع نفس الدولة نحو التوتر او العداء والتوتر ، حسب الظروف والمواقف ، وفي كل الاحوال كان يستغل الخلافات التي كانت قائمة بين الدول التي كان يتقرب منها أو يعتمد عليها . ولهذا كنا سنعود الى الحديث عن علاقاته الخارجية مع الدول الاوروبية في المقتضيات .

المسلمين والسادس لا تنبسط على المساحات الواسعة مع حركات المنصور بالسرعة البعثات والدولة العثمانية ، فانفسا تكتسفي هذا بتدريج متسلسل شديد يوضح معالم سياسته المذكورة :

اتجهت علاقاته مع الجزائر والدولة العثمانية في بداية عهده نحو العداء ، وفي مقابل ذلك طور المنصور علاقاته مع فليپ الثاني عدو الاتراك العثمانيين نحو الصداقة والتحالف ضد هؤلاء الاخيرين . ولكن تحسن علاقاته معهم ابتداء من ١٥٨٢ م ، جعله يطور علاقاته مع الدزاييت ملكة انكلترا عدوة فليپ الثاني من علاقاته اوية بحتة نحو تحالف عسكري ضد حليفه السابق الذي توسع نفوذه في المغرب بضم للمراكز البرتغالية ، وبلاد البرتغال نفسها في ١٥٨٨ م / ١٥٨٠ م ، والذي كانت له اطماع كبيرة في ضم المراتع المغربية أيضا . وتبنسى مع انكلترا أيضا قضية دون أنطونيو المطالب بعرش البرتغال التي انتزعه منه فليپ الثاني فحسى التاريخ المذكور ١٥٨٠ م ، فتوترت العلاقات بينه وبين هذا الاخير ، ولجأ فليپ الثاني الى اغرائه بأصيلا ان يعتمد عن القضية البرتغالية ، وشا ربح الدزاييت العدوانية ضده ، فتعاضد المنصور من المساعدة في الهجوم الانكليزي على لشبونة البرتغالية في شبان ١٥٩٨ م / فحسى جوان ١٥٨٩ م وتراجع عن تقديم المساعدة لانطونيو ، وحصل مقابل ذلك على أصيلا فحسى ١٣ ذى القعدة ١٥٨٩ م / ١٣ / ١٥٨٩ م دون قتال . ومن ثم ففترت علاقاته مع الدزاييت . واستغل سلاطنة مع الاتراك العثمانيين ومع فليپ الثاني في غزو بلاد السودان ، والاغتناء بخيراته وزيادة قوته . واعضا فحله ، وانتقاما لمعوله السابقة الى اعدائه سرح الطاك الاسباني الناصري عبد الله ضده ١٥٠٤ م / ١٥٦٥ م ، كما رأينا وسينفذ صح عزم المنصور على الحاق الاذى بالاسباني في أي مكان في المغرب او في اسبانيا ، أو في مستعمراتهم الاخرى . ولهذا

الفرن تقرب ثانية من الهزايمة ، وسعى للتعاون معها ضد عدوها المشترك . لكن هذه الأخيرة ، لم تكن تراجعه ، وتقاومه السابقين ، فلم تكن بيادة معه ، ولم يجبروا على الهجوم وحده على الأسبانيان . فمادت العلاقات بين المغرب وإفريقيا تنابذة فتطد كما بدأت . وما المنصور ، إلى مهادنة الأسبانيان ، بل والتحالف معهم في ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م ، أمام تهديد ولي عهده له بالتعاون مع أتراك الجزائر ضده .

ومن هذا العرض السريع للعلاقات المنصور الغاربية يمكن القول : أنه كان عارفا بدقائق العلاقات الدولية في عصره ، وكان واعيا تماما لمصلحته ، ومصلحة المغرب فسيسي الوحدة والاستقلال ، وعدم الانحراف نحو أية تهمة كوحشية ما أمكنه ذلك على علاقات سلام مع معظم الدول ، ومن ثم كان مترنا ، ونابعا في تحركه في خضم العلاقات الدولية المنسية .

علاقات المنصور ببلاد السودان الغربي :

منذ قيام السعديين في جنوب المغرب وهم يوجهون أنظارهم إلى بلاد السودان الغربي ويمحاولون أن يكون لهم نصيب من خيراتها ، ويسعون بجد إلى تحقيق ذلك ، إلا إذا شغلهم عن ذلك شغل آخر .

وقد كان سعد الشيخ يفكر كما ذكرنا في غزو بلاد السودان للاستفادة من ثروته وعبيده وخيراته الأخرى . ولما استقر الملك لولده أحمد المنصور ، وزالت الاضطرابات التي هددت من الداخل والخارج في بداية عهده ، استكثر من الجيوش المسلحة تسليحا جيدا ، وحديثا ، دون أن ينسى مشروع والده . ((. فامتدت عينه لذلك إلى فتح الاقطار وتجهيز البعث تحت راياته المنسورة إلى الآفاق الشاسعة لانتظامها في ملكته ((١)) . وقد علق القشتالي على ذلك بقوله :

((وهذه الاقطار والآفاق الشاسعة لا تقع في الاندلس الذي انضمت أبوابه باحتلال الأسباني ، وفي المغربين الأوسط والأدنى اللذين انضمت أبوابهما باستيلاء الأتراك عليهما ، حيث الحرب مع هؤلاء وأولئك تصب كثير في نفع قليل ، وليكنها في ممالك السودان (٢) . أحق وأولى بالتفاف الجزائر . . فانها أغزر نفعا ، وأجدي مفسدة وأرعب مهالا ، وأوسع عمرا . وأوفر نشا ، وأقوى بمعادنها وكثرة المشتاقين رقيقها ، يد على الاستئثار من لا سطول لغزو عدو الدين والبلاد عليه . .)) (٣)

- (١) القشتالي : المرجع السابق ص ٧٥
(٢) من أهم هذه الممالك : مملكة سنغاي وقاعدتها غاو أو لاغو التي كانت في عهد المنصور تحت حكم أسرة صنهاجية مسلمة سنية منذ أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي انظر عنها السعدي : تاريخ السودان ، ونجادة : سنغاي في عهد الأسبقين الجزائر ١٩٧١ ، والأفرانج المرجع السابق ص ٨٠ - ٩٠ .
ومملكة برنو التي كانت تقع إلى الشرق من مملكة سنغاي ، وكان بين مملكتين متنافستين على المآثر الواقعة بينهما . وممالك القون واللفو على الساحل الأطلسي وغيرها .
(٣) القشتالي : المرجع السابق ص ١٢٨

وهذا النص يلخص اغراض المنصور من وراء تفكيره في غزو بلاد السودان وتنفيذ فكرته ،
 ورغبة في الاستيلاء على خيرات بلاد السودان من ذهب وفضة في الدافع الرئيسي .
 وقد مهد المنصور لغزو بلاد السودان ، أولا بجمع المعلومات الكافية عنها ، من خلال
 واسيسه الذين ارسلهم لهذا الغرض ومن خلال المعلومات التي استقاها من رسول اديس
 ثالث ملك برنو الذي تردد مرارا على المغرب من أجل الحصول على المساعدة العسكرية
 المنصور ، خلال العقد العاشر من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بدون
 جدوى . على الرغم من قبوله ان يهاجم ويدخل في دعوته (١) . ومن علي بن داود الامير
 السبكي الذي لجأ اليه في ١٢٧٢ هـ / ١٥٨٩ م (٢) . وثانيا بالاستيلاء على اقليمي توات وتيكورارين
 من نسبيا من بلاد السودان في ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ - ١٥٨٤ م (٣) .
 وبعد ذلك وبمحة حطة لغزو مملكة ملوك فولن وولفو ، ان كان هؤلاء الملوك أضف من
 سبكي ، واقرب اليه نسبيا ، وكان ذلك في ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م وقد تمكنت هذه الحملة
 من اغتاع امراء تلك الممالك ، ورؤسائها دون صعوبة . وحادث بأعداد كبيرة من الابل فوق
 ثلثان بنتلره المنصور ، وشرع منذئذ في الاستعداد للحملة على مملكة سنغاي (٤) .
 وقام بشن هجوم في ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م احتل به تيفازة وسيطر على ممدن الملح
 فيها (٥) . بعد ان رفض الاسيكيون ان يدفعوا له عن كل حمل ملح مثقالا كما طلب (٦)
 عوى الاستعانة بهذا الحال في أعمال الجهاد .
 وكان رد فعل الاسيكيين مقاطعة ملح تيفازة . وفي سنة ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩ م لجأ اليه
 علي بن داود ، ابن السلطان الاسيكي روطلي بن هوشب ، فيبحث المنصور الور السلطان
 سوداني ستارة تشمل رسالته . وفتوى من علماء فاس بحق الامام في التصرف في المغان ورسالة من
 اليه الى المنصور يطلب فيها عونه ضد اخيه (٧) . ولكن هذا الاخير مضى في اصراره
 في رفض جميع مطالب السلطان السعدي . واحتج ((بأنه امير ناحيته وأنه لا تجب عليه طاعته)) (٨)
 وسينفذ عند المنصور مجلسا للشورى فيما عزم عليه من غزو للسلطان الاسيكي في عقرواره ،
 جميع في اقناع المعاضرين بإمكانية توجيه حملة عسكرية الى هذا البلد الحميد وتحقيق غرضه .
 (٩) . وتوكلت الحملة في ١٦ / ١٢ / ٩٩٨ هـ / ١٦ / أكتوبر ١٥٩٠ م ، بقيادة جودر باشا ،
 (١) نفسه ص ١٢ - ١٢١
 (٢) نفسه ص ٧٣ - ٧٤
 (٣) نفسه ص ١٢١
 (٤) نفسه ص ٧٥ - ٧٨ ، ٧٩ - ٨١
 (٥) نفسه ص ١٢٠ ، ١٢١ - ١٢٥
 (٦) نفسه ص ٩
 (٧) انظر في هذا المجلس والمشاورات فيه الفشتالي : المردن السابق ص ١٢٦ - ١٢٨

وهي تألفت من ٤٠٠٠ من خبره جنود المنصور الاندلسيين والاعلاج والا تراك حملة السلاح الناري . وتكنت الحملة من تحقيق انتصار كبير في المعركة الاولى على قوات سودانية تفوقها بكثير . ولكنها لا تلك السلاح الناري او المدافع . وذلك في ٦ جمادى الاولى سنة ٩٩٩ هـ / ١٢ مارس ١٥٩١ على مشارف كاسو ، وانسحب السلطان اسحاق الثاني الاسيكي الى عاصمته ، وحمل منها ما تيسر قبل ان يدخلها المغاربة (١) . وأمر المنصور باقامة الافراج بهذا النصر (٢) . أسما اسحاق الثاني فلم يلبث بعد هزيمته الاولى ان تقدم الى قائد الحملة السعدية بمرس قبل فيه التمسك بالمنصور ، ودفن خراج كبير له مقابل البقاء في مكانه وقدم هدية كبيرة ، مؤلفة من ١٠٠٠٠ شقال ذهب . الا ان المنصور رفض العرض وعزل قائد حملته لانه لم يقبل على غصه ، واصدر امره للقائد الجديد محمود باشا بخدم الكف من قتاله حتى يستأجل مأفاه (٣) . وتكن هذا الاخير من القضاء على اسحاق الثاني بعد سلسلة من المعارك كان النصر فيها حليفه ، ولكن المقاومة السودانية لم تتوقف بمقتله .

أما النتائج التي اسفر عنها غزو المنصور لبلاد السودان فحمل من أهمها :

- (١) - امتداد نفوذه على مساحة واسعة من بلاد السودان . وحسب الفشتالي فان جميع الممالك السودانية الواقعة ما بين المسيط غربا وبلاد الهوس شرقا قد انضمت تحت لواء احمد المنصور . وهذا الامتداد الكبير يكون هذا الاخير قد حقق لنفسه ما كان يطمح اليه من تكوين امبراطورية .
- (٢) - سيطرة المغاربة على محاور التجارة المتجهة الى الشمال على الخصوص وتوسيعها نحو المغرب ، وما في ذلك من تخريب للنظام التجاري الذي كان قائما بين بلاد السودان وبلاد شمال افريقيا (٤) . ويمكن ان نلاحظ على السودان وتحويله لمحاور التجارة بانها نوع من الحرب الاقتصادية ضد الجزائر التي تعولت عنها محاور التجارة السودانية الى المغرب .
- (٣) - اسامة كبيرة لمسلمي السودان ، ذلك ان حملات المنصور قد تسببت في سقاء دماء اعداد كبيرة من مسلمي السودان بأسلحتها النارية الفتاكة (٥) (مثلوا على الارض هضابا . . كاثروا الحمى واروا على الحدود والاصصى) (٥) . (وهم يقولون نحن اغوانكم في الدين) والظلمة مع ذلك الحال يقتلونهم (٦) . وفي استعباد اعداد غير قليلة منهم ، وأخذ اموالهم وتطليق عيالهم واولادهم (٧) .

من الشذوذات الاسلامية السودانية الهائلة التي لم تعلم من اذن المنصور وقائد حملته محمود باشا ،

(١) نفسه : ٢١٧ - ١٢٠

(٢) نفسه : ١٤٣

(٣) نفسه : ٢٤٨ - ١٤٩

(٤) Groupe de Chercheurs (Martinet & autres): Hist. du Maroc, Casablanca 1967, P.212.

(٥) الفشتالي : المربع السابق ص ١٢٢

(٦) المجهول : المربع السابق ص ٦

(٧) نفسه : ص ٧

لامام العلامة احمد بابا التنيكي، فقد التقى القبان عليه في محرم ١٠٠٢ / اكتوبر ١٩٩٣ م على اهل
 ، وارسلوا سفدين الى مراكش حيث اودعوا السجن ، ونهبت اموالهم وذخائرهم وكتبهم ، وحاول
 سورا علاج الامر بأن افرج عليه بعد فترة بشرط الاقامة في مراكش ، ولم يجد الى بلاد الا بعد
 المنصور ، وقيام ابنه زيدان الذي اذن له بالسجدة ، فرجع غير آسف على مغادرة مراكش وبلاد المغرب (١)
 تدهور الحياة الثقافية في بلاد السودان ، لما لحق الهيبة والاسر المحمية من اذن كوما تعرضت
 خزائن كتبها من نهب وسلب على نحو ما وقع لاسرة احمد بابا ، فقد قيل عن ابي العباس احمد
 انه قال : ((انا اقد عشرين كتابا ، وقد نهب لي ست عشرة مائة مجلد)) . وربما كانت (٢)
 نتيجة الاله بالنسبة للمنصور هي : تدفن خيرات بلاد السودان اليه ، من ذهب وعاج وبنوس
 ، وغير ذلك مما لا يحصى الى السبيد ، مما اغنى المنصور وسمح له بانجاز مشاريعه العمرانية ،
 لا ستكثر من الجيوش باستعمار المبيد السودانين في جهوش البرية والبحرية ، والعيش في
 هبة وفخفة ، واذا كانت الاحصائيات الاجمالية لما تحصل عليه المنصور من خيرات بلاد السودان
 البشرية والبشرية غير متوفرة ، فان ما وصله في بعض الدفعات التي اشير اليها بمطلي فكرة عمسا
 ون قد دخل الى خزائنه واداره ، ولما ان جباية السودان كانت تأتيه كل سنة (٣)

ففي سنة ١٩٩٩ م / ١٥١٣ م بحث جودر باشا بأول دفعة ، وكانت تتألف من عشرة آلاف شقال
 شتين من السبيد (٤) . وبحث محمود باشا الذي خلفه في القيادة بعد ذلك ١٢٠٠ من السبيد
 ربح من حملا من التبر ، واسملا كثيرا من العاج ، واربعة سروج من الذهب الخالص ، وكر من
 خالية . . . وغير ذلك من ذخائر السودان (٥)

واحضر جودر عند عودته ١٠ آلاف عبد و ١٠ آلاف بارية ، كلهم في سن البلوغ ، واربعة افيال
 حمل منها واحد (٦) . وحسب الوثائق المعاصرة فان ما كان يدخل الى دار السلطان كل سنة من
 لتبر يقدر بنحو ستين قنارا (٧) . وهذه الكمية الكبيرة تدفع الى التساؤل عما اذا لم يكن جودر
 باشا قد استولى فعلا على مخازن الذهب ، وهو ما ينفيه بعضهم (٨) . فليعلم ان المنصور قد اعذر

وامره الى جودر ((بملك امر مخازن الذهب الثلاثة التي اكتفتها هذه السالك ، وامره بالبناء
 ليها ، واختطت الحصون الباشعة عليها ، وترتيب الجيوش فيها لحمايتها)) . ومما يكن الامر فليان
 المنصور قد حصل وثان من تير السودان ((لما يخبر الحاسدين بوجه الناطرين)) حتى كان المنصور لا يحلي
 في الرواتب الا النظار العاقي ، والدبنار الوافي . وكان يباهي كل يوم اربعة عشر مائة مربعة تنرب الدينار
 دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الاقرا والحلي وشبه ذلك ، ولاجل ذلك لقب بالذهبي ، لفيضان
 الذهب في زمانه ((٩)) . وقد كان الاقبال شديدا على العملة الصفرية من قبل التجار الاوربيين الذين
 كانوا يهربونها على الرغم من الحراسة الشديدة التي فرضها المنصور .

- (١) الاقراني : المرجع السابق ٩٧-٩٨ ، الملاوي : المرجع السابق ج ٥ ص ١٢٦-١٣١
 (٢) الاقراني : نفس المرجع ص ٩٧ ، السعدي : المرجع السابق ص ١٧٠
 (٣) المجهول : المرجع السابق ص ٧٠
 (٤) الفشتالي : المرجع السابق ص ١٤٧ ، المقرن احمد : روفي الآس العاطرة الانفاس المغرب ١٩٦٤
 (٥) المجهول : المرجع السابق ص ٧٠ ، الاقراني : المرجع السابق ص ٩٧
 (٦) السعدي : المرجع السابق ١٧٨ والزباني : المرجع السابق ص ٣٦٤
 (٧) مارتيني وغيره : المرجع السابق ص ٢٢١
 (٨) مارتيني وغيره : المرجع السابق ص ٢٢١
 (٩) الفشتالي : المرجع السابق ص ١٦٥

المقصود التدويني لدولة المماليك
(المرحلة الرابعة من حياة الدولة المملوكية 1012 - 1069 هـ / 1603 - 1659 م)
=====

- د. خ. المنصور بعد موت المنصور في مرحلة جديدة تتميز بـ :
 - 1- الصراع على السلطة بين أبناء المنصور وأحفاده وأول سبع سنوات بلا هوادة .
 - 2- تجديد اطماع القوى الخارجية فيه وتدخلاتها .
 - 3- النشاط الحثيث للقوى الدينية الذي نجم عنه :
 - أ- قيام وحدات سياسية عديدة بزعامة المرابطين والملاحدين والأشراف .
 - ب- القضاء التدريجي على الدولة المملوكية .
 - 4- الصراع على السلطة :

ان موت المنصور فجأة بالملاحون لما ذكرنا في أوت 1603 قبل ان يبيت في امر ولاية
المنصور بعد ان جرد ولي عهده السابق ، وأودعه السجن ، كان سببا في انقسام أهل المنزلة
وانقسامهم فبين هؤلاء بالسلطة بعده ، وقبيل أهل فاس ابنه زيدان باعتبار ان والدته
على فاس التي هي مقر ولي العهد ، وأنه من أم عربية مرة (1) ، وبالفهم أهل مراکش حيث بايعوا
ابنه الآخر أبا فارس عبد الله شقيق محمد الشيخ ، والذي استألفه والده على مراکش لدى توريته
إلى فاس ، ((فان ذلك سبب افتراق الدولة والبيعة ، وأبتداء المصانعة ، وقد الدالة ، وفق
أهواء الفتنة والشر ، وخلق أبواب المدينة ، وفتح باب الشر)) (2) ، إذ أن كلا الأمرين
وقد شتبا الملك ، وأبى ان يبايأ أحدهما ، فانقسم المنزلة إلى ملكين ، ملكت فاس تحت حكم زيدان
وملكت مراکش تحت حكم أبي فارس . وأما رفض هذا الأخير المباحة لأخيه زيدان ، ورفضه أيضا
إقتسام الأموال الثيرة التي كانت في خزائن مراکش معه ، وتترك زيدان في الأيام الأخيرة من عام
1012 هـ / 1603 م على رأس جيش فاس نحو مراکش ، وحرك أبو فارس لمواجهة جيش مراکش
بقيادة ولده عبد الملك ، ومساعدة بوزيد باشا ، وأخيه محمد الشيخ الذي ألق سراحه بمرسده
الخاصة من السجن ، وبعد ان أخذ الحشود عليه بالانضمام له ، وهدده بولاية فاس ، واستبقى ولده
عبد الله رهنه لديه (3) ، واشتعلت نار الحرب الأهلية التي استمرت سبع سنوات تقريبا بلا هوادة ،
بحرارة برزت بين المتنافسين على شفة وادي أم الربيع في 28 رجب 1012 هـ / فاتح 1604
انضم فيها زيدان ، لحيل بعيشه إلى محمد الشيخ (4) ، ولا حقه هذا الأخير إلى فاس ، ففرض عليها
زيدان والتحق بتلمسان لدالب عون الأتراك (5) ، بينما باي أهل فاس محمد الشيخ سلطانا (6) .
وبقي ابنه عبد الله في الفرار من محسنة ، حيث كان رهنه ، فولاة أبوه قيادة حماته بيداويه
أبي فارس وزيدان ، وأولاهما حيلة في شعبان 1015 هـ / ديسمبر 1606 م . وفيها نجح في تعقيق
النصر على عمه أبي فارس في 20 شعبان 1015 / 11 / 1606 هـ ، ودخل على إثر هذا النصر
إلى مراکش وأباحها لجيشه ، وأساء السيرة فيها ، وأرشد مجزرة في قادة أبي فارس الذي فر إلى
بين مسفوة (7) ، مما جعل أهل مراکش يبعثون في طلب زيدان لتخليصهم من طغيانه ، وكان زيدان

- (1) الأفراني : الفزعة ، ص 112 - 113 (اسمها مائة من عرب الشبانات ، أما أم أبي فارس ومحمد
الشيخ فهي أمة واسمها الغيزران)
- (2) المجهول : تاريخ الدولة المملوكية ، ص 80
- (3) انصار تقرير (RO. O.) إلى روبرت فوتينتون Ro. Cottington ومبتاري 1604 ، في رسالة
تأوان عدد 1 ص 86 ، وحسبه أن أبا فارس أمر قائده سرا بالقبر على محمد الشيخ بحدائق تعقيق النصر
- (4) نفسه ، ص 87 ، الأفراني : الفزعة ، ص 113 المجهول المربع السابق ص 88
- (5) (6) المجهول نقدر المربع ص 87 ، 86
- (7) ر. أ. من المربع السابق ص 101 - 102 والأفراني : الفزعة ، ص 113

د عاد من تلمسان بعد بضعة اشهر من الاقامة فيها وعلى رأس فرقة من الفرسان انتزع بها
سلماسة من حتم اخيه ابي فارس، ودخل الى السموس واستقر في تارودانت بعد ان توسط في
الصلح بينه وبين اخيه المذكور الحرايط ابو محمد عبد الله بن المبارك^(١) ومنها زحف الى مراکش
لمينة لنداء اهلها وتمكن في ٢٧ ذي القعدة ١٠١٥ هـ / ٢٥ / ٤ / ١٠٧٢ م من الانتصار على
عبد الله الذي فر الى قاس بعد قليل وأمر بقتل من بقي من الفاسيين في مراکش وحدثهم
(٢٠٠٠) (٢) ثم توجه حملة الى قاس بقيادة مصطفى باشا ولكن حملة محمد الشيخ المضادة -
بقيادة ولده عبد الله تمكنت من تحقيق نصر كبير على جيش مراکش ومن قتل (٩٠٠٠) منه في معركة
بفلطت قرب خناسة في جمادى الثانية ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م وأتقدم عبد الله الى مراکش وأعرضها
لغيره زيدان في شعبان ١٠١٦ هـ / ٢٦ / ١١ / ١٦٠٧ م ودخل الى المدينة وحاث فيها اثر
من المعركة الاولى^(٣) وبقي المراكشيون الذين فروا الى جبل بلير العال على مراکش مولاي احمد
المعتمد^(٤) وزحفوا معه الى هذه الاشيرة، وقبض عبد الله في صد حيلتهم فقبضه ٥ شوال ١٠١٦ هـ
/ ٢٢ / ١ / ١٦٠٨ م ففر الى قاس^(٥) ولكن فلول احمد من بقي من الفاسيين في مراکش اغضب اهل
مراكش، وبعثوا ثانية في طلب زيدان، والذي تمكن من الانتصار على احمد المذكور في اواخر شوال
١٠١٦ هـ / ربيع الاول ١٦٠٨ م ودخل الى مراکش^(٦) وأند حملة تحرك على رأسها الى قاس ونجح
في تحقيق النصر على الحملة المضادة بقيادة عبد الله في محنة بوقراق ٢٧ شوال ١٠١٧ هـ / ٣ / ٢ /
١٦٠٩ م ودخل على اثرها الى قاس التي فر منها محمد الشيخ الى بلدة القصر الكبير، ومنها الى
الرائي حين لامقه جيش زيدان، وأبعد من هذه الاشيرة في ٢٧ ذي القعدة ١٠١٧ هـ / ٤ / ٣ /
١٦٠٩ م الى البرخال فاسبانيا لطلب النور من فيليب الثالث وبينما فر ابنه عبد الله ومعه ابو فارس^(٨)
الى دار ابن مشعل في جبل بني يزنا من في الحدود الجزائرية للجزائر^(٩)
ولكن وحدة الضرب تحت سلافة زيدان لم تستمر طويلا إذ ما نأد يعود الى مراکش حتى هاجم
عبد الله ومعه على رأس قبائل شرق المغرب، ومنها الى باشا خليفته في قاس في ٢ ربيع الثاني ١٠١٨ هـ
/ ١٠ / ٢ / ١٦٠٩ م وتمكن من هزيمه وقلعه، وأند دخول الى قاس^(١٠) ثم مال به عبد الله ان قضى على
عنه ليعفوله المبال في جمادى الاولى ١٠١٨ هـ / اوت ١٦٠٩ م، ويدعو لنفسه، وتحرك زيدان
مرة اخرى لاسترداد قاس وتمكن بمشيقة كبيرة من استعادة نفوذ اهلها لفترة قصيرة (جمادى
الاولى الى رجب ١٠١٩ هـ / اوت - سبتمبر ١٦١٠ م، وأند استطاع عبد الله ان يسترد لها منه بعد
ان هزيمه هزيمة ساحقة في ١١ رجب ١٠١٩ هـ / ٢٩ / ٩ / ١٦١٠ م، وعاد زيدان الى مراکش، وقدر عدم
انتدب مرة اخرى في قاس^(١١) فخلص امرها لعبد الله، فلما غلب امر مراکش اياه فبدأت الحسرة
ان لم يصبده الرع من انتصاراته / القوائد النيرة هزيمة بويستينار فرنسا ١١٥٣ هـ ٧٥ راند الوهن
الاعداء هـ ر من المعركة السابق من ١٢٠١١ هـ والافرائي، والفزعة من ٢٢٢
ر من المعركة السابق من ١٠٧ هـ ١٠٥ هـ والافرائي، والفزعة من ١٩٢ هـ المعركة من المعركة السابق
من ٨٦ - ٨٨ هـ
ر من نفس المصدر من ١٠٥ هـ والافرائي، نفس من ١٩٤ هـ
ر من نفس من ١٠٩ هـ ١١٠ هـ والافرائي، نفس من ١٩٤ هـ
ر من المصدر السابق من ١١١ هـ وعنده شواهد من لزيدان وحسب الافرائي، والفزعة من ١١٥ هـ
عبد بن عبد الرحمن، وذلك من زيدان في رسالتهم الى الشريف فاندوا الفزعة من ٢٢٢
نفس المصدر السابق من ١١١ هـ ١١٢ هـ والافرائي، والفزعة من ١٩٥ هـ
ر من ١١٤ هـ والافرائي، نفس من ١٩٥ هـ
أنتم الى ان يصبه محمد الشيخ بعد ان اشتد زيدان في البقي السموس حيث كان ملتصقا بعد الادامة به
في ديسمبر ١٦٠٦ هـ (٩) - اند من قراة محمد الشيخ وابنه ابي فارس الفزعة والافرائي من ١١٦ هـ
الافرائي نفس المصدر من ٩٦ هـ ١٩٧ هـ والمعركة من المعركة السابق من ١٩٦ هـ
المعركة من المعركة السابق من ١٩٦ هـ

وكانت أرحاما خلقا كثيرا ، وأقيمت جيش المنصور الكبير ، وبات زيدان وهد الله يدون قوة
ون شعبة أيضا ، وبعد سلسلة المحاراة التي أشرنا إليها ، وأصبحت عاجزين عن إخضاع الثائرين
متدربين عليها ، ومن الوقوف في وجه الأطماع الثائرة .
٢- تبديد اطماع القوى الثائرة في المغرب :

أما تنافس أبناء المنصور ، وصراعهم على السلطة ، سنين عديدة ، وفرة ثغرة للقوى الثائرة
فيما وراء المغرب ، وفيما وراء البحر ، التي تدخل ، وأرشدنا . للتدخل ، ولتحقيق اطماعها القديمة فيه .
في أناس الأتراك ، أم يتمخروا هذه القوة التي تدخل في المغرب ، لضمة ، ولتأديهم الخاصة
متردية في الجزائر ، وأندلس ، وفيما يبدو ، فإن الأسبان تدخلوا في شهر جمادى الأولى
١٠١٨ م / ١٠٨٠ م ، وحاولوا احتلال المراكش ، التي كانت دوماً نصب أعينهم ، كما كانت من قبل
نصب عين البرتغاليين ، ولكن جعلتهم ، بامت بالغش (١) ، خيران فيليب الثالث لم يتدخل عن اطماعه
في المراكش ذات الميناء الممتاز . فلما اتبنا إليه محمد الشيخ ، وطالب مساعدته لاسترجاع الملك
في فاس من أخيه زيدان ، اشترط عليه مقابل مساعدته أن يسلمه المراكش (٢) ، فوافق ، وقدم الرهائن
من أولاده وأولاد قاداته ، فأعيد إلى بلادهم في ٦ ذي القعدة ١٠١٨ م / ٢٠ / ٢ / ١١٠٠ م . وشم
أن ابنه عبد الله قد تمكن في هذه الأثناء من استرداد فاس في ٧ ربيع الثاني ١٠١٨ م / ١٠ / ١٧
١٠١٩ م ، كما ذكرنا ، فإن محمد الشيخ وفق بانتزاعه ، واستعمر فتوى من بعض علماء فاس الثنائين
من يدعونه بـ " واز تسليم أرضه لسانية في مقابل اقتداء الخليفة لأبناء الرهائن (٣) ، وسلم المراكش
للأسبان في ٤ رمضان ١٠١٩ م / ٢٠ / ١١ / ١١٠٠ م ، بعد أن أخلاها من سكانها بواسطة قائده
البرنسي ، وقتل من رفض الديار منهم (٤) .
وفي جمادى الثانية ١٠٢٣ م / ٦ / ٨ / ١١١٤ م ، أقدم الأسبان على احتلال موقع آخر على
البحر ، عند مصب نهر سبوكان ، قد أحمله أبناء المنصور في فترة حروبهم ، فأتخذوه القواعد
التي يقيمون من انطرتا وغيرها ، وفرا لهم يسمى بالمحمورية (المحدية حاليا) .
ولم يهرب عبد الله من فاس ، وزيدان من مراكش ، لذلك ، فلهذا ، ولا استرداد من الأسبان (٥) .
وقد كان المولنديين اطماعهم في المحمورية ، ورواها ، استولمهم في ٢٢ / ١٠ / ١١١٤ م ، بغرض
احتلاله بموافقة زيدان فيما يبدو ، ولكن الأسبان سبقهم بقليل إلى ذلك (٦) . وكان الإنجليز يرمون
امانية احتلال بعض المواقع الهامة على المحيط ، والمضيق ، والمحمورية وسلا ، وانتزاع سبتة من
الاسبانية . وقد رفضت في هذا الشأن عدة تقارير تشجع على احتلال المواقع المذكورة (٧) .
ولكن السجلات العليا الانجليزية لم تقدم على ذلك في الفترة موضع البحث .

(١) La remise de l'Arache aux Espagnols en 1610, t. 7, p. 72. (G. L. L.)
(٢) المساعدة البشرية فئات تمتل في مثنى الدونات وستة آلاف بندقية . وأما
المساعدة البشرية فتمت في الاندلسيين الذين شغل في نفهم ، أنظار أيضا ، ابن تاروت من زوايا
القاريين المغرب ، في مجلة تاروان عدد ٩ ص ١١٨ ، وأمانة اللوة ، قضية المراكش في البحث العلمي
عدد ٢٢ الرباط ١٩٧٧ .
(٣) الأفراني ، النزهة ص ١٩٨-١٩٩ ، والسلاوي ، الاستقصاء ص ٢٠-٢٢ ، واندان المرحوم
(٤) الأفراني ، نفس المرحوم ص ١٩٧-١٩٨ ، المرحوم المرحوم السابق ص ١٢-١٣ ، واندان المرحوم
السابق ص ٢١-٨٦ .
(٥) ابن تاروت المرحوم السابق ١٢٢ . أمانة اللوة المرحوم السابق ١٩٧-١٩٨ .
(٦) ابن تاروت المرحوم السابق ١٢٢ . أمانة اللوة المرحوم السابق ١٩٧-١٩٨ .
(٧) تقرير هاريسون لعام ١٦٦٥ في مجلة تاروان عدد ١٠ المغرب ١٩٦٥ .

٢- تجديد نشاط القوى الدينية - وتأسيسها للامارات المستقلة

ان القوى الدينية الدينية ممثلة في المرابدين والاشراف والقائمين على الجهاد ، الذين انهم المنصور قبضته عليهم عن طريق استمالة بعضهم بالمال والاحسان ، والبطش بالآخرين ، قد نشدوا بعد وفاته نشاطا كبيرا ، واتخذوا من تبالك ابنائه ، واحقاد على السلطة ، ولا سيما بعد تسليم المراثي للاسبان الذي اثار استياء واستنكارا شديدين لدى عامة المغاربة ، ومن تقاسمهم وإهمالهم الدفاع عن المحمية بعد المراثي ، ومن سره سلوك معظمهم ، والتلقائي والاداري ، ذريعة للحمل على الادامة بحكم الاسرة السعدية في مراكش وفاس ، وتأسيس نفوذ اقليمي لهم في مختلف جهات المغرب . وقد تمكن بعضهم فعلا من تأسيس امارات كان عمر بعضها اداول من عمر بعضها الاخر . ومن ابرز هؤلاء المرابدين والاشراف المؤسسين للامارات نذكره في الجنوب المغربي : امارات ابي محلي ، وأبي زكريا يحيى العاصمي ، وأبي عيسى السعدي ، واشراف تافيلالت ((العلويين)) .

وفي وسط المغرب وشماله : امارات المصالح العياشي ، ومهربية الاندلسيين في الرباط وسلا ، وآل القسيسين في تاوران والدلايين . ولما كان للامارات المشار اليها اهميتها في العلاقات بين المغرب والجزائر فانهما من انتمت اليها ولو بشكل موسمي .

آ- امارات ابي محلي (١٦١٠-١٦١٣) :

انتمز المرابط ابو العباس احمد بن عبد الله المعروف بابي محلي (١) ، وموالية السعدي والاستياء التي اثارها تسليم المراثي للاسبان من قبل محمد الشيخ السعدي ، فقام في اقصى الجنوب الشرقي للمغرب (٢) ، ودعا الى الجهاد ضد الاسبان ، وإلى الاطاحة بحكم ابنا المنصور الذين تم انوار في الدبلوماسية حتى فنى الناس بينهم ، وما هو المراثي للاسبان ، وادعى انه المعبد المنتظر الذي سيخلص البلاد من جور ابنا المنصور وفسادهم (٣) ، وتترك على رأس اثباته مستدلين بدعوتهم ، وقبضه التدين الى المراثي (٤) ، ولارد الاسبان منها ، ومن مراكزهم الاخرى على شواطئ المغرب ، وفق الاندلس للمسلمين من جديد (٥) .

وقبل ان ذلك واثرا ان يبدأ بالفتن على يتم السعديين في الجنوب اليتقوى بطلانهم على الجهاد وتوقف اولا الى سب الامامة ، فطلبها بعد ان ضمن حاض زيدان فيها ، وابهر على الفرار وادبر الحد فيهما ، وشير المنائر ، واثمة الخوفد المبرئة من كل الجهات بما في ذلك الجزائر .

لافراني ، الفزعة ، ص ٢٠٠-٢٠٣ ، وانجمن الموريس ، كتاب المصاحفات فاس ١٢١٢ / ص ٩٠ . ان فتاة من احدى قري بني حباس في وادي الصارة في الجنوب الغربي الجزائري . انظر العياشي ، ماء المرائد ، جزأين ، ص ٢٩ .

لافراني ، الفزعة ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

انجمن حول المراجع السابق ، ص ١٠١ .

دار رسالة ، (رقم ٩) المورقة ، ص ٩ / ١ / ١٦١٢ في مجلة تاوران عدد ٩ ص ١٦١٢ .

ما يدل على ان حركته كانت تلقى تأييدا في داخل المغرب وتاربعه . ثم ملك درجه في انقسام
انتشاره على مجلة كبيرة ونهجها هذه زيدان (١) وتقدم بعد ذلك الى مراكش ومن ثم في امارتها
زيدان في ٩ ربيع الاول ١٠٦١ هـ / ١٠ / ١٠٦٢ م واحتلها ، ودخل قصر البدوي ، والفسر
بدهاثر الملك . ودعا نفسه وقام بالامر ، وسكن الجاند . ثم طالب ان تعقب زيدان الى آسفي
ففر هذا الاخير منها الى آفادير ، ومنها الى تارودانت .

وفي آسفي ابدى ابو محلي لبعض التبار الانكليز رغبته في اقامة علاقات ودية وتجارسية
من انجلترا ومن مولدة (المستر البروتستانت) وتعيين وضعتهم في المغرب ، ولا شك ان ذلك
لان ايجل منه على الصالح الذي يفتاح اليه في تحقيق دموحاته في القضاء على الاسرة السعدية
ثم تحرير المراكز المحتلة واسترجاع الاندلس ، ونزو فرنسا واياليا (المستر الناثوليكي) .
الا ان ابا محلي لم ينعم طويلا بالملك والاستقرار حتى يتمكن من تحقيق رغبته . ذلك
ان الصراع مع زيدان لم يتوقف ، ونرى هذا الاخير في اثاره الحاربا البهيماني زوريا (الاقي ذكره)
جده ، فتقدم ابو زوريا على رأس مجموع كثيرة للقضاء على ابي محلي الذي بات نفوذه امتزاجا
في الجنوب يمثل تهديدا دائما لنفوذه . وتغنى من القضاء عليه في اول صدام معه في الجبل
قرب مراكش في رمضان ١٠٦٢ هـ / اكتوبر ١٦٦٣ م ، ودخل يمين الى مراكش ، وبذلك قضى على
امارة ابي محلي التي لم تدم طويلا . وحاد زيدان الى قاعدة ملته بعد انسحاب ابي زوريا منها .
بجاء اماره ابي زوريا يمين (٢)

لان ابو زوريا يمين بن عبد الله بن سعيد بن عبد الحزم الداودي الحامي فقهيا مشاركا
في الفنون المختلفة ، من بيت عام ودين ذا شهرة عظيمة بالمصالح في بلاد السوس ، وأتباع كثيرين
عائيه الوفود من مختلف انحاء المغرب نوالده مؤسس الزاوية (٣) لم يلبث بعد مودته من مراكش
ان دافع الى الملك ومن الملك بعد ان لاحظ اقترابها في عواضر المغرب وبواديه بل انهم
تردد في الانسحاب من مراكش ، وان ياتوا بها لنفسه ويتخذها دارا لملته ، ولا سيما ان
امش مراكش عرضوا عليه ان ييايحه (٤) عما يرضى زيدان ، بل تبه قائلا : (ان كنت انما جئت
لنصرتي ، ولا يد لك الشاكر مني فقد ابلغت المراد وشفيت الفؤاد ، وان كنت رمت ان تبالغار
المرحبة ، وتجعل الملك من قبلك فاقرا الله عينك به (٥)) فظهر حينئذ التحف ، ولعله
انما رز ذلك لما رأى ان جموعه قد رجعت الى بلادها ولم يبق معه من قومه الا شريحة قليلة فدخلها
بفما نومة ، ورجع هو الآخر الى بلاده ، فدخلها حينئذ زيدان ، واشتد على هذا الاخير ان يلتزم
الاستقامة في ملته (٦) ، وتارنا انما انفتحت امامه للتقدم في شؤونه . الا انه لم يلبث بحسد
مودته الى السوس ان تحررت لاحتلال تارودانت ، وبانت بيد ابي حسون الاقي ذكره ، وتغنى من
الاحتلال بعد مرور بضعة ايام ، واتخذها قاعدة لمارتد وقد التا لفتو مراكش ، وهدمى ان زيدان لم يهف

(١) انصار من صراع ابي محلي مع زيدان ، ومن مقالاته : رسالة : رومن الخشيرة في المزين السابق ص ١٢٩
١٢٩١ هـ / ١٢٩٠ م ، الفقه ص ٢٠٩ ، ٢٠٠ هـ / المصنفون المزين السابق ص ١٠١ ، ١٠٢ هـ /
١٢٩١ هـ / ١٢٩٠ م ، الفقه ص ٢٠٩ ، ٢٠٠ هـ / المصنفون المزين السابق ص ١٠١ ، ١٠٢ هـ /
(٢) انصار منه : انصار من المزين السابق ص ١٢٩ ، ١٢٩٠ م ، الفقه ص ٢٠٩ ، ٢٠٠ هـ /
زامية تافيلالت بزداقة (شمال تارودانت) . انصار من عبد الله ابن مسعود : دوحه الناصر ص ٢٦
(٣) انصار من المزين السابق ص ١٢٩ ، ١٢٩٠ م ، الفقه ص ٢٠٩ ، ٢٠٠ هـ /
(٤) انصار من المزين السابق ص ١٢٩ ، ١٢٩٠ م ، الفقه ص ٢٠٩ ، ٢٠٠ هـ /
(٥) نفسه ص ٢٠٩
(٦) نفسه ص ٢١٢

له بما اشتراه عليه (١) كما اتخذها مقالا لتوسيع امارته في السوس وفتحان في صراع مع زيدان من جهة وبين ابي حسون من جهة اخرى مما انقذ الدارفين من خطر حقيقي .

وقد تمكن ابو زكريا من ارجاع زيدان في مراتب مرارا (٢) ولكن معارضة على جميع تيسر كان يسمي لزيدان باسترجاع حاضرتة ، وان لم يستقر له امرها الا بعد وفاة ابي زكريا في ١٠٢٥ هـ / ١٦٦٦ م (٣) انه لم يكن ابنا هذا الاخير في مستواه مما مكن ابا حسون من القضاء على امارتهم .

جدد اماره ابي حسون السعالي

انتخب حفيد ابراهيم النخيل احمد بن موسى الدخولي (٤) واشهرهم على الاطلاق ابو الحسن علي بن محمد بن موسى المعروف بابي حسون ، وابوه دمية (٥) فرصة تنافس ابنا المصهور على السيادة ، والسعد الذي اختار تسليم محمد الشيخ الدرائف لاسبان ، فقاموا في السوس الاقصى واستمر اماره مستقلة في تازروالت (٦) مقر زاوية جدم . وذلك في حدود سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م . كان اول امرائها ابراهيم بن محمد بن احمد بن موسى (٧) ١٠٢٢ - ١٠٢٧ هـ / ١٦١٢ - ١٦١٧ م . وثلاه ابو الحسن علي (٨) ١٠٢٦ - ١٠٢٧ هـ / ١٦١٣ - ١٦٥١ م) وقد جدد في توسيع امارتهم في السوس الاقصى والادنى ، وجنوب المغرب خصوصا ، فاصبحت تمتد الى وادي نون جنوبا ، وإلى تارودانت واعمالها في الشمال . ولتتم ما لبثوا ان اصدروا بالمرابط ابي زكريا الاثني المذكور ، الذي كان يسعى هو الآخر الى بسط نفوذه على السوس والجنوب المغربي ، ووقعت بين الدارفين وقائ كثيرة ، قتل في احدها ابراهيم الحذوري (٩) ولم يخلص امر السوس الى ابي حسون الذي خلفه الا بعد موت هذا الاخير في التاريخ الحذوري (١٠٢٥ هـ / ١٦٦٦ م) .

ولما توفي زيدان في محال ١٠٢٧ هـ / سبتمبر ١٦٦٧ م ، مد ابو حسون نفوذه الى درعة وسبلماسة (١١) فسيطر بذلك على كل الجنوب المغربي ، واثبت العراثر التجارية فيه ، باستثناء مراتب وعمايتها ، كما سيطر على الدار التجارية بين المغرب وبلاد السودان ، وفقدت امارته اسم امارات المغرب .

وقد اتخذ ابو حسون من بلدة ايلن التي امتد لها في أقصى السوس قاعدة له ، وبنى في توفير الأمن والاستقرار في امارته ، فازدهرت التجارة الداخلية والخارجية فيها ، في الوقت الذي تدحرجت في الجبهات الاخرى ، وقصدته التباير الأوروبية ، وفاديتها دولهم تنشد صداقته يريدان المحالقات ، وقد الاتفاقيات التجارية معه ، ومنها : مراندة ، وانظرا (١٢) مما زاد في تدعيم مركزه . الا ان نفوذ ابي حسون أخذ في التقلص ابتداء من ١٠٥٥ هـ / ١٦٤٠ م ، وفي السنة التي انتزع منها الشريف محمد بن الشريف الاتي ذنوه سبلماسة ثم درعة بعد معارضة عنيفة (١٣) فانحسر نفوذه ، ولم يجد يتجاوز دند وفاته في سنة ١٠٧٠ هـ / ١٦٥١ م باند السوس . ولم يلبث ان فزا الرشيد

ما اشتراه عليه امانة الى الاستقامة في العالم ، ايجاد ابي زكريا بن واين وآخرون ، وولد انما الذين ان يمارس بهم دمية اللواط . انظر تقرير دار حسون لعام ١٦٦٧ في مجلة تاروان عدد ١٠ ص ٦٧ مذكرة دريسون : لعام ١٦٦١ في المرحوم السابق ص ١٠٧ .

نفسه : ص ١٠٧ ، والافرائي : النزهة ص ٢١٢ .
ابن خنفة ابن عسكرو دومة الناشر ص ٨٢ (١٤) الافرائي : النزهة ص ٢٨٦ .
انظر من هذا المارة : Justinard: Un petit royaume Berbère, le TAZEROUALT. Paris 1954.

(١) نفسه ص ٤٤٤-٤٤٦ (٢) الافرائي : النزهة ص ٢٨٦
(٣) شوق : الله : العلاقات الانجليزية المغربية في القصة الثاني من القرن / ١٦ والنصف الاول من القرن / ١٧ في الدخول عدد ٤ الريال ١٩٧٥ ص ١٧٧ (١٥) الافرائي : النزهة ص ٢٨٦ .

(١)

محمد بن الشريف، أياخ وغريهما في ١٠٨١ هـ / ١٦٢٠ م، وقضى على الأماة فيها .

د - المهادن الحياشي :

نانت اليهود الأولى للفتية المهادن أبي مهدي الله محمد بن أحمد المالقي الزباني المعروف بالحياشي (١) ، وموجهة لمعارضة اليهود البرتغالي في ساحل دونالا ، وليس للإطاحة بعظم السعديين .
كان زيدان اسند اليه منذ أن ظهرت بأولاته قيادة أزور وعالم (٢) . ولكن الملاحقة العارفين ما لبثت أن تدهورت للشكوك التي ساررت زيدان في أمره ، ولا سيما بعد أن تزايدت بيته شيئا . وقد فدى البرتغاليون هذه المشكوك لديه حتى يتخلصوا منه (٣) . فبحث زيدان في القضاء عليه ، ولكن قائدا مهادنا السنوسي أشعر الحياشي بمهمته وفقر هذا الأخير إلى (٤) .
في (١٠٦٢ / ١٦١٤ م) . وهناك التفاحوا الاندلسيون ، ولم يتمكن الضروري قائمها قبل زيدان من القضاء عليه ، كما أمره وحدا الألبير . وما لبث المغاربة والاندلسيون أن بايعوه ، ولما بايعه أيضا سلطان المدن من تامسنا غربا إلى تازة شرقا (٥) ، وتبعته معه (٦) وأقاليم شمال المغرب .

وقد تمكن الحياشي من احتراز انتقام رات عديدة على الأسبان في مراكزهم المعتلة ، وزرع في قلوبهم ، بحيث لم يحدوا بدورهم على الخروج من حصونهم ، ولما تسودوا من قبيلتهم .
ميت الحياشي صغريات متحددة منها :

شعب القبائل العربية في مجال نفوذه ، مما كان ينظره إلى الاشتغال بمهمتها .
مركلة السعديين ليهوده ، بأثارة بعض الفقيه ضد ، وأشد حذرا ، أن اليهود لا يجوز الامع الامام أربان نفسه ، ولكن علماء بارزين نصيدي العربي القاسي ، وهبدا الواحد بن حاشر وغيرهما ، وقدوا معهم فهايت محاولة زيدان ومن تلاه بالقتل (٧) .

ميل الاندلسيين في سلا والرياح منه ، وتحاملهم مع الأسبان مما جعله يظن السيف فيهم .
أياما بعد أن استصدر فتوى تميز له قتلهم ، لتحاملهم وتحاولهم من الحدو ، وأمدادهم له بالرجال والمال ، وقد اعتمد الهني والشراء على الناس ، واستشارهم ذلك لأنفسهم (٨) .

تكرر الدلائيين الآتي ذكرهم له في اعتاب تدهور ملاقاته مع الاندلسيين ، بحيث تبينوا قديمة بين التباؤا إليهم ، واستندوا بهم ، وتحاولوا في نسوة من زعماء القبائل العربية ، مما جعله يفتل على مضى في حرب معهم . وفي اعتاب انهزامه في المعركة الثالثة بدأ إلى حرب الدند ، ورهبه عولا ، وقتلوه في ١٠ محرم ١٠٥١ هـ / ٢١ / ٤ / ١٦٤١ م (٩) . وبذلك حققوا ما همزوا لاسبان

برتغاليين عن تحقيقه داران آخر من ثلاث قرن ، وقنادا في الجهاد ضدهم .
ولما كان الحياشي صاحب النفوذ في الشواحي الشمالية والغربية للمغرب فقد مضى الانجليز إلى الارتباط معه بمعامدة صداقة وتحارب ، وتبارة تمنع لرواياهم الأمان ، والتبارة في الموانئ .

فراني ، المرجع السابق ص ٢٠٣

(٣) (٤) (٥) نفسه ص ٢٦٤-٢٦٥

ص ٢٦٠

ص ٢٦١

دار توير ماريسون لعام ١٦٢٢ في المرجع السابق ص ٥٤ والافراني ، النزمة ص ٢٦٦-٢٦٧

(١٠) الأفراني ، نفس المرجع ص ٢٦٥-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨

فريسية و الخاضعة لنفوذه ، ورجب هو بهذا الصدد ، فعقد معهم اتفاقية أولى في ٢٤ (١) بيان ١٠٢٦ هـ / ١٠ / ٥ / ١٦٢٧ م ، و أخرى في ١٠ ذي الحجة ١٠٤٦ هـ / ٥ / ٥ / ١٦٢٧ م .
من المساعدة الثانية وكان يحصل على ما يحتاج اليه من بارود وسدات حربية أخرى (٢) .
و من علاقاته مع أتراك الجزائر في بحث العلاقات السياسية .

٥ - اندلسيو سلا والرباط .

كانت سلا والرباط من المدن المغربية الساحلية التي استوطنها المهاجرون الاندلسيون .
و بعد سقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م و بعد فشل ثورة ٩٢٧ هـ / ١٥٦٩ م ،
تقبلت افواجا جديدة و كما استقبلت افواجا أخرى في أوائل القرن الحادي عشر الهجري السابق
سرا الميادين .

وقد كان اندلسيو سلا والرباط مواليين في بادئ الأمر لزيدان و حيث كانوا يمدونه بمؤندين
م عند الحاجة و ثم راموا خلقا من الحنة و الاستقلال منه و فبدأوا بالامتناع عن مطاوعة قائده
و هرب في القبر على الصياشي او اغتاليه و اما ثان يريد زيدان و ثم رفضوا ارسال مزيد من
مؤندين منهم له (٣) فقد دمرت العلاقات بين الدارين ثم آلت الى القليعة و حين هددوا
قائمة مع الانكليز من طريق سفيرهم ماريسون و ادلتوا بمؤنهم سرال الاسرى الانكليز و بما في
من بعض الادافان كانوا بين ايديهم و في مقابل المدافع التي زودهم بها ماريسون في أوائل سنة
١٦٦١ (٤) و حين اقدموا كذلك على صرة قائد زيدان الزعوري من الرباط و تشكيل حكومة
دولية مستقلة فيه (٥) و متحاربة مع الصياشي .

و كان رد فعل زيدان العمل على اثارة المغاربة عليهم فاشاع انهم يتآمرون مع الانكليز بنية
لميم الرباط لم يولاه و الارتداد الى المسيحية و وانهم يريدون لهذا الغرض و ذلك ان يتبع
الاندلسيين في سلا (٦) . و حيث اخذ المغاربة يندفعون اليهم على انهم في دأخلتهم مع
سليمان و ليسوا مسلمين (٨) . و قام بالقاء القبر على رؤساء الاندلسيين في مراكش و تفريق شمل
الاندلسيين (٩) و وكلف قائده المدعو (حبيب) بتدبير امعاء امة الاندلسيين في قسمة
سلا مع المغاربة هناك . و لكن الاندلسيين ثاروا على هذا القائد و قتلوه (١٠) و توفي زيدان
في سبتمبر ١٦٦٧ م دون ان يتمكن من استرداد نفوذه على سلا و رباطها . و لكن الاندلسيين
بها لم ينعموا بالهدوء و الاستقرار و الاستقلال . فالخلافة العلية التي كانت تربطهم بالمعاهد
صياشي ما لبثت ان تدهورت و كما سلف بالتول و للشباب التي تقدم ذكرها و تعرضوا الى امتحان
سير . و انتهم زعماء الدلائل الاتي ذكره و الذي تبين قنيتهم و من بعضهم و فرصة رفض
صياشي لشفاعتهم و ليبدل في نزل منة و التقى بمقتل الصياشي و وسيدارة محمد الدلائل على
سلا و اغضاج الاندلسيين لنفوذه . و هذا استبدل هو لا سيدا بسيد و كان الامر كذلك الى ان
مرا بضرورة على السيد الجديد في ١٠٧١ / ١٦٦٠ م انتهت باسقاط نفوذه عليهم (١١) .

(١) شوقي ، مقال المقاتلة و المرجع السابق ص ١٢٠ - ١٢٦ .
(٢) قراني ، النزمة ص ٢٦٤ . (٣) (٤) (٥) انظر تقرير ماريسون لعام ١٦٦٧ في المرجع السابق ص ١١٠ .
(٦) تقرير ماريسون لعام ١٦٦١ في المرجع السابق ص ١١٠ .
(٧) (٨) انظر تقرير ماريسون لعام ١٦٦٧ في المرجع السابق ص ١١٠ .
(٩) وفيه ان الذين قتلوه هم الأعراب و بانار النزمة للقراني ص ٢٦٥ .
(١٠) نفسه ص ٤٨ .
(١١) الزاوية الدلائلية الرباط ١٩٦٤ ص ٢٢٤ .

١٠٠ - اماره مراياي المسمدلا

كان الدلائيل^(١) لا يتدخلون في السياسة ولا يهتمون الا بالفاعيتين الدينية والعلمية
في عهد ابي بكر^(٢) مؤسس زاويةهم في مقادحة تادلا . بوسط المغرب في النصف الثاني من
القرن ١٠ / ١٦ م وذلك في عهد ولده محمد^(٣) ١٠٢١ - ١٠٤٦ م / ١٦١٢ - ١٦٣٦ م
ولما آل امر الزاوية الى حفيده محمد الحاج بن محمد بن ابي بكر ١٠٤٦ م / ١٦٣٦ م . بقي الى
تأسيس نفوذ اقليمي ، وخلق طاعة محمد الشيخ بن زيدان^(٤) واسس جيشا من بربر الادمس المتوسط
تحتن بفضل من الحماق البرزمية بالسلا ان السعدى المذكور في بوقبة على ضفاف وادي العبيد
١٠٤٨ م / ١٦٣٨ م^(٥) ثم تبني قسبة الاندلسيين لما تقدست الاشارة بوصول في النزاع مع الموحدين
الحياشي الذي انتهي بمقتله في ١٦٤١ / ٤ / ٢١ م وغزو كل شمال المغرب وغربه للدلائيل
بما في ذلك مدن فاس ، وكناسة ، وسلا ، وتطوان ، وتازة ، وفشل عبد الله بن محمد الحياشي
في الثار لابييه ١٠٥٣ م / ١٦٤٣ م^(٦) وتطلع محمد الحاج بعد ان امتد نفوذه شمالا وشرقا
وثريا ، الى مد نفوذه الى سبلماة ونواحيها فاصطدم بالشريف العلوي محمد بن الشريف الذي
نارته في واقعة القاعة في ١٠٥٦ م / ١٦٤٦ م ودخل سبلماة . وكان بإمكانه ان يقضي على
اشراف سبلماة العلويين ، لما كان من قبل بائنا ان يقضي على الاشراف السعديين بسلا
انهم زعيم امانه ، ولكنه لم يفعل ، حبا في آل البيت فيما يبدو ، وانفق بتحديد مفادق النفوذ بينه
وبين الاشراف العلويين^(٧)

وامام سيطرة محمد الحياشي على مرائي شمال المغرب وغربه ، سميت الدول الاربية الخريسية
وفي جندمتها هولندة وفرنسا الى عقد معاهدات صداقة وسلم ، واتفاقيات تجارية معه ، وارسلت
قناصلها الى سلا وتطوان ، ورحب الدلائيل بمسحهم ، وابرموا مع الدول المذكورة معاهدات
واتفاقيات تذكرونها ، اتفاقية مع فرنسا ابرمها معهم القنصل^(٨) برات والاتفاقية التي ابرمها
معهم ناتانيال لوك Nathaniel L. القنصل انشتر في تداران ١٦٥٧ والمساعدة الاولى التي
مقدت بينهم وبين هولندة في ١٠٦١ م / ١٦٥١ م ، والثانية في ١٠٦٨ م / ١٦٥٨ م ، ولكن
استغلان الفزو والقرصنة في هذه الفترة ان كثيرا ما يتسبب في تدهور العلاقات وتوترها بين
الدلائيل والدول الاربية^(٩) .

وقبل ان يدب الضعف الى الدلائيل في العقد السادس من القرن ١١ م / ١٧ م ، قاموا
بمحاولة لتعريض المحصورة في ١٠٥٧ م / ١٦٤٧ م لنهب فشلت^(١٠) ، ونجحوا في استرداد فاس
من محمد بن الشريف الذي احتلها بانقراوا مع اهلها في ١٠٥٩ م / ١٦٦٩ م^(١١) مؤنن فسلمهم
انذاره محمد بن الشريف ، الحرب السابق ص ٢٦٦ - ٢٦٧ ، نفسه ص ٤٢ /
انذاره الافرائي ، النزعة ص ٢٧٦ ، نفسه ص ٧٦ /
انذاره الافرائي ، نفس المرجع ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، نفسه ص ٧٦ /
انذار رسالة محمد الشيخ الى الدلائيل ووابن مؤنن في النزعة ص ٢٥٤ - ٢٥٥ والسلاوي الاستقصاء
ج ٦ ص ١٠٢ - ١٠٣ /
الافرائي ، النزعة ، ص ٢٥٤ ، نفس المرجع السابق ص ١٥٤ /
السلاوي / الاستقصاء ج ٦ ص ١٤٤ - ١٤٥ /
نفسه ج ٧ ص ١٦٦ - ١٧٧ ، الافرائي ، النزعة ص ٢٨١ /
انذاره العلاقات الدلائلية مع اربيا ، نفس المرجع السابق ص ١٧٩ وما يليها ، وشوقي ه الله
الشمس المرجع السابق ص ١٨٦ /
ج ٧ ، نفس المرجع ص ١٥٩ - ١٦٣ /
(١) الافرائي ، النزعة ص ٢٨٣ - ٢٨٤ والسلاوي الاستقصاء ج ٧ ص ١٩

في وقف توسيع المنصر فيلاند ١٠٦٢ هـ / ١٦٥٢ م في شمال المغرب ، وهو واحد من اتباع المهاجدين الحياشي البارزين ، ثم فشلهم ايامه في ١٦٦٠ م في معركة وادي بوجيريه كان بداية النهاية لسياسة محمد السادس بن توفيق ، في احقابها من فاس و تلمسان و سلا و الرباط . ولم يلبث الرشيد ان مات ، ثم في زانتهم وقضى عليها ، وشردهم الى تلمسان في الجزائر ١٠٧١ هـ / ١٦٦٨ م (١) .

ز - اطارة آل النقيس في تادانوان : ١٥٩٧ - ١٦٧٧

انتقلت السلالة المحلية في تادوان بشمال المغرب في مطلع القرن ١٠ هـ / ١٦ م الى آل النقيس من بربر نواحي تادوان . واولهم احمد بن عيسى النقيس (٢) ، بعد ان كانت بيد أسرة آل المنذاري الاندلسية منذ ان جدد ابو الحسن المنذاري تحمير تادوان في اواخر القرن ٩ هـ / ١٥ م (٣) .

مالت تادوان بعد موت المنصور الى الاستقلال تحت حكم آل النقيس ، وقد رفض احمد النقيس ان ينزل مع عبد الشيخ الحائث من اسبانيا في مدينته في ذي القعدة ١٠١٨ هـ / فبراير ١٦١٠ م ، فان مرقفه ، هذا سببا في اقدام محمد الشيخ على احتلالها ، وتشريد النقيس منها بعد ان نزل في بادس (٤) ، ولم يجد احمد النقيس الى مدينته الا بعد ان تغلب بالتعاون مع محمد الصغير بن بي الشريف منه ومن عامله علي تادوان ، وهو بودييه سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م عن طريق القتل (٥) .

وامام محمد عبد الله بن محمد الشيخ في فاس ، وزيدان في مراكش استبد احمد النقيس بالحكم في تادوان ، وامله ابنائه الزينة بعد موته سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م . وقد من هؤلاء طاعينون الانكليزي هاريسون في ١٦٢٥ انهم لا يعترفون باى ملك من الملوك السعديين ، وان يكون لزيدان عليهم اى نفوذ ماعدا الاسم (٦) .

وتان ابنا النقيس يتصارعون بالانكليز ، ويتفانون معهم في شأن الاسرى والتجارة والتعاون ضد الاسبان ، على اساس انهم اصرار من اية تبعية (٧) .

ولكن حرص ابنا النقيس على استقلالهم ، وعدم الخضوع لاي احد دفع المهاجدين الحياشي المتقدم ذكره الى تهييز حملة كبيرة ضدهم ، تفنت من احتلال المدينة ، واقصاء عبد الله النقيس منهم . واثبت تادوان تحت نفوذ الحياشي الى ان اقتيل في ١٦٤١ م / ١٠٥١ هـ ثم تشتلت فيها لفترة قصيرة بجمهورية مستقلة ، قبل ان يعود اولاد النقيس اليها ، خاضعا تابعين للدلائيين (٨) .

وان امرهم كذلك الى ان ضعف هؤلاء ، وان هجزهم امام المنصر فيلاند فاضموا الى هذا الامير واتفقوا معه في سنة ١٠٧٢ هـ / ١٦٦١ م على اساس ان يبق النقيس حاكما لتادوان في مقابل مساعدة عسكرية ضخمة يقدمونها له (٩) .

(١) انظر من نهاية الدلائيين محمد حجي المرنج السابق من ٢٢٠ - ٢٢١ .
(٢) الذي مات في سنة ايام احمد المنصور ، انظر عنه الفشتالي ، الخاضع من ١٦٦ .
(٣) هاريسون تقريره لعام ١٦٢٧ في المرنج السابق من ٦٦ .
(٤) المرنج ، المرنج السابق من ٩٢ - ٩٣ .
(٥) نفسه ، من ٩٧ .
(٦) تقرير هاريسون بتاريخ ٢٠ / ٢ / ١٦٢٥ في مجلة تادوان عدد ١٠ من ٢٨ .
(٧) محمد داود ، المرنج السابق من ١٧٤ ، وما يليها .
(٨) محمد حجي ، المرنج السابق من ١٧٠ / .

ج - اشراق سجن لجامعة الطلوع - سنون

في الوقت الذي كان فيه نجم الاشراق السعديين الى الافول في مراکش، وقاسم، وانشاء
فيهم اسيرة شريفية اخرى في المصمود والبسروز في سماء سبيلامة بالبحر القريب المغرب وهذه
الاسيرة هي اسيرة الاشراق الطلوعيين . واصل هؤلاء من بنيوم النخسل بالحد ازان السعديين
واول من دخل منهم المغرب هو الحسن ابن قاسم بن محمد المدعو بالنفس الزكية . وذلك في النصف
الثاني من القرن ١٧ هـ / ١٢٣٠ م (١)

وقد ابرز افراد أسرته في النصف الاول من القرن ١١ هـ / ١٧٠٠ م هو الشريف (اسما) بن علي
ومن ابرز اولاده محمد ، والرشد ، واسماعيل ، وغيرهم . وان الشريف صديقا لابي حنون المصالي
المتقدم ذكره ، واستقرخه على جيرانه الذين بين أصحاب قصر تابومصامت (٢) الذي كان
احد اعم اللدود بينه واستقرخ . هؤلاء يدورهم اهل الدلاء . وذلك في سنة ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٣ م
فحبب ابو حنون كما حبب الدلائيم في لافانة من استقرخ به ، ولكن الحبس افترق دون تقا حقا
لدلاء المسلمين ونزولا عند رغبة المراكشيين ابي بكر الدلافي (٣) الا ان محمد بن الشريف
تفطن فيما بعد من مباغتة اصحاب القصر (الحصن) وحكم فيهم السيف ، مما اضرب ابا حنون
لان اهل تابومصامت كانوا قد مالوا اليه . فامر بالقض على الشريف بن علي ، وبقي في الاسر الى ان
افتداه ابنه محمد بن علي في سنة ١٠٤٧ هـ / ١٦٣٧ م (٤) وفي سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م ثار
محمد بن الشريف في سبيلامة وانتقام حوله لاله وتفنن من ارد عمال ابي حنون الذين كانوا
يرتفعون الناس بالخرائب . ثم اقدم على هم دبره واصالها فتفطن من ذلك بعد محاركة شديدة
من ابي حنون انتهت بانهم زام هذا الشير (٥) وتوسعت بذلك امارته ، وقبل ان يستقرخ فيداره
دامه محمد الحان الدلافي وتفنن من الاقتحام على ابي الشريف في واقعة القاه ١٠٥١ هـ / ١٦٤٦ م
ودخل سبيلامة وهاج جبهة فيها . ثم انصرف بعد ان فرض اتفاقية على المنبزمين ، وحددت كما
لنونا مبالغ نفوذ الدارفين . ولكن هؤلاء سرعان ما تفرقوا باحتلالهم لناس ثم شروهم منها
منبزمين امام الدلائيم (١٠ شعبان ١٠٥١ هـ / ٢٠ / ٨ / ١٦٤٦ م . وقد توجت انتصاره مدبرين
الشريف بعد المنزلة الجديدة الى التوسيع في شرق المغرب والمغرب الجزائري ، وسفر في فتن
العلاقات عماراته الناطقة ، وانكساراتها ، وردود فعل حكام الجزائر منها . . . وحدث في ١٠٦٩ هـ /
١٠٥٩ م ان فر الرشيد من سبيلامة خوفا من اخيه محمد بعد ان توفي والدهما في هذا السنة
وتفنن من فتح دار ابي مشعل ، وتكون بها وبعده فيها من اموال صاحبها اليهودي . ودعا لنفسه
واستدارا لما حدث بعد سنة ١٠٥٩ م يقول : ان الرشيد تفطن من التماس على اخيه بعد في بداية معركة
وقعت بينهما في سنة ١٠٧٥ هـ / ١٦٦٤ م ، وضم جيشه (٦) الى قواته . وتفنن المدبر من الدخول الى
قاسم حنة في ١ / ١٢ / ١٠٧٦ هـ / ٤ / ٦ / ١٦٦٦ م ، ومن التماس على كل الامارات التي كانت في المغرب
خلال السنوات القليلة التالية .

(١) الافرائي ، الفزقة ص ٢٨٨ ، المسانوي الاستيعاب ص ٧٠٤

(٢) اعد شيوخ سبيلامة وقتي الى المغرب بسلام ، والقدس لما يملئ قرية صغيرة جميلة .

(٣) محمد حنون ، المرحوم السابق ص ١٢٩

(٤) الافرائي ، الفزقة ص ٣٠٠

(٥) الافرائي ، نفسه ص ٣٠١ ، المسانوي / الاستيعاب ص ٧٠٤

(٦) المسانوي ، نفوس الزمزم ص ٧٠٤ ، ٧١٠

القضاء التدريجي على حكم الموحدين في فاس ومراكش :

لقد كان قيام تلك الامارات التي ذكرناها ، وامارات اخرى اصغر منها او اقل اهمية لم نذكرها ، سببا في الانحيار التدريجي لحكم الموحدين في فاس واشيما في مراكش .

(١) ففي فاس ، التي لم يجرؤ محمد الشيخ على الدخول اليها بعد تسليمه الحرائش لاسبان في ١١/٢٠ / ١١١٠ ، ولأن أهل فاس ، وش المخارية استاوروا من فعلته اشد الاستياء ، ولم يلبث الفاسيون ان ثاروا في ٢١ ربيع الاول ١٠٢٠ هـ / ٢٠ / ١١١١ م بقيادة سليمان بن محمد الشريف الزهريني ، والقيه محمد المصافي الحزوني بالعريون ، ضد عرب الشراقة الذين تأسروا عند محمد الشيخ ، وسند ولده عبد الله فيما تأسروا يقوون به من ايمان مسيئة ، فقتلوا بعضهم وأجلوا آخرين من فاس ، ولما ثاروا ضد عبد الله نفسه ، وألقوا عليه القبض ، وفرضوا عليه الإقامة والبراسة في فاس الجديد (١) ، وبينما ظل محمد والده محمد الشيخ في شمال المغرب لا يتعد شيئا من المراتز الاسبانية الى ان تمكن محمد الصغير ابو المظفر احمد مقدم الجهاد في تلك المناطق من قتله وقتل به انتة في في القوس قرب طنجة في ٢٦ رجب ١٠٢٢ هـ / ١١ / ١١١٢ م ، وتضمن احمد النفس في الفترة نفسها من القضاء على حامله حمو بود بيره في تداران (٢) .

ولم يباي عبد الله في فاس بعد مقتل والده الا ناصته ، ورفض أهل فاس الشرق معطلائها من قتلة والده ، ولما اراد ، ونادوا في تعيين قيادة جديدة خلفا للزهريني والعريون اللذين دارا على موتهم ما تبدل كبير ، ان حلا الى تأييد عبد الله في دعوته للثأر من قتلة والده ، فاض اسرب الامر في فاس مدة خمس سنوات ١٠٢٢ - ١٠٢٧ هـ ، تملتها مذبحة نهيمة ، جعلت الفاسيين يميلون الى مبايعة عبد الله لوقف القتل والغرض . وتضمن هذا الاخير حينئذ من توريثه حملتين الى تداران وانجسرا (٣) . وردا فيما بيد وعلى هذا الموقف باي أهل المهد بشمال المغرب محمدا المعروف برفودة ، وهو ابن عبد الله ، وتضمن من ابراز الفتح على هذا الاخير في وادي الداين والدخول في اثرا الى فاس في شعبان ١٠٢٨ هـ / جويلية ١١١٩ م ، الا ان عبد الله نجح بعد شهر فقتل في تعميم الفتح على ابيه في مناسة والمودة الى فاس ، ولنه كان عاجزا عن فرض سلطاته على فاس التي شهدت فيها الاضرابات وشر الثائرون والمتنازعين ، ((وكان اثرا واستولى عليها الخراب)) (٤) .

ومات عبد الله في ١٠٢٣ هـ / ١١٢٤ م وسلطاته لا تباد تتجاوز فاس الجديد لتشمل فاس الجبال .

ولم يكن اخوه عبد الملك الذي خلفه ، وهو (الصغير المن) ضعيف العقل ، مذم من الافعال ، معصم الامور ، مطلوب على آرائه ولا ينفذ له حكم في قضية ، ولا يمثل له امر ولا نمي في حاضرة ولا بالية (٥) .

بالرجل الذي يمكن ان يمسك بزمام الامر في فاس بالمضاربة . ومات في فاس سنة ١٠٢٦ هـ / ١١٢٦ م ، والابن الذي فيها تصير من سي الى اسوأ ، وخلفه اخوه برفودة ، وكان ضعيفا ايضا ((فلم يقدر على دفعه ، ولم يقدر على دفعه ، وصار ذلك صخرة بالعدوى ، واسما بالامسي)) (٦) . بعد نجاحه من الولاية قتله ابن عمه احمد بن زيدان في شوان ١٠٢٧ هـ / ١١٢٧ م الا ان الامر لم يستقم له ، ان الذي التفت عليه بنو تيسر بن فقتل وسجن في فاس . (٧) .

وبذلك انتهى حكم الموحدين في فاس ، ونهضت اعدى ينق للحياشي ثم المد لاثنين ، واشيما للابوين .

(١) (٢) الأفراني ، الفرق ٢٢٢ - ٢٢٤ ص ١١٩ .

(٣) (٤) نفسه ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٥) (٦) المعجم ول ، المربح السابق ص ١٠٤ هـ ص ١٠٥ .

(٧) الأفراني ، النزهة ص ٢٤٤ (٨) المساور ، الاستقصا ج ٦ ص ٨٥ .

مساعدة لها ، على تعيين " المحمورة " قبل احتلال الاسبان لها ، وأن دن جون البرواند بين تأخر حتى تمكن هؤلاء من احتلالها (١) واستقل زيدان صداقة البرواند بين ، وطلب منهم التوسط لدى لويس الثالث عشر ليتوسط له بإزالة اليد الفلمنكية الثالثة الإسبانية بخصوص منسبته ، وأن مسامي البرواند بين لم تكن بالغباء (٢) وأمام تدبير وضعه زيدان في المغرب ، لم تنرد مولدة (الولايات الحامة) في الاتصال بالوزارات المحلية المنفصلة منه ، فأبى حسون وغيره مما لم يكن ليرضي السلطان الممدي .

وقد توفي زيدان في سبتمبر ١٦٢٢ (١٠٣٢ هـ) ، وبعثه تضايق وضع الممدي بين في مران ، وكان منهم أكثر فأكثر إلى الأفق ، فأبى بهد الملك الذي خلفه (١٦٢٢-١٦٢٣) م ، والذي لم يخلص له الملك في مران ، إلا بعد صراع عنيف ضد أخيه أحمد والوليد (أن فاسد السيرة ، مأمون السيرة) (٣) فاستقاما مدافعا على شرب الخمر ، وانتهى أمره بأن قتله أحمد خد مسامه الألماني ، وانتقاما لقتله زميله ، وذلك في ٦ شعبان ١٠٤٠ / ٢٠ / ٢ / ١٦٢٠ م ، وقد قتل وهو مسامه مران (٤) .

ولعل ما يميز عهد علي محمد العلاقات الخارجية مع أوروبا ، تحسن العلاقات بينه وبين فرنسا ، وتوقيع اتفاقية لصالح هذه الأخيرة (٥) . واستمرار العلاقات متدورة بين البلاط الممدي وانجلترا .

أما ابنه الآخر الوليد الذي خلف أخاه بهد الملك ، فوجه إلى احتضاره إلى القلعة من أقاليمه حتى أنه ألقى الشرف وسدين أثناء مسيرته الشيخ . وفي عهد تخلص نفوذه وانحسر عن درجته بالمراسم التي كانت يحيا أبو حسون السطلي لنفوذه ، فعندما سيد المغرب كله باستثناء مران وما بها من ، وانتهى أمره بأخيه ، حيث قتله لتأخره عن دفع رواتبهم ، وذلك في ١٤ / ١ / ١٠٤٥ / ٢١ / ٢ / ١٦٢٦ م (٦) .

وتميز عهد علي محمد الخارجي بتحسن العلاقات مع انجلترا ، حيث عقدت اتفاقية بينهم في هذه الأخيرة في ١٢ ربيع الثاني ١٠٤١ م / ١٦ / ١١ / ١٦٢٦ م نصت على ما كان الانجليز يسعون إليه منذ عهد زيدان ، وأما تلك تسهيلات تجارية للانجليز ، وأطلق سراح الأسرى منهم . . وغير ذلك (٧) . بينما استمرت علاقاته مع فرنسا مستعدة .

وأن محمد الشيخ الأسير (١٠٤٦ / ١٠٦٥ / ١٦٢٦-١٦٥٤ م الابن الثالث لزيدان الذي خلفه أثناء الوليد (منكوس الراية ومنه في الدب) فلم يفسد له غير مران وما لهما ، وذلك أن محمد علي الدلائي الذي تولى لها رأيا في سنة ١٠٤٦ / ١٠٤٦ م وقامة الدلاييين ، رفع البيعة له ، واستقر بالامر في وسال المغرب ، ثم شانه وغيره ، وفشل في إخضاعه إليه بالقوة ، حيث انهزم أمامه في برقة سنة ١٠٤٨ م / ١٦٤٨ م ، وأما تقدمت الإشارة ، وقاس كثيرا في الدفاع الثائرين عليه في الجزء المتبقى له ، وتأثر مشقة وقبيلة الشيا دامة (٨) .

- (١) (٢) ابن تاروت ، من زوايا التاريخ المغربي في مجلة تداول عدد ٩ ص ١٢٠-١٢٢
- (٣) الأقراني ، الفزعة ص ٢٤٤
- (٤) العبدول ، المرجع السابق ص ١٠٥-١٠٦
- (٥) ميرسي ، المرجع السابق ص ٢١٩
- (٦) الأقراني ، الفزعة ص ٢٤٦-٢٤٧ والعبدول ، المرجع السابق ص ١٠٦
- (٧) شوقي ، قال الله ، المرجع السابق ص ١٧٨
- (٨) الأقراني ، الفزعة ص ٢٤٦
- (٩) نفسه ، ص ٢٤٦-٢٥٧ والعبدول ، المرجع السابق ص ١٠٧

وعلى السعيد الغارني ، عقد اتفاقية جديدة مع انجلترا نصت فيها نصت عليه وعلى وزيرها
عدم قيام أي علاقات بين انجلترا وأعداء السلطان السعيد ، ووجوب إخبار ملك بريطانيا رعاياها
بعدم التعامل مع الخارجيين عليه . وتبادل السفيران الرسائل والصفارات . (١) ولكن ما لبثت أن
تدهورت لاستمرار التنازع الإنجليزي في توريد الأسلحة للخارجيين عن السعديين ، ولأنه لم يحصل
من انجلترا فيما يبدو على أن الدول التي تطلبه .
تأملت وفاة محمد الشيخ الأصغر في ١٠٦٤ هـ / ١٦٥٤ م . وخلفه ابنه أحمد المدهو الحباس ،
على نرسى المصلحة الصغيرة ، ولم يحاول هذا الأخير الزيادة فيها . ومع ذلك فإن أنواله حرب
البيانات ، طمعوا إلى انتزاع مملكة مران من . وما لبثوا أن حاصروه بمدينة مران ، وحتى اضطر
إلى الاستسلام لهم ، وقتلوه ، وكان ذلك في ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩ م . وبأبحروا أميرهم عبد النور بن
أبي بكر الشباني (٢) المعروف بكنى الحاج ، وقتل السلطان أحمد ، قضى على المملكة السعدية في
مران ، وكانت مملكة فارس قد انتهت منذ ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م كما ذكرنا . وبذلك انقرضت سلسلة
السعديين في المغرب بعد نحو قرن ، وما يقرب من نصف قرن .

وملاحظة القول : فإن السعديين الذين قاموا في العقد الثاني من القرن الحاشر الهجري /
السادس عشر الميلادي ، في وقت كان المغرب فيه يعاني من الغزو الخارجي ، والتجزؤ والاضطراب
الداخلي ، ومن التدهور الاقتصادي ، استطاعوا خلال بقية القرن الحاشر الهجري / السادس عشر
الميلادي أن :

- ١- يوقفوا الغزو الخارجي البرتغالي والإسباني ، بل وبحروا بعض المواقف المحتلة من قبل
البرتغاليين ، وبمحافظة على استقلال المغرب من الغزو الإسباني ، وإن كان قد ظلت بعض المراكز
محتلة من قبل الأسبان والبرتغاليين .
- ٢- يقضوا على التجزؤ والاضطراب الداخلي بتوحيد الجزاء ، وفرض الأمن والاستقرار في
مدنه وأريافه ، وطرقه ، وأسواقه ، مما ساعد على تحسين الأوضاع الاقتصادية .
- ٣- يبلنوا الذروة في عهد المنصور ، حيث امتد نفوذهم ليشمل في عهد طابزاء راسمة من بلاد
الصحودان ، فأمنت مواردهم منها ، عزاتهم ، وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة الداخلية والخارجية
وبذلك برزت الحياة الأخرى الاجتماعية والثقافية ، وجمعت جميع الدولة السعدية في الدائس
والدخان بفضل جيشها القوي الكبير ، ومقاتلها السياسية الثيرة مع القوى الأوروبية والمسلمة
الاسلمة بالقي .

أما السعديون بعد المنصور (١٦٠٣ - ١٦٥٩) فحيزوا من الحفاظ على المناسبات التي
حققتها أوائلهم ، وذلك لأنهم :

- ١- افنوا قوتهم العسكرية في اقتنائهم على الصلاة علما أن الجيش كان هو مصدر قسوة
السعديين الأساسية ، وبعد أن اضلحوا بمعارضة القوى المرابطية لسياستهم الضريبية ، وسياستهم

(١) اندر عن علاقاته مع انجلترا شوقي ، ص ١١٤ ، الله ، المرنج السابق ١٧٨ - ١٨٤

(٢) الأفرائي ، الفرقة ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ، العبدون المرنج السابق ص ١٠٧ - ١٠٨ .

التي تاربية المسألة للمسلمين الاسبان والبرتغاليين ، ولم يكن لهم سند قبلي يعتمدون عليه في
الانحياز الثائرين والعنصرين عليهم ، وما اكثرهم في هذه الفترة .

ثم اتفروا استياء الناس منهم ، واشتراكهم في الحملة الذي فني فيه خلق كثير ، وسرسلتهم
وأثاروا ثائرتهم عليهم حين عروا على تسليح ارض عازية بأيديهم الى العدو والافرنسيين ارا .

(المراءى) ، وفروا في الدفاع عن ارض (المصمورة) ، وقتلوا المجاهدين واضلوا دودهم
ومردوهم (١) ، ولم يكن بامكانهم ان يقفوا على الثورات والتمردات التي قامت في وقتهم لانهم فقدوا

القوة العسكرية كما اوضحنا ، لانهم انتقدوا ايضا الحال الضرورية لاعادة بناء قوتهم العسكرية (٢)
ونقصوا مواردهم الحالية الهائلة . ان لم يجد ذهب السودان وذخائره تتدفق على المغرب لن منه

مرة على الاقل ، لكان الامر في عهد المسلمين اعمد المنصور (٣) ، وذلك لاضطراب الامن في الدارق
من جهة ، ولأن قادة الرند المغربي في بلاد السودان ما لبثوا ان استقلوا بالأمم فيها بعد وفاة

المنصور (٤) . ولم تعد الجبهة وفيرة في المغرب ، ولا متينة
الحدائق التي استقلت عنهم ، او تمردت عليهم . ولم تعد

ان مغرب المصانع في اثناء الصراع على السلطة ، وقضي
سائر الجرائل ونزول الانتين وغيرها قد دخل ميدان المنا
التجارة الداخلية والخارجية مؤدعة به حيث تشكلت الرند

الانزوي باضطراب الامن في المغرب ، وتأثرت المدن و
وسبلحاسة ، وقارودانت بالفتن والاضطرابات التي ش
وهكذا فان اواخر العهد دفين المسلمين ، كانوا

سند قبلي ، ودون موارد مالية ، وهامة مؤدعة اس
الانهم . وانما كانوا قد استندوا في فاس حتى ١٦١٧

مع زول فما ذلك الا لأن الدمار بين عليهم كانوا مختلفي
ضد هم بشلل رئيسي ، ولأن ايا من الثائرين لم يكن مؤ

يشعره ومن ثم فلم يجرؤوا على القضاء عليهم نهائيا بعد ان
على مرأى وما جاورها ، رغم اطمانية ذلك لهم ، فبما تبهم الضربة القاضية من اقرب الناس اليهم ،

من انتمالهم حرب الشبانان الذين يشعروا من وضعهم الذي ما انك يتردى .
ونتيجة صبر اواخر المسلمين من الحقائق مما حقت اواظهم فقد عاد المغرب من جديد

في عهد هم مدنا لغزو القوى الخارجية وادماجها . وبال الى التمزق والاضطراب كما كان قبل قيام
استمرهم ، وصعودها الى ترسي الحكم . وقد كان على دولة الاشراف العلويين التي ظلتهم ان تبدأ

من حيث بدأوا اي ان تمتد ثانية على توسيد المغرب ، والتعدي للقوى الخارجية المختلفة التي
ازداد عددها ونشعبا للحصول على النفوذ في المغرب . ويمكن القول اخيرا ان تشتت القوة

السياسية في المغرب بعد المنصور تشبه ذلك التي تشتت الذي كان قائما في المغرب قبل السجديين او اسبوا
(١) من قتلهم بعد الشيخ ارضا الاسبان من البحر مراد برتقيني الذي ضايق بغزواته البحرية

الاسبان وحاوله قتل احمد النقيب ، وان زيد ان قد عاون قتل احمد العياشي ، انصار المغرب ول
المرحوم السابق من ١٥ ، الافرنسي ، الفترة من ١٦١٣-١٦١٤ .

(٢) كثير امان ، بعد الشيخ يديا الى استشارة الامان من الناس لقيادة حملاتهم ومصادرة اموالهم
القادة ، واخيرا باع مرآة مقابل مبلغ من المال .

(٣) كان المنصور يميل سيرا على دوا (١٠) ، ان ارا من التبر : نهاية من السودان من بعد موته لم يكن
وصول قاتلة واحدة كل ثلاث سنوات ، وندا . انصار ايتيني ، المرحوم السابق من ١١٩

(٤) دولا فوس ، مفاوضات المغرب مع السودان عبر المنصور في ديسمبر من ١٦١٨ .

الفصل الثالث

العلاقات بين القوى السياسية المتشعبة في القطرين

١٢٣-١٥٦/١٥١٧-١٥٢٩

تتميز العلاقات السياسية في هذه الفترة بالتشابه والتشديد وذلك نتيجة المراحل التالية :

١- تعدد القوى السياسية التي كانت قائمة في البلدين ، وقد كان في المغرب في هذه الفترة أربع قوى رئيسية هي : الوطاسيون ، والسعديون ، والبرتغاليون ، والاسبان ، وعدد من الولايات السياسية التي لا يستهان بشأنها ، وتأثيرها في العلاقات كإمارة دبد وفي شرق المغرب ، وإمارات بادس ، وشفشاون ، وتارون في شماله وغيرها . (١) وكان في الجزائر في الفترة نفسها عددا من القوى السياسية لا يقل عما كان في المغرب وأهمها : الزيانيون ، والأتراك ، السحانديون والحفصيون ، والاسبان ، ومن أبرز الإمارات الصغيرة إمارة توكو ، وإمارة بني عباس ، وإمارة تنص ولكنها في الشمال الجزائري ، وعدد آخر أقل أهمية وتأثيرا في العلاقات في هذه الفترة ، في الجنوب (٢) .

٢- اختلاف أهداف تلك القوى السياسية التي كانت قائمة في البلدين ، واختلاف مصالحها بحيث أن دراسة العلاقات السياسية في هذه الفترة بين البلدين هي دراسة للعلاقات بين القوى السياسية التي كان لها نفوذها فيهما لا سيما الكبرى منها ، ومن ثم كان لابد من دراسة العلاقات التي كانت قائمة بين :

أ- بين الزيانيين والوطاسيين . ب- وبين الزيانيين والسعديين . ج- وبين أتراك

الجزائر والوطاسيين . د- وبين أتراك الجزائر والسعديين .

مع بيان مواقف الاسبان والبرتغاليين من العلاقات بين هذه الأطراف الأربعة ، والإشارة إلى تأثيرهم بها وتأثيرهم فيها . وكذا الإشارة إلى مواقف الحفصيين وزعماء الإمارات الصغيرة في كلا البلدين كلما كان لهم موقف مؤثر في تلك العلاقات أو دور فيها .

٣- العلاقات بين الزيانيين والوطاسيين :

قد يكون الزيانيون . يلجأ باعادة وحدة المغرب كما فعل بنو مرين قبلهم ، ولا سيما أنهم منهم .
(١) أنظر فصل الحياة السياسية في المغرب .
(٢) أنظر فصل الحياة السياسية في الجزائر .

فقد هم في وهران والمرسى الكبير ، وغيرها ولا سيما ان جعل التساوق بينه وبين محمد البرتغالي
 تمكن ابو عمرو بفضل المساعدة الاسبانية من استرجاع ملته من عروج . وتمكن الاسبان من
 قضاء على هذا الاخير لما حاول الفرار من الحصار الذي فرضه عليه في طلمسان . (١)
 الا ان ابيا - نحو الثالث لم يطمئن ، اذ كان اثنان من اعدائه وبما عبد الله ومحمود قد لجبا
 في السلطان الواسي بعد ان اطلق عروج صراحهما من السجن . (٢) فبحث في طلبهما
 السلطان محمد البرتغالي الوطاسي ليحول دون تأمرهما عليه وليمنزع من السلطان الوطاسي
 مذكور وسيلة من وسائل الضغط ، يمكن ان يستعملها ضده اذ اراد . ومرة اخرى لم يجد
 هو حمو الثالث التراب المرغوب لدى سلطان فاس ، ان رفض ان يسلمهما اليه بدعوى الخوف
 منهما منه . (٣) فبحث اليه ثانية بحلف بايمان مؤكدة ، انه ما اراد بأخويه الا خيرا ، وأنه
 سيق الى لقاءهما . (٤) ولكن السلطان الوطاسي لم يصدق على ان ترك لهما حرية الاختيار بين
 الذهاب اليه او البقاء عنده . فاختارا الذهاب ، لكن لابي طلمسان كما كان يريد ابو حمو وانما
 لي وهران والجزائر ، فقد التجأ عبد الله الى الاسبان بينما التجأ المسعود الى الاترا
 العثمانيين في الجزائر ، ولم يلبث هذا الاخير الذي احتسب بغير الدين ان زحف بدعم منه
 لي طلمسان ، وانتزع الملك من اخيه عبد الله الذي تولى بعد ابي حمو في حوالي ١٢٥ هـ /
 ١٢٦ هـ ، ١٥٢٠ م . وكان مواليا لمثل غلاسيان . (٥)
 وسرا ابو الحيام احمد الوطاسي (الذي خلف اياه في سنة ١٢٢ هـ / ١٥٢٦ م على تلح هذا
 الاخير في استقبال الامراء الزينيين وابوااعهم دون التورط في اي حركة من الحركات ، او امدادهم
 بأي عون سواء كان ذلك ضد خصومهم الاترا العثمانيين او الاسبان او ضد بعضهم . وسين
 هؤلاء الامراء الامير محمد بن عبد الله الذي قام بالثورة على والده في سنة ١٢٢ هـ / ١٥٢١ م ،
 وفشل في انتزاع الملك منه فالتجأ اليه ، الا انه لم يقدم له ان دون ما جعله يتوجه الى اترك
 الجزائر العثمانيين الذين ساعدوه على اخذ الملك في طلمسان في فبراير ١٢٤ هـ / ١٥٣٤ م (٥)
 كما انه لم يتدخل في نزاعه مع اخويه عبد الله واحمد . ولما اطاح به هذا الاخير في حوالي
 ١٥١ هـ / ١٥٤٤ م او مطلع ١٥٢ هـ / ١٥٤٥ م ، لم يزد على ابوا . ان كان هو الآخر مهددا
 في هذه الفترة من قبل محمد الشيخ السعدى بوفرد محمد الكراسي بالاشارة الى ابن احمد
 الوطاسي ، امتهل الامير الزيناني ابا زيان ، وامده بالرجال والاسلحة المتنوعة ، وقال له :
 (٦) داري دارك وانا لك بمنزلة الولد وابني بمنزلة اخيك (٦)

(١) هایدو : الحروب السابق من ٣٢ - ٣٣

(٢) نفسه : ٣٣

(٣) نفسه : ٤٥

(٤) نفسه : ٤٦

(٥) هایدو : ١٥٢٨ / ١٥٢٩
 (٦) الكوشاق ص ٧٣
 (٧) محمد اليراسي : حروسة المسائل فيما لبني وطاسي من الفضائل الرباط من ٣٨ - ٣٩ نقلا عن
 (٨) المنوتني : ملخص من تاريخ اقليم المغرب / في / مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٧٦ ص ٨٣٩

ولكن يبدو وان الامر بقي بسير العود ان لا تثبت الوقائع اي دعم مادي قدمه أحمد الوطاسيين .
 ومع ذلك فقد ظل الحزب طلياً للامراء الزبانيين ، يتوجهون اليه كلما اضطروا الى ذلك لحققن
 دوائهم ، اولاً لان الذي من سنانة الى الاتراك في الزائرا والاسبان في وهران لطلب مساعدة
 شهولا او اولئك لهم .

الا ان الاستقبال الذي كان يخص للامراء الزبانيين واتباعهم لم يكن دوماً حسناً ، فالسلطان
 احمد بن عبد الله الذي اضطر الى الخروج من تلمسان والندوة من وزيره المنصور بن أبي غانم .
 وسعيد من امراء المدينة ولجأ اليه وشرق الحزب ، فراراً من وزيره الحسن بن غير الدين ،
 الذي كان قد استولى على تلمسان في سبتمبر ١٥٤٥م ، كما أتى مفصلاً في فصل الحياة السياسية
 في الزائرا ، فذكر به بأصحابه عمار بن يحيى الوطاسي صاحب ديد وحيث اعتقلهم ، ونهب اموالهم (١)
 ولم يطلن سراخهم الا بعد بضعة اشهر . الامر الذي جعل السلطان أحمد ومزواره المنصور
 لا يتوجهان الى الحزب ثانية ، حين اطاع بهما حسن بن غير الدين للمرة الثانية في اكتوبر
 ١٥٤٨ (رمضان ٩٥٠هـ) لا سيما ان الصراع في الحزب كان طويلاً اشد بين السعديين والوطاسيين ،
 ان بدأ محمد الشيخ في هذه الفترة حصاره لفاس ، فظلاً يجران بادية تلمسان واطرافها ،
 على اهل المنصور ، طوي دعم من الاسبان ، او مصالحة بينهما وبين حسن بن غير الدين (٢) . الحسى
 ان مات احمد الزباني في نهاية ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م ، او مطلع ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م دون ان يستجيب
 الاسبان أو الاتراك له . فهولا الاخيرة كانوا قد قبرا الاحتفاظ بتلمسان ، وأقاموا فيها سلطاناً
 تابعاً لهم وحامية عثمانية ، كان لقائدهما اليد الطولى على ذلك السلطان . وذلك تمهيداً
 لبسها النهائي الذي تم في سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م .

وهكذا يمكن القول ان العلاقات بين الزبانيين والوطاسيين في هذه الفترة ١٥٨هـ / ١٥٥١م
 ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م ، قد تميزت باستمرار الوطاسيين في سياسة عدم التدخل المباشر
 في مملكة تلمسان ، على الرغم من أن بلاطهم كان لا يكاد يغفل عن المناوشين للسلطان الحاكم
 في تلمسان ، أو من المعادين في السعول على الدعم الوطاسي ضد هذا الأخير أو ضد مقصودهم
 الاسبان أو الاتراك . وان العلاقات بينهم كانت تتسم بحسن الجوار ، الا انها تتميز ايضاً
 بعدم التسامح والعداوة ، على مواجهة الاخطار الداخلية والخارجية التي كانت تهدد الطرفين ،
 الامر الذي كان له اسوأ الصواقف على الاسمرتين الحاكمين : ان اضطر الزبانيون أمام
 عدم تعاون الوطاسيين معهم الى موالاة الاسبان ، أو الاتراك العثمانيين على مضض ، والاستعانة
 بهولا ضد أولئك أو العكس لاخذ الطلح ، أو الحفاظ عليه ، وفقدوا كل سميتهم ، قبل أن ينهاروا
 أخيراً أمام الاتراك العثمانيين ، كما اضطر الوطاسيون أمام الخطر السعدي المتزايد عليهم ،

(١) السلاوي : المرجع السابق ج ٤ ص ١٦٢

(٢) م ٥٠ م ٥٠ م ٥٠ م اسبانيا ج ١ ص ٢٠٨ - ٢٠٢

وتمردهم بعد ذلك ، يدور التحالف مع جيرانهم الزبانيين لضيق هؤلاء الى التقرب من الاسبان والبرتغاليين حينئذ ، ومن الأتراك المشائين حينئذ نفقوا وانضم الآخرون ثقة الشعب بهم ، وانهاروا أمام مدبريهم السعديين . وقد كان انهيارهم في سنة ١٥٦ هـ / ١٥٤٤ م في الوقت نفسه تقريبا الذي انهار فيه الزبانيون .

بيد العلاقات بين الزبانيين والسعديين في

لا يبدو أن العلاقات بين الزبانيين والسعديين كانت قوية ، ولا سيما قبل العقد الخامس من القرن السادس عشر الميلادي (السادس من القرن الماشر الهجري) ، وهو العقد الذي امتد فيه نفوذ السعديين نحو الشمال وشمل مملكة قاس ، وانضموا فيه مياورين لمملكة تلمسان . ويبدو ان الزبانيين الذين كان شأنهم في ادبار ، لم يسعوا الى التقرب من السعديين في أول نشأتهم ، حتى لا يشعروا بجيرانهم الوطاسيين الحكام الشرعيين في المغرب من جهة ، ولأنهم السعديين من جهة أخرى كان في هذه الفترة أي ما قبل العقد الخامس ، منصبا على تحرير شرائط المغرب من الاستغلال البرتغالي ، وعلى توحيد اجزاء المغرب تحت سلطتهم قبيل التطلع نحو تلمسان . ولذلك فإن الزبانيين الذين كانوا يبدئون من مساعدتهم اما ضد الأتراك المشائين او ضد الاسبان ، وعن بعضهم ضد هذه القوى أو تلك ، لم يجدوا في اوضاعهم ما يشبع طموحهم ، ولا شك ان الزبانيين ادركوا ان قوة السعديين الغتية التي اذقت الوطاسيين الامرين قد تهدد وجودهم كما كان عليه الامر أيام بني مرين . ان ان السعديين كانوا يجمعون بين صفات عديدة تؤهلهم للظفر ، وتبطلهم مقبولين في تلمسان اكثر من الأتراك والاسبان ؛ فهم أولا من الاشراف ، وثانيا من المعاهدين ، وفوق كل ذلك ثانيا يتسمون بتأييد الطريقة الشاذلية التي لها اتباع كثيرين في تلمسان ، مما يستميل طامش الزبانيين الدراجين منها لو تمكنوا من السيادة فيها ، بينما كان الاسبان والأتراك فيها لا يتمتعون بمثل تلك الشهرة لدى التلمسانيين . ولكن على الرغم من تميز الفرصة المناسبة لتدخّل السعديين ، فإن هؤلاء لم يفعلوا قبل أن يستولوا توحيد المغرب .

وقد شهد العقد الخامس وهو الذي اتموا في نهايته توحيد المغرب تحت سلطتهم ، انتقال بعض طما تلمسان وفقهاءها من بلاط الزبانيين الى بلاط السعديين ، حيث رحب بهم هؤلاء واسندوا اليهم منطف الوظائف العلمية والدينية ، وفي طليعة هؤلاء نابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن بازل التلمساني ، الشيخ المفتي الخطيب المدريس الذي قلده محمد الشيخ الفتوى بمدينة قاس والتمريس والغطاية بجامع الاندلس ثم القيرويين (١) .

كما شهد اتصال بين احمد الاعرج السعدي الذي قلده اخوه محمد الشيخ في سنة

(١٥١٠ هـ / ١٥٤٤ م) والمظليان احمد الزباني الذي خلعه الحسن بن غير الدين ، وكسان

كلاهما يسعى للتحول على دعم الاسبان له لاسترجاع ملكه مقابل تنازلات مهمة ، فحسب وثيقة اسبانية
مماصرة لتاريخ ١٢/٧/١٥٤٠ م فان احمد الاعرج قد بعث برسوله يسعى للنظر مع طاهي تلمسان
احمد الزياني ومزواره المنصور بن ابي غانم ، في طلب الحصول من طريقهما على المساعدة الاسبانية
له ضد اخيه محمد الشيخ (١) ، ومن نفس الوثيقة يبدو ان احمد الاعرج كان على استعداد لان
يحتفظ فقط بمملكة مراكش وتافيلالت ، ويترك للاحمراطور شارلكان بقية المقاطعات بما في ذلك
فاس (٢) .

روايت ان عروضا احمد الاعرج قد جاءت بمحمد بن عبد الله الشيخ الى فاس وما أثاره من
مقاومة لدى الاسبان والبرتغاليين . وقد فشل السلطان احمد الزياني ، في الحصول على
الدعم الاسباني له ، ولا احمد الاعرج المستعين به . وبقي مشردا في هدية تلمسان الى ان مات
كما ذكرنا في ملحق سنة ١٥٧٠ هـ / ١٥٥٠ م . ويبدو ان اشتراكه في الحصول على الدعم الاسباني
قد سجلت في اواخر ايامه يحمل الى التتبع من المشرق محمد الشيخ ، فاخذ حينئذ
ساحم وهران الكونت دال كوديت يسعى الى احباط هذا التقارب عن طريق اقتراحه تقديم
مساعدة عاجلة للسلطان الزياني المخلوع ، ولكن هذا الاخيرات ولما يحصل على تلك المساعدة
لا استرجاع ملكه . (٣)

وقد كان محمد الشيخ السعدي من طرفه يرقب بعين التلق سيطرة الاتراك العثمانيين
على تلمسان ، وتوسيعهم الحسم بن عبد الله الثاني الزياني فيها سلطانا ياتمر بأمرهم كما كان
يرصد بعين نظمة تحركات اخيه احمد الاعرج ، ومساعدته للحصول على الدعم الاسباني عن طريق
الزيانيين المقربين من الاسبان كاحمد الزياني والمنصور بن ابي غانم وقد رأى ان الموقف يستدعي
ان يدخل في مفاوضات مع هذين الاخيرين لاستمالتهما ، قبلما لداير تأمرهما عليه
مع اخيه والاسبان . واستغلالا لاتاعهما من القبائل ، في منطقة على تلمسان وهران التي
كان يحتزم القيام بها (٤) . وقد اتضح فيما بعد انه نجح في استمالة المنصور بن ابي غانم
الذي اصبح من الحثريين للسلطين السعديين ، وأدى له ذلك بمدايات جارية في حملاتهم
على الغرب الجزائري (٥) . وما كان ينجح في استمالة هذا الاشهر حتى اخذ في الامداد
لحملة وجهتها الى تلمسان ، قبضت على سلطانها الحسن الزياني ، وقضت على حكم الزيانيين
فيها في ٢٣ جمادى الاولى سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٥٠ / ٦ / ١٠ م (٦) . ان ارسل السلطان الحسن
المخلوع الى فاس دون ان ينصب سلطانا زمانيا آخر ، بل اعند الحكم فيها الى احمد أبنائه الحسن

(١) ٢٠٢ هـ / ١٥٢٠ م اسبانيا ج ٣ ص ٣١٢

(٢) نفسه ج ٣ ص ٢٠٢ (اشارة الى المفاوضات)

(٣) نفسه : ٢٥٢ - ٢٥٣ (اشارة الى المفاوضات)

(٤) الافرائي : المصنف السابق ص ١٧٦

(٥) نفسه : ٢٥٢

ان اقتضاء اثرات الجزائر منها كما سنرى ذلك بالتفصيل بعد قليل .

وسما تقدم يمكن القول ان العلاقات السياسية بين المغرب والجزائر ، وبين الزناتيين والأتراك العثمانيين ، لم تشهد في مجملها تطورا ملحوظا . ان اتخذ المغرب في مرحلة نشوء الحكم السعدي فيه موقفا اكثر سلبية في صلاته مع الزناتيين ، مما كان عليه الامراةم الوطاسيين ، اى ان العلاقات الزنانية - السعدية ، اتسمت في بادئ الامر بالفتور ، وافتقدت التماون والتضامن في وجه الاخطار المحدقة بالطرفين ، ثم انها تحولت الى العنف عندما اكدت قسوة سياسية اسلامية شديدة من المنطقة وجودها الى جوار المغرب ، وتهديداتها له ، فاسرع السعديون للسيطرة العسكرية على تلمسان ، وسنرى بعد قليل تفاصيل الصراع السعدي العثماني على تلمسان الذي انهارت في اثناة الاسرة الزنانية .

جاءت العلاقات بين اثرات الجزائر العثمانيين والوطاسيين :
=====

لا تروى بداية العلاقات بين المغرب والأتراك العثمانيين الى القرن الماشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) فحسب بل ترتبط بداية هذه العلاقات بمسائل اسلامية هام وقص في اواسد القرن التاسع الهجرى على الخاصر عشر الميلادى الا وصوفت العثمانيين بقيادة محمد الثاني للقضاء على النفوذ في عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م . فمما سبة هذه المسألة ارسل السلطان عبد الحق المرونى ، شأن غيره من ملوك البلاد الاسلامية الذين اهتموا بهذا النصر النبهر ، والتفاني الى السلطان محمد الفاتح (١) . الا اننا لانطد معلومات عن تلك العلاقات بعد هذا التاريخ ، وان كان من المنتظر ان تكون صلات ما بين الطرفين اوعلى الاقل معرفة كل جانبها بشار الجانب الاخر ، ففتوحات محمد الثاني في شرقي اوربا ، وامتدادها حتى اترانت في جنوبي إيطاليا ، وشرافاته في الشرق الاسلامي ، واصطدامها بيزيد الثاني مع الهندية في شرقي البحر المتوسط ، ثم هيمنة السلطان سليم على شرقي البحر المتوسط بضمه سوريا ، مصر ، وانصواء الديار الحجازية تحت جناحه ، والتفاه نحو الشمال الافريقي ، لا يمكن ان تمر دون معرفة النظام المغانمي ، وتكوين موقف معين منها ، وكذلك فان مساوالات البرتغاليين والاسبان للسيطرة على اجزاء من المغرب الاقصى والوسط والادنى ، لم تكن غافية على الدولة العثمانية ، ولا سيما انما ارتبطت بمسؤول غرناطة في ايدى الاسبان ، وامتدادها الى المسلمين فيبها بالسلطان العثماني .

على ان العلاقات العثمانية المغربية لم تشهد تطورا ذاهال الا ابتداء من الربع الاول من القرن الماشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، الذي شهد امتداد النفوذ العثماني الى شمال افريقيا وقيام حكومة في الجزائر تابعة لدولة العثمانية . وذلك امر طبيعي لانه لا يمكن

(١) محمد الخوني : علاقات المغرب بالشرق في العصر المرونى / في / دعوة الحق عدد ٦-٧

المغرب ١٩٦٥

اغتيال عامل الطائر في تلك العلاقات فالدولة العثمانية غدت على تنحوم المغرب بمد ان كانت
بمعية عنها . ومن ثم فان العلاقات العثمانية المغربية تحولت في الجزء الاكبر منها الى علاقات
مغربية - جزائرية . واذا ما لوحظت خيوط هذه العلاقات فانه بلا منغ ان بداياتها تعود الى
الحقبة الثاني من القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، وهي الفترة التي استقر فيها
ارامل الاتراك العثمانيين بقيادة الاخوة بروس (عروج وخو الدين واسحق) اولا في جبل
ثم في مدينة الجزائر فطمسان في سنة ٩٢٣ هـ ١٥١٢ م .

وغداة دخول عروج الى هذه المدينة الاخيرة ، واستقراره بها ، واقصاه السلطان
أبا سمود الثالث الزياني منها ، ارسل على ما يذكره مايدو ^{الندوة} رسله الى سلطان فاس محمد البرتغالي
الوطاسي ، ليخبره بغيره في التحالف معه ضد ^{الندوة} ~~النصارى~~ المشترك بها ، وليبدي له
استعداده لتقديم حقه له ، ضد سلطان مراكش ، وغيره من الزعماء الذين كان سلطان فاس
آنذاك في صراع دائم معهم . (١) وهذه الخطوة التي اعطاها عروج تجاه السلطان الوطاسي
تضمن رغبة عروج التوفيق في اقامة علاقات متينة معه ، يامن بها جانبه ، ويؤمن حدوده ، ويدعم
موقفه . ولا شك ان عروج اراد بها ايضا ان يباط مساعي السلطان الزياني الذي توجه الى فاس
في اعقاب الاعطائه على امل الحصول هناك على عون السلطان الوطاسي ، كما قصد عروج بهذه
الخطوة الحصول على عون السلطان الوطاسي ، اذا ما تعرض لخطبة اسبانية مضادة له . ان كان
يدرك ان وجوده في طلمسان لم يكن ليرضي الاسبان ، اوليهم مكث في الايدي .

وقد كان السلطان الوطاسي المذكور يسعى بدوره الى الاتصال بالقوى المباشرة للمغرب
والبحيرة عنه بمبدأ التعاون معها ضد الاسبان والبرتغاليين الذين استفل خطرهم على
المغرب وعلى الشمال افريقيا وغربها . ولعل رحلات الحسن الوزان ، صاحب كتابوصف
افريقيا الذي كان يعمل في خدمته ، الى بلاد السودان وإلى طلمسان وتونس وبلدان اخرى في
المشرق ، هذه الرحلات التي اصل خلالها او التقى بطوك تلك البلدان وامرائها ، وبذوى
الشأن فيها لم تكن مجردة من الاغراض السياسية ، وانما لتحقيق غرض السلطان الوطاسي . (٢)
ومن بين من اتصل بهم الحسن الوزان وهو في البلاد الجزائرية بالاضافة الى سلطان طلمسان ،
عروج بروس كوندلك . حين كان هذا الاخير معايرا للحجاية في غضون شهر سبتمبر ١٥١٥ م /

(١) (١٥١٢) . وقد مكث معه الى ان رفع الحصار . (٢) وليس مستبعدا ان يكون الوزان قد
اطلع عروج بهذه المناسبة على الجهود التي كان يبذلها السلطان الوطاسي من جهة فسي
المغرب كمسوا من اجل تحرير المراكز المحتلة من قبل البرتغاليين والاسبان او مواجهة حملاتهم

(١) مايدو : المغرب السابق ص ٢٠ . وصف افريقيا لمساعدته الحسن الوزان (لجنون الافريقي)
(٢) انذار عنه مقدمة ٢ . ابيولار في وصف افريقيا لمساعدته الحسن الوزان (لجنون الافريقي)
ومقدمة الدكتور عبد الرحمن حميدة لترجمة الكتاب المذكور . السعدية ١٣٩١
(٣) الوزان : وصف افريقيا ص ٤١ من الترجمة العربية

الرامية الى احتلال مواقع جديدة ، وبين لهم ضرورة التعاون مع بعضهما ضد النصارى ، العدو المشترك ، وربما أبدى له ايضا استعداد محمد البرتغالي للتعاون معه ، مما قد يكون هو الذى دفع عروج وشيخه على الاتصال بالسلطان الوطاسي غداة دخوله الى طلمسان ، كما اشرنا سابقا ، وعلى عرض التحالف معه والتعاون ضد عدوهم المشترك ، وضد المناوشين لهما في الداخل .

ومسب هايدو الذي اشار الى هذا الاتصال وهذه العروى ، فان السلطان الوطاسي قد رغب ، ووافق بسرور على العروى التي تقدم بها عروج ، وعطى اليه سفرا (١) . مما يعني قيام تحالف بينهما . فهل حصل التحالف فعلا ؟ واذا كان الجواب بنعم فهل ظهر له اثر في حيز التطبيق ؟ لا يؤكد صاحب غزوات عروج وغيره من هذا التحالف الذى ذكره هايدو ، ولا يشير الى اى اتصال بهذا الموضوع بين عروج ومحمد البرتغالي ، الا انه يذكر ان هذا الاخير رفض ان يقدم للسلطان الزباني المخلوع ، ابي حمو الثالث الذى اجأ اليه اى عون (٢) . وهذا السكوت من صاحب الغزوات عن الاشارة الى التحالف ، يدفع الى الشك في قيامه . وما يبرز هذا الشك ان السلطان الوطاسي لم يهب للتعاون مع حليفه على صد الحملة الاسبانية التي توجهت من ابي حمو لاقبائه من طلمسان ، او لاقبائه عليه قريبا ، كما انه لم يصرع الى فسك الحصار الذى شرفه الاسبان وابو عموطيه في طلمسان . علما ان الحصار دام ما لا يقل عن ستين وعشرين يوما حسب الغزوات (٣) ، وستة اشهر حسب غيره (٤) ، وهي فترة كافية للوصول من قاص بالمدد ، لوضع عزمه على المجئ ، وعلى تقديم العون لحليفه . واذا كان هناك تحالف كما يؤكد ذلك هايدو ويستشهد بهى السلطان الوطاسي على رأس جيش كبير من المشاة ، والفرسان الى شرق المغرب بعد اقل من خمسة عشر يوما من مقتل عروج ، وجواته بعد ان علم بمقتل هذا الاخير (٥) . فان التأخر الشبهى عن التحرك ، لتقديم المدد الى حليفه حتمى قوات الاوان يدان استفهاما كبيرا ، حول مدى جدية السلطان الوطاسي في تحالفه مع عروج ، واستعداده لتطبيق ما يستوجبه تحالف دفاعي وهجومى وافق عليه ، ولا سيما اذا علم ان عروج حسب هايدو قد اشهر حليفه باستعدادات الاسبان للهجوم عليه مع ابي حمو وان السلطان الوطاسي قد وده بالمجئ اليه قريبا ، بالمدد المطلوب ، الامر الذى جعل عروج لا ينسحب من طلمسان على الرغم من انه كان يعلم ان قوات القليلة المتلحمة له لا تمكنه من مواجهة الحملة ، او من الصمود طويلا ، في مدينة غدا لا تمتع بشعبية كبيرة لدى سكانها ، نتيجة الشدة التي اتبعها في حكمهم (٦) .

- (١) هايدو : الحرب السابق ص ٣
- (٢) المجلد : ٣٧٥
- (٣) نفسه : ٣٤٥
- (٤) دقرا من : الحرب السابق ص ٢٦
- (٥) هايدو : الحرب السابق ص ٣٤
- (٦) نفسه : ٣٧٥ و ٣٧٦ وابن مسكرد وحة الناشر ص ٢٧٢

الذي يبدو ان السلطان الوطاسي كان حريصا على الا يتورط في حرب شاري حدود مملكته ،
 على الا يتدخل في تمسان وسلكتها ، يدل على ذلك امتناعه من مساعدة ابي حمو الثالث على
 استرجاع ملكه من عروج ، وامتناعه قبل ذلك من مساعدة يعقوب بن محمد الزياني على انتزاع الملك
 من اخيه سلطان تمسان . وربما كان غير مطمئن تماما الى نوايا عروج الذي لاحظ عليه انه
 لا يكاد يستتب له الامر في اقليم من الاقاليم حتى يوجه نظره وجهوده الى اغضاع الاقليم الذي
 يليه وهكذا . . . حتى قد نفوذته يمتد من جيجل شرقا الى تمسان غربا دون ان يتورع عن الفتك
 بالبراء الاقاليم واصحاب النفوذ فيها . ولعله خشي ان يلحقه الداء التالي لعروج بعد استتباب
 الامر له في تمسان ومملكة فاس ، التي تجاوزها والتي اغدت شفته منذ ٩٢٣ هـ / ١٥١٢ م ،
 تجوب مياه شواطئها الشمالية (١) . ولذلك لم يهتم كثيرا بامر حليفه المحاصر والمهدد (٢) ،
 وتأخر كثيرا . حتى يقف عروج من مجيئه ، فقام بمحاولة بائسة للافلات من الحصار المفروض عليه
 فلتحق به الاسبان وقطروه ، وهو يتجه نحو المغرب على امل ان يلتحق بحليفه او يلتقي به .
 اما التحرك المتأخر للسلطان الوطاسي بجيشه الى شرق المغرب فيمكن ان يحمل على
 انه موقف اعتباطي ، لعدم خطر عروج او الاستفادة من دوى انتصاره بانتزاع طليعة من الاسبان .
 وقد مر الجيش الوطاسي على مشارفها في طريقه الى شرق المغرب .
 ونتيجة لعدم التعاون المتصل بين الطرفين ، تمكن الاسبان اذا من القضاء على عروج .
 والقضاء عليه كوطي أمية اسحاق قبله بقليل في قمة بني راشد ، كادوا يقضون على الوجود
 العثماني الوحيد في المغرب الاوسط ، ان وجبها في اعتاب مقتل عروج حطة ضخمة للقضاء ايضا
 على خير الدين آخر البربروسيين الذي بقي في قوة قليلة في مدينة الجزائر ، الا ان هذه الحطة
 انتهت بالفشل الذريع كما ذكرنا ، ان تكافرت شجاعة خير الدين ورائقه مع عوامل الطبيعة على
 الحان النارثة بما اغتاب سعي الاسبان . اما محمد البرتغالي فقد فشل في فرض سيطرة على كامل
 اجزاء المغرب ، وفي اغضاع القوى السياسية التي كان نفوذها وقوتها في نمو مستمر ولا سيما
 نفوذ الاشراف الموحدين في الجنوب . كما فشل في تمرير الكثير من المدن والمراكز
 المحتلة من قبل البرتغاليين والاسبان ، فيما عدا سبجرباد الذي تم تحريره سنة ٩٢٨ هـ /
 ١٥٢٢ م عن طريق استغلال خيانة احد جنود حاميتها .
 ولم تشر المساءر المتوافرة لدينا الى اتصالات بينه وبين خير الدين بن بروس مولد لبعث
 التحالف الذي اشأ راليه هايدو ، اولاقامة غيره . وسكوتها هذا يدفع الى القول بان العلاقات
 بين اتراك الجزائر العثمانيين ، وعلى رأسهم خير الدين ، وبين الوطاسيين وعلى رأسهم السلطان

(١) Ricard (R.): Le Commerce Genoïse au Maroc, 1415-1550. in Annales de I.E.O., Paris 1937, t.3, P.62.

(٢) د فراسون : ملك بدوره في قيام تحالف بين عروج ومحمد البرتغالي انظر تاريخ الجزائر ص ٢٥

محمد البرتغالي ، قد شهد فتورا ان لم يكن انقطاعا بعد مقتل دروج لمضج سنين . ولا شك ان ذلك ناتج ايضا عن الصعوبات التي واجهها خير الدين بعد مقتل اخويه ، بحيث تعرض الى حملة اسبانية كبرى ، والى تأمر سلطاني تونس وطلسان عليه ، وتمرد احمد بن القاضي الزواوي بتمريض من السلطان الدفني ، ونجاحه في اقضائه . من مدينة الجزائر لمضج سنين مكثها كما رأينا في جيجل . فتعاقدت الشقة بين الطرفين . ولكن هذا الفتور او الانقطاع لم يستمر طويلا فيما يبدو ، ان اخذت السفن الجزائرية المشائية تردد ابتداء من سنة ١٥٢٣ م / ١٥٢٣ م على الأقل على ميناء المراكش في المغرب وتتغذى معملاتها ، وتقضي فيه فصل الشتاء (١) . ما يدل على ان العلاقات بين اثرائ الجزائر المشائين وعلمام المغرب الوطاسيين قد تحسنت ، ولكن التمسك بالموقف كان بعد عودة خير الدين من جيجل الى مدينة الجزائر ، ولا سيما بعد قضائه على الحصن الاسباني "البون" فيها في هجوم الجيوش المغربية سنة ١٥٢٩ م الذي كان له صدى كبير لدى الاسبان والنصارى عامة ، ولدى المسلمين . وفي اعقاب الانتصار الذي استلزمه ابن النصارى احمد بن محمد البرتغالي السلطة في المغرب . ففي اعقاب الانتصار الذي حققه خير الدين على المعصن الاسباني المذكور طمع الى تدوير وهران ، فارسل الى السلطان الوطاسي المذكور والى امير بادس (ابي حسون) بدعوهما كما دعا سلطان طلسان وغزاة البحر في تونس الى المساعدة في الحملة على وهران بكل ما يكون من سفن (٢) . ولكن ظروف الوطاسيين في هذه الفترة في المغرب ، لم تكن لتسمح لهم بمطالبة نداء اذ كانوا في نواح عتيف مع السعديين الذين استولوا على مراكش ورفضوا الاعتراف بالسلطان الوطاسي بالتمهية ، وتقديم فروض الولاء والاباحة . وفي سنة ١٥٢٦ م / ١٥٢٦ م شاضوا معركة آتاي ضد هم ، ولم يتمكنوا من تحقيق النصر (٣) . ولذلك فان مشروع حملة خير الدين للمغرب على وهران لم ينفذ كما كان يريد ، ولكن احمد الوطاسي وابا حسون المذكورين ابدوا استمدا دما للتماون وتطهير العلاقات مع الاسبان .

وقد تولى تدوين العلاقات بين الطرفين في : ١- قيام خير الدين في افريل ١٥٣١ (شعبان ٩٣٦ هـ) على رأس مجموعة من السفن بالرسو في الموانئ الشمالية لطنجة فاس ، والتزود منها بما كان في حاجة اليه من حبوب ، وغيرها ، للتغلب على الصبابة التي كانت سائدة في الجزائر في هذه السنة (٤) . ٢- وفي ارسال خير الدين في السنة التالية (١٥٣٢/١٥٣٨ م) سفيراً الى السلطان الوطاسي ليبدى لهذا الاخير استمدا دما الكامل لان يأتي بنفسه لمهاجمة

- (١) أندريز : العرب السابقين (١)
- (٢) بريمو دي : الوثائق المختلة في ٣٤ - ٣٥
- (٣) انظر فصل السياسة السياسية في المغرب
- (٤) ١٥٠٠ م. سنة اسبانيا ج ١ ص ١

أو مركز يريد مهاجمة ، ولطلب منه تزويده بطح البارود المتوفر لديه . وقد أسرع السلطان
الوطاسي المذكور إلى تلبية طلبه (١) . مما يدل على قيام تعاون فعلي بين خير الدين
بربروس وأحمد الوطاسي ، الأمر الذي أثار قلقاً ومخاوف كبيرة لدى الأسبان والبرتغاليين ،
فأسرعوا إلى تعزيز قواعدهم الواقعة بشمال المغرب وتعزيز شواطئهم الجنوبية ، لا تقاً هجوم
تركي - وطاسي محتمل (٢) . وحتى يشغل الامبراطور شارلكان خير الدين ببروس عما كان
يستمزم القيام به من تعاون مع السلطان الوطاسي ، وعما كان يخططه من ضربات بالسفن والشواطئ
الاسبانية ، وعما كان يقدمه من عون لمسلمي الاندلس فإنه أقر عبد الله الثاني سلطان طلمسان
على الثورة ضد خير الدين ، ووعده بمساعدته على انتزاع مدينة الجزائر من خير الدين باسطوله ،
فاغتر السلطان الزياني برعيه ، وقام بحملة على الجزائر باقتبال الفشل الذريع والاسفة خير الدين
حتى طلمسان ، دون ان يقدم الاسبان لمساعدته ، فطلب الصفو من خصمه فمما عنه خير الدين
كما رأينا (٤) . وتمكن الوطاسيون من جعلهم من جهة من جهة إلى الشرق من طلمة في
١٤١١ هـ / ١٥٣٤ م (٥) ، فبدأ للاسبان والبرتغاليين أن لا شيء يمنع قيام تعاون كبير
بين لا تراثك العثمانيين والوطاسيين ، مما أثار مزيداً من المخاوف لديهم ، ولا سيما بعد
ان عاد خير الدين من القسطنطينية على رأس الاسطول العثماني ، واستولى بسهولة على تونس
في صيف ١٤١١ هـ / ١٥٣٤ م (٦) ، لدرجة ان البرتغاليين اغتدوا بفكرهم في الجلاء عن
بعض المراكز التي يحتلون بها ، والتي من الصعب الدفاع عنها . وبرزت بوضوح ذلك مشاركات
بين الملك البرتغالي ، وكبار الشخصيات البرتغالية (٧) . اما شارلكان فقد أمر باخلاء
هنيين بعد تغريبها في ١٤١١ هـ / ١٥٣٤ م ، واعادة عاصمتها إلى زهران لتمييزها (٨) .
ثم استغل فرصة طلب السلطان الحسن الحفصي مساعدته على استرجاع ملكه المفتصب مسن
قبل خير الدين ، فجهز حملة ضخمة للقضاء على خطر هذا الأخير . ونجح في اقصائه
منها ، واعادة الحسن الحفصي إلى ملكه ، تابعاً له ، وأبقى في طلق الوادي عاصمة اسبانية كبيرة .
وقد كان أحمد الوطاسي ينتظر ان يقدم له خير الدين مساعدته لاسترجاع طنجة وأصيلا مسن
البرتغاليين بعد تناسله في تحرير غساسة من الاسبان . إلا أن خير الدين دعي للمودة إلى

- (١) ٢٠٠ م . تم اسبانيا ج ١ ص ٤١ - ٤٢
- (٢) ٢٠٠ م . نفسه ص ١
- (٣) مسن من ١٥٢٠ - ١٥٣٤ م . وعصب آخرين يكون قد مسن في الفترة ١٥٢٨ - ١٥٣٣ . وانظر
- (٤) روف المربيع السابق ص ١٩ - ٢١ . وانظر المربيع السابق ص ٢٠ - ٢١ . وانظر
- (٥) أيضاً رسالة عبد الله إلى الامبراطورة بخصوص ترتيب الحملة المدبرة في عهد اليرمين
- (٦) الجيالات تاريخ الجزائر العام ج ٢ ص ٢٠٨ - ٢١٠
- (٧) مرمول : أفريقيا ج ٢ ص ٤٨٩
- (٨) استولى خير الدين على تونس في ١٦ / ٨ / ١٥٣٤ . انظر برمودي المربيع السابق ص ٩٤ - ٩٥
- (٩) مرمول : أفريقيا ج ١ ص ١٤٥
- (١٠) روف المربيع السابق ص ٢٥
- (١١) حول حملة شارلكان على تونس انظر مرمول المربيع السابق ج ٢ ص ٤٦ . وما يليها .

القسطنطينية فوراً ولما يحصل على المون المنتظر منه (١) . ولما كان خليفته حسن آغا مهددا بحملة اسبانية كبيرة على غرار حملة شارلكان على تونس ، ولم يكن بإمكانه تقديم المون له ، فان السلطان الوطاسي الذي مني بدوره بهزيمة ساحقة امام فتوحه الاشراف السعديين في معركة وادي المبيد سنة ١٤٣٠ هـ / ١٥٣٦ م ، رأى ان يعيد الى مسالمة الاسبان والبرتغاليين ومهادنتهم ، حتى لا يستغلوا وضعه السيئ . وتوصل الى اتفاق سلام مع البرتغاليين لمدة احد عشر عاماً عقد في شهر ماي ١٥٣٨ ، على ان يشمل الاسبان ايضا (٢) . وكان هدف البرتغاليين في هذا العقد من وراء استجابتهم لرغبة السلطان الوطاسي في السلام معهم هو صرف هذا الاخير عن التحالف والتعاون مع الاتراك العثمانيين ضدهم ، والحصول دون تسرب النفوذ العثماني الى المغرب . وما ورد في الاتفاق الذي عقد بين الطرفين شرط ينص على انه لا يحق لرعايا السلطان الوطاسي في مناطق أصيلا ، بلنجة ، والقصر الصغير ، وسبته ، وهي كلها مراكز ساحلية في حال مجيء السفن التركية العثمانية الى بلادهم ، ان يشتروا الاسرى المسيحيين . وتصادر البضائع الاخرى ، وتعاد الى الطرف الذي اغتصبت منسبه . الا اذا كانت قوة العدو لا تسمح بمهاجمته (٣) .

ولكن هذا الاتفاق سرعان ما خرق ، ولم يلتزم به . وسير الحوادث التالي ذكرها يثبت ذلك : فابو حسن الوطاسي امير بادس ، الذي كانت له علاقات طيبة مع اترك الجزائر العثمانيين ، حينئذ كان يتعامل ويتعاون معهم ضد الاسبان والبرتغاليين قبل حصول الاتفاق المذكور (٤) ، لم يتوقف عن التعامل والتعاون معهم ، وما يؤكد ذلك مجموعة من الوثائق المحاصرة ، فاحداها تشير الى شراء عدد اكبر من الاسرى النصارى من الفزة الاتراك في سبتمبر ١٥٤٠ م ببلغ ٥٠٠٠ دوكات (٥) ، واخرى تشير الى طلبه ٤ سفينة من الجزائر لاجراء معركة مع اسطول دون برناردينو دوندوزا (Don Bernardino de Mandouza) القائد العام للبحرية الاسبانية (٦) ، وثالثة تشير الى ان حسن آغا ، ارسل في اعقاب حملة شارلكان على الجزائر مبعوثا الى بادس في نهاية عام ١٥٤١ م ملقيا بشراء سفن واشياء اخرى من هناك (٧) . كما ان السيدة الحرة حاكمة تطوان ، وزوجة السلطان أحمد الوطاسي نفسه ،

(١) م. ت. م. اسبانيا ج ١ ص ٧٦

(٢) نفسه ج ٨٣ - ٨٤

(٣) نفسه ج ٨٠ و بريمور دى اليراثين المفضلة ص ٣٥

(٤) نفسه ج ٨٨ - ٩٠

(٥) نفسه ج ٩١ - ٩٢

(٦) بريمور دى اليراثين السابق ص ٢٥٣ ومفاوضات حسن آغا مع الكونت الكوديت في المرجع السابق

(٧) ج ٣٨١

لم يلتزم بدورها بالاتفاق المذكور بين البرتغاليين والوطاسيين ، إذ كانت تسمح هي الأخرى
للسفن الجزائرية الحثمانية بالتردد على ميناء تطوان والتزود منها بما يلزمها ، ولم تنفك
سفنها عن القيام بالغزو البحري (١) . فهذه المواقف لا تدل فقط على خرق الاتفاق البرتغالي
الوطاسي الذي ألغى رسميا في سنة ١٥٤٣ م ، ولكنها تدل على الغش على أن العلاقة
التي كانت قائمة بين الوطاسيين واتراء الجزائر الحثانيين في عهد خير الدين ، وخليفتيه
حسن آغا ، كانت في مصلحتها حسنة تعتمد على بعض التعاون ضد القوتين الإسبانية والبرتغالية .
وقد استمر امرها كذلك في عهد الولاية الأولى لحسن بن خير الدين ١٥١-١٥٨ هـ / ١٥٤٤
- ١٥٥١ م . ومن الشواهد الدالة على ذلك بالإضافة إلى الاستمرار في استقبال السفن الجزائرية
الحثانية في موانئ شمال المغرب ، وتزودها منها بما تشاء ، تعاون غزاة البحر الجزائريين
مع غزاة تلك الموانئ . وانتقال عدد كبير من الاتراء الحثانيين للعمل بصورة فردية في بلاط
الوطاسيين ، ولا سيما في صفوف جيشهم . وقد بلغ عددهم بحسب رواية طوريس أكثر من اربعة
عشوة معركة دون (٢) . التي جرت بين الوطاسيين والسعديين في سنة ١٥٢ هـ / ١٥٤٥ م .
ومن الأدلة أيضا : عدم تعاون الوطاسيين مع الثائرين على ائراء الحثانيين او المناوئين
لهم ، فالثائر بوطريق الذي التجأ إلى المغرب بعد فشل ثورته أمام ائراء الجزائر في ميسج
١٥٤٤ م (٣) . لم يجد لدى الوطاسيين ان عون (٤) . والسلاطان احمد الزباني الذي اطيح
به حسن بن خير الدين عن ملك طلمسان في سبتمبر سنة ١٥٤٥ م والذي التجأ إلى دبدو فقبض
على امير دبدو والوطاسي وعلى من بقاء معه فوسجن الجميع وسلب اموالهم (٥) . كما اشرنا إلى
ذلك سابقا ومن جهة فان السلطان الحثاني الذي كانت تهرى بينه وبين الامبراطور شارل كان
مفاوضات لحقد اتفاق سلام رفض الموافقة على الاتفاق مالم يشمل سلطان فاس (٦) . على أن أهم
مفاوضات شهدت العلاقات الجزائرية الحثانية - الوطاسية في عهد حسن بن خير الدين هو الذي
اعقب الهزيمة الساحقة التي مني بها الوطاسيون أمام السعديين في معركة دون سنة ١٥٢ هـ /
١٥٤٥ م . ففي أعقاب هذه المعركة التي وقع فيها الضعف أمام الوطاسي وابنه اسيرين في يد
محمد الشيخ السعدي ، والتي أصبح الطريق بعدها إلى فاس مفتوحا أمام السعديين ، ومات
ملك الوطاسيين مهددا بالزوال ، لم يتردد الوطاسيون في اعلان ولائهم للسلطان الحثاني
من أجل الحصول على دعمه وساعدته لهم ضد خصومهم السعديين ، على غرار ما فعل خير

- (١) م. ٢٠٠ م. تاريخ الأشراف . ص ١٠٧ ، هامش ٤
(٢) م. ٢٠٠ م. تاريخ الأشراف . ص ١٠٧ ، هامش ٤
(٣) م. ٢٠٠ م. تاريخ الأشراف . ص ١٠٧ ، هامش ٤
(٤) م. ٢٠٠ م. تاريخ الأشراف . ص ١٠٧ ، هامش ٤
(٥) المجلد ١ ، المجلد ١ ، ص ١٠٧ ، هامش ٤
(٦) رسالة فوكان بتاريخ ١٧ / ٢ / ١٥٤٥

الدين قبل نهو ربح قرن من السلطان سليم حين وجد نفسه في وضعية سيئة بعد مقتل اخويته
عروج واسحق . وناشد الوطاسيون السلطان سليمان التدخل لاطلاق سراح السلطان الوطاسي
وابنيته الاسيرين لدى معمد الشيخ (١) .

ولا شك ان اترك الجزائر العثمانيين قد دعوا لطلب الوطاسيين وايده ، لما كان
بينهم وبين الوطاسيين من علاقات حسنة في مجملها كما تبين من قبل من خلال مواقف عديدة
ولا سبب اخرى اهمها : ان لاشراف السعديين الذين ما انفكت قوتهم تتماظم ، كانوا يمثلون
في نظر المرابطين وطائفة الموحدين المتدينين ، الشمام الشرعيين بفضل نسبهم الشريف ، مما يجعل
عليهم في الجزائر ، حيث كان هناك جماعات تنظر الى الحكام
، ومفتصمون للسلطة ، ولذلك كان من مصلحة الاممراك
لاشراف السعديين في المغرب ، حتى لا يوجهوا انظارهم
نافسة قوى لهم فيها ، اضف الى ذلك ان مراكز قاعدة السعديين
تأثير بطريق الذي انفسهم به المطاف عند
غدت ماوى المناوئين لهم ، واصطبروه فيما بعد في . واظهر
المسلمين الذين آووه ، واضحا بالفزو البصرى ما يجعله منافسا قويا لهم في هذا
ان معمد الشيخ ابدى امتثاما واضحا بالفزو البصرى ما يجعله منافسا قويا لهم في هذا
المجال . (٢) .

وقد رغب السلطان العثماني بولا الوطاسيين الذين من شأنه ان يوطد مركز العثمانيين
في شمال افريقيا ، ويجعل نفوذه يمتد الى المغرب الاقصى دون عناء . فتمت سيطرته على
الجزء الاكبر من الحوض الغربي للبحر المتوسط بعد ان ساد طى شرقه ، وبصبح اكثر قربا
من المسلمين في اسبانيا الذين كانوا يواجهون له النداء طوا النداء لاغاثتهم ، ورفع الضيق
عنهم ، كما يخدم بذلك رأس العالم الاسلامي السني له ، وجمع في شخصه كل الدواع التي
كانت الدولة العربية الاسلامية تضيقها في عصور قوتها الاولى . فارسل سفارة الى مراكز عظمت
اوامره الى محمد الشيخ باطلاق سراح السلطان الوطاسي فوراً ، والتعويض له عن الاضرار
التي لحقت به تحت طائلة مهاجمته (٣) . وحسب بعض المراجع فان السلطان العثماني
يكن قد ابدى منه ايضا بهذه المناسبة اقامة محطة في اقاليم مملكته ، مما يعني بمباراة
اخرى طلب الاعتراف بسيادته عليه والدخول تحت لوائه (٤) .

- (١) طويريج : المرجع السابق ص ٢٠٧
(٢) توراس : المرجع السابق ص ٧٩
(٣) طويريج : المرجع السابق ص ٢٠٧ - ٢٠٩
(٤) توراس : تاريخ المغرب ... ج ٢ ص ١٦٥

وكان رد فعل السلطان محمد الشيخ ، الغضب الشديد من محتوى الرسالة التحدي
 قدمها له المبعوث التركي ، ومن لهجتها ، حيث ان السلطان العثماني كان فيما طلبه
 لا يريدوه ولكن يأمره ، وما أغضبته اكثر حتى كاد يخرج عن دأوره ويهم بقتل المبعوث العثماني -
 وكان هذا المبعوث هو القائد صفا الذي شغل قبل بعثته وبعدها عدة مهمات في الجزائر (١)
 هو مخالطة السلاطان العثماني له بشيخ العرب ، لأمير المؤمنين او الخليفة كما كان يحلوه
 ان يلقب نفسه . وكانت النتيجة رفض تلك المطالب ، او ذلك الانذار الرضوي ، والجد في العمل
 للبقاء على حكم الوطاسيين ، تسهيدا لمهاجرة العثمانيين في الجزائر قبل ان يهاجموه .

ولما رأى الوطاسيون ان التدخل العثماني توفيقا عند التهديد فقط ، وان هذا
 التهديد لم يزد نفعا ، اذ لم يؤثر على موقف محمد الشيخ المتصلب ، الذي مضى في اعتقال
 السلطان الوطاسي ، ورفض كل وساطة لافتدائه بالمال ، وعندما تضائل اطمعهم في الحصول
 على دعم من اتركة الجزائر العثمانيين بعد ان اكرو هؤلاء على الانسحاب من تلمسان في سنة
 ١٥٤٣ هـ / ١٥٤١ م وافاد النفوذ الاسباني اليها من خلال سلاطنتها احمد الزباني الموالي لاسبان ،
 فانهم رضخوا لشروط محمد الشيخ وسلموا له كنيسة في سنة ١٥٤٤ هـ / ١٥٤٢ م ، في مقابل اطلاق
 سراح السلطان الاسير . الا ان محمدا الشيخ رام بعد امتلاكه كنيسة ، مفتاح فاس ، اخذ ما بقي
 بايدي الوطاسيين الامر الذي دفع هؤلاء الى السعي للحصول على دعم الاسبان والبرتغاليين لهم ،
 بعد ان فقدوا كل نصير لهم على غرار الدعم الذي تلقاه السلطان الحسن الحفصي ، او السلطان
 عبد الله الزباني من الامبراطور شارليكان ، في سنة ١٥٣٥ وفي سنة ١٥٤٣ (٢) ، ولكن محمدا
 الشيخ الذي كان يردد تحركاتهم لم يمهملهم ليتوصلوا الى مثل هذا الاتفاق ان تمرك الى فاس
 بسرعة وسارعا الى ان استلم له الوطاسيون فيها كما رأينا ، باستثناء قلة منهم تمكنوا
 من الاقلاق من المراكشي مطلع سنة ١٥٤١ م وقضى على حكم الوطاسيين فيها ، وفي شمال المغرب (٣)
 ولم يخيب اتركة الجزائر الذين تمكنوا في سنة ١٥٤٥ هـ / ١٥٤٨ م من استرجاع نفوذهم
 على تلمسان (٤) ، الى انقاذ الوطاسيين من السقوط ، وذلك فيما يبدو ولعل هؤلاء الاخيرة
 عنهم ، واليههم المساعدة من الاسبان والبرتغاليين (٥) . وربما لما بدا للاتراك من ضعف
 الوطاسيين امام المماليك ، وعدم رغبتهم في اكمال العلاقات بينهم وبين الاخيرة التي
 مستوى من التوتر اطلق مما كان عليه . وذلك يفسح المجال للتفاهم والتواصل . وسدا على
 الاربع لياب القضاة من اتركة الجزائر وطلو الوطاسيين الذين اقلتوا من قبضة السعديين

(١) ١٥٤٠ م اسبانيا ١٠٦ هـ ٢٠٦ هـ ٢٤٨ هـ ١٣٠ هـ

(٢) نفسه ١٢٤ - ١٢٤ و ١٢٤ - ١٢٤

(٣) انظر فصل الديانة السياسية في المغرب .

(٤) انظر فصل الديانة السياسية في الجزائر .

(٥) يبدو ان الوطاسيين ، لم تكن لهم ثقة في مساعدة حسن بن شير الدين لهم ولا سيما على جناح السرعة ولذلك فانهم اكلوا في الحصول عليها من الاسبان والبرتغاليين الأكثر قربا منهم

وفتحا لمقبرة جديدة في العلاقات مع اترك الجزائر قام محمد الشيخ بالخطوة الاولى اى التقرب من حسن بن خير الدين ، وعرض عليه التعاون لتسديد ديون من الاسبان ، وشن هجوم على هولاء في عقد اوديس . (١) وكخطوة اخرى استبقى محمد الشيخ الاتراك العثمانيين الذين كانوا في خدمة الوطاسيين عنده ، وهذا التقارب هو الذي جعل يدور في آراء بعض الوطاسيين لا يتوجهوا الى اترك الجزائر منذ البداية لطلب المعون منهم لاسترداد طلبة الوطاسيين ، مع ما كان يربطه بهم من علاقات ممتدة منذ عهد خير الدين ، وانما يتوجهوا الى الاسبان والبرتغاليين (٢) . مستغلا مغاريف هولاء وأولئك من التقارب العثماني-السعدي .

وما تقدم يتضح ان العلاقات بين اترك الجزائر العثمانيين والوطاسيين ، على الرغم من انها كانت علاقات ودية في مجملها ، الا انها لم ترق الى مستوى التعاون الكبير الفعال بين الطرفين ، بل يمتنع القول ان الوطاسيين ذهبوا ضحية السياسة المترددة التي اتبعتها الدولة العثمانية تجاههم ، وتجاه المغرب عموما ، وهذه السياسة ان دلت على شيء فانما تدل على عدم جدتها في التدخل في المغرب بكل ثقلها ، وان المغرب لم يكن المحور الاكثري أهمية ضمن اهتماماتها ، وهو ما لمسه واخر الوطاسيين ، وبعلمهم يحملون مجددا الى الاسبان والبرتغاليين ، ولكن تذبذبهم افقدهم ثقة هولاء وأولئك ، كما افقدهم سميتهم ، ففشلوا وانهاروا امام هجومهم السعديين . وقد يكون وراء تردد العثمانيين في سياستهم تجاه مغرب الوطاسيين ، هو مشاغل الدولة العثمانية في شرقي اوربا ، وبروز السعديين قوة كبيرة تتمتع بثقة اهل المغرب بل والجزائر . ومن ثم كان من المهيض أنفذاها بالسياسة واللين ، لا بالقوة والحنف ولا سيما أنه بدا لها واضحا ان الحكام الوطاسيين الذين كانت ستعمل من أجل دعمهم ، محكوم عليهم بالزوال لمجزهم عن معالجة قضايا المغرب الكبرى واهمها الغزو الخارجي ، والانقسام الداخلي .

د - العلاقات بين اترك الجزائر العثمانيين والاشراف السعديين :

لا نملك أي نص يشير الى صلات او علاقات مباشرة بين عرش المؤسس الاول للنفوذ التركي العثماني في الجزائر ، وبين الشريف محمد القاشم بأمر الله ، رأس الاسرة السعدية في المغرب . وقد يستنتج من ذلك ان العلاقات بينهما كانت معدومة ، او ان هذه العلاقات كانت في بداياتها ضعيفة ، فلم تعظ بالتسبيل . ولا يظن ان عرش عروج الذي تقدم به الى السلطان الوطاسي والذي ابدى فيه استعدادا للتعاون ضد المتعديين عليه في الجنوب ، مقابل تحالف دفاعي وحموي بين الطرفين كان نتيجة لسوء علاقات مع أولئك المناوئين ، ومنهم الاشراف السعديون .

(١) م.م. ت. م. اسبانيا ص ٢٤٦ - ٢٤٨ و ٢٤٨ - ٢٥٢

(٢) نفسه ص ١٠١ وما يليها وهايد والمرجع السابق ص ٨

د ر ما كان نتيجة شعوره بعدم الاطمئنان على جوده في تلمسان ، ورغبته في الحصول على حليف
 معه ضد منافقيه من الزبانيين وعلفائهم الاسبان . وتعود الاشارات الاولى للملاقات بين
 تراك الجزائر والسعديين المتوافرة بين ايدينا الى العقد الرابع من القرن العاشر الهجري
 / العقد الثالث من القرن السادس عشر الميلادي ، اي الى عهد خلفاء هرقوي ومحمد القاسم
 (امر الله) ، حيث تشير وثيقة برتغالية الى وجود اترك عثمانيين في صفوف السعديين منذ سنة ٩٣٥هـ
 / ١٥٢٤م ، ومشاركتهم في حصار سانتا كروز في ٩٤٨هـ / ١٥٤١م (١) . وتشير وثيقة اخرى
 برتغالية الى ان الشريف احمد الاعرج بن محمد القائم بامر الله كانت له اتصالات مع الاترك
 العثمانيين ، مما جعل البرتغاليين يتخوفون من هذه الاتصالات ، ومن تزايد قوته ، وتوسيع
 نفوذه (٢) . ولا شك ان هذه الاتصالات كانت تستهدف التعاون ، والتضامن بين القوتين
 الاسلاميتين في المغرب والجزائر . وقد اخذ البرتغاليون يفكرون بهذا منذ اواسط العقد الرابع
 من القرن السادس عشر في الجلاء عن بعض المراكز التي يسيطرونها ، ولا سيما البنيوية والوسطي
 منها ، التي كانت تتعرض باستمرار الى هجمات السعديين كاسفي ، وآزمور ، وغيرهما
 لتمييز دافعهم عن المراكز الاخرى ولا سيما الشمالية منها ، ويحطون على احوال التقارب بين
 الاتراك العثمانيين والسعديين عن طريق التقرب من هؤلاء ، والسعي الى عقد اتفاق سلام
 معهم لا يلبث مدة ممكنة كاتفاق سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م الذي عقد لمدة ثلاث سنوات (٣) ،
 املا منهم في ان يبدلوا بذلك دون التسلل العثماني الى المغرب . ولما تجدد الصراع بين
 الطرفين ، وتوجه السعديين في تحرير آغادير سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م ، كما نجح اترك
 الجزائر في نفس السنة في الحاق الهزيمة بحملة شارلكان ، ازدادت منافاة البرتغاليين من
 قيام تعاون جزائري تركي ومغربي سمدى كبير ضد هم ، بعد ان لاحظوا تزايد قوات السعديين
 بفضل المساعدات التركية العثمانية ، وبفضل وجود اترك في صفوفهم كمدفعيين ومدربين
 في حصار سانتا كروز (آغادير) سنة ١٥٤١ (٤) . فبدلوا تلقائيا عن بعض قواعدهم التي كان
 الدفاع عنها يبدون لهم سميا ، وكفأ كاسفي وآزمور في نهاية سنة ١٥٤١ ، وعززوا مازا كان وقواعدهم
 في شمال المغرب .

والدوام الهام المطروح : هل حصل فعلا تعاون بين اترك الجزائر العثمانيين
 والسعديين ؟

اذا استثنينا ما ذكر من وجود اترك في صفوف السعديين كمدفعيين ومدربين في صنائع الاسلحة ،

- (١) م.م.ت.م البرتغال ج ٣ ص ٣٩١
- (٢) نفسه ج ٣ ص ١٦٦
- (٣) نفسه ج ٣ ص ٤٤٤
- (٤) نفسه ج ٣ ص ٥٦٦ (أنظر رسالة طاه البرتغال الى سفيره في مدريد بتاريخ ١٢/١٢/١٥٤١)

وقد اثار في سبيلها انباء التقارب الجزائري المصري (التركي العثماني - السعدي) ، وانباء انتقال الاتراك العثمانيين الى المغرب قلدا كبيرا لدى الاسبان والبرتغاليين ، فبادروا الى ارسال تمزيقات الى مواقعهم على الشواطئ الجزائرية والمصرية ، والشواطئ الجنوبية الاسبانية والبرتغالية . ولكن هذه المخاوف زالت بعد ان رأوا القوتين الاسلاميتين تصطدمان ضد بعضهما في خريف سنة ١٥٥٦ هـ / ١٥٥٠ م بمعنف ، وتتحول علاقتهما من التحييل السف الى المداء الشديد .

وهكذا يمكن القول ان العلاقات بين السعديين واتراك الجزائر في هذه الفترة ١٥٢٣ - ١٥٦١ / ١٥١٧ - ١٥٤٩ م كانت في مجملها سلمية ، وودية طوال عهد احمد الاعرج ، ثم حالت نحو العداء والعنف نتيجة رغبة الاتراك العثمانيين وفي مقدمتهم السلطان العثماني في فرض الهيمنة على المغرب ، والتسوية على محمد الشيخ السعدي ، وامتناع هذا الاخير عن الرضوخ ، ثم مبادرت الى مهاجمة الاتراك العثمانيين في الجزائر في عقد اربعهم .

وخلاصة القول فان المقامسل في سبيل العلاقات بين الجزائريين والمغاربة في الفترة المذكورة ١٥١٧ - ١٥٤٩ م يجيد ان حكام طلمسان كانوا يسعون كما في الفترة السابقة الى الحصول على الدعم من المغرب للحفاظ على وجودهم المهدد من قبل الاسبان والاتراك العثمانيين ، بينما كان هؤلاء يسعون في اوليات علاقاتهم مع المغرب للتقارب منه ما أمكن ، دون مطالبات بالهتف او اللجوء في السيطرة عليه ، وذلك بدعوى تديق الصداقة من الاسلامي . وهكذا يثبتون وجودهم في الجزائر من جهة ويواجهون اخطار القوي المسيحية على البلد من جهة ، ويسعون لتدعيم ما من الاحتلال التركي ، ثم توحيد البلدين تحت لواء الدولة العثمانية ، مع المشاورة في تدقيق مخططات هذه الدولة . في حين مضى الوطاسيون في معرضهم السابق على عدم التورط في التدخل خارج حدود المغرب اسواء لمساعدة الزنانيين أو الاتراك العثمانيين ، ولكنهم سموهم جهة اخرى الى الاستفادة من هيبة الاتراك العثمانيين أو والدولة العثمانية ، في صراعهم مع القوى الخارجية من اسبان وبرتغاليين ، ونزاعهم مع القوى الداخلية ، ولا سيما مبيح الاشراف السعديين من اجل الحفاظ على وجودهم ، ولكنهم لم يجدوا التعاون الكافي ، والتباوب المرغوب ، فقد هذبوا بين التقرب من القوي الاسلامية الداعمة من جهة في الدولة العثمانية ، ومثلها في الجزائر العثمانية ، وبين القوى المسيحية العظمى ممثلة في الاسبان والبرتغاليين . أما السعديون فكانوا وهم في بداياتهم . وقد سطروا لواء الجهاد كما حمله العثمانيون - يهدفون في علاقاتهم مع اتراك الجزائر على الخصوص الى التعاون على تحرير شواطئهم وشواطئ

الجزائر وربما نقل ميدان المعركة بعد ذلك الى أرض المد ومساعدة مسلمي الاندلس ، ولكن مع الجبروت الشديد على استقلالهم عن الدولة العثمانية ، والرفض اليات للتعمية لها ، مهما كانت اخطار ذلك .

ويجد المتأمل في الأسس الحامة المعركة للعلاقات في هذه الفترة بين الجزائر والمغرب دورا قويا للقوى الخارجية ، أكانت عثمانية أم اسبانية أم برتغالية : فتدخل السلطان العثماني في النزاع الواسي السعدي للضغط على محمد الشيخ السعدي ، وتهديده ، وقد وتر العلاقات بين الجزائر والمغرب ، ولوالى حين ، وبعمل السلطان السعدي المذكور وأبناءه من بعده ، لا يلتمسون ابدا الى نوايا الاتراك العثمانيين في الجزائر وسلطانهم . كما أعطى لمسيح السلطان العثماني عن تنفيذ تهديده حين ذاك ، انطبعا للوطاسيين بعدم جدية العثمانيين في مساعدتهم ضد شعوبهم ، فعالوا الى الاسبان والبرتغاليين ، ما انصف بالتالي الهيبة العثمانية لدى السعديين ، وانعزلهم بقوتهم حيالهم ، وافسح المجال لتأثير اسباني برتغالي اقوى نفسي العلاقات الجزائرية بالمدنية . ويظهر تأثير الاسبان والبرتغاليين ، والعريضين على عدم امتداد النفوذ العثماني الى المغرب ، في العلاقات بين الحكام هذا الاخير وحكام الجزائر ولا سيما الاتراك العثمانيين منهم ، في : أولا - تنفيذ المذكرات والمفاروق لدى الحكام المقاربة من نوايا الاتراك العثمانيين في ضم المغرب تحت لوائهم ، وقد دعم تهديد السلطان العثماني لمحمد الشيخ مزاعمهم ، رغم عدم تنفيذ السلطان العثماني لتهديده . وثانيا في مساعي التقرب من الوطاسيين والسعديين ، وتوقيع هدنات معهم ، حتى يبعدوا العثمانيين في الجزائر ولا يتبعوا لهم فرص التدخل في المغرب ، بل انهم ذهبوا حتى الى عدم استغلال فرص انهزام الوطاسيين مرارا امام السعديين للتدخل في المغرب ، وتوقيع اماناتهم فيه ، حتى لا يدفعوا هؤلاء الى طلب الحزب العثماني ، وبالتالي حتى لا يوجدوا للاتراك العثمانيين فرصة للتدخل في المغرب القريب جدا منهم . كما ذهبوا الى عدم التدخل في النزاع الوطاسي السعدي في المغرب القريب جدا منهم ، حتى لا يبعثوا السعديين يندفعون الى السعديين بشكل قوي ، والى جانب الوطاسيين ، حتى لا يبعثوا السعديين يندفعون الى السعديين بالتقرب من الاتراك العثمانيين . ووضح مثال على ذلك تقاعسهم عن مساعدة الوطاسيين قبيل هضار السعديين لهم واثناءه وبعد ، رغم الحاح الوطاسيين طلبهم في طلب المساعدة ، وقد رتبهم عليها .

ونتيجة لهذه السياسة البرتغالية والاسبانية ، بالإضافة الى تشبث المغرب السعدي باستقلاله ، وكشفه الدولة العثمانية عن نواياها في استوائه ، فان العلاقات بين حكام الجزائر

ممثلين في الاتراك المشانين ، والحكام المفارقة الوطاسيين والسعديين لم ترق الى مستوى
التعاون والتعاون الفعالين بين الجزائر والمغرب ما كان له نتائج هامة منها :

- استقرار الاسبان والبرتغاليين في استغلال كثير من المواقع والمدن الساحلية .

- وتأخير توحيد اجزاء البلدين تحت حكم السعديين في المغرب والاتراك المشانين
في الجزائر .

- وعدم تمكن الدولة المشانية من تحقيق مبتغاهما في استيعاب المغرب الاقصى ضمن
امبراطوريتها ، وتكوين كتلة اسلامية ضخمة في الشمال الافريقي تقف في وجه
المشروعات المسيحية الالمانية ، وبصفة خاصة البرتغال واسبانيا والامبراطورية
البرمانية المقدسة ، اكانت في حوض البحر المتوسط او في الغرب الافريقي .

- وعدم توحيد البلدين تحت سلطة واحدة ، بل وعدم تعالفيهما . ما كان سيمنع
منه لو تحقق اختار فعلية على الاسبان والبرتغاليين في شمال افريقيا ، وشبه الجزيرة
الاسبانية والعالم المسيحي كله ، بل وعلى طريق الهند عبر الاطلسي ، ذلك
الطريق المكتشف حديثا الذي كان عاملا في الثورة الاقتصادية الالمانية في ذلك
الوقت . هذه الثورة التي قلبت موازين القوى بين العالم الالمني المسيحي والعالم
الاسلامي .

الفصل الرابع

صراع الاهداف السياسية : بين الاستقلال والتوحيد

في الفترة ١٥١ - ١٨٢ هـ / ١٥٤٩ - ١٥٧٤

١- ميل العلاقات نحو النزاع وأسباب ذلك

تتوافق بداية هذه المرحلة مع انفراد السعديين بالحكم في المغرب ، وانفراد الأتراك المشانين في الجزائر . ونتيجة لزوال عديد من القوى السياسية في البلدين بحسبة نهائية في السنوات الأولى من هذه الفترة كالوطاسيين في المغرب والزيايين والصفصيين في الجزائر ، فإن العلاقات السياسية بين البلدين في هذه الفترة كانت أقل تشابكا من الفترة السابقة ، ويمكن دراسة من خلال العلاقات بين أتراك الجزائر المشانين ومن ورائهم الدولة المشانية ، وأشراف المغرب السعديين ، وموقف الأسبان والبرتغاليين من هذه العلاقات وتأثيرهم فيها ، بحكم ملاصقتهم وقربهم ، ووجودهم على شواطئ البلدين وتأثيرهم بها . دون إغفال تأثير التطورات الخارجية عليها . فكيف كان سير هذه العلاقات ؟ وكيف كانت تطوراتها ؟

كان من المنتظر أن تتطور العلاقات بين القوتين الإسلاميتين المتجاورتين السعدية في المغرب، والمشانية في الجزائر في هذه الفترة في اتجاه التعاون على الأقل لتعريفهما باليدى الأسبان والبرتغاليين من قواعد على شواطئ البلدين من جهة ، وتقديم المون للثقافة الباقية من مصالح الأندلس الذين كانوا لا ينفكون عن الاستغاثا بقيادة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من بينهم الاضطهاد الذي كانوا يعانون منه ، ويتعرضون له من قبل الأسبان من جهة أخرى ، ولا سيما أن مبرق قيام السعديين في المغرب ووجود الأتراك المشانين في الجزائر مبدئيا شروا ، وهو الجهاد ضد الكفار الأسبان والبرتغاليين . ولكن العلاقات بينهما تطورت كما أُلحقت في نهاية الفترة السابقة في اتجاه النزاع والعداء ، وبغض النظر عن السبب المباشر لهذا النزاع الذي كان بسبب تدخل السعديين في طلمسان فناننا نجد في الواقع أسبابا عديدة جعلت العلاقات تتطور في ذلك الاتجاه في مراحل هذه الفترة. وأهم هذه الأسباب :

٢- اختلاف الاهداف : فالأتراك المشانين في الجزائر كانوا يتطلعون الى توحيد المغرب الكبير تحت سيادة الدولة المشانية ، وقد المينا الى هذا الأمر سابقا ، وشرعوا في تحقيق

منذ سنة ١٤٦٤ هـ / ١٥٣٤ م ، حين اقدموا على ضم تونس على امل ضم المغرب ايضا بعد ذلك
 يتميز بكونهم في الجزائر ويتميز معه وجود الدولة العثمانية في شمال افريقيا ، والموض
 سري للمنتسدين ، ونفوذها فيه . ولا يخفى ان السيادة العثمانية على الحوض الغربي للمتوسط ،
 في المغرب الكبير ، وكل البلاد العربية والاسلامية ، التي كان يملح الى تحقيقها السلاطين
 عثمانيون (١) بهدف تأليف كتلة اسلامي واسع رقوى في وجه التثقل المسيحي الاوربي ، (٢)
 تحقيق زعامتهم على العالم الاسلامي السني منه على الخصوص ، تنزل ناقصة مالم ينضو كسل
 المغرب الكبير بما في ذلك المغرب الاقصى .

ولكن السعديين كانوا يطمحون بدورهم ، وخاصة في عهد محمد الشيخ المؤسس الحقيقي
 ولتهم في المغرب ، ورأسهم اهدافها وسياستها الخارجية ، الى توسيع نفوذهم نحو
 شرق حتى مصر على الاقل ، (٣) مقتدين فيما يبدو بالقاداميين الذين انطلقوا من المغرب
 كبير نحو الشرق ، واتخذوا مصر قاعدة لهم ، وفي ذلك ما يدل على رغبتهم في منافسة السلاطين
 عثمانيين على زعامة العالم الاسلامي . معتمدين على نسبهم الشريف الذي يجعلهم في نظرهم
 نظير المتحسين لذلك رافد ، احق بالخلافة وزعامة المسلمين من السلاطين العثمانيين ، وتبدو
 هذه الفترة واضحة فيما ذكره التبريزي ، في النسخة المصورة في السفارة التركية التي دونها
 في ذلك المرحوم قال : (٤) والعثمانيون ... اما بطرا الامارة وتلدوا الامري السعدي
 ياية وامانة يؤكدها الى من هو احق بها ، واهلها وهم موالدين وساداتنا الشرفاء طوك بلاد
 لمغرب ... (٥) ومعتمدين ايضا على قوتهم العسكرية التي اولوها اهتماما كبيرا
 ظهرت لهم في البداية ضد البرتغاليين ، وعلى ما كان للمغرب من نفوذ مبروث في نفوس سكان
 بقية المغرب الكبير منذ عهد السراطين والموحدين والمرينيين . حيث كان يمتد احيانا
 فيستوى قد ، ذلك المغرب . ومن ثم فقد قابل محمد الشيخ ، رغبة السلطان العثماني سليمان
 القانوني في الاعتراف له بالتمعية ، بالرفض الشديد (٥) . بل انه اتخذ موقفا هجوما متقدما
 عندما تلقى بالامام ، وامير المؤمنين ، والمهدي (٦) . في الوقت نفسه الذي كان لا يسمي فيه
 سلطان العثمانيين الا سلطان الحوائ (٧) . وشرح في توسيع نفوذه نحو الشرق بفرض عثمان

- (١) احمد بركات : الميراث العثماني في المغرب الكبير ، ص ٤٤ وفيها
 يتناول من الملاحظات سلم الاول في مد نفوذه الى المغرب الكبير وكل الحوض الغربي
 للمتوسط .
 (٢) نفسه ، ص ٤٦
 (٣) الاقراني : الميراث السابق ص ٤٢
 (٤) نفسه ، ص ٤٧
 (٥) الميراث السابق ص ٢٠٧ وما يليها ، السلاوي الاستقصاء ص ٣١ - ٣٢
 (٦) الميراث السابق ص ١٠٠ الاقراني :
 (٧) الاقراني : الميراث السابق ص ٤٢

سنة ١٠٧٢ هـ / ١٥٥٠ م التي كانت تحت نفوذ العثمانيين ، كغلبة أولى في طريقه الى
 الامر الذي لم يكن له جعل العلاقات بينه وبين اترك الجزائر والبولية العثمانية الا عدائية
 ترة . وثاني الاسباب المسببة لتوتر العلاقات بين اترك الجزائر والسعديين كان : تقرب
السعديين من اعداء الاترك العثمانيين ، فمع اختلاف الاهداف الذي كان عاملا مهما في توتر
 العلاقات معو العثمانيين ، وقابل السلطان السعدي محمد الشيخ ، ومن خلفه رغبة العثمانيين
 بالانحلال المغربي تحت نفوذهم بالتقرب من اعداء العثمانيين ، واعداهم بالاص ، الا وهم
 رتفاعيون والاسبان ، للتمايم معهم على صد الخطر العثماني الذي يهدد الطرفين ،
 ان البرتغاليين والاسبان ما انفكوا يهشمون على الشواطئ المغربية ويستولون مواقع عديدة
 بها ، ولم يبقوا من اطاعهم في احتلال مواقع اخرى ، ورغم ان هذا التقارب يتعارض مع
 دأ الاسبان ضد الكفار الذي قام على اساسه السعديون . فقد وصل التقارب كما سنرى بعد
 ميل بين السعديين والاسبان الى حد التحالف ، واقامة الساري لطرد الاترك العثمانيين
 من الجزائر ، الامر الذي لم يكن لمزيد العلاقات الجزائرية السعدية الا توترا . وثالث الاسباب :
 سياسة الاستفزاز التي اتبعتها كل من الاترك العثمانيين في الجزائر ، والاشراف السعديين
 في المغرب ، بعضهم بعض ، والمتعلقة في احواء كل طرفه لصراعي الطرف الاخر ، ومعارضيه ،
 تقديهم الحسون لهم . فقد كانت هذه السياسة عاملا من عوامل التوتر بين حكام الجزائر والمغرب ،
 وانعدام الثقة بينهم ما ، فالسعديون آووا الناظر بوليز بعد فشل ثورته في الاطاعة بحكهم
 العثمانيين في الجزائر واصطحبوه معهم كما ذكرنا لدى غزوهم للبحران ، كما آووا المنصور بين
 ابي غانم ^(١) قائد بني راشد الوزير السابق في عهد الزيانيين ، وكثيرا من الاسر والقبائل التلمسانية
 الدرافسة او المتتمة عن الدخول في طاعة الاترك العثمانيين ، ومجموعة من علماء تلمسان وفقهاها ^(٢)
 المعارضين للاحكام العثماني فيها .

واتراك الجزائر العثمانيون آووا من جبهتهم عددا من الامراء الوطاسيين ، واصهروا
 الى بعضهم ، مثل ابي بكر بن السلطان احمد الوطاسي ^(٣) ، وامدوا ابا حسون منهم
 بالحسون لاسترجاع ملكه من السعديين كما سياتي الحديث عن ذلك مواووا ايضا عددا من الامراء
 السعديين المتناوشين للسلطان السعدي ، ومن هؤلاء ابناء محمد الشيخ نفسه (عبد المؤمن
 وعبد الطيب واهم) ، واصهروا الى عبد الطيب وأمدوه بحونهم لاعد الطيب في المغرب كما
 سنرى ، واصهروا ايضا الى اخيه عبد المؤمن . ولم يكن من شأن هذه السياسة لتبعض

(١) الافرائي : المراجع السابق ص ١٧٦
 (٢) انظر المراجعين في ابي عسكر دوحه الناشر ص ٨٧ وشيرشا .
 (٣) ٢٤٠٠ م - ٢٤٠٥ م - ٢٤١

قات بين البلدين حسنة او ذات طابع ودي . وراعي الاسباب : التنافس في مجالات عديدة
اقتصادية وثقافية :

دور مراكز التجارة ولحرقها مع بلاد السودان :

أقام والسعديون سميرد قيامهم في جنوب المغرب اعتمادا كبيرا بالتجارة ، وسموا
بـ عشيتا الى التحكم في التجارة بين شمال افريقيا وبلاد السودان ، وبالتالي بين هذه
التيرواوريا ، فعملوا على تسهيل محاور التجارة مع بلاد السودان الى مراكزهم التجارية
المغرب ، وطأ على لهم ذلك بفضل بسطهم لنفوذهم في سنة ١٢٢٢ د / ٥٢٦ م على ثوات /
بكر التجار الهام الذي كان يتحكم في الطرق المتجهة الى شمالي الصحراء والى بلاد السودان
عملوا على بسط سيطرتهم على بقية المراكز التجارية الهامة في شمال افريقيا ، ا بتمسك
بر الذي لم يكن ليدري الا تراء المشانين في الجزائر . فقام هؤلاء باحباط جميع محاولات
السعديين الدامية الى استئلال هذا المركز الهام (تمسان) على الرغم مما اصابه من تدهور
قاموا بقرى نفوذهم على المراكز التجارية في الجنوب الجزائري كتوغرت ، وورجل ، وقلم
لكره (١) . ثم تدخلوا في المغرب نفسه ضد السعديين ، فأتاعوا بذلك الفرصة لتوات لكس
لرج نفوذ السعديين عليها . فمالت من جديد محاور التجارة مع بلاد السودان نحو المراكز
تجارية التي كانت بيد الاتراك المشانين ، سواء في الجزائر أو في تونس وأوطرابلس . وظل
لا مركز ذلك حتى اواخر الثمانينات ، حيث تمكن السعديون حينئذ من فرض سيطرتهم من جديد
على ثوات (٢) . وتوافق ذلك مع أواخر عهد الهلاليين في الجزائر .

٣- التنافس في مجال البحرية والغزو البحري :

أولى السعديون منذ عهد محمد الشيخ اعتمادا كبيرا ايضا لانشاء اسطول بحري عربي
كبير ، وتشجيع الغزو البحري . وتقدم ان مصدا الشيخ قد استقدم واستقبل عددا من
اتراك الجزائر ليسيروا بحارتها لهذا الغرض ، مستغلا الهدنة التي كانت بين الدولة
المشمانية وممالك الامبراطور شاركان ، والتي كان الاتراك في الجزائر ملتزمين بها . وقدم العروض
المفرية للخازن الكبير رفوت من أجل الانتقال لخدمته ، فهذا لاتراء الجزائر انه منافس
معتبر لهم في هذا المجال ، الامر الذي لم يكن لم يجعل العلاقات بين الطرفين ودية .

٣- التنافس بين الطرق الصوفية :

كانت الازقة الصوفية الاكثر انتشارا في المغرب كوسق في تمسان هي الطريقة
الشانلية . وعلى انما اتباع هذه الطريقة ، والطريقة الازلية المتفرعة عنها قام السعديون
في المغرب ، وتسلوا السلطة فيه . (٣) وقد كان بين اتباع هذه الطريقة المغربية الاصل ، واتباع

المربح السابق ع (١) - ٢٠٧

(١) انظر فصل الحياة السياسية في الجزائر

(٢) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب

(٣) المربح السابق ع ١٢

لمريقة القادرية المشرقية الاصل التي تنتشر في الجزائر وفي بعض انحاء المغرب ومدنه كمدينة
من نوع من التنافس (١) ، دفع هؤلاء الاخيرة الى منح تأييدهم الى الاتراك العثمانيين
في الترسيم بقيام بحكمهم في الجزائر ، والمساهمة في ارساء دعائمها وتوسيع نفوذها . وقابل
تراء العثمانيين في الجزائر هذا الموقف الودي بالاحسان اليهم وتكريمهم ، وتمظهرهم (٢)
وقد انعكس هذا التنافس ايضا على مواقف السلاطين السعديين وحكام الجزائريين
عثمانيين . حيث كان كل فريق يستجيب لنداء مؤيديه في البلد الآخر ، واستغل كل مسن
سعديين والاتراك انصاره في تهديد التدخل له في البلد الآخر ، او في اثاره المتاعب لخصمه
كان يتسبب في توتر العلاقات بين حكام البلدين ، واصلح امهم ببعضهم :

فالسعديون تدخلوا في طلمسان ، حيث يكثر اتباع الطريقة الشاذلية طيبة لدعوة
قوسا من اهلها ، ولم يجدوا اي صعوبة في دخولها مرارا (١٥٥٠ ، ١٥٥٧ ، ١٥٦٠) .
لان بفضل انصارهم من اهل طلمسان ، اتباع هذه الطريقة الذين كانوا يهدون لهم الطريق
بها ويفتخرون بحجم ابراهيم (٣) . وقد نجم عن التدخل المتكرر للسعديين في طلمسان توتر
العلاقات بينهم وبين حكام الجزائر العثمانيين وان هؤلاء يجدون في الدخول السني
التي يكثر فيها اتباع الطريقة القادرية بعض السهولة ايضا بفضل تأييد اتباع الطريقة القادرية
من اولين حظي بتأييد اتراك الجزائر كأي حسن الوطاسي (٤) . ولوجود انصار للاتراك
عثمانيين في فاس وقربها من طلمسان ، والسهولة التي كان يتمكن الاتراك العثمانيون من
وصول اليها ، فان السعديين لم يتخذوها عاصمة لحكمهم ، وآثروا عليها مدينة مراكش ،
كثرا خلاصا في ولائها لهم ، والأيمن نسبيا عن متناول العثمانيين .

اما خاص الاسباب فيتمثل في قوة الدولة العثمانية وضعفها : التي كانت عاملا هاما
تؤثر به العلاقات بين البلدين نحو العنف والعداء او السلم والهدنة ، ان يلاحظ ان ميل
العلاقات بين البلدين نحو العنف والتوتر يتوافق مع الفترة التي كانت فيها الدولة العثمانية
في اوج قوتها ، في عهد السلطان سليمان وابنه سليم الثاني ، وشطر من عهد مراد الثالث ،
ان ميل العلاقات نحو السلم والهدنة يتوافق مع ميل الدولة العثمانية اكثر فاكثر نحو الضعف .
بتداه من اول عهد هذا الاخير ، مما جعل اتراك الجزائر العثمانيين الذين كانوا يستمدون
قوتهم ويعتمدون من قوة الدولة العثمانية وهيبته ، يحلون نحو العنف في عهد قوتها ، ونحو
سلم في عهد ضعفها .

- (١) انظر عن هذا التنافس : ٦ . كور المربع السابق ص ٨٧ وما يليها
(٢) بوبي السياسة الدينية لثراء في المربع السابق ص ٤٤
(٣) كور المربع السابق ص ٨٥
(٤) المجهول : تاريخ الدولة السعدية ص ١٨

وقد نجم عن الاسباب المتقدم ذكرها ، متفرقة ومجموعة عدة اصطدامات عنيفة بين
 قوتين الاسلاميتين المتجاورتين ، اثرائك الجزائر المشانين واشراف المغرب السعديين ،
 سنأتي على ذكرها مفصلة بعد ان نذكر منذ الآن ان العلاقات السياسية بين البلدين في هذه
 المرحلة الثانية ١٥٤١ - ١٥٧٤ ، لم تتخذ دوما شكل الحنف والنزاع المسلح ، بل تطلتها
 سفارات عديدة بين الطرفين ومحاولات للتفاهم عن طريق المفاوضات ، سنأتي على ذكرها اهلنا
 في الوقت المناسب لها ، جعلت العلاقات تتخذ في بعض الاعيان شكلا سلميا .

تدخلات السعديين في الجزائر والمشانين في المغرب :

2- الجزيرة السعدية الاولى في تلمسان والجزيرة الجزائرية في ٩٥٧ هـ - ٩٥٨ هـ

/ ١٥٥٠ - ١٥٥١ م :

لعل ما يجل العلاقات بين الاتراك المشانين والاشراف السعديين في المغرب تتميز
 بالنزاع والعداء ، أو تنقسم بالحنف والقوة فهو ذلك الصراع الذي جرت بين الطرفين من اجل
 تلمسان ، وأما العقد السادس من القرن السادس عشر الميلادي .
 لقد كانت تلمسان عدا عن كونها عاصمة الزيانيين سابقا ، ومركزا حضريا هاما ، بوابة
 ساحة بين شرق المغرب والجزيرة ، من يملكها يملك التدخل في عمق المغرب والجزائر ،
 كما كانت محطة تجارية هامة بين اوربا وبلاد السودان ، وبؤرة ثقافية ودينية مشعة في المغرب
 الكبير . ولم يذو المزاج المدبرة بتلمسان (١) . فقد كانت دوما مطعما لحكام المغرب
 وعدوه لخزوعهم واحتلالهم منذ عهد المرينيين والاسرائتي حكمت المغرب قبلهم كالموحديين
 والمرابطين والادريسية بحيث يمكن القول انهبات من السياسة التقليدية لحكام المغرب الاقوياء
 منهم على الدوام ، وبذلك السعي الى فرض سيطرتهم على هذه المدينة الهامة وعلى تواجدها كما كانت
 الظروف سانحة لهم ، بل وينظرون اليها على انها جزء من المغرب الأقصى . ولم يشذ السعديون
 عن سياسة من تقدمهم كما سيتضح بحيث تعددت محاولاتهم لاحتلال هذه المدينة والاعتفاظ
 بها ، وشعبها الذي مملكتهم ، خلال العقد السادس من القرن السادس عشر الميلادي (١٠ هـ)
 على ان تدخل السعديين في تلمسان ، لا يعود فقط الى الاطماع التاريخية لحكام المغرب في
 تلمسان ومزاياها الكثيرة ، والى مجرد طموح محمد الشيخ السعدي كما ذكر الاقراني وطوريس

(1) Lawless(R.I.): Tlemcen Capitale du Maghreb Central,
 Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale
 in R.O.M.M., Aix-En-Provence, t.20, 1975.

ألا الشيخ نان يعني انه سيجعل على استرجاع الاندلس ، وكذلك انقسام المنصور بن ابي غانم
بني راشد الده (١) . وقد كان له انصار كثيرون في طلمسان ، مما يكون دعما كبيرا لمحمد
بن ، ولكن هذا الاخير لم يقدم على احتلال طلمسان على ما يفهم من الوثائق الاسبانية
خاصة الا بعد ان تقدم بمرغز الى الاتراك العثمانيين في الجزائر ، اقترح فيه عليهم القيام
بمشتركة لتحرير وهران والعريش الكبير ، ثم بعد ذلك مهاجمة الاسبان في عقر دارهم ،
اساسا ان يستغل الاتراك العثمانيون بوهران والعريش الكبير بعد تحريرهما ، وان يحصل
في مقابل ذلك على طلمسان وبقية ممتلكاتها . (٢) الا انه لا يعرف بشكل يؤكد ما اذا كان هذا
اقتراح قد حظي بالقبول لدى الاتراك في الجزائر أم لا .

ويبدو من المستبعد ان يقبل الاتراك الجواثر العثمانيون بهذا الاقتراح بهذا الفيض ،
ان قبولهم به كما ورد يقتضي منهم : أ - التنازل عن مدينة طلمسان كبقية ممتلكاتها وهذا يعني
هم بتكليف نذوقهم وانسارهم عن الغرب الجزائري في الوقت الذي كانوا يسمون فيه السبي
يسمى ليشمل كل المغرب الكبير . ب - دخولهم في حرب ضد الاسبان ، وبالتالي خرقهم
مع السلام الذي عقدته الدولة العثمانية مع المبرمعة خمس سنوات في ١٩ / ٦ / ١٥٤٧ م .
في نان يعني كما ذكرنا سالك شارل كان ايضا وغيرها . والذي كان اتراك الجزائر ملتزمين
لتزام الدولة العثمانية (٢) .

ومما يستبعد قبول الاتراك العثمانيين في الجزائر بمرغز محمد الشيخ السمدى الحوادث
سابقة : تلال السمد بين لطلمسان ، والتي واكبته ، والتي تلت : كاحتلال السمد بين
بنة وبنو في ابريل ١٥٤٩ ، وكانت هذه تاهمة لاتراك الجزائر ، وفرار الحاكم التركي منها
بلاق الاتراك العثمانيين بعد ذلك سراج ابي غانم الحناوى للسمد بين في ماي ١٥٥٠ (٤)
ما قد وقع في اسراحد الفزة الجزائريين وهو الهادي رايي في ٢ / ٦ / ١٥٤٩ ، حينما
متوهمين من طيله الاسبانية الى مالقا ، ولدى اسرعهما ارسل محمد الشيخ في طلبهما ،
ن دليه لم يفت بالقبول (٥) . واسر السمد بين لافراد الحامية العثمانية في طلمسان ،
لطانها الزباني المحسن بن عبد الله التابع للاتراك (٦) . وفرار القبائل الموالية للاتراك
بشمانيين القبائل بني عامر وغيرها من رجة السمد بين (٧) . واشيرا ما جاء في رسالة السلطان
اندر مزودا من التفاصيل عن القائد المنصور في ٦ من ٢٠٢ من ١٥٠٠ م . تاهم اسبانيا جـ

نفسه من ٢٤٩ ، ٢٤٩ ، ٢٤٩
نفسه : من ١٥٢ ، ١٥٢ ، ١٥٢
نفسه : من ٣٤٨ - ٣٥٢ وهامش ١ ص ٤٢٩
نفسه :
نفسه : من ٥٣٤
نفسه : من ٥١١ وهامش والمربع السابق ص ٧٧

سليمان القانوني الى محمد الشيخ بشأن عزل حسن ابن خير الدين من حكمة الجزاير ،
(لم يحسن الجاررة مع بهرائه ، و مال الى جانب المنفوي لا اعتساف ، ونهذ وراءه طرق الوفاق
والاكتلاف وسد باب الاتحاد مع المجاهدين حماة الدين . (١) . وسواء وافق الاتراك
العثمانيين في الجزائر على عرض محمد الشيخ ام لم يوافقوا ، فان اهمية طمسان المشار اليها
سابقا جعلت السلطان السعدي لا يتردد في الاقدام على اعتلالها ، وانتهاز فرصة الاضطراب
الذي كان قائما فيها ، وفي ملكتها ، والمشجعات المختلفة التي تلقاها . فتحركت اليها
قوات سعديّة كبيرة في ربيع سنة ١٥٦ هـ ١٥٥٠ م بقيادة محمد المهران كبير ابناء محمد الشيخ ،
ومساعدة اخويه عبد القادر وعبد الرحمن . وفي ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٥٦ هـ ١٥٥٠ / ٦ /
١٥٥٠ م دخل السعديون طمسان (٢) . دون ان يواجهوها اية مقاومة من حاميتها العثمانية
التي كانت تتألف من مئتي جندي فقط ، والتي استسلمت لهم ، فاقطعوا افرادها مع السلطان
الحسن الطايح للاتراك العثمانيين الى فاس (٣) . ووجدوا ترغيبا من اهل طمسان (٤) .
وقد اثار حملة السعديين الى طمسان في بادئ الامر منافاة كبيرة لدراساتنا في اسباني وهران
والعروسي بجزير ، لا اعتقادهم فيها بيدوان تدخل السعديين في طمسان قد كان في اطار تنفيذ
اتفاق توصل اليه حسن ابن خير الدين مع محمد الشيخ . ولكن عودة معظم القوات السعدية
في جويلية (تموز) ١٥٥٠ م مع الاخوين المهران ، وعبد الرحمن ، وبقاء عبد القادر فقط فسي
طمسان مع قوات قليلة يدد مخاوفهم ، فكفوا عن طلب الامدادات كما كانوا يفعلون عند بداية
الحملة السعدية (٥) .

رد فصل اتراك الجزائر: لم يرض اتراك الجزائر الحثانيون استغلال السعديين لمدينة
 كانت تحت سيادتهم ، ولا سيما ان هذه المدينة هي مدينة تلمسان التي طالما عانوا في سبيل فرض
 سيادتهم عليها كما رأينا في فصل الحياة السياسية في الجزائر من تذهب الامراء الزبانيين ،
 وتدخل الاسبان ، وتحملوا كل ذلك اذراكا منهم لدى اهمية هذه المدينة في توليد سلطتهم
 في الجزائر ، والغرب الجزائري ، وفي توسيع نفوذهم الى المغرب . ولذلك فقد اعدوا حملة
 كبيرة لاسترجاعها ، واقام السعديون عنها ، اسندوا قيادتها للقائد حسن قورصو ، اخذت
 في التمرق الدجا في شهر ربيع ١٥٧ هـ / اوت ١٥٥٠ م (١١٠٠) . وفي ٢١ شعبان سنة ١٥٧ هـ
 / ٤ سبتمبر ١٥٥٠ م جرت معركة كبيرة بالقرب من تلمسان انهزم فيها عبد القادر السعدي واسرع

- (١) الساجي، فاضل : تقليد صالح باشا ولاية الجزائر وني . المجلد التاريخي المغربية عدد ٢ ص (١٣)
- (٢) الافرائي : المزيغ السابق ص ٢٩
- (٣) م. ش. م. اسبانيا ج ١ ص (٤) و ٥٣٤
- (٤) موريس : المزيغ السابق ص
- (٥) م. م. م. م. اسبانيا ج ١ ص (٧) - ٤٧٤
- (٦) نفسه : ٤٥٤ - ٤٥٥

الى الاجتماع باسوار المدينة (١) . الا ان المدد الكبير الذي ارسله اليه والده لدى بدء الحملة
العثمانية بالتوكل قد وصل في المساء ، مما اضطر حسن قورصو الى التجهيز عن تلمسان نحو
الجزائر ، وفرسان الجيش السعدي يناوشونه القتال ، ولم يتخلوا عن ملاحقته حتى الصباح (٢) .
ثم توقفت الحملات العسكرية مؤقتا لحلول شهر رمضان (٣) . ولكن السعديين شرعوا قبل ان ينتهي
الشهر في التوغل شرقا ، ووصلوا في نهاية التوهر ومطلع شهر نوفمبر الى مشارف مستغانم (٤) .
في محاولة لاخضاع القبائل التي امتنعت عن الدخول في دلائعهم في الغرب الجزائري ، والتي
تجمعت هناك . وبعد مناوشات عديدة مع تلك القبائل ، تمكّن فيها السعديون بعض الخسائر
اخذوا في الانسحاب الى تلمسان (٥) ، لتركيز دقاتهم عنها لان حسن بن خير الدين اعد
خطة مضادة اخرى كبيرة ، اسند قيادتها للقائد صفا (٦) . اندثرت في التعرّك نحو تلمسان .
وقد انضمت الى هذه الحملة القبائل التي اضربها الهجوم السعدي مثل قبائل بني عامر
وغيرها . كان تحرّك الحملة بطيئا ، سمح لمحمد الشيخ السعدي بان يرسل امدادات اخرى الى
تلمسان (٧) . ولم تهر المسيرة الفاصلة بين الطرفين الا في اراقل شهر محرم سنة ١٥٨٠ هـ
فبراير ١٥٥١ م ، وذلك في بوعزّون قرب تلمسان (٨) . وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة كاملة ،
ساقية للسعديين ، حيث قتل فيها ثلاثة ارباع الجيش السعدي (٩) الذي كان يقدر بنحو سبعة عشر
ألفا (١٠) . وكان من بين القتلى عبد القادر بن محمد الشيخ ، ومن بين الجرحى اخوه عبد الرحمن
الذي تمكن من العودة الى المغرب بمشقة كبيرة . ولاحق العثمانيون قلول السعديين حتى
نهر طويع وابدؤا (١١) ، ثم عادوا الى تلمسان ، ودخلوها بدون اية صعوبة ، وانزلوا العقاب
الشديد بان حار السعديين فيها ، حيث عذبوا عذابا شديدا ، وعودت اموالهم ، وفرضت عليهم غرامات
كبيرة ، وبهذه الطريقة ، جمّعوا أموالا وأسياء كثيرة (١٢) . ثم اتّاموا بها حامية كبيرة بقيادة
القائد صفا نفسه ، ونصبوا مولانا عمار بن عبد الله الزباني الذي كان قد لجأ الى الجزائر
في اعتاب الاحتلال السعدي لتلمسان ، سلاطنا على هذه المنطقة ، تحت نظرهم ، خلفا لآخيه

- (١) ١٥٠٩ م. ١٣٠٩ هـ. أسبانيا ج ١ ص ٤٧١ - ٤٧٤
- (٢) بدأ شهر رمضان في ١٣ سبتمبر
- (٣) أنظر لورين في ويزوي سير الحملة السعدية على الغرب الجزائري على نحو مختلف من الوثائق
- (٤) الأسبانية ج ١ ص ٢٨٨ على سبيل المثال ان السعديين اعتلوا مستغانم وأقاموا فيها حامية . تاريخ الأسبانيا ج ١ ص ٢٨٨
- (٥) ١٥٠٩ م. ١٣٠٩ هـ. أسبانيا ج ١ ص ٥٠٢ - ٥١١
- (٦) الرقائد صفا تولى الاصل من بلاد الأناضول كان يتمتع بثقة حسن بن خير الدين والسلطان العثماني . حيث شكف بالقيام بالسفارة الاولى الى محمد الشيخ في سنة ١٥٤٦ م ، ولكنه حسن بقيادة هذه الحملة ثم خلافت في نهاية ١٥٥١ م انكره هايدو المربيع السابق
- (٧) ١٥٨٠ - ١٥٨٣ م. أسبانيا ج ١ ص ٥٢٠ - ٥٣١
- (٨) نفسه : تاريخ ج ١ ص ٥٣٤ وبارجيس : حملة تاريخ بني زيان ص ٥٢٨ - ٥٢٩
- (٩) نفسه : تاريخ ج ١ ص ٥٣٥
- (١٠) نفسه : تاريخ ج ١ ص ٥٣٥
- (١١) نفسه : تاريخ ج ١ ص ٥٣٤ و ٥٣٥
- (١٢) لورين : المربيع السابق ص ٣٠

سعديين ، وفي مقدمة هؤلاء « فلول الوطاسيين كمولاي عمار وابي حسون » بقصد التمايز معهم
السعديين ، والاستفادة من التأييد والولاة الذين كانوا لا يزالون يحتفظون به لدى كثير من
بائل ، ولا سيما في شمال المغرب وشرقه . فمن تلمسان كتب القائد صفا رسالة الى مولاي
الذي كان لا يزال عند الاسبان في مليلة ، منذ ان جرده السعديون من امارته في شهر جنويليه
١٥٥٠ (١) . في اعقاب احتلالهم لتلمسان ، وطلب منه ان يأتي اليه على جناح السرعة
بيده الى امارته ، ولينصبه على فاس التي كان يعترزم المسير اليها لا قصا سعد الشيخ منها .
ب رسالة اخرى الى السلطات الاسبانية في مليلة ، يطلب منها ان ترسله اليه لنفس الغرض (٢) .
تحت القبائل الحربية والبربرية لمملكة دبدو وقد ثارت ثورات القائد المعين من قبل الشريف
سعدى ، وحثت تطلب من مولاي عمار الدخول فورا الى دبدو (٣) .

وقد تمت عودة مولاي عمار بالفعل الى امارته في دبدو دون صعوبة في اوائل مارس
١٥٥١ م (٤) . الا انه كان كما نصوره الوثائق الاسبانية ، عليفا غير مخلص للاتراك المشانبيين ،
من صديقا موثوقا به لدى الاسبان ، على الرغم من مظا هراود التي كان يتكاهر بها لهؤلاء
غيرين ، حيث كان يهاديهم (٥) ، ويراسلهم ، ويزودهم بالمعلومات عما يجري في المنطقة
يعترزم الاتراك المشانبيين فعله (٦) . ويتجنب كل ما من شأنه ان يشير فضيهم او شكوكهم
الخطر الى ذلك سارع الى تحرير عمله ، واهداه حسن نيته واعاز صلهم (٧) . بل انه آل على
هم . كما جاء في إحدى رسائله الى السلطات الاسبانية في مليلة ان يؤخر الاتراك المشانبيين
المسير الى فاس ، حتى يأتيه الجواب من الاسبان ، بغضون توجههمهم لحطة لاحتلال فاس قبل
يحتلها الاتراك (٨) . ويبدو ان هؤلاء ادركوا حقيقة فلم يخافوا بحملة الى فاس لتتصيه
هم ، كما كانوا يعترزمون ان يفعلوا . ولم يهبوا حتى لانقاده من حملة سمدية اطاعت به حسن
رته للمرة الثانية في اكتوبر ١٥٥١ م (٩) . الامر الذي جعله لا يتوجه اليهم ولا الى الاسبان
مليلة للمرة الاولى وانما الى الصحراء (١٠) . في انتثار تاورا الاحداث في المنطقة
تهاز الفرصة الملائمة لاستعادة امارته . الا ان الاتصالات بينه وبين الاتراك لم تنقطع قاما (١١)
دشت في هذه الفترة محاولة اخرى من قبل الدولة الحثمانية لكسب الشريف سعد الشيخ عن
يق الود . فقام السلطان الحشاني بمزل حسن بن غير الدين بدعوى انه ((لم يحسن

٤٤٣ م ١٥٥١ م اسبانيا ص ٤٤٣

نفسه ص ٥٢

(٤) نفسه : ص ٥٤٢ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠

نفسه ص ٥٤١

نفسه ص ٥٤٢ ، ٥٥٧

نفسه ص ٥٤٩ - ٦٠٢

نفسه : ص ٥٥٧ - ٥٥٨

نفسه ص ٦١١

(١١) نفسه ص ٦١١ - ٦١٤

(١٢) نفسه ص ٦١٤ - ٦١٨

لمتدخل لدى محمد الشيخ لاطلاق سراح السلطان الاسير ، ولكن عدم تحرر السلطان العثماني واثراك الجزائر بمخالفة ، ضمض ثقة الوطاسيين في العثمانيين ، ولذلك فان ابا حسون الذي نجا من قبضة محمد الشيخ لدى حصاره لقاس ، لم يتوجه مرة اخرى وعلى الفور لطلب الخون من الاتراك العثمانيين بل التباؤا الى الاسبان والبرتغاليين ، وحاول استغلال مخاوفهم من تزايد خطر المسلمين ، واحتمال تمازجهم مع اتراك الجزائر في حملة مشتركة ضد الاسبان في وهران والمردية الكبير ، ثم المواقع الاخرى (١) . وتشير الوثائق الى ابا حسون قد دخل في اتصال مع مبعوث الملك البرتغالي اليه حين كان لا يزال في بادس (٢/٤/١٥٤٩ م) ، وقد عرض المبعوث المذكور على ابي حسون استبعاد البرتغال لمساعدته ضد محمد الشيخ (٢) . ولكن قيام ثورة ضده في بادس موانيه لهذا الاخير اجبرته على الانسحاب وعرض على الاسبان ان يسلمهم بادس (٤) . ان هم ساعد بهجد اذنا باغية ، وقرر الانتقال (٥) الى مقابلة ماكسيميليان شارلكان ، الذي كان في ألمانيا . وفي مالقا توصل الى ابي حسون (١٥٤٩ م) يسلم هذا الاخير بموجبه قاعدة آصلا التي كانت لمدفعية وشمسة مقاتل وستين فارسا ، خريطة ان يذهب لمقابلة ماكسيميليان في بلد الوليد باسبانيا في الجنود . فلم يرد عنده القبول (٧) . واعتقد ان هذا مقابله في ألمانيا وشناء اصيب بخيبة اكبر لان شارلكان رفض ايضا دأبه (٨) . وذلك فيما يبدو وخشية من ان يؤدس عونه له الى حصول تقارب سمدي - عثماني كبير عند المراكز الاسبانية والبرتغالية ، او رغبة منه في استمالة الشريف السعدي اليه . وقد حصل بالفعل بين الطرفين الاسباني والسعدي تقارب فيما بعد كما سنرى - او يكمل بساطة لان الاسبان ، كانوا احرص ما يكونون لجميع قواتهم في حروبهم القارية التي تكان لا تنتهي ، اولانه نادر الى ان ألف ببندي لن تمنح ابا حسون ، ولن تمكنه من استرجاع ملك الوطاسيين بل من المتوقع ان تفقد هذه المساعدة ابا حسون كل تأييد شعبي ، ((فتجتمع كلمة المسلمين عليك ويتفق رأيهم على قتالك ، فيقاتلون ويبادعون فيمن معك ، ويقاظك الصديق قبل الحد و (٩) .

ومعها قلن الذريعة فان البرتغاليين لم ينتظروا عودهم الى بلادهم عن آصلا والقصر الصغير وموقع سينال ، في عام ١٥٥٠ م (١٠) . وبعد شهور قليلة من رفض شارلكان مساعدة ابي

- (١) انظر: اول المسافر الاسبانية والبرتغالية م. م. ت. م. اسبانيا ج ١ ص ١٥١ - ١٥٣ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٢٥٢ و لريز دوسوزا المربع السابق ص ١٠١ - ١٠٢ .
- (٢) (٣) م. م. ت. م. اسبانيا ج ١ ص ٢٣٢ و هامش ٢ .
- (٤) (٥) كان انتقاله في بادس . انظر م. م. ت. م. اسبانيا ج ١ ص ٤١ هامش ١٠ نفسه .
- (٦) نفسه ص ٣٦٢ و سوزا المربع السابق ص ١٠٢ - ١٠٣ .
- (٧) م. م. ت. م. اسبانيا ج ١ ص ٣٧٢ هامش ٢ .
- (٨) نفسه ص ٤٣ هامش ٢ سوزا المربع السابق ص ٤٤ ، (٩) سوزا المربع السابق ص ١٠١ .
- (١٠) المبعوث : المربع السابق ص ١٧ - ١٨ .

مسنين بالديبال ، في حين كانت عودة هذا الأخير برفقة الأمير فيليب في ١٢/٧/١٥٥١ م وفي هذا التاريخ كان النزاع بين محمد الشيخ وأتراك الجزائر قد نشب بسبب طمسان (وقامت في اثر انهزام السعديين ثورات عديدة في جهات مختلفة وجاءته الى اسبانيا رسائل عديدة) تبحث على الحدود الى بادس ، من قائدها ومن غيره لقيادة صفوف الثائرين على السعديين ، فقرر الدخول الى المغرب ونقلته الى بادس خمس سفن برتغالية عليها ٣٠٠ من البرتغاليين (١) وبينما كانت هذه السفن تستعد للاقلاع ، اذا بصالح راس الذي كان قد غنى للغزو البحري في طريقه نحو قادس (٢) . بهما بهما وتحكن من الاستيلاء عليها وأسر من بقي على قيد الحياة من القبط ، ويقتاد جميع نحو الجزائر ، وفشل ابرحسون في الوصول الى التناهم معه على الاطلاق سراح البرتغاليين الذين رافقوه (٣) .

وقبل عودة صالح راس الى الجزائر ، دخل مدينة بادس ، وفتح له ساكنها القائد موسى التايي لمحمد الشيخ السعدي ابواب المدينة (٤) اما شوقا من الدخول في حرب معه أوتحسبا للمستقبل . وعين للقائد المذكور ، انه في سلام مع الشريف السعدي ، وانه لم يأت بهنية الحرب او الفتن ، ولدى مفارقه لبادس ، ترك السفن البرتغالية التي استولى عليها فيها مدينة لمحمد الشيخ بكل اسلحتها واجهزتها ، واهدى رغبته في استمرار المودة بينه وبين السلطان السعدي ، وورثاه الا يجتاز ابداهال الطوية التي تفصل بين المملكتين ، وان يمنع العرب طابعين له من الحاق اضرار بمقاطعة طمسان التابعة للأتراك العثمانيين (٥) .

وبعد وان صالح راس قد لام ابا حسون على التباء الى النصارى ، وعلى طلب المون منهم بدلا من تأليه من السلطان العثماني ، وأتراك الجزائر العثمانيين . ولذلك فان الوطاسي المذكور لم يلبث ان التحق بصالح راس في الجزائر لرافقه اصغرا ابتداء ، ليطلب منه مساعدته على استرداد ملك الوطاسيين (٦) . وكان وصوله الى الجزائر في الاسبوع الاخير من شهر راکتوبر ١٥٥٢ م ، في الوقت الذي كانت فيه سفارة عثمانية في المغرب برئاسة محمد بن علي الخروسي ، تعقد سلاما بين محمد الشيخ السعدي والأتراك العثمانيين في الجزائر ، وتتفق معه على الحدود ، وتقرر على التوصل الى التحالف بين القوتين الاثنتين المتجاورتين ضد الكفار (٧) . واذا صدقنا رواية المجهول صاحب تاريخ الدولة السعدية فان سلطان النصارى هو الذي اقترح على ابي حسون ان يذهب الى الجزائر ، ويطلب المساعدة المستمرة من اتراكهم (٨) .

(١) م.م.م. اسبانيا ج ٢ ص ٣٦٦-٣٧٧

(٢) نفسه : ج ٢ ص ٣٦٨ - ٤٠٠

(٣) م.م.م. المغرب السابق ص ١٠٣ - ١٠٤ و ٢٠٠ م.م.م. ج ٢ ص ٣٦٦ - ٣٧٧ (معركة بادس)

(٤) مايدو : المغرب السابق ص ٨٠ و ٨١ - ٨٢ Barbrugger: Des frontieres de l'Algerie, in R.A., No.24 Alger 1860, P.P.401-417.

(٥) م.م.م. اسبانيا ج ٢ ص ٣٦٦ (معركة بادس) و ٤٠١ وحسب الوثيقة فان السلام قد عقد في ١١/٢/١٥٥٢ م وانظر

(٦) نفسه : ج ٢ ص ٣٦٦ و ٤٠١ وحسب نفسه ان الحدود المتفق عليها هي جهال طوية المواجهة لطيلة المجهول : المغرب السابق ص ١٧

في رواية لا تنسبهم مع حربي الاسبان والبرتغاليين على عدم اتاحة الفرص للاتراء للتدخل في مغرب القريب جدا من بلادهم . وقد يكون غرضهم من هذه النسخة اثاره نزاع جديد بين سمديين والاتراك ، واحباط المساعي الدامية الى تحقيق سلام بين القوتين المتجاورتين ، التي كانت على قدم وساق ، واليهاتهما من توجيه انظارهما نحو اسبانيا التي كان امراطورها رقلا في الحروب الدينية . ويضيف المؤلف المذكور ان سلطان النصارى وعد ابا حسون بتقديس مال اللازم لاغراء الاتراك على القيام معه بحملة ضد السمديين ، (والمال الذي تحتاجه اقسام على ثلاثة اقسام ، القسم الاول وهو الاكبر تدخل به الى الجزائر والقسم الثاني يلقاه ويخرج من وهران ، والقسم الثالث يخرج له من مليلة . . .) (١) . وتجدد في الوثائق عن الامير فيليب امر بان يسلم سنويا الى ابي حسون مبلغ ثلثة آلاف دوكات مقسمة على ثلاثية اقسام على ان يحل في اقساط عام ١٥٥٢ دفعة واحدة (٢) . مما يحرز رواية المؤلف المجهول . لكن كيف قول طلب ابي حسون مساعدة الاتراك العثمانيين له في الجزائر ؟

طوى العكس ما قد يتبادر الى الذهن فان صالح رايس لم يوافق فوراً على طلب ابي حسون ، بل لقد رفضه في بادئ الامر (٣) ، ولا سيما انه كان يعتمد لحطة على الجنو ب الجزائر كونه احد حوزته اصطدم بأمر بني عباس الذي كان قد اشترك معه في الحطة على الجنوب (٤) . لكن ابا حسون لم يفقد الامل ، ولجأ الى اسلوب دمج فيه بين الاغراء والاستمطار ، (٥) لم يزل عند ترك الجزائر يقتل لهم في الغارب والسنام ، ويعسن لهم بلاد المغرب ويعظمها في اعينهم ، ويقول لهم ، ان ملكها اليوم اسطيني ملكي وملك آباي ، وطيني تراث اجدادي ، فلو ذهبتهم محي الى قتاله عسى الله ان يتبع بنا النصر عليه ، ويرزقنا الظفر به والغلبة عليه ، ولا تعدمون انتم مع ذلك منفعة من مل ايدكم غنائم وزخائر ، وراعدهم بمال جزيل ، فاقبلوا معه في جيش حافل (٥) . وهذا في خريف ١٥٥٣ / ١٥٥٤ هـ . (٦)

الا انه لا يبدوان الدافع الحقيقي لاستجابة اتراك الجزائر وعلى رأسهم صالح رايس لطلب ابي حسون . اشيرا هو مجرد الطمع في المال والغنائم التي وعدهم بها هذا الاخير ، بل ان الدافع الحقيقي الذي كان يرمي اليه اتراك الجزائر العثمانيون من وراء تأييدهم لا واعر الوطناسيين ، وما يتبعهم وتبني قضيتهم ضد السمديين ، هو اضعاف جيرانهم في المغرب

- (١) نفسه : ١٢٠
- (٢) ٤٠٠٢ : ٢٠٠٢
- (٣) ٤٠٠٢ : ٢٠٠٢
- (٤) ٤٠٠٢ : ٢٠٠٢
- (٥) ٤٠٠٢ : ٢٠٠٢
- (٦) ٤٠٠٢ : ٢٠٠٢

بعد فتيته ، واسطول مؤلف من ٢٢ سفينة محملة بالاثقال والرجال (١) . واممانا في الاحتياط
 اشمر ايضا الاسبان بهدف خطته ، واتجاهها عن طريق حاكم تلمسان (٢) . مؤملا بذلك
 الا يقدموا على حمل محاسن لها . واشمر ابن ابي حسون من جهة اسبانية طيلة لذات الفرض
 وقام حاكم تلمسان ايضا باخذ البرهائن من القبائل غير الموثوق في انضالها ليعضن عونها ،
 ليعمل على الزاغر (٣) . ولما استكمل الاعداد لحملة كاشد في التحرك برا وبحرا في اتجاه
 المغرب في اواخر شهر سبتمبر من عام ١٥٥٣ (ذي القعدة) (٤) . بعد حادثة ابر حسون (٥)
 وعلم خبر وصوله مع هذا الاخير الى تلمسان في فاس بالمغرب في نهاية اكتوبر ١٥٥٣ فأحدث
 ذلك اضطرابا في البلاد (٥) . ولا سيما في شمال المغرب ، وشرقه ، حيث كان لابي حسون
 فيها ثمة هو الحال في فاس (٦) . انصار كثيرون ، فعقد الشريف محمد الشيخ الذي جاء الى
 فاس من جنوب المغرب في نهاية جويلية ١٥٥٣ فور سماعه باستعدادات الاتراك للتوجه في حملة
 مع ابي حسون الى المغرب ، ومعه خمسة وعشرون الفا من الفرسان وكثير من المدافع (٧)
 مجلسا للشورى في فاس للنظر في امر مواجهة الحملة الجزائرية . وفي هذا المجلس تغلب
 الرأي القائل بالضرورة التصدي للاتراك قبل توغلبهم في المغرب ، حتى لا يفسد سمعة السلطان
 السعدي ، على الرأي الذي يفضل ترك الاتراك يتوغلون في المغرب حتى يستبد بهم التتبع ،
 ثم يتم الانقاذ منهم (٨) . وكما تقرر فقد سار الشريف السعدي على رأس قواته السعدية
 ان وصل الى تازة بشرق المغرب قبل ان تصل اليها الحملة الجزائرية التي توقفت طويلا في
 تلمسان ، وانتاراها هناك . وفي ٢ / ١٢ / ١٥٥٣ حصل اول اصطدام بين القوتين ، وحسقت
 القوات الجزائرية التي باغتت القوات السعدية بهجوم ليلي ، اول انتصار لها في (عين سبي
 لحوت) على طريق تازة (٩) . الا ان حمدا الشيخ تمكن من الانسحاب الى فاس قبل ان يبنى
 بهزيمة كاملة ، واعاد يخذ للجبولة القادمة وينظم دفاعه عن فاس (١٠) . دون ان يهمل القيام
 بمحاولة للتفاهم مع صالح راس ، حيث ارسل اليه من المرابطين لهذا الغرض (١١) . ولكن
 هذه المحاولة باءت بالفشل حيث ان صالح راس لم يتوقع عن المسير الى فاس ،

- (١) هايدو : المرجع السابق ص ٩
 (٢) (٣) م. ت. م. اسبانيا ص ١١١ - ١١٢
 (٤) دوريس : المرجع السابق ص ٣٢٥
 (٥) نفسه : ٣٢٦ - ٣٢٧
 (٦) نفسه : ٣٢٥
 (٧) نفسه : ٣٢٦ - ٣٢٧
 (٨) نفسه : ٣٢٧ و م. ت. م. اسبانيا ص ١٢١ وعسب هذه الوثيقة فان المعركة قد جارت
 في الايام الاولى من نوفمبر ١٥٥٣
 (٩) م. ت. م. اسبانيا ص ١٢١
 (١٠) نفسه : ١٢٧ - ١٢٨

ان اتعد الا. شياطات الارامل للجلولة القادمة فترك حامية في تازة (١). لتأمين خط الرجعة ،
 واستقدم عشرة مداف من رشقون (٢) . كما استقدم القسم الاكبر من طاقم السفن الجزائرية ،
 التي كانت راسية في مارشيك (٣) . وانتظر حتى جاءه ابنه ابي محسن بالفوات التي وعد بها ،
 هذا الاخير لتتوزع صفوفه (٤) . و عاد جواسيسه الذين ارسلهم في اثر محمد الشيخ (٥) ،
 وانضم اليه امير ديدو السابق مولاي عمار (٦) . وفي ١٥٥٤/١/٣ وصلت الحملة الجزائرية
 الى مشارف فاس ، واقامت معسكرا قرب نهر سبو (٧) ، وفي الغد هاجمها محمد الشيخ في
 موقعها ، الا انه انهزم بعد معركة عنيفة خسر فيها الطرفان كثيرا ، وظهر فيها ابو محسن
 شجاعة كبيرة (٨) . وتجدد القتال في اليوم التالي على مقربة من فاس الهالي في المكان المسمى
 بكدية المغالي ، وانهمز السعديون مرة اخرى ^{بعد} ان كادوا يحققون النصر (٩) ، وانسحب
 محمد الشيخ الى فاس الجديد . وبمرو الفشتالي سبب المهزلة الى انفضاض كتائب عرب الفلظ
 وسفيان ومقاتل من دول محمد الشيخ ، والتحاقهم بأبي محسن في اثناء المعركة . فكان خذلان
 العصاة المربنية سبب نكوصه ولحاقه بمراكش (١٠) . وفي الرثاق الاسبانية ما يؤيد ذلك ،
 وفيها اشارة الى انتقال ٦٠٠ تركي من جيش الشريف محمد الشيخ الى جيش صالح رايس (١١) .
 ولما تأكد محمد الشيخ ان الفاسيين قد مالوا عنه الى ابي محسن ، وبحثوا في طلبه ، وان هذا
 الاخير قد وصل الوفاء الهالي مع صالح رايس وسط ترعيب كبير من اهله (١٢) . انسحب ليلا
 من فاس الجديد ، حتى لا يحاصره فيه ، وتوجه الى مراكش (١٣) .

وقد دخل صالح رايس وابو محسن الى فاس في صباح اليوم التالي ١ صفر ٩٦١ هـ /
 ١٥٥٤/١/١ (١٤) . وباءت وفود المراكش واهل فاس ان تقدم لهم بالاعتق والتفاوض والسلامة
 لهما وللمبايعة ابي محسن (١٥) .

- (١) نفسه : ١١٢ - ١٢٧
- (٢) كانت السفن الجزائرية قد آفقت في هذا الميناء الجزائري ، مشر من مدفعا انظر المصدر السابق ص ١١٤ - ١١٧ و ١٢١ - ١٢٦
- (٣) نفسه : ١١١ - ١١٢
- (٤) مارشيك مرسى يقع الى الغرب من طبله تعودت السفن الجزائرية الرسو فيه انظر عنه المصدر السابق ص ١٥٦ - ١٥٧
- (٥) اعصر ابنه ابي محسن قوة تتألف من ٦٠٠ مقاتل من معطة الراج انظر طوريس ص ٣٣٦
- (٦) نفسه
- (٧) نفسه ص ٣٥٤
- (٨) نفسه : ٣٥٥ - ٣٥٦ و ٣٥٨ - ٣٥٩
- (٩) طوريس : نفس المرجع ص ٣٥٧ - ٣٥٨ و ٣٥٩ - ٣٦٠
- (١٠) الفشتالي : مناقب الصفا ص ١٠٦
- (١١) نفسه : ١١١ - ١١٢
- (١٢) نفسه : المرجع السابق ص ١٨٥ - ١٩٠ و طوريس : المرجع السابق ص ٣٦١ - ٣٦٢
- (١٣) نفسه : المرجع السابق ص ١٢٨ - ١٣٠ و طوريس : نفس المرجع السابق ص ٣٦١ - ٣٦٢
- (١٤) نفسه : المرجع السابق ص ١٢٨

استقر صالح رايح في قصر السلطان بفاس الجديد ، ووجد جنوده ما يستوطن عليه (١) . واستولى هو على ما وجدته في خزينة الشريف من مال وتحف قدرها داوريس بأكثر من ثلاثة ملايين دوكات (٢) . وقدرها البناني بخمسة عشر قنطار ذهباً (٣) . كما استولى على النصارى المستعبدين فيه (٤) . واعطاه اليهود ثلاثين ألف دوكات ، دفعا لاحتمال تعرضهم للنهب (٥) . بينما كان محمد الشيخ يرقب من مراكز تطور الوضع في فاس في شمال المغرب ويوجد الحدة لمجاهدة الموقف الجديد . فدخل بهذا الصدقة مباشرة هزيمة امام صالح رايح واهي عسونه وفراره من فاس في اثناء المفاوضات مع البرتغاليين عن طريق حاكم مازاكان بهدف الحصول على ١٢٠٠٠ مقاتل برتغالي ، مقابل ضمانات ورهائن ولكن طء البرتغال اشترط أن يتغلى له محمد الشيخ على جميع الموانئ . ولما تمكن هذا الاخير من استرداد فاس في سبتمبر ١٥٥٤ على نحو ما سذكر رفض تسليم اي ميناء ، وافضت المفاوضات الى هدنة ففقد في مطلع سنة ١٥٥٥ لمدة ستة اشهر ثم طالبت فاس البرتغاليون على مراكزهم في سبتة وطنجة ومازاكان (٦) . هذا في حين ارسل صالح رايح بموانئ ابي حنون - ولعله تنفيذا لاتفاق مسبق بين الطرفين - قائدا اسطول بادن وحبرها واقام في هذه الاخير حامية قوية مزودة بالاغذية والعتاد الكثير دون ان يجد اي صعوبة او مقاومة . (٧) . ذلك ان القائدين اللذين كانا يحكمان هاتين القاعدتين باسم الشريف السعدي قد فرا منها بعد سماعهما بدخول صالح رايح واهي حنون الى فاس ، وانهمزام الشريف امامهما (٨) . وحسب الوثائق الاسبانية فان ابا حنون لم يمط لصالح رايح بادن والبيشون (عبر بادن) فقط ولكن اعطاه ايضا العراسي الاخرى (٩) . كفساسه (١٠) وغيرها . بحيث يضمن القول ان كل الموانئ والعراسي في سلطنة فاس قد غدت تبين ايدي الاتراك خلال اقامة صالح رايح في المغرب على الاقل . الامر الذي اثار في عينها مخاوف الاسبان ، وقلقهم ولا سيما مناوفة البرتغاليين فكتب جان الثالث طء البرتغال الى شارل كان عن طريق سفير هذا الاخير في البرتغال يدعو الى التدخل في المغرب قبل ان يثبت الاتراك اقامتهم فيه .

- (١) حسب وثيقة اسبانية معاصرة فان النهب كان فقط لمنازل الشريف السعدي انظر م.م.ت.م. اسبانيا ١٥١٠-١٥١٣ وانظر طوريس الذي يتبعه من النهب في فاس الجديد ص ٣٦٨
- (٢) طوريس : المرجع السابق ص ٣٦٣
- (٣) البحر الزماني المرجع السابق ص ٢٣٨
- (٤) طوريس المرجع السابق ص ٣٦١ وحسب وثيقة اسبانية كان عددهم يبلغ ٧٠٠ مستعبد انظر م.م.ت.م. اسبانيا ١٥١١-١٥١٣
- (٥) م.م.ت.م. اسبانيا ١٥١١-١٥١٣
- (٦) نفسه م.م.ت.م. اسبانيا ١٥١١-١٥١٣
- (٧) م.م.ت.م. اسبانيا ١٤٦١-١٤٨١ ١٦٤٩-١٦٥٠ واوريس المرجع السابق ص ٣٦٦
- (٨) طوريس المرجع السابق ص ٣٦٧ م.م.ت.م. اسبانيا ١٣٩٩-١٤٨٠ م
- (٩) م.م.ت.م. اسبانيا ١٥١١-١٥١٣
- (١٠) م.م.ت.م. اسبانيا ١٥١٧-١٥١٩

استقر صالح رايس في قصر السلطان بفاس الجديد ، ووجد جنوده ما يستولون عليه (١) . واستولى
على ماورده في خزينة الشريف من مال وتحف قدرها ماوريس بأكثر من ثلاثة ملايين دكات (٢) .
قدرها البناي بخمسة عشر قنطارا ذهبيا (٣) . كما استولى على النصارى المستعبدين
به (٤) . واعطاه اليهود ثلاثين ألف دكات ، دفعا لاحتمال تعرضهم للنهب (٥) . بينما
ان محمد الشيخ يرقب من مراكز تطور الوضع في فاس في شمال المغرب ويحمد الحدة لمجاهدة
موقف الجديد فدفع بهذا الصدقة مباشرة هزيمة امام صالح رايس وابي عسود وفاراه من
اسكن في اقل من مفاوضات مع البرتغاليين عن طريق ساكن مازاكان بهدف الحصول على ١٢٠٠٠
قاتل برتغالي ، مقابل ضمانات ورهائن ولكن ملك البرتغال اشترط ان يتغلى له محمد الشيخ
في حين الموانئ . ولما تمكن هذا الاخير من استرداد فاس في سبتمبر ١٥٥٤ على نحو ما سذكر
فمن تسليم ابي مرنا ، وافضت المفاوضات الى هدنة ففقد في مطلع سنة ١٥٥٥ لمدة ستة اشهر
م طالته فاس البرتغاليون على مراكزهم في سبتة وطنجة ومازاكان (٦) . هذا في حين ارسل
صالح رايس بحواقة ابي عسود - ولمعه تنفيذ لا تفاق مع - بقي بين الطرفين -
اندا . مثل باديس وجبرها واقام في هذه الاخير حامية قوية مزودة بالاعذية والعتاد الكثير دون
ان يجد اي صعوبة او مقاومة . (٧) . ذلك ان القائدين اللذين كانا يحكمان هاتين القاعدتين
اسم الشريف السعدي قد فرا منها بعد سماعهما بدخول صالح رايس وابي عسود الى فاس ،
انتهزام الشريف امامهما (٨) . وحسب الوثائق الاسبانية فان ابا عسود لم يمتد لصالح رايس
ادس والجنون (عبد باديس) فقط ولكن اعطاه ايضا المراسي الاخرى (٩) . كفاسه (١٠) .
غيرها . بحيث يمكن القول ان كل الموانئ والمراسي في ملكة فاس قد غدت تبين ايدى الاتراك
للال اقامة صالح رايس في المغرب على الاقل . الامر الذي اثار في عينها مخاوف الاسبان
قد قهرهم ولا سيما مخاوف البرتغاليين فكتب جان الثالث ملك البرتغال الى شارل كان عن طريق سفير
هذا الاخير في البرتغال يدعوه الى التدخل في المغرب قبل ان يثبت الاتراك اقامتهم فيه .

- (١) حسب وثيقة اسبانية صادرة فان النهب كان فقط لمنازل الشريف السعدي انظر م.م.ت.م. ٣٦٨
- (٢) اسبانيا ١٥١٠-١٥٣ ١٥٣ وانظر طوريس الذي يتحدد في النهب في فاس الجديد ص ٣٦٨
- (٣) طوريس : المرجع السابق ص ٣٦٣
- (٤) البحر الزخار في المرجع السابق ص ٣٣٨
- (٥) طوريس المرجع السابق ص ٣٦١ وحسب وثيقة اسبانية كان عدد المبلغ ٧٠٠ مستعبد انظر
- (٦) المرجع السابق ص ١٥١ - ١٥٣
- (٧) م.م.ت.م. ٣٥١ - ٣٥٣
- (٨) نفسه م.م.ت.م. ٣٥١ - ٣٥٣
- (٩) م.م.ت.م. ٣٥١ - ٣٥٣
- (١٠) م.م.ت.م. ٣٥١ - ٣٥٣
- (١١) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (١٢) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (١٣) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (١٤) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (١٥) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (١٦) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (١٧) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (١٨) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (١٩) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨
- (٢٠) م.م.ت.م. ٣٦٧ - ٣٦٨

استقر صالح رايس في قصر السلطان بفاس الجديد ، ووجد جنوده ما يستولون عليه (١) . واستولى هو على ما وجدته في عزيمة الشريف من مال وتحف قدرها ماوريس بأكثر من ثلاثة ملايين دوكات (٢) . وقدرها البناي بن خمسة عشر قنطار ذهباً (٣) . كما استولى على النصارى المستعبدين فيه (٤) . واعطاه اليهود ثلاثين ألف دوكات ، دفعا لاعتقال تعرضهم للنهب (٥) . بينما كان محمد الشيخ يرقب من مراكز تطور الوضع في فاس في شمال المغرب ويحدد الحدة لمجاهدة الموقف الجديد ، فلما علم هذا الصديق بالشرقة هزيمته أمام صالح رايس وأبي حسون وفراره من فاس في اتصالات ومفاوضات مع البرتغاليين من طرفين ساكن مازاكان بهدف الحصول على ١٢٠٠٠ مقاتل برتغالي ، مقابل ضمانات ورهائن ولكن هذه البرتغال اشترط أن يتخلى له محمد الشيخ على رحى المرانور . ولما تمكن هذا الأخير من استرداد فاس في سبتمبر ١٥٥٤ على نحو ما سند ذكر رفض تسليم أي مرنا ، وافضت المفاوضات الى هدنة ففعل في مطلع سنة ١٥٥٥ لمدة ستة اشهر ، ثم طالبت فاس البرتغاليين على مراكزهم في سبتة وطنجة ومازاكان (٦) . هذا في حين ارسل صالح رايس بحراسة أبي حسون - ولعله تنفيذ لاتفاق مسبق بين الطرفين - قائدا جيشا بادن وعبرهما واقام في هذه الاخيرة عاصمة قوية مزودة بالاذنية والعتاد الكثير دون ان يجد أي صعوبة او مقاومة . (٧) . ذلك ان القاعد بين اللذين كانوا يمكنان هاتين القاعدتين باسم الشريف السعدي قد فرا منها بعد سماعهما بدخول صالح رايس وأبي حسون الى فاس ، وانهمزام الشريف امامهما (٨) . وحسب الوثائق الاسبانية كان ابا حسون لم يخط لصالح رايس بادن واليهون (عبر بادن) فقط ولكن اعطاه ايضا المراسي الاخرى (٩) . كفساسه (١٠) وغيرها . بحسب بعض القول ان كل الموانئ والمراسي في ملكة فاس قد غدت بين ايدي الاتراك ، خلال اقامة صالح رايس في المغرب على الاقل . الامر الذي اثار في معينها مخاوف الاسبان ، وقد قهرهم ولا سيما مناوفا البرتغاليين فكتب جان الثالث ملك البرتغال الى شارل كان عن طريق سفير هذا الأخير في البرتغال بدعوه الى التدخل في المغرب قبل ان يثبت الاتراك اقدامهم فيه .

- (١) حسب وثيقة اسبانية معاصرة فان النهب كان فقط لمنازل الشريف السعدي انظر م.م.ت.م. اسبانيا ١٥٣٠-١٥٣١ وانظر ماوريس الذي يتحدد من النهب في فاس الجديد ص ٣٦٨
- (٢) طوريس : المرجع السابق ص ٣٦٢
- (٣) البحر الزماني المرجع السابق ص ٣٣٢
- (٤) طوريس المرجع السابق ص ٣٦١ وحسب وثيقة اسبانية كان عدد المبلغ ٧٠٠ مستعبد انظر م.م.ت.م. المرجع السابق ص ١٥١ - ١٥٣
- (٥) م.م.ت.م. اسبانيا ج ٢ ص ٣٥١ - ٣٥٣
- (٦) نفسه ج ٢ ص ٣٥١ - ٣٥٣ م.م.ت.م. البرتغال ج ٥ ص ٢ وسوزا المرجع السابق ص ١٩٨
- (٧) م.م.ت.م. اسبانيا ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٨ - ١٦٤٩ - ١٦٥٠ واوريس المرجع السابق ص ٣٦٦ - ٣٦٧
- (٨) طوريس المرجع السابق ص ٣٦٢ م.م.ت.م. اسبانيا ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤٨ م.م.ت.م.
- (٩) م.م.ت.م. اسبانيا ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٣
- (١٠) م.م.ت.م. اسبانيا ج ٢ ص ١٥٧ - ١٥٩

لكن ر (١) . لما كتب الى ابي حسون الذي كانت تربطه به صداقة منذ أن كان في البرتغال يوضح له غطورة الامر (٢) .

ولكن العلاقات بين اهل فاس والاتراك وبين ابي حسون وصالح رايس لم تلبث ان تدور واسباب ذلك :

- التصرفات السيئة للاتراك في مدينة فاس ، ومقاومة الفاسيين لها بالعنف ، فأهل فاس سرعان ما تدبروا من الاتراك ، وخصموا منهم (للسوء فعملهم ، وقبح صنيعهم) (٣) . حيث كانوا بينهم من ماشاوا ، وخصموا . ومن على النسوان والصبيان ، وكثرت شكاياتهم منهم ، ولما كانت احكام ابي حسون مرفوعة عنهم ، فقد صار اهل فاس يقتلونهم ويحبسونهم ، ويدخلون عليهم . لا فيقتلونهم في مواضعهم ، فمات منهم جماعة كثيرة (٤) . الامر الذي كان يؤدي الى قيام حرب بين الطرفين لولا ان ابا حسون تدخل لدى صالح رايس ، واوضح له تدمير الفاسيين من تصرفات الاتراك (٥) . وفي اثر ذلك تجمع الاتراك كلهم في فاس الجديد بعد ان كانوا منتشرين في ديار المعزين ، وديار المساجد والنفادق في فاس الباني (٦) .

ولكن ما اثر على الممرقات بين ابي حسون وصالح رايس وهو رغبة هذا الاخير في الاحتفاظ بالسلطة والبلاد ، ومحاربتة استبعاد ابي حسون من السلطة ، وتقربه من محمد الشيخ السعدي فيما لا تراء الى عثمانين ، وعلى رأسهم صالح رايس لما رأوا معانين البلاد المضربة ، وضممتها تحمسوا اكثر الى الاستقلال بها (٧) ، فارسل صالح رايس وهو في فاس سفينتين بقيادة الملج علي ، معطتين بالخناقم والهدايا الى السلطان العثماني ، وإلى الشغصيات الهامة في الدولة وطلب قوات كثيرة (٨) ، واسطول كبير للاستيلاء على كل المضرب ، ولتحرير كل القواعد المحتلة من قبل الاتراك . وفي انتظار ذلك قبض على ابي حسون ، وظن غيابه وسد ابواب فاس الجديد واغلق سكانه فيها (٩) ، ولكن اهل فاس اليالي ثاروا وزحفوا في جموع كبيرة ، وبمختلف الاسلحة الي فاس الجديد ، وطالبوا الاتراك باطلاق سراح ابي حسون وهددوهم بمحاربتهم ، فاضطر صالح رايس الى الاستجابة لطلبهم (١٠) .

(١) (٢) م. م. م. م. اسبانيا ج ٢ ص ١٤٦ - ١٤٨

(٣) (٤) المجهول : المرجع السابق ص ١٩

(٥) م. م. م. : المرجع السابق ص ٢٧١

(٦) (٧) المجهول : المرجع السابق ص ١٩

(٨) م. م. م. م. اسبانيا ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٢ و ١٦٤ - ١٦٥

(٩) المجهول : المرجع السابق ص ١٩ - ٢٠

(١٠) نفسه :

في رواية اخرى للاعداد ان صالح رايس حاول ان ينصب على عرش فاس ابا بكر ابن السلطان احمد وطاسي ، وقد كان موضع تقدير ليدية حتى انه اصهر اليه في ابنته . ولعله كان اقل دهاء .
ابن ابي حسون بحيث يمكن السيطرة عليه وتوجيهه . الا ان الفاسيين لم يرضوا بذلك فخلعه
نصب ابا حسون (١) . ولكن هذا الاخير لم يكن السيد الحقيقي طوال اقامة صالح رايس في
فاس ان كانت كل الامور تسير باسم السلطان المشاني ، وموافقة صالح رايس اكانت امورا ادارية
وغير ذلك . اذ كان بمثابة الملك وابو حسون بمثابة الخليفة (٢) . مما جعل هذا الاخير
يدير الى جميع المبلغ المالي الذي وعد به الاتراك ، وقدره اربعمئة الف مئقال ، ثمن تكاليف
خطة . حتى يحدوا وينفرد هو بالسلطة (٣) .

وبينما كان ابو حسون يجمع المال المذكور كان صالح رايس يحاول تجديد الاتصال
بالشريف محمد الشيخ ، وتعيين علاقات به ، ولعل ذلك كان بهدف احباط المفاوضات التي
انت جارية بين هذا الاخير والبرتغاليين ، وغايتها تزويده بآلات كبيرة مقابل تنازلات مهمة
ما تقدمت الاشارة اليها . ومن الخطوات التي سارها في هذا الاتجاه : ارسال محمد
الشيخ ، واولاده الى مراكش ممزين بكرمين ، واطلاقه سراح من كان منهم في الاسر (٤) .
واطلاقه سراح المراهب آفوغول (Afegol) وهو من كبار مؤيدي الشريف ، بعد سجنهم
سبب الاتصالات التي كان يجريها مع هذا الاخير ، وقطاعها لاثارة القبائل العربية على الاتراك .
وتصديده لمحمد الشيخ بعدم التدخل او تقديم العون لخصمه ابي حسون اذا ما هاجمه بعد رحيله
من فاس (٦) .

واذا كان من المستبعد ان يتوصل صالح رايس الى اتفاق سلام او تعاون مع محمد
الشيخ بعد كل ما حدث من صراع دوى ، ومن تشريده عن ملكة فاس ما رسخ كراهيته للاتراك ،
فان الشائعات برزت على انها على وفاق (٧) . وانهما يخططان لعمل مشترك ضد البرتغاليين
الامر الذي لم يكن ليحدث الارتياح في نفس ابي حسون ، واولييه عمل العلاقات بينه وبين صالح رايس
تتوشق وتتولد . فاسرع الى اداء المال المتفق عليه ، اليه حتى يخاد رفساس ، وينفرد
بالسلطة فيها . ويبعد وان المدد الذي طلبه صالح رايس على جناح السرعة قد تأخر وصوله
او تمذرا لرساله ، وبينما كان قد مضى على غيابه عن الجزائر قرابة نصف عام ، وكانت ثورة امير

(١) نفسه : ص ٢٠٠ ، اسبانيا ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤٢

(٢) نفسه : ص ١٥١ - ١٥٣

(٣) طوريس : المرجع السابق ص ٣٧١

(٤) نفسه : ص ٢٢٧ ، هاید والمرجع السابق ص ٢٢٠

(٥) نفسه : ص ٢٠٠ ، اسبانيا ج ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣

(٦) نفسه : ص ٢٠٢ و ٢٠٣

Chenier (M. de) : Recherches Historiques sur
l'Empire du Maroc, t.3, p. 170 - 171

Maures et Histoire de
1787, P.P. 321-322.
ص ٢٠٢ ، اسبانيا ج ٢ ص ٢٠٢

(١) م.م.ت.م. ص ٢ - ١٥٤- ١٥٦ وانظر طور من المراجع السابق ص ٣٧٣
 (٢) م.م.ت.م. ص ٢ - ١٥٤ و الصجبول المرجع السابق ص ٢
 (٣) م.م.ت.م. نفس المصدر
 (٤) م.م.ت.م. : المرجع السابق ص ١٢
 (٥) هایدو : مرجع سابق ج ٢ ص ١٦٨ - ١٦٥
 (٦) م.م.ت.م. ص ١٠٩ - ١٢٠
 (٧) نفسه : مرجع السابق ص ٣٨ والاقراني الغزوة ع ٣١
 (٨) نفسه : مرجع السابق ج ٢ ص ٢٥٢ - ٢٦٨ والاقراني الغزوة ع ٤
 (٩) مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥٢ - ٢٦٨ والاقراني الغزوة ع ٤
 (١٠) م.م.ت.م. ص ٢ - ١٥٤

يكون مثلهم في العمل الى هذا الاخير ، والرغبة فيه ، والود ، والهدايا والخدمة (١) فرفض مطالبها ، بل انه لم يكتف بالرفض فقط ، وانما استنقص من قيمة السلطان العثماني نفسه ، وهدد بالهجوم عليه حيث قال لرسول السلطان العثماني بعد ان تركه ينتظر طويلا بجوابه : " سلم على امير القوارب (كذا) سلطانك ، وقل له ان سلطان الغرب لابد ان ينازعني على حمل مصر ، ويكون قتاله معك عليه اشارة الى الله ويأتي الى مصر والسلام " (٢) .

ولا ادل على تنويع من الاتراك العثمانيين وعدم اطمئنانهم الى الفاسيين من نقله مقبر عاصمته من فاس الى مراكش (٣) . ولما كان الامداد مرة اخرى منهم من الاتراك العثمانيين امرا متوقعا لديه ، وهو يدرك تفوق الاتراك العسكريين عليه ، ونسحقه عن مقارعتهم بمفرده ، وامكاناته الخاصة ، ويهدد ان يبدأهم قبل ان يبدأوه ، فقد مال الى التقرب من القوى المعادية مثله للاتراك العثمانيين ، للاستئمانقها في الهجوم على مولا والقضا على وجودهم فسي المغرب وفي كل شمال افريقيا ، وفي منازعة السلطان العثماني نفسه على حمل مصر كما ذكر اول المحصر فيها على الاقل على السلام والحياد اثنا مهاجمته لعدوه الاخطر ، بفض النظر عن علاقاته السابقة مع تلك القوى ، وعما اذا كان ذلك يتنافى مع المبادئ التي قامت دولته على اساسها .

وقد تقرب محمد الشيخ اولا من البرتغاليين على الرغم من انهم كانوا لا يزالون يحتلون مواقع عديدة على الشواطئ المغربية ، رغمهم بدوا له اقل خطورة على ملكه من الاتراك ، فمقد معهم اتفاق سلام لمدة ستة اشهر في مطلع سنة ١٥٥٥ م كما ذكرنا (٤) ، ثم طال مفعولهم اكثر من ذلك . ولعب من الملك البرتغالي جان الثالث عونا عسكريا هاما ولكن هذا الاخير اشترط عليه في مقابل طلبه شروطا لم يقبلها ، وقد ألغينا اليها فيما مضى . كما مال الى اسبانيا على الرغم من انهم كانوا ايضا لا يزالون يحتلون مدينتي في شمال المغرب كوحاول الحصول منهم على مال يمدد عليه من البرتغاليين . ولما كان اسبانيا مهددين مثله من قبل الاتراك العثمانيين ، الذين اغتدوا بعد حملتهم على المغرب كهدون لا نتراع القواعد التي كانت بين ايديهم وهي بجاية زرهوان والموسى الكبير ، وحينئذ على الا يمدد النفوذ العثماني الى

(١) المصدر وا : المرجع السابق ص ٢٦ - ٢٩

(٢) نفسه : ٢٦٣ ويبدو ان رسول السلطان العثماني في هذه السفارة هو ابو عبد الله الشروبي ايضا ، ان ان هذا الاخير قد قام بسفارتين الاولى سنة ١٥٥١ هـ / ١٥٥٢ م والثانية

في سنة ١٥٦١ هـ / ١٥٥٤ م انظر السلاوي . الاستقصا ج ٥ ص ٢٧٢

(٣) م ٢٠٢٠ م ج ٢ اسبانيا ص ٢٢٢ - ٢٢٤

(٤) نفسه

المغرب لقرية الشدرد من اسبانيا ، ولما بنجم عن استقرار الاتراك المشانين فيه من اخطار
 بمسيرة عليهم . ورغبون مثله في القضاء على الوجود المشاني في كل شمال افريقيا ، هذا
 الوجود الذي شرب اقتصادهم البحري ، وعارض مشاريعهم التوسعية في شمال افريقيا ونقص
 نفوذهم الى حد كبير ، وهدد اوضاعهم الداخلية بما ولده الوجود المشاني في شمالي افريقيا
 من آمال في نفوس الموريسك . فقد رحبوا بطلبه ووعده بالمساعدة على اقامة الحرب على الاتراك
 المشانين (١) ، واخذ الطرفان في التقارب من بعضهما بعضا .

وقد كان الاسبان في الواقع يحاولون استعمال محمد الشيخ اليهم منذ ان تمكن هذا الاخير
 من القضاء على الدولة الوطاسية اول مرة في مطلع سنة ١٥٤١ م بل حتى قبل ان يتمكن من
 ذلك ، اذ بدا لهم انه الشخصية القوية التي يمكن ان تلقى في وجه الاتراك المشانين ، اذ
 هو شريف ، ويتمتع بشعبية اكثر مما كان لغيره من حكام المغرب الوطاسيين ، فتعاشوا كل
 ما من شأنه ان يدخلهم في نزاع معه ، او يدفعه الى التحالف مع الاتراك ضددهم كالتدخل في
 صراعه مع الوطاسيين . فهم لم يساعدوا السلطان احمد الوطاسي كما طلب بالحاج قبل ان
 يفرض عليه محمد الشيخ السصار في فاس ، ويقضي على دولته ، على الرغم من انه ابدى استعدادا
 لان يكون تابعا لهم اذا ما عدوه بمساعدتهم ، كما كانوا قد امدوا السلطان الحسن المفضلي
 والسلطان عبد الله الزباني من قبل (٢) . ولم يساعدوا بعد ذلك ابا عيسون الوطاسي الذي
 مكث عند دم اكثر من سنتين يناشدهم ان يقدموا له المساعدة لاسترجاع ملك الوطاسيين من
 محمد الشيخ ، ولم يساعدوا اخيرا الناصر ابي حسن الذي التجأ اليهم بعد مقتل والده
 في سمرقند مع محمد الشيخ (٣) .

ونتيجة لهذه المواقف الودية فان محمدا الشيخ لم يتصرف بسوء الى القواعد الاسبانية
 سواء في المغرب او في الغرب الجزائري حين قام ابناؤه بغزو هذا الاخير في اعقاب حملته
 على تلمسان في الفترة ١٥٥٠ - ١٥٥١ (٤) . ولعل هذه المواقف هي التي جعلت محمدا
 الشيخ ايضا لا يمتنع في تقربه من الاتراك الذي بدأه في اعقاب دخوله الى فاس اول مرة ، والتجاء
 ابي حسن الى الاسبان ، والذي كان يستهدف ضرب الاسبان في قواعدهم الافريقية
 وفي قلب اسبانيا ، فاعطى تلمسان التي كانت تحت نفوذ الاتراك المشانين واعجم عن مهاجمة
 وهران التي كانت بيد الاسبان (٥) .

- (١) نفسه : ٢٢٥ ص ١٢٤ و ١٢٥ - ١٣٠
- (٢) نفسه : ٢٢٥ ص ١٢٤ و ١٢٥
- (٣) نفسه : ٢٢٥ ص ١٢٤ و ١٢٥
- (٤) يقول كورنيل ان الجيش المغربي قد تقدم من تلمسان الى مستغانم دون ان يلحق الخسائر
 في بلاد وهران الخاضعة لاسبان على الرغم من انه مر أمامها وجوز العديت على ان محمد
 الشيخ قد امر بان لا تلحق اي خسارة باراضي الامراء طور شارل كان لانه يكن له احترام ما كبيرا
 انظر تاريخ الاشراف ص ٢٨٨ .
- (٥) انظر ما سبق

تقدم ميسر المفاوضات بين السعديين والاسبان : أن التقارب بين الطرفين ، السعدي والاسباني لم يتطور من مسن الجوار نحو التحالف والتعاون ، الا بعد الحطة الجزائية على المغرب ، هذه الحطة التي اشعلت الطرفين بضرورة التقارب من بعضهما اكثر من ذي قبل ، وبضرورة مماونتهما ضد عدوهما المشترك ، فبادر د الكوديت الحاكم الاسباني لوهران بتوجيه رسائل الى بدالاهين محمد الشيخ والى المنصور بن ابي غانم المزوار الاسبق لتلمسان الذى اصبح منذ نضامه في سنة ١٥٥٠ الى السلطان السعدي من المقربين اليه ، وذلك في نهاية ١٥٥٤ و مطلع سنة ١٥٥٥ كfordا عليه بعد اطلاق محمد الشيخ عليه برسالتين مؤرختين بنهاية جانفي ١٥٥٥ (١) . وقد بدا من جواب عبد الله ترحيبه بمقعد اتفاق مع الاسبان ومن جواب المنصور بغية الشريف في التفاوض مع الاسبان ، وترحيبه بحسين غونزالو هيرنانديز (٢) (G.Hernandez) بهذا العرض وارسل جواز مروره الى فاس (٣) . كانت رغبة محمد الشيخ في بداية اتصالاته الاسبان كما تأخر من خلال رسالة بولو كيو (٤) (Pollo Grillo) وهي بتاريخ ١/٢/١٥٥٥ (٥) ، وهي الحصول من الاسبان على دعم عسكري كبير بالرجال والسلاح ، يتألف من عشرة آلاف جندي ، من حملة البنادق النارية ، يميزهم فرسانه الثلاثين الفا ، والحصون الكبيرة المشاة وقاذف المدفعية التي لديه ، حتى يكون بإمكانه الاستيلاء على الجزائر والنار من الاتراك . وفي مقابل ذلك كان على استعداد بأن يحمي سلاطا دائما مع الامبراطور شارلكان ، وان يمنع الاتراك والقراصنة من التردد على جميع موانئهم ، وان يتحمل نفقة القوات الاسبانية مسن يوم توليها في وهران حيث كان متفقا ان تنزل تلك القوات الى يوم عودتها الى اسبانيا ، وان تترك مدينة الجزائر بعد اخذها من الاتراك للاسبان انما بعد تدميرها (٦) . بل ان محمد الشيخ الذي كانت تحدوه رغبة قوية في طرد الاتراك من تلمسان والجزائر لاسيما من حجار بادس عرض - اذا ما لقي الاسبان طلبه وامدوه باثني عشر الف جندي مسن مشاة والفرسان - ان يدفع مصاريف نقلهم وان يدفع رواتبهم لمدة اربعة اشهر و يقوم بحماشهم كل ما يلزمهم لمدة ثمانية اشهر ، وان يدفع اخيرا ثمن الذبيرة المدفعية التي سيزودها الاسبان بها (٧) .

وقد رفع د الكوديت عرض الشريف هذا الى السلطات العليا في اسبانيا في مارس ١٥٥٥ (٨) ، بعد رغبته في التوصل الى اتفاق مع الشريف السعدي في اقرب وقت ممكن قبل ان يتمكن الاتراك من يمارلون بحساعة المراكطين التفاهم معه لضمان وجودهم في حجار بادس من تصديق

- (١) م.م.ت.م اسبانيا ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ و ٢٠٨ - ٢١١
- (٢) أصله من أزيانيين ، تنصرا أصبح من اقارب د الكوديت ومتربصيه انظر عنه الحاشية المخصصة له في الم.م.ت.م ج ٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٧
- (٣) انظر الجواز في المرجع السابق ص ٢١١ - ٢١٢
- (٤) من اسرة تبارية بنوية كان يشتغل في فاس بافتداه الاسرى
- (٥) م.م.ت.م اسبانيا ج ٢ ص ٢١٢ - ٢١٧
- (٦) نفسه
- (٧) نفسه ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠
- (٨) م.م.ت.م اسبانيا ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢٠٧

هدفهم . (١)

كان عرش الشريف ، السعدي غير كاف ليوفر له الاسبان ما يلب ، اذ كان هؤلاء يريدون منه ان لا يلتزم فقط بتحمل كل تكاليف الحملة ، ولكن ان يدفع المال سلفا . وبغية الاتفاق صبح الشريف السعدي على ذلك ، والحصول على المال منه ، توجهت بعثة اسبانية الى فاس في ماي سنة ١٥٥٥ (كانت تتألف من الاسباني ميجل دولا زكانو (Miguel de la Zcano) يسر السعدي الشريف في البعثة ، ومن المترجم اليهودي كانزينو (Cansino) ومن التاجر ولوكريو الذي انضم الى البعثة في فاس .

كان الشريف محمد الشيخ حريصا على ان تكون المفاوضات بينه وبين الاسبان في منتهى السرية ، خشية ثورة الرأي العام المغربي اذا علم تفاوضه مع النصارى ، وخشية ان يعلم الاتراك مشروع خطته فيمخططوا اليها ، وولموا عليه الرأي العام عن طريق المراهطين المواليين لهم في المغرب ، وبهاجره قبل ان يتوصل الى اتفاق مع الاسبان . ومن شدة حرصه فقد امر صاحب الفندق الذي رلت فيه البعثة بأن لا يسمح لاحد بالاتصال بها ، ولا سيما بمترجميها اليهودي (٢) ،

لما لتسرب الاخبار ، كما امر البعثة نفسها بالتزام السرية التامة حول هدفها الحقيقي ، فلما هزت بأنها جاءت للتفاوض مع المنصور بن ابي غانم بشأن فدية ابنه الاسير لدى الاسبان وهران (٣) .

وقد مكثت البعثة الاسبانية في فاس اكثر من شهر (٤) وخلال هذه الفترة تقابلت مع الشريف محمد الشيخ عدة مرات وتباحثت معه ، ومع مقربين في امر المساعدة التي طلبها الشريف من الاسبان لتمويل القوات التي دأبها ، ولعل التصريح بشيء من التفصيل الى سير المفاوضات بمطلي ثرة عن مواقف الطرفين وعن درجة الثقة التي كانت بينهما ، ومدى الصعقة في اساس تعاونهما ؛ ففي بداية المفاوضات (٥) اوضح الشريف للبعثة انه لا يزال راضيا في ان يساعد الاسبان بمشورة لاف جنود اسبانيي من حملة البنادق النارية ، على ان يتكفل فقط بالتمويل طوال فترة الحملة ان يتكفل الامراء لورهما عدا ذلك كالتكفل ورواتب القوات ، باعتباره سيساهم في الحملة بثلاثين ألف فارس مغربي ، وأكثر من ذلك اذا دعا الامر ، ان عرق عليه اعيان من الجزائر مساعدتهم . من هؤلاء امير بني عباس الذي كان ثائرا على الاتراك ، واضحه ان يترك الاتراك من الجزائر يمكن مقيدا لاسبان ولكل المسيحية . وردت البعثة بان غزو الجزائر بهم الشريف وابناؤه اكثر

(١) لم يتحقق الاتفاق مع الشريف في هذه الفترة مما جعل مبالغ رايس يفكر في غزو الشريف في جنوب المغرب وفي تنصيب احد ابناؤه احمد الوطاسي (ابو بكر علي عرش فاس) انظر م.م.ت.م. ٢٤٨ - ٢٤٥

(٢) برموداي الوثائق المغفلة ٢٢٤ - ٢٣١ وانظر ايضا نفس المصدر ص ٢٤٥ - ٢٤٨

(٣) نفسها وصلت الى فاس في ١٢ ملي وشادت المدينة في ١٨ جوان ١٥٥٥ ص ٢٦١ - ٢٦٨

(٤) نفسها : بدأت المفاوضات يوم ١٥ ملي انظر ص ٢٦٢

واستدلت بالشار الكبر الذي تعرضوا له منذ فترة قريبة على يد اتراب الجزائر ، وذكرت بأن
دا الكوديت كان دوما يوضح في مراسلاته مع عبد الله بن محمد الشيخ والمنصور بن ابي غانم بأن
جميع تكاليف السلطة يجب ان يتكفل بها سلطان المغرب ، وان يوضع المال اللازم بين ايديهم .
وعليه ، فاذا اراد الشروع في اعداد القوات المطلوبة فان عليه ليس فقط ان يلتزم بجميع مصروفات
السلطة ولكن ان يدفع المال سلفا . اما ما يتعلق بمصير الجزائر وسكانها ، فان الشريف اصر
على تدبير المدينة ومصادرة اموال سكانها وقتلهم ان هم منارطوا المقاومة ، ولكنه يرفض على اي
حال ان يستعبدوا من قبل الاسبان حتى ولو كان الامر يتعلق بالاتراء لمخالفة ذلك للشريعة
الاسلامية (١) . ويبدو ان قصده كان منع الاتراء فقط من العودة الى الجزائر وانهم كان
لا يريد ان يتهم بأنه سلم مدينة اسلامية للكفار . وامام تشبث الاسبان بموقفهم ، قبل محمد الشيخ
في لقاء آخر مع الباشا ان يدفع ثلاثة مثاقيل ذهبية لكل واحد من العشرة آلاف جندي ، عن كل
شهر ابتداء من تاريخ نزولهم على الساحل الافريقي ، ولكنه رفض ان يقدم أي مبلغ سلفا .
وكانت النتيجة طائلة حيث بتقديم مئة الف مثقال سلفا كمتى يمكن الشروع في اعداد القوات
الاسبانية ، الوجهة ذكرت ان دا الكوديت لا يتحرك الا على رأس اثني عشر ألف جندي ، وانه يلزمه
الفين من الخيل لالفين من فرسانه . وتمسك الطرفان كل بحقوقه عند هذا الحد ، ورفض محمد
الشيخ الاستمرار في المفاوضات طالما يستلم التفويض الممنوح من قبل شارل كان دا الكوديت الذي
يقوله التفاوت وادرام الاتفاق معه . ولما لم يكن موجودا لدى الباشا ، ولم يكن دا الكوديت
اصلا قد استلمه ، فقد توقفت المفاوضات ، وحاولت الباشا ان تتصل بعبد الله بن محمد الشيخ
الذي كان اكثر ماسة من والده الى الاتفاق مع الاسبان والتي التي معهم (٢) . لكن محمدا الشيخ
حال بينها وبين ذلك خشية ان تؤثر عليه فيما يبدو فيمكن ان اثر ذلك عليه ، او حتى لا ترى محسره
واماناته العسكرية . فلم يبق امامها غير الاستئذان في العودة . ولكن عبد الله الذي علم عن
طريق المنصور بن ابي غانم بمآلات هذه المفاوضات سارع بكتابة رسالة (٣) الى والده يرجوه
ان لا يذهب اليه بان بدون نتيجة . وقبل استئناف جميع الامكانات للتوصل الى اتفاق
معه يمكنهم من التآمر من اعدائهم واقتن على والده ان يدفع سلفا رواتب شهر او شهرين
للقوات المطلوبة ، اذا قبل دا الكوديت ان يثبت اعدائهم الى فاس كرهينة على ان يدفسي

- (١) برمودان : المرجع السابق ص ٢٦٤
(٢) كان عبد الله محسره فارج مدينة فاس
(٣) المرجع السابق ص ٢٣٤ - ٢٣٥
(٤) انظر الرسالة في برمودان : المرجع السابق ص ٢٦٢

بالقوات بعد ذلك شهرها عند استحقاقها ، وإن يذهب الغنصور بن أبي غانم إلى وهران لدراسة
مع دا الكوديت . وكانت آخر شروط محمد الشيخ لتقديم مئة ألف مقال ناسي هي :
• ستتم التفويض المطلوب لدا الكوديت الذي يتولى إبرام الاتفاق معه .
الحصول على ضمان قوى للعالم الذي قبل بتقديمه . واحسن ضمان هو ان يقدم دا الكوديت احد
منه ليكون رهينة لديه .

ولما كانت المهمة لا تملك التفويض المطلوب ، ولا اتخاذ القرار في الشرط الثاني ، فقد اكتفت بالوعود
الشرطين إلى دا الكوديت وتقديم تقرير له عن سير المفاوضات ، وعادت إلى وهران دون ان تتم أي اتفاق .
دا الكوديت اعتبر النتيجة التي توصلت إليها المهمة مرضية وتحمس لتلبية الشرطين . فكتب إلى الأمير
شيارل كان ويأبته على إسبانيا في هذه الفترة رسالة مرفقة بتقرير عن المفاوضات في ١٩/٨/١٥٥٥ (١) .
فيها أهمية إبرام الاتفاق مع الشريف ، ومساعدته على محاربة الأتراك . وأبدى استعداداً من أجل
صل إلى الاتفاق معه ان يقدم احد أبناءه بكل سرور إلى الشريف السعدي ليكون رهينة لديه .
طلب ، بل وان يقدم نفسه وأبناؤه الآخرين اذا لزم الأمر . ورجاها ان تحصل له على التفويض من الإمبراطور
إمام الاتفاق معه . وان تأذن له بإرسال فونزالو هيرنانديز إلى ناس ليحمل الجواب إلى الملك لسان
سري ، والتفاوض معه ، إذ يبدو له ان تكليف فونزالو بذلك سيساهم في التوصل إلى الاتفاق مع الشريف
سعدى ، ذلك ان هذا الأخير لا يريد التفاوض بواسطة مترجمين يهود من تلمسان أو وهران ، إذ ان هؤلاء
يؤا على اتصال مع باشا الجزائر .

وبالفعل فقد تسرب خبر المفاوضات بين الشريف والاسبان إلى صالح رابيس من طريق اليهود (٢) فسارع إلى
تأنيد التدابير العاجلة لمواجهة خطر الحلف الإسباني السعدي . فاقدم على تحرير هجاءة من الأسبان ،
كن من ذلك في ٢٨/٩/١٥٥٥ (٣) قبل ان يحصل دا الكوديت على جواب رسالته (٤) . أو يبرم الاتفاق
مع وبين الشريف .

بتحريره لهجاءة أمين ظهيره ، ووجه ضربة قوية ليس فقط لإسبان ، ولكن أيضاً لحلفائهم وحلفاء الشريف
البنطقة كمسد المنزب أمير بني عباس الذي فدا محروماً من الصون الإسباني ، نتكن الأتراك من القضاء
ه (٥) وكسب انصار الجهاد ، واستغال إليه بذلك المراحطين ورجال الدين وعامة
ناس في الجزائر وحسن نسي العنصر . فني حين اشار تقرب السعديين من

انظر نص الرسالة في م.م.م. م. إسبانيا ج ٢ ص ٢٨٢-٢٩٠ نهرموداي : المرجع السابق ص ٢٦-٢٢٠
(المدني : المرجع السابق ص ٣٥٨-٣٥٩ . وقد كان لأتراك شبكة تجسس على ما يجري في وهران انظر هامش ٣
ص ٢٤٩-٢٥٠ م.م.م. م. م. ج ٢ إسبانيا

(نهرموداي : المرجع السابق ص ٢٢٠-٢٢٤) وهایدو ، ملوك الجزائر ص ٩٢-٩٥
(كان الجواب من رسالته في أواخر أكتوبر المذكور م.م.م. م. م. إسبانيا ج ٢ ص ٣٠٣-٣٠٤
(هايدو : المرجع السابق ص ١١٩)

الاسبانية . ثم ان النقطة الاولى في حاجة الى توضيح لمدة السلام المرغوبة ، وان النقطة الثانية في حاجة الى تحديد لكان الانزال وعدد القوات ، وان النقطة الثالثة في حاجة الى توضيح موضوع المدفعية وان النقطة الرابعة يجب ان يضاف اليها (التمسك بمنع استقبال اي اسطول) ، وبدأ للمجلس ان يقدم رهينة للمسلمين امر مرفوض مبدئيا ، وعليه فان الشرط الذي ورد في النقطة السادسة امر مرفوض للمبدأ المذكور . وشهر للمجلس العربي ان الشريف السعدي بات لا يخشى الاثراك الخبيثين كثيرا ضل السبيل . كما ظهر له ان الاتفاق مع الشريف السعدي لا يكون ذا اهمية مالم يوافق عليه اليها كحطة صليبية . ونظرا الى ان تمويل الحملة بدأ المجلس فيها فقد استعس هذا الاخير ان يقر ، لهذا الموضوع ولا سيما انه فسي حال انتصار الشريف السعدي سيصبح قويا ، وخطرا على اسبانيا نفسها (١) .

على ان المجلس ابقى اليها روحا لمزيد من المفاوضات ان رغب السلطان السعدي في ذلك ، وارسل فونزالوهرماندس من المغرب حاملا الجواب للسلطان السعدي ، محمد الشيخ الذي تقدم بهذه المناسبة باقتراحات وتوضيحات اخرى اهمها : استعداده لدفع ثلاثة ايكو (دنانير) عن كل ٢٩ يوما لاثني عشر الف جندي او اكثر ، والمساعدة بنصف مزاريف النقيب مع ضمانات للحد فدية المقدمة ، وتقديم مبلغ من المال سلفا عن كل ذلك . على ان يدفع مع كل ماالتزم به عندما تنزل القوات في اريزو شرق وهران . اما اذا اراد فيليب الثاني الحصول على المال مسبقا فلا بد من ان يبقى دون مارتان ابن الكوديت رهينة تحت سلطة الشريف الى اقلاع الاسطول نحو اريزو . وعندها سيوجه السلطان السعدي مع الرهينة لينضم الى الجيش الاسباني (٢) .

ولحل هذه المعضلة كانت آخر المروض التي تقدم بها محمد الشيخ السعدي في سبيل الحصول على المساعدة العسكرية الاسبانية ضد خصومه اثناء الجوائز العشائريين لانتزاع مدينة الجزائر وغيرها من المدن منهم ، واقصائهم منها . ولا نطك الجواب عن المقترحات الاخيرة هذه ، ولا البراءة للقطع فيما اذا تم التوقيع على اتفاق ما بين محمد الشيخ السعدي والاسبان ام لا . الا اننا نميل الى الاعتقاد بان السلطان السعدي قتل ولما يتوصل الى اتفاق نهائي مع الاسبان . وما يدفع الى هذا الاعتقاد ان السعديين الذين هاجموا تلمسان في جوان ١٥٥٧ ، قبل شهر قليلة من مقتله في اكتوبر ١٥٥٧ ، ارسلوا الى وهران في طلب بعض القطيع المدفعية لا تمام استيلائهم عليها فلم يجدوها .

الاسبان الى الهم (٣) .

(١) نفسه : ٤٠١ - ٤٠٥

(٢) نفسه : ٤٠٧

(٣) هابيد والمربيع السابق ع ١١ و روف المرجع السابق ع ١٤٤ - ١٤٥

وانا تأملنا في الحوادث والمصروفات التي واجهت المتفاوضين الاسباني والمغربي ، وحالنا في آخر الامر على ما يعتقد دون توقع اتفاقية بينهما ، ووجدنا ان في مقدمتها : افتقاد كمال طرف الثقة التامة في الطرف الاخر ، وان مضي سنتين وثيف في المفاوضات لم تكف ايا من الطرفين لاكتساب ثقة الطرف الاخر اولتسمية الثقة بينهما ، ان أن الشريف السعدي كان في هذه الاثناء كما هو الحال ، يتفاوض مع اتراب الجزائر المشانين عن اتراب المراهطين ، واستقبل خلالها سفارة عثمانية او اثنتين . والاسبان فيما عدا ذلك كوديت بدوافي الشطر الاول من المفاوضات التي جرت قبل شهر من اتراب الجزائر على بجاية ثم على وهران ، اقل حماسة للتوصل الى اتفاق مع محمد الشيخ . يشهد على ذلك تأخر السلطات العليا الاسبانية في ارسال التفويض لـ الكوديت بالاستمرار في المفاوضات ، وامكانية ابرام الاتفاق مع الشريف السعدي . كما بدوا مشتطين في الشروط للتوصل الى الاتفاق ، ولا سيما فيما يتعلق بمصاريف الحطة . ثم ان فيليب الثاني اتصل من جهة في ابان المفاوضات ، باتراب الجزائر وعرض في غرضه الفوضى التي عرفتها مدينة الجزائر كحمد موت صالح رابح على قارة مصطفى) احد زعماء الاتراب في الجزائر آنذاك ، استمداده للتعاون معه ان رغب في ذلك . (١) .

والى جانبها اندام الثقة بين الطرفين الاسباني والسعدي ، فقد وقفت القضية المادية المتعلقة بتمويل العملة المشتركة على الجزائر عائقا ايضا في وجه التوصل الى الاتفاق حيث لم يستطع الطرفان في غياب الثقة ايضا ، التغلب عليها . واخيرا فان الاتراب المشانين في الجزائر لم يدخروا من جهتهم جهدا ، ولا وسيلة ، في سبيل ابعاد القارب السعدي - الاسباني ، من استغلال نفوذ المراهطين واثرتهم الى ضرب اقوى الحليفين في بجاية وهران ، وكانت آخر وسائلهم التدخل من محمد الشيخ نفسه في أكتوبر ١٥٥٧ م ، ثم من د الكوديت في اوت ١٥٥٨ على النحو الاتي ذكره . . .

التدخل السعدي الثاني في طلمسان سنة ١٥٥٧ ونهاية محمد الشيخ :

لم يتمكن نظام الجزائر من استمالة محمد الشيخ اليهم ، بعد حطة صالح رابح على المغرب التي دخل في اثرها كما ذكرنا في المفاوضات مع البرتغاليين ، وبخاصة مع الاسبان بهدف التعاون مع هؤلاء ضد هم . وفشلت السفارة التي وجهت اليه في فبراير ١٥٥٧ في التوصل الى اتفاق سلام بين الجزائر والدولة المشانية من جهتهم محمد الشيخ من جهة اخرى لمدة ثلاث سنوات ، كما فشلت من قبل السفارة الموجهة اليه في سنة ١٥٥٤ في الحصول على الاعتراف

منه بالتحمية السلطان العثماني .

وفي أواخر السفارات العثمانية الجزائرية الموجهة إليه ، قام محمد الشيخ بشن حملة على مدينة تلمسان ، في جوان سنة ١٥٥٧ كما مرت الإشارة ، كانت هي الثانية من نوعها ، لا احتلال هذه المدينة الهامة ، منتهزا فرصة اضطراب أمور الأتراك العثمانيين في مدينة الجزائر منذ عدة شهور (١) . وتمكنت قواته من احتلال المدينة بسهولة ، إذ كانت حاميتها التركية العثمانية صغيرة تتألف من نحو ٥٠٠ عنصر فقط ، فأثرت الانسحاب إلى المشور الحصن والاعتصام فيه ، في انتشار وصول المدد إليها من الجزائر ، ووضعت القوات السعيدية التي كانت تفتقر إلى المدفعية عن اقتحام المشور ، وطلبت المدفعية من وهران كما ذكرنا ، ولكن الأسبان امتنعوا عن تزويدهم بها ، فاستمرت تحاصر الحامية بدون مدد . وحدث في هذه الأثناء أن عين حسن بن خير الدين على رأس حكومة الجزائر العثمانية للمرة الثانية ووصل إلى الجزائر في شهر جوان (٢) . وكان من أولى اهتماماته : إخراج السعديين من تلمسان وطلب البصار عن حاميتها ، ثم التخلّص من محمد الشيخ نفسه ، هذا الدمار الخطير القوى المنيق ، ومحاولة احتلال المغرب بعد ذلك ، وضمه إلى الدولة العثمانية . فاندحطت كبيرة من أتراك الجزائر وأهلها كان شهر ١٠ كافيا لاثارة الرعب في قلوب السعديين في تلمسان ، جعلهم ينسحبون منها إلى ملوراء المدود قبل وصول حسن بن خير الدين إليها . وذلك في شهورات ١٥٥٧ (٣) . وأرسل فوييا من الأتراك العثمانيين ، يتألف من اثني عشر رجلا بقيادة صالح كاهيه إلى المغرب لاغتيال محمد الشيخ . وقد تظا هو هولا الأتراك بالمغرب إلى السلطان السعدي ، وبالرغبة في خدمته (٤) .

ولما كان السلطان السعدي يستخدم الأتراك في بعضه ، ودرّب في الاستدثار منهم ، على الرغم من علاقته السيئة مع حكام الجزائر الأتراك العثمانيين ، هل ويتشف منهم حرسه - الغاض ، فقد أحببهم وأدخلهم في خدمته . وفي إحدى معارك السلطان بجيل د بن بالاطلس الكبير ، وبعد الأتراك المرافقون له فرصة سانحة لقطه ، فقتلوه رأسه في يوم ٢٩ ذي الحجة سنة ٩٦٤ هـ / ٢٣ / ١٠ / ١٥٥٧ . وتمكن بعضهم من الوصول به إلى تلمسان ، ومنها إلى استانبول حيث ظل مطلقا بها إلى أن تلاشى (٥) .

وهكذا كان مصير محمد الشيخ الذي رفض بقوة التدخل تحت السيادة العثمانية ، ورفض في آخر عمره حتى السلامة معهم ، وطول فترة مسدودة ، ومضى في التقرب من الأسبان ،

- (١) انظر فصل الحياة السياسية في الجزائر
- (٢) شاهد والمراجع السابق ص ١١٤ - ١١٦ ود غرامون والمراجع السابق ص ٨١
- (٣) ص ٢٢٢ - ٤٢٢
- (٤) الأفراني : الغزوة ص ٤٢
- (٥) المصمّم : المرجع السابق ص ٢٧ - ٢٨ والأفراني : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٤

وفي اوائل مارس ١٥٥٨ بلغت الحملة نهر الطوية ، ووادى الزيتون بشرق المغرب (١) .
وفي اوائل الشهر نفسه، وصلت القوات البرية الى تازة، بينما وصلت اربع عشرة سفينة من الاسطول
الجزائري الرباط (٢) . وفي يوم ٢/٤/١٥٥٨ جرت اول صدام بين القوات الجزائرية والقوات
المغربية، على مقربة من وادى اللين (٣) . باحواز فاس . وكان اصطداما عنيفا قويا، قتل في حده
خلف كثير من الطرفين (٤) . وفي مساء هذا اليوم، رجعت كفة السمديين على الرغم من
الاستهسال الذي اظهرته القوات الجزائرية (٥) ، واضلار حسن بن عيبر الدين الى التقهقر
نحو الجبال المحيطة لرباط (٦) ، وعقد مجلسا مع مستشاريه ، فنصوه بالانسحاب وعيبد
استئناف المعركة للغسائر الكبيرة التي تكبدها (٧) . فقرر الانسحاب الى بادن، التي كانت
سينذاك بيد اتراب الجزائر ، وسيت كانت السفن الجزائرية التي وصلت مدفعية هناك ، قبل
ان يمتنى بهزيمة كاملة ولم يكن الانسحاب الى بادن سهلا ، ان كان ملاحقا من القوات المغربية
في ايام ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ابريل (٨) . وتكبد خلالها مزيدا من الغسائر في المطاد والارواح
ولكن السمديين لم يجرؤوا على ملاحقته حتى بادن . وقاتهم في نهاية الامر تحقيق نصر حاسم
على الحملة الجزائرية . وذلك لانهم ترددوا في رمي كل ثقلهم منذ اليوم الاول في المعركة ،
وستى بعد ان لاح لهم النصر . وحسب وثيقة ماصرة فان عهد الله لورعى بكل فرسانه البالغ
عدد ثمن ستين الفا (كذا) لقضى على الاتراك (١٠) .
اما اسباب اشتاق الحملة الجزائرية، حسب ما يستدل من المصادر والوثائق الماصرة،
فتمود الى ان القوات الجزائرية، التي كانت تتألف في محاسنها من المشاة لم تستطع الصمود
طويلا امام فرسان المغرب الكثيرين (١١) . والى ان القوات الجزائرية دخلت المعركة بدون
المدفعية (١٢) مما يدل على ان السمديين باغتها بهم يومهم عليها، قبل ان تحصل على المدفعية
التي نقلتها السفن الى بادن ، والى نقص الذخيرة بل ونفاذها ، وكذلك نقص الاغذية .
واخيرا، الى انسحاب مولاي عمار امير بدو منذ اليوم الثاني الى امارته. ولا ننسى تفاوت القوى
الكبير الذي كان له اثره في رجحان كفة السمديين .

- (١) نفسه : ٤٣٦-٤٣٤
- (٢) نفسه : ٤٤٢-٤٤٤
- (٣) نفسه : ٤٤٦-٤٤٨
- (٤) مايدو : المربيع السابق ص ١١٦
- (٥) (١) م.م.م.م. : اسبانيا ج ٢ ص ٤٥٨-٤٦٠
- (٦) مايدو والمربيع السابق ص ١١٦
- (٧) (٨) م.م.م.م. : اسبانيا ج ٢ ص ٤٤٥-٤٤٨ و ٤٥٢-٤٥٤
- (٩) نفسه : ٤٥٧-٤٥٩
- (١٠) مايدو : المربيع السابق ص ١١٦
- (١١) م.م.م.م. : اسبانيا ج ٢ ص ٤٥٤-٤٥٧

وهذا كله يدل ايضاً على ان الحملة لم تكن مهيأة كما يجب ، وانها اعدت كما سبقت الاشارة على عجل وبغية الاستعانة من اضطراب عهد الله بحد مقتل والده ، وانشغاله بحصار الاتراك في الجنوب . ومن بادس انتقل حسن بن خير الدين الى مارشينا ، ومن انطلاقا منها هجوما على القبائل الصادية للاتراك المثنانيين في المناطق المعباءة والقبائل غلايسية (١) التي قتلت في وقت سابق نحو مئتين من الاتراك المتابعين لقائد بادس ، الذين جاؤوا لاغضاعهم ، وتكن في هذا الهجوم من قتل بضعة عشرات منهم واسر بعضهم ، واخذ ما استطاع من ماشيتهم (٢) ثم صرف كل فرسانه وجميع العرب وقسمها من اتركة من طريق البر الى الجزائر ، ما حصو وفقد عاد اليها من القسم الباقي عن طريق البحر في اواخر ابريل ١٥٥٨ (٣) ، احتياطاً فيما يبدو ان يكون الاسبان قد قاموا خط الرجعة عليه من طريق البر بعد انشاق سطته في مهيته . وقد كان الاسبان يعدون في هذه الفترة حملة كبيرة اتضح فيما بعد انها كانت موجهة ضد مستغانم .

كان طر ، حسن بن خير الدين بحد عودته ان يواجه هذه الحملة وان يخضع امير بني عباس الذي استمر ثائراً متمرداً على الاتراك ، بحد ظهرهم كما جاؤوا التوجه نحو المغرب ، قبيل ان يفكر في حملة اخرى على عهد اللسه يحو بها اثر انشاق سطته . وقد تمكن حسن من تحقيق انتصار كبير على حملة دالكوديت الثالثة على مستغانم في اوت ١٥٥٨ ، اي بحد شهر قليلة من فشل الحملة الجزائرية على المغرب ، مما يدل على ان الاسبان ارادوا استغلال الميزة التي مني بها الجيوش الجزائرية في وادي اللين ، لتحقيق اطماعهم في احتلال مدينة مستغانم الهامة .

ويبدو ان الاسبان كانوا يعتقدون ان السعديين سينتمزون بدورهم فرصة انتصارهم في وادي اللين ، وفرصة هجوم دالكوديت على مستغانم اذ جاؤوا تلمسان والمغرب الجزائري فيشتتوا جهود الاتراك وقوتهم فيسهل عليهم الانتصار . ولكن السعديين لم يجرؤوا على مهاجمة تلمسان في هذه الحقبة . وسفر بحد قليل اسباب ذلك . فواجه الاسبان قوة الاتراك والجزائريين في وادي اللين ، فانكسروا واصيبوا بكارثة حيث لم يسلم احد من افراد الحملة ، فاما قتلا او اسيرا . (٤) وتبل توجه حسن الى قلعة بني عباس في اقطاب هذا الانتصار على اهل استيصال شافة المتمردين هناك بزعامة عبد العزيز امير بني عباس استيصال الامير السعدي ، عبد المؤمن

(١) نفسه من ٤٤٦ - ٤٤٤

(٢) نفسه من ٤٥٤ - ٤٥٧

(٣) انظر فصل العناية السياسية في الجزائر .

(٤)

لذي فر من اخيه عبد الله خوفا منه على حياته ، وقربه منه وزوجه من ابنته ، وكان قد استقبل قبل ذلك اثنين من اخوته وهما عبد الطك واحمد .
وفي بني عباس ببلاد القبائل جنوبي بجاية استطاع حسن بن خير الدين بعد مصادرة عنيقة (١) ان يقضي على عبد العزيز ، ولكنه لم يتمكن من اخضاع اخيه امقران الذي خلفه ، اذ اضطر للعودة الى الجزائر للظروف التالي ذكرها :

المدخل السجدي الثالث في تلمسان :

968 968 هـ 1560 م

لم يفر عبد الله بن محمد الشيخ لحسن بن خير الدين تدبير اغتيال والده ، وانتهازه الفرصة لشن هجوم كبير على المغرب ثم ترحيبه باخوته وابنائهم وتطهيرهم لهم (٢) . ولكنه لم يفلح محاول في ابدان استقلال انتصاره غير الحاسم في وادي اللين ليقيم بهجوم مضاد على تلمسان او حتى على بادس لا تتزاعها من ايدى الاترائ المشائين وذلك لان المغرب كان يعاني فسي سنة ١٥٥٨ من وباء عظيم (كسا سهل المغرب وبيلة ، وافنى ثقاته وابطاله) (٣) ، مما لم يكن يسمح له باعداد هجوم مضاد . ولانه كان في حاجة ماسة الى ان يوطد سلطته في المغرب وشبهت كرسيه الذي لم له ولا بناء . فقام بهذا الصدد بقتل اخيه عثمان الذي هز في المصادرة ضد الحملة الجزائرية فزاد تشعبته ، مما اثار غيرة ومخاوفه منه (٤) . وقتل ايضا اثنين من ابناء اخوته ، بدعوى انهما لم يقوما بما كلفهما به على الوجه الحرفي وكان قد اسند اليهما ولا يتبي د رعه ومنتاحه . والواقع كما يذكر طرير المصاير لمجد الله انه كان يريد تصفية الجو ولا بناء (٥) . ومما اثار استغراب راجع اليه عبد المؤمن المصاير لمجد الله انه كان يريد تصفية الجو ولا بناء (٥) . ولكن هذا الاخير تنبه لغرضه فالتحق بتلمسان (١٥٥٩) ومنها الى الجزائر حيث لقي كما ذكرنا ترحيبا قويا لدى حسن بن خير الدين وحظوة كبيرة عنده ، فاق ما لقيه امفوا عبد الطك واحمد له ان لم يكتف باتاناه صهرا له فقط بل اسند اليه ايضا الحكم بتلمسان ليكون شوكة في جنب عبد الله ، يزوجه بها (وتم تنصيب عبد المؤمن على تلمسان لان في ذلك مضرة لحاكم فاس ونفسا لها للجزائر ...) (٦) . الامر الذي اثار مخاوف كبيرة لديه ، ان يشي ان ياتوه من الجزائر بحملة

- انظر من راجع حسن بن علي عباس
(١) طويرين المرجع السابق ص ٤١
(٢) الافرنجاني: النزعة ص ٥
(٣) طويرين المرجع السابق ص ٤١٣
(٤) السابق ص ٤١٣
(٥) طويرين المرجع السابق ص ٤١٣
(٦) مهمة دفتري رقم ١٨ ص ١٥

فصل الحياة السياسية في الجزائر
٢١١ . البناهي المرجع

من التزك ، فاعوذ (. . .) في تربية اليهود وتربيتها ، وأنغار الذخائر ، واستعدادها ،
وبكثير المدة وآلات الحرب وتصميم خزائن المارود ، وأهوية الزرع ، وغير ذلك مما يحتاج إليه ،
ويتمتع به من الزواجر ، ويحصل به الدفاع . . .) (١) . وسمى للبحث عن حليف خارجي
أو أكثر ، فتقرب من انكلترا وملكيتها الهزابت ، ومن فرنسا عن طريق انكلوان دوهورون ملك
النفار ، وتعلم في بادئ الأمر أن يسلم لهذا الأخير موقع القصر الصغير بين سبت وطنجسة ،
مقابل مساكن عدات عسكرية وأسلحة (٢) ، دون أن يقطع الحيلة مع الأسبان ، وأن حالت علاقاته
معهم نحو الفتور بعض الوقت ، في أعقاب تقاعس الأسبان عن مد السمديين بما يلزمهم من مدفعية
لاستلال طلمسان في جوان ١٥٥٧ كما ذكرنا ، وعدم تحركهم ضد الاتراك إبان حملة هؤلاء على
المغرب ، وتقاعسه عن المشاركة في الحملة الأسبانية على مستغانم في أوت ١٥٥٨ كما
كان الأسبان يأملون ، لتمتعهم بعد ذلك في السنوات الأولى من الحقد السابق من القرن
السادس عشر الميلادي .

ولما ولد عهد الله سلطته في المغرب ، ووطد علاقاته مع الأسبان لم يتردد حينئذ في
استغلال الظروف العجيبة لخصمه حسن بن خير الدين ، الداخلية منها كانشغاله بقمع
تمرد بني عباس ، والغازية كالمخطط الذي أعداه الأسبان وحلفاؤهم المسيحيون بتسريع من
الهابط والبرابح للقضاء على اليهود المشائين في الحوض الغربي للمتوسط والتمثل في حملة
ضخمة على القواعد المشمانية بدءاً من طرابلس ، فالقواعد الواقعة إلى الغرب منها . فحرك
قواته نحو طلمسان في الوقت الذي كان فيه حسن بن خير الدين يباشر إقراة خليفة عهد العزيز أحمد بن
عباس ، وفي الوقت نفسه الذي تدركت فيه الحملة الأوربية المسيحية المضخمة نحو طرابلس
وجربة (١٥٦٠) ، ولعل تعمره كان بالتنسيق مع الأسبان ونحو ما يمتدده لوفراون وعزيز سليم
وآخرون (٣) . وكان أنصار السمديين في طلمسان قد ثاروا واقتتلوا مع أتراكها في سنة ٩٦٨ هـ
/ ١٥٦٠ م (٤) . ويبدو أن ذلك كان بإيعاز من السلطان عبدالله نفسه تمهيداً لتدخله
في المدينة . إذ أمر في أعقاب هذه الفتنة إجناده بالتدخل بدعوى انتقام من استغاث به
من أهلها . وقد قام إجناده فعلاً بنقل بعض الطلمسانيين إلى قاس بينهم طائفة من علماءها
وفقائها في السنة المذكورة (٥) . ولكن السمديين لم يستنفذوا طويلاً بالمدينة .

- (١) المجلد ٣٦ من المرجع السابق ص ٣٦
(٢) انظر فصل الحياة السياسية في المغرب
(٣) تاريخ الجزائر ١٩١١ الأتراك المشائين في إفريقيا الشمالية ص ٥٦ - ٥٧
(٤) ابن حنبل دودة القاش ص ٨٧
(٥) نفسه ص ٨٦ - ٨٧ ، ٩١ وغيرها (تراجم بعض من نقلوا من طلمسان إلى قاس)

ويبدو ان انسياقهم اليه كان نتيجة عودة حسن بن خير الدين بسرعة من بلاد القبايل الى مدينة الجزائر لمعالجة الموقف الجديد في الغرب الجزائري . ونتيجة ايضا لاختراق الحملة الاسبانية المسيحية في جربة سنة ١٥٦٠ (١) . وانكسارها امام الاسطول العثماني ، تلك الحملة التي كان من المتوقع ان تشغل حكام الجزائر عما يجرى في الغرب الجزائري . او ان غرض عبد الله كان فقط تهديد تلمسان لجعل حسن بن خير الدين يترك الحصار على بني عباس الذين كانوا حلفاء للسعديين ، ليس فقط بنكم العداء المشتركة لترك العثمانيين ولكن ايضا بنكم انهم سبق وعرضوا على السعديين في عهد محمد الشيخ التعاون للقضاء على الحكم العثماني في الجزائر . وهذا الفرض قد تحقق حيث عاد حسن بن خير الدين على عجل الى مدينة الجزائر قبل ان يتم اخضاع بني عباس او القضاء على امارتهم كما كان مصما ان يفعل وقد قدر عبد الله في الواقع جهدا الخطر الكبير الذي كان سينجم عن القضاء على بنسي عباس من قبل الاتراك ، ان سيتفرغ هؤلاء حينئذ له . ولن يكون في ظهريهم من يرعاهم . او يلهمهم عنه خصوصا بعد ان اصبح بنو القاضي اصهارا لترك الجزائر (٢) . الا ان التدخل السعدي الثالث في تلمسان لا يزال الغموض يكتف قضا عليه .

١٩٠٠ ميسيل العلاقات بين عبد الله وحكام الجزائر نحو السلام والتلق :

واذا تأملنا الان عما كان رد فعل حسن بن خير الدين على هذا التدخل السعدي الجديد ، ومن موقف السلطان العثماني من الصراع الدائر بين اياملة الجزائر والمغرب وجدنا ان حسن بن خير الدين قد شفي فور عودته الى الجزائر من بلاد القبايل في اعداد حملة مضادة على المغرب . ولئن ميله الى الاستمالة بأهل القبايل اسفاره الجدد بشكل مشير للانتباه ، جعل جند الجزائر الانكشاري يتشكك في حقيقة نواياه ، ولم يلهم ان القى القبض عليه (اكتوبر ١٥٦١) ، وارسله الى استانبول مقيدا بتهمة الميل الى الاستقلال عن الدولة فتأجل مشروع الحملة (٣) . اما السلطان العثماني الذي جاءه عهد الطاك متمسكا بانتزاع الطاك من اخيه عبد الله ، وطلب مساعدته ب حملة لتحقيق هذا الغرض ، فقد آثر ان يجرب مع السلطان السعدي مرة اخرى الاسلوب الدبلوماسي الهادئ في وقف النزاع القائم بينه وبين اياملة الجزائر ، وبينه وبين اخوته الذين لجأوا الى اتراك الجزائر . فارسل اليه رسولا لهذا الغرض . وفي مراكش لقي الرسول العثماني استقبالا حسنا ، واكراما جزيلا لدى السلطان عبد الله السعدي ، وتوصل معه الى اتفاق مبدئي التزم فيه عبد الله بارسال هدية سنوية لا ضريبة تمسية للسلطان العثماني ، ومنحة فصلية لاخوته في الجزائر . وعاد الرسول العثماني ، ومعه

(١) Monchiocourt: 1^{re} Expédition Espagnole de 1560 contre l'Ile de Djerba, Paris 1913.

(٢) انظر فصل الحياة السياسية في الجزائر
(٣) انظر فصل الحياة السياسية في الجزائر ايضا

كاتب السلطان السعدي، أبو محمد السرخسي لمناقشة شروط الاتفاق مع السلطان العثماني نفسه، ومعه عبد الله بهذه المناسبة، هدية ثمينة إلى هذا الأخير (ودفع له مالا موفرا وذخائر من الذهب والياقوت، ودفع له علامات وسيوف مفضضة ومذهبة وأعطاه ذخائر....). وجرى له ما في الهدية (١). كما أرسل من كاتبه المذكور خمسة آلاف (مقال ٢) وقال لهم (لكم طي ذلك في كل وقت وفصل من الفصول والمواسم، يأتكم إلى طمس أو الجزائر مع التجار، ولا تطعنكم الفاقة، وأنا بالحياة....) (٢). وافتتح هنا توسيع قبل متاهمة الرحلة مع المبعوث المغربي لا شير منذ الآن بأن عبد الله لم ينف بالتزاماته لاخوته. إذ لم يلبث كما تؤكد ذلك الوثائق العثمانية، أن نقض التزامه الذي قطع على نفسه لاخوته، فاضطر هؤلاء لشكايتهم إلى السلطان العثماني، (٣) الذي أمر لعبد الملك، وعهد المؤمن بالمساعدة التي كانوا يطلبونها قبل أن ينضم إليها أخوهما بالمنحة التي تقدمت إليها ثم يقطعها. وثابت المساعدة التي تقدمتها الجزائر للاجئين السعديين ولمن رافقها هي كما وردت في وثيقة عثمانية (٤). منذ الهداية الفزياني ذهبي كمخصص عن ستة أشهر من ناتج قلعة وطن، وما تبقى وكان يصطلي لهما ستة آلاف فزياني ذهبي كمخصص عن ستة أشهر من ناتج قلعة وطن، وما تبقى كان يمتطي لهما نقدا من الحاصلات الأخرى للولاية....) (٤).

وفي استانبول، اتخذ المبعوث المغربي مع السلطان العثماني في الكلام والاتفاق ((وقبل الكاتب ما اشترطه السلطان مراد (٥) (كذا) من دفع الماز، كل سنة. واخذ الكاتب (٦) في الرجوع إلى المغرب ولما رجع أعلم مولاي عبد الله بما ذكره من الشروط وقبولها، فرضي بذلك كله)). وإذا كان المؤلف المجهول الذي أشار إلى هذه السفارة لم يفتص عن كل الشروط التي قبلها عبد الله، فإنه من المتوقع أن يكون من بين هذه الشروط الكف عن التدخل في طمس، مقابل التزام السلطان العثماني بعدم التدخل ضده في المغرب، ومساعدة اخوته على الهجوم ضده. إذ لو حث توقف السلطان السعدي عن التدخل في طمس منذ سنة ١٥٦٠، وعدم قيام الأتراك العثمانيين بالتدخل في المغرب طوال عهد عبد الله وعدم مساعدتهم لاخوته على التدخل ضده.

- (١) المجهول : المرجع السابق ص ٣٥
 (٢) نفسه : المرجع السابق ص ٣٦
 (٣) انظر شروط عهد الملك في مهمة دفترى رقم ١٤ ص ١٠٦٧ بتاريخ ١٠٦٧/١/٢٦ هـ
 (٤) انظر أيضا مهمة دفترى رقم ٦ ص ٤٥١ بتاريخ ١٠٦٩/٧ هـ (نقل الصلح)
 (٥) انظر الأمر في مهمة دفترى رقم ٧ ص ٨٩١ حكم رقم ٢٤٦١ بتاريخ ١٠٦٩/٥/١٨ هـ
 (٦) انظر أيضا أن عبد الله توفي في جانفي ١٥٧٤ قبل أن يتولى مراد الثالث والسلطان المصطفى كما يثبت من سياق الوثائق العثمانية وهو سليمان القانوني إذ أن نقض عبد الله صلحه مع اخوته كان في عهد سليمان انظر مهمة دفترى رقم ٦ ص ٤٥١ والوثيقة بتاريخ ١٠٦٩/٧ هـ (نقل الصلح)
 (٧) المجهول : المرجع السابق ص ٣٦

ومئذ نجحت الدبلوماسية في التوصل الى اتفاق مع السلطان السعدي، سمح لحسن
 بن خير الدين الذي هين للمرة الثالثة على رأس حكومة الجزائر في سنة ١٥٦٢، بحد ان نجح في
 بركة دمه من التهمة التي ألصقها به الجند الانكشاري في الجزائر، (١) بأن يوجه جهوده
 يركزها في شرب الاسبان في وهران والمرسى الكبير سنة ١٥٦٣. اما عبد الله فقد اعبط
 بهذا الاتفاق مساعي اخيه عبد الملك لجر السلطان المشانقي للتدخل ضده في المغرب،
 وبالتالي فقد ذهب بارد، خطرا جسما بفضل العرونة التي ابداهما اتجاه السلطان المشانقي
 واغوته.

فهل اطمان الجانبان الجزائري والمغربي الى بعضهما بحد هذا الاتفاق ؟
 لا يبدو ذلك لمن يرصد حركات الطرفين، ولا سيما حركات السلطان السعدي الذي ظمحل
 يتوجس منه من اخوته اللاجئين عند اتراف الجزائر، ومن تراءى له في بلادهم وغيرها
 من موانئ ومراشي شمال المغرب، فاهتم مولاي عبد الله من ذلك وقنط منه، وخاف ان تخرج
 عمارة الترك من تلك البلاد الى المغرب... (٢). ومنذ الخاف جعلته يكتب الى سلطان
 انصارى (٣) واعتق معه ان يخلي له الادالة من حجرة بادي ويبيع له البلاد، ويخليها من المسلمين
 وتنقطع مادة التمر من تلك الناحية... (٣).

وقد قام الاسبان بشن هجوم على بادي في سنة ١٥٦٣، كما شرع بعد فشل حملة حسن بن
 خير الدين في اعتقال وهران والمرسى الكبير في تلك السنة. ولكن خطتهم اخفقت هي الاخرى
 في اعتقال عبير بادي وفشلت في الاحتفاظ به بادي، ولا يعود الفضل في اسباط هذه
 الحملة الاسبانية التي كانت بقيادة سلنشود ومارتاز دوليفا (SANCHE DE LEYVE)
 الى جهود عبد الله وجهه وانما الى جهود اتراف الحامية، وجهود المجاهدين الاعرار في
 بادي المناطون المجاورة لهما الذين هبوا للدفاع عنها، وكبدوا الحملة خسائر كبيرة اضطرت
 قائدها في نهاية الامر الى الامر بالانسحاب (٤) في الوقت الذي انتهز فيه عبد الله
 موت مولاي سارامير ديدوني هذه السنة (١٥٦٣) المقدم على ضم امارته في شرق المغرب الى
 مملكته، وسلاطه المباشرة. وقد كان اميرها كما رأينا يترقب من اتراف الجزائر كما رأى في
 ذلك مصلحة له. او بسبب فائدة من وراء تقربه (٥).

(١) انظر جدول ولايته الثالثة فصل الحياة السياسية في الجزائر
 (٢) المرجع السابق ص ٣٦
 (٣) المرجع السابق ص ٢٤٥ ومارمول
 (٤) المرجع السابق ص ٢٩١
 (٥) المرجع السابق ص ٢٩١

وقد قاد الاسبان في السنة التالية (١٥٦٤) الروبادس وعبرها، في محطة ضخمة بقيادة دون كارسيا الدالالي نائب الملك في قتلونيا تتألف من ١٤٠٠٠ جندي من قوميات مختلفة اسبانية وبرتغالية وألمانية وإيطالية وسبعين غاليري ، نجحت في احتلال بادس ثم عبرها في ١٥٦٤/٩/٦ (١) . زعمت الافراج اسبانيا والبرتغال (٢) ، ان كان الوجود المشانسي في عبر بادس قد اغربهم وشواطئهم ايما ضرر ، وقد رت شسائرهم خلال فترة احتلال المشانسين لعبر بادس (١٥٥٤ - ١٥٦٤) بنحو مليون لوكات ، واكثر من اربعة آلاف اسير في خلال خمس سنوات (٣) . فقط واستراح عبد الله من جهته (وتنهى من الترك من تلك البلاد) (٤) . وكان اهل بادس قد استجدوا به (لعدم طمعهم بضمه سراى "بهاطئه" ونادى بالجهاد) (٥) . وخرج ابنه محمد على رأس جموع المسلمين ، ولكن خروجه كان متأخرا ، فبلغه خبر استيلاء بادس على بادس وعبرها عند وادى اللين باحواز فاس فقل راجعا ، وكان عبد الله الى دون ان يقوم بأى محاولة لاسترداد عبر بادس الى المغرب ما يؤكد ما ذهب اليه المؤلف السهول .

ويبدو عزم عبد الله على كسب ود الاسبان وصد اقتهم في وجهه خطرا لا تراه المحتمل ضده جليا في قتاله عام ٩٦٠ هـ / ١٥٦١ م على امارة بني راشد في شفشاون التي كانت تقوم بأعمال الجهاد ضد المراكز الاسبانية والبرتغالية في شمال المغرب . ثم في عزله لقائد تطوان في سنة ١٥٦٧ . الذي كان يلقى الاسبان بأعمال الجهاد والفيلو البحري . وقد قام الاسبان من جهة اخرى في اعقاب نجاحهم في احتلال عبر بادس للمرة الثانية بمحاولة طعن مدخل تارون في سنة ١٥٦٤ ، للمحيلة دون تردد السفن الجزائرية المهيمنة ، ودون عرق غزاة تطوان أو دخولهم . الا ان محاولتهم ذهبت مباءة ، ان ان التيار مالميث ان جرف عظام السفن التي اغرقوها في المدخل ، وهي محطة بالسفوف وفتح مجالا لمرور سفينة كبيرة بكل سهولة (٦) .

ونتيجة لهذه النجاحات التي حققها الاسبان في بادس وعبرها وتطوان ، والتي حققها هو في شفشاون وبدو ، تنقص النفوذ المشانسي في شمال المغرب وشرقه فشمرد عبد الله باطشنان اكبر على ملكته ، (وتنهى من الترك من تلك البلاد) . ثم اقدم على نقب

- (١) نفسه : ص ٢٠٥ وما يليها وم.م.ت.م فرنسا ج ١ ص ٢٦٤
- (٢) أنظر من آل سائر نفس المصدر ص ٢٤٢
- (٣) المرجع السابق ص ٣٧
- (٤) (٥) المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٤
- (٦) مرمول : المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٤

الصلح الذي قام به بعد بعض الصلحا بينه وبين اخوته في اعتابتيام هؤلاء بحركة مناوئة ضده
باءت بالفشل (١) . فعاد هؤلاء للشكوى من اخيهم عبد الله (٢) . وانتهز حسن بن خير
الدين الفرصة ليعالج من السلطان المشاني بالحاج ارسال الاسطول المشاني الى الجزائر
لضرب الاسبان في وهران والعمر الكبر ، وحليفهم عبد الله الذي ظهر عداؤه للاتراك من
خلال مواقف عديدة ، كموقفه من احتلال بادس وحبرها من قبل الاسبان على سبيل المثال .
ولكن السلطان المشاني اثر ضرب الاسبان وحلفائهم ابتداء من جزيرة مالطة ، ثم
التفرغ بعد ذلك لحيد الله ، وجاء في جوابه لطلب حسن بن خير الدين بهذا الضد ما يلي :
(... . وحتى واجبات هذه الغزوة الشريفة بمشيئة الله الاعز ، فاذا اصر حاكم قاس المومني
اليه (عبد الله) على العداء والخلاف ، ولم يصل الى طريق الصلح والصلاح فان رده عن
تصرفاته سيكون من واجبات السلطنة ، ويجب الاعداد له من اوان الوقت والفرصة المناسبة .)
ويبدو ان عبد الله شعر بالاعتمادات التي كان يبنيها حسن بن خير الدين في الجزائر ،
لذلك الاعتمادات التي كانت بقصد المشاركة في الحملة على مالطة ، فغشي أن تكون موجهة
ضده ، لان حسن بن خير الدين تكتم عن وجهتها ، فتقرب من هذا الاخير ، وعقد معه
تحالفا ضد الاسبان في النصف الاول من عام ١٥٦٥ م . وذلك بلخ ذروة التذبذب بين الاسبان
والاتراك المشمايين .

ولا تزال القضاة يمين .
على ان هذا الاتفاق قد يكون تم بحدارة من حسين بن خير الدين نفسه حيث كان هذا
الاخير في زيارة ماسة الى الاطليثان على الجزائر قبل ان يغيب عنها مع معظم قواتها للمشاركة
في الحملة على مالطه ، مستغلا على الارجح مخاوف عبد الله .
وقد اشارت الى التحالف الجزائري المغربي المذكور وثيقة انكليزية بتاريخ ١٥٦٥/٦/٣٠
جاء فيها : ((قد انتهى الى سح الطك "فيليب الثاني" ان ملك الجزائر "حسن بن خير
الدين" كوالشريف "عبد الله بن محمد الشيخ" ، قد عقدوا بينهما حلفا عظيما ، وانهما بموجب
قد صمما الحزم على مناصرة وهران ، وبناء على هذا النبأ فان الملك فيليب الثاني قد عهد
الى جوليان رومير ورئيس المعسكر بأن يضع في وهران ألف جندي زيادة على العدد المعتاد
هناك من الجنود)) (٤)

- (١) م.م. ت.م. السليمانيا ج ٣ ص ٢٠٨ - ٢٠٩
 (٢) صفحة دفترى رقم ٦ ص ٤٥١ بتاريخ ٧ / ٢٢٩ هـ وليس محروفا فيما لدى من الوثائق مضمون هذا الدلع الا ان يكون ما سبقت الاشارة اليه وهو تعهد عبد الله بتقديم المكون المادى لاغوث في المحجر طالما هو على قيد الحياة
 (٣) نفسه
 (٤) م.م. ت.م. النكتة - راجد ٨ ص ٨٥ و محمد بن تاويت : من زوايا القامح المغربي في تلوان عدد ٧ المحررب ١٩٦٧ ص ١٠ - ١٠١

ولكن هذا التحالف لم يظهر له اثر ملموس في عمل مشترك ضد الاسبان. غير ان ثوبا من حسن الجوار بين البلدين قد سـ في هذه السنة ١٥٦٥ وفي السنوات التالية على الرغم من أن الحطة على مالطة ، قد اخفقت . وكان من الممكن ان يستغلها السلطان المغربي ، وهذا سمح لعبد الله وللمغرب ان يمشيا في حدوده واستقرار قلما عرفاه في الماضي (وكانت ايامه ايام رقابية وعافية) (١) . كما سمح لمحمد بن صالح رايـس الذي خلف حسن بن خير الدين في مالمع سنة ١٥٦٧ بأن يلتفت الى حل النزاع الذي كان قائما بين طائفة الرياس والجند الانكشاري والى مشكلة الامن الداخلي، وغير ذلك من القضايا التي كانت ما انفكت تتفاقم (٢) .

وسمح كذلك للملج علي الذي خلفه محمد بن صالح رايـس ان ينفذ حملته على تونس في سنة ١٥٦٩ ، بعد ان فشل مشروعه لتحريره وهران والعريـس الكبير . وأن يفكر في الانتقال بعد ذلك الى الاندلس لقيادة ثورتها ، وفي مشاريع اخرى طموحة ، اتخضت فيها بعد كرهته في ضم المغرب الاقصى ايضا تحت لواء الدولة العثمانية تمهيدا فيما يبدو للاستقلال بكل شمال افريقيا عن الدولة العثمانية (٣) .

وقد بدا عهد الله خلال السنوات الاخيرة من عهده كأنه سـ من على إيمان انظار الاتراك العثمانيين عن المغرب ما أمكنه ، ان لم يحاول عرقلة مشاريعهم التوسعية نحو الشرق ، ولم ينتهز فرصة لشغالهم بحملتهم على تونس ليقيم بعمل عدائي ضد الجزائر ، ما كان قد يثير جيرانه عليه . وهذا الميل المتبادل الى السلام بين اتراك الجزائر العثمانيين والسلطان عبد الله السعدي في النصف الثاني من العقد السابع ، من القرن السادس عشر لم يكن لمرضي اخوة عبد الله في الجزائر الذين كانوا يودون منازعته في الحكم ، ويرغبون في مساعدة الاتراك لهم . فقام عبد الله الذي يفس من مساعدة الاتراك له بطرق باب الاسبان هو الآخر ، وهو في الجزائر على يعمل منهم على ما يحق به طموحاته ولو على حساب الذين أكرموه وآووه .

وتذكر الوثائق الاسبانية انه اخذ منذ سنة ١٥٦٩ يجرى اتصالات سرية مع الاسبان بواسطة أندريا غاسبارو كورسو (Andria Gasparo Corso) ، واخوة الذين كانوا يترددون على الجزائر ويتظاهرون بالاشتغال بالتجارة ، واقتداء الاسرى ، وهم يشتغلون في نفس الوقت بالجوسة والاستخبارات . (٤) .

- (١) المجمع ول : المرجع السابق ص ٣٦ وانظر فصل الحياة السياسية في الجزائر
(٢) مايدو : المرجع السابق ص ١٣١ والحياة السياسية في الجزائر
(٣) المرجع السابق ص ١٣٦ - ١٤٣ والحياة السياسية في الجزائر
(٤) انظر عن الاخوة غاسبارو وهم أندريا ، فرانسيسكو ، فيليب ، وماريانو وخامس غير معروف الاسم م . م . م . م ، اسبانيا ج ٣ ص ١٥٧ - ١٥٩

ومنذ الاتصالات الاولى ابدى عبد الملك رغبته في التنازل مع فيليب الثاني ، واستعداداته للتمانق معه على طرد الاتراك العثمانيين من كل بلاد البربراطون ان يكون ملكا على كل (بلاد البربر الداخلية) ، وان يحصل فيليب الثاني على البلاد الداخلية ووضح انه يكفيه اذا لم يرد فيليب الثاني القيام بعملية على بلاد البربر ، ان يوفر له المسائل والسلاح فقط لاخراج الاتراك من شمال افريقيا في غضون عام ، وذلك بمساعدة اميرى كوكو وبني عباس اللذين عرضا عليه مرارا ان يكون على رأس ثورة عامة ضد الاتراك ، وكان تمت امرة هذين الاميرين خمسة عشر الفا من حملة السنادق النارية وكثير من الفرسان . وعرض عبد الملك في مقابل المال والسلاح المطلوب لاسبان ان يقدم اثنين من ابنا . اغوته ليكونا رعييتين لديهم (١) . ولكن الاسبان استاءوا في الحصول على المعلومات عن تحركات الاتراك ونواياهم (٢) ، ولم يمدوه بالمضيئ والسلاح كما كان يرغب ليسبق ما لا منه .

وبعد وان عبد الله الغالب بالله السعدى قد شجرت بالاتصالات اخيه عبد الملك مع الاسبان عبر الاخوة فاسبارو ، واتصالات اخيه عبد المؤمن بهم عبر حناكم وشران (٣) ، واتصالاتهما ببعض المنارية ، وتأمرهما عليه مع هؤلاء وأولئك ، فأوعز الى ابنه ، وولي عهده محمد نائبيه على فاس بأن يبحث من يفتال عبد المؤمن في طلمسان . فوجه محمد احد ثقاته لهذا الغرض ، وتظا عبر المبعوث بأنه هارب ، من المغرب اليه ، ناظم على السلطان وابنه ، راغب في خدمته ، ولما فاز بثقتهم اغتاله في احد ايام الجمعة من سنة ١٥٧١ (٤) . وهو بطلي . وتكن مسكن المودة ثانية الى الحضر . وعرض ان يحصل على مكافأة ، امر السلطان بقتله حتى يبرئ نفسه مما فعله (٥) .

وقد منح السلطان الثاني العثماني ولاية طلمسان بعد مقتله ، عبد المؤمن الى اخيه عبد الملك (طوى الوجه) الذى اعطيت لـ اخيه المتوفى ، وامرنا بحرية تصرفه بها كما كان ذلك لـ اخيه من قبله (. . .) (٦) . وحفظ لابنا عبد المؤمن ما كان لوالدهم من اقطاع ورواتب . (٧)

(١) انظر من هذه الاتصالات الاولى المصدر السابق ص ١٦٩ - ١٧٥

(٢) نفسه : ص ١٨٤ - ١٨٥

(٣) نفسه : ص ١٧٦ - ١٧٩

(٤) لم يقتل كما يعتقد طوريس في سنة ١٥٦٧ وانما في سنة ١٥٧١ انظر ملاحظة دفترية رقم ١٨

(٥) المصدر السابق ص ١٧٦ - ١٧٩

(٦) طوريس : المربح السابق ص ٤٢١

(٧) ملاحظة دفترية رقم ١٨ ص ١٥

ومالمشت الحازقات بين عبد الله السعدي وحكام الجزائر الاتراك المشانين ان تدور
في اعقاب مقتل عبد المؤمن الذي كان يتمتع كما تبين بكتابة خاصه في اثاره الجزائر ولدى
السلطان المشانين نفسه ، حتى ان هذا الاخبر كان قد ارسل اليه في سنة ١٥٦٣ غلطة
همايونية (سلطانية) لصدائقه واشلاصه المجهودين للدولة (١) .

وقد بدأ مقتل عبد المؤمن لينضاف الى عامل آشور لا شك انه ثان له اثره في تدمير الاتراك
على عبد الله ، وانني به تضيقه وتشديده العقاب على المراهبين الموالين للاتراك المثمانين
في المضرب ، من اتباع الطائفة اليوسفية بدعوى ظوهم ومحمدهم عن جادة الصواب ، فقتل
بعضهم وسجن آخرون .

وتمتجة لئلا، فإن السلطان العثماني سليم الثاني، أوعز إلى العلي علي باغدان محطة للهجوم على عهد الله مع عهد الملك، متى سنحت الظروف له . وهذا الايمار كان بتاريخ ٢٠ / ٦ / ١٥٧١ (٢) .

١٥٧١
ولم يكن بالامكان للملح علي ان ينفذ فيما تبقى من السنة اي هجوم على المغرب ، ذلك انه
ما لبث ان دعي للمشاركة في صد حملة صليبية ضخمة للدول الاربعة ضد الدولة العثمانية، وهي
الحملة التي انجزها امامها الاسطول العثماني، بحرمة في لبنان في ١٧ / ١٥٧١ ، بحيث
لم ينج منه غير السفن الجزائرية تقريبا بقيادة الملح علي الذي اسند اليه السلطان العثماني
سليم الثاني في اثرها مقاليد الاسطول العثماني ، ومنصب الاميراليا . فتأجل تنفيذ الحملة
على المغرب .

(٢)

على المغرب . (٣)
ولم تكن ظروف احمد اعراب الذي غلب العلاج عليا في الجزائر ، وهي ظروف ملهمه
الهزيمة في المعركة وما تبعها من مخاوف في الجزائر ان تكون هدفا لعملة مسيحية ضد ما لتسمح
له بتنفيذ العملة المزمعة سابقا على المغرب ، بل انه سعى المغرب من عهد الله الغالب بالله ،
فارسل اليه حاجبي موراتو (مران) في آخر سنة ١٥٧٢ له ذلك تحالف بينهما . ولكن عهد الله
رفض استقبال هذا المبعوث (٤) . وذلك فيما يبدو ، وخشية أن يثير غضب فيليب الثاني والاسبان

في هذه الظروف التي انهار فيها الاسطول الميثاني في ليانتي ، والتي كان فيها الاسبان وحلفاؤهم يحاربون استثمار انتصارهم المبكر . وربما ايضا لان شخصية العمود الجزار لم تكن محل الدنا لدى السلطان المغربي فهو صهر لاخته عبد الطيب ، وبواسطته كان هذا الاخير يسعى لدفعه على المساعدة التي تمكنه من انتزاع الطاب منه .

(1) مهقة د فتره رقم ٧ ص ٩٠٦ بتاريخ ٢٢/٥/١٣٧١ هـ
مهقة د فتره رقم ١٥ ص ١٠٦٧ - ١٠٦٨ بتاريخ ٢٦/١/١٣٧١ هـ

(٢) مهمة د فخرى ورقم ١٤ ص ٦٧ : الجزائر

(١) انظر فصل الحياة السياسية في الجزء
(٢) ١٨٥ - ١٨٦

(١) انظر فصل الحياة السياسية في الجرائد
(٢) م. م. ت. م. اسبانيا ج ٣ ع ١٨٤ - ١٨٥
(٣) هاشم ٣

وقد اثار رفض استقبال عبد الله للمبعوث الجزائري المذكور مخاوف كبيرة لدى احمد اعراب في الجزائر الذي توقع بهذه المناسبة ان يقدم السلطان المغربي على غزو تلمسان التي اسند حكمها لعبد الملوك (١). بعد مقتل عبد المؤمن في الوقت الذي كان فيه مهددا بحملة اسبانية، ومنشغلا بما وراء البحار، لم يهتم بمدينة الجزائر وأخمد ثورة بني عباس التي اشتد لها بها وثورة أهل قسنطينة. ونتيجة لهذه المخاوف بحث يطلب المدد من السلطان العثماني ويخبره بالوضع المتردي، كما اخبر ايضا الحلج عليا قائد الاسطول العثماني (٢). ولكن توقعات احمد اعراب لم تثبت كلها، قال حملة الاسبانية التي توقعها ضد الجزائر اتجهت الى تونس وانتزعت هذه الأخيرة من ايدي العثمانيين في اكتوبر ١٥٧٣، والسلطان السعدي لم يهاجم تلمسان، بل أرسل سفارة الى السلطان العثماني برئاسة ابي عبد الله محمد الدرعي التجديدي في سنة ٨٠٠ هـ / ٧٧ - ١٥٧٣، (قضى أمره ورجع الى المغرب) (٣). ولم يذكر ابن عسكرا الذي اشار الى هذه السفارة ما كان هذا الأرب، ولمعه كان توسيع موقفه من السفارة الجزائرية الأتفة المذكورة، والشكوك التي اثارها حوله احمد اعراب، وتجدد رغبته في السلام مسح اثرات الجزائر العثمانيين، ان كان في حاجة الى السلام محمدا لم يفرغ لأطماع الطاهي البرتغالي دون سياستين، الذي كان يهدد باسترجاع جميع المواقع التي عبرها السفديون، أو تغلغلها البرتغاليون نتيجة ظروفهم الصعبة، وفي طلبتها أغادير. مما جعل السلطان عبد الله يجرى تعصيمات لهذه الأخيرة على جناح السرعة (٤).

وفي السنة التي بحث فيها عبد الله السفارة كان الطاهي البرتغالي قد أعد حملة بحرية، ضخمة للمهاجمة المملوكين في المغرب. الا ان عاصفة شديدة أغرقت السفن وكل من فيها، ورمت بحبسها على ساحل أصيلا، حصل منها المفارقة على فناء كبيرة (٥). مما دفع الى احتمال ان يكون فرض السفارة ايضا طلب المساعدة العثمانية. ولم تثنى فترة طويلة على توجيههم للسفارة المذكورة حتى مات عبد الله متأثرا بمرض الدوس الحاد في ٢٧ رمضان ٨١١ هـ / جواني

١٥٧٤ هـ

- (١) مجلة دفتري رقم ١٨ ص ١٥
- (٢) فتاوى رقم ٢٢ ص ٢١٧ وانظر فصل الحياة السياسية في الجزائر
- (٣) ابن عسكرا: المرجع السابق ص ٦٩
- (٤) ابن عسكرا: المرجع السابق ص ١١٩
- (٥) الجبالي: المرجع السابق ص ٣٤٨

ولو شئنا تقويم العلاقات بين الجزائر والمغرب في عهده لقلنا انها كانت متقلبة من المدا
في السنوات الاولى (١٥٥٢ - ١٥٦١) الى السلم المصوب بالمعذر خلال السنوات (١٥٦١ - ١٥٦٥)
١٥٦٥ ، الى التحالف غير الفعال في السنوات ١٥٦٥ - ١٥٧٠ ، الى الفتور في السنوات
الاعيرة (١٥٧١ - ١٥٧٤) . ولقررنا بشئ من اليقين ان الثقة بينه وبين حكام الجزائر كانت دوما
مفقودة لانه لان متأكدا من رغبتهم الحقيقية في السيطرة على المغرب في اية فرصة تمنح لهم كمسبا
كانوا هم واثقين بالمقابل بأن عهد الله لن يقبل اهدا بتحصينه للدولة العثمانية ، ولا بالامتداد
الجزائري الى المغرب ، بل سيعتصم اية مناسبة للهجوم على الجزائر لكسر طوق العتار الذي
احاط به من الشرق الوجود العثماني فيها ، واشهره بالهزلة في اقصى الزاوية الشمالية الغربية
الغربية من افريقيا ، ولو تحالف في سبيل ذلك مع الشهابان .
ولذا فان العلاقات بين الجزائر والمغرب في عهده لم تأخذ صورتها التعاونية والتي
كان يجب ان تكون ، المتصدى للاحتلال الاوربي لارض البلدين ، والمصالح الاوربية المختلفة
التي اشذت تتزايد .
وقد كانت وفاة عهده الله بداية لمرحلة جديدة في العلاقات
بين البلدين مختلفة عن هذه المرحلة ، كما سيقتضح في الفصل
التالي .

بإرادة السلطان العثماني عليه (١) . وهو ما لم يقبل به من سبته من السلاطين السعديين :
 ((... et que le prince lui meme reconnaissait la suzerainete de
 notre seigneur le sultan ...)).

برغاف ان هذه المحاولة تندرج في اطار محاولة تأويق محمود مع عبد الطاك ، الذي كان
 يسعى للحصول على المساعدة العسكرية من السلطان العثماني لانتزاع ملك المغرب منه ، كما
 ان يسنى من قبل الى انتزاع الملك من والده عبد الله . وهكذا فإنه في سبيل البقاء على عرش
 مغرب لم يتردد المتوكل في عرض الاعتراف بالتمعية ، وهو ما ان يأمل فيه السلاطين
 عثمانيون . ويصحبون الى تحقيقه منذ عهد محمد الشيخ كما رأينا . ولم ينجحوا فـ
 بسيفه سرا بالترغيب او التهيب . فهل نجحت محاولة المتوكل هذه ؟

حسب الجنابي الذي اشار الى هذه السفارة ، فان السفارة المغربية قد وصلت إلى
 ستانبول ، والسلطان العثماني سليم الثاني على فراش المرض الذي مات في اعقابها ، فاطـ
 وصول السفير المغربي ، والفرض من سفارته الى مراد الثالث (٢) . ما يعني ان السفارة
 المغربية التي كانت في مارس على الاقل في الجزائر (٣) . تأخر وصولها الى اوغدر عـ
 (١٥٧٤) حيث كانت وفاة السلطان سليم في ١٢ / ١٢ / ١٥٧٤ . وقد يكون حاجي مراد
 عبد الطاك قد عمل على جهده لتأخيرها ، احباطا لما حيها المشاهدة لصهره عبد الطاك
 تركها في الجزائر وذهب لعلام السلطان سليم الثاني بمصر . ولكن هذا لا يـ
 صدر امره لمرمان باشا الجزائر بوجوب ارسال السفارة المغربية على جناح السرعة ، رفقة
 حاجي مراد المذكور الذي كان يشغل حينئذ منصب امير لواء المديـ (بايلك التيطري) (٤) .
 على اثر استئذان السلطان مراد الثالث للسفارة المغربية ، بحسب رواية الجنابي جاءه عبد
 الطاك عم المتوكل على الله ، الذي مضى على لجوئه الى الجزائر نحو سبع عشرة سنة ، يطلب عون
 لسلطان ضد ابن اخيه ، ومسوغا ذلك بأنه احق منه في الملك (٥) . باعتباره اكبر منه
 سنا ، وان قاعدة انتقال الملك في المغرب كما وسماها بـ محمد القائم بأمر الله السـ
 تقتضي بأن يلي الملك الاكبر في الاسرة من الابناء .

وتتعرض من الملوك علي ، قبطان البحرية العثمانية ، وعديد من عبد الطاك منذ كان في الجزائر ،
 وافى السلطان العثماني على اعادة عبد الطاك ، ولكن لاقتصاصه في المغرب بينه وبين
 ابن اخيه (٦) . وصدر الامر لـ باشا بالتحرك معه لتنفيذ هذا القرار (٧) .

(١) الجنابي : المرجع السابق ٣٤

(٢) نفسه

(٣) مهمة دفتري : رقم ١٠٢ بتاريخ ١٢ / ١٢ / ١٥٧٤
 (٤) الجنابي : المرجع السابق ٣٤٩ ونظر حول هذا الغلافه السعدية الافرنج :
 (٥) الجنابي : المرجع السابق ٣٤٩
 (٦) الجنابي : المرجع السابق ٣٤٩
 (٧) نفسه : ٦٧

وهكذا يبدو ومعلوم هذه الرواية ان محاولة المتوكل لم تنجح تماما في اثناء السلطان
المشعاني عن مدة عهد الطاك . الا انها جعلت السلطان المشعاني يسمى للتوفيق
بين الاثنين بقسمة المغرب بينهما ، وذلك يرضي بسبب ذلك الطرفين ، ويحقق في الوقت
نفسه مد السيادة المشعانية على المغرب . وتذهب رواية اخرى الى ان عهد الطاك الذي شاركه
في تحرير تونس وعلمق الوادي في سنة ١٥٧٤ ، كما ذكر ، كان اول من بشر السلطان المشعاني
بالنصر عن طريق امه التي كانت تقم بدار السلطان ، ان نجح رسله في ايهال الخبر اليه
قبل وصول البريد الرسمي المرسل من قبل قائد الحملة سنان باشا وكوعلج علي قائد الاسطول
وانتهزت فرحتهم بالانصر فطلبت منه ان يصدر امرا اليه باشا الزائر بالمسير في حملة من راسدها
لاخذ حق في طاك المغرب من ابن اخيه محمد المتوكل على الله . فلم يتردد في الاستجابة
لطلبها بعد ان تأكد من صدق النبأ من رسل قائد الحملة (١) . ولكن السلطان المشعاني
الذي كان مريضا مالمات ان توفي بعد ذلك بقليل ، قبل ان تنفذ الحملة على المغرب . وقد
ذكر سابقا ان السلطان سليمان الثاني كان قد اوعز للملح علي بالتحرك الى المغرب في حملة
مع عهد الطاك في ٢٠ / ٦ / ١٥٧١ ، اذا كانت الظروف مواتية ، ولكن الظروف لم تواته ولم
توات ايضا احمد اعراب الذي خلفه . واصدر بعد ذلك في ٢٥ / ١٠ / ١٧٩١ هـ علي
١١ / ٣ / ١٥٧٢ بوضع مقاطعات فاس ومراكش والسوون تحت تصرف عهد الطاك اذا تيسر
له اقتران تلك الولايات به كما كانت عليه ايام والده المتوفى (٢) . ما يعني الاعتراف من
الدولة المشعانية بعدم تجزئة المغرب .

ولكن موت السلطان قبل تنفيذ الحملة على المغرب جعل عهد الطاك مضطرا لتجديد طلب
المون من السلطان المشعاني الجديد ، وتجديد شروط ولائه وتبعية له ، حتى يأسر ريسان
باشا الزائر بالتحرك معه في حملة على المغرب . وملاحظ ان الرواية الثانية لا تشير الى ما ذكره
الجنابي من تقسيم المغرب بين عهد الطاك وابن اخيه محمد المتوكل على الله . ولكن مجرديات
الامور تدل كما سنرى على ان الاتراك المشعانيين لم يساعدوا عهد الطاك الا على أخذ مطبوعة
فاس ، ما يميز رواية الجنابي .

(١) المجهول : المرجع السابق ص ٤٦ - ٤٧ والاقراني النسخة ص ٦٢

(٢) مهجة دفتري رقم ١٢ ص ٥٤٤

الحملة الجزائرية الثالثة على المغرب : ١٥٧٦ - ١٨٤٤ م

كان هدف هذه الحملة كما المينا مساعدة عبد الملك على اخذ حقه في المكناس ، ولكن رمضان باشا الذي ظفقي امرا بالتحرك في حملة مع عبد الملك الى المغرب ، امتنع من تجريد الحملة ، ما لم يدفع عبد الملك تكاليفها ، او يتعهد بمرافقته احمد خطيبا يدفع تكاليفها بحد تنفيذ مرسومه ، فما كان من عبد الملك واخيه الا ان وافقا على الحل الثاني ، ان لم يكن لهما ماز ، للدفع حينئذ وقد ردت تكاليف تجهيز الحملة بخمسة الف مئقال ، وراتب الحملة ومؤنتها عن كل يوم عشرة آلاف مئقال الى يوم رجوعها ، (واعطيا خطا ليدبها) (١) . على هذا الاساس . وتم تسهيل كل ذلك في دفتر بصفور القاضي والنفقها . وشهد رجال الانوار في اثر ذلك في التمهيد للمودة الى المغرب فوجها الرسل لشجعتهما فيه ، ولرؤساء القبائل ، يخبرانهم بامر الحملة ويدعونهم لان يكونوا على استعداد لمساندتها ، ويهددان من رفض الدخول في طاعتها (٢) . وقد كان لعبد الملك انصار من بين قادة المتوكل ، في فاس يرغبون في عودته الى المغرب ، واخذ الملك من ابن اخيه (٣) . ولا سيما من بين الاندلسيين ، ان كان هؤلاء يكرهون مولانا عبد الله ولده محمد لتخاذلها عن من مساعدة الاندلسيين في ثورتهم على الاسبان في الاندلس سنة ١٥٦١ ، وكانوا على استعداد للانتقام من محمد المتوكل على الله (٤) . وفي الوقت الذي كان فيه عبد الملك يسمى جاهدا للمصالح على مساعدة الاتراك العثمانيين له بمطالبة على المغرب ضد ابن اخيه محمد المتوكل على الله كان هذا الاخير يمد بدوره القوات ، ويجهز الاجناد اللازمة لمواجهة عمه كيتي توفر لديه ستة وثلاثون ألفا (٥) . كما كان يتقرب من اعداء الاتراك العثمانيين كالاسبان والبرتغاليين ، ويوطد الصداقة مع الانكليز على ان يستفيد من كل ذلك في تعزيز سلطته في المغرب ، وفي مواجهة الخطر الذي بات محققا ان ياتيه من جهة الشرق . فابدى رغبته لاسبان في التحالف معهم ، ورغبة معاونة للبرتغاليين (٦) . بعد ان خاض ضد ملكهم الشاب الطموح سيساجيان عدة معارك حول دلبنة في سنة ١٥٧٤ (٧) . وعقد مع اليزابيث ملكة انكلترا اتفاقية نصت

- (١) الزباني : المرجع السابق ص ٣٥٢ - ٣٥٣
- (٢) نفسه : المرجع السابق ص ١٦١
- (٣) ت. م. ٢٠٨ - ٢٠٩ و ٢٠٩ - ٢٠٨ م انكلترا ج ١ ص ١٥٣
- (٤) المرجع السابق ص ٤٨
- (٥) نفسه : ص ٤١
- (٦) ت. م. ٢٠٨ - ٢٠٩ و ٢٠٩ - ٢٠٨ م انكلترا ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ : الاستقصا ص ٥٥٠ ص ٥٥١
- (٧) ت. م. ٢٠٨ - ٢٠٩ و ٢٠٩ - ٢٠٨ م انكلترا ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ : الاستقصا ص ٥٥١ ص ٥٥٢

على تأسيس السفن الانكليزية من الغزاة المغاربة ، وعلى السماح للانكليز بالتجارة في المغرب ،
 بشرط دفع المشرع مع المساهمة المثل للتجارة المغربية ، وعلى خضوع الانكليز لما يرضح له المغربية
 من خراج وجهية ، وعلى ان يكون للانكليز سفير في المغرب وللمغاربة سفير في انكلترا (١) ،
 كانت الحملة الجزائرية الثالثة على المغرب تتألف من ستة آلاف من حملة البنادق الاتراك ،
 وألف من أهل زوايا اتباع امير كوكو ، وشانسة من السباعيين ونحو ستة آلاف من الفرسان العرب
 الآخرين ، واتت عشر مدفا وكليات كثيرة من القذائف والشظيرة (٢) ، وترأسها رمضان باشا
 نفسه ، ورافقه طاجما عبد الملك الذي اصطحب أخاه أحمد ، وداود وعمراني أخيه محمد
 المؤنس ، وغيرهم من اشياءه واتباعه (٣) .
 وقد اشذت الحملة في التحرك نحو فاس على طريق البر وتولتها سبع عشرة سفينة على طريق
 البحر ، وذلك في اواخر جانفي ١٥٧٦ م (شوال ٩٨٣ هـ) . وصلت دون اى مقاومة حتى
 مشارف فاس في اوائل مارس ١٥٧٦ ذى الحجة ٩٨٣ هـ وهناك وجدت في مواجهة قوات المتوكل
 على الله المؤلفة من نحو ثلاثين الف فارس مغربي ، وشملها من المشاة بينهم نحو ثلاثة آلاف مسن
 حملة البنادق النارية الملقح والاندلسيين (٥) ، وعدد كبير من الانقاض (المدافع) .
 وولما التقى الجانبان بالركن من احواز فاس " قبل الثامن من مارس ١٥٧٦ (٦) ، سيطر
 عسكر أهل الاندلس الى عهد الملك وجروا عليه الهزيمة على سلطانهم " محمد المتوكل على الله " .
 حسبما وقع الاتفاق على ذلك (٧) . بالمراسلات على يد ابي الفضل المغربي (٨) ، المتوسط في
 ذلك (٩) .

ومن مال ايضا عن محمد المتوكل الى عهد الملك اولاد عمران وغيرهم ، واشيع كذبا
 للمتوكل ان قائده وخدمته ابن شقراء قد مال ايضا الى عهد الملك . ودون ان يتحقق المتوكل
 من الامر فربلا الى فاس ومنها الى مراكش طائفا ان جنده كله سيفعل مثل الاندلسيين ، واولاد
 عمران ، وترك محله واشقاله (١٠) . وفي الفد استولى عليها جيش الجزائر وعهد الملك
 ابن طويت : من زوايا التاريخ المغربي . في مجلة تلوان عدد ٣ - ٤ المغرب ١٩٥٨

- (١) ١٩٥١ ص ٥٣ - ٥٤
- (٢) هایدو : المصدر السابق ص ٦١ . وهناك اختلاف في الاحداد التي ذكرها هایدو والتي
 ذكرها غيره كالمجهول : المرجع السابق ص ٤٨ . وخنده ان الحملة كانت تتألف من
 اربعة آلاف من الترك وشرذمة طلبة من اولاد العرب وفي وثيقة مجهولة المؤلف ايضا
 عدد الاتراك عشرة آلاف انظر ابن طويت من زوايا التاريخ المغربي في تلوان عدد ٩
- (٣) المجهول : المرجع السابق ص ٤٨
- (٤) ٢٢٢ - ٢٢٩ ص ٢٢٢
- (٥) هایدو : المرجع السابق ص ١٦١
- (٦) انظر هایدو : المرجع السابق ص ٢٢٢ - ٢٢٣
- (٧) عدد ٢٢٩ ص ٢٢٩
- (٨) انظر هایدو : المرجع السابق ص ١٨٠ . وهو اندلسي انتقل الى الجزائر ودخل في
 خدمة عبد الملك الذي اتخذه سفيراً الى اشياءه في المغرب .
- (٩) نفس المرجع ص ٤٧
- (١٠) المجهول : المرجع السابق ص ٤٩ - ٥١ والاقراني النزعة ص ٦٢

ونادى بهذا الاغدير بالامان والمغفو ، ورحب بمن اراد الانضمام اليه والانسواء تحت لوائه .
 فالتأمت عليه مئة ابن اخيه وجاءه اهل فاس واعيانها وهنأوه بالمنازعة وما يملوه بهمة عامة حسن
 رضا منهم ، ولم يتدخل فيها احد منهم (١) . وفي اليوم التالي دخل عبد الملك مع
 رمضان باشا الى فاس (٢) ، بدون اى معارضة ، واستقبل فيها استقبالا حسنا (٣) . وما
 كان عبد الملك يستقر في المدينة حتى يادر الى اقتراض المال من اهلها كل حسب استطاعته
 لتسديد ثلث ليف المحلة وكفاة افرادها ، ان أن ما وجدته في خزينة ابن اخيه من مال وسلع
 وغيرها كان غير كاف بحيث ان هذا لاخير قد اخذ قبل مغادرته لفاس ما أمثته منها وان اهل
 فاس قد نهروا ، بهيد فرار المتوكل من المدينة الكثيرة من ذنائه (٤) . ولم تضى سوى ايام
 قليلة (٥) حتى دخل عبد الملك مع جيش الجزائر الى فاس حتى دفع هذا الاشرار بطون
 عليه دفعه من المال لاتراء الجزائر ، وهو خمسة الف شقال ذهبي عن اقامة المحلة وأربعة
 وعشرين الف شقال من عدد الايام التي استغرقتها المحلة وهو اثنان واربعون يوما بمعدل
 عشرة آلاف شقال من كل يوم (٦) ، واعطى لكل واحد من جيش الجزائر اربعين أو ثمانية
 بقشيشا (٧) . وعهدية لحكومة الجزائر تتألف من عشرين نفلا من الانفاض التي تركها محمد
 المتوكل في مملكته ومنها مدفع ذو تسعة افواه ، وسواج وتصف وشيل معتبره ، وخمائل ، و
 ديق وسيف ، وثلاثين (٨) ، ومئة من المستعبدين المسلمين الذين كانوا عند ابن اخيه فاسي
 فاس (٩) . فاندرجت المحلة الجزائرية عائدة الى الجزائر في اواسط شهر مارس ١٥٧٦ م
 دون ان تبا حله . على بسط نفوذه على بقية اناس المغرب ولا سيما بنوكم ما يعني ان الامر
 بمساعدته كان لاخذ فاس كما اشار الى ذلك الجنابي . وسارع عبد الملك في وداع المحلة
 الجزائرية حتى اجتاز قنطرة نهر سوس (١٠) . ووجه معها احد خدامه لياثمه بخط يده
 ويخط يد اخيه من الجزائر (١١) .

- (١) هايدو المصدر السابق ص ١٦٢ والمجهول: نفسا المرجع السابق ص ٢٥
- (٢) حسب النزعة و: رة الحال فان الدخول الى فاس كان في اواسط شهر مارس ١٥٧٦ م
- (٣) اواخر مارس ١٥٧٦ م ولكن حسب رسالته لمجد الملك فان الدخول يكون قد تم في ١٥٧٦/٣/٨
- (٤) انظر الافرائي في النزعة ص ٦٣ وابن القاوي : الدرة ص ٣٥ وسانتي ١ من ٢٠٠٢ ت ٤٠
- (٥) اسبانيا ص ٢٢٢-٢٢٣
- (٦) هايدو المصدر السابق ص ١٦٢ والمجهول نفسا المرجع السابق ص ٢٥
- (٧) المرجع السابق ص ٢٥٣
- (٨) ثلاثة ايام عند الزياني : المرجع السابق ص ٢٥٣
- (٩) نفسه : والمجهول المرجع السابق ص ٢٥
- (١٠) نفسه : وخذه الشقال الواحد يساوي ٥٠ اواق ص ٤٧ وعليه فان ٤٠ وقية تساوي نحو
 تسعة مائتين مائة مائة .
- (١١) نفسه : ص ٢٥
- (١٢) هايدو : المرجع السابق ص ١٦٢
- (١٣) المجهول : المرجع السابق ص ٢٥
- (١٤) الزياني : المرجع السابق ص ٢٥٣

وطبيعة لطايف ترك له رمضان باشا الفرقة الزاوية المؤلفة من المئتين وثمانين وثلاثمائة من
الأتراك (١) ، وزعمهم على جميع أنحاء المغرب ولم يحتفظ بأحد منهم لمصر (٢) .
وهكذا كانت السلطة الجزائرية الثالثة على المغرب وهي الثانية التي نجحت فسي
لوصول الوفاق ، والدخول إليها ، إلا أنها عادت ادراجها دون ان تستغلها ، أو
تقل غيرا من الحواجر المغربية ، مكتفية بمثلها من الولاة التي أبداها عبد الملك الذي
تتصب سلطانا في فاس ، وحلائم التبعية التي تسبب بها من قبل مثل تقديم الهدايا للسلطان
وقراءة الخطب على المنابر باسم السلطان المصنعي (٣) ، وهو ما تسبب به قبله أيضا أبو
حسن الرباطي .
ولا تميز الوثائق إلى أية متابعة من جنود الحملة الجزائرية الثالثة لسكان فاس ونواحيها ،
كما حدث في بابان الحملة الأولى سنة ١٥٥٤ إذ اتخذت الحملة معسكرا لها على بعد ميل
واحد من المدينة (٤) . بل إن المغاربة في المدن الساحلية التي قصدتها السفن الجزائرية
هبطوا بالأتراك المصنعيين للفوائد التي يفتهم أن يحصلوا عليها من توسع نفوذهم في البحر ومن غنائم الغزو البحري
وغيرها من الأسبان والبرتغاليين من امتداد النفوذ المصنعي إلى المغرب .
وقد أثارت السلطة الجزائرية على المغرب ، وبما قسم منها فيه ، في خدمة عبد الملك ،
وتردد السفن الجزائرية على الموانئ المغربية الشمالية ، مخاوف كبيرة لدى الأسبان والبرتغاليين ،
تردد صداعا في وثائقهم ، فقد كان يخشى أن يكون هدف الحملة الجزائرية ليس فقط الاستيلاء
على مملكة فاس ولكن أيضا مهاجمة أسبانيا بعد ذلك الأمر الذي جعل بعضهم يبحث فيليب
الثاني على أنه أن كامل الاحتياطات لصد أي هجوم محتمل على أسبانيا ، وللتدخل في المغرب
إذا دعا الأمر لهم المتوكل إذا ما انهزم ، ولمهاجمة الجزائر إذا انتسرت السلطة الجزائرية على
المغرب ، وأول تقديم الدعوى إلى عبد الملك أن يحتاج إليه لطرد الأتراك من بلاده (٥) .
وتهدد مخاوف البرتغاليين من الأهداف الحقيقية للأتراك المصنعيين في المغرب في رسالة
دون خوان دوسيلفا إلى فيليب الثاني وهي بتاريخ ١٥٧٦/٤/٢ . وفيها أن البرتغاليين
وفي مقدمتهم الملك سيستبان يخشون أن يكون الأتراك المصنعيون قد جاؤا إلى المغرب ليس
فقط لمساعدة عبد الملك ولكن للاستيلاء على موانئ المغرب ولا سيما ميناء المراكش الذي يمكن أن
(١) حسب وثيقة معايرة ترك له ١٥٠٠ انظر م. ت. م. أسبانيا ٣ ص ٢٥٨ - ٢٦١ وانظر هايدو :

(١) المصدر السابق ص ١٦٢

(٢) نفس الوثيقة السابقة

(٣) المرجع السابق ص ٥٢

(٤) م. ت. م. أسبانيا ٣ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ (هذه الوثيقة بتاريخ ٢٤ مارس ١٥٧٦ وهي رسالة

(٥) م. ت. م. أسبانيا ٣ ص ١٦٦ وما يليها

(٦) م. ت. م. أسبانيا ٣ ص ١٦٦ وما يليها

توجب وعده اسطولاً تركياً هالماً ، الامر الذي يبرهن للخيل من اسبانيا والبرتغال على السواء
 الذي يستوجب من الملكين البرتغالي والاسباني اتخاذ التدبير الوقائي المناسب لهذه المواقف (١)
 وكان من رأي الملك البرتغالي الشياطة في ترك ركة لا تطل ميناء المرائش ، وتضمنه قبيل
 يخطه الاتراك ، وبولوا دون كل ملاحنة في المحيط ، ويهددوا سكان السواطي ، ويحققوا
 ما ارادوا (٢) ، وبعد دون سانشو وليفا فيليب الثاني في رسالته اليه المؤرخة بـ ٢٣ / ٤ /
 ١٥٧١ الى ضرورة تقوية القواعد الاسبانية - الافريقية كودران والموسى الكبير ومطلة ومضى المدن
 الاسبانية الساحلية الجنوبية كقريطاجنة والمريه وجبل طارق ، وتهدد بهم بلنجه وتسعين سبت (٣)
 ونتيجة للمعاويف الكبيرة التي اثارتها الحملة الجزائرية على المغرب لدى الاسبان ، اصدر
 فيليب الثاني اوامره بتقوية القواعد الاسبانية في المغرب والمدن الساحلية الاندلسية ، وارسال قطع
 من الاسطول الاسباني الى مطلة ، تحسباً لاي هجوم تركي عليها . واشير من جديد الحديث
 من طرف مدخل مرسى مارشينا وبناء حصن كبير عليه (٤) .
 اما سيديا مستيان ملك البرتغال فقد فكر جديداً في غزو المغرب واقتلال المرائش ولم يلبث
 ان شرع في اعداد حملة ضخمة لتحقيق طموحه وازالة منافسه . وحمل صحت معاويف الاسبان
 والبرتغاليين ما تردد لديهم قبل بدء الحملة الجزائرية من ان يهد الملك ينوي غزو وهران بطلب
 من الاندلسيين قبل غزو فاس (٥) . ثم شرعه في بناء السفن فور دخوله الى هذه الاخيرة .

علاقات عهد الملك مع اتراك الجزائر والدولة العثمانية بعد اعتلاء عرش المغرب : ١٥٧٦ - ١٥٧٨

لقد هادن عهد الملك كما تقدم الى دفع تكاليف الحملة الجزائرية فانصرفت هذه عائدة اليه
 الجزائر ولا يهدوان استعجال عهد الملك عودة الحملة الجزائرية فان دفع التكاليف
 التكاليف ان كان ملزماً بدفع عشرة آلاف من كل يوم ، ولكن ايضاً لا تخلص منها حتى لا يشغل عليه
 الاتراك بمطالب التهمة لهم (٦) ، ان كان يريد ان يسترجع استقلاله التام (٧) . وليكن
 في نهاية الامر لم يجرؤ حتى بعد عودتها على قطع الحملة باذلاله الجزائر والسلطان العثماني

- (١) ٤٠٢ م. ت. م. اسبانيا : ج ٣ ص ٢٢١ - ٢٢٤ رسالة الملك البرتغالي الى سفيره في اسبانيا وهي
- (٢) ٤٠٢ م. ت. م. انكترا : ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٦
- (٣) تاريخ : ١٥٧١ / ٤ / ١
- (٤) ٤٠٢ م. ت. م. اسبانيا : ج ٣ ص ٢٣٢ - هامش ١
- (٥) نفسه : ١٥٧٤ / ٤ / ١
- (٦) ٤٠٢ م. ت. م. انكترا : ج ١ ص ٥٣ ويهدوان الاندلسيين بالبروا مثل هذا الدلب لمتأكد وان من
- (٧) عداة لاسبان قبل ان ينعوه تأييدهم في صراعه مع ابن ابيه .
- (٨) صلاح الحقائق المغرب العربي ص ٥٦
- (٩) هنري تيريس تاريخ المغرب ج ٢ ص ١٨٥

دي عهد الملك من تحرير العديد منهم (١)،
وفي مارس ١٥٧٧ كان في الجزائر صيود من عهد الملك (٢)، إلا أنه لا يعرف بالضبط الذي
بناه من أجله. ولما به بعض افتدائه الأسرى الفرنسيين إذ توجب هذا لصيود مع سليمان شاوش
رمضان باشا، الوي تكان فاحضر هذا الأخير، من كان هناك من الأسرى الفرنسيين وأرسلهم
مع سفير الجزائر إلى فرنسا، ونزل الملك الفرنسي هنري الثالث إلى الخلاء سراج مولد الفرنسيين
على أنه قد تم طوى قوة نفوذ السلطان العثماني في المغرب (٣).
وقبل شهر ماي بحث رمضان باشا إلى مدك التابعة لمملكة فاس عساكره فأخذوا منها اربعة
آلاف ظفوري (٤). وقد أثارت حملة هذه التدخلات من باشا الجزائر عساكره استياء عهد الملك
سما جعله يقدم في اسرها شكواه إلى السلطان العثماني. وأخذت العلاقات بينه وبين الجزائر
في عهد رمضان باشا تتسوء نحو التوتر.
ولعل بحث هذه الاستفزات والتدخلات في المغرب كانت مقبولة من رمضان باشا الذي
لا يملك يد في ذلك تقرب عهد الملك من الاسبان، والاتصالات الجارية بين الطرفين في هذه الفترة
5- تقريب عهد الملك من الاسبان
في استئناف عهد الملك اتصالات مع فيليب الثاني في مالي سنة ١٥٧٧ برسالتين أحداهما
بتاريخ ١ جانفي والأخرى بتاريخ ٥ فيفري عرض فيها استمداده ورغبته في عقد اتفاق سلام مع
وحلف دفاعي وسياسي ضد الاتراك (٥).
وكان الاسبان وبيروانهم البرتغاليون متخوفين من علاقات عهد الملك مع الاتراك ومن ثم فانه
لم يحصل على جواب عن عروضه السابقة (٦). فبعث إلى فيليب الثاني رسالة أخرى بتاريخ
١٥٧٧/٤/١٦. طلبها إليه سفيره الاب مارين بيدد فيها رغبته السابقة في إبرام تحالف معه،
وحمل معه مقترحات جديدة أهمها :
- يتعهد بالآلا يكون له سفن حربية يمكن ان تلحق اضرارا بالشواطئ الاسبانية والبرتغالية
- ينتقم من القراصنة الذين يلحقون الاضرار بها اذا ملأوا إلى موانئ بطنية، وأعادتها
بدون مقابل.

(١) (٢) (٣) م. ت. م. فرنسا ج ١ ص ٢٢٥ تاريخ ١٧٩/٣/٢٥
(٤) م. ت. م. فرنسا ج ٣ ص ٣١٥ تاريخ ١٧٩/٣/٢٥
(٥) م. ت. م. فرنسا ج ٣ ص ٣١٥ تاريخ ١٧٩/٣/٢٥
(٦) م. ت. م. فرنسا ج ٣ ص ٣١٥ تاريخ ١٧٩/٣/٢٥
أمر هذا السفير واعتقد البرتغاليون انه جاسوس فرنسي
ما من ٢

لا يقدم لأي ملك الدعم ضد اسبانيا ولو كان يطلب من السلطات العثمانية ، وفي مقابل ذلك يتعهد له الملك الاسباني بأن يقدم له هونه اذا ما احتاج اليه في وقت (١) . ولكن الاسبان كانوا يرضون في ان يطرد عبد الملك مائديه من الاتراك العثمانيين الذين استبقاهم من الحادثة الجزائرية ، وان يسلم لفيليب الثاني الحوائض المغربية، حتى لا يتمكن الاتراك من احتلالها (٢) .

وفي اعقاب هذه السفارة والمروءات الجديدة، وجهه فيليب الثاني الى المغرب فرانسيسكو زونيجا (Francisco Zuniga) الذي كان له اعمال سابقة مع عبد الملك (٣) ، ليوافيه بمزيد من المحاولات من الوضع في المغرب وعن ببقية امر عبد الملك، فكتب اليه تقريرا مفصلا عن الوضع (٤) . وكان محتواه شبيها بمحتوى رسائله السابقة (٥) . واخيرا حرر البلاط الاسباني في اوائل ماي ١٥٥٧ الشروط التي ينبغي قبولها من قبل عبد الملك لاقامة السلام بين الطرفين، ومن هذه الشروط :

- ان يسلم عبد الملك ملك الاسبان عن الاعمال العدائية التي يعتزم السلطان العثماني القيام بها .
- الا يستند السلطان السعدي الى مهيكلات الاتراك ، واعداً الاسبان ، (الانكليز) دون ان يكون
- الا يستقبل في موانئه القراصنة الاتراك ، واعداء الاسبان ، (الانكليز) دون ان يكون

فيليب الثاني ملزماً بالمثل (مراعاة للمرتزاقين) .

ان تمنح سفن الاسبان وسفن حلفائهم الحرية في الدخول الى الموانئ المغربية .

ان يتبادل الطرفان الممنوع ضد السلطان العثماني (٦) .

كان من المقرر ان يحمل هذه الشروط مع رسالة لفيليب الثاني الى عبد الملك ، السفير الاسبق لهذا الاخير القبطان نابريت لولم يعتزم الملك البرتغالي على ذلك ، ويدالب هو في هذه السفارة بدعوى ان نابريت ما هو الا جاسوس (٧) . واجله كان يخشى ان يقبل عبد الملك بالشروط المذكورة، فلا يكون عنالك مبرر لتنفيذ حملته التي كان يعتزم القيام بها على المغرب .

والتي ضلها شوطا بعيدا في اعدادها ، فراجع فيليب الثاني من ارسال السفارة المذكورة

- (١) ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢١٠
- (٢) ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢١٠
- (٣) ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨
- (٤) محمد الحارثي الخطابي : امير سعدي في خدمة البلاط الاسباني ، في مجلة المناهل عدد ١٣٣ المجلد ١٩٧٨ ص ٨٧ - ٨٨
- (٥) ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢١٠
- (٦) ٢٠٢ - ٢٠٧ - ٢١٠
- (٧) نفسه : اسبانيا ج ٣ ص ٣٠٦ وهاش ١

شروع سلامه مع عبد الملك . ولعل ذلك لا يعود فقد الى رايته في ان لا يجد نفسه في حرج مع
 البرتغاليين الذي صمم على غزو المغرب ، ولكن ايضا الى عدم ثلته التامة في صدق نوايا عبد
 الملك ، اذ كانت اتصالات هذا الاخير مع اترك الجزائر والسلطان العثماني نفسه غير خافية
 عليه ، بفضل جواسيسه في المغرب ، وفي قصر السلطان نفسه و مكتبه الذين كانوا يواصلون

كل ما يدور بينه وبين الاتراك العثمانيين وغيرهم .

وكان كاتب عبد الملك نفسه حجي العرين يبحث سرا الى اسبانيا ينسخ من الوثائق التي
 كانت تصدر عن البلاط الملكي في المغرب (١) . وكذلك يكون قد ثبت لفيليب الثاني بدون شك
 ان عبد الملك كان يقترب من اعداء الاسبان كالانكليز والفرنسيين (٢) ، ويحافظ على علاقات طيبة
 مع السلطان العثماني ، في الوقت الذي كان يحاول التحالف معه ضدهم .

تاريخ عبد الملك بين الولا للاتراك والحذر من ~~الاسبان~~ . ففي ماي ١٥٧٧ بحث عبد الملك
 مع سي بن عبد النبي رسولا الى السلطان العثماني مراد الثالث وهدية ثمينة قد رها مئة ألف

دوكات ورسالة تطلب تاريخ اواسط صفر سنة ٩٨٥ هـ (حوالي ٤ ماي ١٥٧٧) جدد فيها
 امتنانه وتكره للسلطان العثماني واعترافه بسيادته وطلب حمايته وساعدته على جيرانه الكفار
 جاء فيها : (ما انا عليه مدين به للسلطان ، فهو سيدي وسلطاني . . . وبما ان الكفار يحطون
 بدينا من المراكز المهمة على ارضنا فمن نريد مهاجمة والتغلب فيها ، ونأمل من مساعدة
 السلطان ان نساعدنا في تحقيق هذا الغرض ، ونحن الآن نتوفر على اربعين سفينة
 لانه من الآن سوف لن نتوقف تأسلا فنا بحول الله عن القيام برايا . واذا كان سيدينا
 السلطان ساعدنا بموته فاننا نستطيع ان نهزم الكفار) (٣) .

ويبدو من هذه الرسالة ان عبد الملك قد تمكن للتعاون مع الاتراك ضد الاسبان الذين
 رفضوا التحالف معه ونجد البرتغاليين/مخوفا في استعداداتهم لغزو المغرب . وقد جاء في
 شهر ماي ١٥٧٧ رسول من الجزائر لاخباره عن تحركات الاسبان في العثماني (٦) ، الا ان
 سياسة عبد الملك للتعاون مع الاتراك ضد البرتغاليين ، ولا سيما ضد الاسبان لم يكن
 صادقا ولا قويا . اذ ظل ينشد صداقة فيليب الثاني ملك اسبانيا ، ويأمل ان يثني هذا الاخير

(١) محمد الشنقيط الخطابي : المرجع السابق ٨٨٨
 (٢) انظر عن علاقاته مع انكلترا وفرنسا مجلة تعاون عدد ٦٦ وفصل السياسة السياسية في المغرب
 (٣) م. م. م. فرنسا ج ١ ص ٣٥٧
 (٤) م. م. م. : المرجع السابق ص ٣٥٠
 (٥) م. م. م. : مرجع سابق ج ٣ ص ٣١٣
 (٦) م. م. م. : مرجع سابق ج ٣ ص ٣١٣

بذلك . واعتمادا على ماله من قدر وجهاء لدى السلطان المشماني ، ولدى باشا الجزائر لم يتروك
عبد الملك في ابداء استمداده لسفير الزاوية ملكة انكترا (ادمون هوجان) الذي وفد عليه
في جوان ١٥٧٧ ، لان يطلب من الاتراك ومن باشا الجزائر تقديم تسهيلات للسفن الانكليزية ،
ومعاملة مسخرة للتجارة الانكليزية فيها في تقرير السفير الى ملكته (١) . فانه سيكتب الى الاتراك ،
والى ملك الجزائر "السلطان" ويحث رسائله بان يعاملوا سفننا وتجارنا معاملة حسنة (٢) .
وتنفذا لوامر السلطان المشماني المذكورة ، ولا سيما الامور الاخير منها ، جرت بين حكام
الجزائر وعبد الملك اتصالات ومشاورات مكثفة حول ما يجب عمله ، امام مني ملك البرتغال فسي
اعداده لنزول المغرب ، واقدام حاكمه في طنجة على التدخل آسلا في يوليو ١٥٧٧ ، بتواطؤ
مع حاكمها عبد الكريم بن تود (٣) . صهر محمد المتوكل على الله المخلوع ، تمهيدا للتدخل
الاكبر . وفي هذا الاطار توجه الى المغرب عدة مبعوثين للتداول مع عبد الملك في المساعدة
التي يمكن ان يقدمها الاتراك المشمانيون له ، وفي الامور الاخرى التي تهتم البلد بهن . ومن
بين المبعوثين الجزائريين الذين توجسوا الى المغرب (٤) ، النصف الثاني من العام ١٥٧٧ م
حاجي مراد ، صهر عبد الملك والدعو سالم الجعفر (٥) وغيرهما .
وقد تردد في صيف هذا العام ان مبعوث الاسطول المشماني الى المغرب الغربي مؤكدا ،
مالم يحصل دون ذلك . وجرت المناقشات في الجزائر ان الراشا يقوم باستعدادات ضخمة
بهدف ضرب وهران وقادس (٦) .
وكان حاجي مراد صهر عبد الملك ، وهو احد الشخصيات المشمانية النشيطة البارزة
في الجزائر ، يهدف الاسبان اذا ما قدموا على مساعدة محمد المتوكل على الله المخلوع ليسترجع
ملكه فاس ، او لولا على سياسة سائلة لسياسة ملك البرتغال المعقده للسلطان المشماني ، واسترجاع
بالذهاب الى القنصلية لاهضار الاسطول المشماني ، لضرب وهران والمغرب الكبير ، واسترجاع
ملكه فاس لمغربه ، ومرتلة ملاحتهم مع الهند ، بدعوى ان موافقهم ذاك بشكل ايضا تهديدا
لولاية تلمسان والمغرب الجزائري (٧) .
ولكن عهد الملك كان غير متمسك فسي واقع الامر لاستخدام الاسطول المشماني للمغرب
المغرب لانه يعلم ان دعم الاتراك لا يكون خاليا من المصالح في بلاده ، ولانه لم يفقد فيما يبدو

- (١) ابن تاروت : من زوايا التاريخ المغربي في جوان ١٥٧٧ م
(٢) محمد الغربي المشماني : المرجع السابق ص ٨١
(٣) ابن تاروت : المرجع السابق و عدد ٨ ص ٦٦ و ٢٠٠ م . انكترا ج ٢ ص ٢٧٠ الى ٢٧٦
(٤) (٥) (٦) (٧) : م : اسبانيا : ج ٣ ص ٢٢٧ الى ٢٣١

الامل فيترجميع الاسبان والبرتغاليين عن تقديم الامون الى ابن اخيه محمد المتوكل المغلوع ومن التدخل في الحروب لاحتلال بعض اجزائه . عن طريق الاستمرار في محاولات التقرب منهم واستعداد مناوئهم منه ، يحرص التحالف معهم ضد الاتراء العثمانيين ، وابداء الاستعداد لاستبعاد مالدیه من الاتراء . ولم تكن هذه السياسة لقتال رضا صهره حاجي مراد ، وكساحل اتراء الجزائر ، فقام المذكور بعمله دعائية لم تكن بدو من اساس من السمعة مسميت اشاع في المغرب والجزائر ان البرتغاليين تحالفوا مع محمد المتوكل على الله لخنزور المغرب وطرد عبد الطيك منه ، والقضاء على اى وجود عثماني في هذا البلد ، ودعا - للعليلة دون ذلك - الى التدخل في المغرب ، واستيلاء الاتراء العثمانيين عليه (١) . مما يسمح بشن حرب على الاسبان والبرتغاليين في مقرر دارهم ، ويسمح من ثم بممرقة الملاحة الهندية ومراقبتها عن كتب (٢) . ولكن السلطان العثماني مال الى مسالمة الاسبان ، ثم بدا له ان يقد هدنة معهم ، كما مال الى عدم التدخل في المغرب بغرض احتلاله ، كما ورد في الاموال السابق الذكر ، فاحفقت دعوت الى احتلال المغرب .

بما ان السلام مع اسبانيا يعني تجميد نشاط غزاة الجزائر فان باشا الجزائر سعى الى التاثير على موقف السلطان من خلال عبد الطيك الذى بدا له انه يتمتع بحظوة كبيرة لدى السلطان العثماني ، وان كاحته نافذة لدى هذا الاخير فوجه له رسالة عمل اليه رسالة في ٢٥ نوفمبر ١٥٧٧ ، رجاه فيها ان يستعمل مالدیه من نفوذ وحظوة لدى السلطان العثماني لانشاء هذا الاخير عن توقيع الهدنة مع اسبانيا ودفعه لارسال الطليح علي مع الاسطول لتصفير وهران ، وان يوضح له بان انشغال فيليب الثاني بحروبه في الفلاندر (٣) . سوف لا تجعله يهب لانقاذ هذه القاعدة ، وانه من الممكن انتهاز هذه الفرصة لاستغلال شمال افريقيا من الاحتلال المسيحي . كسما رجاه في مال توقيع السلطان العثماني للهدنة (٤) ، ان يهاجم القواعد البرتغالية في المغرب ، بحيث تجد اسبانيا نفسها مضطرة الى مساعدة البرتغال ، وبذلك تنشق اتفاق الهدنة (٥) . وقد كانت هذه الرسالة مكتوبة بالالمانية ، وحتى يفهمها عبد الطيك

- (١) (٢) ١٥٠٢ م . تم اسبانيا : ج ٣ ص ٣٣٢
 (٣) كانت الاراضي المنخفضة قد ثارت ضد الاسبان في سنة ١٥٦٧ ثم في سنة ١٥٧٣ . اخضعت الولايات العشر الى نوبية للتاج الاسباني اما المقاطعات الـ الشمالية فاستمرت نائرة تحت وليم اورانج ، وفي سنة ١٥٧١ كونت اتسار اوتراخت ثم جمهوريات المقاطعات المتحدة انظر : ليلى الصباغ : محالم تلويخ اوروبا الحديثة . دمشق ١٩٨١ ص ١٧٩
 (٤) لم توقع الهدنة الا في ١٥٧٨/٢/٧ انظر ارشيف سيمانكاس ٤٤٨٦
 (٥) ١٥٠٢ م . انكلترا : ج ١ ص ٢٦٧ وما بعدها

جيدا اعلمها الى اندريا غاسبارو كورسوليقرأها له، وكان هذا الأخير باسوسا لفيليب الثاني ،
يتنظا عر بالصدقة والمحببة لعبد الملك منذ كان في الجزائر . وقد حضر الى المغرب من
نهاية شهر اوت ١٥٧٧ ، وانتهى به عبد الملك الى احتفاء (١) .

ولم ينجح ان يبادر الى اعلام فيليب الثاني بما ورد في هذه الرسالة، وما ورد في الرسالة
الثانية التي طارها عبد الملك من باشا الجزائر في اثر الرسالة الاولى، في شهر نوفمبر ايضا (٢) .
وفي هذه الأخيرة طلب من فينزيانو من السلطان العثماني ان يستقبل كل غزاة الجزائر
في مينائي العرائش وسلا اذا ما وقع السلطان العثماني الهدنة مع الاسبان . وابتدى له
مزايا استثنائية فقال له بهذا الصدد : ان بامكانه ان يعبروا لك قاعدتي بلنجة وسبعة
من المرتزاقين ووجودهم هناك ستستفيد من الخنائم التي يحصلون عليها من الاسبان ، ثم
ان هذا التبول هو بعد جدا الخلق عاليا الذي يحب غزاته كاولاده، ولكنه بسبب السلام الذي
يريد السلطان العثماني ان يلتزمه ، لا يجد كيف يستطعمهم (٣) .

وهذا الذي رضى الذي تقدم به باشا الجزائر الى عبد الملك يدفع الى التساؤل عما اذا لم
يكن قد قصد به ايضا التمهيد للاستقلال عن الدولة العثمانية ، واقامة تحالف جزائري عسري
في مقابل التنازل العثماني لاسباني .

وقد نصح اندريا غاسبارو كورسولي عبد الملك بعدم استقدام الاسطول العثماني ، وكذا
بعدم استقبال قراصنة الجزائر في مينائي العرائش وسلا ، زائما له ان سيمى هؤلاء الى المغرب
لا يغني حوزته ، وانما يفقروا ان جميعهم سيمسوا بالتجار المسيحيين عن ممتلكته . اما
الاستيلاء على القواعد البرتغالية بمساعدة الاتراك فسيكون شاهدا على عجزه ، ونصحها ايضا بان
يستبعد ما لديه من الاتراك ، وكان عدد هم نحو خمسة بدعوى ان رعاياه يشتكون من تصرفاتهم (٤) .
وسمى رسالة اندريا الى فانكيت سكرتير فيليب الثاني، فان ناسحه قد جعلت عبد الملك
يقرب في الجواب على رسالة الاتراك ويؤخر عودة السفير الجزائري (٥) .

وكما تقرر بعد الملك دونه السلطان العثماني رشح الحاج صبره . ولستعداد له للذهاب
الى استانبول لاجتماعه ، فقد توجب ايضا ايواء كل غزاة الجزائر كما طلب حسن باشا ، على الرغم
من ان الدولة العثمانية قد وقعت الهدنة وذلك في (٦) . ونحن هناك ما يشير الى انه عمل على

(١) ابن الخليل من زوايا التاريخ المغربي . في مجلة تلوان عدد ٨ ص ٦٢-٦٥
(٢) انكسار ١٦٧٧ (رسالة اندريا الى فانكيت في ٢٨/١/١٥٧٧)
(٣) انكسار ١٦٧٧ (رسالة اندريا الى فانكيت في ٢٨/١/١٥٧٧)
(٤) انكسار ١٦٧٧ (رسالة اندريا الى فانكيت في ٢٨/١/١٥٧٧)
(٥) انكسار ١٦٧٧ (رسالة اندريا الى فانكيت في ٢٨/١/١٥٧٧)
(٦) انكسار ١٦٧٧ (رسالة اندريا الى فانكيت في ٢٨/١/١٥٧٧)

أحبائهم، وفق المصلح الذي ذكره باشا الجزائر في رسالته الأولى .
 ويستدل من كل ذلك ان عهد الملك لم يكن متعسما للتعاون مع باشا الجزائر او حتى
 مع صهره ، ولا سيما اذا كان في هذا التعاون ما قد يثير غضب السلطان المشايخي نفسه ،
 الذي كان يتنزه دائما في وجه حكام الجزائر واطماعهم ، ان يبعده نهائيا عن فلسطين الليباني ،
 الذي كان يريد ان يتخذ له جالما لسيا .

ويتضح مما سبق ان لاندريا غسبارو كورسو تأثيرا قويا على موقف عهد الملك ، ويتجلى
 تأثيره اكثر فيما سيأتي .

لقد كان الدافع الحقيقي لذهاب اندريا الى المغرب ليس تهنئة عهد الملك بالملك
 فقط كما تنقلنا ، ولكن ايضا لتحقيق ثلاثة اهداف رئيسية : (١) هي :

١- دفع عهد الملك الى استخدام زوجته وابنه اسماعيل من الجزائر حتى يتسنى للاسبان جرة
 الى معاداة الاتراك ، وحتى لا يستغل الاتراك بقاء اسرته عند عم للضغط عليه ان هو أراد
 ان يبعد عنهم او يميل الى مخالفة اعدائهم .

٢- دفعه الى صرف الاتراك الذين كانوا في خدمته ، مما يثير العدواة بينه وبين الاتراك
 المشايخين فيصبح بالتالي اكثر طواعية للاستجابة الى الشروط التي يريد لها الاسبان من
 اجل التحالف بين الطرفين .

٣- دفع عهد الملك الى التحالف مع فيليب الثاني من اجل فتح اقالمة الجزائر على اساس ان
 يكون لعهد الملك السيادة على المناطق الداخلية ، وللفيليب الثاني السيادة على
 المناطق والحدود الخارجية . على ان يدفع عهد الملك مائة الف مطلق . (٢)
 والتعاقد على هذا الاساس مشروع قديم يعود الى سنة ١٥٦٩ حين كان عهد الملك

لاجئا في الجزائر . فهل حقق اندريا أغراضه ؟

اذا تتبعنا ما تحقق بعدد النقاط الثلاث وجدنا ان عهد الملك قد ارسل الى الجزائر
 في نوفمبر ١٥٧٧ سفينة لاستخدام زوجته وولده اسماعيل منها (٤) . هذا بالنسبة للنقطة
 الاولى ، اما بالنسبة للثانية فقد اعاد عهد الملك الاتراك الذين كانوا عنده فسلفي خدمته ،
 على امل الا يبرأهم البرتغاليون (٥) .

(١) (٢) ١٥٧٧ م . تم انقلترا ج ١ ص ٢٥٧ (اغراض اندريا كما تحد وفي رسالته الى اخيه فرانيسكو الى
 فيليب الثاني وهي بتاريخ ١٠/٢٢/١٥٧٧
 (٣) نفسه ، ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٥
 (٤) نفسه ، انكلترا ج ١ ص ٢٦٧
 (٥) نفسه ، ج ٣ ص ٤٠٣ - ٤٠٦

وأما بعدد النقلة الثالثة فقد طلب عبد الملك من اندريا أن يتوجه إلى البلاط الإسباني
 سفيراً عنه . إلا أن هذا الأخير اعتذر من الأيام بهذه الحجة . ودافع بأنه لم يكن مستعداً
 في المغرب لأمور سياسية . علماً أنه كان في الجزائر غير مستعد للامور السياسية أيضاً . ومنع
 ذلك فاته كان يقوم بنقل رسائل عبد الملك ورغباته إلى البلاط الإسباني . وقد اثار اعتذار اندريا
 دفاعاً دسيسة عبد الملك واستناراه . ولكن جاسوس فليبي الثاني الذي لم يلد عبد الملك ميلاً
 قويا إلى التحالف مع سبده ، كتب في رسالته إلى سترتير فليبي الثاني يقول : (ان عبد الملك
 لا يرغب في شيء أكثر من رغبت في لقاء مع ملك اسبانيا . . .) (١) .
 ويبدو ان عبد الملك الذي لم يستجب لعروض باشا الجزائر كان يأمل ان يجد موقفه
 هذا ، الودى الثانية ، التقدير اللائق عند فليبي الثاني وسيباستيان فيمتنعان بدورهما
 من مساعدة محمد المتوكل على الله الذي لجأ اليهما ، طالبا منهما لاسترجاع ملكة في المغرب
 منه ، ولا يقدمان على غزو المغرب . فهل تحقق أمسسه ؟
 اذا كان فليبي لم يقدم المساعدة لمحمد المتوكل على الله ، الذي لجأ اليه اول مرة فسي
 (نوفمبر ١٥٧٧) لأنه كان مشغولاً في تلك الفترة بعرضه في الاراضي المنخفضة ، وغير
 متحمس اصلاً فيما يبدو لغزو المغرب إلا مر الذي جعل الملك المنطوق يتصرف عنه إلى البرتغاليين
 في سبته وتآخيه . فان سيباستيان الذي قطع شوطاً بعيداً في الاعداد لحطه على المغرب ،
 لتسليمه بموقف عبد الملك الودى تجاه الاسبان والبرتغاليين ، فربح بمحمد المتوكل ، واتفق
 معه على غزو المغرب وتقسيمه (٢) . ومضى كل منهما في الاعداد جدياً للحملة المشتركة .
 اما موقف الدولة العثمانية من عبد الملك فلا يبدو انه تأثر من تقرب هذا الأخير من الاسبان ،
 ومن تقييمات بعض فنزبانو للسلطات العليا في الدولة العثمانية بمساعده في ذلك الاتجاه (٣) .
 وما يؤكد عدم تأثر العلاقات بين عبد الملك والدولة العثمانية في هذه الفترة التي سبقت وواكبت
 التدخل البرتغالي في المغرب في ١٥٧٨ أنه :
 - حين تأكد عزم البرتغاليين على غزو المغرب ارسل المطيع طي رسولاً إلى عبد الملك يهدي له
 استعداداًه للمعركة لمساعدته على رأس ١٥٠٠ غاليه (٤) . وطلب منه اعداد الحوون
 اللازمة لقوات الاسطول (٥) .
 - وصدر الامر إلى باشا الجزائر بمساعدة عبد الملك بأربعة آلاف وخمسة آلاف من الاتراك .
 وقد غادروا الجزائر في ماي ١٥٧٨ متساعدين انهم في . بطة لجمع الضرائب . (٥)

- (١) م.م.م.م. اشكترا ج. ١ ص ٢٦٧
 (٢) انظر تقسيمه في النهضة للافرائي في ص ٧٤ وفي فصل الحياة السياسية في المغرب
 (٣) دوغرامونج المربح السابق ص ١١٩
 (٤) (٥) م.م.م.م. م.م.م.م. ج. ٣ ص ٤٠٣ - ٤٠٦

وكان عهد الملك قبل معركة وادي المخازن في ١٥٧٨/٨/٤ على اتصال مع باشا الجزائر ،
 مع السلطان العثماني ، يبرزها عن تطور الاوضاع في المنطقة . (١) . وفي عشية معركة وادي
 المخازن ، لفت عهد الملك نثار الملك البرتغالي الى انه صديق السلطان العثماني (٢) اي أنه
 يمكن ان يستمد على موته ان احتاج اليه ، وهو حليف لا يستهان به في المواقف الصعبة . وعرض
 الدليج على السابق ، المذكور يؤكد انه كان بإمكان عهد الملك ان يتدخل في دعم كبير من الدولة العثمانية
 العثمانية لو شاء ذلك ، ولكنه لم يطلبه .
 ومرة اخرى انظر السلطان السعدي حرصه الشديد على في العلاقات العثمانية ، على
 ألا يستقدم الاسطول العثماني الى المغرب . ولا يبدو ما يبرر تسامحه بهذا الموقف غير مناوفاً
 من اطماع الاتراك العثمانيين في المغرب ، ولا سيما بعد ان عبرهم ، وعاشهم مدة نحو
 ١٨ سنة لس خلالها بدون شك نواياهم ، ودموعاتهم الى ضم المغرب تحت نفوذهم . ومع ان عهد
 الملك ربما لم يطلب مساعدة الاسطول الجزائري ، الذي يقل بكثير عن اسطول الدولة العثمانية ،
 والذي لم يشأ كما افصح استعداده ، فان حسن فينزيانو ، باشا الجزائر ، استغفر عشية العذاب
 بين المغاربة من جهة ، والبرتغاليين وسلفاتهم من جهة اخرى ، القوات البحرية الجزائرية
 وخرج في ٣٠ جويلية ١٥٧٨ (قبل اربعة ايام فقط من تاريخ معركة وادي المخازن الفاصلة بين
 الطرفين المذكورين) على رأس اشر عدد ممكن من السفن العربية الكبيرة والصغيرة (٢٦ سفينة) ،
 وتوجه نحو الشواطئ الاسبانية الجنوبية ، وشواطئ المغرب الشمالية (٣) . ومن هناك كان يرقب
 ما يجرى في المغرب ، وعلى استعداد تام لطية النداء تنفيذا لاوامر السلطان ((وفيمننا انما
 اعتدى اي باع على بلادنا والى الحصون منهم فلا تتوانوا عن ارسال القدر الكافي لمعاونتنا ومقاومتنا ،
 ودفع منافينا الاعداء على اياديه)) . ولم يمد الى الجزائر الا بعد انشغال سحب معركة وادي
 المخازن بنصر باعبر للمغاربة .

وانا كانت حملة حسن باشا لم تشارك مباشرة في المعركة فان (٤) سفينة جزائرية بقيادة
 سنان رايس قد كانت بالحرمان الاسفن البرتغالية التي حاولت النجاة والافلات من الكارثة التي حلت
 بحملة سياستان ، وتمكنت من إلحاق مزيد من الدمار بالبرتغاليين . (٥) .
 لقد كانت معركة وادي المخازن من الحوادث التاريخية الكبيرة في المغرب ، بين المغاربة
 والبرتغاليين وحلفائهم ضد جماعة المتوكل على الله ، وفيها مني البرتغاليون بهزيمة ساحقة .
 وفي هذه المعركة مات ثلاثة ملوك هم الملك سياستيان البرتغالي ، وابنه محمد المتوكل على
 الله والسلطان عبد الطيف السعدي ، فاستحققت بذلك هذه المعركة اسم معركة الملوك الثلاثة .

(١) م.م.م. : اسبانيا ١٥٣٠ - ١٥٦٠
 (٢) نفسه : فرنسا ١٥٦٠ - ١٥٦١
 (٣) انار من حملة فينزيانو : مايدو : المرجع السابق ١٢٦٠
 (٤) البناي : المغرب السابق ٣٥٢

وقد مات الملك الموحدي متأثراً بمرضه، ومات المتوكل فرقاً في النهري بعد محاولة
إخراجه، أما عبد الملك فقد فارق الحياة في أثناء المعركة، متأثراً بمرضه الذي اعتراه وهو فسي
الطريق قبل المعركة بعدة أيام، واشتد عليه نتيجة الاجتهاد والدركة (١)، وبينما لا تمضي
ورثائق المحاصرة أي دور للأتراك، أول للموالين لهم في موته، يمزوا ابن القاضي سبب وفاة
عبد الملك إلى تناوله سماً، ويمضي لقائد الأتراك دوراً في ذلك فيقول: (كان سبب وفاة
عبد الملك أنه سقي سماً، وذلك أن قائد الأتراك الذي كان معه واسمه رضوان الحلج، بمسحت
بعض قواده أن يلقاهم بكذاك سموم هدية لعبد الملك وقت جوارهم عليه، قصد بذلك قتله
بعد أخذه به مدينة فاس ليثبت لهم الملك فيها... (٢).

ونجد في الوثائق أن عبد الملك مرض مرضاً شديداً في أواخر سنة ١٥٧٧ ومطلع سنة
١٥٧٨ حتى أصبح أنه مات. (٣) ثم مرض وهو في الطريق إلى مواجهة سييستان، كما أشرنا، بمسح
أن تناول شيئاً من السمك، وشرب كثيراً من الماء، واكل قليلاً من الخبز فاتعمه ذلك وصار يتقيأ
سبب ذلك شيئاً من الدم والبرص في المعدة. وكان هذا الوجع يداوده حين وآخر (٤).
ويلاحظ من استعراض ما ألكه حين بدأه المرض كما ذكر ذلك طبيب عبد الملك الذي رافقه
في سيرته من مراكش إلى وادي المخازن (٥)، أن ليس هناك ذكر للكسك كما ذكر ابن القاضي،
بل كان مات تناوله في فلور صباح يوم ١٥٧٨/٨/٤ وهو يوم المعركة كان يتألف من مرق فيه لب الخبز،
ثلاثة فصوص من البيض الدار، وعند الساعة العاشرة أمر الطبيب الدمودي له بدجاجة مقلية
أخرى مطبوخة، ويطعمه ويهزأ به (فهل هو الكسك الذي أشا ر إليه ابن القاضي؟) فأكل
قليلاً من كل ذلك وشرب شيئاً من ماء القرع قبل الشروع في الأكل (٦)، ثم ارتدى لباسه واستلقى
رسه على الرغم من الطبيب فتوجه إلى ميدان المعركة لاستعراض قواته، ولما بدأت المعركة كان
في متن فرسه وقام بدركة غير مهيئة، ومال، وكاد يسقط واخذ إلى صفته حيث مات فوراً (٧)،
قبل أنه مات من الفج (٨).

- (١) انظر رسالة طبيب عبد الملك المرافق له في تطوان / عدد ٩ / للمغرب ١٩٦٤ ص ٤٠
(٢) ابن القاضي : الدرر ج ٢ ص ٢٢٤ ، الأقراني : النزعة ص ٢٢٧
(٣) انظر رسالة DON DUARTE / في / ٢٠٠٢ م : اسبانيا ج ٣ ص ٣٧٢
(٤) انظر رسالة الطبيب في المرجع السابق ص ٤١
(٥) نفسه : ص ٤٣
(٦) نفسه :
(٧) نفسه : ص ٤٤
(٨) الجنابي : المرجع السابق ص ٣٥٢

الجلاليات نحو التوسر (1578-1581)

بابي الماخرون في وادي الحمازن عقب انتهاء المعركة التي دارت هناك بين
 والبرتغالين ولفائفهم أحمد بن محمد الشيخ سلطاناً خلفاً لآخيه عبد الملك الذي وافاه
 أثناء المعركة . وأكد له البهجة مكان فاس ومراكش وسائر المناطق المغربية . وبهذه
 معرفة مجريات العلاقات بينه وبين إمالة الجزائر والدولة المشانية .
 ن البداية بلا شك أنه لم يكن لا تراك الجزائر للسلطان المشاني أن فضل في وصول أحمد
 ور إلى الملك في المغرب كما كان الأمر بالنسبة لآخيه عبد الملك ، بل أنهم حاولوا كما يبدو
 إمالة الأمر المحلول دون اعتلائه المرش المغربي ، ولا سيما في السنوات الأولى من ولاية أحمد
 الذي كان له تأثيره على العلاقات بين الطرفين ، وبين الإعلان عن وفاة عبد الملك بعد انتهائه
 سر كما سيظهر من خلال هذا المرض . فبين الإعلان عن وفاة عبد الملك بعد انتهائه
 كة وادي الحمازن ، سحر الموالين . لا تراك المشانيين من القادة الأندلسيين كـ محمد
 بن وغيره يتحررون فيما يبدو من الأتراك لتولية اسماعيل بن عبد الملك ذي الأم التركية ، بدلاً من
 المنصور ، وأخذوا ينادون بأحقية الأمير الصغير الموجود في الجزائر في الخلافة ، ولكن
 المشانية الماخرون لم يرضوا ، وجاءوا بمولاي أحمد ، وكان قد هرب واختفى خوفاً من أن يقتلوه ،
 بموه وجردوا سيوفهم ، ونادوا في المحلة بأعلى أصواتهم " الله ينصر مولاي أحمد " ، فبدأ
 ناس وسكنوا . وعثر بعد أن تمت البهجة لأحمد المنصور في وادي الحمازن ، حاول الموالين
 تراك من القادة الأندلسيين الاطاحة به عن طريق إثارة الجند ، وتأليبهم عليه . (٤) وبمقتضى
 لائحة الأتراك في جيش أحمد المنصور (ولعله محمد زرقون) الكافية سفنتين تركيتين كانتا
 وادي مارتيل يتطلعان لأخبار باشا الجزائر بالوضع في المغرب ، وليقول له أن الوقت قد حان ليستحوذ
 على المغرب ، كما يريد ذلك السلطان المشاني ، لأن السلطان المغربي الجديد ليس قادراً على
 الحفاظ على السلطة ، ولهم هناك غيره لتعويضه ، وأن الجيش التركي يمكن أن يأتي إلى المغرب
 بدون سلاح ، وأن السلاح متوافر بشكل كاف في عين المكان . (٥)
 وقد كان جيش من الأتراك يتألف من ١٨٠٠ / تركي بقيادة حاجي مراد ، وجد اسماعيل بن عبد
 الملك ينتظر في طلمسان منذ مطلع سنة ١٥٧٨ م ، الفرصة المناسبة للتدخل في المغرب لاحتلاله
 ولكن المنصور لم يكن من القضاء على القادة المتآمرين عليه ، ومنهم محمد زرقون ، وأبو الفضل
 الفرسي ، وسعيد بن فرج الدرقالي . وذلك في رجب سنة ١٥٨٦ هـ / سبتمبر ١٥٧٨ م . واستطاع
 أحوال الأجناد ، واسترضاهم بأقول أولاً ، وبالسطاة ثانياً . (واستقامت أحوال الجند من يومئذ ،
 رهبة ورغبة واستوت قدم أمير المؤمنين في مكة .)) (٦)
 وعلى الرغم من مشاركة الأتراك والموالين لهم للمنصور ، في بداية ولايته كما تبين ، فإن هذا الأخير

- (١) كريم : ماضى القشتالي ماضى ١ (٤١) : تاريخ السودان ص ٢٠٨
 (٢) المجهول : الموجع السابق ص ٦٤ وعبد الرحمن السعدى : تاريخ السودان ص ٢٠٨
 (٣) القشتالي : ماضى الصفا ص ٤٥-٤٦
 (٤) انظر رسالة له : مبردا إلى فليب الثاني وهي بتاريخ ١٥٧٨/٧/١٣ في م.ت.م. : إسبانيا
 (٥) انظر رسالة له : نفسه ص ٢٨٠
 (٦) انظر عن نكبة القادة الأندلسيين : القشتالي : ماضى الصفا ص ٧١-٤٧
 نفس المصدر : ص ٤٧

إقامة علاقات ودية مع جميع الدول المجاورة للمغرب ، وغير المجاورة له . وفي طلبيتها الدولة
عثمانية وإيالة الجزائر ، ومن ثم فإنه لم يتردد في إرسال سفارة إلى الجزائر وأخرى إلى
سطنبول في البداية له ، لإعلام السلطان العثماني مراد الثالث (١٨٢ - ١٨٠٤ هـ / ١٥٧٧ -
١٥٨١ م) ، وورد إليه رسول حسن فنزيانو باشا الجزائر ، (فبلغ الرسالة ، وادى الهدية
من فيها من فساطيط الهند الفريفة الشكل والمصنعة ، وزراحي موشاة ، وطرف نفيسة ، ما يستحسن
الملك) ، ثم تلته رسل القس هنري خليفة سيهاستيان البرتغالي ، ورسول فيليب الثاني ، ثم رسل
السلطان العثماني مراد الثالث ، وذلك في جمادى الأولى سنة ١١٨٧ هـ / ١٥٧١ م ، فارسل هنري
ثالث ملك فرنسا (٣) ، كما جاءته وفود من تونس وأرامل ومصر .
وحسب الفشتالي ، فإن إرسال السلطان العثماني ، كان يتألف من عدة شخصيات ، يتقدمهم
والدليل العسكري ، مفتي الجزائر وخطيبها ، وقد اختاره السلطان العثماني (لشهرته ومكانته
في العلم والرياسة) ليحسن أداء الرسالة ، والأعراب عما في الضمائر ، وليلد بارساله على علوه
ملكه (وشرف مقدار المرسل إليه) .
وكان استقبال المنصور لرسل السلطان العثماني استقبالا حسنا ، قال عنه الفشتالي : ((ولقاهم
بكرة التكريم ، واختار النزل والأرغاد في القرى ، وإقامة رسم الضيافة ، وتوسيع الجراية حتى انقلبوا
من مرسلهم محبوسين)) ، وإذ صدقنا ما قاله الفشتالي بهذا الصدور ، فأين يكون اهتمام المنصور
للسفارة العثمانية ، الذي تحدث عنه الافراني بقوله : " وتشاغل المنصور وتركهم بحضرة مهملة من
الذي كان يحسبه أحد أسباب غضب السلطان العثماني على المنصور .
وقد قدم رسل السلطان العثماني هديته إلى المنصور ((وكان قد انتخب فيها خاقان ما انتقاه
من الملابس الفاخرة ، وهدى معها سيف سبلى ، هدية السبعة فاخر الحلبي والزينة)) وعند الجنابي كانت
تتضمن أيضا كمية من السلاخ المرصع بالذهب وأحد اختامه .
أما رسالته فقد تولي إبراهيم الدليل العسكري الأعراب عن مقاصدها . ويفهم من قول الفشتالي :
((فاهتز لذلك أمير المؤمنين سرورا من أعوانه)) (١) ، أن المنصور انشغ لمحتوى الرسالة . ولكن
الفشتالي للأسف لم يفصّل من مضمونها ، وعند غيره أن مضمونها لا يقتصر على التهنية بالملك والنصر
ولكن تتضمن عدة مطالب للسلطان العثماني ، لم تكن لتبطل المنصور بهتزاز سرورا من أعوانه ، اللهم
إلا إذا كان ذلك على سبيل الإدارة ، فقد نقلت إليه السفارة طلب السلطان العثماني فصححه

(١) نفسه : ٤٨٠

(٢) نفسه : ٤٨٠

(٣) نفسه : ٤٨٠ - ٥١

(٤) الزباني : الترحمان المغرب ص ٣٥٦

(٥) الفشتالي : مناقب الصفا ص ٥٠٥

(٦) الافراني : الزهدة ص ٨٥

(٨) من أسباب غضب مراد الثالث على المنصور حسب الافراني ، الاستقبال السيء للسفارة والتأخير
عن إجابته انظر الزهدة : ص ٨٥ - ٨٦

(٩) الفشتالي : مناقب الصفا ص ٥٠

(١٠) الجنابي : السبدر السابق ص ٣٥٣

(١١) الفشتالي : السبدر السابق ص ٥٠ - ٥١

مسألة المغرب لاسماعيل ، وطلب مساعدته في تحرير وهران من الاسبان ، ودعوته السبي
 (١) قرار بالسيادة العثمانية . كما كان الامر سابقا في عهدى المتوكل على الله وعبد الطاك . وواضح
 ان القصد من الطلب الاول هو تقسيم المغرب الى مملكتين ، الامر الذي يساعد الدولة العثمانية
 في التدخل فيه . وسيط نفوذها عليه ، وعزل المنصور عن البحر المتوسط ، وبالتالي
 من الاسبان . دفعا لأي تقارب او تحالف وتعاون بين الطرفين عند الاثراك العثمانيين .
 ان القصد من الطلب الثاني هو اختيار مدى استعداد المنصور للاقتال لطلب السلطان
 لعمثاني ، ومدى استعداده لمعاداة الاسبان ، الذين اخذ منذ الشهور الاولى لولايتهم بطش
 للاقائه معهم سيرا على نهج اخيه عبد الطاك وسياسة والده . واما القصد من الطلب الثالث
 فاشماره بأنه ليس ندا للسلطان العثماني . وحسب ما اورد الجناي على لسان المنصور ،
 ان هذا الاخير قد اقر بتقدم السلطان العثماني عليه حيث قال معقبا على قول السفير العثماني
 بي الطلب الخضر الجزائري ان السلطان العثماني لا يخشى احدا ، بل الجميع هم الذين يخشونه
 () لا شك ان السلطان العثماني هو رئيسنا الكبر والتميز بيننا ، ومجده يرفسه فـون
 (٢) جميع الطوك الاخرين . ()

ولكن هذا الامر لم يتجاوز في الحقيقة حد القول ، ان مع ما ذكره الجناي على لسان المنصور ،
 ان ان هذا الاخير كان يلقب بالامام ، وبأمر المؤمنين ، وبالخليفة (٣) ، وبسك النقود باسمه (٤) ،
 وتقرأ الخلب باسمه ايضا ، وهي امور لا تدل على اعترافه بسيادة السلطان العثماني عليه .
 أو تهيئته له . وتعي ان ما قاله لسفير السلطان العثماني ، لم يكن الا على سبيل المجاملة .
 وقد كان المنصور عريضا على استقلاله واستقلال بلاده (المغرب) وعدم تجزئته ، ولذلك فقد
 رفض التنازل عن شمال المغرب لابن اخيه مولا اسماعيل ، ولم يقم بأي تحرك معاد للاسبان ،
 او للبرتغاليين ، بعد مجيء السفارة العثمانية ، يوسي او يدل على استعداد له لتلبية الطلب السلطان
 العثماني . بل ان المنصور اخذ بعد هذه السفارة العثمانية يتقرب اكثر فأكثر من الاسبان
 بنية التعاون معهم ضد الاثراك العثمانيين الذين ازدادت مخاوفه منهم .
 فقد رحب المنصور بالطلب فيليب الثاني منه تسليم جثة سياستيان للوفد الاسباني البرتغالي
 المشترك الذي وجهه الى المغرب في اعقاب معركة وادي المخازن ، ولقاء بكل سرور ، واسلمهم

(1) Véronne (CH. de la): Relations entre le Maroc et la Turquie. ()
 in R.O.M.M., No. 1, 1973, P.395.

(٢) الجناي : المصدر السابق ص ٣٥٣

(٣) الفشتالي : مقال الصفا ص ٢٥٥ وغيره ، الافرائي : النزهة ص ١٨٤

(٤) الجناي : المصدر السابق ص ٣٥٤

(٢)

(١) بدون مقابل ، على الرغم من استعداد الوفد المذكور دفع فدية كبيرة فسيه .
فلن كذلك سراج الصغير الاسباني خوان دي سيلفا الذي وقع اسيرا في معركة وادي المخازن ،
شهد ايضا الا يتحرك ضد القواعد البرتغالية ، وأهدى في رسالته الموجهة اليه في نوفمبر
١٥٧٨ استعدادا للاستجابة لذلك اقرا .

(٤)

(٥)

وبعد كل ذلك انتبه المنصور فرصة مبني * رسالته الطك الاسباني في جويليه ١٥٧١ لتقدم
دية ملكهم ، وتنهته له بالطك (٦) ، لمقتح عليهم التعاون على غرب الاتراك المشانين ، مصدر
خطر على الطرف (٧) . وكان رسل فيليب الثاني قد تقدموا اليه بدليل التنازل لملكهم عن ميناء
سراش (٨) . الممتاز ، وعشية ان يثق في قهنة الاتراك الامر الذي سفتتج عنه اضرار كبيرة اسوا
تجارتهم مع الهند او مواعلاتهم مع العالم الجديد ، او بأمن شواطئهم ، فدخل المنصور
نذغ في مفاوضات مع الاسبان ، دامت اكثر من خمس سنوات ١٥٧١ - ١٥٨٢ كانت تقترب
من النجاح عينا ، وتعتمد حينئذ اخر ، بحسب الظروف والتفوط الخارجية العثمانية والانجليزية
التي كان يتعرض لها المنصور ، ويهدوان المفاوضات الاولى بين هذا الاخير والاسبان حول التعاون
مع الاتراك ، وصوله المرائش ، قد تناهت الى السفارة العثمانية التي كانت حينئذ في المنسرب
نقلت اخبارها الى السلطان العثماني لدى عودتها .

(٩)

لم يكن الاتراك العثمانيون وفي مقدمتهم السلطان العثماني - ليرغوا عن التقارب بين فيليب الثاني
والمنصور الذي بدا لهم سلطانا قويا وفعالا ، وغير مستعد البتة للاعتراف ولو بتسمية اسمية
للدولة العثمانية كما كان اخوه عبد الطك قبله . هذا التقارب الذي كان يستهدف
القضاء على الوجود العثماني في الجزائر . وتلويقا لهذا الخطر قبل استفحاله ابد السلطان
العثماني مراد الثالث حكما في اوت ١٥٧١ م بتعيين رمضان باشا ، والي الجزائر الاسباني
والذي كان يشغل حينئذ منصب امراء تونس بعد تنحيته عن الجزائر ، واليا على تلمسان
التي رقت بشكل استثنائي الى لواء مستق ، عن الجزائر ، واعطاه الامر بأن يحمل على اسباط
اغراغ المنصور ، ومن الحرب عليه وطرده من مملكته ، ان كانت المعلومات التي تلقاها تؤكد
شكوكه من ان المنصور يحترم غزو الجزائر وسج الاسبان ، واصدر امره الى باشاوات الجزائر ، وتونس

(١١)

(١) انظر رسالة المنصور الى فيليب الثاني وهي بتاريخ ١٥٧٨/١١/٢ في مجلة : الاندلس
المجلد ٢٣ السفر الاول ، مدريد ١٩٥٨ ص ٢٩-٣١

(٢) الفشتالي : المناهل ص ٤٩

(٣) رسالة المنصور : الى فيليب الثاني في مجلة الاندلس ص ٣١

(٤) المجهول : تاريخ الدولة السعدية ص ٦٧

(٥) رسالة المنصور السابقة ص ٣١ وفيها يقول له : " فاذا تمكنت المحبة تيسرت الاغراض كل حجة
فلا ينسكم مانع من اغراغكم في هذا المقام المولوي ، فنور الاعتناء بها في افق التكرمة ساطع " .

(٦) الفشتالي : الحربين السابق ص ٤٩

(٧) امينة اللوة : قضية المرائش من خلال كتاب (المرائش) في البحث العلمي عدد ٢٧
الرباط ١٩٥٠

(٨) شايدو : ملوك الجزائر ص ١٦٤

(٩) جيا في الامر الصادر الى امراء الجزائر ان رمضان باشا . منح لواء تلمسان ، واوكلت
اليه بعض الامور الفاصلة بولاية الغرب فليباشر العمل الذي يديره الامر بشانه وقدم له المساعدة
التي يطلبها ملك : مهبة دفتري رقم ٤٠ ص ٦٣ بتاريخ ٨ رمضان ١٥٨٧ هـ

بإبراهيم بأن يقدموا لرمضان باشا كل القوات والمدفعية والذخيرة التي يحتاجها ، وأن يقوم كل واحد من جهة بما يدلله منه رمضان باشا ^(١) .

ولا شك أن اختيار السلطان العثماني لرمضان باشا للقيام بمهمة مراقبة تحركات المنصور ، يبنى على ما لرمضان باشا من خبرة في التدخل في المغرب ، إذ سبق له أن تدخل في هذا البلد سنة ١٥٢٦ لتأمين عبد الملك من أخذ الملك فيه ، وكلل تدخله فيه بالنجاح ، وقد خرج رمضان باشا من تونس في نهاية نوفمبر ١٥٢٦ قاصدا الجزائر ، فحدث بها في ٤/٤/١٥٨٠ وبقي فيها حتى ٢١/٥/١٥٨٠ ، ولم يلتحق بعد ذلك بتلمسان بل ذهب منها إلى القسطنطينية ^(٢) ، إلا أنه كان وهو في الجزائر يراقب ما يجري في المغرب ، وقد بعث في ربيع سنة ١٥٨٠ م / برسالة إلى داود بن عبد المؤمن ، الذي ثار ضد عمه أحمد المنصور في أكتوبر ١٥٢٩ في السوس بجنوب المغرب ^(٣) ، يهدى له استعداد له لمساعدته ، ويسأله عن احتياجاته ، وما يباه فيها : " ولما عزمنا الآن قد وصنا إلى مدينة تلمسان ، فأول ما سألنا عن أحوالكم ، وأين استقر مقامكم لكي ننشئ معكم عهدا تقاد لنا مع أسلافكم ، فبحثنا لكم هذا المكتوب لعلكم تعلموننا في جوابكم لنا ، بما عندكم من دأول ، ومرغوب فلا تخفوا عنا شيئا من مقاصدكم السنية ^(٤) " .

ولا يعرف ما إذا كان داود بن عبد المؤمن قد واصلته رسالة رمضان باشا ، ولا إذا كان قد تقدم بأي طلب ، مساعدة من أتراك الجزائر ، ولا إذا كان لرمضان باشا أو لأتراك الجزائر عموما أي ضلع في إثارة ضد عمه ، بهدف خلق المتاعب لأحمد المنصور الذي كان يتآمر مع الأسبان عليهم ، وإن كان احتمالا لقيام الموالين للأتراك في المغرب بتحريض داود بن عبد المؤمن على الثورة ضد عمه بايعاز من أتراك الجزائر ، أمر فير مستبعد إطلاقا ، ومهما يكن من أمر فقد استطاع المنصور القضاء على ثورة داود ، وانتصت امر الأخيرين بقتاله حرب الوداية ^(٥) . ولكن رد فعل السلطان العثماني على تقرب المنصور من الأسبان وعما تردد أنه تحالف معهم ضد الأتراك ، وبنوى مهاجمتهم في الجزائر ، لم يقتصر فقط على تكليف رمضان باشا بإحباط هذا التحالف ، بل وواجهه اغتيال هجوم محتمل ، بداته كما تؤكد ذلك إحدى الوثائق المعاصرة أصدر أيضا أمره إلى القيودان باشا عيّن علي بالاعداد لحطة على المغرب ، ولكن هذه الحطة لم تنحرف في ليلة 1579 م - عرض مراد الثالث التحالف بالمعاصرة على المنصور ، حتى السلاطنة العثمانية بمنظف الدلق بعد أن نجح المنصور في اخضاع ثورة ابن أخيه في الثالث الأول من سنة ١٥٨٠ ، وبعد أن تدخل

(١) هايدو : في الصور السابق ص ١٦٤

(٢) نفسه : ص ١٦٦ - ١٦٧

(٣) انظر عن ثورة داود بن عبد المؤمن : الفشتالي : ماضى الصفا ص ٥٦ - ٥٨

(٤) انظر الرسالة في وثائق سيمانكاس ورقمها 160 - وهي صورة عنها في ملحق كتاب المغرب في عهد الدولة الموحدية لـ عبد الكريم ص 354 وهي بتاريخ أو شربين الأول 4988 / م = 1580 م

(٥) انظر قسم الحياة السياسية في المغرب ص ١٠٠ إلى صاحب المله وهي بتاريخ ١٥٢١/١٠/٨

(٦) انظر رسالة السفير جيموني (GERMIGNY) إلى صاحب المله وهي بتاريخ ١٥٢١/١٠/٨

في ٢٠٢٠ م : فرنسا ج ٢ ص ٦٧

فيليب الثاني في البرتغال في اعقاب موت القس هنري لضم تاجها الى اسبانيا^(١) ، استقالة السلطان
السعدى اليه بمختلف الوسائل ، فعزل حسن فترهانو باشا الجزائر الذى كان المندوب بحشى جانبه ،
لاحتمانه اسماعيل بن عبد الملك ، وتزويجه بأرملة هذا الأخير ، واستقدم رمضان باشا ، وعين واليا
جديدا هو جعفر باشا على رأس حكومة الجزائر^(٢) وكلفه بتحسين العلاقات بينه وبين سلطان المغرب ،
وابتداء رباط صداقة بينهما بتزويج المنصور من إحدى بنات السلطان مراد^(٣) .

وبحث السلطان العثماني رسالتين الى المنصور في اوائل رجب ١٠٨٨ هـ او ١٥٨٠ م ، عسرين
في الاولى التحالف معه ضد فيليب ، واستعداد له لتقديم مساعدته الكبيرة للمنصور لتحرير الاندلس .
وقبل ذلك اتمها بمحاذاة حسن بنوار معه وجاء فيها على الخصوص .
(١) قلما وصل بحسامنا الشريفة ومشاعرنا العفانية المنيفة خبر طاغية قشتالة . فيليب الثاني .
وانه اعتوى على سلطنة برتغال أوكاد ، وانه جعل اهل في الاغلال والاعفاد ، وانه لكم جبار ،
وعدو ضرار ، حركتنا الحمية الاسلامية والجمرفة الاولى في النشأة الجنودية لاظهار الالفية
الازلية في الحوامل الشهيرة اذا سارت قلوب الطوف الجنود المجندة الثمار والتناحر والاعتلاف
انعقد الاجتماع على خلوص المودة وارتفاع الخلاف .

فخلاصة الكلام بهذه المقدمة ، ونهية المرام من تلك المقدمة ، هو ان نتخذ عهدا وثيق
البنان ، ومحبة شاملة بين الاخوان ، بين الاولاد والاحفاد الى آخر الجوارح ملكتنا
الشاسعة الاقطار ، ونؤكد ان الملكتين محروستا الجوانب والاطراف من سوء الشقان والاختلاف
ومسورتا الارباب بالوفان والاعتلاف ونخلق العهد بالكمية المنورة والحيوة المعظمة .
فاذا تم هذا الشأن واسس هذا البنان صفى ما بين الاخوان^{نوجه لكم} ثلاثمائة غرابا سلطانية وجيشي مز
ونسر وكما عثمانية تستفتح بها ان شاء الله بلاد الاندلس ، ويكون على ايديكم انقاذها من الجوس^(٤) .
وعرض مراد الثالث في رسالته الثانية الى المنصور تزويجه من احدى بناته لاقامة مزيد من الروابط
والوفان بين السلطانين جاء فيها على الخصوص : (اخترنا لكم الانتماء والانتساب الى اربابنا
المالية الاعتبار ليحصل لكم الارتقاء على ذروة اعلى المراتب ، وقسمون المقاعد والممارات والامتياز بين
ملوك الزمان ، يملو القدر وسمو الشأن ، وتكون اركان المادة بيننا مرسومة البنان وبنان المحبة
مشيد الاركان .

عهدنا الى امير الامراء الكرام . . . جعفر باشا . ان يسهر لئلا على احدى بناتنا وينوب بذلك
عنا اسمانا لفرحكم المنيف ، وتتمها لعظكم النجوى حتى يحلم كد مفض وفاجر ، ومسلم وكافسر

(١) الفشتالي : ماضل الصفا ص ١٠١

(٢) وصل جعفر باشا الى الجزائر في ٢٩ / ٨ / ١٥٨٠ وذهب حسن فترهانو وحميته رمضان باشا في

١٠ / ١ / ١٥٨٠ ، وانظر هاید والصدر السابق ص ١٦٢ - ١٨١

(٣) من رسالة مراد الثالث الى المنصور انظر اصلها في المكتبة الوطنية بمديرية ورقمها ٧٤٥٣
ورقة ٢٤ منشورة في مجلة الدراسات العربية والعبرية (M.E.A.H.) مج ١ سفر ١٩٦٠ ص ١٩٦

(٤) انظر في الرسالة في المكتبة الوطنية بمديرية ، المخطوط رقم ٧٤٥٣ ورقة ٢٧ ونسما منشور في
مجلة الدراسات العربية والعبرية (M.E.A.H.) ١٩٥٧ ص ٦٣ - ٦٦ .

المملكتين كروحين في جسد، وساعدين في عند، لفرط الاتحاد فهذا ينقلب كل موء من السي
 و سرورا ، وكان سعيكم شكورا، والقفول والصافرون يصدرون عنهما واليهما يدون في حرز
 ن والسلامة ، ويدعون بالخمر الى صحائفنا الى يوم القيامة .

ذا وصل هذا المتوق الكرم فوجهوا لعدد ثنا السلطانية واعتابنا الخاقانية من يحمل لكم زويتكم
 امراؤكم الكرام وكبار داركم الذين لهم فيها النقص والابرام (١) .

مد جبر السلطان العثماني على الا يغالب السلطان السعدي في الرسالتين المذكورتين
 بلقب الامير الكبير ، والحاكم ، فقد جاء في مقدمة رسالته :

هذا كتابنا الشريف . . الى الجناب الايرون الكبير الهامي ، النسر ، الامجد ، الاكبر
 محمد بن الاعدي الاصيل الحسيني ، النسبي نسل السلالة الهاشمية في الشجرة الزكية النبوية
 من القرآن ، ظهر المجاهد بن المحفوظ بصوف عواطف الملك المعين مولانا احمد الحاكم يومئذ
 بية فاس ومراكش (٢) .

بينما استقبل السلطان العثماني لنفسه بالسلطنة والخلافة ، قائلا في رسالته السلي
 منصور : ((فنبج بأمره الى ما يمتنا بالسلطنة ومتابعتنا بالخلافة الباهرة . . لسا
 سم وسفل عظمنا بتقليد خلافته في الارضين فخصمت لرقابنا وانقادت رعايا سا طير السلطان (٣)) .
 هم من قول السلطان العثماني مخاطبا المنصور (٤) ولما وصل كتابكم الذي على قدم الصداقة
 لما وساق الاستقامة ثابتا (٥) ان السلطان السعد قد كتب الى السلطان العثماني
 ان يكتب هذا الاخير اليه ، ويعرض عليه ما تقدم ، ولكننا نجهل مضمون رسالة المنصور
 ما توحى به عبارة السلطان العثماني من الصداقة . ويظهر انه قد يكون طلب يد السعد
 انه ، اذ من غير الحظر ان يعرض السلطان العثماني المسابرة ، دون دلب من السلطان
 سمدى ، ولئن المنصور الذي فهم فيها يدوان للسلطان العثماني مقاصد بعيدة غير
 مونة بين وراة مروته المتقدمة - كأن يكون غرضه مثلا جره الى معاداة الاسبان ليفرد به
 المغرب ، والا كيف يطلب منه شن حرب على الاسبان ، في الوقت الذي كان يتفاوض هو فيه
 الاسبان لابرام مدينة معهم او ان يكون غرض السلطان العثماني الحميد من وراة عرب
 ضايرة عليه ، هو مد نفوذ الى المغرب - تتأكد عن اجابته بل يدوانه آخر السفارة
 لعثمانية واطمئنا بدليل قول علي فيما بعد بأن اعصابنا/ بأبوابه كالكلاب هذا فسي
 وقت الذي استمر في تقربه من الاسبان ومفاوضة معهم حول التراض وحول مساعدتهم له ضد
 اثرات الجزائر .

(انظر عن الرسالة الهامس الثالث من الصفحة السابقة .

(مدة الدراسات المصرية والمصرية المجد التاسع السفر الاول ص ٧١-٧٢)

(نفس المجلد السادس ص ٦٥)

(المجلد التاسع ص ٧١)

حسبما عليه عليه السلام انار شرب المنصور من الاسبان ، وشاقله عن الاستجابة لمرض مراد الثالث غضب هذا
غير ان الابلج عليا الذي كان دوما يحلم منذ كان باهرايا متحيا في الجزائر الى ضم المغرب ،
في الدولة العثمانية ، انتهر الفرصة ليحث السلطان العثماني على التدخل في المغرب بقوة ،
القضاء على دولة الاشراف السعديين فيها ، الامر الذي دفع العثماني المؤثر الرسمي للمنصور
الى شن هجوم عظيم عليه ، وتشكك فيه في صدق اسلامه ، واتهمه بالعداء للاسلام في البالد ،
وبالعداء الظاهر للاشراف آل النبي (ع) قائلا (.. ثم ان علوج علي وزير البحر كان عند بنبي
عثمان وقائد اسطولهم ، لما كان حديث العهد بالكفر لتأخر اسلامه الى مجاوزة سن الاكمال ،
صار يستغلن لذلك عداوة للاسلام ، ويهاجم بها خصوصا لاهناء النبي عليه السلام ، والخلفاء
الراشدين بالمغرب .. فتشعر بذلك لاثارة الوحشة والغیضة بين السلكتين ، واستعمال رحم الدين
الجبالي بينهما ليفت بذلك من عند الدولة باغتيالات كلمة الاسلام ... وزين له (المراد الثالث)
الانحدار للمغرب في اسطولهم الذي القوا بيده زمانه (١)
وشذا الهجوم على اهلج علي ، الذي تشهد له مواقفه البطولية في مهادين الجهاد وضرب
الكفار على صدق اسلامه ، لا يستغرب بدوره من مؤن الدولة الرسمي الذي كانت حملة اهلج علي
تستهدون ولي نعمته .

وقد اذن السلطان العثماني لعل علي بتوجيه على رأس الاسطول العثماني لشنالة المنصور في
المغرب ، والقضاء على دولته ، فتحرك على رأس ~~خمس مائة~~ ^(٢) من غنالمه في رحى
سنة ١٥٨١ . وفي نهاية شهر ما كان قد وصل الى الجزائر .
اما المنصور الذي علم عن طريق بعض قناصل انجلترا بتأهب علي لغزوه ، قبل تحريك
حملة نحو المغرب بستة اشهر (٤) فقد (بادرا يده الله الى دفع مكيدته ، وارهف حده لنكايته ،
فجهز المساكين .. وسرحهم الى بلاد الريف ، ورتبهم بحسب السالحي المغرب ، وشفوره وسن الى بلاد
لغدي كبير الدولة كرمدر الخامة ابا اسحاق ابراهيم بن محمد السفيناني ، فخير في المساكين
والاجناد ، بساحة المرائش . ودفع بذلك امر المؤمنين في صدر علي باشي (٥) واتام ^(٦)
نفسه معسكره على شاطئ نهر تانسيفت ، خارج مراكش منذ ١٢ صفر ١٨٦ هـ / ١٨ / ٣ / ١٥٨١
وبالاضافة الى هذه الاستعدادات العسكرية لا وفد المنصور عن طريق البحر سفارة ^(٧) هامة

- (١) الفشتالي : مناقب الصفا ص ٦١
- (٢) هايدو : المرجع السابق ص ١٨٦
- (٣) السلاوي : الاستقصاء ج ٥ ص ٩٦
- (٤) ١٥٦٥ و ١٥٦٦ : الفشتالي : المصدر السابق ص ٦٢

مل عديدة عليه (١) ، الى السلطان المشاني ، بقصد الاعتذار له عن التأخير عن الجواب ، والسمل
التي كانت المحطة الموجهة نحوه .

وقد كان من أبرز أعضاء هذه السفارة القائد أبو المباس أحمد بن ودة ، والكاتب أبو المباس
محمد بن يعين الهوزلي . وفي طريقهما الى القسطنطينية التقيا بملح علي في اسطوله في عرض البحر
فاول اقناعهما بالرجوع عن مقصدهما خشية افسادهما عليه ما هو بصدده قائلا لهما : (ان الغرق
اتسحق على الراقع ، ولو كان لصاحبكم (المنصور) غنى في المسألة لما بقي اصحابنا بأبوابه كالكلاب
لباري (٢) اظلم) .

وخشية سيطرة السلطان المشاني ان مورد هم جميعا تترك / الكاتب الهوزلي يمضي لتبليغ
رسالة والهدية ، انا منه انه صغير السن لا يحسن مخاطبة الملوك العظام . ولكن الهوزلي احسن
مخاطبة مراد الثالث ، واعتذر له عن تأخير المنصور عن الجواب ! بما لا يعود بوهن على مرسله ، ولا
يفيد مخالفة نص (٣) . فقبل مراد الثالث الاعتذار والهدية . وكتب مع الهوزلي امره
الى الملح علي بالتوقف عما كان بصدده ، والعودة الى المشرق . كما ارسل مع الهوزلي سفارة السن
المنصور . فلم يكمل اهل على حملته على المغرب وعاد الى القسطنطينية واستقبل المنصور
السفارة المشانية استقبالا حسنا ، وبحث بسفارة اخبر الى السلطان المشاني في السنة التالية
(٤) . وهكذا اخذت العلاقة بين الطرفين السعدى والمشاني في التحسن ، تلك رواية
١٥٨٢ (٤) .

الاسماء المتعلقة بحملة الملح علي . بسبب المصادر المغربية .
10 سياسيات تاريخ مراد الثالث ، عن غزو المغرب . عزو المصادر المغربية . كما تبين من الوثيقة الى نيل السفارة المغربية
ولعل الحقيقة ان هناك عدة عوامل تضارعت ، جعلت السلطان المشاني ينتهز فرصة تقديم
السفارة المغربية اعتذار المنصور ، لتراجع عن امره بغزو المغرب ، بل ولمعمل على تصفية الجو
بينه وبين السلطان السعدى ، فما هي هذه العوامل ؟

(١) التقارب الكبير بين المنصور والاسبان : كان السلطان المشاني على علم بالتقارب بين
المنصور والاسبان ، بحيث انه كان قد عين رمضان باشا خديشا لاجل هذا التقارب ، باستعمال
القوة ان لزم الامر ضد المنصور ، فقد رفعا يدا وان مهاجمة قد توءد الى تدخل الاسبان
الذين بهمهم الا يعتقد الوجود او النفوذ المشاني الى المغرب القريب جدا منهم . وقد ذهبت
بالفعل سفارة اسبانية الى المغرب سنة ١٥٨١ م للتفاوض مع المنصور حول المسألة المغربية
منه ، وبعون تسليم هذا الاخير المرائي لملك اسبانيا ، وكانت هذه السفارة الاسبانية

(٢) الافراني : الغزوة ص ٨٦

(٣) نفسه :

(٤) نفسه : ص ٨٦-٨٧ والفشتالي : المناهل ص ٦٣-٦٥ والسلوى : الاستقصا ج ٥ ص ٩٥-٩٧

حرب الدولة العثمانية مع الصفويين في المشرق :

إذا كان السامان السابق الذكر لا شك في تأثيرهما على إرراد الثالث بالتراجع عن غزو المغرب، فإن حرب الدولة العثمانية في المشرق ضد عظام فارس الصفويين التي اندلعت سنة ١٥٧٨م والتي استمرت متقلعة حتى سنة ١٠٤٥ هـ / ١٦٤٩م، كانت تشغل الدولة العثمانية كثيرا عن توجيه طاقاتها العسكرية الى جهاتها الاخرى، وتجبرها احيانا الى حشد كل طاقاتها الممكنة الى هذه الجبهة، حدثت في هذه السنة (١٥٨١) وفاة السلطان العثماني تاجيك غزو المغرب الى وقت آخر، التخلي عنه نهائيا والتفاهم مع المنصور واقامة السلام معه، واستدعى الحلج عليها، وما كان معه ميسر للمشاركة في حربه مع الصفويين (١).

قد رافق تلك الحرب اهما بدايات الازمة المالية الكبيرة الناجمة عن تدفق الفضة الامريكية الى اوربا ودولة العثمانية، وما رافقها من ارتفاع في الاسعار. وتأثر دخول الانكشارية والصباغيين في دخل الخزينة نفسه، وما نجم عنها فيما بعد من تدهور في احوال الامراتورية العثمانية. 11. ميل الحلاقا لمصنحو السلام الحذر (1581 - 1587) ان تراجع العثمانيين عن غزو المغرب، قد سمح للمنصور بأن يتراجع بدوره عن توقيع اي التزام لاسبان بتسليم المرائش لهم، وان ظل هؤلاء، ويوسفهم الى ان يثسوا، وفقدوا الاصل في الحصول على ميناء المرائش المذكور، بعد بضع سنين من المفاوضات، وخسروا فيها طالا كثيرا (٢).

اعتقب تراجع العثمانيين عن مهاجمة المغرب وتراجع المنصور عن تسليم المرائش لاسبان تحسب من نجاح في العلاقات بين الطرفين السعدى والعماني. فالسلطان العثماني لم يكلف فقط باعداد الامر للحلج علي بالمدول عن منازلة المنصور، بل ارسل ذلك رسلا الى هذا الاخير مع الهوزالي كما سبقنا الاشارة في حيث ١٥٨١ من اجل اقامة سلام بين الدولتين (٣).

وقد استقبل المنصور السفارة العثمانية في فاس في اواخر عام ١٥٨١، واكرم وفساد من السلطان العثماني، واحسن نزلهم. وهذه السفارة العثمانية قد جعلت المنصور كما تقول بقية معاسره يتغلى عن التزامه بتسليم المرائش لاسبان، وهو كد سلامة مع السلطان العثماني (٤). أكد ذلك ارسل المنصور سفارة اخبر اليه مؤلفة من قاضي قضاة مراكن ابي القاسم بن علي شاطبي، ومن القائد ابي زيد عبد الرحمن بن منصور بن سعيد الشيطي (٥). وذلك في مطلع سنة ١٥٨٢، كما يستنتج ذلك من الحناهل (٦)، وقد اعربت هذه السفارة المغربية للسلطان العثماني منسوخ وزرائهم امور هامة وبجيدة، ذات مغزى، هي في الواقع الاسس التي اراد المنصور ان يبنى بها علاقاته مع الدولة العثمانية والتي سعى اسلافه عليها لجعل الدولة العثمانية تعترف بها،

دوغرامون : المرجع السابق ص ١٢١

م. م. ت. م. : فرنسا، ج ١ ص ١١٥ وما من ٤

نفسه ج ٢ ص ١٠٠-١٠٠

العثماني : مشاهد الصفح ٦٤

م. م. ت. م. : فرنسا ج ٢ ص ١٠٠-١٠٠

و (٧) العثماني : المرجع السابق ص ٦٤-٦٥

في ان المغرب ليس ولاية تابعة للدولة العثمانية ، ولن يكون ، بل هي دولة مستقلة ذات سيادة ،
تقل عن الدولة العثمانية ، وان حكامها ممن يحترف لهم بالحكام الرفيع ، لا بل بالخلافة ، لانهم
راف . وبالفعل فقد اصبحت السفارة من حق الدولتين في الوجود والسيادة ، وفضل اهل البيت
شراف وحصت على اتمام كلمة الاسلام . ويبدو ان السلطان العثماني تقبل هذه الاسم فسي
به المرة لضم دولته النسيبي ، ولما شاهده من قوة المنصور وتشعب علاقاته الاوربية ، والتفاسيف
عنه حوله . وقد عبر الافرنسي عن هذا القبول بقوله ((ففن بذلك خاقان ، واهتز لسماعه . (١))
بني موافقته عليه ، وانشقاق السلام بين الدولتين (٢) .

وذكر الفشتالي ان مراد الثالث تولى الابدية على رسالة المنصور بخط يده ، وفي ذلك تقدير
شريف للمنصور ، ولذا ، على معرفة مراد الثالث للغة العربية ((فأغرب في ذلك ، وكما لم يسمع عن
ك من ملوكهم الى ملك (٣) .

ولعل ما ذكره الحسن البهريني ، في كتابه تراجم الاعيان والمحيي ، في خلاصة الاثر ان السلطان
د الثالث كتب الى المنصور في احد مكاتيبه قائلا له " (لك عليّ العهد ألا أمد يدي اليك
للمصافحة ، وان خاطري لا ينوي لك الا الخير والمصاحبة) (٤) كان في هذه المناسبة .

ونتيجة لهذه السفارات المتبادلة اصبحت العلاقات بين الدولتين ودية سلمية ، فكان المنصور
عند مراد الثالث كل سنة بسفارة ، تحمل هدية له ، فبعد عنها هذا الاخير بسفارة وهدية ،
أكد البهريني ذلك بقوله : (وهو مواعيد لسلطان الزمان . . فمرسل المهم الهدايا السنوية
كل سنة وهم يرسلون اليه المكاتب والخلع المستحسنة . . ورسله دائما تأتي الى القسطنطينية
بجانب البحر . ويحكثون زمانا طويلا ويتعهدون الوزراء ، ويصلحون القضاة والامراء ، ويكتبون
كان له قرب من الدولة) (٥) .

ومن كاتيبهم المنصور من كبار شخصيات الدولة العثمانية : علي ، وذلك في اعقاب تراجمه
في غزو المغرب ، ردا كما يفهم من الرسالة على اعتذار علي عن حركته التي كانت موجهة ضده ،
في الاعتذار الذي نقله اليه سفيره الهوزالي . وقد تظاهر المنصور في رسالته باقتناعه بما ذكره
علي لسفيره ، بأنه لم يتصرف عن ثبوت منه ، رانه لم يكن الداعي الى هذه الحركة ، مما ازال امتناحه
ددد محبته له . قائلا في رسالته : (فانهمنا الحكم خطابنا هذا عصبية رسولينا ابي الفاضل القاسم
علي الشاطبي . . وابي زيد عبد الرحمن الشيطاني ، لتعلموا منهما ان شاء الله ، ان ربح الوداد
الله ما زالت تطره من اشلاننا عوارض هواطل . . وتتعرفوا منهما ، ان داعي المحبة منا لداعي
جفاء على الدوام مناغل ، وسيف التواصل بيننا لسبل القليعة باتر .) (٦)

وكتابها سالم (٧) ابراهيم باشا ومحمد اامين الدفتر في الدولة العثمانية ، وطلب من
يبحث اليه بالكتب القيمة (٨) واخرين .

ومن الشخصيات العلمية التي كان يكتبها ايضا : بدر الدين القرافي (٩) ، والبكري (محمد
الحسن البكري الصديقي) (١٠) لاغراض مختلفة . وفي الوقت الذي كان يجري فيه تبادل السفارات
بين المنصور والسلطان العثماني ، لتصفية الجيوب بينهما ، كانت تجرى بين المنصور واترات الجزائر
عثمانيين مراسلات وسفارات تستهدف توليد العلاقات بين امالة الجزائر والمنصور وتقويتها ، ويظهر
فيها المنصور في موقع لا يقل عن موقع السلطان العثماني لها او في موقع من له نفوذ فيها .

(٢) م . م . م . ت . م : فرنسا ج ٢ من ٩٨ - ١٠٠

(٥٤) الحسن البهريني : تراجم الاعيان من ابناء الزمان
تحقيق صلاح الدين المنجد ج ١ دمشق ١٣٥٩ ص ٢٢١
والمهم : خلاصة الاثر ج ١ - حصر ١٢٨٦ / ٥ - ٢٢٢ - ٢٢٢

(٧) انوار رسائل نيمدية لعبد الله كيون اوان ١٩٥٤-١٩٥٤-١٩٥٤

(١٠) الفشتالي : المصدر السابق ص ١٨٨ - ١٨٩

(١) الافرنسي : النزعة ص ٨٧

(٢) الفشتالي : مناهل الديار ص ٦٦

(٣) انظر رسالة المنصور الى علي
علي في الملحق رقم (٢)

(٤) المحيي بخلاصة الاثر ج ٤
ص ٢٩١ - ٢٩٣

فقد بعث المنصور برسول الى الجزائر يدعى الحاج احمد الماسي^(١) ، وتوجه من الجزائر الى
المغرب رسول يدعى (مامي)^(٢) ، وكتب المنصور الى جند الجزائر الانكشاريين فيها ثناء^{رسالة} عليهم
لما يكون له من ود ، وإشارة الى موقفهم من حملة علي الودي تجاعده ، وتقديره لهم عليه
وفيها ذكر لمزاياهم وخصائلهم وجاء في مقدمة رسالته اليهم بهذا الخصوص : " المصاهرة
التي لها من علامة المعية لهذا الجنب الرفيع ما اشرن شمسها واقمارها ، والفئة التي انطلقت
بحر القعدة النبوية من ودها واسباب وصلتها ما فسح لها وأجل مقدارها ، والجماعة التي
عملت عزائمها فيما ايجال لديها قداح مرضاتها وادارها ، والرهط الذي له كلف بالجهاد وولوع^(٣)
والجيش الذي له الى اقتتال المماليك الخيرات بجوارح الرضا جنوح ونزوع .
وأبدن المنصور في الرسالة ذاتها استبداده لقبول ما يمين لهم من افراش " فأرايكمم بهذا
الجنب الرفيع مقبولة ، وباسباب التيسير ان شاء الله موعولة " .
وبعث الى جعفر باشا يوسف خيرا باحد الفقهاء وهو ابو المصباح احمد بن عبد الجليل ، الذي
زار المغرب وقابل المنصور ثم عاد الى الجزائر ، وطلب منه ان يهونه مكانة سامية قائلا له : " فأصعدوه
من مراعاتكم مضاعف الاعظام ويؤلفه فيها على الغارب والسمام ، وأوسعوا له في جناحكم بفيتنه
وأرادته " .^(٥)

وهو خطاب يدل على ان العلاقة بين المنصور وجعفر باشا قد كانت ودية للغاية .

وقد سعى علي بعد عودته من الجزائر الى عزل جعفر باشا ، لان موقفه منه ومن حملته
لم يكن كما يستنتج من هايد و مويدا ، ولانه كما قال هايد ولم يعامل حسن فنزيانو المعاملة
التي طلبها منه علي . وكان حسن فنزيانو من موالي هذا الأخير واهتمت بمصلحته عليه . وقد نجح
علي في تعيين حسن فنزيانو على رأس إمالة الجزائر للمرة الثانية وعزل جعفر في مات ٥٨٢ هـ^(٦)
وبعد وان تعيين حسن فنزيانو لم يبعث الارتياح في نفس المنصور ، ان كان على شاكسة
سيده علي يرغب في التدخل في المغرب ، وكان قد تزوج بأرطعة عبد الطك واحتضن ابنه
ولذلك فان المنصور لم يهمل مفاوضاته مع الاسبان ولم يقنعها لعدم اطمئنانه التام لجيرانه الاتراك .
وفي سنة ٥٨٣ هـ نشأت الاتصالات والمفاوضات من جديد بين المنصور والاسبان حول تسليم
المرايش او مبادلتها بالبرجة ، وحوو التعاون على ضرب الاتراك في الجزائر وانتخلص من اخطارهم
على المملكتين . وفي رسالة المنصور الى فيليب الثاني المؤرخة بآخر رمضان ٩١١ هـ / ١٥ / ١٠ / ٥٨٣

(عبد الله كنون : رسائل سعدية ص ٢٩٠)

(نفسه : ص ٢٦٠)

(انظر نفس الرسالة : المرجع السابق ص ٩٢)

(نفسه : ص ٢٦٠)

(انظر نفس الرسالة في المرجع السابق ص ٨٧-٨٩)

(هايد و : ملوك الجزائر ص ١٨٨-١٨٩)

بمعنى التقاسيد عما كان يجرت بين الطرفين :

فمن هذه الرسالة : نعلم ان فيليب الثاني اوفد القسيسين مارين الى البندول وان اقامة هذا الاخير طالبت كسرى ان المنصور اضطر الى الاعتذار عن تأخير عودة السفير الاسباني . ما يدل على ان المنصور كان يتعمد التأخير في الاجابة عن رسائل السلطان المثناني ، والطك الاسباني على السواء ، ليستغل عامل الزمن في استمضاح الامور واستجلائها ، قبل اتخاذ قرار فنهجها او تقديم اجابة عنها . ولا يستبعد هنا ان يكون القصد من وراء التأخير ليس فقط الانشغال بالاعداد لسطة على بلاد توات وتيكنوارين التي وجبها المنصور في سنة ١٠٩١ هـ / ١٥٨٣-١٥٨٤ م (١) ولكن ايضا ممرسة النوايا الحقيقية لحسن فزيانو . . . ومقاعد الدولة المثنانية من وراء تمهينه للمرة الثانية .

ومن الرسالة نفسها نعلم ان المنصور قبيل تسليم المرائش للاسبان ، في مقابيل تسليم نسو^١ له البرهجة ، وانه قد توسل الى اتفاق مع سفير فيليب الثاني حول ذلك^٢ لم يبن سون التوقي عليه ، وانه يستمر ارسال قائده ابراهيم السفني مع السفير الاسباني لاستكمال ذلك : " سنبشركم لكم بحبة قائدنا ابراهيم السفني ليقضي الحاجة ، وكذلك تأمروا اصحابكم بقبضون اصحابنا البرهجة ، مثلما امرنا نحن للقائد ابراهيم بقبض اصحابكم المرائش " .

ومن الرسالة نفسها نعلم ان المنصور لم يسهل اطلاقا اقتراحه السابق ، والمتمثل في التمسك بون على التخلص من اثرات الهزائروا حتلال هذه الاخيرة مصدر الخطر عليه وعلى الاسبان « وترى القسيسين مرين امرنا مرارا بكمكم وبكاتكم في شأن الشرر الاحد لوطنكم وولنا . وحيث هي مسألة اخذها مهن لكم خاعة ، وكذلك اخذها مهن لنا خاعة بحول الله وقوته وعسى يصود في هذه الساعة التي وقا لاتفاق بيننا مهن اكثر علينا جميع (كذا) . . . ومثنا القسيسين مرين صحبة القائد ابراهيم على انهم يلتقوا مع العرك من مدينة يتكلموا جميع (كذا) ويتفق تدبيرهم على شأن الحركة للجزائر ولله الحمد ما فنانا يصعب لا عليكم ولا علينا سون تأمروا جدا منا بالسنتنا خاعة ونقشوا فيها الحاجة ان شاء الله وتنهنا الرعية كلها بحول الله () وقد تناهت اغبار هذه المفاوضات الى السلطان المثناني ، كما تناهت الى ملكة انجلترا ، فانزعجا منها . الاول لما سينجم عن التحالف السعد مع الاسباني من تهديد ، وخطورة على الوجود المثناني في الجزائر ، والثانية لما سيلحق سفنها وتجارتها من اغرار اذا ما تنازل المنصور عن المرائش للاسبان ، وازا ذلك ، فقد سجن كل من السلطان المثناني ، وملكه انجلترا ، الى احباط المفاوضات والضغط بمختلف الوسائل على المنصور للتراجع عن التحالف مع الاسبان ،

(١) الفشتالي : مناهل الصفا ص ٦٥

(٢) انظر نفس الرسالة في مجلة الدراسات العربية والعبرية : المجلد التاسع السفر الاول ١٩٦٠ .

لتنازل لهم عن المراتش، فأوعز السلطان العثماني الى حسن فنزبانو بتقديم هدية
السلطان السعدي (١)، ولما نته من جهته، وقامت المزاينة بحث المنصور على عدم تسليم
المراتش لاسبان، وابتدت له استعدادها لمساعدته في تحسين مينا المراتش (٢).

ونتيجة لهذه الضغوط تراجع المنصور عن تسليم المراتش لفيليب الثاني او ميلادتها بالبريجية
وارتسيف المفاوضات حول هذا الموضوع، فاستاء فيليب الثاني من ذلك، وتوترت
علاقات بين الدارين خلال اعوام ١٥٨٥ - ١٥٨٨ ونضمة شهر من عام ١٥٨٩ ليس فقط
هجة تراجع المنصور نهائيا عن التنازل عن المراتش مهما كان العرني ولكن ايضا لانه اقام
لاقات واعدة مع انجلترا، التي كانت العلاقات بينها وبين اسبانيا في هذه الفترة عدائية
قد دخل في القضية البرتغالية بابدائه الاستعداد لتقديم المساعدة لدون انطونيو،
لذي يطالب بالعرش البرتغالي وكان قد افتمك منه فيليب الثاني، واستقباله لرسله لم لولده دون كريستوف
ولان المخاربة قد تعرضوا لبعض القواعد البرتغالية التي آلت الى فيليب الثاني، بعد ان ضم
البرتغال الى مملكته بالهجوم او الحصار كحصارهم لطنجة سنة ١٥٨٤م، وهجومهم على
سبت سنة ١٥٨٨م (٣).

ولان المنصور أعبراً قد مال في السنوات الاخيرة من عهد البابليان الى اقامة علاقات
عادية، سلمية بعد ان كان يسعى الى الحصول على المساعدة الاسبانية، والتعاون
اسبانيا لاحتلال الجزائر.

وبالاساس القبل، فان العلاقات بين البلدين في هذه الفترة ١٥٧٤-١٥٨٧ التي تتوافق مع عهدي
المتوكل طو، الله وهد الملك، وشطر من عهد السلطان احمد المنصور، وهد يد من الباشا واد
في الجزائر، وقد تراوحت بين للحربي والتهديد بالحرب، والسلام الحذر، وبين قبيل حكام المغرب
بعضهم من التبعية في عهد المتوكل طو الله وهد الملك، والحسن الشدي يد طو العباد
الطامة العلاقة في عهد المنصور، وسرة اخصي كان للقي الخارجية كالدولة العثمانية، واسبانيا
والبرتغال، وانجلترا ايضا، دورها المميز في تلك العلاقات، وتوجيهها لعموم هذا الاتجاه
او ذاك، انحو العلم او نحو الحرب او نحو التوسر او القلق والحذر. ولم ترق العلاقات بين البلدين
في هذه المرحلة الى التعاون ضد اي من القوي المذكورة ولا سيما المحطة منها لشواطئ البلدين.

(١) م. ٢٠٤. ت. ٢٠٤ : فرنسا ج ١ ص ١١٢

(٢) محمد خير فارس، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، دمشق 1982 ص 72

(٣) الفشتالي : شاهد الصفا ص ١٠١ ومجلة تطوان عدد ٨ / ص ٣١

(٤) م. ٢٠٤. ت. ٢٠٤ : فرنسا ج ٢ ص ١١٤ - ١١٦

(٥) الفشتالي : شاهد الصفا ص ٩٦ - ٩٧

((التمهيد للمجلد السادس))

=====

الصراع على السلطة في القطر بين والسلطان القلق بينهما

١١٥...١٠٦٩ / ١٥٨٧...١٦٥٩ م

أولاً : العلاقات بين حكام الجزائر الباشاوات والسلطان أحمد المنشوري

٩٩٥ - ١٠١٢ هـ / ١٥٨٧ - ١٦٠٣ م

تعتبر سنة ١٥٨٧ سنة مهمة في تاريخ الجزائر العثمانية لما اشرفنا اني ذلك في فصل
الاعمال السياسية في الجزائر وذلك في تاريخ العلاقات العثمانية المغربية وفي هذه السنة
توفي الداي علي الذي كان يدير بين مناصبي الباياري ووزارة البحرية العثمانية وناسب تدعى
السلطان العثماني خليفة حسن تزيانوف الذي زائره واستند اليه وزارة البحرية والذي الذي
بنظام الباياري الذي ظل متبعاً في تاريخ العلاقات العثمانية المغربية في هذه السنة
العثمانية حتى ذلك الذي لاقتناء الجمعية الاتحادات التي كانت تدير في العواصم العربية لتتوسط
و قد شذبة قوية على رأس الدولة العثمانية القاعدة الاتحادية الدولة العثمانية في العداقة وتمتدح
بمستلزمات واسعة وكفاية مالية في قيادة العروبة و بدم سياسة الدولة في المنطقة وتتمتع
اقتصادياً فيها وادخل السلطان مراد الثالث نظام الباشاوات العثمانية بدلا منه و بدم
سلالة الباشا المنشورية على الجزائر فقد هلا اشرفنا اني علي تونس واورابلس وتعدودة بزمين
واثرت مسخرات فقد في العواصم العربية .

وكانت الدوايق اني تغيير نظام الباياري واستبداله بنظام الباشاوات جديدة .

ولعل انما في ميدان العلاقات السياسية :

١- حقيقة صراع بين الدولة العثمانية واسبانيا في الغرض الغربي للمتوسط بعد ان .

المنصور امير تونس لما تراك العثمانيين سنة ١٥٧٤ م بعد معركة ليباقتي سنة ١٥٧١ .

٢- ميل السلطان مراد الثالث الى العداوة مع السلطان العثماني .

والى تخليه من مصالح الدولة العثمانية في المغرب ، والى احترامه بالأمر الواقع فيه واهل مستقل

من الدولة العثمانية تحت علم الأسرة العثمانية .

٣- مغاورة الباب العالي من ميول الباياريات الاستقلالية من الدولة في وقت اشيدت

فيه قوة هذه الأخيرة في الضم .

وعندما فقدت الجزائر ابتدأ من سنة ١٥٨٧ م مجرد باشوية كمثلها مثل تونس واورابلس

وقد كان هذا التغيير مؤثرا لبدء مرحلة جديدة في الحياة السياسية في الجزائر وفي العلاقات

بين هذه الأخيرة وبارتها المغرب و مرحلة تميزت على عهد الحياة السياسية بالاعتماد (٢)

(١) انظر جود واقع تغيير نظام الباياري واستبداله بالباشاوات : كولومب : باضي الجزائر ص ١٠٨

(٢) انظر فصل الحياة السياسية في الجزائر .

أما على صعيد العلاقات السياسية ، فإنها تعززت فيما تبين من عهد المنصور ١٥٨٢-١٦٠٣
بينهما المسلمي ، واستمرار الطرفين السعدي والعثماني في تبادل الرسائل والهدايا ومعاظ
الانبين على حسن الحوار . ذلك أن أوجاع الباشاوات في الجزائر لم تكن لتدفع لهم بسان
لديهم طموحات للتدخل في المغرب ، كما كان عليه الأمر في عهد البايليوبات ، بل كانوا
يرغبون على تجنب كل ما من شأنه أن يثير السلطان السعدي عليهم ، وأن احتمات السلطان
إد الثالث وخليفته محمد الثالث قد اتصفت على المنصور إلى جهتي فارس وأوربا الشرقية ،
في التفتت على الثورات الداخلية في المشرق ، وخرابات البلالية في آسيا الصغرى .
أما المنصور الذي تخلص من الشهور بالخوف والتهديد من قبل بيرانه الأتراك العثمانيين
فروا أن نظام البايليبات ، واضطراب أمور الباشاوات في الجزائر وانشغال الباب العالي بمأزقائه
الذي بات بإمكانه أن يتدخل في الجزائر وإدارات الدولة العثمانية بشكل أربأش ، فقد استدار
بإزاء السودان الغربي ، إلا أنه لم يلقه بالمتعة ، وإنما استار التآمر مع ابنه على خليفته
الأسير ، فيليب الثاني ، لينتقم منه ما أمكنه من التواجد المحتل من قبل الأسبان في المغرب ، وذلك
ذلك مما لا ينافرته السياسية في بعض الفترات ، فكان لذلك في حاجة إلى السلام مع جهرائه
الأتراك ، وإلى حسن الحوار معهم ، وتجنب استغلال ظروفهم السيئة للتدخل في شؤونهم
بشكل يضرهم يستعملون قواهم ضده .
والذي مات قدم ، فإن كلا الطرفين العثماني والسعدي كان يرمي أن تكون العلاقات بينهما
بين الطرفين الأتراك ودية سلمية حتى يتصرف للمبادرة بشأنه الداخلية أوت تحقيق مآربه .
والدليل على هذا الاتجاه السلمى لدى الدولة العثمانية ، أن السلطان العثماني محمد
سنة واحدة من التفسير الذي أوقفه في نظام الحكم في الجزائر حيث في سنة ١٥٨٨ ، سفارة إلى
المنصور (١) ومع مدية خديجة (٢) لتتفق إليه رغبته الملحة في إبرام عقد السلم والمهادنة معه ،
وهذا ما يتجلى في رسالة المنصور التي شاطب بها ابن الصوم في جنوب المغرب ، فتبخرها
حيث يقول : ((وما اتفق أيضا في هذا التاريخ ١١٩٦ / ١٥٨٨ م وهو رسول صاحب
القسطنطينية الذي انقذه إلى حضرةنا الإمامية وتبطلنا المنيفة السامية ، فأدبنا لسلطاننا ورأينا
في عقد السلم والمهادنة معنا ، مقبولا بالرب ذلك من عندنا وساميا فيه غاية جوده ، وبعد أن صدق
به لما بلغنا في حضرة ، وجمع عليه أهل مملكته وسائر أرباب دولته (٣))) وفي نفس الرسالة
ما يدل على موقف المنصور من عرض السلطان العثماني ، حيث قال : ((ولعل في علاج كل مسألة
الاسلم أن شاء الله بهذا السلم الذي أن أن يتفق بين الدولتين ، وبين منتميين المملكتين

(١) القسطنطيني ، مناهل الصفا ص ١٩
(٢) التفسير في (إبراهيم حسن علي) ، الملحة العثمانية في السفارة العثمانية ، السفري ، ١٩٢٩ ص ١٩٠
(٣) انظر نص الرسالة في / رسائل سديفة لعيد الله فزون ص ١٥٠ - ١٥٦

على صرف العناية ببول الله المباشرة ضد الدين ، وفروا حزاب الشرك الملحدين ، حتى ينجز
له هذا الامر العزيز وحده في الاستيلاء على الاقاليم ان شاء الله ، وانها وقاصيها ، وانخراج
الكفر بكون الله من دارها ، وصياحيها بحز الله ونهايته) (١١) .
فالمقصود كما يتلى في هذه الفترة كان رافيا ايضا في السلم مع الاثراك ، وذلك ليتفرغ كما
سرع الباشا ضد الدين ، وفيه يمد به هذا الامكان الذين انهزموا في هذه السنة ١٥٨٨ اسلام
تقليد ، والذين كانوا يحتلون مدينا من المراكز على الاراضي الخربية . وليتفرغ للاستيلاء
على الاقاليم الدانية والقاصية ، وهي اشارة الى مشروعه التوسعي للاستيلاء على توات وتينور وارسين
ن بديد (١٢) . ثم باذن السودان المتزامنة الادراة .
وقد استقبل المنصور السفارة الخثمانية التي كانت تنتظره في فاس في جاني سنة ١٥٨٩ .
وبدا على هذه السفارة وعلى مدي السلاطان الخثماني ، ومن الداعي الشارح من على الفشتالي ، ملك اليه
تال من ابن الحسن على التصديقي . ومن الداعي السلاطان الخثماني (١٣) .
بريته وشديته ، وذلك في سنة ١٥٨٩ رفقة رسول السلاطان الخثماني .
وعلى الرغم من ان التصديقي قد ترك لنا كتابا تاما من سفارته سماه (الفضة السكينة
في السفارة التركية) (١٤) فانه لم يفتح من المقاصد السياسية لم هذه السفارة ، ومن نتائجها
ذ اتنى في كتابه المذكور بالاشارة الى استقبال السلاطان الخثماني له برقيقه بخيد وسولم .
الى الخثمانية في اواخر نوفمبر ١٥٨٩ ، وقبيل منادرتهم لما في : وان ١٥٩٠ ، والى تقديم
مدي السلاطان المنصور رسائله ، واستقام اجوبة السلاطان الخثماني الموجهة الى المنصور (١٥) .
والى مرافقه رسولين عثمانيين لهما الى المغرب .
ولكن التصديقي تطرق في كتابه الى قضية الخلافة ، وناقش من هو احق بها ، وبالتالي من هو
احق بالسيادة على العالم الاسلامي . ثم السلاطين الخثمانيون ام السلاطين السعديين ؟
وقد كان كل من السلاطان الخثماني مراد الثالث ، والسلاطان السعدي احمد المنصور ، يتلصب
بالحق الخليفة ، ولا يعترف به الآخر . فهل كانت قضية الخلافة احدى القضايا التي تناوشتها
مشارته الى السلاطان الخثماني ، ام اثارها ؟ كما اثارها السفارة المولفة من الشاذلي والشيخلي قبله ؟
وحسب التصديقي ، فان السلاطين السعديين هم احق بالخلافة من السلاطين الخثمانيين
ودافع عن رأيه بقوله : (والخثمانيون من جملة الممالك والحوالي ، هذا فوج الله بهم عن المسلمين)
وبه لهم حصنا وسورا لاسلام ، وان كان اشرف ، واكثر اتهاهم من يصدق عليهم قوله (من) ان
الله يؤيد هذا الدين بالربيل الثابت ، وان كانوا انما حملوا الامارة وقلدوا الامر في الحقيقة نيابة
وامانة ، يؤيدونها الى من هو احق بها ، والحلم هوهم مواليها وساداتها الشرفاء ، ملوك بلاد المغرب
الذين شرفتهم الامامة والخلافة ، والشاهد لهذا انهم من الارومة السنية والدربة العثمانية
ولدتهم الرمال ، فما اشرف من هذه الولادة . . . وقد اجمع المسلمون على ان الامامة لا تتحقق
الا لمن هو من صفي قريش) (١٦) .

(١) مهد الله قسطنطين رسائل سعدي ص ١٥٦ / ١٩١٤ م ، انظر الفشتالي : المناهل ص ١٠٠
(٢) تود عربيا وقتلوا والي المنصور او اشرف عام ١٥٦
(٣) نفسه ص ١١
(٤) و (٥) التصديقي : المرجع الى
(٦) انفسه ص ١٠١
(٧) نفسه ص ١٤٧

وبل السفيران الشعثانيان اللذان هما ^(١) التيجريوتي ورفيقه الفشتالي الى المغرب فسي
 ١٥٩٠ هـ واستقبلهما المنصور في مراكش واستلم عنهما رسائل مراد الثالث وبعديته اليه .
 في انزامهما واسكنهما بدار الإمارة . ^(٢)
 إلا ان التيجريوتي التزم المنصت أيضا حول مقاعد السفارة الشعثانية ، ولكن بفضل إحدى
 يائش المراسل ^(٣) التي اشارت الى السفارة المذكورة ، علم ان أحد السفيران الشعثانيين كان
 قادرا بالذات السلطان السعدي على الانتصار الكبير الذي أعززه في مراكش عند عباس الصفوي بما
 دار هذا الأخير الى عقد المصلح معه ، والآن لم يندره بأن يرسل اليه مناب الطلف اسماعيل بن
 الملك من ثلاث سنوات ، وتدره / ٣٠ / الف دولات من كل سنة . وسبب الوثيقة نفسها فان
 من فنزيانو الذي خلفه الحلبي عليها في قيادة البحرية الشعثانية منذ سنة ١٥٨٧ هـ والذي تزوج
 ريلة عبد الملك واعتنق ابنه اسماعيل ، أما أسلفنا القول ، فان يكن السلطان للمنصور ، ويسعى في
 حياق الضرر به ، ويحمل على إثارة غضب السلطان الشعثاني عليه وعدائه له . وما فعله بهذا المنصور
 في ما تدره الوثيقة المذكورة .

ان حسن فنزيانو سعى للحصول على رسالة من السلطان الشعثاني ، يأمر فيها المنصور
 بتعين الأمير الصغير اسماعيل من دون اقليم من اقاليم مملكة فاس ، ولما تحصل عليه لم يرسلها
 اليه وتظاهر بأنه فعل ، يقدم إثارة غضب السلطان الشعثاني على المنصور بسبب عدم امتثال هذا
 الأخير لحالبه ، وقد بقي المنصور ثلاث سنوات دون ان يدفع اي مبلغ ، الأمر الذي جعل السلطان
 الشعثاني يندره بدفع مرسوم الاقليم من ثلاث سنوات ، وكان حسن يأمن ان يجعل الهبلن الكبير
 المدعوب السلطان السعدي يحمي أمر مراد الثالث فيشير ذلك غضب هذا الأخير ويجعله
 يشهر الحرب عليه . ثم ان حسن فنزيانو استغل الإشارات القائلة بأن أحمد المنصور يريد تسليم
 الأمير البرتغالي دون كريستوف بن دون اندونيو ، الملك البرتغالي المخلوع ، الذي كان في بلاطه
^(٤) فيليب بن فيليب ، بضم الفاء المنصور على مساعدة هذا الأخير ، وتأييده له
 عند المعاجسة ، وهو ما لا يريد ، حسن ان يبق في فرض السلطان الشعثاني على المنصور حتى ان مراد
 ناد يرسل في قالب ابن دون اندونيو ليحتضنه به رغبة لديه ، فقد في عين اسبانيا ، ولما لينشأ
 في فضاء ملك فاس .

التيجريوتي ، الفتح ، ١٣٩
 نفسه ، ص ١٥٧
 انظر رسالة إدوارد هارثون ، سفير انجلترا في تونجا الى رينولد سيمبل ، نائب الدولة وهي بتاريخ
 ١٥٩٠ / ٦ / ٢٤ . في مجلة تالوان عدد ٨ ، ١٩٦٩ ، ص ٤٠
 الفشتالي ، المرجع السابق ص ١٠١

وقد تمخض السفير اذ وارد كاتب الوثيقة، بأن تبحث الملكة اليزابيث، في طلب الاميرالبرتغالي
المذكور لقرعته حصول قلائد كبرى في المغرب، بين الاتراك العثمانيين والمندسور، كان يقدم اترك
بزائر تونس على مداهمته على حين غرة، وان يتم السلطان العثماني بتأليب المغرب على المندسور (١)
فهم من كلام السفير الانجليزي هذا ان السلطان العثماني تأثرا قويا في المغرب، كما يفهم
من رسالة الملكة اليزابيث الى السلطان العثماني، المؤرخة في ٢٤ / ٨ / ١٥١٠ (٢) ان لهذا
الخير تأثيرا على المندسور نفسه، بحيث ترتبته فيها ان يبحث الى السلطان المندسور رسالة تبين له
في تنفيذ ما التزم به من مساعدة مادية وعسكرية لدون اندونيو (٣) عند الملك الاسباني فيليب الثاني،
لذي يسعى الى تحقيق الملكية المانية (٤) وقد بحث السلطان العثماني الى المندسور رسولا للتداول
في الامر المتعلق بمساعدة دون اندونيو (٥) كما دال على منه ارسال الاميرالبرتغالي دون كريستوف اليه (٦)
بعد استئجاب المندسور لما دليبه منه مراد الثالث ؟

من الواضح ان السلطان العثماني بهذا انتصاره على الصفويين، وخلاصه من مشكلتهم، وبعد مجال
لانتقام بقضايا المغرب، وللتدخل في شؤونه، مستغلا فيما يبدو دوى انتصاره، ولكن انتصار
العثمانيين المذكور الذي تظاهر المندسور بصره به وانسراحه له (٧) فهي البشارة التي لا ترضى
للمندسور بها، والنبا المسجيب الذي فوجئا به بجهه المسار فوجئا لا يشيب صبها ومساء (٨) لم يطمح
المندسور انشر طواغية، للاستجابة لكل ما يذله من السلطان العثماني او انشغاية منه.
واذا كانت رسالة المندسور اليزابيثية من رسالتي الثالث، التي نقلها اليه السفارة العثمانية،
لم تنرق الى قضية التمريض، او الى قضية ابن دون الطونيو، واكتفت بالتركيز فقط على حق المندسور
العثماني في نفس المندسور، وفروق بين لما تقدم، فاننا نعلم من هو متوفر من الوثائق ان مطالب
مراد الثالث لم تلق التبول لدى المندسور، ولهذا الاخير لم يخصص اي اقليم من الاقاليم المغربية،
او مدخله لابن ابي مولا اسماعيل (٩) معتبرا بان رعاياه لا يسمعون له ابدا بان يضع يده
بين أيدي الضباط (الأتراك) وليس هناك اشارة الى انه سلم العليل المدلول بتمريض من ثلاث (١٠)

انظر رسالة السفير الانجليزي ادوارد بارتون، في المرجع السابق ص ٤٠.
(٤) انظر الرسالة في ١٠٠٠، انكثرا جزء ٢ ص ٤٠-٤١.
كان المندسور قد وعد دون اندونيو بمساعدة مالية قدرها ١٥٠ / الف وبنات وجاءه دون كريستوف ابن
دون اندونيو في مطلع سنة ١٥٨١ ليبتى رغبة لديه في مقابل المال المذكور وقد ظل في المغرب الى
ربيع سنة ١٥٩٢ بدون ان يسمع والده على اي من من المندسور. انظر رسالة تطوان عدد ٨ / ص ١١-١٢.
ابن تاروت، من زوايا التاريخ المغربي، في تطوان عدد ٨ / ص ٤٩.
(٩) انكثرا جزء ٢ ص ٢٠١.
من رسالة المندسور الى مراد الثالث. انظر في رسائل سحدي لعبد الله شون ص ١٨-٢٤.
(١٠) انكثرا جزء ٢ / ص ٥٥-٥٦. (من رسالة ماثياس بيكود الى دون اندونيو بتاريخ
١٨ / ٤ / ١٥٩١.)

منه خواتمه ولندن المنصور كما تبين مما تقدم فان يرسل هذا الى السلطان العثماني ، مرفقة بدون
شيك بتقديمه وهذا للامبر الصانين بل انه استمر على ذلك ، الا ان ما كان يقدمه لهذا الاخير
لم يكن منتظما ، اذا نرى من خلال طلب السفارة العثمانية انه بقي ثلاث سنوات دون ان يبعث
له بشيء .

اما بخصوص دون انطونيو البرتغالي ، فقد انفق السلطان العثماني في دفع المنصور
الى تقديم المساعدة اليه (١) كما فشل في الحصول على ابنه من المنصور ، وان هذا الاخير
آثر ان يعيده الى انجلترا من حيث اتى الى ان يعلمه اليه ، وقد تمت هودته الى لندن في ربيع ١٥٩٢
ولا يبدو ان امتناع المنصور عن الاستجابة لطلبات مراد الثالث ، او الرنخ لضموا له قبل
اشهره بخاطر الاتراك على ملته . وما يؤكد عدم تنوفه من تدخل عثماني حثري ضده في المنصور
اقدامه على تنفيذ حملته على بلاد السودان في نوفمبر ١٥٩٠ ، في الوقت الذي وصلت فيه
سفارة مراد الثالث الى المغرب ، واستمراره في ارسال الامدادات الى السودان بعد ذلك .
ولعل ما كان يدللن المنصور من تدار تدن عثماني في المغرب ، وقد فعل من رفضه لطلبات
مراد الثالث في اوضاع الاتراك العثمانيين الداخلية التي تردت في السنوات الاخيرة من عهد
مراد الثالث .

وفي الجزائر المجاورة للمغرب ، شهدت سنة ١٥٩٠ قيام بني عباس بالتمرد على الحكم العثماني
واعتناهم عن دفع الضرائب ، واستيادتهم على سهل بجاية ، فاضطر الباشا المنصور الى ان يبعث بنفسه
على رأس ابرقوة ، ولكنه نجح فيهما من القوات النظامية ، وفي النظامية في ديسمبر ١٥٩٠ ، واستمر
التمرد بين في قلوبهم ، وقات فيما جاورها . وكان الصراع بين الطرفين سيطر لولم يتدخل
بينهما احد المرابدين ، الذين كانوا يتمتعون بنفوذ قوى ويقع الطرفان على وقف حالة الحرب .
ولكن هذه الثورة التي حدثت الى حين لم تثن سوى مقدمة لسلسلة من الانتفاضات شهدتها بلاد
القبائل بدءا من ١٥٩٢ ثنائ ثون متواصلة دواول نصف قرن تقريبا ، مستغلة الصراع الذي كان
(٤)

(١) تدون المنصور بانفسه بحملته على السودان ، واشترط ان يعلم بالحملات على البرتغال مسبقا وان
تكون المساعدة الانجليزية بعدم ينضم الفصحة ، تدون رسالة المنصور الى اليزابيث المؤرخة ١٥٩٢ / ٦
١٥٩٠ في مجلة تداوان عدد ٨ / ص ٧٧ - ٧٨ .
ورسالته المؤرخة بربيع الاخر عام ١٥٠٠ هـ الموافق نهاية راتني . دواول فيفري ١٥٩٢ في مجلة
تداوان عدد ٣ / ص ٥٥ - ٥٧ .
تدون : انجلترا جز ٢ / ص ٧٠ .
(٢) تدون : انجلترا جز ٢ / ص ٧٠ .
(٣) تدون : انجلترا جز ٢ / ص ٧٠ .
ود ورامون : المرجع السابق ص ١٣٩ .

الماضي، مدينة الجزائر بين الجند الانتشاري والثافة الرياس والكرافلة، والذي قداءه بعض
لباشاوات بتأليب هؤلاء على أولئك، وساعد على استفحاله ضد الباشاوات، وقد بعضهم على بعض
وفي تونس أدى تسلسل ديوان الجند الانتشاري الى اضطراب الامور فيها والى ثورة الانتشاريين
انفسهم على ديوانهم الذي كان يتألف من نهار الضباط ((البولكباشية)) وذلك في أكتوبر
١٥٩١، وانقضت فترة قبل ان يتمكن الداء، فثمان من اعادة الهدوء الى البلاد وتنظيم امورها (١)
وشهدت اياالة طرابلس ثورة نهيرة بقيادة سيدي يحيى سنة ١٥٨٩، اضطرت الدولة
العثمانية الى ارسال اسطولها محملا بقوات نهيرة للقضاء على ثورته وذلك في سنة ١٥٨٩، ولم
يتأت لها ذلك بسهولة (٢)
وشهدت السنوات الاولى من العقد العاشر من القرن السادس عشر تمردات كثيرة للجنود
الانتشاري في تونس مصر واستانبول، سودا وتبريز وغيرها . واطلاق الافلاك والبغدان وترانميليغانيا
الاسبانيان، والتحالف مع النمسا وامبراطور المانيا (٣)
فهذه الثورات، وهذه التمردات التي شملت معظم ولايات الدولة العثمانية، ولم تسلم منها
عاصمة الدولة نفسها، لم تكن لتسبب للملطان العثماني بالدخول في صراع مع السلطان السعدي .
ولم تكن اوضاع الدولة العثمانية اقتضى على السلطان احمد المنصور الذي كان له بصايرات
واسعة (٤)

علاقة المنصور بالاسبان :

ان المنصور وهو يتقرب من الانجليز بعد انتصارهم على الاسبان بعد سنة ١٥٨٨ على الخصوص
او وهو يحسن علاقته مع الاتراك العثمانيين بعد سنة ١٥٨١ لم يقطع ابدا خط الودعة
الى عليهما الطبيعيين ضد هؤلاء الاخيرين، ألا وهو فيليب الثاني ملك اسبانيا، فالمنصور لم يقدم
في نهاية الامر اي عون لدون انطونيو، الذي كان يناوئ فيليب الثاني، وعلى الرغم من جميع الضغوط
الانكليزية والعثمانية، التي كانت تمارسه على مساعدته، وعلى الرغم ايضا من بقاء ابنه الامير دون كريستوف
رهينة لديه مدة تزيد عن ثلاث سنوات .
ولم يسلم المنصور الامير البرتغالي المذكور الى السلطان العثماني ليتخذة قذى في حين اسبانيا .

ميرسي : المرجع السابق : ص ٣٠٨
هايدو : ملوك الجزائر ص ٢٠٥
علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية دمشق ١٩٨٠ ص ٨٦-٨٧
العثماني : المرجع السابق ص ٢٠٧

وأمر التوجه الى غزو بلاد السودان ، على المصلح على تحرير بقية المراكز المخروية التي كانت
 • ثلثة من قبل الاسبان • فهذه المواقف كلها جعلت تحت الربيعة وطريق التقرب من الاسبان غير
 مقدور • والواقع ان علاقاته مع الاسبان قد امتدت في القرون من جديد منذ سنة ١٩١٧ م / ١٥٨٩ م
 وهي السنة التي قرر فيها فيليب الثاني ان يفتح المنصور من آسبلا • على لا يندفع بمسيدا فسي
 التدخل في القضية البرتغالية الى بطاقب الانجليز •

وفي سنة ١٥٩٤ م أصبحت المقاتلات بين المنصور وفيليب الثاني كما تشهد على ذلك رسالة تلقاها
 هذا الأخير من المنصور ودية • ويتبادل الطرفان الرسائل والسفارات • فكيف تطورت اذن العلاقات
 المسعدية العثمانية في العقد الأخير من القرن السادس عشر ؟

على الرغم من رفض المنصور لمطالب مراد الثالث والتدخله في شؤون المغرب فان العلاقات
 بين الدارين لم تتدهور الى حد النزاع كما كان يحصل في سنة ١٥٨٩ م / ١٥٨١ م ، ولم تنقطع
 تماما • بل استمرت عادية سلمية • يعود بين الدولتين حسن الجوار •
 ولما توفي محسن نيزيانو سنة ١٥٩٦ م / ١٥٩١ م والذي كان متحمسا للتدخل في المغرب

على قرار سنه السلي على • ثم تلاه مراد الثالث في مطلع ١٥٠٣ م / ١٥٩٥ م • تبادل المنصور
 السفارات والرسائل والهدايا مع محمد الثالث وتبارت بينهما د ولته كوزيره سنان باشا • وبين باشا
 الجزائر خير باشا وسليمان باشا • وكان اهتمام محمد الثالث من جهة الحامية النمسا اثر من اهتمامه
 بالمغرب •

وفي الوثائق المخروية رسالة مائة من المنصور الى خير باشا • هي رد على رسالة هذا الأخير
 التي نالتها اليه سفارته • تلقى اخواه على العلاقات بين الجزائر والمغرب من جهة • وبين هذا الأخير
 والدولة العثمانية من جهة اخرى • (٣)

فمن هذه الرسالة نعلم ان المنصور استقبل سفارة عثمانية نقلت اليه خبر وفاة مراد الثالث
 وتولية ابنه محمد الثالث مكانه • وهذه الرسالة من هذا الأخير • وزيره سنان باشا اليه • وفي الرسالة
 الجوابية للمنصور تبين رغبته بزيادة كنفه في الجزائر واتراكها في اقامة علاقات حسن جوار بين
 البلدين • وفي واقع الجانبين ما يؤكد حرصهما على عدم اتيان ما يعكر صفو العلاقات بينهما

(١) انظر رسالة المنصور الى فيليب الثاني المنشورة في مجلة الدراسات العربية واليهودية
 العدد السابع سنة ١٥٥٨ ص ١٢٣ - ١٥

(٢) انظر رسالة المنصور الجوابية الى سنان باشا في رسائل مسعدة لمبد الله كيون ص ١٦ - ١٠١

(٣) انظر رسالة في رسائل مسعدة لمبد الله كيون ص ٢٥٤ - ٢٦٢

تتم الجداء والنزاع مومنا تشير الى موقف باشا الجزائر من الناصر بن عبد الله الخالب الذي تسار
شد منه المنصور في شمال المغرب وشرقه في ربيع ١٠٠٣هـ / ١٥٩٥ م ، والذي توجه بعد انضمامه
الى ضمن في الحدود الغربية الجزائرية ، وسمى الى المنصور على مساعدة اترك الجزائر .
وموقف المنصور من هذا التماس هو من جانب لراب الاوضاع في الجزائر .

ومن الرسالة نفسها نعلم ان موقف باشا الجزائر واتراكها من ثورة الناصر كان عدم التأييد
والمناصرة ، حيث رفض الباشا الاستجابة لطلب المساعدة الذي تقدم به اليه رسل الناصر ، ووضح
الى اترك تلمسان (١) بعد باب القبول في وجهه ، وعدم اسلام الجيش الى الالتفات اليه ، والالتفاف
عليه (٢) . وبحث رسوله الى المنصور ليعرض عليه مساعدة المستمرة ان انتاج
التيار ، وكان السلطان السعدي ، خائفا من تاورات هذه الثورة كسك يقدم الاترك على تقديم
المساعدة له فاتخذ لها كافة احتياطاته ، وبل انه اتصل بأمر كوكو عمار بن القاضي بهذه التحالف
معه ضد اترك الجزائر (٣) . ولما جاء رسول باشا الجزائر رجب به وسر لهذا التطور الجديد ، واثق

على مواقف الباشا الودية هذه ، فعاد اليه قائلا : (فذلك هو المظنون بمناكم المكين ، والمعتقد
في عهدكم الوثيق انتمين ، وودادكم الواضح المبين ، ونيف لا وانتم من اوليائنا المخلصين ، واجباثنا
الذين تشبه عليهم يد الظنين . ولما نشك في ان كل ما يسمونه لنا ولو كان اضعف ، مثل هذا من خيط
المكتبوت - لا تساعد عليه محبتكم الراسخة الواحد (٤) . وفي زمان آخر من الرسالة قال : (ان
هذه الدار وتلك واحدة وعلى الاتعاد والامتزاج بحول الله في كل حال متماضه (٥)) .

ونعلم كذلك من نفس الرسالة ان المنصور تحاشى ملازمة الناصر الى ماراء الحدود الشرقية
المغربية قبل ان يستأنف من اترك الجزائر ، وفي هذا دليل على حرص المنصور من جهة على
عدم اتيان اعمال تعرف ملاقات حسن الدوارج الجزائر الى التدهور . (فلما رأينا تقاصر عنكم ،
لم نرد اقامه الا بعد مفارقتكم واعلم مكانكم (٦)) .

ونتيجة لعدم تدخل اترك الجزائر ضد المنصور بمناسبة ثورة الناصر ، وعدم استغلال المنصور
الذروف المصيبة التي كان يعاني منها الاترك العثمانيون في الجزائر في اواخر عهد صواب ، بسبب

اندثار حول الثورة ، الحياة السياسية في المغرب
من رسالة المنصور الى خضر باشا ، انذارا في المرجع السابق ص ٢٥٧ . (رسائل سعدي) لتون
اندثار بين اسبانيا وكوكو في المرجع السابق ص ٣٠
من رسالة المنصور الى خضر باشا في رسائل سعدي لتون ص ٢٥٨-٢٥٩
نفسه : ص ٢٦٠
نفسه :

منازع الداعلي بين باوائف الجند الانتشاري والتواظف والرياس ، او الثورات التي قامت ضدهم ،
 ليتدخل ضدهم ، استمرت الحلاقات بين الحارفين المحدثي والجزائري العثماني ، سلمية
 ية ، يتظاهر كل منهما بالاستعداد لمساعدة الآخر في التغلب على ما يواجهه من الصعوبات .
 على غرار ما ابداه خضر باشا من استعداد لمساعدة المنصور في القضاء على ثورة الناصر ، ابدى المنصور
 بجهته استعداد لمساعدة باشا الجزائر على مواجهة خطر حملة اسبانية كانت مستعدة في اواخر
 القرن السادس عشر ، بعد التقارب الذي حصل بين امير كوكو همار بن القاضي وفيليب الثاني فسي
 سنة ١٥٩٨ (١) قائلا في رسالته الجوابية الى باشا الجزائر الذي اخطره بهذا التقارب ومخاوفه
 نتائجها (. . .) ثم اعلما انه ان آتتم من جانب الخيرة دمرهم الله عمارة تنشا او اسدولا يوم
 حيتكم ويخشى ، واحتجتم اليها فنحن بعهد الله بانفسنا واموالنا واجنادنا مودون انصرثكم
 اتم اعية واستعداد ، واحتقال ، لا يزال ، لنكابة الكفر بحول الله بالمرصاد ، واذ اننا صافية
 اهيتم ، وشبوب صوت مناديتكم ، ومتى ناديتم وانينام بحول الله بمسائونا المظفرة بالله خيملا
 مارا ، واسودا للجهاد تزار في ذات الله فمارا . فان كلمة الله الاسلام في النصر على اعداء الدين
 عدة ، وعلى ارضهم انوف المشركين بحول الله متعاضده (. . .) (٢)
 (٣)
 ولكن اترك الجزائر لم يستعينا به ، واهلها لمواجبة حملة دوريا على الجزائر في سنة ١٦٠١ ،
 في الزمن من علمهم بالاعداد لها ، وبغيرها قبل تيامها ، اوللقضاء على ثورة القبائل التي حدثت
 في العثماني في الجزائر في اواخر القرن السادس عشر ، وذلك السابع عشر ، وحاصر الثائرون الماصمة
 بضعة ايام ، وحاصروا فيها ببارها . (٤)
 والترك بموقفهم هذا شبيهم بموقف المنصور الذي لم يستعن بهم ايضا لاشاد ثورة الناصر ،
 القضاء على هذا الاشره ، اولشن حربه على الامهان الذين اثاروه عليه . وقد كان المنصور ناقصا
 في هؤلاء الاخيرين ، رافها في الانتقام منهم ، وانذ بعد المدة لذلك ، ولكنه لم يجرؤ على محاربتهم
 هذه ، ولم يرغب في التعاون مع الاثراك ، بن رغب في التعاون مع اليزابيت ملنة انكفرا . فبحث اليها
 في سنة ١٦٠٠ سفارة لتعرض اليها انقيام بعملية مشتركة على الاسبان في مراكزهم في المنصرب
 بين : المربح السابق ص ٣٠ ، حول التقارب بين كوكو واسبانيا)
 سائر سجدية ، لصيد الله كون ص ١٤٤
 فان حول هذه الحملة دفرامون المربح السابق ص ١٤١
 ص ١٤٠

مقدارهم ولكن ملكة انكلترا التي شهرته في قضية دون انطونيو ، وعرفت تردده اعتذرت عن
عرضه لاعتقاده ان شن حرب على الاسبان يعني ان تكون في المبدأ داما الشراء
هذه الاغيرة يحصلون على مصادر دم وايضا في اسبانيا . واهدى المنصور اهتماما بالفكرة ،
بينه وبين اليزابيث مذكرات خلال سنتي ١٦٠٠ و ١٦٠١ لكنها باءت بالفشل في النهاية .
المنصور يعتقد انه بالامكان ان يوصل العرش الى التحالف ، ولعله لهذا الغرض والى
اليزابيث ان تنقل على سفنها بحثة مغربية الى حلب .
وفي الوثائق الانكليزية رسالة من المنصور الى اليزابيث بتاريخ ٢ رمضان سنة ١٠٠٨ / ١٧ / ٢
١٦٠٠ . ملتها الى هذه الاغيرة السفارة المغربية التي توجهت الى انكلترا في صيف عام ١٦٠٠
فيها : () انه يريد على ملكتها شهادتنا ، وعلية هذا الكتاب الكريم ، الذين وهم ناهم الى
لقباء بعض ما رينا ما عن لنا من افراخنا ، وقد اخترنا مرهم على بلادك للمحبة التماسي
فينا ، والصداقة التي تقررت بين جنابنا وجنابك . (١)
وفيها طلب من الملكة اليزابيث ان تتوصى في نقلهم على متن سفن بلادها المحتوية الى حلب ،
ان تحاط بهم كتابا توصي فيه تجار بلادها باعدادهم الى المغرب على متن سفنهم ، بعد استيفاء
اراضيهم .

أما هذه المآرب والأفراض التي كان المنصور يريد قضاءها في حلب فلم يفصح عنها، مما
يسبب من الاحتمالات العديدة على اعتراضه - سياسة: بالتحرّف على الاوضاع التي انبثقت
مساعدة هناك في تلك الفترة مدونات اوضاعا مضاربة - (٣) واستغلالها في الدعوة لنفسه هناك،
(٤)

واقترح رؤساء الثائرين بالاعتراض به عليه .
وقد كان المنصور يومئذ دماة الى العشرة (المرج) ، ولا سيما الى مصر في شغل طلائع علمه ،
ارتداد ارضه اوحياج ، ليقوموا بالدعوة له ، والتصرف به ، واتصاف اعداء وموالين له ، ومن اشهر
مؤلايهم ابراهيم بن القاضي ، صاحب كتاب المنتقى المصنوع في مآثر الخليفة المنصور (٥)
واعني له في مصر دماة من المصريين من بين الاسر العلمية نأصرة البكرى (٦) والقراشي (٧)
٢٠٤

(٧) الفتاوى المرجع السابق من 189 272
 متداول رقم 1153 (الهيئة الوطنية بالرباط)
 انظر ابن عاتق من زوايا التاريخ العائلي
 ٤٤٨-٤٥١
 انظر خاصة الاثر للشيخ جز ٢ ص ٨٤-٨٧ و ١٢٢-١٢٤ و جز ٣ ص ١٢٥/١٤٠ و جز ٤
 ص ١٦٠-١٦١ ثم ثورة ابن اخيه علي جنبلاد
 الامرين وانتفى الامر بقتل حسين باشا عام ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م
 باشا جانيبولاد ثم عين هذا الاشهر واليا على حلب وبق في صراع مع نصي باشا فاست انقاره حلب
 كان الانتفاضة بارون بحيثون فسادا في حلب وقراها وتفنن منهم واليهما نصي باشا وحسين
 انظر رسالة المنصور الجوابية من مذكرة المزابيت في ١٢٩١ م انظر جز ٢ ص ٢٠٤
 واصبى له في مصر دماء من المصريين من بين الاسر العلمية نأسرة البكري (٦) والقراشي (٧)

ولعله كان له في حلب أيضا دعة من أهل البلاد ، ولا سيما من الأشراف هناك الذين كان لهم نفوذهم وسدوتهم في المدينة .

وإذا صح هذا الاحتمال فيكون فرض المنصور هو مناوأة السلطان العثماني ، وانتماء ظروفه الصحية إلى تجارة ، وما يدفع إلى هذا الاعتقاد ما ورد في رسالة جون طومسن إلى أخيه ، المباشرة للسفارة المغربية المذكورة ، التي عرف فيها بأعضائها الأربعة ، فقد ذكر أن الحاج ميسا (نذا) والحاج بهنيت (كذا) هما ، كما يقال هنا (في المغرب) كتاجرين ليتاجرا في بعض الديارات (حلب) . . . وقد اعتقدنا هنا بسرية ذلك بحيث أنه لا يدري أحد ما هي البلاد التي سيتوجهون إليها . وأكد على دور مذهب المذهب الثياري في شأن آخر من رسالته قائلا : ((والثمن السيد الحاج ، والحاج الآخر اللذان سيذهبان للاتجار في بعض الديارات سيتسلمان هناك كثيرا من الأموال للسيد محمد (نذا) وفلدا مستوفيا وهو المال الذي يعود عليهم كخصم لهم في الصدقة التي أجروها مع الملك (١) .

وقد كانت حلب أحسن الموانئ التجارية الباقية في المشرق العربي في هذه الفترة ، فلهذا يستبعد أن يكون المنصور قد رغب في الحصول على بعض البضائع من هذا المركز الهام أو ربحا حادقات تجارية مع تجارها .

أما موقف الملك إليزابيت من نائب المنصور المتعلق بإرسال مبعوثه إلى حلب على متن سفن المشرقة التابعة لبلادها ، فكان الاحتذار من تلبية طلبها لها في ذلك من أي الر (٢) ولعله تخشى من أن يؤدي إرسالهم إلى إثارة غضب السلطان العثماني ، ولشما غفلت بإعادتهم إلى المغرب . وقبل المنصور احتذارها (٣) .

وقد كان رسل هذا الأخير إلى الدولة العثمانية يستقلون حادة السفن العثمانية في ذهابهم وإيابهم ، الأمر الذي يجعل إرسالهم على متن سفن بلدان أخرى مثيرا للشكوك ولا سيما إلى مذاقة كانت من ديارسنة .

ولاشك أن الهدوء والاطمئنان الذي نعم به المنصور في داخل مملكته بعد نجاحه في القضاء على ثورة الناصر في ماي سنة ١٥١٦ ، ولأن مدة سجن هو الذي اتاح له الفرصة للتفكير في التدبير بشأن أو آخر ضد الأسبان ، وفي استئذان الظروف الصحية للسلطان العثماني على النحو الذي (٤) من رسالة طومسن إلى ريتشارد . إنذارها مترجمة إلى العربية في مجلة تاروان عدد ٨ / ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

مات أنطون ، بين ١٨٩٠ و ١٩٢٠ .

نفسه ، ص ٢٠٤ .

تقدمت الإشارة إليه، ولكن هذا المهدوء، وهذا الامتثال قد اضطرب، وأعقبه قلق وانزعاج، بعد أن لاحظ المنصور ابنه ولي حمده محمد الشين يندب نحو الأتراك، ويقرب القبائل المعروفة بولايتهم لهؤلاء، ويتخذ منها الجند والمستشارين، مما عده تطورا خطيرا يهدد مملكته نصبا يتولى ذلك من رسالته إلى ولي حمده المذكور:

((والذي شق علينا أعظم من هذا كله، واستفترناه، ولم نجد صبرا عليه هو ما وجدناه قد ادلى عليه أولاد طلحة... في إخباركم والفياء قد توصلوا من ذلك ما لم يتوصل إليه والله أحد من كبار عدائكم أهل بلادنا وغواص أهل بساطنا لأن أهل بلادنا أحياء ما لهم بحث إلا في مصالح أنفسهم وهوؤلاء إنما يبحثون على القوة ومروءة المصلحة، فإذا بهم تستخدمونهم بطائفة واحدة قائم، وتعال المعونهم على أموركم وأحوالكم مع أن القوم مازالوا ببلاد الحدود (كذا) وبين أظلمره وإنما الذي به المعونة يحتاج، نقداً ونقد، فإن اتروا قد ادخلوا عليه حتى تأتينا شامدوه ووقفوا عليه بأنفسهم (١٠) (١١)

ويقتض من هذه الفقرة أنه كان لا يزال يخشى أتراك الجزائر ولا يأمنهم. على الرغم من أن هؤلاء كانوا في هذه الفترة يحانون ظروفنا صعبة من شرو الأسباب، وثورة القبائل، والنزاع بين طوائف الجند، وقد الباشاوات بعضهم على بعض، مما لم يكن يسمي لهم بالتدخل في المنزلة لهم هذا أو ذاك من الثائرين أو المتمردين على المنصور.

فكيف كان تعرك المنصور لمجاهدة موقف ولده؟ ولقد سعى إلى التقرب من جديد من الحليف الدايي في تلك أسبانيا فيليب الثالث في ربه شطرا الأتراك الحثائين، فحققت معه تحالفا في أوت ١٦٠٦ متحالفا بذلك من رغبته في توجيه ضربة مضادة للأسبان الذين ازدهروا بمولاي الناصر سنة ١٥٩٥، ثم أقدم بعد ذلك على مهاجمة ولده في فاس، وحسب الأفراسي (١٢) فإن محمد الشين هدد والده أن هو تمردك إليه بالتوجه في إصغابه إلى تلمسان والديو إلى أتراسها، مما جعل المنصور يتراجع من مهاجمته، ويحمل على أمانيته، ولما تحقق له ذلك فاجأه بمؤامرة سرية فلم يتمكن من تنفيذ مقاومته في فاس، والفرار إلى تلمسان، كما هدد من قبل ولكن ما استداره هو المخرج من فاس والدعاق بزاوية أبي الشتاء، وهناك تم القبض عليه بعد مقاومة بسيدة واقتيد

(١) الأفراسي، النزهة ص ١٢٥
(٢) م. م. م. م. فرنسا جزء ٢ ص ٣١٨
(٣) الأفراسي، المرجع السابق ص ١٨٠

(١)

الى مسجون مكاسبسة .

وقد حرص المنصور على اخذ الباشا الجزائري نور القضا على ترمود ولده ، ومشيروا الى سبب
تدركه الى فاس بقوله : (ثم يعيد بلختم ان سبب اقبال مقامنا . . . هو استشعارنا من ولدنا
(بب) الشيخ وحشته اختلجت بضميره . . . نأقيلنا لجهالة كسوفها عن باله وغيما وارسان تزيق
الحكم الفاضل على ايها ، فلما قرب زناينا الحلي من هذه البلاد نحن لنا عن فاس وعن جميع من
بها من الابناء ، وممن فيها في سنة نقر الى رابطة المرباط ابي الشتاء ايدانا لمقامنا الحلي
بالدانة والمباركنا الحرم . بعد الاستدانة . وتوهمنا عنه فوصل وانتقام به والحمد لله الشمل
وانتم وزان منه بحمد الله كل ما كان سبب الوحشة من الهواجس الملحة والغواطر المدلهمات) .
اما رد فعل اترك الجزائر وباشاها فتعلمه من خلال رسالة المنصور الى واهية الدس
سليمان باشا الجزائر : (هذا) وانه اتصل بحلي مقامنا تباين . . . فتعرفنا منه ماقررتم من سروركم
المتضاعف لما بلختم من جميع الشمل بولدنا . . . وقرر مناخم ماكان من عزيمت لأول ما بلختم هذا
الدارق على التنب الى علي مقامنا بالاستعدادات وبمقابلة جانب ولدنا بوجه الصقي وبميل الالذاف)
وهكذا طغت المبالغات على المراسلات بين المنصور والأتراك العثمانيين في حين ان كل
جانب كان لا يطمئن الى الجانب الاخر ، فالمنصور كان دائما متوقفا من الأتراك العثمانيين ، وحتى
بعد تغيير نظام الحكم في الجزائر ، وما تبعه من تدوير في اوضاع ايالة الجزائر . والأتراك في
الجزائر كانوا يخشون استغلال المنصور لظروفهم السيئة ، ولا يطمئنون الى اقواله ، ونتيجة لذلك
لم تزد العلاقات في احسن الظروف من تقديم عروض للتحارب في مناسبات معينة ، ولم ترق اهدا
الى تلاحم او تعاون حقيقي ، فلما كان ينتظر ان يحصل .
ولعل ما ميز العلاقات بين المنصور والأتراك في عهد ما بعد البايبراي هو انبعاثها نحو
السلام وحسن الدوار وتبادل الانبار بما يدر في البلدين . فهل استمرت كذلك في عهد
ابناء المنصور ؟

(١) الافرائي ، المربع السابق ص ١٨٠

(٢) انوار نص رسالة المنصور في رسائل ممدية لعيد الله تفون ص ١٦٢

(٣) انوار نص رسالة المنصور في المربع السابق ص ١٨٥

ثانياً : العلاقات بين حكّام الجزائر الباشاوات وحكّام المغرب بعد المنصور
1012 - 1069 هـ / 1603 - 1659 م

دخل المغرب بعد موت المنصور في مرحلة جديدة (1603 - 1659 م) . تميزت بالاضطراب والتجزؤ إلى مملكتين ثم إلى عدة أروعات سياسية ، ويتجدد اطّاع القوى الثنارية فيه ، مع ازدياد عدد ما ، إلى جانب اجتياح الاويّة والثوارث بين فترة وأخرى .
أما الجزائر في هذه المرحلة فقد استمرت الاوضاع فيها مضاربة بصفة عامة نتيجة التنافس الذي كان بين الجند الانكشاري والمائفة الرياس ، والنواقل ، وجزر الباشاوات عن المسك بزمام الأمور ، وقيام ثورات ، ولا سيما في بلاد القبائل ، وتجدد الغزو الثناري للشواطي ، والمدن الساحلية والذين اضاراب الاوضاع في الجزائر بصفة عامة لم يحد دون توسع نشاط الغزو البحري وازدهاره في هذه الفترة (٢) .

وأما الدولة العثمانية فقد عالت في هذه المرحلة إلى الضعف أكثر فأكثر ، إذ لم يكن خلفاء محمد الثالث الذي توفي هو الآخر في سنة ١٦٠٢ على درجة كبيرة من القوة ، بل ان أبناءه صفاء وحفيده عثمان ، كانا الضحية في أيدي الانكشارية ، ولولم يخلو منهما متى شاءوا . ونظر الثوارون على الدولة من الداخل ، وتجدد صراع الدولة العثمانية مع الصفويين . وشعروا بضعفها ، جعلها تعيش صداماً مع النمسا قبلت فيه بالتنازل من الجزية التي كانت تدفعها هذه الأخيرة لها . وقد خضعت الدولة العثمانية خلال هذه الفترة عدة معارك بحرية أمام مالطا ، وأيداليا ، ووقعت هولندا اتفاقية امتيازات تضاهي اتفاقية امتيازات فرنسا . فتمت ، كانت العلاقات بين المغرب والجزائر في هذه الفترة ١٦٠٢ - ١٦٥٩ ، وهذه المرحلة المضاربة من تاريخ البلدين وتاريخ الدولة العثمانية تقدمت الإشارة إلى ان الدولة العثمانية قد عالت منذ أوامر محمد السلطان مراد الثالث إلى مسالحة المغرب ومهادنته ، وإلى أن باشاوات الجزائر الذين كانوا يصنعون لفترة ثلاث سنوات قتل ، ثم يستبدلون . - وتشيرون منهم عزلوا أو قتلوا قبل انقضاء الفترة المحددة لهم . - لم تكن لهم سياسات واضحة بعيدة المدن ، ولضم المغرب . ولم تكن لديهم القوة الثقافية ولا السلطة للتدخل المباشر فيه ، كما كان عليه الأمر في عهد البابليانيات . ومن ثم كان هم الباشاوات في الحسن الظروف هو الحفاظ على الجزائر كما ورثوها عن البابليانيات . بل أنهم في أواخر هذه الفترة قد صبحوا حتى

(١) انظر فصل الحياة السياسية في المغرب .

(٢) انظر فصل الحياة السياسية في الجزائر .

(٣) انظر فصل اوضاع الدولة في هذه الفترة بمسودتي المجلد السابق جز ١ ص ٥٣ - ٥٤
والمجلد السابق تاريخ الدولة العثمانية ص ١٢ - ١٣

عن الحفاظ على حدود الجزائر الغربية لما كانت في عهد اسلافهم البايبريات • وتقدمت الاشارة منذ قليل الى ان المغرب تبرزت وابار بهد المنصور مما لم يكن له من عندهم بالتدريج في الجزائر • ولذلك فقد كانت العلاقات في العقود الخمسة الاولى من الفترة موضوع الدرس ذات المابع سلمي • اما العقد السادس منها فقد شهد لما سنرى تعدد النزاع بين الجزائر والمغرب • واطمان المغاربة في الحرب الجزائرية • وذلك عندما ظهرت في المغرب منذ العقد الخامس من القرن السابع عشر اسرة شريفية جديدة وقوية تفتت من اخراج المغرب من ضعفه في العقود التالية • والبدء ير بالملاحظة قبل الدخول في تفاصيل العلاقات في هذه الفترة ان الوثائق المنشورة والمتوافرة عن النشاط الدبلوماسي بين البلدين • وبين المغرب والدولة العثمانية قليلة • وقد يخلل ذلك بأن النشاط الدبلوماسي لم يكن في مثل مستوى المرحلة السابقة • وان تلك الوثائق مفقودة او لم توجد لاضطراب الاوضاع في البلدين آنذاك • واذا استثنينا التعاون الذي كان قائما بين غزاة البحر الجزائريين والساويين والتعاونيين • فان العقود الاربع الاولى من القرن السابع عشر لم تترك لنا حقيقيا ونزيها بين حكام المغرب والجزائر • المتغلب على الصعوبات التي كانت تواجههم ولحق ذلك لا يعود فقط الى الظروف الصحية التي كان البلدان يحيشانها في هذه الفترة • ولكن ايضا الى استمرار الحكم المغاربة • ولا سيما السعديين منهم في حذرهم من التعاون مع الاتراك العثمانيين • وميلهم الى التعاون مع القوى الخارجية الاخرى • كالانكليز والمولنديين على الخصوص • لما قد يعود الى حرص الاتراك العثمانيين على عدم تغلب المغرب على مشانها التي كان يتهدد فيها • وليبقى حكمهم منشغلين بها • وبانهم كانوا يعملون على بقاء مبرزا مضاربا • والتمسكهم هذا على الثورة • ومساندتهم لذلك على الاستقلال • دفعا لما ينتج من اضطراب قوة المغرب • وعظامه عليهم في وقت كانوا هم فيه ضعافا •

ولم يرد في رصد مواقف اثرات الجزائر وحكام المغرب السعديين ونهزم واستقلالهم • ما يوضح بشكل جلي • طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين الدارين في هذه الفترة •

ويذكر ان تصنف تلك العلاقات في الفترات التالية :

- ١- العلاقات مع ابناء المنصور •
- ٢- العلاقات مع القوى السياسية الاخرى غير السعدية في المغرب •
- ٣- العلاقات مع احفاد المنصور •
- ٤- العلاقات مع الاشراف العلويين •

١- العلاقات مع أبناء المنصور - جز ١

لما توفي المنصور في ١٠١٦ هـ / ١٦٠٣ م تنافس ابناؤه الثلاثة : زيدان وابو فارس وعبد
 الشئى وابن هذا الأخير على الملك . ولما انضم زيدان في المعركة الاولى التي جرت بينه وبين
 عبد الملك بن ابي فارس ، واخيه عبد الشئى في مآلح الشهر الاول من سنة ١٦٠٤ بتساعدا له
 ولائحه الجيش المنتصر الى فاس قصد تلمسان ليستعين بترك الجزائر واقام بها بضعة اشهر (١)
 فذئذ كان موقف الاتراك منه ؟ . اجاب زيدان نفسه على هذا التساؤل في رسالتهموجهة الى
 مناروشه بنين الحاحي (٢) حيث قال : (. . فاعلم ان اهل المغرب لما تعالوا على ، وغرقت
 الحشرة ، والتفتت بالترك والاروام ، بالسوني ، والمستهم ، وناطوني ، وغايطهم ، منهم مشافهة
 ومنهم مراسلة ، وكنت ايام مقامهم بأرضهم ، مقامهم على سرير ملني . لأن كبيرهم وصغيرهم ، ورئيسهم
 ومروءتهم كان ينتجع فضلي ، وبعد ذلك رغبته لضمي ، وباسيت الجمني عطاء مترفا مع قلة الزاد
 والمذميرة ، وترفعت من مراسلات الامان والناهر من العجم والعرب . ولا ركنت لأحد يسل
 تجودت بما قدرت عليه من الاخيرة ، حتى جعلت معلة برمانها ونيلها فتراموا علي (كذا)
 انصدم بالرفقة وسعدوا كف المرافقة في اقامتهم ، والدخول في جملتهم ، ورضوا علي
 الاقلال السني والبلاغات الملونية ، بلذلف مقان وادب خطاب حتى قال السلطان مراد رئيس
 المباددين ، وما مثلك يكون من الحرب ، وان من ندمك بأمرنا وانفسنا وما لنا من العفن حيث
 اردت واجيب ، ولا انصرفت عنهم . حتى نقيت لهم به ، اني نعمل اعلي وعاشيتي وانزع العجم
 الا ان تلمس لي الدخول في الملك والخلم على البلاد او بعضها ، وقد قلقت من عندهم ولم
 يتعلق ثوب عافني ما يشينه معهم ولا مع الحروب (٣) .

فما قاله زيدان ندره ان الاتراك قد رحبوا به كما رحبوا من قبل بحميه عبد الملك وعبد المومن
 وبوالده احمد المنصور ، وعثوه على البقاء عندهم وافروه بالاقطاع ، ولا شك ان قصدهم من وراء ذلك
 هو ان تاذرقة يلجعون بها في وجه اشرته في المغرب ، يستغلونها حين تسبق لهم الفرصة
 وتواتبهم داروفهم ، ولذلك فهم لم يسمحوا له بالعودة الى المغرب الا بعد ان تصمد لهم خطايا
 بالرجوع اليهم . وتظاهروا باستعدادهم لمساعدته قدر الامكان ، فمثل كانت ظروفهم في الجزائر

الافرائي ، النزهة ص ١٩٢ ، رسالة ر . . . الى روبرت كوتيجن في مجلة تدوان عدد ٩
 ص ٩٠ / وفي رواية اخرى فرنسية والجزائر . انارم انلترا جز ٢ ص ٢٤٠-٢٤٣-٢٤٤
 ر . . . في المدان نفسه ص ٩١ وفيه اقام (. . . تلمسان) .
 ادريس رسلته في الافرائي ، النزهة ص ٢٢٢-٢٢٣ .

فمن لهم حقا بتقديم المساعدة اللازمة له ، أو التدخل معه بشكل مباشر في المغرب ، كما فعلوا من قبل مع أبي حسن الوطاسي ، وأبو عبد الله السعدي في عهد البايبراي ؟ وماذا قدموا له في نهاية المطاف لدى عودته إلى المغرب ؟

لقد كان الترافلة أبناء الأتراك من البرغيات ، والزوايون سكان بلاد القبائل الكبرى في عداة شديدة مع الانتشاريين في الجزائر ، وشوالة في تنافس مع دلائقة الرياس ، وخليفة الجزائر بقيادة خضر باشا في عداة مع الحكومة الفرنسية بسبب انحراف التجارة التي أقامتها هذه الأخيرة على الشواطئ الشرقية للجزائر ، مما جعل الباب العالي يتدخل لحزل الباشا المذكور والتخلص منه بتدبير من فرنسا (١) .

ولذلك فإنه لم يكن بالأمن تقديم مساعدة عامة لزيدان ، أضف إلى ذلك أن أبا فارس بحث في نفس السنة ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م التي اتجا فيها زيدان إلى الأتراك هدية معينة ، تتألف من ٣٠٠٠٠ / أرنه ذهبية إلى الصلحان المشايخ ردا على السفارة التي قدمها هذا الأخير (محمد الثالث) إلى المنصور فوافقت القضية هذا الأخير قبل أن تصل إليه . كما أن أبا فارس كان لا يزال على درجة نيرة من القوة لا تشيخ على التدخل في المغرب والمصارعة بحملة ضده .

وتذكر المصادر أن زيدان انتظر دوايلا مساعدة الأتراك له حتى يخلص (٢) ، وأنه حين عودته إلى المغرب ، ودخله إلى سجنه ، لم يكن معه سوى ١٢٠٠ / من الفريان من عرب المشائر .

وبعض الأتراك تردد من بينهم اسم القائد صافي باشا .

وتلك القوة الضعيفة اشعلت زيدان نار الصراع بينه وبين أخيه أبي فارس بالدخول في صفة

التي تافيلت ، ثم التقدم منها إلى السور ، كما أنه أدنى أوار ذلك الصراع أيضا بينه وبين

أخيه ، د الشيخ ، وابنه عبد الله (٣) وهو الصراع الذي استمر دون حواطة وهو مكرم من حوات

فأضحت المغرب وانتهت ، والذي ما كان ينفذ حتى تنفذ المغرب إلى وحدات سياسية صغيرة عديدة

متنافسة متناحرة ، فأمن أتراك البرغيات على يد وداد العربية ، خمسة عقود أخرى .

(١) فصل الحياة السياسية في الجزائر د. فرامون في المربع السابق ص ١٤٥-١٤٧

(٢) شانتان دولا فيرين ، العلاقات ... في المربع السابق ص ٢٩٨

(٣) الإفرائي ، المربع السابق ص ١٩٢

(٤) رسالة ... من في المربع السابق ص ٩١ (لم يذكر ما في هذه الحشائر وأصلها عشائر الشراقة

أندلس ... من نفسه ص ١٠٧

(٥) انظر تفاصيل هذا الصراع في فصل الحياة السياسية في المغرب

وفي مضمع السراج الذي قام بين أبناء المنصور توجهت اندلار بعض القبائل الى مولاى
 صاحب بن عبد الملك الذي كان في تركيا ، فاجابته به ، فتحرك نحو المغرب . وفي ١٨ نوفمبر
 ١٠٤٦ ، كان قد وصل الى زانت ، ولكنه لم يصل الى المغرب ، ولم يشر الى مصدر الى اشتراكه
 في السراج على السلسلة فيسببه في هذه الفترة .
 وذا زيدان في رسالته السالفة الذكر ان الاتراك بحثوا الى السوس البولكباشي ، مدافى
 صول في رسولا اليه ، رافضين انجاز العمل ، ولكنه آثر البقاء في المغرب على الرجوع اليهم ، وانه
 احاد الرسول المذكور الى مرسله ، ويحده من حده رسولا اليهم ، محملا بتحف واموال (٢) . وفي
 تمام هذه الاتصالات بين زيدان والاتراك استقبل ابو فارس في اكتوبر ١٦٠٥ بحفارة نهيرة ، انداوني
 شيرلي (Anthony Sherley) الانكليزي ، الذي كان في خدمة القوى الحمادية للدولة العثمانية
 كاشاه عباس الصفوي ، وامبرادور النمانيا ، ومنا اسبانيا ، ويسعى الى تحقيق تعاون بين عناصر
 القوى الحمادية ضد الدولة العثمانية .
 وعقب وثيقة محاصرة في رسالة من اودوليفيل (A. DELISLE) الى مستشاره ولسة
 انفرنسية بتاريخ ٢٠ رمضان ١٠١٤ هـ / ١٦٠٦ / ١ / ٢٩ ، فاننا نعلم ان شيرلي قد جاء
 الى المغرب مبعوثا من قبل الامبرادور رودولف الثاني (محملا بمباديا كثيرة ، وفي طريقه الى المغرب
 من على اسبانيا ، وانه اجري مفاوضات مطولة مع ابي فارس ، خلال اقامته في مراکش (٥) وحسب
 الوثيقة المذكورة فان شيرلي قد نكح من قبل ملك اسبانيا بخرن التحالف بينه وبين ابي فارس لشن
 الحرب على الاتراك في شمال افريقيا ، ولما اردتهم من قواعدهم فيها قلمسان ، والجزائر ، وخابسة ،
 ونزرت . واختصار من كل المراتز البحرية . . على اساس ان يكون الساحل كله للملك الاسباني ،
 والخطاطب الداخلية للمغرب (٦)

ومما يلاحظ ان هذا المشروع قديم ، فقد كان موضوع التفاوض بين الاسبان وعبد الملك في عهد
 فيليب الثاني ، وحسب (ر . و . س) فان معادلات شيرلي مع ابي فارس كانت ايضا ثمانية
 حول اثمان مساندة ابي فارس ، ومساندته في المعادلة على ملكه ضد اخويه معند الشقي وزيدان

- (١) انشتر جزاء اول من ١٥٤٠ ماضي ٢
- (٢) اندار رسالة زيدان في النومة للقراني ص ٢٤٣
- (٣) اندار حول استقبال انداوني شيرلي رسالة (ر . و . س) في المربع السابق ص ١٦ - ١٧
- (٤) (٦) فرنسا جزاء ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣
- (٥) رسالة (ر . و . س) في المربع السابق ص ٢٩٥ (اقام في آسفي ٤ اشهر وفي مراکش ٥ اشهر
- (٦) نفسه ، ص ١٨٠

١. أسفرت عنه سفارة شيرلي ؟

لا يبدو ان ابا فارس الذي قال عنه شيرلي في رسالته الى الكاتب الخاص للإمبراطور :

پيتيوس (BARVITIUS) بتاريخ ١٠ / ١٢ / ١٦٠٥ (انه يتخوف من الاتراك ، وليس له

في الاسبان (١)) ، قد استجاب للمرشد شيرلي ، واواندبر الى امضاء اى اتفاق ضد الدولة

عثمانية ، وما لتالي فان شيرلي قد اشفق في مبعثه ، ولم يحصل على شي * سوى اقتداء نبيلين

فاليين بـ ١٥٠٠٠٠ / اوقية اومايحادل عشرة آلاف ، بـ ١٠٠٠٠٠ استرليني (٢) ، وقادر المغرب الى

بانيا سنة ١٦٠٦ في الوقت الذي جاء فيه الى المغرب سفير هنرى الرابع الملك الفرنسي ، فلامهاد

الى الامبراطور الالمانى والملك الاسبانى ، ولم يحد اليه الا بعد اربع سنوات ، وهذه المرة

ضمن العملة الاسبانية التي استلمت الحرائق في سنة ١٠١٩ / ١٦١٠ .

ويستنتج من رفض ابي فارس التحالف ضد الاتراك ، ان همه الوحيد كان الحفاظ على مملكته ،

العامر ، والتوسع الى ما جاورها ، واندشول في تعاملات قبل ان يستقر له الامر تماما في المغرب .

بعد شهر قليلة من مغادرة اندونى شيرلي المغرب ، هاجم طيغما الشيخ اخاه ، ابنا فارس

باسم ابنه عبد الله ، وتغن هذا الأخير من انتقام رجل على عمه ، وفي المحنة التي دارت بينهما على

ربة من مراند في ٢ شعبان ١٠١٥ م / ٨ / ١٢ / ١٦٠٦ م ، واضطار ابو فارس الى الفرار نحو

ببال ، تاركا مدينة مراكان قاعدة ملته . ولم تغن سوى شهر قليلة على دخول عبد الله مراند

بيته فيها ، وحتى تمكن زيدان من انتزاعها منه في افريل سنة ١٦٠٧ ، بعد معركة عنيفة . ثم

والت انتصارات زيدان وهزاعه امام عبد الله دون ان يتدخل الاتراك بشكل مباشر في هذا الصراع

الا ان تورد فرقة الشراقة الى زيدان في اعقاب انهزامه امام عبد الله في واقعة تيفلغلت

في اكتوبر ١٦٠٧ ، واقتبالهم لاعداد قاداته البارزين ، وانتقام زيدان منهم شرانتقان حيث قتل

لشير منهم في مراكان ، واستباحهم ، واستباج اموالهم ، ومن يقتل واحدا منهم مدة ثلاثة اشهر ،

بدون تسع الس الاقتدار بأنه ربما كان يتأخير ثانيا ، والى احتضان ان يكون الاتراك هم

لذين حرضوهم عليه ، اما لأن زيدان لم يفت بما تعهد لهم به حين كان لابننا عند دم اولوفيتهم

مات ثم انكسروا جزء ٢ ص ٢٧٥ ، واندار حول سفارة شيرلي مقالة عبد الهادي التازي ، سفارة

شيرلي الى المغرب / في / المصاحف عدد ٩ / المغرب ١٩٧٧ ص ١٤ وما يليها .

رسالة (ر . ر . ر) في المرجع السابق ص ١٨

بن تاروت / من زوايا ٠٠٠ في مجلة تاروان عدد ٩ ص ٧٢

رسالة ر . ر . ر في المرجع السابق

(٧) اندار قبل الحياة السياسية في المغرب

ص ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤

ليس هناك ما يدل على حصول تعاون بين زيدان وأتراك الجزائر في هذه السنة ١٠١٨ هـ

١٦٠٩ م والسنوات القليلة التالية لها .

فلاستعدادات الحسنية التي كانت جارية في الجزائر كانت على ما اتفق فيها بعد مصر
لأنضاح أمير تونو الذي استمر في مفاوضاته مع الأسبان بقصد القيام بهم في على الجزائر والمتمسدي
المهبطات الأخرى المحيطة على الجزائر سرا من قبل الأسبان أو التوسكانيين . وقد قام مسؤول
الاشيرين فعلا في أوت جمادى الأولى ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م بالمرور أمام الجزائر ومرا ببلدة
برشاء الساحلية وحاميتها فدمروا البلدة وقضوا على العامية التركية فيها . وتبادلت في داريق
عربتها الملقب النيران مع عامية بيجون . وفي نفس الفترة ابتاع الزوايون سهول متباعدة بأرراف
مدينة الجزائر فتصرك الباشا مصافى اليهم وأبلاهم عنها ولاحقهم الى محاقهم ببلاد القبائل
واحتل تونو وأرغم أهلها على الحب الامان . ولكن السلم لم يدم دويلا . (١)

ولم يحصل زيدان على أي عون عسكري من الجزائر في هذه الفترة إلا ما الذي صنع له بعد الله
ابن . مد الشيخ المرديد من قبل تهاش الشراقة من استرداد قاس ربي الثاني ١٠١٨ هـ / يوليو
١٦٠٩ م بعد شهر قليلة من احتلال زيدان لها . وفي الوقت نفسه لم يحصل دون اقتسام مشروع
الاسبان مع محمد الشيخ . إذ عاد هذا الأخير في ذي القعدة ١٠١٨ هـ / فبراير ١٦١٠ م الى
المغرب بعد ان امضى اتفاقية مع الاسبان التي فيها بتسليم الحرائر لهم في مقابل مساعدة
مادية (٥٠٠.٠٠٠) دركات و ٦٠٠٠٠ بندقية . سلمهم بالفضل المدينة المذكورة في رمضان ١٠١٩ هـ
ونوفمبر ١٦١٠ م . وهذه المدينة ذات الميناء الممتاز التي كانوا دوما يحلمون باحتلالها وحاولوا
بمختلف الوسائل الاستيلاء عليها ففشلوا . وآخر محاولة لهم كانت في جمادى الثانية ١٠١٧ هـ /
(٢)

١٦٠٨ / ١ / ١٦ م وبات بالفشل .

ويبدو ان عدم حصول زيدان على العون العسكري من الجزائر جعله يبحث عن يمينه ان
يأتمه لعون الدول الغربية . فبحث بسفرائه قبيل احتلال الاسبان للحرائر الى الاراضي الواقعة
لاستعمار بعض رجال العرب ولجلب بعض الحنطة الذي يلزمه في محاربة الاسبان وغيرهم .
ونان قد اخذ ابتداء من سنة ١٦٠٧ على الزنج في الاتصال بملك انجلترا . جهنم الاول
(٤)

وفي استخدام المرتزقة الانكليز في حروبه ابتداء من السنة المذكورة . وفي صيف ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م

- (١) انظر حول المبعوث التونسي والزواوي . دفرامون المربع السابق ص ١٥٠
(٢) انظر ما كان جازان في المربع السابق ص ١٥٠ من ١٩٩ من مجلة تداوان عدد ٩
(٣) ابن تايوت من زوايا التاريخ المغربي في مجلة تداوان عدد ٩ / ص ١١٨
(٤) ابن تايوت / نفسه ص ٧٣ ، رسالة / ر و . في المربع السابق ص ١٠٦

تقبل زيدان جون هاريسون، سفير الملك جيمس الاول الى المغرب وتداول معه في القضايا
تجارية وغير التجارية ، ولدى عودته في ربيع ١٠٢٠ / ١١١١ م بحث معه سفيراً مغربياً مع
مدينة الى جيمس الاول وبحث في نفس الفترة سفيراً آخر الى الاراضي الرطبة .
(١)

ولا يبدو ان سعي زيدان لتأخير حركاته مع دول غرب اوروبا لتعريضه في المغرب
بمسئله ، وتعاون محمد الشيخ السعدي مع الامبان ، قد ارضى نظام الجزائر الذين كان يهتم
ببقائه في المغرب مهزلاً ضعيفاً ، حتى لا يأت بهم منه أي غدار (٢) . ولعل في موقفهم المؤيد للمرابدة
من محلي الذي ثار بعد تسليم محمد الشيخ المراكشي بالاسبان في نوفمبر ١٦١٠ لاسقاط الاسرة
السعدية من الحكم ، وتحرير المراكشي من قبضة الاسبان ، والاستعادة الاندلس بعد ذلك ، و
بادئا هو من المغرب الذي كان تحت حكم مولاي زيدان ، وموضعا لحقده في تداولان في الشمال بالبحر
على ان يتخلص من محمد الشيخ عما يدل على عدم رضاهم . ولا يستبعد ان يكون المرابط ابو محلي
قد ثار ايضا بتحريض من الاتراك ، وان ان مصالح ثورته ، بعد عودته من الحج ، حيث زار الجزائر
في اربعة ايامه كان من العاصفة الواقعة بالمغرب العربي للجزائر حاليا ، وان عدة جيشه الذي
احتل به سبلماسة في ١٠١٩ / ١٦١٠ م ثم دوة ثم مراكشي ١٠٢١ / ١٦١٢ م كان من
قبائل الشراقة ، وان وفدين جزائريين من تلمسان وبني راشد ، كانا من اوائل المنبعثين لابي محلي
بالتحالف سبلماسة ، وقد كان ضمن اعضاء وفد تلمسان ، محمد قدورة ، الذي تولى مناصب دينية
وتعليمية رفيعة في الجزائر في ذلك العهد المماليك لجزائريين .
(٣)

واخيرا فان زيدان الذي اصنف امام ابي محلي ، واضطار الى ترك قاعدة ملته لخدمته لم
يلجأ الى الاتراك ، ولم بالمساعدة مؤلا له على استرجاع ملته من مقتنيه ، بل التحبسا الى
مرابط آخر في السوس ، كان بينه وبين ابي محلي تنافس ، هو المرابط ابو زكريا يحيى ،
الذي تمكن من القضاء على منافسه ابي محلي في نهاية نوفمبر ١٦١٢ م / اوائل شوان ١٠٢١ م
واعاد مراكشي لزيدان . في حين تمكن مقدم تداولان من القضاء على محمد الشيخ في ربيع ١٠٢٢ م
(٤) ولكن امر المغرب لم يستقر لزيدان ، فقام ومملكته كانت لا تزال تمان نفوذ
(٥) ١٦١٢ / ٨ / ٢١ م .
(٦)

ان ارملة جون هاريسون في مجلة تداولان عدد ١٠ المغرب ١٦٦٥ ص ١٠٥

(١) انظر فصل الحياة السياسية في المغرب .

(٢) انظر الاقراشي ، النزمة ص ١٢٩

(٣) انظر من ابي محلي وثورته الاقراشي ، النزمة ص ٦٧-٦٦ وتقرير لعام ١٦٦١ في مجلة تداولان عدد ١٠ ص ١٠٥-١٠٦

(٤) في مجلة تداولان عدد ١٠ ص ١٠٦-١٠٧ وتقرير لعام ١٦٦١ في مجلة تداولان عدد ١٠ ص ١٠٥-١٠٦

(٥) رسالة ر . م . في مجلة تداولان عدد ١ ص ١٠٦-١٠٧ وتقرير لعام ١٦٦١ في مجلة تداولان عدد ١٠ ص ١٠٥-١٠٦

(٦) مجلة تداولان عدد ١ ص ١٠٦-١٠٧

(٧) انظر فصل الحياة السياسية في المغرب . تاريخ الجزائر الثقاني جز اول الجزائر ١٩٨٠ ص ٥٦٧

شوب المغرب (في السوس والموسن الاقصى) . انخذ يتقاسم النفوذ فيه ثلث من المرابطين ابي
سوس السعالي و ابي زكريا الحاحي . هل وان هذا الاخير ما انفق يتدخّل في شؤون زيدان
بعد ان اعاد له مراتبهم مالبث ان وضع اليه . والاسبان لم يقتحموا باخذ الحرائق ، فاقدموا
في رجب ١٠٢٢ هـ / اوت ١٦١٤ م على احتلال المحمرة . التي اشدت فيها اعمال الخنز
كبحري خصوصا بعد قدم افواج جديدة من الاندلسيين ابتداء من سنة ١٦٠٩ .
ولم تتحسن الاوضاع في الجزائر او في الدولة العثمانية حتى تستفيد الجزائر من الاوضاع
العضدية في المغرب ، فالجزيرة اصيبت خلال سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م ، ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م
بجفاف شديد ومجاعة رهيبية . ضاعبتا عدد نفوسهما نادت بتجاوز هذه الصعقة حتى سحب
النزاع بينهما وبين بارتها تونس الحدود بين الايتين ، وبعد قتال بين قوات البلدين
استقر من انتصار القوات الجزائرية . تم التوصل الى اتفاق حول الحدود ، كما كانت ملاقاتها مع
فرنسا وغيرها من الدول . وانزلت واسبانيا مقدورة مما جعل هذه الدول تقم بين
حين وآخر بخنز شواطئها وتجدد مدينة الجزائر نفسها .
اما الدولة العثمانية في فترات تزداد تدمورا بسبب الثورات الداخلية والحروب مع
القوى الخارجية .
وفي ظل هذه الظروف التي كان يعاني منها كل من المغرب والجزائر والدولة
العثمانية ، تجددت الاتصالات السياسية بعد ثورة دام بضع سنين بين الاتراك العثمانيين
ومولاي زيدان الذي ظل على الرغم من ضعفه ابرز الشخصيات الحاضرة في المغرب في هذه الفترة ،
والتي كانت تتوجه اليها الدول ليريد الحماقات مع المغرب .
وبعد وان المبادرة كانت من جانب الاتراك العثمانيين وذلك برسالة بعث بها الى زيدان
الوزير خليل باشا ، اميران الاساطيل العثماني ، وتعمل تاريخ الثاني من شهر ديسمبر ١٩١٢ م / ١٩
شوان ١٠٢٢ هـ دعاه فيها الى اتياج تقاليد اسلافه الودية ، ويستخلص من هذه الرسالة ان
الاتراك العثمانيين كانوا ينادون الى الصلح بين الطرفين .
ورد اهل هذه المبادرة حاول زيدان في السنة التالية ارسال سفارة الى الباب العالي ، ولكن
ان ارفقت ان الحياة السياسية في المغرب اندثر ، و دفرامون ، المرنج السابق من ١٥٠٠ - ١٥١٥ م وافعل الحياة السياسية في الجزائر
انذار من اوضاع الدولة العثمانية في هذه الفترة اسعد بoudet ، تاريخ بoudet جزء اول ص 54
على حسن المرنج السابق من ٨٨ - ٨٧ م .
انذار رسالة خليل باشا (النور الاسباني) في مجلة الغرب الاسلامي والمترجم ، عدد ١٥ - ١٦
من ٤٠٠ - ٤٠١ .

لمه ام يستعاضوا بلوغ مدتهم فبعد ان رزقوا سفينة انكليزية وبلغوا سلا (١) ، تمروا لعنادا (٢) طريق البحر من اساطير العدو واباردين الى الداشيان ، والحقوا حتى ارباب انقلابهم (٣) قتلهم واياهم (٤) .

وبعد وان زيدان قد حاول ارسال رساله من طريق الجزائر فلم يتمكن . . . (تعذر السفر من جهة الجزائر لعناصق وق هناك) (٥) ، ولعل هذا العناصق هو الظروف الصحية التي كانت تعرفها الجزائر ، فقد كانت في نزاع مع فرنسا تونس بشأن الحدود ، وتعرضت في هذه الفترة لحملة من الاساطير الفرنسي لتدمير العلاقات بينها وبين فرنسا .

ولكن رسل زيدان (٦) الذين توجهوا الى استانبول في رمضان ١٠٢٥ هـ / سبتمبر ١٦١١ م على متن سفينة الهولندي (هيلبرانت ناست Hillberant Quast) تمكنوا من الوصول الى استانبول في اواخر ذي الحجة ١٠٢٥ هـ / ديسمبر ١٦١٦ م دون التوقف في الجزائر ، كما كانوا في بادئ الامر يريدون ليتزودوا فيها بمنتجات ما لا يزيد (٧) ويصلحوا رسالة زيدان الى بايها ، وذلك لمساعدتهم بعض السفن التي يعتقد انها كانت اسبانية . وقابلوا السلطان العثماني احمد بن محمد الثالث ، وسلموه هداياها اليه ، وكانت (هدايا بهية) (٨) ، واشتمت على اسلحة واقمشة فاخرة وغيرها .

وحسب الافرائي وآخرين فان زيدان قد بحث مع النائب عبد العزيز الشعالبي ، ابرز اعضاء السفارة حشرة قنادير (قذا) من الذهب الى السلطان العثماني ، مما يدفع الى الاعتقاد بأنه كان لا يزال يحصل على الذهب من السودان ، واورشكس غير منتظم . ومن رسالة السلطان العثماني الى ابوية الى زيدان ، المؤرخة بأواخر صفر ١٠٢٦ هـ / اواخر فيفري ١٦١٨ م ، نعلم ان زيدان قد بحث ايضا مع عبد العزيز المذنبور رسالتين الى السلطان العثماني ناقرا في الاولى بالعلاقات الحدية التي كانت بين اسلافهما ، وظل تأخيرهما عن مخاطبة السلطان العثماني بالاشتغال بقتال الثوار وانجلاء في استئصال شأقتهم ، وتأمين مملكته . . .

نقد الرسالة السابقة .

١٠٢٠ م : مولدة بجزء ٢ ص ٣٢٤ و ٣٥٥

(٤) من رسالة السلطان احمد الى زيدان في مبرومة منشآت السلاطين لفرديون بك جزء ٢ ص ١٥٥

(٥) انباء الى : المرجع السابق جزء ٢ ص ٦٥٠ الى ٦٦٦

(٦) انباء الى : المرجع السابق وهم : القائد عبد العزيز ، والقائد تافور ، والقائد احمد ، والقائد عبد الرحمن والقائد يحيى حميدو (ILHAY TASNISDOU) يرافقهم ثلاثة عشر قادما ، انظر م ١٠٢٠ م : مولدة

جزء ٢ ص ٤٤ (٨) رسالة السلطان احمد الى المرجع السابق ص ١٥٥

نفسه : ص ٤٦ وما يليها .

(٩) عامر : تاريخ الامبراطورية العثمانية جزء ٨ ص ٢٤٩ . (ذيل انما هو الصفا) تحقيق تون

(١) الافرائي : انجزة ص ٢٣٩ ، ملحق من تاريخ الدولة العثمانية (ذيل انما هو الصفا) تحقيق تون ص ٢٥٨

ان قبده من ارسل ان رسله اليه هو لائقير ما كان بين الاسرتين السعدية والعثمانية من عهد
لب الحون منه لمراجعة الفار والتخلب عليهم .

اما الرسالة الثانية فمحر فيها عن مودته للسلطان العثماني ، وذكر بمآثر السادة
عثمانيين واشاد بهم ، و اشار الى الصعوبات التي واجهتها سفارته السابقة ، وعالت دون وصولها
مهدفها . وخطر السلطان العثماني بما يبيته ملوك القفرة من اعتداء على البلاد الاسلامية ،
لبن منه ان يقيم بقدان طريق الهند عليهم ، وسند قوتهم وسندهم واعتمادهم (١) .

وفي التقارير والرسائل التي بعث بها سفراء الدول الاربعة وقناصلها المستعمرون في استانبول
بجائر الى حكوماتهم من هذه السفارة مزيد من التفاصيل من مقاصد ~~السلطان~~ والفتاوى التي
سلت اليها ، ونشر فيها يلي الى بعضها :

فمن رسالة كورنيليس حاجا (CORNELIS HAGA) سفير الولايات العامة (الاراضي
المنخفضة) التي وجهها من القسطنطينية الى بلده (هولندا) الموقوفة برين اول ١٠٢٦ هـ
وآخر مارس ١٦١٧ م (٢) فان السفارة المغربية قد البت من السلطان العثماني امداد السلطان
زدان بعداد من السفن والذخاير والهدايا من الجزائر ، وان هذا الطلب قد عدلي بالقبول
سدر الامر الى باشا الجزائر بتقديم هذا الحون عندما ياليه منه زيدان . وان السلطان
عثماني قد ارسل الى هذا الاخير قفالتا وسينا ، وولدتا ، ولما تردد ان يفصل مع اتباعه
الخاصين له . ومن الرسالة نفسها تعلم ان السفارة المغربية قد اخذت في العودة الى المغرب
الاول من ربيع الاول ١٠٢٦ هـ / ٩ مارس ١٦١٧ م .

اما رسالة قنصل الولايات العامة (الاراضي المنخفضة) في الجزائر الى موقوفة (٣)
الفترة من ٧ / رمضان ١٠٢٦ هـ / ٨ سبتمبر ١٦١٧ م وسفر ١٠٢٧ هـ / فيفري ١٦١٨ م .
شارت الى فرق ثلاث سفن من الاسطول العثماني الذي ترأسه سليمان باشا الذي كان مرشحا
باشوية الجزائر ، والذي تردد انه سيأتي لمساعدة زيدان في حرب على فاس ، وكان السفير
مغربي على متن واحدة منها . ولما اشارت الوان باشا الجزائر قد بعث بريدا على جناح
ليرة الى مران ، يخبر السلطان زيدان باستعداده لمساعدته . .

انظر في الرسالة الجوابية باللغة العربية في المحق الثالث من ملاحق الرسالة .

ومن رسالة السفير الفرنسي هارلي دوسوس (HARLY DE SAUCY) الى لويس الثالث عشر المعروفة بتاريخ ١٠٢٦ / ١١ / ١٦١٧ (١) نعلم ان موافقة السلطان العثماني على المساعدة زيدان لم تكن سهلة المنال . وان احد اعضاء السفارة العشرية قد بقي في استانبول ، وأخر بروتته حتى يحصل على ما يرام من السفارة من اجله ، وهو المساعدة ضد الاسبان ، والامر لا تراك الى زائر بعدم التدخل في الاضطرابات التي يفتن ان تحصل في ممالك السلطان زيدان ، ولنفسه معاد في النهاية الا برسالة مليئة بالخام الجميل .

اما المصادر العشرية فتحدث عن استجابة السلطان العثماني للدعاب الذي نقلته اليه السفارة المغربية من السلطان المغربي ، في جزائري عشر الفا من الترك مستقارة ، اتي بهما القائد الشمالي ، سفير زيدان عن طريق البحر ، ولكن الحارة التي كانت تنقلها تعرضت لحاصنة ارقمها ، ولم يبق منها الا خراب واحد فيه شرذمة قليلة . وقد يكون من بين هذه الشرذمة السفير المغربي الذي حمل رسالة السلطان زيدان . فهاذا تضمنته تلك الرسالة التي هي جواب السلطان العثماني الرسمي الى السلطان زيدان بخصوص تقريره وتودده اليه ، وما تقدم به من البات ؟

لقد جاء في رسالة السلطان العثماني الواحدة ، ما اداه السلطان زيدان ، (ولا يفتي عن علمهم ان من عادتنا الجميلة المعروفة من آياتنا واجدادنا . . . ان نتلقى من يرد علينا ويرغب اليها بالترحيب . . . ونستقر في تحصيل ما يدعوننا اقصى الوسع والتمدد . . .) ، واضحاف قائلا : (فما دهم في مراعاة الحقوق) . ولدتنا الاسامية راعين لائقون من سدة الحزم والاقبال سوى الخلد بعين الاحراز والابحار .

وفهم من هذا الكلام ان السلطان العثماني قد رجب بمخاطبة السلطان السعدي له على الرض من تأخره عن فعل ذلك سفراء عديدة وتودده اليه ، وما يعني انه سينظر الى البات بعين انتباه . وقد يكون من الدوام اندامه للسلطان ، موقوف فيليب الثالث من المسلمين في بارده ، وفيه لهم ذلك النفي الاكبر في سنة ١٦٠٩ - ١٦١١ ، واستنجد هؤلاء بالسلطان

العثماني .

- (١) نسخة : ص ٦ ، هامش ٢
- (٢) الاقراني ، الفريضة : ص ٢٢٩
- (٣) انظر رسالة السلطان احمد في المجلد رقم ٣

وقد تعهد له بالحمل على قلاع الدارق الى المهند على الاسبان والبرتغاليين ففسال
 (ففمن بانه سبحانه وتعالى نتقيد بأدائه كـ ونرسل الا وادر الشريعة الى امرائنا المرافطين
 (١)
 حدود البصرة ونأمرهم في ذلك القوة والفصرة)
 والذين السلطان العثماني لم ينح ولا يريد استمداده لادستجابة اما نطلبه زيدان وان يذكر
 هذا الأخير بمجهز من الدفاع عن الشواذى المشرية وتحرير ما وقع منها تحت الاحتلال
 ان يحتجب عليه عدم استعانتة به فيما مضى وفي الوقت المناسب لمساعدته على صد الاطماع
 الخارجية عن شواذى بلاده قائلا بهذا المجدد : (وان الملائكة يتم والواجب على لدمتم
 ان تستدروا بنا وتستعينوا باعتابنا قبل ان يتحامى المبروف ويتزاحم الزعوف ففمن يقول الله
 اذرون على ايصال عسكر يقيق عليهم الدارق والمساله يولجهم الى المضائق والمبالك ...
 تكون امانتنا هذه مرشحة لانوف النافقين ومفسدة لموج امواء الخاسرين المتداسرين حتى تنقطع
 (١)
 اطماع اعدائه من تلك البلاد ويند في جنبها اسباب الشر ومواد الفساد (١٠٠٠) وتسير
 استمداده لان يهيب للدفاع عن الشواذى المشرية ويحمل هذه المنحة اولى الصدمات قائلا
 (١)
 (ولا يمشغلنا من الانداد بحون رب العباد اشغالنا (١٠٠٠))
 وقد كان زيدان حين احتل الاسبان الدارق سنة ١٦١٠ يحاول استمداده نفوذه على قاس
 وقبل احتلالهم للمعمورة في رجب ١٠٢٢ هـ / اوت ١٦١٤ م وكان يحاول الحصول على الحون
 من الاراضي الواقعة وانلقرا ولم يبعث في ذلك الحون من الدولة العثمانية الا بعد ان فشل
 في الحصول على دعم حقيقي من هولندة وانلقرا . ففهل تحقق التعاون بين زيدان والأتراك
 العثمانيين بعد عودة سفارته ؟
 ليس هناك ما يدل على حصول تعاون فعلي بين زيدان وأتراك الجزائر والدولة العثمانية
 بسفحة عامة وبعد عودة سفارته الى المغرب (٢) ان لا تشير الوثائق والصادر الى حصول زيدان على
 المساعدة التي طلبها بواسطة سفارته وسواء من الجزائر او من مقر الدولة العثمانية اذ المستشينا
 ما ورد في الافرائي في نزاعه والذي لم توفده المصادر المغربية المتوفرة لدينا وعن المساعدة التي
 اشار اليها الافرائي لم تملك حسب المصدر نفسه . الا ان تبهده الاتصال بين زيدان والدولة
 العثمانية والملاقات الدبلوماسية بين الدارقين قد اثار في بينهم فيها يبدو قلق الاسبان
 نفسه
 في سنة ١٦١٦ رفضا استقبال ماريسون سفير بيس وملك انلقرا وظال يرفض استقباله بعد ذلك
 انذار ابن تاويت من زوايا القارين المذري في تاوان عدد ٩ ص ١٢٦
 وفي ارجحة من رسل زيدان من اصل خمسة الى آسفي حائدين من القسطنطينية في ٢ ماي ١٦١٢
 انلقرا م م م م هولندة ج ٣ ص ٥٠٥ - ٥١٥

بناوهم فأخذوا يفترون في مواجهة الموت الجديد . وفكر ختامهم خلال سنتي ١٠٢٧-١٠٢٨ هـ
 ١٦١٨-١٦١٩ م في القيام بحملة كبيرة على الجزائر وقواعدها الساحلية الاخرى (١)
 ويبدو ان مشروع التعاون بين زيدان والسلطان احمد الششاني قد مات بعد سنة واحدة
 من ميادده ومع موت السلطان احمد في سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٨ م (٢) افضل زيدان نتيجة لذلك
 ما جزا من فرض سلطاته على كل المغرب بل انه وجد صعوبة في الحفاظ على مرآته قاعدة ملته
 من حدودات صمدية الدرابطة ابي زكريا يحيى ، وفشل تماما في اواخر ايامه في منع الاندلسيين
 من الاستقلال في سلا ، وفي اضعاف الموحدين الحياشي . ولحق بالسلطان احمد بعد دعو
 عشر سنوات (٣) لم ترد فيها اوضاع المغرب واوضاع الدولة الششانية الا سوا . حيث اصبحت
 المغرب اشترت زوايا واصل السلطانين الششانيين الذين خلفوا السلطان احمد تأميمهم
 الاول ، وابنه عثمان ، الدولة في ايدي الانتشارية (٤)
 ولا يلزم ان اترك الجزائر الششانيين قد انقوا بعد السفارة المغربية وخلال السنوات
 العشر الاخيرة من عهد زيدان وخلال جهود خلفائه من التدخل بشغل او آخر في المغرب ولما
 بالمع زيدان ذلك من السلطان الششاني بواسطة سفارته وان استمر في الاتصال وفي اقامة
 العلاقات مع القوى الداخلية المناوئة لزيدان ولخلافه وانتصاره معهم او الرفض والسماحة في
 الاستقلال عنهم فأندلسي سلا ، والموحدين الحياشي ، ومقدم تطوان ، ومراباني الدلاء .
 وامام استمرار اترك الجزائر في اتصالهم وتنمية علاقاتهم مع بعض الاسرة السعيدية
 ولما وثيقها ، والمتحدين عليها ، وفشل زيدان في الحصول على دعم حقيقي من الانجليز ، او من
 الدولة الولايات الحامة (هولندا) لمواجهة خصومه في الداخل وتدخلات القوى الخارجية
 المتباينة للمغرب ، فانه قد كان في سنواته الاخيرة الى معالجة الاسباب ومبادنتهم كما سألهم
 ومادتهم من سبقه كما الى اقامة علاقات ودية مع نظام مازانان . فيذكر بهذا الصدد انه تلقى
 مدينة كبيرة من حاكم مازانان في ربيع سنة ١٦٢٤ هـ بين وبين ام القوس في دولالة
 ومسلموني طريقه الى آزره ومن الى القاعدة البرتغالية فزارها وقرب هناك بأن ملاحم
 القبرية ، والقرواية (٥) ، وفشل الانجليز في استمالتهم ثانية بواسطة السفير اريسون في السنة

- (١) انظر ارسيف سيمانتاس ورقة ٦٢ من ملف رقم ١٦٥٠
- (٢) توفي السلطان احمد في ١١ ذي القعدة سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٨ / ١١ / ٢٢ هـ انظر زيدان مفاصل
- (٣) انظر نقلا من كتاب لطائف اخبار الاول من ٢٥٨
- (٤) انظر ما تقدم في فصل الحياة السياسية
- (٥) علم حسون ، المغرب السابق ، ص ٩١
- (٥) ميشوبليز ، مدن وقبائل المغرب (ناحية دولالة) ص ٢٧

(١)

لمية ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م وجره الى مشارقتهم في الحرب على الاسبان .
وفي مدالح سنة ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م كان زيدان يتفاوض في معسكره الذي اقامه قرب آسفي
لنائب اسباني جاء من مازانان بشأن مساعدته على التغلب على خصمه الذي ازيه وارغمه على
فرق من قاعدة ملنه . وكان المخارية بحسب السفير الانكليزي ماريسون الذي جاء الى المنطقة
هذه الفترة فيغشون ان ياتهم زيدان لما اقدم اخوه من قبله على تسليم مرقع من المواقع او جهة
الاسبان في مقابل مساعدتهم له (٢) وفي الوقت الذي كان فيه زيدان يفاوض صلاته الودية
الاسبان فانه كان يرد على تدفقات اتران الدزاثر بالمضي الى اثاره المتصلي تلمسان حيث
امت هناك خلال هذه الفترة ثورتان الاولى في سنة ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م والثانية في سنة
١٠٣٧ هـ / ١٦٢٧ م ، لا يستبعد ان تكون بينهما علاقة ان ماتين الثورتين تاتت
بقيادة احد القادة المخارية المدعو بالموسى الخرب (٣)

وقد انتهت الثورتان بالفشل اذ تمكن الاثراك من احباطهما بقوة ومنف وقصوا على التزم المخرب
المذنبين من الذي تزم الثورتين (٤)
ونظرا يمكن القول ان العلاقات بين ابناء المنصور وصفة خاصة زيدان من جهة وحكام الجزائر من جهة اخرى لم
تكن ودية تماما ولم ترق الى التعاون للتغلب على المشاكل الداخلية في البلدين التي كان الطرفان فيهما يمانيان من
العلاقات مع القوى السياسية غير المتحدية في المغرب :

ظهرت في المغرب نتيجة اضطراب الاوضاع الداخلية والصراعات بين اولاد المنصور قوى
سياسية سعت الى يكون لها كياناتها المستقلة ولما فصل في الحياة السياسية في المغرب ، وكان
لهذه القوى علاقات مع اتران الدزاثر بالريقة او بأخرى ، ومن هذه القوى : اندلسيون مسلا
والحباة الدالة ياضي والدغريشيان والدلائيون .

٢- العلاقات مع اندلسيين مسلا :

ما لبثت الاندلسيون الذين تنضم حدودهم في مسلا منسوبا بيد الغني الاندلسي تعرض
له اختراعتهم من اسبانيا في السنوات الاولى من الحقبة الثاني من القرن السابع عشر ان أسسوا في
(١) انار رسالة ماريسون الى زيدان في مجلة تداول حدود ١٠ ص ٣٤ - ٣٥
(٢) انار تقرير ماريسون بتاريخ ١١ / ١ / ١٦٢٧ في المربع السابق ص ٤٦
(٣) انار من ماتين الثورتين سعد الله ، تاريخ الدزاثر الثاني ص ٢١٣ وهاشم ٣٥٣ وفصل الحياة
السياسية في الجزائر
(٤) نفسه :

(١)

مسلا جمهورية مستقلة ١٦٦٧ في اواخر عهد زيدان بعد ما حصلوا ضعف هذا الاخير، وتشجيع الانكليز، وربما كان ذلك بتدبيرها من اترات الجزائر، لتوافق المصالح بين الدارين (٢) كمواليم مالم كان ليرضي زيدان الذي كان يمايل اضعافهم اليه من جديد، ولا ايناء من بعده.

وقد ظهر أثر هذا التقارب في تعاون فزة البحر الجزائريين مع فزة البحر السلاويين، وفي التسهيلات التي كان يقدمها هؤلاء وأولئك في ليلتا المدينتين سواء في تصريف الاسلاب وبيع الاسرى او في التهرب بما يلزمهم.

فقد كان فزة الجزائر كثيرا ما يتصدون سلا لبيح اسانهم واسراهم حينما يكون هناك مانع من بيعها في الجزائر كان تكون حكومة الجزائر ملتزمة بمساعدة سلام مع الدولة التي تعرضوا لاذور شواطئها او سجنها ومصلحوا منها على فوائدهم، وما ينشأ عن بيعها في الجزائر في هذه الحالة من مضاعفات بين حكومة الجزائر وحكومة البلاد التي فروا، او التي تقي لها السفن والغنائم التي اسروها او حصلوا عليها، وكذلك كان اندلسيون سلا يفلتون في مثل هذه الحالة، لما كان فزة سلا والجزائر يتبادلون الاحكام، فدفعوا لملاحقة السفن المسيحية الحربية، وكان يعمل فزة سلا لبلاد الجزائر عند ملاحقة سفن محاربة لبلادهم ومناوئة للجزائر، ومثل ذلك يفعل فزة الجزائر حين تلاحقهم سفن بلاد الجزائر ومسانم لبلادهم، حتى اصبح يدور على فزة سلا اترات سلا.

ولا شك ان هذا التقارب قد عاد بفوائد اخرى على اندلسي سلا للاستفادة من المهيبة التي كانت لآثراك الجزائر عند حكام المغرب السعديين، فاذا ما فكر هؤلاء الاخيرون في شن حرب عليهم، لما كان له فوائد لآثراك الجزائر، ان كان اندلسيون سلا بمثابة اعداء وحين لهم في المغرب، ويقادهم كجمهورية مستقلة، ساهموا في اضعاف المغرب وتجزئته، وهو ما كان يريد لآثراك بعد ان تذر عليهم ضمه واستعصى عليهم اضعافه، ومع ان تلك العلاقات دعمت الصلات الاقتصادية بين سلا والجزائر، الا ان المصادر لا تشير الى علاقات ذات دافعي سياسي محسوس بين البلدين، ولم يسل الجزائر لم تحسن للاستفادة سياسيا من سمعها الاخير معما اشهر اليه.

(١) انذار تقرير ماريسون المون في ١١ / ٩ / ١٦٦٧ في مجلة تداوان عدد ١٠ ص ٩ وانذاره COINDREAU (R.): Les Corsaires de SALÉ. Paris 1948.

(٢) انذار من هذا التقارب والتعاون، أ. نور، المرجع السابق ص ١٦٦ و ١٦٧.

(٣) انذار تقرير ولیم كورت في مجلة تداوان عدد ١٠ ص ٢٦ ومحرراته ١٧ / ٥ / ١٦٦٥.

ب - العلاقات مع المجاهد الحياشي *

أما المجاهد الحياشي الذي كان ابنا تاجما انديان ، ثم استقل عنه ، وسامت علاقته معه فقد كان هو الآخر على علاقة دائمة مع اترك الجزائر ، وما يدل على ذلك ، ان الحياشي تمكن من اسر عدد كبير من الاسبان في المحنة التي انتصر فيها بحلق المحمورة على هؤلاء في سنة ١٦٢٢ على الأرجح ، وكان بينهم صاحب نهر (١) ، ثم باعده (طائف) رئيس امسل الجزائر به ، وكان طائف المذكور اسيرا عند الاسبان . ولكن لاندرى ماضي المساعدة التي كان يتلقاها من اترك الجزائر في جهاده ضد المراتر الاسبانية في المغرب ، ووقفهم من صراحه مع اندلسي سلا ، ثم مع الدلايين ، الا انه لا يستبعد ان يكون في صفوفه بعض اترك . ان كان بين صفوف صاحبه ومقدمه على الجهاد في بلاد المهدل ابن الحباس المنصرفيان الجزائريين اترك اشتركوا الى جانبه في محنة القصر الكبير التي جرت سنة ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٦ م بينه وبين مولاي الرشيد العلوي ، وقتل بعضهم فيها (٢) ، فلم يبق لنا من قبل في صفوف الحياشي ، ثم انتقلوا اليه . ووجود اترك في صفوف المنصرفيان يدل على انه كان لورثته الحياشي على علاقة دائمة مع اترك الجزائر .

وقد التجأ شيان فعلا الى الجزائر حين بدا له تفوق خصمه عليه ١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م (٤) ثم عاد بعد ذلك الى المغرب وقتل في سنة ١٠٨٤ من قبل السلطان مولاي اسماعيل العلوي . (٥)

ب - العلاقات مع مقدمي تدوان *

كان آل النقيسين يقومون بأعمال الجهاد ضد القواعد البرتغالية والاسبانية في شمال المغرب انطلاقا من تدوان ، ولكن اضدادا للمغرب بعد موت المنصور جعلهم يستقلون بالحدود فبعضهم اولا ينضمون لآل بني المنصور الا خضوعا مداحيا ، ويقيمون علاقات مع الدول المجاورة للمغرب . وفي مقدمتها الجزائر .

وقد كانت سفن اترك الجزائر تتردد دوما على تدوان ، اما لنقل الحبوب والمسافرين اولئك ، او الاستراحة اولين الاشرى ، وقائم الغزو البحري (٦) .

(١) تامل تقرير هاريسون عن هذه الواقعة على اسما من انما وقعت في رمضان ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٧ م

(٢) انظر تقريره في مجلة تدوان عدد ١٠ ص ٥٤

(٣) الافرائي : الفزعة ، ص ٢٦٦

(٤) تامل : المرجع السابق ، ص ١٩٠

(٥) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ص ٣٨

(٦) نفسه : ص ٤٧

(٦) ملاحظوه الطوبوغرافيا في المرجع السابق ، عدد ٩٥ ص ٤٦ .

وإن نزاع تداوان يشتركون اسمها في نزاع الجزائر في أصل النزاع البحري • وكان مقدم
أوران من آل النقيس على حاذقة داية من أتركة الجزائر • مما لا يستبعد أن يكون لهذا الحادثة
دورها في ميل مقدمي تداوان إلى الاستقلال • وإن نفوذ أبناء المنصور عنهم على فرار مافله اندلسيو
.....

د - العلاقات مع الدلائيين (١)

لم يبرز الدلائيون كقوة سياسية ودينية • إلا بعد وفاة محمد بن أبي بكر
الدلائي ١٠٤٦ هـ / ١٦٢٦ م • واستأنف ابنه محمد الحاج زمامة الدلائيين • إذ دخل هذا
الخير بعد سنوات قليلة في نزاع مع السلطان السعدي محمد الشيخ الأصغر • ثم مع العثمانيين
لحياتهم • وغيرهما من زعماء القوى السياسية التي كانت قائمة في المغرب • وتتقاسم النفوذ فيه • •
وأين معروف على وجه الدقة متى بدأت العلاقات بين محمد الحاج وابنه عبد الله الذي تولى
إمارة سلا وأتركة الجزائر • أنان ذلك قبل دخول سلا وتداوان تحت نفوذ الدلائيين • أم بعد
ذلك •

على أن العلاقات بين أتركة الجزائر والدلائيين كانت علاقات ودية وتعاون لاسيما في
مجال التجارة والغزو البحري • إذ كانت السفن الجزائرية والساحرية والتطوانية الجماعية تتعاون
فيها بينها في هذا المجال كما كانت من قبل • وتتردد على مران • البلدين بقصد التجارة أو التزود
بما يلزمها أو الاستراحة • وأصل ما تحدثنا من السفن •
ولما تولى عبد الله الدلائي إمارة سلا تشدد التجارة بين سلا والجزائر • ونتيجة الفوائد التي
كان يجنيها من هذه التجارة فإنه رفض قبول مشروع معاهدة بين الدلائيين وحمادة لأنه كان من
شأنه أن يحسم على المغاربة التعامل بالبيع والشراء مع الجزائريين وغيرهم كالتونسيين والداريلسيين •
ويخرج الدلائيين بالألا يسمحوا للأشراك وغيرهم بحمل رسائل امتياز في سلا •

وعلى الرغم من أن أتركة الجزائر والدلائيين كان لهما خصم واحد ألا وهو
الإشراف العلويون الذين أزعوا الأتركة بغزوهم الحادف للمغرب الجزائري والذين كانوا يهددون
بقوة نفوذ الدلائيين فإنه لا يبدوا أنه حصل بين النبطيين فيمكن تعاون وتنسيق لضرب
بعضهما المشترك • إذ اضطر الأتركة إلى انهاء اتفاقية سلام كما سنرى مع العلويين • أما الدلائيون
فكانت نهاية ملتهم على يد هؤلاء الأسييرين سنة ١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م إلا أن طاعا جبر السلطان الرشيد
العلوي محمد الحاج ونبيه على مناداة المغرب في سنة ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م استقرهم العادل في
تلمسان التي كانت تحت حكم أحمد قائم أتركة الجزائر •
انذار من العلاقات بين أتركة الجزائر والدلائيين • محمد يحيى / الزاوية الدلائية / وخاصة البساب
الناموس •

٣- العلاقات مع احفاد المنصور

عانى احفاد المنصور مرة اخرى التعاون مع الانجليز/ يفتونوا حلفاء لهم ضد الاتراك في الجزائر. وقد مر لهم التسهيلات التجارية التي رفضوا فيها على ابدان يحصلوا منهم على عون يساعدهم على تمردهم منهم ومناوئتهم. هذا ان كان هذا الشيخ الاصغر الذي امتد حذنه فترة دويلسة نسبيا من ١٠٤٥ هـ - ١٠٦٣ هـ / ١٦٣٥ - ١٦٥٢ م حتى مباشرة بعد توشى بحادثة صداقة وتجارة مع انجلترا في ٢٠ ربي الثاني ١٠٤٧ هـ وسبتمبر ١٦٢٢ الى جيران انجلترا للاشتراك بحجبه في حملة على الاتراك في الجزائر وتونس وقان في بدايه الحروب الى الملك شارل الاول والصوفيين في ١٧ جمادى الثانية ١٠٤٧ هـ / الخامس من شهر نوفمبر ١٦٢٧ م . () انه يجب ان نتصان في شن الحرب ضد السلطات الخاصة في كل من تونس والجزائر بسبب تصرفاتهم البغيضة في (٢) والاحسانية (٠٠٠) .

ورجعه لهذا الغرض سفارة تتألف من القائد . وفد من هذا الملك . ويصيرت بلايا لا تقاومها بالاشتراك فيها باسلطوله البحري القوي . . .

وقد استقبل الملك شارل سفيره بحفاوة . وفاد السفيران في ١٠٤٨ هـ / ماي ١٦٢٨ م وفي (٣) صيتهما اربع سفن عربية لمساندة هذا الشيخ في حربه على الدار بين على حكمه .

ولان من بين الدار بين الدود على طمعه هذا الحاج بن محمد بن ابي بكر الدلائي في وسط المغرب وذلك في سنة ١٦٢٦ هـ وباتت محاولة استعاضته اليه الموحدة الى الدخول في دعوته والبيعة الخاضعة له في سنة ١٦٢٦ - ١٦٢٧ هـ بالاشفاق . ثم يبق امامه الاستعمال القوة ممسسه .

ويبدو ان المساعدة التي امدته بها انجلترا لم تشجعه على القيام بحملة على خصم قوي تأثر ان ارادته آثر قبل ان يقوم بذلك ان يقوم بحملة لاضحاج المشرق الجديد . فعرك بالفعل جيشه الى ناحية تادلة في سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٢٨ م . ومن اليه هذا الذي . والدوق المزمعة به في المعركة العامة الروايعي التي دارت على شفاة وادي الجديد بتادلة فلم يفر المحاربة وتبع بمراتش ومسا (٤)

بما وراة ولا يبدو انه فكر ثانية بعد هزيمته هذه في تنفيذ حملة ضد اتراك الجزائر .

(١) انظر في العلاقات مع الانجليز : توشى هذا الملك : العلاقات الانجليزية المغربية (١) / المصنف / المجلد ٣ / الجزء ١ / ص ١١٥ وما يليها .

(٢) نفسه : ص ١٨٠ - ١٨٢ .
(٣) نفسه : ص ١٨٠ - ١٨٢ .
(٤) الافراتي : الزمرة ص ٢٤٦ وما بعدها . الزاوية الدلائية ص ١٥٤ .

ولم يكن ابنه احمد الحباس من الثورة بحيث يفر فيها فتر فيه والده ، وقد صبر حتى من
انضام اغواله حرب الثبانات واستمالتهم الى ابنه ، وعين حاول ذلك قتله في سنة
١٠٦٩ / ١٦٥٩ م ، ومقتله سقط نهائيا ، ولم الاسرة السعدية في المغرب (١) .

واذا كان حرب الثبانات اشوان زيدان وابنائهم الذين اسقطوا آخر الملاديين
المسجونين من الحكم وقضوا نهائيا على حكم اسررتهم ، فان الاثراك الحشانيين قد
سارعوا في انصاف هذه الاسرة بتدبيرهم المختلف ؛ بتبرير هذا او ذاك من
الحرابيين على الثورة عليهم ، او تأييد او تشجيع هذا او ذاك من الثوارين عليهم او بالتعاون

٤- العلاقات بين اثراك الجزائر والاشراف العلويين في عهد الباشاوات :

لم تكن العلاقات بين اثراك الجزائر والاشراف العلويين ودية ولا سلمية في البداية على
الاقبل ، ذلك ان الاشراف العلويين الذين اظهروا على الحسن المياني في المغرب بعد فشل
بن ابناء المنصور كما رأينا (٢) قد اخذوا يحملون بعد قيامهم في سبيل ماسة بنغوب المغرب
في سنة ١٠٤٠ هـ / ١٦٤٠ - ١٦٤١ م (٣) على توسيع نفوذهم نحو بلاد الجزائر ، وفي ذلك
تجديد للاطماع القديمة لحكام المغرب فيها ، ويحملون كما تدل على ذلك حنة توسيعهم لنشاطهم
ونفوذهم على السيطرة على التجارة الصحراوية بين بلاد السودان والجزائر والمغرب ، الامر الذي
لم يكن ليرضي حكام الجزائر اولي جعل علاقته مع الاشراف العلويين ودية او سلمية ، لما كانت
علاقاتهم مع بقية الوحدات السياسية التي كانت قائمة في المغرب في هذه الفترة .

ولفرض السيطرة على المراكز التجارية المتخلفة في التجارة الصحراوية احتل العلويون بعد سنوات
قليلة من قيامهم ثروات ٦٤٥ (٤) هذا المركز التجاري الهام في جنوب اصايق الصحراء الجزائرية
(مالي) . ثم توالوا الى فاس وقد حملوا في جمادى الثانية ١٠٥٩ هـ / ١٠ / ١٦٤٩ م ، ولكن
الدلائيين اصحاب النفوذ فيها تمكنوا من صدحهم عنها الى حين ، في ١٠ شعبان ١٠٥٩ هـ / ١١ / ١٦٤٩ م
١٦٤٩ م ، كما توالوا الى تلمسان ، والمراكز الاخرى الواقعة في الجنوب الجزائري ، واستغلوا انشغال

(١) الافرائي ، نفسه (٢٥٧-٢٥٨) .
(٢) انظر فصل الحياة السياسية في المغرب ،
(٣) انظر الافرائي ، النوبة ص ٣٠٠ (في هذه المصباحي اهل سبيل ماسة محمد ابن الشريف وخلصوا
امانة ابنهم السعديين)
(٤) مارتيني وآخرين ، تاريخ المغرب ص ٢٤٦

ك الذي زاعر بالخزوة اليسرى ، ونوا بهم قديم لوردود فمن الدول الاوروبية التي تضررت بهه ، وانضدت
في اسانيلها وحملاتها لخزوة مدينة الجزائر وغيرها من المدن الساحلية . كما استغلوا ايها ماكن
في الاثراك حينئذ من ضعف داخله ، نتيجة التنافس الذي كان قائما بين البند والرياس والشعيرات
شيرة التي كانت تقم ضد هم هنا وهناك ، فغزوا تلمسان ومقاصمها ، كما غزوا الافراد ، وبين ماضي
يرما ، من المراكز في الجنوب الجزائري ، وابتدوا اغتارها كبيرا في باشوية الجزائر ، وبددوا نفوذ
اتراك فيها تهديدا قويا . الا ان شعيرات الحيين بانهم مازالوا يهرقون على الدخول فسي
بماحية حقيقية حاسمة مع اترك الجزائر ، علمهم لا يستغلون بالمركز التي غزوها او تمنوا من الدخول
فيها ، فقاتلوا ينسحبون منها بعد نهم ما فيها من اموال وخيرات الى وجهه او الى سبلعاسه انهم
مغزوا بهندار كبير من قبل الاثراك .

وقد بدأ الاشراف الطليون بقيادة محمد بن الشريف معوماتهم وفاراتهم على المناطق والمدن
والقبائل التابعة لباشوية الجزائر ، بدءا بالتي تلي شرق المغرب ثم التي تليها في ربيع سنة ١٦٥٠م
على الاربعة اربعين السنة التالية لها ، مما يوافق اواخر عهد يوسف باشا واول عهد محمد باشا
واستمرت معوماتهم وفاراتهم بنهج سنوات حتى سنة ١٦٥٤م (١)

كانت اول معومات محمد بن الشريف على بني يزناسن فاستولى على اموالهم ومواسمهم ، وقصد
بعد ذلك مدينة وبندة واستولى عليها وشرب منها الخمر الموالى للاثراك ، واتخذها قاعدة لادمية
لامارته ، منها يد الق لافارة ، والهيما بحدود القضاء فصل الشتاء . ثم قام بعد ذلك بالافارة على
القبائل الاخرى المناهضة للاثراك كأولاد زري وأولاد علي وبني سنوس ، فانتقم منهم وادخلهم فسي
دامتة ، وامتدت فاراته بعد ذلك الى ناحية ندرية حيث اغار على قبائلها كملخرة وداراة ولهماسة
وغيرها . وتجرا بعد ذلك على الافارة على تلمسان وقراها ، واستولى على ما ورد من اموال وباشوية
شبان اسوارها وفي قراها ففتح انه ادخل تلمسان وافراد ما فيها فمزمهم شرب خمر وقتل منهم
عدد كبيرا فنادى من نداء منهم اني الاستقام بأسوار المدينة ، وفتح محمد بن الشريف الى وبندة حينئذ
قضى فصل الشتاء هناك . وفي الربيع التالي ، فتح على طريق الصحراء وافار على ((الدخافة)) ،
وانتهب اموالهم ، فسارعت قبائل حميان وبنو خمسة وغيرها الى اخذ خيولهم اليه والدخول في طاعته .
وقام بمعية هذه القبائل بنزو الافراد وبين ماضي والناسول والموانع وبني يلقيان وغيرها فسي
الجنوب الجزائري ففتحها واستولى على اموالها وغياراتها . وقراها مع عرب الحارث وسويد ورياح الى
جبل بني راشد طالبا للخدمة بوقفل راجعا ، محلا بنائهم واسلاب شيرة .

كان رد فعل باشا الجزائر من غاراته الأخيرة توبيخه أكبر عدد من القوات والمدافع نحو
 وزير الجزائر لحقيقة محمد بن الشريف وسارته . ولما كان هذا الأخير يعلم انه لا قبل له
 مواجهة هذه القوات فقد استعرجها الى ولاءه . وهناك فرق من كان معه من القبائل على أمل اللقاء
 بـم في الربيع القادم وتوجه الى سجلماسة . فلم يبق بذلك الفرقة للقوات التركية لمحاربتها ، فسادت
 في الجزائر بعد ان بلغت تلمسان . ولا يبدو انهما امراة بمازعة ابن الشريف . حتى سجلماسة ، اوان
 ضاللتها تسمح لها بذلك ، فقد كانت تشكو من قلة التموين ، والوباء المنتشر ، فلم يتقدم اليها احد
 وهي في اريقتها الى تلمسان بمؤونة أو خراج (١) .

وقد ادت غارات محمد بن الشريف العلوي على الجنوب والجنوب الجزائريين الى تعطيل التجارة
 وإحطال الزراعة لهروب الناس نحو الجبال النائية والقبائل البعيدة (٢) .
 كما ادت غاراته الى ميل عديد من القبائل الى التمرد من دالة الاثراك ، كأولاد دالة وحداق
 وخران وغيرهما ، والى ميل بعضهم اليه كحميان ودشيشه وغيرهما ، وحتى أهل تلمسان ما لبثوا ان
 مالوا اليه وخادموه ، وعرضوه على الاثراك (٣) . مما كان يندرج بخطر كبير على نفوذ هؤلاء ليس فقط في
 مدينة تلمسان والخرب الجزائري ولكن في كل بلاد الجزائر .

فما كان من باشا الجزائر بعد عودة القوات التي ارسلها الى الفاعية الغربية ، دون قتال يصح
 محمد بن الشريف الا ان تظاهر مع ابن ديوانه بعشورته في كيفية محاولة الموقف الخطير وطريقة
 اعادة الهدوء والاستقرار الى الباشوية والتخلص من شبح الاضطراب عليهم ، فبدأ لهم من الابدى
 ان يشترأ له برسالة وسفارة للتفاوض معه في المسلم .

كانت الرسالة بليغة ، وهي بتاريخ ١٥ / ٧ / ١٠٦٤ هـ (٤) الموافق في ١ / ٦ / ١٦٥٤ م حملها
 الى الشريف اربعة من الرسل ، اثنان منهم من علماء الجزائر هما الفقيه عبد الله النفري والفقيه
 الجسم ساج محمد بن علي النفري العفلاقي ، والاثنان الاخران من اركان ديوان الباشا (٥) .
 اوضح باشا الجزائر وديوانه في بداية رسالتهم مسأروا ما اقدم عليه محمد بن الشريف من افعال وانارة
 لاذي ارايات في البلاد الجزائرية ، والاضراب التي نبعثت من ذلك ، واقتوا نادر مخالفهم الى انسه

- (١) السلاوي ، المرجع السابق ص ٢١
 (٢) نفسه ، ص ٢٦
 (٣) اندر عن مودة القبائل وأهل تلمسان ، رسالة باشا الجزائر في المرجع السابق ص ٢٤
 (٤) نفس الرسالة ، ص ٢٥

دائم الثبات امام قواتهم في ... قتيبة تاليف بهذا الصدور ((والخطاط لا يهمل))
لوبي كذلك في المثل جندك مخاض الدر والبرود لا يصبرون لمواقف البارود ولا تدبج
سنة الدروع والدوابل الا في سوق من الخارات على حلق القبائل ، اما اسوار الجبال فاسفل
وار الثعالب فلا يصد منها فهي يدمها الا سيوف النعم والرماة الرواسب . .

وحذروه بشدة وبغير تمكيم من مخيبة الاستمرار في الاغارة على البلاد الجزائرية بقولهم :
ولا تمدن باع المعاداة الى اوداننا فتعش مغالب سداوة سلطاننا (. .) واكدوا حرصهم
امن القبائل العربية وطمأنيتهم فقالوا : ((وما مرادنا الا امان العرب في المواضع ليليب
التي بولان الانتقال في المشاة والعرايح (. .) . ونصحوه ان كان جادا في طلب الملك النسي
بهم بتموده الى اخراج حواضر المغرب التي لا تزال في قبضة زعماء البربر بقولهم : ((فان تحلقت
ميتك بالامارة فملكك بالمدن التي يحوزها عليك من البرابر فصار يدعي لها على الضابط (. .)
مد لهما حيازيمك لتدوق جاذوة الملك المصونة بحرم النجاة او الهلاك (. .) .

ويأتي من هذه النصيحة انهم كانوا يريدون ايجاد اهتمام بمدبرين الشريف عن الجزائر
ياد مناله في نزاع مع القوى الاخرى التي كانت قائمة في المغرب ، يهتف قواء ويضعفه ويحترقه من
تهديد انهم والبلع في اياتهم .

وغتموا رسا انهم اليه بلمجة لينة حيث لا يشدوه الا يتدخل مرة اخرى في مقاطعة تلمسان
تعت اي حذر من الاعداء لم تكن الحماقات بينهم وبينه حسنة طيبة ورجاء في رسا انهم بهذا الصدور :
((فلما شدة ناك جندك من الاب والامم ، وبالك فيه من اخ وخال وتم الا ما تجتبت ساحات تلمسان
ولا زاحمتها بجمع رماة ولا فرسان . وان اشتمت الاغراب قارات بعضها على بعض فبعد ما ما نأى
عنا من مطلق الارض وخسنا على الغالب . لتعلموا ان رأيهم من محاني الصواب غائب ، ان كلهم
ن ورجاء ونفاد ويسمهم عند الدول ما بهم الكفار ليقتي بوننا وبينكم المسترالمديد على الدوام ، وثمة
كلهم الرماة من الاقوام (. .) .

ولما قرأ محمد بن الشريف الرسالة استاء من مدحهم ولهم كتبها ، وعاتب الرسل على ذلك ،
ورده ، ولا بانهم مجرد رسل عليه ان يذهب برسلم لا أن يقاتلهم . فكتب لهم كتابا لثمة ام يذهب
بأهل الجزائر وديوانه الى ما اراد وا ، واناء الياسا الرسل الى محمد بن الشريف ، ولكن هذه
المرة بد من كتاب ، وكان العالوب موحدهم الشريف العلوي اموقفه اما السلام معهم واما اعائن
(1) اشارة الى الدلائيين (البربر) الذين كانوا يسيرون على قاص وسلا وتداول وفيهما .

وأن ليس على المستضعفين من الكفار أن يفسدوا ، وإنما كان يفسد ، وإنما على الدولة العثمانية .
مؤثرا ، حيث قالوا : ((نحن نؤمنك لتعمل معنا شريعة جدك ، وتقف عند جدك ، فما
ذلك يمارب المسلمين ، ولا يماربهم المستضعفين ، فإن كان فرضك في الجهاد ، فربما
القرار الذين هم معك في وسط البلاد ، وإن كان فرضك في الاستيلاء على دولة آن عثمان ،
به ، والسلام . وأما إيقاد نار الفتنة بين الجهاد ، فليس من شيم أهل البيت الامجاد .
يفنى عليك أن ما فعله حرام ولا يبرر في مذنب من مذائب المسلمين ، ولا قانون من قوانين
دينهم)) .

ومضى رسل الجزائر في شأن العترة العترة ، وتوسى الاشرار التي رجعت عن تدخل ابن
عريف ، قالين : ((فقد تعطلت بنا رتنا ، واجفقت عن وطننا وصيتنا ، فما جوابك عند الله لي
في الذي تفعله في بلادنا ، وانت ابن رسول الله (ص) مع انه لم يجهزنا ان نفعله نحن في بلادكم
حيثكم ، على اننا معمولون على العالم والجهنم ، ولكن تأبى ذلك صفة سلطاننا (١٠)) ((١) .
تفتح الشريف بجهنم ، واثر فيه لانهم ، وقال : ((والله ما اوقفنا في هذا الحدود الاشياطين
الغرب ، انتصروا بنا على اعدائهم ، واوقفونا في مصيبة ، وابلغناهم فرضهم ، فلا حول ولا قوة
الا بالله)) ((٢) .

وقيل ان بعض من حكام الجزائر معاهدة سائر ، وعمن البوار ، على ان يكون وادي التافسة
مراعى الفاصل بين ايلة الجزائر ، ومهران نفوذ ، وتحميد بالتزام ذلك ، واعتزام الحد الجديد
قائلا : ((وانني اعاهد الله تعالى لا اعرض بحد هذا البحر ببلادكم ولا لويتم بسوء ، وانسي
احدايتكم ذمة الله ، وذمة رسوله ، لا قطع وادي التافسة الى ناحيتكم الا فيما يرضي الله ورسوله)) ((٣) .
وقد وفي بها قطعه على نفسه من عهد ، وما التزم به ، وزاده اخوه الرشيد من بعده ، اتفاقية .
السلطان من اترك الجزائر (٤) ولا يدخل ضمن فترة بحتنا النزاع الذي استبعد بين الدارين بحد
تولي السلطان العاوي مولاي اسحاقيل (١٧٢٧-١٧٢٧م) ، او من جاء بعده .

ولقد تفاقت العلاقات بين اترك الجزائر واراضي الاشراف العاويين ام تمكن
في البداية سلمية ، او ودية ، وان اتفاق السلطان الذي توصل اليه الجانبان في سنة ١٠٦٤ هـ /
١٦٥٤ م لم يفتح عددا نهائيا لاطمان الاسرة الحاكمة ، وتدخلاتها في الجزائر ، وان نظام العبادة
بالتدخل المباشر قد عاد الى يد النظام الحضارية من بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر .
البيادى بحد ان كان بيد . حكم الجزائر اترك ، وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر ، مما
يدل دلالة واضحة على ضعف اترك في الجزائر في عهد الهاموات وان جيلهم الى العمام ، وتنازلهم
عن فترة مد نفوذهم خارج من ذلك النصف ، وان كان التدخل في شؤونه بسبب اولادهم من سائر
سياسة تتم .

(١) (٢) (٣) السلوى ، الاستقصا ج ٧ ص ٢٦
(٤) ت . نور ، الدرر العاويين ص ١٨٢ .

ومن كل ما تقدم يمكن القول ان العلاقات السياسية بين البلدين في الفترة ١٢٢ - ١٠٦٩ هـ /

١٥٠١ - ١٦٥٩ كانت متذبذبة ، ولم تكن علاقات ود وعسن جوار دائما أو تحاون ، كما كان
نظرا ان تكون بين بلدين متباينين ، كما نرى العنصرية البشرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية
من حتمين قاما على اساس متخاللة وفيها التباين ضد التفاروت سريرا وفي تحت الاختلال الاوروبي
سياسي البرتغالي والاسباني ، بل كانت متذبذبة بين سلام قلق مجرد لتوازن القوتين من
رب حقيقة حين اختلال ذلك التوازن ، او حين كان يبدو كذلك .

— ام تترك في العلاقات السياسية بين البلدين المتباينين لا الوحدة في التكوين البشري ،
اجتماعي والديني ، ولا معاملة البلدين في انهاء الاختلال الاوروبي المسيحي الذي كان يوده
عديا للشعر الديني والقوي ، واستنزافا للاقتصاد ، وانما تحكمت فيه الرغبة المتشابهة لعنصر
بلدين في السيادة على البلد الاثير لتحقيق اهدافهم الاقتصادية واتوسعي نفوذهم ، ودمجهم
بما رتبهم وهيبتهم ليس فقط في الادارة المحلي للبلدين ، ولكن ايضا في العالم الاسلامي والاوروبي .
هذا ان الصراع مظهر من مظاهر تلك العلاقات . وقد كان صراعا عنيفا احيانا تمثل في عمليات
سخرية متبادلة ، وصراعا خفيا تحت ستار السلام والمفاوضات . وفي الواقع كان الصراع عنيفا لما
يتم بين احد الطرفين عارفا تماما بقوى الفريق الاخر . وعندما شعر الطرفان بان تلك القوى
تتهدد فان السلام ساد وان كان تارة عذرا ، واخرى متوترا الا ان كلا الطرفين خفق في تحقيق غرضه
فالسلمديون انفسهم في مداولاتهم الجديدة في اختراق سد الحشائين في الجزائر
لتحقيق طموحاتهم في انشاء امبراطورية تشمل ليس فقط الجزائر ودولة الموحدين السابقة ،
بل ان ايضا مصر وربما غيرها كما فعل اسلافهم الفادميون فلم يبق لهم الا ان يتوجهوا نحو الجنوب والى بلاد
الموردين . لقد نفوذهم في بلادهم فاجعلوا في وجههم : ومن اجل الحفاظ على الاستقلال فان حكماء القوي
في هذا المنحدر علوان ذلك لم يدم طويلا بعد العشرة : ومن اجل الحفاظ على الاستقلال فان حكماء القوي
لهم يتوددوا في الغرب من القوى للخارجية المعادية لاجيرتهم الاثراك الطامحين في المغرب مما جعل العلاقات غير ودية دائما
والحشائينون انفسهم في استوائهم للمغرب رغم المحاولات الجديدة ، والعنصرية والسياسية

وليس لا يعود فقد الى : —
— رفض المغرب الدائم للمستعباية اليهم لدولة المنارة او اطلبهم الى الاثراك على انهم
شريا . اعاجبهم ، بعيدون من اصالة الشرف العربي الممجد التي تحولهم السيادة على العالم
الاسلامي .

— قوة الدولة الممجدية نفسها المؤيدة بقوى كثيرة ، دينية وسياسية ، في المغرب وعلى في
الجزائر والمدعمة بقوة عسكرية مناداة تدلها . لدينا مقتبسا من التنظيم الحشائين نفسه والاوروبي .
والمستندة الى قوى اوروبية محادية او مسالمة للدولة الحشائية يمكن ان تأتي لمساعدتها . وان
تمدها بالسلاح والرجال والمال اذا ما دعت الضرورة ، وفي مقدمة تلك القوى الاسبان والبرتغاليون
الذين كانوا على استعداد للوقوف الى جانب المغرب ، اربا بانفسهم لمنع امتداد النفوذ الحشائي
الى المغرب القريب جدا من اسبانيا والمشرق على اريق ملائمتهم عبر الاممي لما في امتداد
اليه من غدار على بلادهم وعلى مآلعتهم .

وانما اشتغالهم في ضم المغرب يعود الى تردد الدولة العثمانية نفسها ، وعدم جدتها في ضمها اليها ، ولذلك التردد اسباب من أهمها : -

- اخذ الدولة العثمانية ما تقدم ذكره في الاعتبار .
- انشغالها في حروبها في شرق اوربا وبلاد فارس .
- البعد المكاني للمغرب عن مركز الدولة ، وعدم اطمئنانها تماما الى نوايا نظام الجزائر المستمر الاقوياس .

• الضعف الذي انتاب الدولة العثمانية بعد سليمان واضطراب احوال الامبراطورية العثمانية في المشرق وحتى في الجزائر استمراره في عهد الباشاوات .

• ان العلاقات السياسية بين المغرب والجزائر او بالاحرى بين المغرب والدولة العثمانية كانت في الواقع العامل الاكبر في الابقاء على القواعد الاسبانية والبرتغالية في البلدين لان تلك العلاقات التي اتسمت طابع الحفا وتارة والتوتر اخرى ، كانت عائقا في وجه حركة جهادية مشتركة ضد القوى الاوروبية الخانزية والدائمة على المسوا .

الباب الثاني

العلاقات الاقتصادية بين القطرين

الفصل السابع : البنية الاقتصادية في القطرين والعوامل المؤثرة فيها .
الفصل الثامن : ملخص العلاقات الاقتصادية .

الفصل السادس

البنية الاقتصادية في البلدين والعوامل المؤثرة فيها

قد يجد الباحث نفسه وهو يلج باب العلاقات الاقتصادية ، متساقا نحو نهج النهج الذي اتبعه في بحث العلاقات السياسية ، أي أن يطرح ملأى الحياة الاقتصادية في القطرين في هذه المرحلة ثم ، ينطلق إلى العلاقات بينهما ، طمأ بأن صورا متفرقة بين تلك الحياة الاقتصادية قد اشير إليها بطريقة أو بأخرى في الحياة السياسية للقطرين وعلاقتها بهما يستوجب هذا الانسياق أنه من الميسر فهم العلاقات الاقتصادية مالم تدرك البنية الاقتصادية في كل من القطرين والتشورات التي طرأت عليها خلال هذه المرحلة ، وهذا ما جرى فملا ، ولكن تبين من الدراسة المستفيضة والتفصيلية للحياة الاقتصادية في البلدين ، أن هناك تشابها بين المبتدئين ، والعوامل المؤثرة فيها . ولما لم تأخذ العلاقات الاقتصادية منحى دبلوماسيا إلا متى دخلت عنصرا فاهلا وواضعا في علاقات السلم والحرب والتوتر ، أي لم تكن مدار معاشات بين الحكومات ، أو اتفاقات ، أو معاهدات ، بحسب ما توافر من الوثائق ، فإنه رأى أن طرح موازنة بين الحياتين الاقتصادية تبين في البلدين في هذه المرحلة ، من خلال موازنة العوامل المؤثرة فيها ، بل أن هذه الموازنة هي في حد ذاتها نوع من العلاقات . وهكذا فإن لاستكشاف للعلاقات الاقتصادية بين القطرين ، يتضح له من خلال تتبعه للحياة الاقتصادية فيها ، أن تلك الحياة ، بل وتلك العلاقات نفسها قد تأثرت بعوامل متنوعة ومتشابهة على الأغلب بعضها قديم ، وبعضها جديدا . أما العوامل القديمة أي المتوارثة من الماضي لميسد ، أو الموروثة من الحقبة السابقة لهذه المرحلة مباشرة ، فيمكن تصنيفها بدورها إلى عوامل داخلية وخارجية :

ولا : العوامل الداخلية الموروثة ، وتأتي في طلبتها :

1- الجغرافيا الطبيعية للبلدين : فمن المعروف أن الجزائر والمغرب بلدان متجاوران ، لا تفصل بينهما حدود طبيعية . ومن المعروف أنهما يقعان في شمال إفريقيا وطلان من الشمال على البحر المتوسط ، وتغوص أقدامهما في الجنوب في رمال الصحراء الأفريقية الكبرى . إلا أن للمغرب واجهة بحرية أخرى من الغرب يطل به على المحيط الأطلسي ولا تليق الجزائر بذلك لها .

ومن نافذة القول التأكيد ان التضاريس في البلدين تشكل بعضها : فهي في الجزائر امتداد لما هي عليه في المغرب مع فروق طفيفة : ففي كل منهما سهول ساحلية على البحر المتوسط ، وتمتد فيما بينهما الاملح المرتفعة المشهورة من الغرب الى الشرق ، وعلى الساحل وفي الداخل بتضاريسها البنية والصحراوية ، حاصرة بينهما منطقة غراب هالية ، اما المناخ فهو متوسطي في الشمال والوسط ، وسحراوي في الجنوب . ومع ان الواجهة الاطلسية في المغرب ذات امطار اوفى من المناطق الاخرى ، الا ان الانهار في البلدين لا تعدوان تكون انهارا سليمة متناهية ، والرياح ازارتها جدا في موسم الجفاف ، وتطوق حتى الغيثان في موسم الامطار .

وقد نتج من عناصر تلك الجغرافية الطبيعية المشتركة للبلدين ، واولها الموقع الجغرافي بين الصحراء الافريقية وماراها من بلدان الغرب الافريقي في الجنوب ذات الانتاج الغابر ، وبين البحر المتوسط في الشمال ، المنفتح على القارات الثلاث ، والذي تصب فيه مختلف انواع السلع ، ان كان البلدان منطقة عبور بين اواسط اقرقيا الغربية وهذا البحر ، والمقابل . ومن ثم ، كانت لهما علاقاتهما ، وصفة خاصة التجارية والسياسية مع بلاد السودان جنوبهما (1) كما ان هذا الموقع وبيئتهما ايضا الى متفهما البحر الشمالي ، وماوراءه ، فكانت لهما (2) صلاتهما السياسية والاقتصادية بل والثقافية مع بلاد اوربا التي تال طوي هذا البحر من جنوبها ، ومع كل حوضه الشرقي (3) . ومثلما وجه الموقع الجغرافي سكان البلدين نحو الجنوب والشمال ، فانه كان من الطبيعي ان يوجههما نحو الشرق ايضا . وفي هذا الاتجاه ، كانت الجزائر هي التي تلتك الهند الامن لانها هي التي تلاص المغرب الشرقي مباشرة (4) ، ومنه السبيل المشرق . فاحتمال المغرب بهذا الهند كان لا يمكن ان يتم ، ووسائل الانتقال البحرية والبحرية على ما كانت عليه آنذاك ، الا من طريق الجزائر . كما ان اتصال الجزائر بالواجهة الاطلسية كان لا يمكن مبدئيا ان يجري الا عبر المغرب .

وهكذا رسم الموقع الجغرافي للبلدين خطوط الاتصال التجاري التي تربطها باوربا شمالا ، والسودان واقرقيا الغربية جنوبا ، والمغرب الشرقي والشرق شرقا ، والاطلسي غربا .

(1) Devissé (J): Routes de Commerce et Echanges en Afrique Occidentale en Relation avec la Méditerranée, in R.H.E.S., t.50, Paris 1972.

La Fousse (de): Relations du Maroc et du Soudan A Travers les Ages. Paris 1924.

Garette (E.): Du Commerce de l'Algérie avec l'Afrique Centrale et les Etats Barbaresques. Paris 1844.

(2) Mas-Latrie (de): Traité de Paix et de Commerce et Documents Divers. Paris 1872.

Masson (P.): Histoire des Etablissements et du Commerce Français dans l'Afrique Barbaresque. t.1, Paris 1903.

(4) Prax (M.): Commerce de l'Algérie avec la Mèroque et le Soudan. Paris 1849.

ذلك الغلاف ، كما هو واضح ، تشابه وترايط ، بل تواصل وتداخل . وملاحظان هذا
شذوذاً للواقع الجغرافي ، بل مستمرا في هذه المرحلة من التاريخ ، كما كان عليه في
مرحلة السابقة ، أي ان العلاقات التجارية والسياسية للبلدين كما رأينا كانت نشيطة مسنعة
سودان ، وفعالة في أوروبا ، ومتينة مع المغرب الشرقي ومع المشرق وفي الوقت ذاته
ية فيما بينهما ، من الرغم من التذبذب الذي تركته العلاقات السياسية العالمية والمطلوبة
لال بعض الفترات ، في تلك العلاقات كما سيأتي .

ولم يكن الموقع الجغرافي وحده هو الذي ترك اثره في الحياة الاقتصادية ، بل ان
حوامل الطبيعة المتشابهة للاخرى كان لها نتائجها البينة فيها . فالتقارب في التضاريس ،
المناخ ، والمياه ، والتربة ، خلف عبر العصور ، وفي المرحلة المدروسة ايضا ، تماثلا
في الانتاج الزراعي ، والمحاصيل الزراعية (١) . فقد انتج كلا البلدين خلال هذه المرحلة
كما انتج في المرحلة السابقة لها ، القمح ، والشعير ، والبقول من المواد الغذائية ،
والقطن والكتان ، والقمح ، والحلفا من المواد النسيجية . وزرعا من الاشجار المثمرة ،
الزيتون ، والنخيل ، والتين ، والكرام ، والجوز واللوز ، والحمضيات ، والبرمان ،
والخشب والشوخ ، ثم التوت لتربية دود القز ، وان بدأ هذا النبات يهدد نسبيا ، ان ان
الاندلسيين المهاجرين هم الذين زادوا في زراعته (٢) . وفي كلا البلدين اينما نمت الغابات في
مرتفعات الاطلس الصادرة ، كغابات الازر ، والسنديان الفيني ، والاشجار وغيرها ،
لتزود البلدين بالخشب اللازم لصناعة السفن ، والاثاث ، وكثير من ادوات المنزل والزراعة ،
وانتاج الفحم ، وغيره من الصناعات . هذا بالإضافة الى ما كانت تأتيه من عمل برى وشبه
كما نبتت الاعشاب متماثلة في المصنوع الوسطى ، وعلى حواف الصحراء ، لتكون مرقى لقطبان
الماشية المتنوعة والثيرة ، في البلدين من : غنم ، وابل ، وابقار ، وخيول ، وغيرها .
فترية الماشية كانت ، وما زالت خلال المرحلة المدروسة ، من النشاطات الاقتصادية الهامة
في البلدين ، تقوم به على الاغلب ، القبائل البدوية ، وتمثل واحدة من دعائم
الاقتصاد فيها (٣) ، بما تنتجه تلك الماشية من لوم ، والبان ، وحوف ، ووبر
وجلود ، مهمي عماد بعض السكان في غذائهم ، ولبسهم ، وسكنهم ، وبصفة خاصة
القبائل البدوية منهم . وفي الوقت ذاته فان الاصواف والجلود كانت من المواد التي يكثر
الاقبال عليها في مجال التجارة الخارجية . فالغطاء النباتي والزراعي اذا هو في احدهما

(١) انظر عن الانتاج الزراعي والمحاصيل الزراعية المتماثلة وكذا عن الماشية وتربيتها في البلدين :
الجزان : المربع السابق (الجزان الاول والثاني) ، ومارمول المربع السابق الجزان
الثاني والثالث

(٢) هايدو : الجغرافيا / في / المجلة الافريقية / عدد ٩ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ ، والجزان
المربع السابق ، ج ١ ، ص ٢٢ ومارمول ج ٢ في صفحات متفرقة ص ٣٩٢ ، وغيرها .

(٣) كارت : المربع السابق ص ١٣ - ١٥

تفردت به الجزائر دون المغرب ، لتوافره على سواخلم الشرقية . وقد كان له شأن في قس قصادها ، وفي حياتها السياسية في هذه المرحلة ، لان استثماره لم يكن بيد اهل البلاد ، وانما اعطي للاوربيين الجنوبيين فالفرنسيين . (١) ومثلما تفردت الجزائر بصيد المرجان فان المغرب اختصت دون الجزائر بجمع العنبر الرمادي من المحيط الاطلسي (٢) .

٢- الافق الاقتصادي المحدود نسبيا ، الذي رسمه العاطون في الفعاليات الاقتصادية المستتوعة ، لانتاجهم فهذا مجموع الاقتصاد في هذه المرحلة وكأنه لا هدف له سوى ارضاء حاجة استهلاك السوق المحلية في الدرجة الاولى ، كما كان عليه الامر في المرحلة السابقة ، فقد حافظوا في البلدين على التراث ، والادوات التقليدية المتوارثة ، التي كانوا يستخدمونها في الانتاج الاقتصادي لمختلف الوانه ، والتي كانت تنتقل على الاغلب من الاب الى الابن دون مساهمة جادة المتأويرا والابتكار فيها . ففي الزراعة مثلا ظل الميراث الخشبي ، وادوات الصيد ، والدرس ، وغيرها من الادوات الزراعية بمواصفاتها السابقة ، وكذلك اساليب الزراعة ، ووسائل الري . والامر نفسه ينال عن ادوات الصناعة والرائفها ، والنم التي كانت تتحكم فيها . فالعرفة او الصنعة شبه احتكاري ، والنقابات (اللوائف) لها قيودها عليها . ومن ثم فالانتاج الصناعي بمجموعه ، ظل خلال هذه المرحلة في البلدين مشابها في نوعيته ما كان عليه في الماضي ، ماعدا بعض تجديلات طفيلة ، اما ادخلها الاندلسيون ، كصناعة الحديد في الجزائر وتطويع انوال نسجها ، وصناعة الشواشي والارتقاء بها ، (٣) ، واما فرصتها ظروف الاحتكاك مع العالم الخارجي ، وبصفة خاصة مع اوربا والدولة العثمانية ، ومثل على ذلك ايجاد صناعة البنادق والمدافع في البلدين ، الى جانب صناعة الاسلحة التقليدية المصروفة كالسيوف والرماح والعراب وغيرها ، وتطويع صناعة السفن والتوسع فيها للاستجابة لمتطلبات الغزو البحري ، وحاجة البلدين لتكوين اسطول تجاري وعربي (٤) .

وبكذا كان مجموع الصناعات في البلدين في هذه المرحلة متماثلا مع الماضي مشابها فيما بينهما . فمع ان الصناعات الغذائية المصروفة كطحن العبوب في الارضية الطائفة ، وصنع العيزر والبسكوت ، وصناعة الالبان وبصفة خاصة نبال السمن الذي كان له سوق نافقة في السودان واستانبول وجنوة ، وصناعة الزيت من الزيتون ، والزبيب من المغرب ، مهمة دفتري : رقم ٣٥ ص ١٢٢ ودوغرامون المرجع السابق ص ٥٥ ، مرسى المرجع السابق

(١) ٣٥ ص ١٥٠ - ١٥١ : المرجع السابق ج ١ ص ٨٨ ومارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٣

(٢) نور الدين - عبد القادر صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ص ١٤٥ ومحمد المنوني

ملاح ٥٥٠ في مجلة مجمع اللغة العربية دمشق ١٩٧٦ ص ٨٤٧ و(٣) في المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٢ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٧

وكان يصدر الى اوربا (١) ، والتمر (٢) ، ويبدو انها كانت لاستهلاك اليهود بالدرجة الاولى ولا سارى النصارى ، وصناعة السكر التي انفراد بها المغرب دون الجزائر وهناك ايضا الصناعات النسيجية وما يتبعها من صباغة وغياطة ، وعلى رأسها الصوفية ثم القطنية والكتانية ، وصناعة الحصر من الحلفا . ثم صناعة دباغة الجلود التي كان للملدين شهرتها فيها وبصفة خاصة المغرب ، وما يتفرع عنها من صناعات جلدية متنوعة (٣) . ومن الصناعات القائمة في الملدين على السواء الصناعات الخزفية والفخارية (٤) ، والصباغة وسبك النقود ، وكانت هناك صناعتان الصناعتان في الملدين بيد اليهود (٥) وكان للملدين ايضا صناعتها الممدنية المحدودة اى استخراج المعادن وتصنيعها ، فالحديد والنحاس كانا يستخرجان من جنوب المغرب ، وكذلك الفضة (٦) كذلك كان يستخرج الحديد بكميات محدودة من دارار وكوكو (٧) لباية في الجزائر (٨) . وعلى هذا الحديد كانت تقوم صناعة الاسلحة كالسيوف والبنابر والحراب والفولان . كما كانوا يستخرجون من ملح البارود البارود ، ومن النحاس المستخرج من مواقع عديدة في الملدين الاواني النحاسية المتنوعة . وفي الفترة موضوع الدرس فان الفعاليات الانتاجية لم تستلح طلبية حاجة السوق المحلية من المواد الغذائية ، لما كان يتسبب في غلاء الاسعار والمجاعات . ومن المواد الصناعية ايضا ما جعل الملدين يستوردان بقية حاجتهما من اوربا وغيرها اما التجارة فقد كانت دوما احد الانشطة الاقتصادية التي يمارسها الكثيرون فسي البلد من رغم العوامل السلبية الجديدة القديمة التي كانت تعاني منها . واهمها انعدام الطرق المسهدة ، والاراضية والمعبدة ، وتعاقد محطات الاستراحة المعبدة بها يلزم التاجر المسافر ، كالفداء له ولداخلته ، والفنادق وغير ذلك واستمرار وسائل النقل البشري كما كانت تعتمد اساسا على الابل بالدرجة الاولى ثم على بقية الحيوانات ، اضافة الى ذلك الانتاج الزراعي والصناعي المحدود . هذا الى جانب العوامل الاخرى التي ذكرها

التي كان تأثيرها السلبي يتمثل عليها وعلى بقية الفعاليات الاقتصادية .

- (١) هايدو : الطور وقرافها في المرجع السابق عدد ٨٣ ص ٤١ و عدد ٨٤ ص ١٨ و عدد ٨٥ ص ٤١ . الضمير في : المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٥ مارجول : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٩
- (٢) الوزان : المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، وغيرها
- (٣) نفسه : المرجع السابق ج ١ ص ٣١١
- (٤) نفسه : ص ٣١١ و برموداي : التجارة . ص ٢١٥ : المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٤
- (٥) هايدو : المرجع السابق عدد ٨٦ ص ٩١ والوزان : المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٤
- (٦) يستخرج الحديد من مناطق عديدة في جنوب المغرب وشرقها انظر الوزان المرجع السابق ج ١ ص ٢٨٥ ، ١١٥ ، ١٣٥ ، ٢٩٣ وغيرها
- (٧) نفسه : ج ١ ص ١١٥ ، ج ٢ ص ٤٢١
- (٨) نفسه : ج ١ ص ٩٤ - ٩٥ مارجول : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٢٦ ، ٤١٣ ، ٤١٤
- (٩) (١٠) (١١)

ومن المواصل المتشابهة مشروع الاقتصاد في معاملات المخطفة ، وفي ضرائبه ، فسي
البلدين للاصول الإسلامية السنية المالكية ، التي كانت بدورها عاملا في تثبيت الافـق
الاقتصادي المحدود وتجميده الشار اليه انفا . واذا كان العشائريون قد تبنوا الفقه
السني في كل امور تشريعهم فانهم تركوا بالتالي لسكان البلاد حرية التعامل بحسب
اصول الفقه المالكي السائد لديهم . فالتقيد بمعاملهم الدين حول نسبة من الربح يجب
الا تتجاوز حتى لا تتحول الى استغلال ، وتحريم الربا ، ودفن الزكاة على الاموال المقدسة
مثلا ، امثلة لمعنى القيود التي كانت تكبح جماح المغامرات الاقتصادية الكبيرة التي
اخذت اوربا تدخل ميدانها ، في مطلع العصور الحديثة ، وكان لها نتائجها الحميدة في
تغيير بنية الاقتصاد فيها .

تجزؤ المغرب والجزائر وانحطاب احوالهما السياسية منذ القرن التاسع الهجري الخاص
عشر الميلاد . وحتى تثبت الحكم السعدي في المغرب ، والحكم العشائري في الجزائر .
فقد تبين في بحث الارواح السياسية في البلدين انهما كانتا مجزأتين الى وحدات سياسية
صغيرة متنافسة ومتناحرة فيما بينها ، هذا بالاضافة الى صراع الاسر الحاكمة الكبرى فسي
كل من الجزائر والمغرب . مما جعل الاقتصاد يتفوق ضمن تلك الوحدات السياسية
المتناحرة أولا ، وثانيا جعل الامن والاستقرار مضطربان ، وكلا الامرين لم يكونا مساعدين
على تعمس الاوضاع الاقتصادية التي لا تزد هراعاة الا في اجواء الوحدة السياسية والسلام .
تتم القبائل البدوية ومنها العربية ، التي كانت تقدم خدماتها العسكرية لمن يطلبها
منها من القوى المتناحرة . وقد وجدت هذه القبائل في ضعف السلطة المركزية في كل من
المغرب والجزائر ، وعجزها عن قمع المتعدين فرصتها الذهبية كي تقوم بالخارات على
الطرق ، والسقول ، والاسواق ، والقرى ، والمدن ، او تهددها بالهجوم اذا لم
تستجب لما تفرضه عليها من اتاوات ، مرهقة ، ولا سيما عندما تتعبد من الامطار وتفتقد
سبل رعي مواشيتها .

وقد نجم عن اشاعة هذه القبائل الخوف والتهديد آثار مدمرة على الاقتصاد فسي

البلدين :

- ١- هجر كثير من الفلاحين جسرهم وساتينهم الخصبة ، وتركهم لها يورا . كما فعل
- مثلا اهل المناطق المحيطة بمستغانم ، والجزائر (١) ، والمسيما ، (٢) ومجانسة (٣)
- في بلاد الجزائر ، واشل تينيس (٤) ، بمقاطعة مراكش ، واهل مدينة مراكش (٥)

(١) (٢) الوزان ، المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤٣ ، ٣٤٢ .

(٣) ماركول : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٢١

(٤) الوزان : المرجع السابق ج ١ ص ٩٧

(٥) نفسه : ج ١ ص (مراكش)

ما أدى الى تنقص مساحة الأرض المزروعة ، وبالتالي الى قلة الانتاج ، وما يتبع ذلك من غسالة الاسمار ، وتزايد الفقر وسهول المجاعات وانتشار الوبئة .
وقد فرع عدد من أولئك الفلاحين الخائفين الى الجبال ، حيث آثروا سكناهم على سكنى السهول ، حماية لانفسهم واسرهم ونتاج عملهم ، على الرغم من صعوبة الحياة فيها . وكان من جراء ذلك اكتظاظ الجبال بالسكان ، وتغلغل السهول (١) .
فخراب عديد من المدن ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تخريب الإعراب لصد بئنة تفوف ، التي كانت كما يتولى مارمول عاصمة لمقاطعة درعه ، ومركزا لتجارة مزدحمة مسرع بـ بلاد السودان وأوربا وبازد الهير (٢) ، وتضييقهم الخناق على مدينة مراكن حتى كادت تصاب بالخراب التام ان اصبحت مدينته من ثلثي سكانها ، والخرائب تملأ بطرقاتها (٣) . ولم تكن اصابة الجزائر اقش فداية ، ان أن هجمات الاعراب خربت مدن مازونة ، وارزو ، ومسيله ، وسكره . (٤)
ولا ينبغي ان المدن في المراكز التي تحتضن الصناعة ، وفيها تزدهر ، وخرابها أو تهديدها يعني خراب مراكز الصناعة ، او الضغط على وتقليص نشاطها .
اضطراب امر التجارة في عديد من المناطق التي تكثر فيها هجمات هؤلاء الاعراب . ان لم يمد التجار يديهم على الانتقال اليها خوفا على انفسهم ، واموالهم . فلم يحدوا يذهبون مثلا الى نواحي نفيفه (٥) ، وتينمل (٦) ، في مقاطعة مراكن ، ولم يعد سكان جبل زيز الواقع جنوب شرقي مملكة فاس يخاطرون في الانتقال الى سجل ماسنة لبيع محصولهم من السوف والسمن الا بعد عودة الاعراب الى الصحراء . ومع ذلك كان هؤلاء كثيرين ما يهاجمونهم بهجوم كثيف فيقتلونهم ويسلبون سلعهم (٧) ، والشئ نفسه يقال عن الجزائر فتجار مديها يهرؤوا على دفع ضرائب للاعراب حتى يسمح لهم بالاستمرار في تجارتهم مع الجنوب الجزائري (٨) .

وكان الطريق بين اسواق عديدة داخلية في المغرب ، وبين مدينة فاس وتلمسان معقوفا بمخاطر اعتداءهم على التجار ، سواء كانوا فرادى او في قافلة ، بحيث لا تكاد تسلم قافلة تجارية من التعرض الى الهجوم والنهب والسلب ، ولا سيما ان هي لم تدفع رسوما

- (١) انظر حول ظاهرة كثافة السكان في الجبال الجزائرية والمغربية الوزان : في المرجع السابق ج ١ + ج ٢ ومارمول : المرجع السابق ج ٢ (الفقرات المعنوية للجبال)
(٢) مارمول : نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٠
(٣) الوزان : المرجع السابق ج ١ (مدينة مراكن)
(٤) انظر عن هذه المدن الوزان : المرجع السابق ج ٢ ومارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ١١٢
(٥) الوزان : المرجع السابق ج ١ ص ١١١ - ١١٢
(٦) نفسه : ص ٣١٢ - ٣١٤
(٨) نفسه : ص ٣٥١

منه لبقاء مرورها من منطقة الى اخرى (١) . وكذلك كان حال الأريق بين المغرب
والسودان حيث، تقتطع القوافل التجارية الهامة ، وحيث كانت مهددة بهجوم عرب
د عمران وغيرهم (٢) .

وامر مماثل كان يجري في الجزائر ، حيث يشير الوزان الى ان تجار قسنطينة
طردوا الى اسلمحاب جنود مسلحين لحماية قافلهم (٣) ، وورد في وثيقة اسبانية فـ
سهد العثماني ان قافلة تجارية كانت متجهة الى هنين ، المنفذ البحري لطلمسان بقصد
تجارة مع البنادقة ، قد تعرضت الى هجوم من قبل العرب ، ولولا انها لم تكن محروسة
لراى مسلحين لاستولوا عليها (٤) .

فالتأثير السلبي لغير القبائل الهدوية على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية امر
في المرحلة السابقة للمرحلة المدروسة ، بل وخلال المرحلة نفسها . وبه يفسر
من المؤرخين المعاصرين التدهور الذي آلت اليه الجزائر فيقول : عن الجزائر ((فهمو
المغرب الاوسط)) قد أصبح منطقة تجوال تعيث فيه القبائل العربية والمحلية ، وتشر
الغرباء)) (٥) . وهذا ما يجعله موضع طعن البرتغاليين في فاتحة القرن السادس عشر
ما غزوا في سنة ١٥٠١ المرسى الكبير ، وجشع الاسبان ، مستغلين ضعفه السياسي
الاقتصادي .

ولكن ليس من الموضوعية ان يفسر كل ما لحق بالحياة الاقتصادية من وهن بـ
قبائل الهدوية ، لان في هذا التفسير وحده مغالاة لا شك فيها . فالذى ساعد على أن
تنت للقبائل الخازية هذا الاثر السلبي هو الصراعات الداخلية ، والمنازعات بين القوى
سياسية المحلية في كل بلد ، وبين القوى السياسية في البلدين . وانصافا للحقيقة ،
يبدو من الاقرار ان القبائل العربية التي استولت على بعض السهول في الجزائر في الفترة
سابقة لمرحلة دراستنا ، قد اخذت تستقر على الارض ، وتنجذب الى العمل الفلاحي .
كما أشار الى ذلك الوزان نفسه حين تحدث عن ريف عنابة ، وشمال قبيلة مرداس العربية
، وذلك الانتاج الوفير الذي كانت تحصل عليه من استغلالها له (٦) ، والذي كان
ملا رعاء لهذه المدينة ، لولا ما كانت تتعرض له من تغير الحكام ، وتبدل الأيدي عليها .
ان الهدو والرحل في رحلاتهم السفيرية في الجزائر الى الشمال والشتوية الى الصحراء فسي

(١) نفسه : ج ١ ص ٢٤٤
(٢) مارمول : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٤٤
(٣) الوزان : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٨
(٤) برموداي : الوثائق المخططة ص ٢٥٤
(٥) محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث ص ٦٥
(٦) الوزان : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧٠

الجنوب ، كانوا يسبحون في التجارة الداخلية ، بما كانوا ينقلونه هم أنفسهم من بضائع الشمال الى الجنوب من تمغ وصوف ، ومن سلع الجنوب الى الشمال ، من تمر وانسجة صوفية . كما كانوا يسمون في تنشيط الصناعة النسجية بتوفير الاصول لها (١) . ويمكن ان يضم هذا القول على التباين المتتلة بين الجزائر والمغرب ايضا . والتباين المتتلة بين الجنوب الشرقي للمغرب وشمال شرقه (٢) .

اما العوامل الخارجية الموروثة من المرحلة السابقة والتي كان اثرها قائما في جزء صغير او كبير من المرحلة المدروسة ، والمؤثرة في اقتصاد المغرب والجزائر على السواء ، فانه يمكن ايجازها بالاحداث التالية :

١- وصول البرتغاليين فيما يسمى بحركة كشوفهم الجغرافية الى خليج غينيا في عام ١٤٤٠ م ، واتبع لهم بمصادر الذهب السوداني والمبيد من الزنق ، ثم انشأوا لهم على الساحل مراكز تجارية على امتداد الساحل الاطلسي كمركز آرجين عام ١٤٤٥ م / ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م ومركز بورتودال عام ١٤٥١ م / ١٤٤٧ م وكاشو (CACHEU) عام ١٤٥٤ م / ١٤٥٠ م .
لامينا (LA MINA) في ١٤٨٧ م / ١٤٨٢ م ، للقبض بواسطتها على تجارة بلاد السودان وتحويلها اليها . (٣) وقد كانت هذه التجارة - كما اشير سالفا - تتجه شمالا الى بلاد المغرب والجزائر عبر الصحراء الى البحر المتوسط . وفصلها نشأتها وازدهارها من مدن شمال الصحراء ، والمدن الواقعة على طرق القوافل من امثال سجلماسة وفاس ومراكش وسبتة في المغرب وتلمسان وقسنطينة ، وتوغرت وورجله وومران في الجزائر . بل كانت تتجه ايضا الى تونس وطرابلس الغرب وقرق . ونجحت البرتغال بالفعل في تحويل قسم من تلك التجارة ، ان وصلت القافلة الاولى من المبيد السود الى البرتغال عام ١٤٤٨ م / ١٤٤٤ م ووصلت النقود الذهبية الاولى المسماة كروزادو فيها سنة ١٤٥١ م / ١٤٤٧ م . وتدفق (٤) الذهب عبر الاطلسي الى البرتغال بشكل قوى بين ١٤٤٤ م / ١٤٥٧ م - ١٤٤٠ م / ١٥٥٠ م .

وسميت اسبانيا بدورها في قانون لها مراكز على المحيط طحها تعلق في القبض على ما يقلت من قبضة البرتغاليين ومن هذه المراكز سانتا كروز دو ماريكينا . ولما لم يأت لها ذلك ، حولت اسبانيا انظارها الى البحر عام ١٤٧٦ م / ٨٨١ هـ (٥) . ولما لم يأت لها ذلك ، حولت اسبانيا انظارها الى البحر المتوسط ، الذي كانت تنتمي الى موانئه معظم تجارة السودان فيما مضى لتقبض على ما لم

(١) كاريست : المرجع السابق ص ١٣-١٥

(٢) الوزان : المرجع السابق ص ٣٠٣
(٣) & (4) Ricard (R.): Les Portugais et le Sahara Atlantique, t. 10 (1) Paris 1930.

Braudel (F.): La Méditerranée. t. 1, P. 424.

(٥) انظر المجلد الاول من م. م. ت. م : البرتغال : الجزء الاول (السابق البرتغالي الاسباني في جنوب المغرب)

تتمثل البرتغاليون من تولى المهيم . فكان الاستغلال الاسباني لكل المراكز التي ترتبط بها
تجارة السودان كوهان وموساهما الكبير ، وبجاية ، والجزائر ، وتلمسان ، وهنين ، وعنابة
في الجزائر ، وحجر بادن ، وطلمة في المغرب ، بل ومدت نفوذها الى تونس حيث
التها الدولة العثمانية ، بل واحتلت طرابلس الغرب عام ١٥١٦ م / ١٥١٠ (١) .
وانا كان التحويل البرتغالي للتجارة السودانية لم يكن تاما كما يؤكد برودييل ،
ويشهد على ذلك الاستغلال الاسباني لثلاث المراكز ، والذهب الذي استمر في الوصول الى
شمال الصحراء ، فان الكمية لا شك قد قلت . ويقف دليلا على ذلك النقد الذهبي الذي
سكه سلاطين تلمسان والذي كان متداولا في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر
الميلادي (٢) وربما كان ذلك من الاسباب الخفية وراء حطة صالح رايس الى مدن اطراف الصحراء
عام ١٥٥٩-١٦٠ م / ١٥٥٢ م ، ليس فقط اخضاع بني جلاب ، ولكن للاستيلاء على ما بأيديهم
من ذهب ، لندرسه في الشمال ، واعادة ربط طريق الذهب المعروف بالجزائر الماصصة
الجديدة . ويذكر مارمول انه عاد بخمسة عشر جملا محملا بالذهب (٣) . وانما كان مارمول
صادقا فيما ذكر من حيث الكمية ، فهذا يقف دليلا على استمرار تدفق الذهب الى الحواف
الشمالية للصحراء من جهة ، وعلى عدم انتظام وصوله الى قلب الجزائر والمغرب . وهو مما
فسر به برودييل حطة صالح رايس الى الجنوب (٤) . وقد يدعم هذا التفسير ايضا قيام
السعديين ايضا بمحاولاتهم الجديدة للوصول الى مصادر الذهب وطوقه (٥) .
وانا كانت التجارة الجزائرية والمغربية مع السودان قد تأثرت بتحويل قسم منها
الى المحيط الاطلسي فانها تأثرت ايضا بخلق المنافذ البحرية على المتوسط في وجهها نتيجة
الاستغلال الاسباني والبرتغالي لها ، ذلك الاخلاق الذي اثر بدوره على بقية الفعاليات
الاقتصادية ولا سيما المرتبطة بها .

٢- غزو البرتغاليين والاسبان للشواطئ المغربية والجزائرية والمناطق الداخلية
المجاورة لها ، كما فصل في بحث الاوساع السياسية في البلدين . فهذا الغزو لم يصعب
في التصميم تجارة السودان في البلدين فحسب ، كما ذكر آنفا ، وانما التجارة عامة فيهما .
ففي المغرب استمر البرتغاليون والاسبان سبتهم وطمعهم وطلمة وغساسه وأنفس وآمور وتدنس
وغيرها ، ففقدت أهميتها التجارية السابقة بالنسبة للمغرب . (٦) . وحتى عندما استعبدت
كان كثيرا منها قد سبق به الغراب . هذا بالإضافة الى ان المدن الساحلية القليلة

(١) انظر فصل الحياة السياسية في الجزائر
(٢) الوزان : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣٦ ومارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٣٢
(٣) مارمول : نفس المرجع ج ٢ ص ٤٢٦ وانظر عن الحطة فصل الحياة السياسية في الجزائر
(٤) (٥) برودييل : المرجع السابق ج ١
(٦) (6) Genival (Pado) La Description de l'Afrique de Genta au
Sénégal. Par Valantin Fernando 1506-1507,
Portugal 1698.

التي بقيت بيد المارة ، كسلا ، والعرائش ، وتطوان ، كانت ممددة بالفرز منهم . ثم ان البرتغاليين والاسبان دخلوا التجارة في المغرب على التجار الاوربيين الذين كانت لهم صلات معه ، تمتدنا قلة الحثاب الشديد ، وقد القى البرتغاليون القبض على بعض الحفارين منهم ، ممن تعدوا قرار الحظر ذلك ، وساموهم المذاب ، واودعهم السجن سنين طويلة (١) ، مما حدد التجارة المغربية الاوربية بالخسران . بل حتى عندما استلم السعديون الحكم ، وطردوا البرتغاليين من مراكز احتلالهم ، فان البرتغاليين اشتكوا من تجارة السعديين مع انكلترا وفرنسا وخاصة في المواد المهربة كالاسلحة (٢) .

والامر نفسه يشاهد في الجزائر : فاحتلال الاسبان للمرسى الكبير ، وهو احسن ميناء واكبرها في كل افريقيا بحسب قول مارمول (٣) ، وان وهي المفضلة للمرسى لتلمسان ، قد صوب لتجارة المدينة الأخيرة سهما قاتلا . وحتى عندما رأوا ان تلمسان كانت تتعامل مع التجار البنادقة عن طريق اثنين الميناء الصغير ، فانهم احتلوه ودمروه . بل تحولت وهران نفسها ، على حد قول روف الى مجرد " قلعة واسعة تحيط بها اسوار وقلاع تشرف عليها ، وتشكو الجوع قبل العدو " (٤) . واحتلال وهران من قبل الاسبان لم يؤثر فقط على التجارة الخارجية بقلتلمسان فحسب ، وانما ايضا على التجارة الداخلية لكل اقليم الغرب الجزائري . فلا الاسواق كان يمكنها ان تتحدد ، ولا القوافل التجارية كان يمكنها اجتياز المناطق المجاورة لوسران لتحمل الطح من ارضها وغيرها بسلام ، (٥) ان ان الرعب من الغارات الاسبانية المفاجئة التي كان يستهان بها بما لهم من اعوان وجواسيس (المندلسين) في المنطقة ، كان يشمل تلك المناطق . بل حتى اهل قناسطل المجاورين لوسران ، والذين كانوا يتاجرون بالحطب تمرروا بالسلب والنهب من الاسبان ، حتى انادروا الى دفع ضريبة معينة لقاء الاستمرار في اعمالهم (٦) .

واذا كان ذلك حال وهران والمنطقة المجاورة لها ، فان حال بجاية وعناية لهم يكن افضل . فقد فقدت الاولى علاقاتها التجارية الواسعة التي كانت لها منذ عدة قرون مع الجمهوريات الايطالية وقنلونيا الاسبانية ومرسيليا (٧) ، وغسرت الثانية تجارتها الداخلية والخارجية النشطة (٨) .

- (١) م.م.ت.م. : اسبانيا ج ١ ص ١٤-١٧ و ٥٧-٦٠ و مارمول : المربع السابق ج ٢ ص ٣٥
 (٢) م.م.ت.م. : انكلترا : ج ١ ص ٢ وما يليها
 (٣) مارمول : المربع السابق ج ٢ ص ٣٦
 (٤) روف : المربع السابق ص ٢٧-٢٩
 (٥) نفسه ص ١٢٧
 (٦) مارمول : المربع السابق ج ٢ ص ٣٨
 (٧) بومرداي : التجارة : ص ١٣١
 (٨) الوزان : المربع السابق ج ٢ ص ٣٧-٣٧١ و مارمول : المربع السابق ج ٢ ص ٤٣٢

وقد يكون ما أعاد هذه المدن عاملا اقتصاديا هاما في زوال كل من الدولة الزيانية

في تلمسان ، وانسحاب النفوذ العفصي عن شرقي الجزائر .

ومثلما ترك الغزو الإسباني والبرتغالي اثرا مدرا على التجارة في المغرب والجزائر ،

فانه خلف اثارا سيئة في الزراعة والصناعة ، ان أن المدن التي احتلها كانت مراكز

صناعية هامة ، فأغلب سكان وهران كانوا حرفيين ونساجين (١) ، ويكاد سكان هنين كلهم

يكونون مختصين في صناعات القطن والحياكة (٢) ، واشتهر اهل بجاية بالصناعات النسيجية

من الكتان والقنب ، وينسج الزرايبي على الطريقة الاندلسية (٣) ، وكذلك يمكن القول عن

عنابة (٤) ، وهذه الحقائق لها ما يمثالها بالنسبة لمدن المغرب المحتلة (٥) .

اما في الزراعة فان وجود الاسبان والبرتغاليين المباشر على السواحل الجزائرية

والمغربية ، قد جعل آثرهم المدمر لا يقل عن اثر القبائل البدوية . فقد ادت غاراتهم

المستمرة على ما جاورهم من المناطق الزراعية ، ونهب محصولها ، او اسراقها ، واسر

الحاملين فيها ، الى خوف السكان ، واهمالهم لارضهم ، وهجرهم لها (٦) ، وقد

أكد الوزن حالة الذعر هذه التي كان يعيشها الفلاحون في المناطق القريبة من المراكز

الإسبانية ليللا نهارا (٧) . ولا حظ مارمول ان سهل تسالة القريب من وهران لم يكن يفلح

كله على الرغم من جودة اراضيه ، لان اصحابه في خوف دائم من غارات اسبانيي وهران (٨) .

وذلك كان شأن أراضي سهل الميطحاء الخصيب (٩) ، وسهل عنابة (١٠) ، وسقول بجاية

حتى أن شارل كان لما التجأ الى المدينة الاخيرة اثر الكارثة التي حدثت بحملته على الجزائر

عام ١٥٤١م فانها لم تستطع ان توفر الغذاء لقواته الجائعة ، مع ان المنطقة حولها كانت

تشتهر بوفرة محصولها (١١) .

٣ هجرة الاندلسيين الى المغرب العربي :

ان المعروف ان هذه الهجرة قد بدأت بأعداد محدودة قبل سقوط آخر امارة اسلامية على

الارض الإسبانية وهي غرناطة ، اى قبل عام ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م الا ان اعدادهم تزايدت

(١) الوزن : المرجع السابق ج ٢ ص ٣١٤

(٢) نفسه : ص ٣٢٩

(٣) مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٤١٤ - ٤١٥

(٤) الوزن : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧

(٥) انظر نشاط المدن المحتلة من قبل الاسبان والبرتغاليين في الوزن : المرجع السابق

الجزء الاول ومارمول : المرجع السابق الجزء الثاني

(٦) انظر عن حملات النهب والسلب الإسبانية والبرتغالية وهجرة الناس الى الجبال المنيعه

واهمالهم لارضهم . الوزن : نفس المرجع السابق ج ١ ص ٢٧٤ ، ٢٨٩ وغيرها .

ومارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٣ ، ٢٤٠ وغيرها .

(٧) الوزن : نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٣٢٩

(٨) مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٥٨ ، ٣٦٠

(٩) سميدوني : ناصر الدين : الحياة الاقتصادية في عنابة اثناء العهد العثماني /

في مجلة الاصلية عدد ٣٤ - ٣٥ ص ٨٦ - ١٠١

(١١) برموداي : المرجع السابق ص ١٦٨

بعد سقوطها ، وبعد اتباع فرديناند وايزابيلا سياسة التنصير القسري ، والظرد الاجباري ،
 في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، والتي تابعتها خلفاؤها
 خلال القرن السادس عشر كله ، وافضت في نهاية المطاف الى النفي الاكبر للمسلمين
 من اسبانيا في (١٦٠٩ - ١٦١١) ، بحيث بلغ عدد المهاجرين النكبي ، من سقوط غرناطة
 حتى هذا الطرد النماشي ثلاثة ملايين (١) . ومن ثم فان هذا الحامل المؤثر في الحياة
 الاقتصادية في البلدان ليس حائلا فقط وانما هو قديم وجديد .
 وقد جاءت هذه الهجرة القسرية بنتائجها الايجابية في الاقتصاد المغربي والجزائري ،
 مددلة قليلا من التعريب الذي اسهم فيه البرتغاليون والاسبان ، والقبائل البدوية . فقد
 حصل الاندلسيون معهم نفاطهم الحضرية ، ومعرفتهم الزراعية المتقدمة ، وخبرتهم
 الصناعية ، وحيويتهم في الميدان التجاري . فقد قاموا في الجزائر باستصلاح اراضي
 شاسعة بنواحي متيجة ومرتفعات الساحل ، وفي مناطق اخرى كشرشال ، وما حول وهران
 وتلمسان ، وعناية ، وغرسوها بالاشجار المثمرة من كروم وتفاح وزيتون وكز (٢) . واستفادت
 مستفانم من خبرة فلاسيتهم ، الذين انشأوا مزارع واسعة على انقاض الاراضي البور (٣) ، كما
 اسهموا في ادخال مزرعات جديدة ، كاشجار التوت التي غرسوا اعدادا كبيرة منها
 لتربية دود القز في شرشال (٤) حيث المناخ والتربة ملائمان ، وكذلك في القليعة التي
 اشترى سكانها من الحمل في هذا الميدان (٥) . وقد زرعوا ايضا اشجار البرتقال في هذه البلدة
 التي انشئت خصيصا لهم (٦) ، وفي متيجة ، واعطوا مزيدا من العناية لمزرعات اخرى كالقطن
 والارز بجهات مستفانم ولبانته ، والمناب باقليم عناية (٧) ، واعتمد الاندلسيون في البلدة
 التي اقطنهم اياها خير الدين بن بروس ، الزراعة المسقية بواسطة قنوات كان لهم خبرتهم
 في انشاؤها ، ما زاد العدد ونوعا وكما (٨) .
 وفي المغرب فانهم قاموا بغرس الاراضي التي اقطعوها في فخر مدينة مراكش بمغلف
 الاشجار المثمرة كالزيتون وغيره وسطوها الى بساتين جميلة . وقال الفشتالي في وصفها
 (٩) : فاغرسوا بها بنات محروشات وغير محروشات ، وحصلوا من استغلال ذلك الى اليوم
 ما أنسا هم ذكر وطنهم واحتاضهم ما فاتهم به (١٠) . (٩)
 وكان تأثير الاندلسيين ايجابيا ايضا في الصناعة ، فقد انتكف بعضهم على صناعة

- (١) المدني : المرجع السابق ص ٣١٥
 (٢) سعيدوني : الجالية الاندلسية بالجزائر ص ١٠
 (٣) بريمودي : المرجع السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٠
 (٤) مارمول : المرجع السابق ص ٣٨٢
 (٥) نفسه : ص ٣٩٩
 (٦) (٧) (٨) سعيدوني : المرجع السابق ص ١٠
 (٩) الفشتالي : مغاغل الاسفا ص ٢٤ وانظر مارمول : المرجع السابق ص ٢٠٦
 (١٠) والوزان : المرجع السابق ص ١٠ (خمير متفرقة)

الشاشيات الحمراء الحديدية والمنظرية بالذهب والفضة المسماة بالصارمة (١) ، كما ادخلوا صناعة الحرير ، واعتمدوا في صناعة السجاد على الانوال الواطئة (٢) ، وكان لهم اسهامهم الكبير في صناعة السفن ، ولا سيما في شرشال ، حيث انتجوا الفرغاطات والبرمونتينات الحماوية على ١٦-٨ صفا من الحديد فبن ، والتي كانوا يقومون بها بأنفسهم (٣) ، ونهضوا بصناعة الاواني المنزلية في شرشال أيضا (٤) .

وقد يكون من اهم الصناعات التي عطلوا في ميدانها هي صناعة الاسلحة : حيث كانوا ماهرين بصنع الخناجر والسيوف والحراش والرمح والقسي ، مناسقا اليها الهنادق ذات الفوهة الواسعة وسبك المدافع ، والبارود (٥) .

وبكلمة موجزة عرفوا بالنشاط والمهارة في مختلف الحرف التي عطلوا في ميدانها ، كالعدادة ، والتجارة ، وصناعة الاغذية والخزف وغيرها . ويمكن ان يقال ان الامر نفسه يلاحظ في المغرب ولا سيما في المدن التي تركزوا فيها كسلا ، وتطوان وفاس ومراكش وغيرها . وقد قدموا عونهم الكبير في عهد السعديين في صناعة الاسلحة وفي المنع الذي بني لهذا الحرب في مراكش (٦) ، وتجاوز نشاط الاندلسيين الزراعة والصناعة الى التجارة ، حتى انهم كانوا يحتكرون هم واليهود ، التجارة الخارجية طيلة عهد البايديريات ١٩٢٥-١٩٥٠ هـ / ١٥١٤-١٥٨٧ م في الجزائر (٧) ، كما اسهمت المدن التي اقاموا فيها بالمغرب ، في النشاط التجاري مع المدن المغربية ، والدول المجاورة ، وبلاد اوريا . وكانوا يتاجرون بصفة خاصة بمخام الخنزير البحري (٨) ، وحقق بعضهم من هذه التجارة في الجزائر ارباها وفيرة . ولا ينبغي انهم بنوا مدنا جديدة او اسهموا في اعادة تعمير مدن سابقة لحرقها بالخراب ، وعرانيا وشريا . ومن تلك المدن : البليدة والظليم والجزائر وتلمسان وطمنا في الجزائر وتطوان وسلا وغيرها في المغرب . ويرجع اليهم ترويج العملة الاسبانية الفضية في الجزائر (٩) الريال ، فنشط اقتصادها بين الاهالي ، وبين الجزائر والدول الاوربية (٩) . وكذلك الامر في المغرب .

(١) نور الدين عبد القادر : صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ، الجزائر ١٩٦٥ ص ١٤٠

(٢) Bel(A.) & Rioard(P.): Le Travail de la Laine à Tlemcen. (2) Alger 1913, P.53.

(٣) هايدو : الاثوغرافيا في المراجع السابق عدد ٨٥ ص ١٥

(٤) برموداي : التجارة ... ص ٢١

(٥) هايدو : المراجع السابق عدد ٨٤ ص ٤٩٥

(٦) الوزان : المراجع السابق ج ١ (فاس) ومارمول : المراجع السابق ج ٢ ص ٢٧

(٧) Elsomboth(M.): Les Juifs en Algérie et en Tunisie À l'Époque Turque. Alger 1952, t.96, P.P. 347-348.

(٨) هايدو : المراجع السابق عدد ٨٨ ص ٤١

(٩) سميدوني : المراجع السابق ص ١٢

وقد واثب هجرة مسلمي الاندلس الى الجزائر والمغرب هجرة اليهود من اسبانيا والجزر التابعة لها ، وشكلوا في بعض المدن الجزائرية والمغربية كالجزائر ، وتلمسان ، وتطوان ، وفاس ، ومراكش ، وغيرها فئة اجتماعية متميزة بعباداتها وتقاليدها وفعاليتها الاقتصادية . ان اقتصت الجالية اليهودية في البلدان كما ذكرنا في بعض الصدائغ كمناعة المجوهرات وسك النقود ، وممارسة حرفا اخرى كالخياطة وغيرها واشتغلت في التجارة الداخلية للبلد ومن الخارجية لهما وحصلت على ارباح كبيرة من التجارة في غنائم الغزو البحري (١) . وكان لها نشاطها التجاري الراسخ فيما بينها وبين اوربا وبصفة خاصة مع ميناء ليفورنو في شمال غربي ايطاليا .

الغزو البحري الجزائري والمغربي : والنهب جزو

البحري من النشاطات المغربية القديمة نسبيا في البحر المتوسط . ويرجع ابن خلدون تنظيمه من قبل سكان البلاد الى منتصف القرن الثامن للهجرة الرابع عشر للميلاد (٢) . وقد يرجع الى ابعد من ذلك . وكان يمارسه المسلمون والنصارى على السواء (٣) . الا ان هذا النشاط البحري الذي يصفه ابن خلدون بقوله : ((فيجتمع النشور والطائفة من غزاة البحر ، ويصلونهم الاسطول ، ويتجهون له اهلال الرجال ، ثم يكرهون الى « وادى الفرنجة وجزائريهم ، على سفين غفلة فيتغلبون فيها ما قدروا عليه ، ويصارعون ما يلحقون من اساطيل الكفرة ، فينلفرون بها غالبا ، ويحودون بالغنائم والسبي والاسرى ، حتى امتلأت سواحل الثغور القريبة من بجاية بأسراعهم . . . ويقالون في فدائهم بما يتنذر منه اويكاد . . .)) (٤) ، ضعاف في جميع انحاء المغرب الكبير ، خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة .

السادس عشر والسابع عشر الميلاديين . ووراء ذلك عدة اسباب :

اولها : هجرة الاندلسيين ، وانقسام اعداد منهم اليه ، وزدعهم له بيهودهم واموالهم ، وصارتهم في سداقة السفن ، ودرابتهم بشواطىء الاعداء ولا سيما اسبانيا (٥) .

وثانيها : تنجيب حكام الجزائر من الاتراك العثمانيين (٦) ، وكذلك حكام المغرب (٧) . ان نظر اليه الاتراك وحكام المغرب على انه نوع من الحرب البحرية غير الرسمية ، الهجومية والدفاعية في آن واحد ، ضد اعدائهم من الاسبان وغيرهم من مسيحيي اوربا . كما رأوا

- (١) هايدو : الجغرافيا في المراجع السابق عدد ٨٦ ص ٩٠ - (١) ابن مريم البستان (ترجمة الحفيلي) ص ٢٥٣ - ٢٥٦ . انزيت : المراجع السابق و مارمول : المراجع السابق ج ٢ والوزان : المراجع السابق و دارفيو : مذكرات ج ٥ ص ٢٢٢
- (٢) ابن خلدون : (٢) كتاب العبر ج ٦ ص ٣٩٩ المجلة الافريقية للجزائر : ١٩٢٨ ص ٤٠٧
- (٣) برونيل : الاسبان وافريقيا الشمالية في المراجع السابق
- (٤) ابن خلدون : المراجع السابق عدد ٨٣ ص ٤١ وعبد العزيز بن عبد الله : البحرية المغربية
- (٥) هايدو : المراجع السابق عدد ٣ - ٤ ص ٦٥ والقرصنة في مجلة ت وان عدد ٣ - ٤ ص ٦٥
- (٦) المجهول : غزوات صربون وخبر الدين . هايدو : طوى الجزائر ومرسعي المراجع السابق
- (٧) المجهول : تاريخ الدولة السعدية ص ٥٢

فيه مورد اقتصادي دائما ومشروعا الى حد كبير ، انه لا تعد واسلايه ان تكون غنائم حرب ، فهي حلال على صاحبها .

وثالثها ارتباطه في اذهان كثير من القاصمين به ، وبصفة خاصة الاندلسيين ، بمفهوم الجهاد ضد الاسبان الذين انتزعوا من المسلمين ديارهم في الاندلس ، وشردوهم ، وقسوا على اخوانهم المقيمين في اسبانيا ، وسطوهم قسرا الى الدين النصراني .

ورابعها وفرة الغنائم التي كانت تكتسب ، لتزايد نشاط النقل التجاري الاوربي في البحر المتوسط ، بعد اقامة الدول الاربعة علاقات تجارية نشيطة مع الامبراطورية العثمانية وقد رأى هرودوت المولى الفرنسي المعاصر لان هذا الغزو ماهو في الواقع الا شكل من أشكال التبادل اما كان يتم بالقوة ، في كل ارجاء البحر المتوسط (١) .

وقد كان لهذا الغزو البحري اثره المباشر وغير المباشر على الاقتصاد الجزائري والمغربي : فهو من ناحية نهض بصناعة السفن كما اسلفنا القول ، ومن ناحية اخرى دعم ذلك الاقتصاد بما يأتي به من اسلاب متنوعة ، قد يكون من اهمها الاسرى الذين كان يفقد بعضهم بكميات وافية من الاموال ، ويستفيد من بعضهم الآخر في مختلف الاعمال . وفي الوقت ذاته فانه اوجد معركة تجارية نشيطة في بعض مدن الجزائر والمغرب ، بحيث كان يتم بيع تلك الاسلاب او مبادلتها بسلع اخرى ، ولا سيما بتلك التي كان يحط بها الاوربيون من السلع المتأخرة كالاسلحة والبارود وغيرها . ومن هذه المدن الجزائر التي رأى ماريول بأنها أصبحت اغنى مدينة في كل افريقيا ، في وقت قصير ، بسبب الغزو البحري ، والتجارة الخارجية مما (٢) . وسلا ، وتطوان المغربيةتين .

الا ان هذا الغزو البحري ، على الرغم من ايجابياته الاقتصادية ، سلاح ذو حدين . لان الدول الاربعة التي كانت تهاجم سفنها او شواطئها ماكانت لتسكت على اصابته بل كانت تسعى لترد السلاح بآعين ، او تقوم قراصنتها بمهاجمة السواحل الجزائرية والمغربية بالبرقة نفسها التي كان يتم به الغزو الاسلامي للسواحل الاربعة ، وللسفن الاربعة . ولكن مع ذلك يسمي الغزو البحري الجزائري والمغربي ، اقوى اثرا من القرصنة الاربعة (٣) . بدليل تلك الاتاوات التي كانت اضطرت الدول الاربعة لدفعها الى حكومات البلدين بعد اتفاقات اجبرتها معها (٤) .

(١) المتوسط . . . ٢٠٠ ص ٢٠٥
(٢) ماريول : المربيع السابق ج ٢ ص ٤٠١
(٣) دويوطالي : تاريخ ايلة الجزائر والقرصنة التركية في المتوسط عجزان والاب دان تاريخ بلاد البربر وقراصنتها و كواندرو : قراصنة سلا و المجهول : غزوات عرق وغير الدين

(٤) مرسي : المربيع السابق ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧

٥- المجاعات والابنية ، وخاصة منها وباء الطاعون ، والكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين ، وقحط وبجفاف كانت تجتاح الجزائر والمغرب في الحقبة السابقة لفترة موضوع البحث بين آونة وأخرى ، وتتسبب في القضاء على أعداد غير قليلة من سكان البلدين من مختلف الفئات بما في ذلك فئات الفلاحين والصناع والتجار ، مما كان يضيف صفوف المستغلين في مختلف الفعاليات الاقتصادية ، ويؤثر بالتالي في الحياة الاقتصادية في الجزائر والمغرب تأثيرا كبيرا ، ولا حظ المعاصرون لفترة موشن الذين مثل الوزان وهابيدو ويرهما ان وباء الطاعون كان يكثر في البلدين بين حين وآخر قد لا يزيد الفاصل بينهما كثيرا عن عشر سنوات ، وقد بقي عنها كما انه قد يستمر سائدا في احد البلدين او في كليهما سنة او سنتين عديدة ، وذلك لان السكان كانوا يجهلون طرق الوقاية منه ، كما كانوا يجهلون لعلاج الناجع له ، (١) فكان يكون الوباء في البلدين زمنا وكادت تملأ مدن ، ومناطق من لستان بسببه .

ولا حظ المعاصرون كذلك ان وباء الطاعون وامراض اخرى كمرض السفلس كانت تنتقل الى بلدان اخرى مع الوافدين اليها من مختلف الدول المجاورة وغير المجاورة (٢) . ومن جهة اخرى فان المتأمل في سنتين الاربعة في الجزائر والمغرب يجد ان هذه الاربعة كانت تسبق في احدكما ثم تنتقل الى البلد الاخر بعد فترة قصيرة مع التجار والسجاج وغيرهم . وأشار المعاصرون الى مباحث رهيبة عديدة شهدتها البلدان في عهدهم وشملت غسائر كبيرة فسي صفوف السكان ، لان هؤلاء كانوا لا يتخذون احتياطاتهم الضرورية . ولان دور الدولة في التخفيف منها لا يكاد يذكر ، ولا سيما في الريف ، حيث تسود الزراعة من اجل الاكتفاء الذاتي ، والاستهلاك الفردي او الاسري . او حيث لا يكون الاهتمام بالزراعة على نطاق واسع كما هو الشأن في المناطق القليلة الاملا . ولا حظوا ان المجاعات كانت غالبا ما تكون مسبقة بقحط او جفاف قد يستمر اكثر من سنة او نتيجة لتعرض المحصول الزراعي لآفة من الآفات كالجرب مثلا .

وتناول القائمة لو ذكرنا جميع المجاعات التي شهدتها البلدان في الفترة موضوع الدرس وجميع الاربعة المتتالية والكوارث والافات التي اصيبت بها في هذه الفترة . ولذلك نكتفي بالاشارة الى بعضها على سبيل المثال والتوضيح ومنها :

- مرض السفلس والزهري الذي نقله اليهود المهاجرون من اسبانيا الى الجزائر والمغرب وهو المرض الذي عم وانتشر وأصاب كثيرا من الاسر في مطلع القرن الحاضر المجرى السادس عشر الميلادي (٣) .

(١) الوزان : المربع السابق ج ١ ص ١٠ وهابيدو والطوبوغرافيا في المربع السابق عدد ٩

(٢) الوزان : نفس المصدر ص ٦

- وباء الطاعون الذي انتشر بجاية ونواحيها في ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م و (١) . ثم بأهسل
السوس في جنوب المغرب خلال عام ٩١٧-٩١٨ هـ / ١٥١١-١٥١٢ (٢) .
- المجاعة الرهيبة التي تعرض لها المغرب ٩ في ٩٢٧-٩٢٩ هـ / ١٥٢١-١٥٢٣ م في
أغصانها شديدة . والتي طال الناس فترة طويلة ورغون بها ، إذ لم يشهدوا شيئا لها
أحوال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . ولشدة هذه المجاعة كان الناس
كما يذكر مرمول في سمول مده ، ودكاله يمرضون انفسهم وأولادهم للبيع على البرتغاليين
لقاء لقمة العيش (٣) .
- الوباء الذي أصاب الجزائر ثم المغرب خلال السنوات الثلاث ٩٦٤ - ٩٦٧ هـ /
١٥٥٦ - ١٥٥٩ م والذي خلف عساكر كبير في صفوف جميع الفئات . قدر عدد ضحاياه في
المغرب وحده بنحو ٣٠٠.٠٠٠ نسمة ، جعلت بعض كبار الشخصيات البرتغالية تحبش
الملك البرتغالي على انتهاز ضعف مملكة المغرب لاحتلال المواقع التي استردها المغاربة
من البرتغاليين (٤) .
- الجفاف الشديد الذي شهدته الجزائر في عامي ٩٨٦ - ٩٨٧ هـ / ١٥٧٨ - ١٥٧٩ م
والذي أعقبته مذبحة كبيرة مات بسببها خلق كثير (٥) .
- والمجاعة المصحوبة بوباء السعال (كحيمة) التي أصابت المغرب في سنة ١٥٨٠ وادت
بمياة عدد غير قليل (٦) .
- والوباءين التي أصابت الجزائر في أعوام ١٠٠١ - ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٢ - ١٥٩٥ م ثم
في أعوام ١٠٦٢ - ١٠٦٦ هـ / ١٦٠٣ - ١٦٠٧ م ، وأعوام ١٠٤٩ - ١٠٥٢ هـ / ١٦٣٩ -
١٦٤٢ م وفي أعوام ١٠٥٧ - ١٠٦٠ هـ / ١٦٤٧ - ١٦٥٠ م ، وعام ١٠٦٤ هـ / ١٦٥٤ م ومثلها
التي أصابت المغرب في الفترة ١٠٠٦ - ١٠١٧ هـ / ١٥٩٧ - ١٦٠٨ م ثم في ١٠٣٤ / ١٦٢٤
ثم ١٠٤٥ - ١٠٤٦ هـ / ١٦٣٥ - ١٦٣٦ م . وفي الفترة ١٠٦٢ - ١٠٦٣ هـ / ١٦٥١ - ١٦٥٢ م
وكلمها كانت رهيبة افتتحت ثلثا كثيرا وغالبا ما كانت تسبقها مجاعة أو تكون مشفوعتها أو تتخللها (٧)
- وإذا كانت الحوادث المذكورة آنفا ، وهي مؤثرات شبه واحدة ، متزايدة أو
متناقصة ، قد وجدت في المرحلة السابقة لمرحلة هذا البحث ، أو كانت موجبة قبلها ،

- (١) مرمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٤١٧
(٢) بون برجر المرجع السابق ص ١٣٩
(٣) نفسه : و مرمول : المرجع السابق ج ٢ ص ١١١
(٤) بون برجر المرجع السابق ص ١٤٠
(٥) هايدو : الجغرافيا في المرجع السابق عدد ٨٧ ص ٢٢٥ - ٢٢٩ وعدد ٨٨ ص ٣٠٩
(٦) المجهول : تاريخ الدولة السعدية ص ١١٠
(٧) انظر عن المجاعات والأوبئة في المغرب بون برجر المرجع السابق ص ١٤١ وما يليها
وعن المجاعات والأوبئة في الجزائر مرمول المرجع السابق

لست هي ونتائجها المتشابهة في البلدين ، خلال حقبة هذه الدراسة أيضا ، هي عوامل
 يدة ومتنوعة ، فان العوامل الجديدة المؤثرة في اقتصاد البلدين ، والخاصة بهذه
 مرحلة ، يمكن ملاحظتها بخاصة في كليهما . فمن المعروف كما بينا سابقا انه بحكم الجزائر
 تمثل في نظام الحكم الجديد في كليهما . فمن المعروف كما بينا سابقا انه بحكم الجزائر
 هذه المرحلة الاثراك العثمانية الوافدون من المشرق ، وحكم المغرب الاشراف السعديون
 تم تكن النتائج الاقتصادية للحكمين في البلدين واحدة . والعامل الثاني هو الثورة الاقتصادية
 التي كانت تعيشها اوروبا على اثر الكشف الجغرافية . وكان اثرها شبه متشابه في القلبيين :
 ١ - السياسة الاقتصادية للثراك العثمانيين في الجزائر : لان تلك
 معلومات كثيرة عن هذه السياسة في الفترة المدروسة ، وسنفة خاصة اثناء حكم البايديات
 لا نشغال هؤلاء كما رأينا بسحبهم الى احكام القبضة على كامل التراب الجزائري ، واستخلاصه
 من ايدي الاسبان ، وبالتالي تقوية الحكم المركزي العثماني في الجزائر ، والقضاء على
 الانقسامات السياسية الداخلية ، وترويض القبائل المتمردة وتدعيم وجود الدولة العثمانية
 في العوض الغربي للمتوسط الا انه يمكن حصر مؤثرات الحكم العثماني في الاقتصاد الجزائري
 بالنقاط الثلاث الآتية :

١ - سبب الدولة لاجان رادها من الضرائب ، المفروضة عن الارزق والزراعة ، وتربية
 المواشي ، والمعادنة ، والتجارة ، ومختلف الفعاليات الاقتصادية (١) . ومن ثم
 اوجدت جهازا ماليا واسحا ودقيقا ، سمته للنفوذ الى مختلف الفعاليات ، ومعرفة
 انتاجها لتحصل على نفوذها منها (٢) .
 هذا في الوقت الذي لم تمر التفاتا خاصا الى ما يلزم من الاجراءات للارتقاء بها أو
 التبريد في ميادينها لزيادة مردودها . فلم يؤثر عنها مثلا انها أبدت اهتماما بوسائل
 التي في الزراعة أو في تطوير زراعة بعض المنتجات ، كما فعل السعديون مثلا بقصب السكر
 في المغرب .
 وفي الواقع لقد ترك الحكم العثماني في الجزائر ، جميع الفعاليات الاقتصادية السابقة
 تتابع سيرها كالماضي - كما أسلفنا القول - الا انه بالمقابل لم يقف في وجه المبادرات
 الخاصة ، بل يمكن القول انه قد اسهم بطريقة غير مباشرة في بعض التطوير الزراعي عند
 اقلاع الاندلسيين المهاجرين ارضا ، في البليدة وغيرها وافصح المجال لخبرتهم الزراعية

- (١) انظر عن موارد حكومة الجزائر العثمانية هايد والطبوغرافيا في المراجع السابق عدد ٩٠
 ص ٤٦٩ - ٤٧١ ومرسعي المراجع السابق ج ٣ ص ١٣٦ - ١٣٧
 (٢) انظر عن الجهاز الاداري والمالي للجزائر في المهد العثماني : دوفولكرسن :
 تشريعات الجزائر ١٨٥٣ ص ١٩ - ٢٢ وهايد والمراجع السابق عدد ٩٠ ص ٤٦٨ - ٤٧٠
 ومرسعي المراجع السابق ج ٣ ص ١٣٤ - ١٣٦ .

في تطلي اكلمها ، كما اشير سالفا . وكذلك عندما اوجد نظام قبائل المخزن الذي يشبه في بعض سماته النظام الاقتصادي الميثاني الذي طبق في بعض البلاد العربية الشرقية - كبلاد الشام مثلا . الا ان اغلب الذين اقطعوا الارض هنا ليستغلوها زراعا كانوا من القبائل الجزائرية المحلية ، لا عناصر غريبة عن البلاد الا ما ندر . وقد اناطت الدولة بهؤلاء اعمالا ادارية وعسكرية مقابل استقلالهم الارض ، واعفائهم من الضرائب ، كحفظ الامن والمشاركة في الحرب . فهذا النظام كان عاملا مساعدا على تثبيت بعض القبائل البدوية على الارض ، وتحويلها الى الزراعة تدريجيا ، مما افصح المجال مديا لزيادة الرقعة الزراعية ، والعاملين فيها . الا ان الاعمال العسكرية التي كلف بها فرسان هذه القبائل كانت في الواقع عائقا امام سرعة ذلك التحول ، وامام تحسين طرق استغلال الارض ، وتطوير المعارف الفلاحية . ومن ثم ، فان هذا النظام لم يهبط النتائج الايجابية التي كان من الممكن ان يمحيطها لو لم يكن الهدف منه فقط استقرار القبائل على الارض وتوجيهها للمصالح الزراعي وما يرافقه من فعاليات فحسب . ولذا بقيت السهول الوهرانية مثلا التي اقطع ٧٨٪ من مساحتها لمشار القبائل المخزنية ذات انتاج زراعي ضئيل (١) .

وانما كان هذا النظام قد اوجد في الاساس لتثبيت الحكم الميثاني على الارض الجزائرية ، وسد مساهمة على المواقع الاستراتيجية ، وعلى الريف الجزائري «سوما» وضمان الامن والاستقرار ، وبما ضروريان عادة للانتعاش الاقتصادي ، فانه استغل في عهد الهاشوات بسعة خاصة لم يلجأهم على حساب الرعية اي ان عددا من الهاشوات استخدم لقوة المخزنية العسكرية لتكون اداة ضغط على الاهالي في جباية الضرائب في الريف ، والتشديد عليهم فيها ، وبأكثر من المقرر ، ليموغي اولئك الهاشوات ، وقد اصبحوا يمينون لمسدة ثلاث سنوات فقط ، ما كانوا قد انفقوه ثمنا لمنصبهم .

وفي ميدان الصناعة بقي الوضع كما هو ، كما اشير سابقا ، مع بعض نشاط في صناعة السفن والاسلحة متناظرا الى ما كان الاندلسيون قد جددوا فيه ، وكان لاهم للحكم سوى ان يستوفي من شيخ البلد ما يسلمه له امراء نقابات الحرف المختلطة في المدن .

اما في ميدان التجارة فيبدو ان اهتمامها كان اكبر بها . وبسعة خاصة الخارجية منها ، اذ ان توارد الجمارة كانت تؤلف قسما هاما من موارد الدولة . واذا صدقنا ما روى في توارد الجمارة كان يبادل موارد كل المملكة ، (٢) فكل البضائع ، وحتى النقد الواردة من البلاد الاسلامية او الاربعية كانت تخضع لدفع رسوم الجمرك ، ويقدرها ما روى وخايدو (٣) . ناهيك عن الكوكن وهي الرسوم التي كانت تؤخذ على جميع السلع

(١) (سميدوني) تاريخ الدين : دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي في الجزائر في مجلة الابنية الجزائرية العدد ٣٢ ١٩٧٦ من ٤٦ - ٦٢ - ووسعية عشائر المخزن الابنية في المجلة التاريخية المغرب عدد ٧ - ٨ تونس ١٩٧٧
(٢) ما روى : المراجع السابق ج ٢ ص ٤٠١
(٣) ما يندو : المراجع السابق ج ٢ ص ٩٠ - ٩١

وهي الرسوم التي كانت تؤخذ على جميع السلع التي تدخل الاسواق الداخلية ، ولا يمتنع منها احد سوى الانكشابة وفرسان المخزن الصباحيين (١) . ولهذا شجع الحكم العثماني التجارة مع الدول الاوربية التي كانت تتردد سفنها على موانئ عنابة وتونس ، ومستفانسم (٢) وعامله على شواطئها بحيث اخضع دخول السفن التجارية الى معاملة المصيق على رخصة للدخول ويجعل مدينة الجزائر هي المركز الرئيسي لهذه التجارة ليستثنى له مراقبتها ومنع الفرنسيين الذين كانت قد وقعت معهم اتفاقية الامتيازات ، عن اقامة مراكز تجارية - - - - - لما تستفيد من الرسوم الجمركية ، ولما يحصل عليه العائدون دون الشعب من ارباح متنوعة . وقد طبق الحكم العثماني عن الجزائر نظاما في عدم السماح بتصدير بعض السلع كالقمح ، والزيت ، والعسل ، والشمع والصوف ، وبخاصة الى البلاد الاوربية ، الا بان كان غاص . وانما كان الهدف الاول والاساسي من هذا الخطر ، تأمين الاستهلاك المحلي ولا سيما في الاغذية ، فانه تحول في الواقع الى احتكار السلطات لبيع مثل هذه السلع (٣) والا تجار فيها ، والحصول على المكاسب الخاصة دون غيرها ، ولا سيما ان اقبال الدول الاوربية عليها كان كبيرا .

وهكذا استمرت التجارة الداخلية ايام الحكم العثماني تعاني كثيرا من العوائق السابقة كقلة الطرق وتقلص الامن فيها ، وعدم تطور وسائل النقل ، وتدهور العديد من المراكز التجارية القديمة كطلمسان ومسكر وغيرها . وانحصرت التجارة الخارجية للجزائر في العاصمة ، بعد ان كانت كل المدن الساحلية ، وحتى بعض المدن الداخلية كقسنطينة وتلمسان مراكز غنية ونشطة في ميدانها . وفي الواقع غطى الغزو البحري الذي اهتم به الحكم العثماني بدعه وتشجيعه ، على النشاط التجاري ، والفعاليات الاخرى .

٢- تشجيع الغزو البحري حتى غدا في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين صنعة قائمة بذاتها ، لها ورشاتها الخاصة ، واغتصا صيودها ، ومعالها ، ولم يكن هدف الدولة من هذا التشجيع ، دعم الاقتصاد الجزائري بخصائمه بقدر ما كان حصولها على نصيبها من تلك الخفائن من سلع ، ونقد ، واسرى ، وهذا النصيب كان يتراوح بين الخمس والسبع مدها (٤) . ويضاف اليه ان نصيب (آخضر

(١) هايدو : المرجع السابق عدد 84 ص 502

(٢) انظر عن علاقات هذه المدن مع الدول الاوربية : برموداي التجارة

(٣) هايدو : الجغرافيا عدد ٩٠ ص ٤٧١ وعدد ٨٨ ص ٣١٠ ومحمد خير فارس المرجع

السابق ص ١٠١

(٤) هايدو : المرجع السابق عدد ٩٠ ص ٤٧٠ ، ٤٧١

نتيجة مما سحقتها في توفير السفن والتموين بالسكوت (البقسماط) ، والسمن والحسل والارز والزيتون وتقديم جملات التجديف من البشر او جزئين منه اذا كان المجدفون يؤخذون عادة من الاسرى النصارى المودعين في سجن الدولة (١) ،

٣- ربط الاقتصاد الجزائري بالاقتصاد العثماني ، مما فتح مجالات اوسع للنشاط التجاري الجزائري مع المشرق الاسلامي ، ولا سيما مع مصر ، ولابد الدولة العثمانية في آسيا الصغرى واوربا الشرقية . وقد تزايدت هذه الصلة بحصة خاصة بعد سنة ١٥٧٤ ، اي بعد ضم الدولة العثمانية بتونس ، وطرد اسبانيا منها . لكن بالمقابل كان لهذا الارتباط سلبيات ايضا ، ان كل ما كانت تتأثر به الامبراطورية العثمانية فسي المشرق ظروف مناسية سيئة ، اوسياسية ، واجتماعية ، و... منها من تدور في الاوضاع الاقتصادية ، كان يمكن بطريقة او بآخرى ، وبصفة ايجابية ، على الاقتصاد الجزائري . وهكذا يتضح ان الحكم العثماني جزائر ، من الحقبة المدروسة ، قد ربط بطريقة مباشرة وغير مباشرة الاقتصاد الجزائري بالبلاد العثمانية وشدد قبضته عليه بالضرائب ، والاعتكاف ، لينال من ثمار المادي منه دون أن يقدم له بالمقابل دفعا او حوافز لتشجيعه فتأثر ملكا بل واقرب الى الضعف ، على الرغم مما قد يتركه هريق التنمية الاقتصادية فسي الجزائر العاصمة من وهم بأن الاقتصاد الجزائري بمجموعه كان بهذا الازدهار والرخاء . كما استمرت العوامل السلبية المشار اليها آنفا تفضل فعلها .

ب- السياسة الاقتصادية للسعديين في المغرب اذا كان الحكم العثماني لم يسمح جادا لاجراج الاقتصاد الجزائري من الوهن الذي كان فيه ملحقا بوضع حد لتأثير العوامل السلبية في ، فان السعديين حكام المغرب تمكنوا شيئا فشيئا من توفير الشروط الضرورية للارتقاء به ، وفي مقدمتها :

١- توفير الامن والاستقرار الضروريين لاي تحسن في الاوضاع الاقتصادية : وقد نجحوا في تعاقب هذا الشريك ، خلال القرن الماشر الهجري / السادس عشر الميلادي عن طريق - الحمل على وقف حملات التجهيز والسلب والقتل ، البرتغاليه والاسبانية على المناطق الداخلية ، تلك الحملات التي كانت تصل في مداها الى نحو مئة . . . كسهم في احسان المصروف الداخلي (٢) - - - - - .

٢- العمل على توحيد اجزاء المغرب تحت سلطة مركزية واحدة - - - - - .

بما خضع القبائل التي كانت تهدد امن السكان ، وتعيقهم عن مباشرة اعمالهم الاقتصادية بالمنف تارة واللمن والاستعالة اخرى .

(١) هايدو : الامبراطورية العثمانية ، ص ٤٧٠ - ٤٧١

(٢) انظر فصل الديانة السياسية في المغرب .

٢- في الحصار الاقتصادي الذي فرضه الـ الميون والاسبان على المغرب . حينما تمكنوا من اختلال بعض شرائح المـ السـلـمة تقريباً ، الا لـسـية والمقوساة ، وسالوا بذلك بينه وبين بقية الدول الأوروبية ، وذلك بالعمل على تحرير العديد من المواقع الساحلية مثل اغادير وآفي وغيرها ، وقدت بعد تحريرها مراكز هامة للمبادلات الاقتصادية بين المغرب والدول الأوروبية . . .

٣- الاهتمام بالزراعة : ولـسـيـما زراعة قصب السكر التي اولاهـا اواقر السـمـد بين اهتماما كبيرا فاستكثروا من زراعته حتى ((عم الاغتراس بالقصب الاوطان)) (١) . وبثـر انتاج السكر حتى لم تعد له قيمة في المغرب (٢) ، بينما كثـر اقبال التجار الـوـيـين على شرائـه لـجـودته ورخصه (٣) ، بحيث اصبح موردا هاما للدولة (٤) ، بشكل ثلث مدخلـهـا (٥) ان كانت معظم حقول السكر ومضافه في مقاطعتي السوس ومراكش بيد الاشراف السـمـد بين ولم يقف اهتمام هؤلاء بالزراعة عند هذا الحد فقد حـدس اواقرهم على استغلال امكانيات المغرب الزراعية وعلى زراعة اراضيـه ، فقاموا باقطاع المهاجرين الـانـدلسيين اراضيـه فسـمـعـهـا فـرسـها هؤلاء بمختلف انواع الاشجار المثمرة كالزيتون وغيره وبـلـوهـا الى مـسـاتـين ذات انتاج وفير ((وحصلوا من استغلال ذلك الى اليوم على ما انسا هم ذكر وطنهم مـ راعاهـم ما فاتهم به . . .)) (٦) كما قاموا بتوزيع الاراضي الزراعية على القبائل لزراعتها والزموا بعض القبائل الدخول في المبادية على الاشتغال بالزراعة واجروا لها ما يكفيها ، وهذا على الخصوص في عهد المنصور (٧) ، كما قاموا ايضا بشق المجاري المائية لري الاراضي في اماكن مختلفة في المغرب ، في السوس ومراكش وغيرها من المناطق ، واقاموا على مضافها الارحية المائية والمضاف في للسكر . (٨)

(١) الفشتالي : منابع القضاة ص ٢١٠

(٢) الافرائي : النزعة ص ١٦

(٣) طويريس : / المرجع السابق ص ١٦٦ و ١٦٧ م . ت . م . انكتراب (المقدمة ص ٥)

(٤) كان مدخول السكر في عهد محمد الشيخ ٧٥٠٠ مثقال سنويا (طويريس : ص ١٦٦)

اما مدخول المنصور من السكر ١٠٠ ألف اونسه انظر م . ت . م . فرنسا ص ١٠٣

(٥) ولـمـاش م . رتيني وآخرون المرجع السابق ص ١٧٨

(٦) الفشتالي : المرجع السابق ص ٣١ وحسبه كان الاشراف السـمـد بين يؤجـرونـها لقاء مبلغ معين عن كل سنة لـلـاقلـة من اهل الدمة

(٧) نفسه : ص ٤٢

(٨) كـيـم : المرجع السابق ص ٢٥٤ نقلا عن ابن القاضي : المنتقى المحقق وانظر الفشتالي المرجع السابق ص ١١

(٩) مـرـمـول : المرجع السابق ص ٢٠٠ - ٢٨ - ٦١٤

٤- الاهتمام بالصناعة : ولا سيما صناعة السكر التي ما انفكوا يستثمرون فيها ويلبسونها (١) ، وفق آخر الاساليب والشرق التي توصل اليها البنادق (٢) المستغلين الخبرة المحلية الخارجية من صغرية واندلسيين واعلاج ، ويهود ونساري (٣) وصناعة الاسلحة المختلفة من مدافع وبنادق وسيوف ورمح وقسي ، وذخيرة ، لحاجتهم الملحة لها في حربهم الداخلية والخارجية وقد نشأوا لهذا الغرض عدة صناعات في مراكش وفاس وتارودانت (٤) ، واستغلوا ايضا في ادارة هذه المصانع وانتاج مختلف الاسلحة المتمصر المحلي والاندلسي وخبرة بعض الاتراك المشائين (٥) ، والاعلاج ، واستخدموا المستعبدين بداعاطة فيها وانتجوا اولى مدافعهم من نحاس منجم تنزيره الذي تم اكتشافه في ١٥٣٩ ، وفي نفس الفترة وانتجت ايضا اولى الكور المدفعية من الحديد بجزوله (٦) ، ثم ضمت مخازنهم بانتاج المدافع والاسلحة المختلفة والذخيرة ، ومع ذلك كان السعديين لا يكتفون باستوردون الاسلحة والذخيرة من اربابا وكان بعضهم مثل عبد الملك عارفا بصناعة الاسلحة وبهاشرا الامور نفسه (٧) . ونالت صناعة السفن ايضا اهتمام السلاطين السعديين الاوائل وخاصة منهم عبد الملك (٨) ، الآنف الذكر . وبعد المنصور (٩) ، وكانت السراش وسيد (١٠) ، من اهتم مراكز صناعة السفن في عهد المنصور السعديين بعد ان فقدت بادس مركزها كما بعد من اهتم مراكزها بعدما ان اجعلت لاسبان عبر بادس في ٩٧٢ هـ / ١٥٦٤ م واولى السعديون الاوائل اهتماما غير قليل باستخراج المعادن ، واستغلال قسم منها في صناعة الادوات والاواني ولا سيما في صناعة الاسلحة كما ذكرنا ، وتتميز قسم آخر الى الدول الاوربية ومن المعادن التي كانوا يستخرجونها عدا النحاس والحديد ، هناك طبع البارود الذي كان يستخرج من مواطن جديدة في المغرب ، ويصنع الكثير منه محليا ، وتصدر كمية منه الى الدول الاوربية الحديثة لا محارب كانكترا (١١) ، وفرنسا ، وحيانا الى الجزائر والدولة المشائية . اما صناعة الذهب فقد حشيت باهتمام كبير ، ولا سيما من المنصور الذي كان يبا ، (١٢) اربعة عشرة مائة مائة تشرب كل يوم الذهبا غير ما هو معد لتغير ذلك من صوغ الاقراط والعلي ، وشبه ذلك (١٣) ، ان كان يتدفق على المنصور المذكور ذهب كثير من السودان ولا سيما بعد احتلال قواته طبره في سنة ١٥٩١ م . وجبر اهتمام السعديين الاوائل بالصناعة الى الاهتمام بالمخترعات الجديدة والسعي الى استخدام الخبرة من الصناع ، مع استغلال خبرة الحناصر المملوكية في الحشرب . (١٤) .

- (١) الفشتالي : المرجع السابق ص ٢٠٩
- (٢) م. م. م. : انكترا : ص ٤ (المقدمة)
- (٣) مارمول : المرجع السابق ص ٢١
- (٤) نفسه : ص ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١
- (٥) مارمول : المرجع السابق ص ٢٢ و ٢٦ و ٢٧
- (٦) المصنف : تاريخ الدولة السعدية ص ٢٢ و ٢٦ و ٢٧
- (٧) المصنف : تاريخ الدولة السعدية ص ٢٢ و ٢٦ و ٢٧
- (٨) الفشتالي : المرجع السابق ص ٢٠٩
- (٩) انكترا : ص ٢٠٩
- (١٠) انكترا : ص ٢٠٩
- (١١) انكترا : ص ٢٠٩
- (١٢) انكترا : ص ٢٠٩
- (١٣) انكترا : ص ٢٠٩
- (١٤) انكترا : ص ٢٠٩

٥- الاهتمام بالتجارة الداخلية والخارجية : وقد ظهر هذا الاهتمام كما رأينا في حرصهم على توفير الأمن في داخل المغرب ، ومن ثم في طرقه واسواقه ، وفي اجتذاب المنافذ البحرية الجديدة في وجه التجارة الخارجية مع أوروبا ، وأظهر كذلك في ترحيب أوائل المستعدين بهم لأن رأيتهم من التجار الأوروبيين ، ومما ملتهم لهم محاطة حسنة . كما أن له الأثر الكبير ، فاقبل التجار الانكليز وغيرهم بثيرة على الاتجار في المغرب . (١) . كما جعل اهتمامهم بالتجارة الخارجية ، ولا سيما مع بلاد السودان في سعيهم المبكر إلى التحكم في ممر التجارة بين هذه الأخيرة والبلدان الواقعة شمال الصحراء عن طريق مد نفوذهم إلى سواحل في ١٥٢٢ / ٩٣٢ التي كانت تتحكم في توجيه مواصل التجارة ، وحركة القوافل التجارية بين المدينتين المذكورتين . ثم في سعيهم للمنافسة البرتغالية للتجارة المغربية مع مستعدي السودان ، فشنوا بهذا العدد حملة على ودان في سنة ١٥٤٣ / ٩٥٠ م ، التي نجح البرتغاليون في استعادة شيخها إلى التجارة معهم عن طريق مركزهم في أرجن ، فاحتلوا المدينة المذكورة في سنة ١٥٤٣ ونكروا منذ ذلك الوقت بجد في استئثار بلاد السودان نفسها للقضاء على المنافسة ، ولاستغلال مميزات هذه البلاد الوفيرة . وهو ما تحقق في عهد المنصور في سنة ٩٥٩ / ١٥٩٠ - ١٥٩١ م ، فأخذ ذهب السودان وغيراته الأخرى في التدفق على المغرب . . .

وبفضل هذه الجهود الهامة التي قام بها أوائل المستعدين في حقل التجارة ، وتشجيعهم لها نشطت تجارة المغرب الداخلية ، وازدهرت مراكز تجارية عديدة فيه ، مثل تارودانت وسلا ، وتطوان ، ومراكش ، بعد أن كان يصيبها العرب ، وآسفي ، وسبلماسة وغيرها . كما نشطت تجارة المغرب الخارجية ولا سيما مع الدول الأوروبية مثل انكلترا التي أسست في سنة ١٥٨٥ م الشركة البحرية خصيصا لتنظيم تجارتها مع المغرب ، بعد أن توسعت هذه التجارة ومنحتها حق الاحتكار لمدة ١٢ سنة ، (٢) وفرنسا ، ثم هولندا ، ابتداء من أواسط القرن السادس عشر الميلادي . (٣)

وكانت أهم صادرات المغرب إلى الدول الأوروبية : السكر ، والتمر ، والشمع والبلود ، وحب الحماني ، كالنحاس ، وطح الحارود ، والذهب ، الذي كان يهرب تهربا ، والحبوب والسيات . (٤) . بينما كانت أهم وارداته منها : الأسلحة والأقمشة المستطقة ، والعدس المنع ، وغيرها . وكانت أهم واردات المغرب من بلاد السودان هي الذهب ، والمبيد ، مقابل صادراته التي كانت تتمثل في المنسوجات ، والمصنوعات النحاسية والحديدية ، والخل والتمر ، والحبوب ، والكتب .

أما أهم صادرات المغرب إلى الجزائر ووارداته منها فسيأتي الحديث عنها مفصلا بعد قليل

(١) لوريس : المرجع السابق ص ١٦٦ ومارمول : المرجع السابق ص ٣٩
(٢) أنظر فليو : الحياة السياسية والعلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب
(٣) أنظر عن صادرات المغرب إلى أوروبا ووارداته منها م. م. م. : انكلترا ج ١ (المقدمة)
(٤)

الاقتصادية لعمالها ، وقد يكون من أهمها استيراد المواد الخام كالاسواق والجلود ، والمواد
معدنية ، وتعدد المواد المصدرة لهما ، وبذلك وصحت نفسها في موقع المنافس القوي للصناعة
الوطنية (١) ، التي انزلت تفقد حقوماتها من المواد الخام المحلية التي كانت الدول الأوروبية
تسجل عليها بآلية مشروعة او غير مشروعة ، كما شرعت تفقد تدريجيا سوقها الداخلية ذاتها
بالاعتماد على التاربية . ان ان اوروبا شرعت تدريجيا تأور صناعتها تطبيقا للنظام المركنتيلي
بذلك اتبعت ، وتأخرت بالمواد الخام الضرورية لها من كل ركن في العالم .

فالتجارة الأوربية ، إذا كانت قد حملت للملدين في هذه المرحلة رسوما جمركية سدت
غرة في موارد خزائنها ، وأفادت ببعض الفئات المتاجرة مع الأوربيين من الحكام والسكان وخاصة
يهود . إلا أنها في واقعها المسمى كانت ذات اثر سلبي في اقتصاد الملدين وبصفة خاصة
لما شرعت الدول الأوربية تتنزع من البلاد النقد الفضي والذهبي عن طريق زيادة صادراتها
فيها والاقلال من وارداتها منها ، هذا بالإضافة الى الاتجار بمنتجاتها . فمن المعروف اقبال
سكان في الجزائر بصفة خاصة على النقد الأوربي بأنواعه ، وقد ساعد تحليل سعر الأقمشة
مشمسية وانخفاضها ، الى ارتفاع سعر النقد الأوربي بالنسبة اليها ، وذلك كان لاوربيين
مقتنون اربابا كبيرة . وقد يكون منع المنصور السدي اخراج نقده الذهبي من المضرب نتيجة
لرأه من افتقار البلاد نقدها ، وتسريه الى أوروبا .

بل انه منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر للميلادي شجعت
سائر الدول ومنها فرنسا لتصدر نقد مزيف . (٢) .

وسبب الا تقل في هذا المجال سمي بعض الدول الأوروبية لا احتكار انتاج بعض السلع
وهامة وقد سمحت فرنسا للحصول على امتياز استثمار المربان في الجزائر . وكانت له سرق هامة
اوريا وان لا تقل اثرها السلي الذي لا يظهر فقط في غزو اسواق الجزائر والمغرب و—الاد
سودان ، بالذائع المصنعة ما ساهم في جعل الصناعة المحلية فهما لا تنمو ولا تتطور بشكل
كنها من الوقوف امام الصناعة الأوروبية والمنافسة التجارية في الداخل والخارج ، ولكن ايضا—
ستتأثر السلطة الذهبية فهما ان كان التجار الاوربيون كما ذكرنا رصفة خاصة التجار الانكليز ،
لهولنديون ، والفرنسيون يؤثرون البيع نقدا على البيع بالمقايضة ، وتمكنوا عن طريقي البيع—
لتتسبب من تحويل كميات كبيرة من الذهب ، ولا سيما من حلة المغرب التي كانت في عهد المنصور
الذهب النابلي ، على الرغم من القيود التي وضعتها هذا الا انهم حول شروق السلطة الذهبية
المغرب .

(١) كانت الأقمشة الإنجليزية في كل من الجزائر والمغرب مفضلة على الأقمشة المصنوعة محليا في البلدان . وكان علماء الكوم في المغرب يتخذون لباسهم من الأقمشة الانكليزية ذات اللون الأزرق . انهم كانوا يسمونهم بـ "توم" . ثم انكسرت في ١٩٢٧ من ٢٠٠٧ :
(٢) انهم لم يترقبوا النقد وان غلبه الى الامبراطورية العثمانية :

Montrant(R.): Istanbul dans la Seconde Moitié du 17^e Siècle,
Paris 1962, P.P.263-264.

Paris(R.): Histoire du Commerce de Marseille dans le Levant,
Paris 1957 t.5 P.131

مر الذي كان له اثره السيئ على هذا البلد ، ولا سيما بعد ان قل وصول الذهب اليه
السودان في النصف الاول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر للميلاد ، فعجز
كامه عن تمييز الجيوش لقلعة المال . ومن ثم عجزوا عن توفير الامن والاستقرار في المغرب ،
لما من الدول الأوروبية من الاوضاع الاقتصادية في حين مضت أوروبا في تطوير اقتصادها
مستعينات بتاجرها وازوال اسوان المخططة به وتحقيق ارباح وفوائد كثيرة ، ولابد على الفوائد
كبيرة التي كان يحصل عليها الاوروبيون من التجارة في البلدان في انتاجهم الصناعي المتنوع
لمتزايد من اسرارهم على الحضي في التجارة مع الجزائر والمغرب ، على الرغم من الاخطار التي
تهدد سفنهم من غزاة البحر الجزائريين والمغاربة الذين كانوا لا يهابون كثيرا بالاتفاقيات
تجارية التي تمنحها الدول الأوروبية مع حكومتي البلدين ، هؤلاء الغزاة الذين كانوا في واقع
امر يمدلون من شاعر العيزان التجاري للبلدين مع الدول الأوروبية .

وبما ذكر سابقا عن العوامل المؤثرة في الاقتصاد بين الجزائري والمغرب
في قسم في العلاقات الاقتصادية بين البلدين خلال مرحلة

دراسة ، يتبين ان الاقتصاد بين بقيا ، على الرغم من المؤثرات الجديدة الهامة الطارئة على
بنيتهما ، ومنها ايجابي ، لم يستطعا ان يتغلصا نهائيا من العوامل السلبية وان يصلا
في ازدياد مستمر . فالاقتصاد الجزائري شاهد بمضي الزمن خلال الحكم العثماني ،
وزيادة اليد العاملة الفنية لهجرة الاندلسيين ، ولمراقبة الدولة للانتاج ، وتوفير بعض الامن ،
تشجيع الغزو البحري ، والتجارة الأوروبية ، وكذلك في المغرب خلال حكم المنصور السعدي ،
لان هذا التمسك بقي سطحا ومؤقتا ، لان العوامل المناخية والكوارث الطبيعية وغيرها ،
لاضطرابات السياسية الداخلية والخارجية ، بقيت عاملا اقوى يشد الاقتصاد نحو الضعف :
البقاء يتناوب على البلدين ويحمل معه القحط والمباعد ، والجراد ، والوباء ، والصراعات
داخلية تلهل المواطنين في الفعاليات المخططة ، وتستنزف اوقات العالمة والبشرية ،
تتمثل النمو الاقتصادي ، نابعك عن الصراعات الخارجية . وجاءت الدول الأوروبية بدورها
تكون عاملا بندا مشددا في منظره الخارجي للاقتصاد بين ، الا انه كما رأينا كان في الواقع
فقرا لهما .

وقد كان لمجموع العوامل المؤثرة في العمليتين الاقتصاديتين لكل من الجزائر والمغرب
بالمغرب ان كانا على العلاقات الاقتصادية بين البلدين كما سنرى في الفصل التالي :

الفصل الثامن

مظاهر العلاقات الاقتصادية

كانت المصادر قد مكنتنا من تقديم صورة عن مجموع العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية من الجزائر والمغرب خلال المرحلة المدروسة فاننا لا نطأ الا ان نقول منذ البدايات باحت في العلاقات الاقتصادية بين الجزائر والمغرب في الفترة ٥١٧ - ١٦٥١ لا تشبع نهمة في المتوفرة، ولا يجد نالته فيها ، ان الوثائق الرسمية غير متوافرة في هذا الميدان ، التاريخ والرسائل رغم ما تحتويه من معلومات ثمينة وإشارات عديدة حول الموضوع لا تمكن الباحث فيها من ان يكون فكرة كاملة عن مختلف جوانبه ، ولا سيما ان اكتفى بالمصادر الرسمية واستغنى عن المصادر الغربية .

يمكن القول دون افتئات على الحقيقة انه بحكم واقع الجوار، والروابط البشرية الواحدة بين الجزائر والمغرب ، فقد كانت هناك دوما علاقات اقتصادية بين البلدين . العلاقات التاريخية المائجة ، فقد كانت هناك دوما علاقات اقتصادية بين البلدين . العلاقات كانت تقوم على الخصوص من يمكن حكماء المغرب من فرض سيادتهم على الجزائر ، او مد نفوذهم على الجزائر كلها ، او على القطاع الغربي منها فقبل كما حدث في عهد عبد بن الذين بسطوا نفوذهم على كل البلاد الجزائرية ، وعهد المرابطين قبلهم الذين كانوا نفوذهم على النصف الغربي من الجزائر ، وعهد المرينيين الذين تمكنوا من السيطرة على كل البلاد الجزائرية ، وعلى قسم منها اميانا اخر .

تلك العلاقات تنصف حين تستقر الجزائر من هو لا ، واولئك ، ويكون حكمها في حالة اوعدا من المغرب ، او حين يسود الاضطراب بالدين . الا ان هذه العلاقات على ابداء الى القطيعة ، ان ظلت المصادر تؤكد دوما وجود علاقات اقتصادية بين البلدين ، في الميادين التجارية على الخصوص ، وتشير الى ما كان يجرى بين المدن الجزائرية من المغربية ، ولا سيما القرية من بعضها ، من مبادلات في السلع كما تشير الى تنقل

من بلد الى آخر .

فإذا عدنا اليها قبل عام ١٥١٧، نرى ان ابن فضل الله المصوني، وهو من رجال القرن التاسع الهجري (توفي ٨٤٩ / ١٤٨٠ م) الرابع عشر الميلادي، يذكر ان احد سجلات كانوا يزرعون القطن والكمون، والكروية في المنايا، ويصدرون منتوجاتهم الى كل بلاد المغرب والى جهات اخرى، وكذلك كان احد درعة يفسلون بمنتوجاتهم من الكمون والكروية والنيلة^(١). ونجد ان عبد الباسط بن خليل، صاحب كتاب التاج الباسم في حوادث العمر والتراجيم، وهو من رجال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، يذكر ان قافلة من تبار تلمسان وغريها ذهبت من مدينة تلمسان الى فارس في السعد السابع من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي للاشجار هناك، فيما حطت منها من بضائع، وقد باعت كل ما حطته، ويشير بهذا السدد الى حالة الامن وانعدامه في الطريق بين العاصمتين الكبيرتين تلمسان وفاس، والاخذار الجسيمة التي يواجهها القطار في التقل من شاعرة الى اخرى، بسبب تربع قلاع الطرق لهم^(٢).

واكد الحسن الوزان (المعروف لدى الغربيين بلبنون الافريقي) وهو من رجال القرن السادس الهجري / السادس عشر الميلادي، من جهة استعمارية الصادرات التجارية بين بعض الممسين الجزائرية والمغربية في مطلع القرن المذكور كتلمسان ودرة، وفجيج وغريها^(٣)، وتذكر المصادر والمراجع ان اسرة المقرن الجزائرية التلمسانية المولدين، حققت نجاحا كبيرا من تجارتها بين البلدين، وبينهما بلاد السودان واوروبا. واسست شركة تتألف من خمسة اخوة كان احد منهم، وعورئيس الشركة يقم في سجلماسة، احد المراكز التجارية الهامة في جنوب المغرب، ومحطة من محطات الرئيسية على الطريق بين شمال افريقيا وبلاد السودان، بينما كان يقم اثنان من اخوته في ولايات بلاد السودان الغربي، واثنان آخران في الموانئ المغربية، حيث كانوا يقومون بتسويق البضائع السودانية، وتوفير البضائع المغربية، والاوربية المطلوبة من قبل السودانيين. ومن المتعار ان تكون لهذه الشركة فروج بوطنهم في تلمسان، ووهران لنفس الفرع. وتذكر المراجع ايضا ان آل المقرى مهد والحرين الصحراء بحفر الآبار، وتأمين التجار، واتخذوا لبلال للرحيل رواية تقدم عند المسير^(٤).

(١) انظر ابن فضل الله المصوني / مسالك الابصار / من مستلزمات مغفلة حول المغرب لغانيان ٢٥٠

(2) Brunschvig: Deux Récits de voyages Inédits en Afrique du Nord au 15^e S. Paris 1936 P.58.

٣- الوزان : وصف افريقيا ج ٢ ص ٤٢٤: وفيها يقول تباع الاقمشة السوفية المنسوجة في فجيج استار غالية جدا في مدن بلاد البربر مثل تلمسان وفاس.

(٤) انظر عن هذه الشركة (4) Bovill: The Golden Trade of the Moors, P.98.

اشارة من شوقي هذا الله الجمل : علاقات المغرب بالاقليم الصحراوي في / المناهل

عدد المغرب ١٤٧٧ - ١٤٤٤ - ١٤٥٠

(السفان / تعريف الغلف ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦)

وما تقدم يمكن القول بأن العلاقات الاقتصادية بين الجزائر والمغرب في المجال التجاري،
 التي كانت قائمة في عهد الاسر المغربية التي تماقت على الحكم في المغرب الجزائر كالتوابطين
 موحدين والمربطين استمرت في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي،
 إلى الماشر الهجري / السادس عشر الميلادي (١).

إذا ما تأملنا المسيرة في الحقبة المدروسة فقد يتوهم بعد أن تم التعرف بالأحوال السياسية
 البلدين وتثبيت الأسباب في بعض المراكز الهامة في المغرب والجزائر، وما ترتب عليها من عاقبة
 رن الاتصال بين البلدين، وتقوى لبعض مراكز التبادل التجاري، وبعد أن تم كذلك التعرف
 علاقات السياسية المضطربة بين البلدين، أن العلاقات الاقتصادية قد أصابها الجمود،
 سالت تلك الأوضاع المضطربة في كثير من الأحيان دون قياسها أصلا، ولكن ما توأمر لدينا
 مصادر، وإن كانت غير سخية في معلوماتها عن العلاقات الاقتصادية، يؤكد استمرار
 العلاقات وبصفة خاصة في الميدان التجاري.

يمكن إذا ما أردنا أن ننظم كمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين خلال هذه المرحلة
 لا بد من التمسك وأل منها في جميع المصادر: الزراعي منها، وما يتعلق بها من تربية
 راضي، وغيرها، والحيواني، والتجاري، وفي مختلف الحقوق الأخرى كبيع الأسماك، والغزو البحري.
 1- العلاقات في الميدان الزراعي: أن الوثائق ضئيلة جدا، ولو أن تدخل الحدود بين
 دمن في الماضي، وانتقال السكان العرب بينهما، والعلاقات الاجتماعية والتاريخية التي
 قائمة بينهم تدعو إلى التضمن المبدئي بوجود علاقات في الميدان الزراعي وتأثير متبادل
 في الزراعة بوسائلها، ومنتجاتها، بالإضافة إلى انتقال عمال زراعيين بين البلدين، ولا سيما
 مواسم البذار أو الحصاد، وقيام ملكيات زراعية لمغاربة في الجزائر ومثلها للجزائريين في
 غرب. بل أننا نملك بعض الشواهد التي تؤكد ما ذهبنا إليه نذكر منها:

ان ابا الحسن، رابع الوتريني، الذي انتقل إلى المغرب في أواخر القرن التاسع الهجري
 إلى عشر الميلادي في ظروف غير عادية، كان قد ذهب إلى فاس ناجيا بنفسه، بعد الوحشية
 وقتل بيته وبين السلطان الزياني أبي عبد الله محمد، ما لبث أن أصبح من أعوان
 فاس، وقد يطلق في هذه الأخيرة عزمة (٢). إلا أننا نجعل مساحة هذه العزمة ويبدو أنه
 يشتغل فيها بنفسه، إذ كان يذهب إلى كل يوم (٣)، وفيها كان يقوم أيضا بتأليف كتاب المنيار
 (٤).

(١) مرمول: المرحل السابق ص ٣٠ - ٣٦

(٢) (٤) ابن عسكر: دوعة الناشر ٣٧٥-٣٨٠

بحيث نتج عنها ذلك التباين الكبير في انواع الحيوانات السائدة في كلا البلدين ، كما يستخلص ذلك من اوصاف الوزان ، ومارمول وغيرهما لها ، فسي الانماط والطرائن المثبتة في تربية الناحية ، والنسل ، ووفرة القز ، والسيد البصر ، يجعلنا نعتقد اعتقادا قويا في قيام صلات واستكاف بين المشتغلين في العقول الاقتصادية ، والمضار الهيمنة .

اما الفز والبصر الذي كان من الفعاليات الاقتصادية الهامة في كلا البلدين في عهده الفترة موعود الدرس ، فقد كان التعاون فيه بين غزاة الجزائر وغزاة المغرب قائما ، ومؤكد : حيث كان غزاة الجزائر وغزاة تلمسان في المغرب او غزاة سلا ، في المغرب ايضا يخرجون سويسة للفز والبصر ، ويتبادلون الخبرة في هذا الصدد . وكان غزاة الجزائر يجدون في موانئ الشمال المغربي ، المتوسطة والا لسية ، ليس فقط المأوى والطلب ان اضطروا الى ذلك ، ولكن ايضا السون التجارية لسرف بضائعهم ، والسون التي يتمونونها بها طر منهم من ماء وغذاء وغير ذلك . وكذلك كانت موانئ الجزائر بالنسبة لغزاة المغرب حين يقصدونها .

ب - الصناعة :

واذا ما انتقلنا الى الميدان الصناعي فان المعلوم ، التي لدينا تشير الى ان الصناعات التي كانت قائمة في البلدين ، كصناعة المنسوجات السوفية والكثانية والحربية والصناعات الجلدية والمعدنية وغيرها ، متشابهة الى حد كبير ، بل ومتشابهة في الانماط والطرائن ، مما يعني ايضا ان الاحتكاك بين المشتغلين في هذا المجال كان كبيرا ، وان خبرة الصناع والعرفيين كانت تنتقل من بلد الى آخر مع الصناع والعرفيين المغاربة الذين كانوا ينتقلون للبحث في الجزائر حاملين معهم اساليب صناعاتهم ، ومع الجزائريين الذين كانوا ينتقلون الى المغرب للبحث هناك . ومن الطبيعي ان يجري تقليد متبادل في نوع الصناعات وطرائن الصنع السائدة في البلدين ، ولا سيما الموهترات التي دخلت اليها مع الوافدين الجدد من اتراف وغيرهم واحدة . وقد يكون مثلا عن ذلك صنع الزباجي في المغرب على الطريقة التركية .

ب - التجارة :

ولكن المصادر الموجودة بين ايدينا ، تقدم لنا معلومات أغزر وأوفى عن العلاقات التجارية اولو انهما مقتضية اذا ما قيست تلك المصطلحات بما تطلعه المصادر الاوربية عن العلاقات التجارية بين اوريا وكل من المغرب والجزائر ، مما يشير القارىء بأن تلك العلاقات كانت اكثر نشاطا وحيوية مما كانت بين المغرب والجزائر ، كما انها تشهد الاحتمالات الضرورية لفهم اساس تلك العلاقات .

اما تلك المعلومات التي قدمتها المصادر لنا في حق العلاقات التجارية فيمكن حصرها

(١) مرمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤٣

(٢) نفسه : ج ٢ ص ١٢٨

سفن القوارب انطالية :

(١) طرق المواصلات بين البلدين

(٢) المواد التجارية المتبادلة

(٣) القوافل المتبادلة

(٤) مراكز التبادل التجاري .

طرق المواصلات بين البلدين :

انها في الواقع الوسيلة الكبرى لاقامة علاقات مباشرة بينهما ،
صفة خاصة علاقات تجارية ، ويقدر ما تتوفر فيها الشروط الملائمة من قرب واتساع في المسالك ،
من توافر الماء فيها ، ومحطات الاستراحة ، واخيرا استتباب الامن في ارجائها ، بقدر ما تكسبون
ثرا ايجابيا في العلاقات بين البلدين .

وانا ما استقصي عن طرق الاتصال بين المغرب والجزائر فانه يتبين وجود ثلاث طرقات
يسمى اثنان منها برية والثالثة بحرية ، وهذه الاخيرة تشكل من موانئ المغرب الشمالية ولا سيما
من تطوان بعد ان اعتد الاسبان حجب بادي في سنة ١٧٢٠ ، ثم ١٥٦٤ م وجعلوا مرسى بادي تحت
سطة مدافعهم . كما كانت تنقل ايضا مندسلا الواقعة على الالبي .

وليس غير من محاورنا فكرة واحدة عن مراحل هذه الطرين بين الجزائر والمغرب ، وهو هو الحسن
في التجروتي ، لسبب النفقة المسكية في السفارة التركية الذي سلكها بمناسبة سفارة
١٧٠٢ م ، وهذه مراحلها كما ذكرها : كان الانطلاق من تطوان في شمال المغرب
مشرقة على المتوسط ، وكانت المحطة الاولى في تارفة على بعد (ثمانية مراحل) ، وان نحو
١٠ كلم تقريبا ، اما الثانية فقبل الوصول الى مرسى بادي في الوقت هذه الاخيرة تحت الاحتلال الاسباني ،
ما الثالثة فبعد درطوية ، وهي آخر المحطات والمحاذاة التالية هي بنين التي كانت مدنية
امة ، وفضل طلمسان البعري قبل احتلال الاسبان لها ، ثم تخريبها عام ١٤١٠ م ،
ولم تكن وهران محطة في الفترة التي سافر فيها التجروتي ، لكانت المحطة الثانية لاشك من
محطات الهامة في المغرب الجزائر وشبه المحطات التالية على الترتيب : آرزو
ستغانم ، قنطرة ، فشرشان ، فدينة الجزائر ، فديس ، فبجاية ، فالقل ، فعنابه ، ومنها السبي
بنزرت اولى المراسي في القنطرة التونسية ، وقد كان من العادة ان تتوقف السفن الحاملة للركاب
استراحة والتجارة في الموانئ المذكورة والتزود بها يلزم المسافرين في المدن الساحلية
د تستغرق فترة الاستراحة يوما او اكثر .

(التجروتي : النفقة المسكية في السفارة التركية س ١٢ - ٢٧)

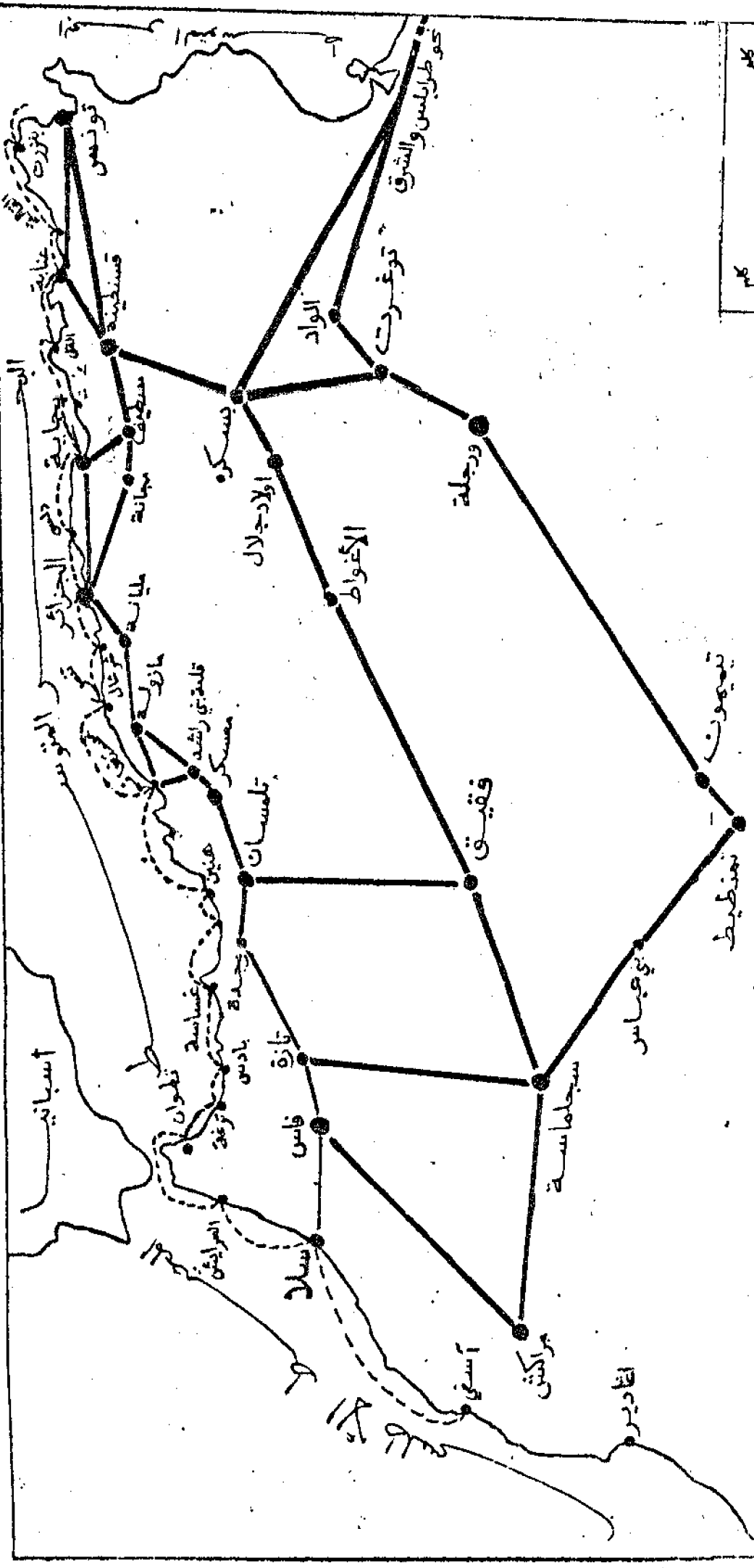
خريطة توضح الطرق الرئيسية البرية والبحرية.

مقاييس

مقياس الرسم



واحات توات وتيغورارين



اما الطريقان البريان فأحدهما شالي، يربط بين اهم المدن الداخلية ومعنى المدن الساحلية
والآخر معالته من الغرب، المسى الشرق كانت على النحو التالي :

فمن فاس الى تازة ، فويجده المغربية ، فطمسان الجزائرية ، فمعسكر ، فمازونة ، فمدينة الجزائر ،
ومنها الى بجاية فقسطنطينة ، فمنايا ، ومنها الى القطر التونسي ، وهو الطريق الذى سلكه
الوزان في رحلته نحو المشرق في سنة ٦٢١ هـ / ١٥١٥ م^(١) ، والطريق الذى كانت تسلكه
تقريبا قافلة سلا التجارية الآتية ذكرها .^(٢)

ومن قسنطينة كان يتفرع ايضا طريق يوصل الى بكرة ، ومنها الى الاراضي التونسية . وهو
الطريق الذى كان يسلكه . فبجاية الجزائر المتعلقون من الشمال ، لينضموا الى قافلة حجاج المغرب^(٣) كان
يسلكه ايضا تجار قسنطينة المتوجهون الى الجنوب الجزائرى وبلاد السودان^(٤) ، والمغارب
الذين كانوا يهربون على قسنطينة من بكرة .

والطريق البرى الآخر : نوبي : ومراحله الهامة هي تافيلالت ، (سبلماسة) ، بالجنوب
الشرقى للمغرب ، فبوسمونيون بالجنوب الجزائرى ، فالغاسول ، فعين ماضي ، فالارغواط ، فالهين
فسيدى خالد فبكرة ، فسيدي^{عقبه} ، فتوزر بالجنوب التونسي .^(٥) ويصل هذا الطريق في الاراضي المغربية
بالطريق بين الشمال المغربى والجنوب المندلق من تازة الى سبلماسة ، وهذا الطريق هو الطريق
تسلكه . عادة قافلة الحج المغربية ، الا ان هذه القافلة قد تمنع احيانا على توات لبغرى
تبدل المطلة هناك ، لرئيس الذهب فيها . اذ كانت ملتقى تجار شمال الصحراء
جنوبها بما في ذلك تجار بلاد السودان . كما حدث لقافلة الحج المغربية لسنة
١٠٧٢ هـ / ١٦٦١ م ، التي كان المعاشي صاحب الرحلة من ضمن افرادها ، فترك لنا
سجلا وافيا عن مراحل هذا الطريق ، الذى يتوقف عنها حتى توات ، ومنها يتجه شمالا الى ورجله
فتوغرت ، فسوف ، قال جنوب التونسي^(٦) ، ولذلك فان هذا الطريق طويل جدا يستغرق قطعه
نحو شهرين من الزمن ، واكثر من ذلك اذا اعتبرنا ايام الاستراحة في المراكز والمحطات ،
ومعظم هذه المحطات صحراوية ، وقد تقطع القافلة مسافات طويلة دون ان تصادف عمارة أو بئر ترتوى
ولذلك كان السالكون لهذا الطريق يشرعون في سفرهم في بداية فصل الشتاء ، وعليهم ان يتزودوا
بما يكفيهم من الماء والغذاء لمدة ثلاثة ايام او اكثر احيانا . ومن الاوصاف الكثيرة الحية التي علقها
المعاشي عن مختلف مراحل هذا الطريق ، نذكره ، انها صعبة للغاية ، وتفتقر الى التعميد والمرافق الضرورية لجعل

(١) انظر الوزان ، وصف افريقيا ج ٢ (المدن المذكورة كمحطات)

(٢) اميريت : المرجع السابق ص ٤٢

(٣) انظر الورتيلاني : نزعة الانظار .

(٤) نفسه

(٥) Prax (M.) : OP. CIT. , P. 3 , et Ennotit (E.) : Les liaisons terrestres
entre le Soudan - ١٣ ص ٢ : المصدر السابق : ج ٢ ص ١٣
et l'Afrique du nord , in/ Trav. de
l'Inst. de Rech. , t. 11, Alger ٥١ - ١٣ ص ١
1954, P. 42, note 2.

(٦) المعاشي : المرجع السابق ج ١ ص ١٣ - ٥١

السفر منها كمحطات الاستراحة والفنادق وغير ذلك . وما قاله المياشي بصدده وصفه لهما
مراحل هذا الطريق :

وقد سرنا يومنا إلى اللول في طريق حرة ، وهرة ، لا حطب فيها ولا كلاً ، ولا ماء (١) . وعن مرحلة
أخرى قال : . . ثم ارتدنا وسلكنا في أرض كأنها المحشر (٢) . وقال أيضاً عن طبيعة الطريق
: . . ثم ارتدنا من هناك قاصدين وادي ربي في أرض ذات رمال ، لا يهتدى فيها إلا من مارسها
كثيراً (٣) . أما عن تباعد المحطات وقتلتها ، وافتقارها لما يحتاج إليه المسافران وجدت نقبال
: . . ولم نزل نسير مع ذلك الوادي إلى أن نزلنا عاشر يومنا على قرية يقال لها واكي والن ، ولبيم
نجد في هذه القرية إلا رجلاً واحداً ، ومعه نساء من قرابته يحملهن (٤) .

حالة الأمن في الطريق : ولكن ما كان يزيد الدون البرية السالفة الذكر صعوبة هو انعدام
الأمن فيها ، وانعدامه أحياناً ، وهذا ليس فقط حين يكون المغرب والجزائر في حالة نزاع وحرب ،
بل وحين يكون البلدان أيضاً في حالة سلام ، بسبب انتشار قطاع الطرق ، ولا سيما في المناطق
البعيدة عن مركز الدولتين ، كالمناطق الصحراوية ، مما يؤثر لاشك تأثيراً سلبياً على حركة
التجارة بين البلدين . وقد أكدت المصادر دائماً في ذلك المياشي ، وقبله مارمول والوزان ، وبعد
الباسل بن خليل ، وغيرهم أن الأمن في الدون الرابطة بين الجزائر والمغرب كان دائماً مشدداً ،
بل مشدداً بحيث من الصعب جداً على مسافر أو مجموعة من المسافرين ، ولا سيما إن كانوا تجاراً ،
أن يجتازوا الطريق الشمالي والجنوبي البريين ، دون أن يتعرضوا لخطر قطاع الطرق الذين كانوا
يتربصون بمخبري السبيل لهنهبهم وسلبهم ، بل وقتلهم ، ولا سيما إن هم حاولوا إبداء المقاومة .
ويذكر الحسن الوزان بهذا العدد أنه من النادر أن يفلت التجار من أيدي قطاع الطرق في سهل
انجاد (٥) القاعل الواقع قربي تلمسان ، والذي تمر منه الطريق الرابطة بين تلمسان وقسن .

ونفس المخاطر كان يتعرض لها السالكون للطريق الرابطة بين سجلماسة وسكرة عبر توات ، وعبر
الافواط . وقد أشار المياشي في رحلته إلى المفاويف الكبيرة التي كانت تنتاب الحجاج
في بعض مراحل الطريق : " فلما تجاوزنا (البئر) حلت للركب روعة لخبر أخبروه أن بأرائهم

(١ و ٢ و ٣) : المياشي : المرجع السابق ، ص ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) : الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

وم من الغرب يهيدون الافارة ، فشر الناس للقتال ، واخرجوا عدتهم وآلة حربهم ^(١) . وفي مكان آخر قال : (ارتحلنا وسرنا جيد خائفين ، ونزلنا ظهرنا بالمكان المسمى بالدوسة بينه وبين بلاد جلال نعو من فرسخ ، وهناك تحقق الناس امر العرب وانهم متعرضون للركب ، قاصدون غزاه ، ومنهم نعو ٣٠٠ فارس . . . وتكننا المحل الذي فيه اولئك الحاربون ، وارتحلنا نصف الليل . . . وسرنا بقية ليلنا خائفين في ارض حرشة ، مثلثة ، لا تسع الا همسا باخفاق ^(٢) الابل . . .)

وقد كان طوط تلمسان الذين عجزوا عن القضاء على قطاع الطرق وبالتالي عن توفير الامن لـ مسافرين ، والمسلمين على تجارة ملكتهم من المغرب ومع بلاد السودان اياما ، يدفعون ليهمل العرب اتاوات من اجل تأمين الطريق من اخطارهم ، ولكنهم لم يتمكنوا اهدا من ارضائهم جميعا ، ولهذا فان بعضهم كان يهدد دائما الطريق ، وأمن المسافرين ، ولا سيما حينئذ في سود الغربيين المتعاونين مع الملوك الزيانيين في فصل الشتاء ^(٣) .

اما السديون ولا سيما الملوك الاوائل منهم الذين اهتموا اهتماما ملحوظا بالتجارة الخارجية فقد اولوا قضية الامن في الطرق اعتما كبيرا ، فأنشأوا الحصون في المناطق المخيفة واقاموا حمايات فيها ، وفي المراكز التي يهددها الأتراك ، والتي تمر منها القوافل التجارية . وسلطوا مقتويات الشديدة على المنحليين بالامن في الطرق ، وشتوا بعض القبائل في المناطق الموحشة قاصدا ما يتفقها من الاراضي وحملوها مسؤولية ما ينشئ للمسافر في منطقتها ^(٤) .

واما اتراك الجزائر العثمانيون الذين اهدوا بعض الاهتمام بتأمين الطريق البري الشمالي من الخصوي فقد اقاموا الابراج والحصون والحمايات في بعض مراحلها العسكرية وقسطنطينية سبجانه ، وسر النزلان ، وطيانه ، ومازونه ، ومسكر ، وتلمسان . وكلفوا القبائل المخزنية بالامن في ^(٥) اجزاء الاخرى . وعلى أن المتمكن في صادر الفترة موضع البحث يجد ان الامن في الطريق كثيرا ما كان يعطرب ، وان الاتراك كثيرا ما فقدوا السيطرة على بعض اجزاء هذا الطريق خاصة بين الجزائر وقسنطينة عبر مبانه بسبب تهديد القبائل التابعة لبني القاضي ، اولهني عباس له . ومثل ذلك كان يحدث اياما بالنسبة للجزء الراهل بين قسنطينة ومسكر ، الذي كان تحت نفوذ رباب الذواودة .

واذا الامن الذي كان يكون مشلرنا دائما في الشرق ، وعجز السلطة في البلدين عن توفيره بشكل وتمام ، فقد كان التجار الجزائريون الحقوبهون الى المغرب والتجارة والحجاج المغاربة ما

(١) المباشري : المرجع السابق ج ١ ص ٤٣٠

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٤١٥ - ٤١٦

(٣) الوزان : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٦

(٤) مارمول : المرجع السابق ج ٣ ص ١٤ . المجهول : المرجع السابق ج ١ الاخراني النزهة ص ١٥٨

(٥) وانظر عهد حسن بن خير الدين . وعهد محمد بن صالح رابح في هایدو : المرجع السابق ومرسني : المرجع السابق ج ٣ ص ١٢٨

(٦) مرسني : المرجع السابق ج ٣ ص ١٢٣

محتوجينهم إلى الجزائر والمشرق بمقدون طلي أنفسهم . فكانوا يسلحونهم معهم اسلحتهم
دفاعية ، ويستأجرون أحيانا بعض الرماة المسلمين لرد اعتداء الغنميين . كما كانت القوافل
تسلح بعضها أحد رماة الدين المرابطين ، إذ كان هؤلاء موضع احترام من قبل قطاع الطرق .
ذكر عابد وبهذا العدد أنه يكفي للمسافرين عن طريق جبال جهيل ، حيث يوجد عدد كبير
من قطاع الطرق الشرسين أن يسلحوا معهم أحد المرابطين لاجتياز الطريق دون أخطار^(١) .
وأما ابن عسك فقد ذكر من جهته أن حجاج المغرب كانوا يصحبون معهم الشيخ الرحمان ،
عبد الله محمد الزيتوني ، لا تقاء شر قطاع الطرق . وكان عرب أنجاد والزاب ، وأفريقا (تونس) ،
و جرائتهم وتمردهم كانوا لا يتفرغون لركائبه بسوء ، لما رأوا من خرق الصوائد التي أجراها
له سبحانه على يده^(٢) . وأورد نقلا عن مسافر سبيل له السفر مع الشيخ الزيتوني . أن عرب
الزاب اجتمعوا ركبهم هذا الأخير من كل الجهات ، فأخبروه بذلك ، وقد كان معه ، أسود اللون ، فأخذ
فئة من التراب ورش بها يمينها وأخرى رضى بها يسارها ، وثالثة إلى الامام ورابعة إلى الخلف ،
فمن ذلك التراب سبيل من النحل فشردت خيل العرب ، حتى غابت عن أعين الركب ، ثم
لبث أن عاد العرب في آخر النهار على أربابهم ، بالبق والغنم وأسلهم وأولادهم بين أيديهم ،
يركون بالشيخ ويستعطفونه . وذكروا عابدين الهول من تلك النحل^(٣) .
وحتى الطريق البحرية بين المغرب والجزائر لم يكن آمنا كثيرا ما تعرضت السفن المغربية
للبزائرية التي تعدد الشبار ، أو الحجاج ، أو البشاش كالتي هجمت من القراصنة الأوربيين ، انتقاما
من غزاة البحر المسلمين أو طلبا للريخ ، وهي ذاهبة نحو الجزائر وآتية منها^(٤) .
وهكذا فإن الخطار انصرف على الطريقين البري والبحري ، إلى غرض من الأغراض كانت كبيرة ،
لأن الذي كان له أثر سلبي على الحياة الاقتصادية في البلدين ، ومن ثم على العلاقات
اقتصادية بينهما .

ولكن اضطراب الأمن في الشرق الداخلية والطرق الراهلة بين الجزائر
لمغرب . إن كان عاملا ذا تأثير سلبي على الحركة التجارية بين البلدين ويتنافس
ذلك مع حالة الأمن البرية السيئة لاقتنارها كما ذكرنا إلى التمهيد الجديد ، وإلى المرافقين
التي تجعل السفر فيها مريحا ، فإن هذين العاملين الهامين لم يوفقا أبدا حركة القوافل بين البلدين

(١) هايدو / الدبلوماسية في المجلد الإفريقية عدد ٨٥ / الجزائر ١٨٧١ - ٢١٨٤

(٢) ابن عسك : دوعة الناشر ٥٤ - ٥٥

(٣) محمد داود / تاريخ تلمسان - المجلد الأول ٨٤٠ دوفرايون : المرجع السابق ص

القوافل المتبادلة :

وإذا فتحنا باب الحديث عن القوافل المتبادلة بين الجزائر والمغرب فإنه يمكننا الحديث على الأقل على نوعين من القوافل :

١- القوافل البرية : وهذه يمكن ان نقسمها الى نوعين :

١- القوافل التجارية البحتة

٢- القوافل ذات الطابع الديني والتجاري

ب- القوافل البحرية المتعددة الأغراض وما يتبعها من نقل الركاب من بلد الى آخر

١- وإذا تطرقنا بالمزيد إلى القوافل التجارية البحتة يمكن ان نقول ان تنظيم هذه القوافل

ومواعيد تحركاتها ومسيرتها ، ومدى نجاحاتها ومقدار حملاتها ، الى غير ذلك من التفاصيل

لا تزال غير معروفة بشكل مبدئي ودقيق ، على انه يمكن القول من جهة اخرى انه في ظل

الظروف الراهنة في الشرق التي كانت تكون دوماً مضطربة ، بسبب حروب قذافي على ليبيا

ولا سيما التباين بينهم فقد كان هؤلاء ينتقلون في قافلة او اكثر ويستأجرون مسلحين خصيصا

لدفع اذى قطاع الطرق عنهم . وقد يصبحون معهم كما ذكرنا احد المراهقين لنفس الفرس

ودليلنا عارفا بالاربعين انهم اجزاء الاربعين ملحوسة الصالح ، لا يهتدي فيها الا من سار عليها

مرارا وبعدة الى الريف الصحراوي على الحدود ، اما وسيلة النقل الرئيسية في القوافل التجارية

البرية فكانت الابل بالدرة الاولى ، ثم الخيل ، والبغال وغيرها من الحيوانات القادرة على حمل

البضائع الثقيلة ووقائع المسافات البعيدة وتحتل المشاق ومن التمكن في قراءة المسار

المسيرة للفترة موضوع البحث نعلم ان تجارا جزائريين كانوا يذهبون الى المغرب بقصد التجارة

في مدنه ومراكزه كغزة ، وفجيج ، وسجلماسة وغيرها ، وذلك في جماعات او قوافل صغيرة او كبيرة ،

كانت هذه القوافل تتكون من طين الجزائر (١) ، وطمسان وغيرها محملة بالمواد والسلع التي ذكرها ،

وكذلك الاثر بالنسبة للتجار الحفارية الذين كانوا يتوجهون الى طلمسان وغيرها من المدن

الجزائرية الشمالية والبرنوية وقوافل متفاوتة الهمية

وفي مذكرات ولهم لانكو ما يؤكد استمرار تربية القوافل من احد البلدين الى البلد الآخر

ان يشير الى ذهابه من الجزائر الى المغرب رفقة ثلاثين من تجار الجزائر واثنين من

الانكشارية وتربان . . . ولكن أما من هذه القوافل البحتة لم تبلغ فيما يبدو اهمية قافلة سلا

التجارية التي كان لها اليد التجارية تمتد من سلا بالمغرب الى تونس عبر الجزائر (٢)

(١) انظر مذكرات وايم لافلو / في / مجلة تطوان عدد ١ ص ١٢٨

(٢) انظر من هذه القافلة : - EMERIT (E.): OP. CIT., P.P. 41 - 42.

وإن كان غير معروف بالشهيد متى ابتدأ انتظام هذه القافلة هناك، ففي الحقبة التالية للفترة موضوع الدرس واحدة من أهم القوافل التجارية التي كان يشمل نشاطها الاقتصادي أقصى بلدان المغرب الكبير . وقد كانت هذه القافلة التي تتألف من نحو مائة جمل تنطلق من سلا محطلة ببضائع المغرب، كوخش، بلاد السودان، من منسوجات صوفية، وادوات نحاسية، وشمع العقاقير كالزبدفر، والنقد الذهبي، وغير ذلك، مارة بطنس، ومعسكر، والجزائر، وقسنطينة إلى أن تبلغ تونس عادة قبيل شهر رمضان وبعد أن تستكمل مبادلاتها التجارية فيها تأخذ في العودة إلى المغرب عبر الجزائر^(١). وليس بأيدينا من الأسماء ما يسمح لنا بتقدير دقيق لحد من أهمية مبادلات قافلة سلا التجارية ما ولدت حجم المبادلات التي كانت تجر من بين الجزائر والمغرب، بفضل القوافل المتبادلة بينهما، ولكن من المنتظر ألا يكون الحجم الإجمالي كبيرا، وذلك لأن وجهة مبادلات البلدين، كانت على العكس في اتجاهي الشمال إلى أوروبا، والجنوب إلى بلاد السودان.

٢- قافلة الحج المغربية :

وعند القافلة سنوية، كانت تتحرك من المغرب نحو البقاع المقدسة في مطلع شهر / ربيع من كل عام، تحت قيادة مسوول مغربي يحمل لقب أمير الركب . يكون غالبا من المقربين للأسرة الحاكمة في المغرب أو من أفرادها، سالكة أحد الطرق التي تقدم ذكرها عبر الأراضي الجزائرية في كداهها وأيامها .

وقد كانت هذه القافلة أكبر من قافلة سلا . وأهميتها على صعيد المبادلات التجارية بين البلدين كبيرة . إذ إن أهمية هذه القافلة وإن كان لها بعض الأساس ديني، وتتألف أساسا من الرافقين في أداء فريضة الحج، فقد كان يرافقها تجار، وكان الحجاج أنفسهم يتاجرون في الطريق، فاما أحضرهم معهم من بضائع المغرب في طريق ذهابهم، كالصابون والجلود وغير ذلك، أما أحضرهم من المشرق في طريق عودتهم كالقمشة الهندية، والمطهر، والسبعينات وغير ذلك . ويشترون ما يلزمهم من المواد الغذائية ولوازم السفر^(٢).

فكان لذلك مرور قافلة الحجاج الحفارية مناسبة ثمينة للتبادل التجاري، وتنشط فيها حركة المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب ولا سيما في المراكز التي يمر بها ركب الحج المغربي إن كان التجار يهيئون إليها بهذه المناسبة حتى من الأطراف المجاورة لمبادلة سلهم فيها مع الحفارية . لكننا نفتقر أيضا إلى الأسماء التي تمكننا من تقدير دقيق لحجم المبادلات التي كانت تتسم

(١) نفسه : ص (٤٢-٤٣) .
(٢) انظر عن قافلة الحج المغربية : القياشي : « الموائد » ج ٢ ص ٤١٢-٤٢٢ و :
- Rozet et Carotto: Algérie, Tunis 1980, P.F. 129 - 131.

بهذه المناسبة . وليس لنا الا القول بأن هذا الحجم ليس ثابتا ، وانما يتقلب تبعا للظروف
في كانت توتر على المراكز التجارية ، التي تقع على خط سير القافلة المغربية كالامن ، والمجاعة ،
وباء ، والظروف التي كانت توتر ايضا في ركب الحج المغربي ^{فتجمله} ضخما احيانا يقارب عدد افسراده
عشرة آلاف ، وتجعله احيانا اخرى يقتل عن ذلك بكثير ، وهذه الظروف هي الظروف السياسية
التي تهيئ للصحة السائدة في كلا البلدين . (١)

القوافل البحرية : واذا كانت القوافل البرية تعتمد اساسا في حمل البضائع على الاهل
لدرجة الاولى ، وبالدرجة الثانية على بقية الحيوانات القادرة على تحمل المشاق والاشغال ، كما
لقد قلنا ، فان وسيلة النقل في القوافل البحرية هي السفن بمختلف احجامها . وقد كانت
قوافل البحرية متعددة الافراس ، ان كانت تقوم بنقل البضائع والتجار والحجاج والسفراء
من المسافرين . وتؤكد المصادر والوثائق المعاصرة ، ان حركة نقل الركاب والبضائع
في الاتجاسين بين الجزائر والمغرب كانت قائمة وقوية ، كما يفهم ذلك من قول المؤلف المجهول :
() وكانت عمارة هذه الجزائر وسفنهم لا تخلو من مرسى بادس . وسافر اهل الجزائر لا يركبون
الى المشرق او المغرب الا من بادس ولا تنقطع منها عمارة الترك في كل اوان (٢) .

وفهم ذلك من قول هايدو : () ان تجار الجزائر يرسلون الى فارس عن طريق تلوان بضائعهم
لمختلفة . . . على متن سفن ذات مجاذيف كانت تبحر في كل الفصول ويرافق بضائعهم
بناءهم او مواليمهم الاعلاج او اقاربهم ليعيها هناك واستخلاص اثمانها (٣) .
وتؤكد الوثائق حركة نقل البضائع والمسافرين التي كانت قائمة بين البلدين ، على متن السفن
الجزائرية في قوافل . ومن هذه الوثائق رسالة من السفير الانجليزي في اسبانيا والتراتسطنون
سنة ١٦٢٠-١٦٢٥ ، الى لندن كالغرت ورد فيها ما يلي () وقد علمت من بالقة ان السفير
روبرت مانسل " اميرال الاسطول الانجليزي " له علم بمراكب تركية مهيئة بحمولتها الفخمة
في وادي تلوان ، وهي الآن في الاستعداد للابحار الى الجزائر . . . وقد خرجت

- (١) روزي كاريت : تاريخ المربيع السابق ١٢٤١-١٢٦١
- (٢) المجهول : المربيع السابق ص ٣٦ . ولكن تردد سفن الجزائر على بادس ثوقد بعد ان احتل
اسبان حبر بادس واقاموا فيها حامية لهم في سنة ١٥٦٤ م وتحول نشاط السفن الجزائرية
الى تلوان وغيرها .
- (٣) هايدو : الجغرافية في / المجلة الافريقية عدد ٨٥ ص ٥٥
- (٤) محمد داود : تاريخ تلوان - المجلد الاول ١٩٥٩ ، ص ٨٦ ، وهو ينقل عن الوثائق
الانجليزية .

راكب المذكورة في رسالة السفير من تدوان صعدة بالسلح والساافرين، فتمرد لها إلا ميسرال
مذكور واستولى عليها، وهذا يؤكد أنها ما ذكرناه من اعتماد الامن على الطرفين المحسرين
ما . وقد كان من بين المسافرين اندلسيون باعوا امتعتهم لها جروا الى بعض اهلهم
الجزائر (١).

وفي الوثائق الهولندية اشارات عديدة مماثلة لاعتداءات قطع الاسطول الهولندي الحربية
على السفن السلالية المغربية المتجهة الى الجزائر والايمة منها، وهي محطة بالمناقص
تجارتها (٢).

وهذا كله يؤكد ان شركة التجارة بين البلدين من لوسق البصرة وبواسطة قوافل السفن
التي كانت كانت هامة، وقد لا تنقل، اذ سميتها عن تجارة القوافل البرية ان لم تنقلها،
ولكن اسئلة عديدة لا تزال تفتقر الى تفصيل، الا اشارة عنها كتنظيم قوافل السفن، وعدد
بعض حمولتها، وما اذا كان بعضها مختصا فقط بحمل الركاب واخرى بحمل البضائع فقط،
من هذه السفن . . الخ من التساؤلات التي تلي ايجابتها مزيدا من الاغواء والتي تسا عني
في تحديد حجم المبادلات بين البلدين، وبالتالي معرفة مدى اهمية المبادلات بينهما والسؤال
تأكد من كلما تقدم ان شركة القوافل البرية والبحرية التجارية والدينية والناقلة للركاب
تم تنقل بين البلدين في جميع الظروف .

المواد التجارية المتبادلة :

اما المواد التجارية التي كانت تشملها المبادلات التجارية بين
الجزائر والمغرب فاعتمادا على ما تذكره المصادر والوثائق المعاصرة فان الجزائر كانت تصدر
الى المغرب من اريق البحر غالبا السبوت والخباز والاقشة الهندية والقسلندانية والاجواغ
لانجليزية و المواد المباشرة الناتجة عن بعض الحشرات المحمولة من امريكا التي استأنتها اسبانيا
تنوعا على نوع من الشجر النوبي المسماة (COCHENILLES D'ESPAGNE)
والحرير التونسي وغيرها (٣).

وكانت الجزائر تصدر الى المغرب من البر وبواسطة القوافل التجارية وقافلة الحن المغربية
بعض الحرير المصنوع من تونس، واقشة الدفنية المصنوعة في واحات الجزائر كالجزائري والسمالك
وباب الركوب، والمواد التوتونية والماشية ولوازم السفر كالبراد والحبال، والصابون والتمر والدروع وغيرها (٤).

- (١) نفسه
(٢) محمد حجي : الزاوية الدلاوية ص ١٧٨-١٨٨، ١٩٥، ٢٢٤، وهو ينقل عن الوثائق الهولندية
(٣) هايدو : الجغرافيا ص ٨٥، ص ٥٤-٥٥ و ٢٠٠ م . م اسبانيا ج ١ ص ٨٣-٨٤
(٤) كاريث : المرجع السابق ص ٩٣ وراكب تجارة الجزائر مع مكة والسودان ص ٤
والماشية : المرجع السابق ج ١ ص ٢٦ وغيرها .

١٤ المغرب فكان مصدر من المزيقيين البحري والبري المواد التالية (١) السيلي الجزائري،
السل والصابون، ورنجة من التراب كان يستعمل في التخليق كالصابون يربط بالفسفـ (١)
والذهب والاصجار الكريمة والسكر (٢)، والجلود المدبوغة في تافيلالت والمعروفة لذلك بالقبلا لبيسة،
والبلغات المصنوعة من الجلد، والحيك الصوفية والسلاح (السيوف والبنادق)، والحدود،
والانسجة القطنية والخردرات، والامشاط، والشراشي، والاقمشة الحريرية، والخيول، والنقود
وتبر الذهب والسرفين، والبخور، والنيلة وغيرها (٣).

وقد كان العبيد او بالاحرى المستعبدون، من الاسرى النصارى على الخصوص، يشكلون مادة
تجارية مربحة في كلا البلدين، ومادة للتبادل التجاري بينهما، خاصة حينما يكون لدى غزاة البلدين
خرج ما في يده اسراهم في بلدهم، كالخوف من ان ينجم عن ذلك نزاع بين حكومة بلادهم وحكومة
البلد الذي ينتهي اليه اولئك الاسرى اذا كانت هذه الحكومة ترتبط باتفاقية سلام مع
الجزائر، او مع المغرب، حين تعرض غزاة الجزائر، او المغاربة لسفنها او شواطئها، بالنسبة
ولذلك فان غزاة الجزائر في مثل هذه الحالة، كانوا يبيعون اسراهم في المغرب (٤)، وغزاة
المغرب كانوا يبيعون اسراهم في الجزائر (٥) فيقتادون بذلك مراقبة قناصل الدول، وشكاياتهم
عن اعمالهم البحرية ضد بلدانهم.

وكذلك كان غزاة البلدين يفعلون بالنسبة لبقية الفنائم التي كانوا يملفون بها في السفن،
والشواطئ، الاوربية. فان غزاة المغرب القبطانيين والاسلاويين، يبيعون بعضها في مدينة
الجزائر، كما ان غزاة الجزائر كانوا يبيعون بعض فنائمهم في المدن الساحلية المغربية (٦)، كـ
وسلا والمراش وبادر، قبل استيلاء الاسبان لحجزها في سنة ١٥٦٤م.

وانا تأملنا في الحوادث المتبادلة بين البلدين وجدنا ان قسما منها، ولا سيما صادرات الجزائر،
هي المواد التي وردت اليها من بلدان اخرى كما تشير الى ذلك الاوصاف الطحـ
بطاك البضائع. كلاقمشة الهندية او القساطينية، والاجواخ الانجليزية والحرير التونسي، والتبر
السوداني... الخ او من غنائم الغزو البحري، مما يدل على ان الانتاج المحلي ولا سيما انتاج
الجزائر كان ضعيفا لا يرقى للوقوف في وجه البضائع الخارجية التي اخذت تغزو البلد من

- (١) هايدو : المرجع السابق ص ٥٤
- (٢) بريوداي : التجارة والبحرية الجزائرية ص ١٩٠
- (٣) نفسه : ص ٩٩ و كاريت : المرجع السابق ص ٢٣ و : براكن : المرجع السابق ص ٤
- (٤) م . م . م : اسبانيا ج ١ ص ٨٨-٨٩
- (٥) نفسه : فرنسا ج ١ ص ١٣٧-١٣٨
- (٦) نفسه : اسبانيا ج ١ ص ٨٣-٨٤

واستمر غزوها في الفترة اللاحقة على الخصوص حين بلغت الثورة الصناعية في أوروبا أشدها .

وهذا يؤيد القول بأن الجزائر كانت أحد أسوان المغرب في عصر السلع التي لا تنتجها كالسكر والنيلة ، بينما لم تكن المغرب سوقا لانتاج الجزائر .

أما عن حجم المبادلات التجارية بين البلدين ، فإن المصادر والوثائق المتعلقة بهذه الفترة كما بحثنا مرارا لا تمنح فكرة واضحة تتيح بتحديد أي اللغتين هي الراجحة في ميزان المبادلات ، ولذلك فأننا لا نملك إلا أن نظن بأن حجم المبادلات لم يكن كبيرا قياسا مع حجم المبادلات التجارية للبلدين مع الدول الأوروبية . وما يدفع إلى هذا الظن هو العوامل السلبية الكثيرة التي كانت لا تساعد أن هي لم تكن نشاط المبادلات وتوسعا ، وسيأتي ذكر هذه العوامل بعد قليل . إلا أنه بناء على صادرات كلا البلدين ، يمكن ترجيح كفة الميزان التجاري المغربي على كفة الميزان التجاري الجزائري باعتبار أن بين صادرات المغرب إلى الجزائر كثير من المواد المنتجة في المغرب ، والمصلحة فيه .

وسائل التبادل :

أما وسائل الدفع التي كانت متبعة في المبادلات التجارية فهي الدفع نقدا ، والسقايضة . والذي يبدو من خلال الوزن ومارمول أن السقايضة كانت راجحة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وذلك لنقص العملة كوندرتها في كثير من المناطق في كلا البلدين ^(١) . ولكن أسلوب المقايضة تراجع فيما يبدو ، أما الدفع نقدا ، ففي النصف الثاني من القرن المذكور ، والفترة التي تهيأ من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، حيث شهدت هذه الحقبة تدفق الفضة والذهب على أوروبا من أمريكا ، وتدفع الذهب على المغرب من بلاد السودان ، وازدهار الفزو البحري في الجزائر ، وكثرة غنائمه ، مع ازدهار التجارة مع أوروبا ، مما أوجد العملة النقدية ، وكثرة تداولها بين الناس واستعمالها في البيع والشراء .

وقد كانت العملة المتداولة في التجارة بين الجزائر والمغرب هي العملات المسكوكة في البلدين وأهمها : الزباني التلمساني ، وهو من الذهب الخفيف ، ونصفه ، وكان له هذه

(١) الوزن : المربع السابق ج ١ ص ٢٦ ، ٨٩ ، ١١٢ وغيرها .

العملة رواج كبير في البلدين ، وخارجهما في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . وقد كانت هذه العملة تسك في تلمسان فقط في عهد سلاطين بني زيان . وهناك ايضا

وعلة السلطانية ، وهي ايضا من ذهب خفيف ، وكان يضرب فقط في مدينة الجزائر . وكانت قيمته في اواخر القرن العاشر الهجري تساوي ١٤٠ / آسبره واه آسبر او (الآقجة) ، وهي العملة الفضية العثمانية ، كانت مئة وخمسة وسبعون منها تساوي مثقالا فاسيا واحدا . ولكن

انخفاض قيمة الآقجة العثمانية في هذه المرحلة ، بسبب تدفق الفضة الأمريكية الى أوروبا ، ووصولها الى الدولة العثمانية ، بسبب سياسة مراد الثالث العسكرية ، وما نجم عن ذلك من أزمة مالية دفع جعفر باشا (١٥٨٠ - ١٥٨٢ هـ) الى رفع قيمة المثقال الفاسي في الجزائر ، بحيث أصبح يساوي ٢٢٥ آسبر . اما الدينار الذهبي الذي كان يسك في المغرب في عهد المنصور ، والذي كان يتراوى وزنه بين ٢ و ٤ غرام ، فلا ندرى ما كان يعادله من العملة الجزائرية على وجه الدقة .

وقد كانت العملة النقدية العثمانية الذهبية ، المسماة بالسلطاني او السكة (SEQUIN)

والشرقي ، وواحدة منها تساوي ٢٥ آسبر (آقجة) أو أكثر من العملات التي كان يجري تبادل التبادل بها في الجزائر ، كما كانت العملة الاسبانية ، الايكو والريال ، عملة دارجة في مدينة الجزائر . وقد استعمل المياشي الريال^(٣) في مبادلاته . في الجزائر ، واكد هايدوان الريال لرباعي وريال عثمانية . كانت عملة مرفوعة جديدا في الجزائر ، وذلك لانها كانت عملة قابلة للتصريف في مصر ، وحتي في الهند والصين . وقد يكون للاندلسيين المهاجرين الى الجزائر أثر في ترويجه ، والتصريف به ، ولا سيما انهم احضروا منه كمية كبيرة لدى هجرتهم .

ويبدو من استخدام النقد المغربي ، والجزائري ، والنقد الاوربي الفضي ، والذهبي فسي لعمالات التبادلية في هذه المرحلة ، انه لم يكن هناك اية قيود على تبادل النقد بين البلدين ، وبينهما وبين أوروبا . وهذا ما كان قائما ايضا في الانحاء الاخرى للإمبراطورية العثمانية . يستحسن التصريف ان الاوربيين اغرقوا الاسواق العثمانية خلال هذه المرحلة ، ولا سيما في القرن الحادي عشر بالنقد المزيف ، مما دفع الدولة العثمانية الى مراقبة النقد والتأكد من صحته . لكن المصادر المتوافرة لم تشر الى هذا الامر في الجزائر والمغرب . وان كان من المتوقن ان يكون الامر كذلك فيهما .

(٢١) انظر عن العملة المتداولة هايدو : طبوغرافيا في المرجع السابق عدد ٨٦ ص ٩٥ - ٩٦

(٢) المياشي : المرجع السابق ج ٢ ص ٤١٢

(٤) هايدو : المرجع السابق ع ٩٥

(٥) سعيدوني : الجالية الاندلسية في الجزائر ص ١٢

6 - مراكز التبادل التجاري :

وإذا نظرنا الآن في المراكز التي كان يجرى فيها التبادل التجاري بين البلدين خلال الفترة موضوع الدرس وجدنا أنها عديدة تولف المحطات الرئيسية لقوافل التجارة على الطريقين البر والبحر . وأعمها على الطريق البحر : سلا ، تطوان وبادس . ومدينة الجزائر .

أما على الطريق البري الشمالي فأعمها فاس ، تازة ، وتلمسان ، وقسنطينة ، وأعمها على الطريق البري الجنوبي فأعمها سجلماسة ، وتافيلالت وتوفيقية والاغواط ، بسكرة ، وتوفرت ، ووارجله ، وتوات وغيرها .

1 - مدينة الجزائر :

لعل من أهم مراكز المبادلات التجارية بين الجزائر والمغرب أن لم يكن أعمها على الإطلاق مدينة الجزائر هذه المدينة التي اتخذت من الجزائر العاصمة لم تكن لهم تفوق على مدن تلمسان وبجاية وقسنطينة ، وتوسعت بسرعة ، وازداد عدد سكانها حتى أصبحت المدينة الكبرى في شمال إفريقيا (1) وأفضل من جميع بلاد إفريقيا وأكبر تجارا وفضلا ، وأنفذ أسواقا ، وأوجد سلعة ومتاعا حتى أنهم يسمونها اصطنبول الصغير (2) .

كان التجار في مدينة الجزائر يشكلون فيها طبقة كبيرة ، حيث أن كل سكانها كبارا وصغارا ، بما في ذلك حاكمها الباشا ، يشتغلون في التجارة (3) . وكان لمدينة الجزائر تجارة استيراد وتصدير مع دول البحر المتوسط من المغرب إلى اصطنبول ، مثل إسبانيا ، وفرنسا ، والمسلمين الإيطالية كجنوة ، ونابلي ، ومقلىة ، والبندقية ، والايالة التونسية ، والقسطنطينية ، كما كانت لها تجارة مع إنجلترا ، ومنها كانت تحصيل على مواد معدنية كالحديد ، والنحاس والاقمشة المختلفة وكان يأتيها من فرنسا الفولان والخردوات والاقمشة القطنية ومن إسبانيا السوائل المطرية والمواد الباهية ووددة القرمز ، ومن المدن الإيطالية : الأخشاب والصابون والحرير ، ومن تونس الاقمشة الناعمة ، ومن تركيا الاقمشة والسيوف ، وكانت صادرات الجزائر إلى البلاد الأوربية تتمثل في الصوف ، الجلحون ، والشمع والتمر وغنائم الفرو البحر وغيرها (4) . وقد كان يأتيها عدد لا يحصى من التجار المسلمين وغير المسلمين عن طريق البر والبحر ، بالسلع والبضائع المختلفة لتؤكد لهم من الرئيسي من التجارة فيها (5) .

(1) التمجروتي : النفقة المسكية ص 139

(2) هايدو : الجغرافيا في المرجع السابق عدد 88 ص 210

(3) نفسه : عدد 85 ص 52-55

(4) نفسه : عدد 83 ص 21 ومارمول : المرجع السابق ص 232

(5) بروديل : المتوسط ... ج 2 ص 211

وحسب الوثائق والصادر المعاصرة، فإن مدينة الجزائر كان لها مبادلات تجارية مع كثير من المدن المغربية، ولا سيما المدن الساحلية منها، الواقعة في شمال المغرب كبادس، وتارغة، وتطوان، وأصيلا، والمراش، وسلا

٢ - مبادلات الجزائر مع بادن : كانت بادن عمارة على الساحل المتوسطي بشمال المغرب بعد تحرير جبرها " بنون بادن " من الأسبان في سنة ١٥٢٢ متصفاً بالسفن الجزائرية، كما ذكرنا حيث (كانت عمارة أهل الجزائر وسفنهم لا تخلو من مرسى بادن . . . ولا تقطع منها عمارة الترف في كداوان^(١))، وذلك لأغراض مختلفة كالتزود بما يلزمهم من ماء وغذاء أو بيع ما اعتصروه من سلع، أو ما غنموه منها وأسروه من النصارى . أو نقل المسافرين منها نحو الشرق . أو من الشرق إليها^(٢).

وتذكر الوثائق المعاصرة أنه في سنة ١٤٧٢هـ / ١٥٤٠م باع الفخراة الاثراء إلى أبي حنون أمير بادن الأسرى الأسبان الذين وقعوا في قبضتهم لدن هجومهم على جبل طارق، وذلك بـ ٥٠٠٠ دوكات^(٣).

وأنه في نهاية السنة التالية ٧ رمضان ٩٤٨هـ / ١٥٤١/١٢/٢٥ م ذهب ميموث حسن آغا إلى بادس وبعده / ٢٠٠٠٠ دويل (٢ ديلون) لاحتياج السفن وأشياء أخرى كانت مدينة الجزائر في حاجة إليها لمواجهة تهديدات شارلكان بالهجوم عليها مرة ثانية^(٤).

وقد فتحت اتصالات ائترات الجزائر بهادن من أعينهم على أهمية جبر بادن، فلم يلبثوا أن اعتلوه، وذلك في سنة ٩٦١هـ / ١٥٥٤م ومكثوا فيه إلى ٩٧١هـ / ١٥٦٤م تاريخ انتزاع الأسبان له منهم^(٥).

ب - المبادلات مع تارغة : تارغة بلدة صغيرة على الساحل المتوسطي للمغرب تقع على الشرق من تاوران بنحو ٣٠ كم . وهي محطة من المحطات التي كانت تتوقف عندها السفن الجزائرية الناقلة للمسافرين^(٦)، أو سفن الفخراة من أجل التزود بما يلزمها . . . وتذكر الوثائق أن قائد تارغة، وعمره رابن راشد، أمير إمارة شفشاون، أرسل في سنة ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م، الأسرى النصارى الذين كانوا في تارغة إلى الجزائر . . مما يدل على العلاقات السياسية والاقتصادية الحسنة الحظية التي كانت بينه وبين ائترات الجزائر . وبين تارغة ومدينة الجزائر^(٧).

(١) المجهول : تاريخ الدولة السعدية ص ٣٦

(٢) نفسه :

(٣) م.م.ت.م : اسبانيا ج ١ ص ٨٨-٨٩

(٤) بريموداي : الوثائق المغفلة ص ٢٥٢ - ٢٥٣ وبروكجر : المفاوضات بين حسن آغا والكونت دالكوديت في المرجع السابق ص ٣٨١

(٥) م.م.ت.م : اسبانيا ج ٣ ص ٥٩-٦٠ (تحليل شانتال) ومارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥١-٢٦٦

(٦) التجبروتي : النبعة ص ١٢

(٧) م.م.ت.م : فرنسا ج ١ ص ١٣٧ (أرسل ثلاث دفعات من الأسرى كدفعة تتألف من ١٨ أو ٢٠ أسيراً) .

دلات الجزائر مع تطوان :

هذه المدينة المغربية المتوسطة الهامة، الوحيدة التي لم يستطع برتغاليون والاسبان احتلالها، بعد تبديد الاندلسيين لبنائها، في اواخر القرن التاسع هجري الخامس عشر الميلادي، رغم قربها منهم . فقدت المنفذ البحري المغربي الوحيد للمتوسط، بعد ان احتل البرتغاليون والاسبان مدن سبتة وطنجة ، والقصر الصغير ، ومليلة ، جرجادس ، وغساسة .^(١)

ومنذ الثمانينات من القرن الماضي الهجري / السادس عشر الميلادي على الاكثر، نوطدت العلاقات الاقتصادية بين مدينة الجزائر وتطوان . ان تذكر الوثائق ان خير الدين بروس توبه سنة ١٥٣١م ان تطوان لشراء العيوب منها ، ذلك ان مدينة الجزائر كانت آنئذ تعاني القحط وقلة الزن^(٢) ، مما يدل على ان المغرب والجزائر كانتا تتبادلان القمح وبقوا الفداء رئيسي للسكان، في حالة القحط في احد البلدين دون الآخر . في تطوان طارت سفن الجزائر تذهب في كل وقت، وفي حاوية لتجار الجزائر المتجهين الى المغرب وخاصة الى فاس ، وضاحهم المتنوعة^(٣) . وتجار المغرب وحجاجه وسائريه سائدين الى بلادهم ، ومنها كانت تحود، وعلى متنها المسافرون المغاربة حجاجا كانوا ، ام سفراء تبارا، ام غير ذلك . وكذا التجار الجزائريون ، والبضائع المغربية المستوردة من عسل وسكر ملبون وجواهر وغير ذلك .^(٤)

وفي تطوان كان فزاة البحر الجزائريون يهودون استقبالا لا ثناء، ويتزودون بها يلزمهم^(٥) مطلقون من فزاة تطوان في مجموعات مشتركة على السفن والشوالمى^(٦) الاسبانية، البرتغالية، برما^(٧) . وفي تطوان ايضا، كان الفزاة الجزائريون يبيعون احبانا مفانهم، للمسود^(٨) الفزوة نورا .

ولما كانت تطوان تحقق بدون شك ارباحا من تجارتها مع الجزائر وغزاتها، فان السيدة العيرة كمة تطوان^(٩) ، لم تنقيد بأمر سلطان فاس بحظر دخول السفين من الجزائر^(١٠) .

- (١) الوزان : المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٨ ومحمد داود تاريخ تطوان المجلد الاول ص ١٢٢٨
(٢) : م.م.ت.م : اسبانيا ج ١ ص ١ - ٢
(٣) هايدو : طهوفرافيا في المرجع السابق عدد ٨٥ ص ٥٥
(٤) نفسه : ص ٥٤ وبرمودان : التجارة ص ١٩٠ والتجروتي : النفعة ص ١١
(٥) مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤٣ ومحمد داود المرجع السابق ص ١٨٦
(٦) هايدو : المرجع السابق ص ٤٦
(٧) هي عائشة بنت علي بن موسى بن راشد امير شفتاون كانت زوجة للخصم الثاني اسم الثالث للسلطان احمد الوطاسي في سنة ١٥٤١ . آل حكم تطوان اليها بعد وفاة الخصم الثالث سنة ١٥٤٢ هـ ولكن آل النضرى مالبثوا ان يطأوا بها لما تزوجت بالسلطان الوطاسي وذلك سنة ١٥٤٢ انظر محمد داود المرجع السابق ص ٨٦ و ١٢٠٠ م.م.ت.م : اسبانيا ج ١ ص ١٠٦ - ١١٦
(٨) م.م.ت.م : فرنسا ج ١ ص ١ و ١٣٧ . ومارمول : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٤

ولضرب التهامون الذي كان قائما بين أهالي تلمسان والجزائريين في مختلف المجالات، ذلك
تسامون الذي حاد باضرار كبيرة على الاسبان والبرتغاليين، وانحكام نون من الحصار الاقتصادي
في الجزائر وتلمسان، فان فيليب الثاني امر بسد مدخل نهر تلمسان، لمنع تردد السفن
الجزائرية على تطوان او خروجها منها، ولكن معاملة الاسبان لتحفيش ذلك في سنة ١٥٦٤ كانت
ون جردون، اذ ان التيارات جرفت الصخور وسد السفن التي أغرقوها في مدخل النهر (١)
ستمرت السفن الجزائرية بتروح وتفقد الى تطوان لمختلف الأغراض الاقتصادية.

مبادلات الجزائر مع بقية مدن شمال المغرب : لم يقتصر تردد غزاة الجزائر على بادس وتطوان

في شمال المغرب، بل كان غزاة الجزائر يذهبون بسفنهم المحملة بالفنائم والاسرى الى شواطئ
سبلا وطنية والقصر الصغير وسبتة، وهناك كانوا يبيعون للمغاربة البضائع والاسرى، كما كان
غزاة الجزائر يتوجهون الى المراكش للخرق نفسه، وللتزود بما يلزمهم، ويبدو ان تردد غزاة
الجزائر على شواطئ شمال المغرب لبيع الاسرى والفنائم كان كثيرا، الامر الذي يفسر وضع
البرتغاليين لشرط في اتفاقية السلام التي أبرمها مع السلطان احمد الوطاسي
في ٤ مارس سنة ١٥٣٨، لمدة احد عشر عاما، يدر على حطرت سرا، رعيا السلطان في مناطق
سبلا وطنية والقصر الصغير وسبتة، الاسرى النصارى من غزاة الجزائر، ومصادرة البضائع مسن
لغزاة واعادت الى اليهم (٢)، ولكن هذه الاتفاقية لم تعتر من الطرد الوطاسي حيث استمر غزاة
الجزائر الاترا يترددون على شواطئ المغرب الشمالية لبيع مغانمهم من البضائع والاسرى.

مبادلاتها مع سبلا : هذه المدينة كتطوان ازدهرت ونمت بعد ان استقر فيها الاندلسيون

سيما بعد النفي الاكبر، ونشأ بها وبين مدينة الجزائر علاقات اقتصادية قوية، بحيث كان
غزاة الجزائر يترددون على سبلا لبيع مغانمهم من الغزو البحرى، كما يأتي غزاة سبلا لبيع مغانمهم
في الجزائر عيين بعضى هؤلاء، اولئك من المراقبة في سبلا وفي الجزائر (٣).
كان غزاة سبلا والجزائر يفرجون احيانا في عمليات مشتركة للغزو البحرى، وقد يهملون الاسرى
شواطئ الانكليزية والارندية.

مارمول : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٤ و ١ . بوليه . المرجع السابق ص ٨٥

٢٠٠٠ م . ت . م : اسبانيا ج ١ ص ٨٣-٨٤ .
نفسه : فرنسا ج ١ ص ٢٨٣-٢٨٥ واسبانيا ج ١ ص ١-٣ وهاب دو : الطبوغرافيا

ص ٨٥ ص ٤٦

٢٠٠٠ م . ت . م : اسبانيا ج ١ ص ٨٣-٨٤

١ . كور : المرجع السابق ص ١٦٣-١٦٤

ابن تاويت : من زوايا التاريخ المغربي / في مجلة تطوان / عدد ١٠ ص ٢٦٠٢٣
رسالة طوماس سيلي / الى المجلس الاستشارى في افريل ١٦٢٥

وفي العهد الذي مضت فيه سلا الى الدلائيين، ((١٠٧٤ - ١١٥١ هـ / ١٦٦٤ / ١٦٦٥)) وتولى الامارة فيها الامير الدلائي عبدالله بن محمد الحاج ((١٠٦١ - ١٠٧٤ / ١٦١٥ - ١٦٦١)) اقام تجارة نشطة بمدينة الجزائر عن طريق البحر فكانت السفن التجارية المتوجهة من سلا الى الجزائر، والمساعدة من هذه الاخيرة اليها، والمحملة بمختلف السلع، لا تنقطع، مما كان يدر على الدلائيين ارباعا طائلة. وقد ادرك الامير الدلائي المذكور، منذ بداية ولايته، اهمية التجارة مع الجزائر ونزاتها، فرفض القبول بمساعدة من الهولنديين تنزع على أن لا يسمح لفكرة (قراصنة) الجزائر، وتونس، وطرابلس ان يهيئوا ما يستولون عليه من الاسرى الهولنديين، وبضائعهم، وعلى الا يسمح لاذتران بعض رسائل امتياز سلا (٧).

وحسب امريت (E M E R I T) فان سـ... كانت لها تجارة واسمة عن طريق البحر
لهم فقط مع الجزائر والذين ايضا مع تونس بفضل قافلتها التجارية^(٣) البرية التي اشرك اليهم...
والتي كانت تتعبر كل سنة مارة بتلمسان ومعسكر ، ومدينة الجزائر التي غدا للسلاويين فهنا
شان يسمى باسمهم^(٤) ، وقسنطينة وذلك في طريق ذهابها الى تونس.

مبادئ لائحه مدینه البزائر مع قاس :

كانت فاس عاصمة المغرب الاولى في عهد المرينيين والوطاسيين
 احد مراكز التجارة والصناعة في المغرب •

و كانت المبادلات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينة فاس تتم عن طريق البر والبحر . والمبادلات
عن هذا الطريق الاخير كانت تتم عبر ميناء بادس ولا سيما تطوان ، فمهر هذه المسند ينسبة
الاخيرة كان التجار الجزائريون يسدرون الى فاس ما تقدم ذكره من البضاعة كالسيوف والخنابجر
والاقمشة الهندية والتركمية^(٥) وبعضهم كانوا يرافقون بضاعتهم الى هناك . ومن بين هؤلاء :
لتجار اليهود في الجزائر^(٦) وعن طريق البحر والبر كانت الجزائر تحصل على ما تقدم ذكره
من بضائع المنزلة كالسكر والصابون وغير ذلك .

وقد يرافق قوافل التجارة بين المدينتين تجار من الدول الأوروبية . وكشأن على ذلك نذكر
أنه في سنة ١٦٠٥ توجهوا لهم لانكو والجوهري الفرنسي شاتلين الى فاس بالمغرب رفقة ثلاثين من
تجار البزاز (٨) .

(محمد مجبى : الزاوية الدلائية ص ١٧٨)

(۱) نفسه : ۱۸۷-۱۸۹ م . م . ت . م : هولندا ج ۵ س ۲۹۶

(١) م. ايجريت : المرجع السابق ص (١-٢) .

(نور الدين عبد القادر : صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ع ١٦٥)

(مایندو : باهر قراضیا عدد ۸۵ سی ۵۵ (۷) نفسه عدد ۸۵ سی ۵۴)

(نقشه : عدد ۷۱۵۸۷)

(انظر مذكرة ولهم لا تعلمون)

1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 2680, 26

لات مدينة الجزائر من بقية المدن المغربية :

كانت مدينة الجزائر على اتصال وعلاقة تجارية

بمختلف مدن المغرب وبمختلفاته المختلفة وذلك إما عن طريق تجارتها أو غزاتها الذين يقصدون تلبون
وغيرهما من المدن في شمال المغرب ، ولا سيما الساحلية منها كما رأينا ، أو عن طريق
تجارة والحجاج المغربية انفسهم الذين يملكون الطريق البحري ويسافرون على متن السفن
الجزائرية أو الطرابلسية البحر التلي ، فبواسطة هذه الطرق كانت مدينة الجزائر على
اتصال بتادلا ، و تافيلالت ، والسوس ، وغيرها من المدن والناطق ، وتحصل منها على بعض
منتجاتها كالجلود الفيلالي من تافيلالت^(١) ، والصابون الذي يشتهر بصناعته بنو وابدو ، ونسج
فيلدق بجبال الريف بشمال المغرب^(٢) .

ولرواج بعض صادرات المدن المغربية مدينة الجزائر ، وعلة بعض هذه المدن وأهمها
مدينة الجزائر ، اشتهرت في هذه الأخيرة اسما ، التادلي والفاسي والفيلالي والسلوان وغيرها^(٣) .

سان : كانت تلمسان قاعدة ملك بني زيان ، مركزا تجاريا رئيسيا في الغرب الجزائري للصادرات
تجارية بين الجزائر والمغرب ، ومصلحة من محطات التجارة الدولية بين أوروبا وبلاد السودان ،
من مدينة فاس المغربية ، وتتفوق عليها أحيانا .

وقبل ان تفقد تلمسان مركزها كقاعدة للدولة في الجزائر لصالح مدينة الجزائر ، كان لها
لات وعلاقات تجارية مع كثير من المراكز التجارية المغربية كتازة ، وفاس وسجلماسة ، ودرعة وفيجيج ،
وإلخ ، تصدر اليها وتستورد منها . قال تازة ، كان تجار تلمسان يتوجهون بها ثم يذهبون
مختلفة . قال مارمول : (ان لتجار تلمسان وفاس وغيرهم تجارة قوية فيها . وان من مصلحة
كانت تمنح المصالح المباشرة والتي تبعد عنها بنحو ٣٠ / مرحلة بما تحتاج اليه من القمح^(٤)
إلى العاصمة تازة الاقتصادية لا تخفى ، إذ هي تقع على الطريق الرئيسي بين تلمسان وفاس موصلة
من الشعب إلى لائق القمح وثروة الماشية^(٥) . ومن المنتظر ان تكون الحبوب والماشية
تجارتها كالصوف والألبان ، من صادرات تازة إلى ما جاورها من البلاد الجزائرية ، كتلمسان وغيرها .
وقد كانت تلمسان تستورد المنسوجات الصوفية ذات الجودة العالية من فجيج^(٦) ، كما
تتحصل من سجلماسة ودرعة على ما تحتاج اليه من الجلود ، والنميلة التي كانت تستعملها

نور الدين عبد القادر : المرجع السابق ص ١٢٠

الوزان : المرجع السابق ج ١ ص ٢٨٨

نور الدين عبد القادر : المرجع السابق ص ١٤١

(وه) مارمول : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠٠

نفسه : ج ٣ ص ٢٨٠

(١) وفي مقابل هذا رافدها الى هذه المراكز من الصنوعات والمنسوجات المختلفة . كانت تلسان مركزا صناعيا متقدما ، بمقارنتها مع غيرها . وقد كان التجار التلسانيون يدونون على فاس للبيع والشراء ، وكذلك كان تجار فاس يفعلون .

وبحكم موقع تلسان الهام الذي جعلها بوابة تفتتح على شرق المغرب وغرب الجزائر ، فقد كانت القوافل البرية للتجارة ، والحجاج الذاهبة من المغرب نحو الشرق (٢) ، والآية اليه تسمى بها وتتزود فيها بما يلزمها ، وتسمى هناك بمضامها . ولذلك فانها كانت مركزا هاما للمبادلات التجارية على المسور الافقي بين الجزائر والمغرب ، بالإضافة الى انها مركز للمبادلات التجارية مع الصحراء الكبرى بين اوروبا وبلاد السودان (٣) .

ولكن تلسان اخذت في التدهور منذ النصف الاول من القرن الماشر الهجري / السادس عشر ميلادي وذلك اولا : لاستيلاء الاسبان على منافذها البحرية ، وهران والعري الكبير وتخريبهم فيها ، وثانيا : لاضراب الامور الداخلية فيها ، نتيجة اطاع الاسبان والسعديين فيها ، وثالثا : لانها لم تكن ان يكون لها اثر في اواسط القرن الماشر الهجري / السادس عشر ميلادي ، وثالثا : لتدهور السعديين لمحور التجارة مع بلاد السودان الى مدينتهم الجنوبية ، مراكش وتازة وتارودانت ، ومنها الى سواحل المغرب الاطلسية فأوروبا .

مراكز اخرى للتجارة والتجارة بين الجزائر والمغرب : كانت واحات بسكرة ، وتوغرت ، والاغواط ، ورجلة ، وتوات ، وتيجارتين ، من بين اهم مراكز المبادلات التجارية بين البلدين (٤) ، وذلك مناسبة مرور قوافل التجار والحجاج المغاربة بها ، ان تشكل هذه الواحات محطات لها ، فيها مستريح ، وتنمقد الاسواق بهذه المناسبة ، فيحصل البين والشراء بين الجانبين المغربي والجزائري . وقد كان المغاربة يحمون معهم للبين الجلود المغربية المحضرة في تافيلالت والاخذية البلدية (البلاغي او البلديات) ، والسحاب ، والصابون ، والنقل ، والاقمشة المغربية ، والخمير وغير ذلك : ويشترون ما يلزمهم في هذه المراكز من لوازم السفر من طعام ولباس ، ومتاع الركوب (٥) .

(١) الوزان : المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٢٤

(٢) المجهول : المرجع السابق ص ٣٦

(٣) الوزان : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٣٤

(٤) نفسه : ج ٢ ص ٤٣٦ ومارمول : المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٠-٢٤٤

(٥) كارت : التجارة ص ٢٣

وكانت للمراكز المذكورة صلات تجارية مع واحات المغرب الجنوبية كتافيلالت ، وفجيج ، والمدن الداخلية كقاس ، ومكناسة . والساحلية كتطوان^(١) ، وقد أدرك السعديين بعد فترة قصيرة من بداية حكمهم في الجنوب المغربي ، أهمية واحات توات وتيجورارين في تنشيط تجارة المغرب ، أو التحكم في محاور التجارة بينها وبين شمال الصحراء ، وبجنوبها ، وبالتالي تحويلها نحو المراكز التجارية في الجنوب المغربي ، كتارودانت ومراكش وغيرها ، فمدوا نفوذهم إليها منذ ١٢٢ هـ / ١٥٢٦ م ثم استولوا عليها في أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي^(٢) . فانتشلت بذلك التجارة في مراكز الجنوب المغربي ، في حين تضررت طلمسان التي كانت تعتمد أساسا على التجارة مع هذه الواحات ، وبلاد السودان ، وهي التي كانت مصدر ثروتها ورخائها ، كما تضررت بالموامل السابقة الذكر .

ولم تخف أيضا على غنائم الجزائر الاتراك أهمية مراكز التجارة الواقعة في أطراف الصحراء وأعماقها ولذلك فقد عطفوا على مد نفوذهم نحو الجنوب إلى مراكش وتوغرت وورجله ، التي تمر منها القوافل التجارية الداعية إلى بلاد السودان والآبيسة منه ، بحيث يمكن النظر إلى توجه كل من حكام الجزائر الاتراك العثمانيين ، وحكام المغرب السعديين على أنه تنافس اقتصادي بينهم من أجل التحكم في التجارة مع بلاد السودان ، وفي طرقها . وقد يكون احتلال المنصور السعدي لسودان إلى جانب ما استفاد منه ، نوعا من السرب الاقتصادية ضد الجزائر .

وكما فقدت طلمسان الكثير من أهميتها وحيويتها للأسباب المذكورة ولغيرها من الأسباب ، فقد فقدت مراكز أخرى خصصت لآتراك ، بعضها وكل أهميتها ومنها مراكش التي أخذت في التدهور في بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، كما يستخلص من ذلك ما قاله المياشي عنها ودونه في رحلته^(٣) .

وأما قسنطينة التي كانت مركزا تجاريا هاما في الشرق الجزائري ، فقد كانت مبادلاتها مع تونس أكثر فيما يبدو ، من مبادلاتها مع المغرب ، إذ كانت قافلتها التجارية تتجه إلى تونس وإلى مكناسات الجنوب^(٤) ، ومن خلال هذه الأخيرة كانت تتبادل البضائع مع المغرب .

كما كان لقسنطينة أيضا مبادلاتها التجارية مع المغرب من خلال قافلة سلا الآفة المذكورة التي كانت مدينة قسنطينة إحدى محطاتها الرئيسية .

(١) نفسه ص ٢٣

(٢) مارتيني وآخرون تاريخ المغرب ص ٢٠٨ ، ٢١٥

(٣) المياشي : المرجع السابق ج ٢ ص ٤١٢

(٤) الوزان : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٦

تلك كانت أهم المراكز التجارية ومراكز التبادل التجاري في الجزائر مع المغرب ، أما أهم مراكز التبادل التجاري في المغرب ، فبالإضافة إلى التي وردت الإشارة إليها وهي باديس ، وتطوان لسراش وسلا ، وفاس وتازة وفصيح ، وتافيلالت ودرعه والسوس ، نشير إلى مراكز عاصمة الدولة سمدي ، ونلاحظ أن مبادلاتها التجارية مع المراكز التجارية في الجزائر تتم على الخصوص عبر مراكز تجارة المغربية في شرقي جنوب المغرب وشماله . ولا يبدو أن مبادلاتها كانت في مثل أهمية مبادلات فاس .

٢ - طبيعة العلاقات والموافق المؤثرة فيها :

ومن كل ما تقدم يستخلص أن العلاقات الاقتصادية بين الجزائر والمغرب في الفترة موضوع درس ، استمرت قائمة ، كما كانت عليه في المراحل السابقة ، ولم تأخذ صبغة سياسية أو لم يسعح الحكم في البلدين إلى إخضاعها لاتفاقيات معينة ، في وقت أخذت الرسوم الجمركية بين البلدين تنسب إلى أكبر فأكثر . ولعل اعتماد الحكم في البلدين على الأسر الإسلامية السنية المالكية ، واحدة في مختلف أصول المبادئ والتبادل والمكوس الشرعية ، لم يشمر الحكم في البلدين عن ضرورة اللجوء إلى مثل تلك العلاقات .

وشكنا لم تأخذ تلك العلاقات صبغة اتفاقات ما بين البلدين ، فإنها لم تكن طابع حرب اقتصادية على الرغم من التناغم بينهما على التجارة مع السودان بصفة خاصة ، وإن كان من الممكن أن ننظر كما أشير سابقا إلى استئثار المنصور للسودان على أنه نوع من حرب اقتصادية خفية ضد المشائين في الجزائر ، وإغلاقه لطريق الذهب البري في وجههم .

كما أن هذه العلاقات على الرغم من تواصلها لم تزدهر بالقدر المنتظر ، وذلك لأن عوامل عديدة كانت تؤثر فيها تأثيرا سلويا ، ولا تساعدنا على النمو . ومن هذه العوامل :

١ - الأوضاع السياسية في البلدين ، وعلاقاتها السياسية ببعضها التي كانت تتميز على الصعيد الداخلي لكلا البلدين بالاضطراب في فترات كثيرة ، الأمر الذي لم يكن يساعد على ازدهار التجارة ، وسائر المبادلات الاقتصادية بين البلدين ، أضف إلى ذلك صراعهما العسكري والاقتصادي مع الأسبان والبرتغاليين .

وإذا ما أزيد النظر إلى تلك العلاقات الاقتصادية فمن المراحل الأربع في العلاقات السياسية يمكن القول :

أن العلاقات الاقتصادية خلال المرحلة الأولى ١٢٣ - ١٥٦ هـ / ١٥١٧ - ١٥٤٩ م التي كانت فيها أوضاع البلدين مضطربة ، والقوى السياسية المتصارعة عديدة استمرت قائمة ، ولكنها كانت تعاني من تلك الأوضاع غير الملائمة لازدهار العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، وصراع

(١) المجهول : تاريخ الدولة السمدي (وفيه إشارة إلى استمرار توجه التجارة الحفارية في عهد عبد الله الخليل بالله إلى الجزائر) انظر ص 36

ملك القوى السياسية التي كانت قائمة فيهما ، فيما بينهما . الا ان هذه المرحلة شهدت مع ذلك قيام علاقات اقتصادية بين الحكام العثمانيين ، وحكام المغرب الوطاسيين ، وامراء الامارات المتابعين لهم في شمال المغرب .

ولكن هذه العلاقات الاقتصادية لم تخضع في هذه المرحلة لاتفاقات مكتوبة ، تقننها وتحدد ها . وبنتيجة للاوضاع السائدة في البلدين في هذه المرحلة فان المبادلات الاقتصادية بينهما ، كانت قائمة على الخصوص بين المناطق المتجاورة في كلا البلدين ، وفي المراكز التي تمر منها قوافل التجارة مع بلاد السودان والتي تمر منها ركائب الحج المغربية في الجزائر ، وبين الموانئ التي كانت تتردد عليها سفن البلدين .

اما العلاقات الاقتصادية في المرحلة الثانية ١٥٦-١٨٢ هـ / ١٥٤٩-١٥٧٤ م ، التي تسببت من الناحية السياسية كما رأينا بالتوتر والذئب احيانا وبسبي حكام البلدين الى السيطرة والتحكم في محاور التجارة عن طريق السيطرة على مراكز التجارة المتحركة في تلك المحاور ، فلم يكن لتزد هرا او تتطور في تلك الاوضاع والظروف . وان كانت تلك الاوضاع والظروف لم تستطع في الوقت نفسه ان تقضي تماما على المبادلات الاقتصادية بين البلدين ، انا ظلت هذه المبادلات ولا سيما المبادلات التجارية تجري في مجراها^(١) ، سواء في المواد التي تحقق لتكامل بينهما ، وبين المناطق المتجاورة ، او غيرهما .

واما في المرحلة الثالثة ١٨٤-١٩٥ هـ / ١٥٧٤-١٥٨٧ م التي اتسمت فيها العلاقات السياسية كما رأينا بالتذبذب بين السلام والتهديد ، فقد شهدت فيها العلاقات الاقتصادية نوعا من التطور والنمو ، كما يستغل ذلك من المصادر المعاصرة . ان تحدثت عن مبادلات تجارية شبيهة خاصة بين الجزائر العاصمة الجديدة وتطوان^(٢) .

واخيرا فان العلاقات الاقتصادية في المرحلة الرابعة ١٩٥-١٠٦١ هـ / ١٥٨٧-١٦٥٩ م ، التي تتوافق في الجزائر مع عهد الباشاوات ، وفي المغرب شطر من عهد المنصور وعهد ابنائه قد تميزت بتحويل المنصور لمحاور التجارة مع بلاد السودان نحو المغرب ، ثم الاستيلاء على اسم هام من بلاد السودان نفسها ، مما كان له اثره السلمي على المراكز التجارية في الجزائر . يمكن ذلك لم يستمر في عهد ابنائه ، فمالت محاور التجارة مع بلاد السودان نحو الجزائر والشرق من جديد ، بينما نشطت المبادلات بين مدينة الجزائر وتطوان^(٣) ، وضعف شأن فاس وتلمسان . اضطراب الاوضاع فيهما خلال هذه المرحلة .

(المجهول : تاريخ الدولة السعدية ص 36) وفيه اشارة الى استمرار توجه التجار المغاربة في عهد عبد الله الخالب الى الجزائر رغم ان العلاقات بين البلدين لم تكن سليمة دائما ، في عهده .
(هايدو : الجغرافيا في المرجع السابق عدد ٨٥ ص ٥٥)
(محمد حجي : تاريخ الزاوية الدلائية)

٢- الواقع الجغرافي الذي يجعل أحد البلدين امتدادا للآخر كما أوضحنا ذلك في المدخل وجعل مواردهما الزراعية والسموئية والباطنية وفعاليات سكانهما في جميع الحقول الاقتصادية متجانسة إلى حد كبير ، وسهل بالمقابل عمليات التبادل الاقتصادي ، إلا أن هذا التجانس أو التشابه الكبير اثر ولا شك في العلاقات الاقتصادية بين البلدين حيث كان وما زال يدفع حكام البلدين إلى تحقيق التكامل مع بلدان اوروبية وافريقية ، جنوب الصحراء ، وبالتالي إلى توسيع مبادلاتهم الاقتصادية معها ، ولكن مع الحفاظ على قدر من المبادلات مع البلد المجاور ، وخاصة في المواد الثقيلة التي ينفرد أحد البلدين بإنتاجها كالسكر في المغرب على سبيل المثال .

٣- حالة الشرق السيئة واضطراب الأمن فيها والبيئة المتكررة ، كانت كلها عوامل في وجه ازدهار الحياة الاقتصادية في البلدين ، ومن ثم في وجه ازدهار العلاقات الاقتصادية بينهما .

٤- انسحاب الحكم في البلدين إلى تنمية التجارة مع الدول الأوروبية بمقدد الاتفاقات التجارية وتشجيع المبادلات مع الدول الأوروبية أكثر فأكثر ، حتى يحصل على المواد والسلع التي كانت تأتي أوروبا من بلاد الهند أو قارة أمريكا ، والتي كانت تنتجها أوروبا نفسها ، وبالدرجة الأولى الأسلحة المتطورة فيها . وبالوقت نفسه تبيع السلطات الحاكمة ، ومضى فئات السكان مرابح كبيرة من تصدير السلع ، التي ^{كان} ينتجها البلدان ، والتي كانت أوروبا بأسس الحاجة إليها للارتقاء بصناعاتها المتنوعة ، وهذه المرباح تفوق بالطبع ما كان يتأتى لها من علاقة الجوار الممتازة . ولهذا الفرص احتكرها سكان في المغرب والجزائر الكثير من السلع . فالحكم السعدي احتكر الاتجار بالسكر ، والسمان المصطفة ، والقمح ، وكذلك احتكر الحكم العثماني في الجزائر ، الاتجار بالشعير والبلوط ، والزيت ، والأخشاب الصالحة لبناء السفن ، وغيرها ، للاتجار بها مع الدول الأوروبية .

٥- عامل الحج : وأمام هذه السلسلة من العوامل السلبية التأثير على العلاقات الاقتصادية بين البلدين لا يكاد يجد المرء سوى عامل واحد ، يمدد من اثرها السلبي ، وأعني به عامل الحج الذي كان يجرى سنويا قافلة من الحجاج ، ولكن أيضا من التجار ، مما جعل العلاقات الاقتصادية بين البلدين والمبادلات التجارية على الخصوص مستمرة في جميع الاحوال والظروف .

ولكن الباحث في العلاقات بين البلدين كما ذكرنا منذ البداية يستخدم بمقدد توافر الاحتمالات عن المبادلات التجارية التي كانت تتم بين البلدين ، وهي ضرورة لمقدر بشكل دقيق مدى أهمية هذه المبادلات وما مدى أهميتها . كما يستخدم أيضا بشع المصادر المتوافرة في اعطاء التفصيل عن الحقول الاقتصادية الأخرى

ونظرا للعوامل الجديدة الآنفة الذكر ذات التأثير السلبي على العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، فقد بدت هذه الأخيرة بصورتها المشار إليها ضعيفة ، بمقارنتها مع علاقات البلد بين مع الدول الأوروبية في نفس الفترة ، وإن ظلت عامل وصل وتلاق بين البلدين ، يمدد إيجابيا العلاقات الاجتماعية والثقافية ، ويبرز أوز العلاقات السياسية .

الباب الثالث

العلاقات الاجتماعية والثقافية

الفصل التاسع: العوامل المؤثرة في العلاقات الاجتماعية والثقافية .
التمثيل المباشر: العلاقات الاجتماعية والثقافية .

الفصل التاسع

العوامل المؤثرة في العلاقات الاجتماعية والثقافية

يتضح للباحث في العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب ، من خلال تأمله فيها ، وفي الحياة الاجتماعية والثقافية في كلا القطرين ، ان هذه العلاقات كانت متأثرة بعوامل قديمة واخرى جديدة ، فاما العوامل القديمة فيمكن حصرها في :

أ- الروابط الجغرافية :

فالبلدان - كما سبق وأوضحنا - متجاوران ، احدهما امتداد للآخر ، لا فاصل طبيعي ، وحقيقي ، يفصل بينهما . وبالتالي فلم يكن هناك من الناحية الجغرافية ما يحول دون اتصال سكانهما ، أو احتكاكهم ببعضهم ، وانتقالهم من بلد الى آخر . او ما يمنع من تشابه الحياة الاجتماعية والثقافية في البلدين ، تشابه طبيعتهما ، وقيام علاقات قوية بينهما في عذنين المبالين على غرار ما في المجالات الاخرى

ب- الروابط التاريخية :

وتقدمت الإشارة ايضا الى ان البلدين كانا خلال فترات طويلة بلدا واحدا ، تحكمهما دولة واحدة ، سواء في العهد الاسلامي ، او في عهد ما قبل الاسلام . وكانت تلك الفترات كافية لتتوطد الروابط بين البلدين وترسخها ، ولو انفصلا عن بعضهما فيما بعد ، وكان بين حكومتي البلدين تنافس ونزاع .

ج- الروابط العرقية :

فالمناخ الرئيسية التي كان يتألف منها سكان المغرب ، وهي : البربر والحرب كانت هي ذات المناخر التي يتألف منها سكان الجزائر ، واصل بربر المغرب وغيره هي نفس اصول بربر الجزائر ، وتحتل المناخر الفرعية : السودانية والاندرالية والاربية فكانت تكون واجدة في البلدين :

وتعود اصول القبائل البربرية في البلدين الى المجموعات البربرية الخمس الكبيرة وهي : زناتة ، وصنهاجة ، وصموذية ، وشوارة ، وغمارة (1) . والظن ان هذه المجموعات تنحدر من سكان شمال افريقيا القديم ، الذين كان الاغريقون يسمونهم " اللابيين " . اما ابن خلدون فينسب بعضها كزناتة الى عرب شمال الجزيرة العربية ، وينسب بعضها الاخر كصنهاجة الى عرب

(1) الزناتان : المروج السمين ، ج 1

الجنوب ، عرب اليمن ، مستندا في ذلك على ما كان يتكرر في عصره من الروايات (١) ، والتي
 يحتمل أن يكون التصريف قد اعتراها . ويرجع بعضهم اصول النهر الى اقوام شمالية اوروبية
 او الى اصول آسوية وافريقية ، تبعاً لاختلاف لون بشرة السكان من النماض الى السواد (٢) . وهي
 روايات لا تهمنا على اليقين ، خصوصا اذا علمنا ان الانسان المغربي الذي عثر على فكّه
 قرب الدباط ، بهوى صفات بدائية جدا ، قريبه من اقدم النماض البشرية المعروفة حاليا (٣) .

١- القبائل العربية في الجزائر والمغرب فتعود الى ثلاث قبائل رئيسية هي قبائل
 بني هلال ، وسليم ، وهؤلاء من عرب الشمال ، وقبائل بني مقل وهؤلاء ينتمون الى عرب اليمن (٤)
 وحسبنا الى مطلع القرن الحاضر الهجري / السادس عشر الميلادي ، كان لا يزال بالامكان
 تعداد مواد القبائل العربية واليهودية في كل من الجزائر والمغرب وارجاعها الى مجموعاتهم
 المذكورة وسوما يؤكد الحسن الوزان في كتابه وصف افريقيا (٥) . علما ان اندماج بعض القبائل
 اليهودية وذويانها قد بدأ كما لاحظ ليليك ابن خلدون بالنسبة لزناة منذ القرن الثامن الهجري
 / الرابع عشر الميلادي . ولم تلبث بعد ذلك ان ذابت بعض القبائل المحلية في ضياعها .

د - الروابط الدينية : يدرك عبق هذه الروابط الدينية اذا علم ان الدين الاسلامي والمذهب
 اليسني المالكي كانا ولا يزالان يسودان في كلا البلدين سيادة مطلقة على ما سواهما ، ويشدانها
 شدا قويا وان الطريقتين الصوفيتين الشاذلية والقادرية وفروعهما كانت قائمة في كلا البلدين .

هـ - الروابط اللغوية والثقافية : وكما ساد الدين الاسلامي في البلدين سادت فيهما الثقافة
 العربية الاسلامية ، وتجانست فيهما اللغة واللهجات ، وطرق التدريس ومواد الدراسة ، والكتب
 الدراسية ما كان يزيد في قوة الروابط بين افراد المجتمعين الجزائري والمغربي ، ان كانت
 تساعد البلدين دوما مفتوحة في وجه طلبتهما .

و نتيجة للروابط العديدة التي تقدم ذكرها والتي اؤلف بين المجتمعين المغربي
 والجزائري فقد كانت العلاقات الاجتماعية وكذلك الثقافية كما سيوضح اكثر في هذا العرض
 قيسية رادت الى شجائر العادات والتقاليد في البلدين في اللباس ونظم المعيشة والاعمال
 والاحتفالات ، كما أدت الى وحدة ثقافية وفكرية فيهما .

(١) ابن خلدون : كتاب العبر ج ٢ ص ٢١
 (٢) عبد الرحمن بن عبد الله : دراسة في الجغرافية البشرية ص ٨٦ .
 (٣) الوزان : المرجع السابق ج ١
 (٤) عبد الرحمن بن عبد الله : المرجع السابق ص ١٢٠

وب الهجرة والتمتع - ل :

على ان ما كان يزيد الروابط متانة وعمقا موثقة الدولة الدائمة والمستمرة المتمثلة فسي الهجرة والتنقل بين البلدين لمختلف الفئات الاجتماعية ، وللمختلف الأغراض ، كالتجارة وطلب العلم وزيارة الأهل والأقارب ، والأولاد والمشايع . وأنصر بالذكر من هذه الفئات ، فئة المثقفين من الدالة والعلما ومن هم على شاكلتهم كالمرايدين ، تلك الفئة التي كان لها تأثيرها القوي في العلاقات الاجتماعية والثقافية بين البلدين ما يجعلنا نركز عليها أكثر من غيرهما ، في إبراز العلاقات القائمة بين البلدين في المجالين الاجتماعي والثقافي ، في الفترة موضوع الدرس ، وقبلها ، فمن أسماء أشهر من طلبة المغرب والجزائر الذين تنقلوا من بلد إلى آخر قبل الفترة موضوع الدرس نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

١- أبا محمد عبد الله الورياجلي (١) . الذي انتقل من المغرب إلى تونس للأخذ عن عالمها ابن مزروق الحفص . ثم عاد إلى بلاده ، وتصدر للخطباء في المراكز الثقافية المغربية وأصبح من أشهر علماء المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ومطلع القرن الحاشر الهجري .

٢- أحمد بن محمد بن عيسى البرنوسي القاسي الشهير بزروق (٢) . الذي هاجر في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي إلى تونس وأخذ عن علماء أمثال أحمد بن زكري (٣) (والحافظ التتسي) (٤) . ومحمد بن

(١) انظر عنه ابن عسكر : دوحة الناشر ص ٢٥

(٢) انظر من زروق ابن عسكر : دوحة الناشر : ص ٣٨-٤٠ ، ابن مريم : المصنف : ص ٤٧-٤٨

(٣) توفي في سنة ٨٩٩ هـ بتونس ، صاحب مؤلفات عديدة منها بنية الطالب ، ومنظومة يزيد عدد أبياتها عن ألف وخمسة مئة بيت في علم الكلام . انظر عنه ابن مريم : المصنف : ص ٨٨-٨٩

(٤) محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التتسي توفي سنة ٨٩٦ هـ . صاحب نظم الدرر والمعيان في التاريخ والدرار في شرح الخراز في ضبط القراءات . وغيرها . انظر عنه ابن مريم :

نفس المصنف ١٦٢ ص ٢٤٨-٢٤٩ . أحمد بابا : نفس المصنف ص ٢٢٩-٢٣٠ الصفح ١٥١ :

تصريف الغلة في

يوسف السنوسي (١) . وغيرهم ، ثم هاجر إلى مدينة الجزائر حيث أخذ عن عالمها وأمامها
 هذا الرمن الشمالي (٢) ، فحباة حيث أخذ عن الشيخ المشدالي (٣) . وفي نواحي بجاية
 أخذ أيضا عن الشيخ يحيى العيدلي (٤) ، ومسجد هذا الأخير في تاموقرا ، ألف زروق بعض
 ألف----- .

وزروق هذا هو صاحب الطريقة الزروقية التي كان لها أتباعها في الجزائر والمغرب (٥) . أما
 من الطلبة الجزائريين الذين انتقلوا إلى المغرب (طلبا للعلم) في النصف الثاني من القرن
 التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي فنذكر على سبيل المثال :

١- محمد بن محمد العباس الطمساني (٦) ، الذي رجع إلى فاس للأخذ عن عالمه-----
 الشهير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي (٧) ، الذي انتقلت إليه رئاسة العلم والفتنة-----
 بمدينة فاس ، وأمامه بجامع القرويين----- .

(١) محمد بن يوسف السنوسي الطمساني : توفي سنة ٨٩٥ هـ ، صاحب المقائد الخمس فسي
 التوجيه التي قدت منذ تأليفها موضوع الدرس والتدقيق والشرح والحفظ انظر عنه ابن
 مريم : البستان ص ٢٣٧ - ٢٤٨ وأحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٣٢٥ - ٣٢٩ .
 (٢) توفي في مدينة الجزائر سنة ٨٧٥ هـ خلف تلاميذ كثيرين وما ينيف عن ٩٠ مؤلفا في التفسر-----
 والفقه والحدائق والسيرة والتصوف والقراءات وغيرها انظر عنه أحمد بابا : نيل الابتهاج ص
 ١٧٣ - ١٧٥ ، والحفناوي : تعريف الخلف ج ١ ص ٦٦ - ٦٨ .
 (٣) محمد بن أبي القاسم بن عبد الصمد المشدالي : توفي في سنة ٨٦٦ هـ . صاحب مؤلفات عديدة
 في الفقه منها مختصر البيان لابن رشد ومختصر أبحاث ابن خرفة وحاشية على المدونة-----
 انظر عنه ابن خناري : تعريف الخلف ج ١ ص ١٠٥ .
 (٤) والورشياني : نزعة الانظار في فصل علم التاريخ والأخبار تحقيق ابن أبي الشنب الجزائر-----

١٩٠٨ م ٩٥٠

(٥) محمد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ص ٥٣ وهامس ١٠٧

(٦) ابن مريم : البستان ص ٢٥٩

(٧) ابن عسكر : دودة الناصر ص ٣٦ - ٣٧

ذكر ابن مريم تاريخ رحلته الى فاس وعودته منها ، الا انه كان حيدا في سنة ٩٢٠ هـ .
 عليا بن موسى بن علي بن هارون المظفر (١) ، من أصل طلمسان الذي رحل
 فاس في ٨٩١ / ٩٠٠ ولازم فيها ابن غازي المتقدم ذكره نحو عشرين سنة ، وحصل عنه
 جمعا حتى وصف به بـ "عزاة علم" لكثرة العلوم والفنون التي ألهمها ، وتصل من استاذته
 في ورطى اجازة سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م . كما اخذ من ائمة عديدين آخرين .
 حينما كان بمنزلة الطلبة الجزائريين والمغاربة ، يعودون الى وطنهم الاصيل بمسار
 حال الدراسة ، كما فعل لمصر المصالح المذكور ومحمد الورياجل وغيره ، كان بعضهم الآخر يؤثر
 في حصة نهائية في مهجرة ، لما وجدته فيه من تقدير واحترام أو حظوة أو أمن واستقرار ،
 نظيفة مناسبة ، اولخير ذلك . ومن هؤلاء ميا المظفر المتقدم ذكره . فقد تصدر للتدريس
 من بعد تخرجه منها على كبار مشايخها ، ولما انتهت اليه رئاسة العلم فيها بعد موتهم
 تشدد اليه الرجال ، وكثر الآخذون عنه ، وحصلت له وبها رتبة كبيرة لدى بني وطاس
 من طدوه قضاة الجماعة في فاس (٢) .

(٣)
 في التاريخ الذي أثير استيطان وهران بسفلا دالة وفيها خلف شيخه محمد البهاري في زاوية وأماع سيرة وانتشر .
 وبعد الباحث في كتب التراجم أسماء كثير من علماء الجزائر انتقلوا الى المغرب ، قبل
 حلقهم الى المغرب . لا لأخذ عن علماء ، ولكن ابتغاء العيش هناك في طدوه واطمئنان
 تروام وتقدير . من هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر : أبا زيد عبد الرحمن بن محمد
 راوي ، الذي وصفه ابن القاضي في درره بالفقيه ، المحدث ، وذكر انه كان خليص المدرسة
 بوليفيقاس وفقهها ، وانه توفي في سنة ٨٩٥ هـ / ١٥٠١ م (٤) . وسكت عن ذكر تاريخ
 رته الى فاس ودافق استيطانه فيها .

محمد بن المنابي ، نزل ودي درره ، الذي كان كما وصفه ابن عسك (٥) سيدا
 لا ، عالما بفرائب العلوم ، عثر على الحكمة ظاهرة هالدا . (٥) . ولا ندري متى هاجر
 جنوب المغرب ، الا اننا نعلم انه كان ذا وجاهة لدى السلطان الوطاسي محمد الشيخ
 ٨٢٦ - ٩١٠ هـ / ١٤٢١ - ١٥٠٤ م الذي انتدبه لاستدعاء اسرى المسلمين في اسبانيا
 بدات غرقا في البحر وهو في طريقه الى جزيرة الاندلس للمغربي المذكور .

(٦) انظر في ابن عسك الدوحة ص ٤ - ٤١ ، الافرائي : النزهة ص ٢١ ، الحفناوي : تمريف
 الخلف ج ٢ ص ٢٨١
 (٧) ابن مريم البستان : ص ٥٨
 (٨) ج ٣ ص ٩١
 (٩) ابن عسك : الدوحة ص ١٨ - ٦٩

- أبا العباس أحمد بن يحيى الوئشيسى : الذى أجرا إلى المغرب فى سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٦٦ م ، فرارا من اذى السلطان الزياني أبى عبد الله محمد ، بعد وحشة وقعت له معه ، وانتهاب داره ، واستوطن فاس الى ان توفي بها فى سنة ٩١٤ / ١٥٠٨ م . (١)

وقد سماه أحمد الوئشيسى وهو كامل المدة كما يقال ، وجاهز للمطام ، ان هاجر وهو مثلى الوطاب من علم علماء طلمسان الاعلام فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى امثال : ابن مرزوق الكفيف ، والامام محمد بن العباس وابى عبد الله الجلاب ، وغيرهم . ومع ذلك فقد كان يحضر مجلس القاضي الحكامسى فى فاس .

وقد تصدر أحمد الوئشيسى فى مهجرة لتدوين الفقه واصوله ، وكان واسع الاطلاع فيه محيطا بالمذهب المالكي ، احاطة شهد له بذلك ما صوره حديث قال عنه الشيخ الامام ابن غازى شيخ الجماعة فى فاس ، مرة لمن عوله : ((لو ان رجلا سلف بطلاق زوجته ان ابا العباس احاط بمذهب مالك ، اصوله وفروعه لكان بارا فى دينه ، ولا تطلق عليه زوجته)) (٢)

وكثير الاخذون عنه ، وتخرجت على يده نخبة من اعيان علماء المغرب فى النصف الاول من القرن الماشر الهجرى / السادس عشر الميلادى نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ابن عبد الواحد الذى جمع بين الفتيا والخطابة والتدريس فى فاس . ومحمدا بن القويدس قاضى فاس الجديد ، وأبا زكريا يحيى السوسى ، ومحمدا بن عبد الجبار الورتغرى والحسن بن عثمان التاطلى وعبد المسيح المصمودى وغيرهم . (٣)

كما تصدى أيضا للتأليف فترك عدة مؤلفات ثمينه فى موضوعها عظيمة القدر منها : ((المصباح المغربى عن فتاوى علماء افريقية والانديلس والمغرب)) فى عدة اسفار (٢ اجزا) وله ايضا الفائق فى الوثائق ، وايضاح المسالك فى قواعد مذنب مالك وغيره (٤) .

ولما اعترف للوئشيسى بالتفوق التحضر فى الفقه ، اعترف له بفصاحة اللسان والعلم حتى كان من يحضره يقول : ((لو حضر سبويه لاخذ النحو من فيه)) (٥) ، الا ان علماء فاس ، قبل ان يسرفوا فضل احمد الوئشيسى حق المعرفة لم يتشأ الى جانبته فى النزاع الذى وقع بينه وبين عبد الله الورياجلي فى ٨٢٦ هـ وسببه ان الورياجلي أخر عن بعض المدارس وقدم هو (الوئشيسى) مكانه فتارعا فى المغرب من يستحق منهما فمال علماء فاس الى تأييد الورياجلي ، وقضوا بحرمان المولى فكان احمد الوئشيسى يموت فيظلم ، ولا سيما ان فتاوى

- (١) ابن القاضى جذوة الاقتباس ص ٨ - ٨١
(٢) ابن عسكر : الدوحة ص ٣٧
(٣) انظر تراجمهم فى ابن القاضى : درة الحجلل ، وجذوة الاقتباس و ابن عسكر دوحة الناشئة - روالقراني : النزعة
(٤) ابن عسكر : وابن القاضى : وابن مريم : فى مصادرهم السابقة .
(٥) ابن القاضى : الجدوة ، ص ٨١

بأرغما. ثمسان بحدود قضيت التي طرحها عليهم أنقت باستحقاق المقدم دون الممزول (١). وموقف علما فاس المذكور من الوثائق من من من مقاومة المناقشة العلماء الوافدين من المغرب سواء من الجزائر أو غيرها لهم على الوظائف العلمية والدينية ، هذا في الوقت الذي كانت فيه المملكة الحاكمة ترحب بالوافدين وتقدم لهم وتوثرهم على علماء المغرب أمانا ، محمد بن المنابي المتقدم ذكره كان السلطان الوطاسي ينقله إلى عقد داره حيث تسير سائر الوافدين. (٢) فوق أنه انتدبه للقيام بمهمة اقتداء الأسرى مع وجود العلماء في فاس .

وما تقدم يتجلى الأسلم الكبر للعلماء الجزائري في مهجرهم في الحياة الثقافية المغربية ، ودورهم الإيجابي في تنشيطها . الفوائد الكبيرة التي كان من الممكن أن تعود على الحياة الثقافية في الجزائر لو أن هؤلاء المهاجرين ظلوا في مدينت المراكش - لثقافية التي هاجروا منها .

كما يتضح بأن الجزائر قد قدمت إلى المغرب دفعة هائلة المستوى من طلائع الكبار في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، يستغلهم المهاجرين إليها في هذا القرن إلا عدد قليل من الطلبة والعلماء المغاربة . ولم يستولوا منها إلا قليلون . والواقع أن المصنف في كتب التاريخ ولا سيما في كتب التراجم بالنسبة لما قبل سنة ١٥١٠ م / ١٠٢٣ هـ يجد دوما أن حركة العلماء والطلبة والفئة المثقفة بصفة عامة ، وكذلك حركة انتقال القبائل ، كانت أقوى من الجزائر إلى المغرب ولا سيما في عهد الموحدين والعرفيين . كانت الجزائر أيضا تابعة للحكومة المركزية في المغرب وحيث أن كثير من الوظائف العلمية والدينية مثل القضاء والخطابة ، والإمامة في كثير من أوائل المغرب كمراكش وفاس ، وسبت ، وسلا ، وغيرها ، قد شغلها جزائريون ، وانتقلوا إلى المغرب ، أما من ثمسان أو بجاية ، أو غيرها . كما شغل بعضهم الكتابة والسفارة (٣) .

ويمكن رد ذلك إلى السوامل التالية :

(١) سياسة السلاطين المغاربة في جذب المثقفين الجزائريين إلى المغرب ، أو اغرائهم بالثقافة ، بل وفي نقل بعض القبائل من منطقة إلى أخرى في البلدان . فالسلاطين الموحدين كانوا يمدون المثقفين إلى المغرب ، ويمنحونهم أرفع الوظائف العلمية والدينية ، وكان السلاطين المرينيون يمدونهم ، أمثال : أبي الحسن المريني ، وأبنه أبي عنان ، يصطحبون

(١) ابن القاضي : نفس المرجع السابق ص ٢٤٩
(٢) ابن صكر : دفة الناشر ص ٦٤
(٣) من الجزائريين الذين تولوا القضاء في المغرب قبل سنة ١٥١٢ م ابن أبي جنون التلمساني ، ومحمد بن إبراهيم المجاني ، ومحمد بن علي الصنهاجي . انظر عنهم أحمد بابا : نيل الأبتهاج ص ٢٠٧ ، ٢٨٨ وعنوان الدراسة المضمين . ومن الذين تولوا السفارة أبن (مزوق) ومحمد بن محمد المقرئ انظر عنهما ابن عديم ، المستطاع ص ١٨ و ١٥٤٩

عودتهم من الجزائر نخبة من علمائها (١) ، وبغروهم بالهجرة في بلادهم بمختلف الوظائف
مهمة . اما السلاطين الوطاسيون الذين لم تكن لهم اى سلطة او نفوذ على الجزائر فقد
يسيطرون بانتمائهم والتقدير من يقد اليهم من طماء الجزائر ونفوذهم بالوظائف المختلفة ، ما
كثيرا من العلماء الجزائريين المهاجرين الى المغرب ولا يعودون الى مواطنهم في الجزائر (٢)
ان الجزائر كانت لا تلك مفعدا او جامعا في مستوى جامع القرويين في فاس ، ولذلك فقد
بعض طلابها بقصدون فاس لاستكمال دراستهم " المالية " في القرويين كما كان بعضهم
يدون جامع الزيتونة في تونس وجامع الازهر في القاهرة ونوردها من مراكز العلم في المشرق
سنة بعد سقوط المراكز العلمية في الاندلس شاما . وقد كانت هي الاخرى مقصودة من قبل
بعض الجزائريين .

الظروف السياسية والامنية في الجزائر ، الزبانية ، والعنفية التي كثيرا ما كانت واضطرب
بسبب الافتتان على السلطة بين الفصبيين والزبانيين وبين امراء كل اسرة ، وبسبب الغزو
سباني الذي نشط مع بداية القرن الماشر الهجري / والسادس عشر الميلادي ، فجعل
بعض علماء الجزائر وطلبتها ، وكذلك بعض اسرهم المهاجرين الى المغرب او المشرق بحثا
في اماكن اشرهدهوا واستقرارا واما .

اشير الى ذلك الدوافع الشخصية والاسباب الخاصة ، كما تقدم بصد هجرة اعم
ونشأ ريس .

ولا شك ان وجود جامع القرويين في فاس حيث تقدم فيه دراسات عالية المستوى للطلبة
لمنارية وغيرهم من المسلمين ، مع وجود حكام مغاربة يوشقون العلماء ويهجون المعلم
ويشجعونه ، قد جعل الكثيرين من العلماء ، والدولة المغاربة ، لا مهاجرين نحو الجزائر
بكثرة ، وحتى الذين كانوا مهاجرين الى المشرق او الى الاندلس كان بعضهم ان لم
يكن اكثرهم يعودون الى وطنهم بعد تحقق غرضهم من وراء الهجرة ما جعل الحياة الثقافية
في المغرب لا تعاني مثل الجزائر من نزيف هجرة المثقفين بشكل كبير نحو الخارج سواء الى المغرب
او المشرق .

الا ان معركة هجرة العلماء والطلبة الجزائريين نحو المغرب في اواخر القرن التاسع
الهجري قد قلت وغفت نسبيا عما كانت عليه في القرون الثلاثة السابقة (٧٤٦ هـ) ، ذلك
ان المغرب كان طوال القرن التاسع الهجري كالمغرب في اواخر القرن التاسع
القرن الماشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، في غاية الاضطراب ، نتيجة التدخل
الاسباني في المغرب .

(١) اسلمت ابو الحسن وابوعنان : ابن مزوق الجيد ، ومحمدا بن محمد المقرئ ، ومحمدا
ابن ابراهيم الابلي ومحمدا الادريسي القضاة ، والقبلي ، والقبلي ، والقبلي ، وكانت لهم
الماخري وعبد الواحد الونشريسي القضاة ، الدوحة ص ٤١٤ .

والغزو الخارجي ، وتجزؤ المغرب بعد سقوط الدولة العينية بل ان حركة الهجرة اخذت تتشط
من المغرب نحو الجزائر في القرن التاسع الهجري الذي كان المغرب فيه مضطربا .
بعض العوامل الجديدة :

اما العوامل الجديدة التي اثرت في العلاقات الاجتماعية والثقافية فيمكن حصرها في :

- ١- الغزو الخارجي الاسباني والبرتغالي للبلدين .
- ٢- استمرار تدفق المهاجرين الاندلسيين .
- ٣- قيام الحكم العثماني في الجزائر والحكم السعدي في المغرب .
- ٤- اثر الغزو الاسباني والبرتغالي :

ان الغزو الاسباني والبرتغالي لشواطئ البلد من وطء ارضها من المناطق الداخلية الذي
بلغ اوجبه المرحلة مدار البحث . على الرغم من انه لم يترك اثرا اجتماعيا وثقافيا ذاهال خلال
وجوده فيها الا انه قد تسبب في خراب كثير من المدن النهرى الساحلية التي كان بعضها كوهرا
وجاية وسبتة وادجيه مراكز اجتماعية وثقافية هامة تتم فيها المعاملات الثقافية بين البلدين ،
سواء كان ذلك من خلال طلبة وطباء من الجزائر والمغرب اما للأخذ عن علمائها ، او للتسليم
في نشر العلم بها . مما اثر في الحياة الثقافية في كلا البلدين وفي العلاقات الثقافية بينهما .
فتفوية لخراب الكثير من المدن ، بعد احتلال الاسبان او البرتغاليين لها ، وجلاء
سكانها عنها ، لم تتشط فقط حركة الهجرة الداخلية من تلك المدن ، ومن المراكز الاخرى
المهددة ، نحو المراكز الداخلية المهددة عن الشواطئ ، بل نشطت ايضا حركة الهجرة
من الجزائر نحو المغرب وبالعكس ، ولا سيما من فئة الطلبة والعلماء .

وفي كتب التراجم المعاصرة لهذه المرحلة نجد اسما بعض الطلبة والعلماء الذين هاجروا
من المراكز الجزائرية التي وقعت تحت الاحتلال الاسباني كوهرا ، وجاية ، كما نجد
فيها اسما بعض الطلبة والعلماء المغاربة ، هاجروا الى الجزائر من المناطق التي وقعت
تحت الاحتلال الاسباني او البرتغالي ، او التي كانت مهددة بالغزو من قبل البرتغاليين
او الاسبان .

ومن بين الدلية والعلماء الجزائريين الذين هاجروا من المناطق ، المشاء اليها ،
نذكر طويلا ... المشاء الى لا العصور :

أحمد بن أبي جهمه الوهراني المعروف بشقرون الوهراني الذي استوان فاس الى ان توفي بها في العقد الثالث من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وكان من الفقهاء الاعلام ، تصدر للتدريس في مدينته . وأخذ عنه النخيون (١) .

أحمد بن جيدة المديوني الوهراني ، تلميذ محمد بن يوسف السنوسي في العقائد وأحسن من ذوق التفسير وغيرهما ، الذي هاجر الى المغرب واستوطن فاس ايضا ، الى ان توفي بها في ٩٥١ هـ / ١٥٤٤ م . وكان يدرس فيها علم الكلام ، وأخذ عنه الكثيرون منهم أبو العباس أحمد المصنوع - ور (٢) .

أبا علي منصور البجائي ، الذي استوطن شمال المغرب وكان التلميذ الكبير لابي عبد الله محمد الشطبي الاندلسي الاصل نزل تارغدر ببني زوال . كما كان من اصحاب الشيخ سيدي يوسف الطيبي - دي صاحب الزاوية والشهرة الكبيرة في اقليم غمارة بشمال المغرب (٣) .

اما قاسم بن عمر الزواوي فقد آثر الهجرة الى المشرق والاستيطان في القاهرة الى ان توفي بها في ٩٦٧ هـ / ١٥٦١ م (٤) . كما آثر آخرون الهجرة الى البقاع المقدسة . ولا يعدم الباحث في تراجم علماء هذه المرحلة اسما من حشيش الطلبة والعلماء المشارية الذين هاجروا من المنطق المجاورة لسبتة ، وطنجة ، المحرطين من قبل البرتغاليين الى الجزائر والمشرق ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال :

عبد الله البهاط الذي هاجر الى الجزائر من جبل زمرق بشمال المغرب . (٥)

ومنصور بن عبد المنعم المصنوعي من التلميط بشمال المغرب ايضا الذي هاجر الى الشرق ونزل التلميط (٦) أن كليهما عاد الى المغرب في نهاية مطافه .

وقد كان للغزو الاسباني والبرتغالي للبلدين اثره ايضا في تدهور مراكز ثقافية اخرى ، كانت مزدهرة ، ولها اهميتها على مستوى البلدين ، وان لم تقع تحت الاستلال المباشر للبرتغاليين والاسبان وفي مقدمة هذه المراكز نجد في الجزائر مدينة طلمسان ، وفي المغرب مدينة القصر الكبير وغيرها .

فلمسان بعد ان احتل الاسبان وهران في سنة ١٥٠٩ ، بايت مهددة هي الاخرى ورغم ان سلطانها سارع الى اعلان تحميمهم في ١٥١٢ م املا في الحفاظ على ما تبقى

- (١) ابن عسكر الدوحة ص ٩٢ ، ابن القاضي : الجدود ص ٢٠٤
- (٢) ابن عسكر : نفس المصدر ص ٩٩ ، ابن القاضي : نفس المصدر ص ٨١ ، ابن مريم : البستان ص ٥٢ - ٥٣
- (٣) انظر عن الشطبي والتلميذ البجائي ابن عسكر : المرجع السابق ص ١٤ - ١٦
- (٤) ابن السجاد الحفيلي : شدات الذهب جيد ص ١٥٤ - ١٥٥
- (٥) ابن عسكر : المرجع السابق ص ٦٣
- (٦) نفسه : ص ٦٥

وتوفير الامتثال لمصاحبه فان الامر فيها ما انفك متارها ، ناعمة عن ان سلوة السلطان
 يمكن ليرضي علما ، تلمسان ، اولمزل قلقهم ومغائهم ولذلك فقد اخذ بعضهم بها جديدا
 في المغرب ، ولا سيما الى فاس ، ومن هؤلاء :
 محمد بن مزروق (السبـهـط) الذي وصفه ابن مريم نثرا عن ابي عبد الله الامام بن
 عباس بأنه آخـر علما قـلـرنا (ملـكـة تـلمـسان) ، الاـسـفـهـ من كل فن بأوفر نصيب الحائز
 سبـالـسـهـط في ذلك ، وشخصا طم الحديث فانه حصل له بالغرض والتمصيص صدر
 (المحافظ المزين وامام الجهادية النقاد والمثقفين) . رحل الى فاس في وقت غير محدد واجاز
 بها عبد الوهاب الزقاق الذي تولى خطة الفتيا والقضاء بها فاس . وكان حيا في ١١٨ هـ / ١٥١٢ (١)
 م يذكر ابن مريم انه عاد الى تلمسان ، ولعله قد استوطن فاس اذا ما انفكت اوضاع تلمسان
 يداد : تد هورا خلا ل النصف الاول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .
 محمد بن عبد الرحمن بن بلال التلمساني الذي هاجر الى المغرب واستوطن فاس في صدر
 ام السلطان محمد الشيخ السدي الذي ولاه الفتيا الى جانب التدريس لعلم الكلام والعقائدية ،
 لامامة في بناء مسجد القرويين (٢) .
 أما مدينة القصر الكبير في شمال المغرب التي كانت تحاول ان تغلف ظنجة وسبتة ،
 فضل نخبة من علمائها امثال عبد الله الورياجلي الذي توفي في مطلع القرن العاشر الهجري
 سادس عشر الميلادي والذي قال له ابن مزروق عالم تلمسان الشهير : ليس امامك لا في الجزائر
 لا في المشرق من هو اعلم منك (٣) . واهرامهم الجرجفلي الذي كان مدرسا ومفتيا بها .
 غليفته طي اللغوي (٤) ولم تستطع تحقيق هدفها نتيجة التهديد البرتغالي المستمر لها
 في ان قضي على القوة الغدانية للبرتغاليين في مملكة وادي المخازن ١٥٢٨ م ، فكانت
 يمتد لاليتها الى فاس لاستكمال دراستهم .
 تدفن الاندلسيين :
 أما تدفن الاندلسيين المستمر الى البلد من طلال المرحلة موضع البحث تقريبا وما قبلها ،
 نأثره على الممارقات الاجتماعية والثقافية بلا منغلي ان هؤلاء العلماء الذين كان لهم الفضل في بعض
 سبـالـسـهـط في المدن في البلد من تدعيم اخرى وتنشيطها ، بحيث أصبحت تلك المدن مراكز ثقافية
 عامة ، مقبولة من قبل علماء البلد من وطلبتهم ، اما لطلب العلم او نشره فيهم .
 (١) انظر عن ابن مزروق السبـهـط : ابن مريم التلمساني : ص ٢٥٨ ، الجدوة ص ٢٠٦ ، ابن مريم :
 (٢) ابن مكرم : دوحه الناصر ص ٩٠ - ٩١ ، ابن القاضي : الجدوة ص ٢٠٦ ، ابن مريم :
 التلمسان ص ٢٦
 (٣) ابن مكرم : المرجع السابق ص ٢٥ - ٢٢
 (٤) نفسه : ص ٣١ - ٣٢ توفي سنة ١٩٥٣

ما جعلها بؤرا مشعة للتبادل الفكري وغير ذلك من المبادئ الاجتماعية .

فالمهم يعود الفضل في بحث مدينة تطوان الى الوجود بعد ان ظلت خربة قرابة قرن من الزمان اى منذ ان خربها الاسبان في سنة ١٤٠٠ م ، وفي الدفاع عنها والحبولة دون سقوطها ما سقطت المدن المجاورة لها بيد الاسبان او البرتغاليين (١) ، فاصبحت تطوان بفضلهم مركزا من المراكز الثقافية النشطة في شمال المغرب ، التي استقطبت بعض العلماء الجزائريين ، واستولوا عليها وتمددوا للتدريس فيها ومن هؤلاء :

هو القاسم بن السلطان القسنطيني (٢) واحمد بن يوسف الزباني (٣) ، كما انها كانت مركزا لعلماء الاندلسيين يقتبسون ويقتسم منهم .

وفي الجزائر اسس المهاجرون الاندلسيون محمدا طمعا يشتمل على مدرسة ومسجد وكتاب قرآني . وكانت المدرسة تقدم تعليمها عالي المستوى ، لاشك ان الوافدين من المغاربة الى الجزائر طلبوا للتعليم قد نهلوا منها .

وقد كان الاندلسيون بصفة عامة بمن فيهم العلماء والائمة منهم ، كثيرى الحركة والتنقل بين البلدين طلبا للتعليم ، او ابتغاء العمل والجاه او جمع العمل .

وفي كتب التراجم عدد غير قليل من الاندلسيين الذين نزلوا في المغرب وقصدوا الجزائر للاخذ من علمائها ، ثم عادوا الى مدينتهم الجديدة ، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال : ابا عبد الله محمدا بن علي بن احمد الاندلسي المعروف بالحاج الشطبي (٤) نزول تازغدره ببني زروال بشمال المغرب قصد الى الجزائر لاشك عن كبرى مشايخ الصوفية فيها ، اهو العباس احمد بن يوسف الراشدي الطياني .

وابا محمد عبد الله الخياط نزول جبل زروان (٥) ، الذي قصد ايضا الى الجزائر للاخذ عن الشيخ احمد بن يوسف المذكور .

اما محمد بن رأس الحمين الاندلسي الاصل بالجزائر الدار فقد انتقل الى بلاط المنصور

ومدحه ثم عاد الى الجزائر حيث كان من مستغلفي محمد قدوره (٦) .

ولا يخفى ان الاندلسيين قد نقلوا الى البلد من مؤثراتهم في المجالين الاجتماعي والثقافي ومبارفهم وادواقهم فيهما ، كما كانوا في تنقلاتهم بين البلدين ينقلون مؤثرات هذا البلد الى ذاك .

(١) انظر عن اعادة بناء تطوان : محمد داود تاريخ تطوان مجلد الاول

(٢) ابن القاضي : درة الحجال ج ٣ ص ٢٨٨ في البحث العلمي عدد ٦ المغرب ١٩٦٥ ص ٥٩

(٣) محمد حاج : النوازل الثقافية في المغرب في

(٤) ابن عسكر : الذريعة ج ١

(٥) نفسه ج ٢ ص ٦٢

(٦) ابن القاضي : درة الحجال ج ٢ ص ٢٦٢ - ساد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج ١

ص ٣٦٩

توكشال على ذلك نذكر صراحة تلاميذ أحمد بن يوسف من الاندلسيين في نشر الطريقة الموسفية في المغرب على نظامي واسع بحيث اصبح اتباعها يشكلون خطرا على السلطة الحاكمة فيه . (1)

أثر قيام الحشم العثماني في الجزائر والحكم السليبي في المغرب :
وأما قيام الاتراك العثمانيين حكاما في الجزائر فلما للزبانيين والحفصيين ، وتنافسهم مع السعديين خلفاء الوطاسيين في المغرب فاثروا على العلاقات بين الجزائر والمغرب في المجال الثقافي والاجتماعي يمكن ان نراه في :

١- التأثيرات الحضارية والثقافية التي ادخلها الاتراك العثمانيين معهم الى الجزائر ، وانتقال هذه التأثيرات منها الى المغرب .

٢- حركة الهجرة القوية للمثقفين الجزائريين والمغاربة وغير المثقفين التي شهد لها عهد هــم ، ولا سيما من الجزائر الى المغرب .

٣- موقف حكام البلاد من حركة الهجرة والمهاجرين

أ- التأثيرات التركية العثمانية في الجزائر والمغرب :

ادخل الاتراك العثمانيون الى الجزائر تأثيرات حضارية وثقافية واجتماعية عديدة منها اللغة التركية العثمانية ، والمذهب الحنفي والتقاليد الادارية والعسكرية ، والمعادن والتقاليد الاجتماعية والثقافية .

ورغم ان المغاربة بقيادة السعديين والوطاسيين رفضوا الدخول تحت الحكم العثماني ، والا نسوا تحت لواء الدولة العثمانية فانهم اخذوا طويعة عن العثمانيين امورا كثيرة ، اذ لم يتنظروا بغير اجتهاد وثقافة غير ذلك مما ادخله هؤلاء معهم الى

الجزائر . وكان تأثير الحضارة بآثارها في الجزائر العثمانية ، اقوى ما يكون في النواحي الادارية والعسكرية ، واول من ذلك فيما يتعلق باللغة والمذهب والمعادن . ففي

النواحي الادارية : جازى السعديون بيرانهم الاتراك العثمانيين فاحدثوا على غرارهم رتبة المفتي التي كانت من قبل موجودة ، ولكنها لم تكن من الوظائف

الرسمية في الدولة الوطاسية والدول السابقة لها .

وقد بدأ هذا التقليد في عهد السلطان محمد الشيخ السعدي حيث قد نصب الانشاء للمعالم الجزائرية محمد بن عبد الرحمن بن جازال ، القدام ذكره ، فهو الذي هاجر اليه في حدود ١٥٨٠هـ / ١٥٥١ واستوطن فاس (2) .

كما احدث السعديون على غرار الاقراك العثمانيين في الجزائر مؤسسه استشارية اسموها ((الديوان)) ، ويقول الافرنسي عن الديوان في عهد المنصور : ((وقد اتخذ يوم الاربعاء

(1) انظر عنه ابن عسكروا في الفتاوى ص 91-92
(2) راجعه : ص 90-91

للمشاورة وسماه الديوان . تبنت فيه وجوه الدواة واسانها وتطارحون فيه وجوه الرأي فيها
(١) بنوب من بلاط الامور وعظام الخوازل وهناك تشهر شكايه من لم يجد سهلا للوصول للامور . . .
(٢) واخذوا عن الاتراك طريقة غتم الرسائل وتوقيفها باليد وبالطابع ، وتجديدات اخرى .
وفي النواحي العسكرية . عمل السعديون على تنظيم جيشهم على فرار الجيش المشاني ، لذلك
اقتبسوا الكثير من الانظمة العسكرية المتبعة لدى الانكشارية كتحسين فرق نظامية من الاعلاج
والاندلسيين والسودانيين والاتراك ، واتخاذ نفس الالفاظ والرتب العسكرية المشانية ،
وكذلك اللباس (٣) . بل لقد كان الطوبى السعديون انفسهم يتقنون بزي الاتراك وهذا ابتداء
من عهد عبد الحكيم الذي ((حمل الفاس على السيرة الحسنية (التركية) وفتح اليها في سائر
شورته لما رأى منها في بلاد القزاق حيث كان بها .)) (٤)

ولكن تأثر المغاربة باللغة التركية المشانية ، والمذهب الحنفي واللباس التركي . كان يكون
مقصودا على بعض المغاربة الذين استقوا بالاتراك المشانيين فترة طويلة فتعلموا اللغة التركيبية
المشانية وفي مقدمة هؤلاء يقادروا الى الذين عهد اليهم السعدي ، الذين ذكرناه كان يتقن
عدة لغات ، وتقدمت الاشارة الى انه كان مفرطا في التأثر بالاتراك ، حتى كره المغاربة
منه ذلك . (٥)

وانما استثنينا ايضا المصطلحات والالفاظ العسكرية والمتعلقة باللباس وبعض الماديات
والمأكل ، ومنظم تلك المصطلحات مذكور في مباحث الفسطاطي ومن نقل عنه كالافرائي ، فضلا
نكار نجد أي اثر للغة التركية المشانية في كتابات المغاربة المعاصرة ، مما يدل على انها لم تعرف
الانتشار بينهم . وليس هناك ما يدل ايضا على انتشار المذهب الحنفي في المغرب ، وتحول
المغاربة عن المذهب المالكي . ان كان في الجزائر تشبها بكان يكون مقصودا على الاتراك
المشانيين وابنائهم ، وربما بعض الاندلسيين الذين كانوا يملكون في شغل بعض الوظائف
ايضا .

والواقع ان الاتراك المشانيين لم يملوا على نشر اللغة التركية المشانية في الجزائر
القاضية لسلطتهم (٦) ما ناهى عن المغرب الذي كان اقل نفوذهم السياسي ، كما انهم
لم يفرضوا المذهب الحنفي في الجزائر على السكان ، ولم يملوا ايضا على نشره في المغرب ،

- (١) الافرائي : الفقه من ١٥٧ - ١٥٨
- (٢) انظر عن التأثيرات التركية في الادارة السعدية : محمد المنوني : ملاح من تطور المغرب
- (٣) المص / في / مجلة مجمع اللغة العربية عن ٨٤٩ - ٨٥١
- (٤) انظر عن تشيخهم : بن المنصور ، الفسطاطي ، مباحث الفسطاطي من ٢٠١ - ٢٠٤ والمنوني نفس المرجع
- (٥) (٤) - ٨٥٠ - ٨٥١ : الفقه من ١١١ ، والفقه الى : الخليل من ٢٠١ - ٢٠٢
- (٦) يقول مابيلو : ان كل الاتراك الذين يأتون الى الجزائر يسرعان ما يتعلمون العربية ، ولم يؤد على ان كل الجزائريين في المدينة يعرفون التركية . انظر الطبوغرافية في المرجع السابق عدد ٨٦ عن ٩٣

الا انهم جعلوه في الزاوية غرار ما كان عليه الامر في انباء الامبراطورية النمساوية
المذهب الرسمي للدولة ، ينحرف له الساجد الجديدة ، وجعلوا الحقى الحقى فيها مقدما
على الحقى العائلى في الحضرة والاعتبار والرأى (١) .

ومع ذلك فقد نزل المغرب الملكي هو المذهب السائد في الجزائر ، كما هو الحال
في المغرب ، وللت اللغة العربية هي لغة الثقافة والانتاج الفكرى في البلدين

ب حركة الهجرة والتنقل

1 - الهجرة القسرية

كانت حركة الهجرة والتنقل بين البلدين ظاهرة قائمة

كما رأينا قبل سنة ١٥١٢ / ٢٣ هـ . ولكن استلام السعديين الحكم في المغرب في سنة ١٥١٢ هـ
للبنانيين وغيرهم من امراء الوصايات السياسية التي كانت قائمة في المغرب ، واستلام
البنانيين الحكم في الجزائر ، للبنانيين والحفصيين . وتنافس نظام الجزائر والمغرب
قد نجحت عنه حركة الهجرة القسرية من بلد الى آخر للأفراد والجماعات والقبائل ، من مختلف
الطبقات الاجتماعية . فالمولى المجهول صاحب تاريخ الدولة السعدية ، ان محمد الشيبان
السعدى لما دخل ، الواس للحرارة الثانية في ١٥٥٤ بعد ان قتل ابا حسن الوطاسي ،
واستقر فيها ، ((. . . تحكم في اهل فاس بالانلال ، والاهانة وادى بسائفه فيهم ، وقهر
أهلها بانواع الافعال ، ونفى اكثرهم للشرق . . .)) (٢) ، وذلك انتقاما منهم لطرد
لابي حسن ، ورضه في تسمية السب الوطاسي في المدينة ، لانه حزب لايود حري في التعاون
مع اعدائه الاتراك ، ورضه في التدخل من مؤامراتهم .

ونعلم من الوثائق المتوفرة ان قول الاسرة الوطاسية التي كانت تحكم في المغرب قد
لجأوا الى الجزائر واستقر الحالف بهم هناك . وان شيخ فاس ومكناس وقادة نواحي الغرب
في ملوك فاس قد هاجروا ايضا الى الجزائر (٣) ، حققنا لدناهم .

وتقدم في بحث العلاقات السياسية ان ثلاثة من الامراء السعديين وتديدا من اتباعهم
قد هاجروا من المغرب الى الجزائر بعد ان آل الحكم فيه الى اخيهم عبد الله ، ومكنوا فيها
بشخصين عديدة ، وجعلوا من اتراكها على مراتب واقطاعات لهم ولا تابعهم (٤) . وهؤلاء
الامراء هم عبد الملك وعبد زيد المؤمن ابنا محمد الشيخ . وقد نادى الاولان الى المغرب
بعد وفاة اخيهما ، ما يخفى ان الهجرة القسرية قد تكون هجرة مؤقتة تزول بزوال الدافع لها .

(١) سيد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٢٥٨

(٢) ص ٢٢

(٣) ص ٢٢ : اسبانيا ج ٣ ص ٢٤٥ - ٢٤٨

(٤) ص ٢٢ : رقم ١٢ ص ٢٣٦ ورقم ١٨ ص ١٥ وانظر فصل العلاقات السياسية الرابع

وفي الاتجاه الحماشي نجد ايضا انه لما دخل حسن بن خير الدين الى طلمسان في ١٥٤٢ هـ / ١٥٤٥ م فرضاها الامير احمد الزباني ووزيره المنصور بن ابي غانم الى المشرب مع من انضاف لهم من امراء طلمسان وبنوهم (١) . ولئن امير دبدو اغتلبهم واخذ اموالهم ثم سبهم فقتلهم (٢) .

وفي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حصلت هجرة طماه طلمسان الجماعية الى فارس بالمغرب التي تعدت عنها ابن عسكر ، وذلك في اعقاب فتنة وقعت في طلمسان بين اولئك النماة واثراك الجزائري العثمانيين . وقد حصلت تلك الهجرة في سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م (٣) . ومن بين علماء طلمسان الذين هاجروا في ذلك التاريخ نذكر :
أبا المباس احمد بن احمد السمدي الذي وصفه ابن عسكر بالشيخ الفقيه العالم الملا (٤) .
وأبا عبد الله محمد بن عبد الله المسروق بالسيد شقرون (٥) . وأبا المباس احمد بن محمد لمقباني (٦) . وغيرهم .

ولما استقر امر طلمسان ونواحيها للاتراك العثمانيين في اواسد القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، هاجرت قبائل مغرب الـ الشراقة الذين تانوا يستوطنون منطقة طلمسان ووجدة الى المغرب فرارا من سلطة الاتراك عليهم ، ومن دفع الضرائب اليهم ، ودخلوا في خدمة الاشرف السعديين (٧) .

وتشير المراجع الى ان قبائل مديونة - ومواطنيها بين وهران وطلمسان - العواليه للاشراف السعديين ارسلت تحت مهاد الشيخ علي المجبي الى المنطقة ، ولما جد الاتراك السعديين من الغرب الجزائري في منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي واجبروهم على الانسحاب انسحبوا في الاغوار معهم الى المغرب (٨) ، غرقا بدون شك من انتقام الاتراك العثمانيين منها .

والخوف ايضا من الانتقام جعل " بوطريق " يفر الى المغرب بحثا فشل ثورته على الاتراك في الاربعينات . وهناك لقي من سلاطين المغرب الاستقبال الحسن وكث سنين عديدة قبل العودة مع حملة ابناء الشريف السعدي محمد الشيخ في منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي (٩) وفيما يشبه الهجرة العسكرية نذكر الاتراك والزواويين الذين ابقاهم صالح رايس ورمضان باشا في المغرب الذي عودتها منسدة في ١٥٥٤ ، وفي ١٥٧٦ للمل في صفوف

ابي عيسى بن عبد الملك (١٠)

- (١) (٢) السلاوي : الاستقيا ج ٤ ص ١٦٣
- (٣) (٤) ابن عسكر : الدرحة ص ٨٧ وابن القاضي : الجذوة : ص ٢٠٧ والدرة ج ٢ ص ٢١ وابن ميم
- (٥) نفسه : ص ٨٧ وابن القاضي : الجذوة : ص ٢٠٧ والدرة ج ٢ ص ٢١ وابن ميم
- (٦) ابن عسكر : نفس المصدر ص ٩١
- (٧) م. م. م. : فرنسا ج ٢ ص ٢١ وماش ٣ ، والاقراني : النزعة ص ١٧٤ والسلاوي :
- (٨) الاستقيا ج ٤ ص ٥٧٠
- (٩) م. م. م. : أسبانيا ج ١ ص ٢٠٨ - ٢١ و : روف : المرجع السابق ص ١٣٠ وماش ٤
- (١٠) هایدو : ملوك الجزائر ص ٧١
- (١١) الفشتالي : المناهل ص ٣٤ - ٣٥ والمجهول : المرجع السابق ص ٢٠٧ - ٢٠٨

2- الهجرة الطوعية :

والى جانب الهجرة القسرية ، كانت تجرى هجرة أخرى ، ولكنها طوعية ، من المغرب الى الجزائر ، والعكس ، شملت ايضا الافراد والجماعات من فئات مختلفة كقبة الطلبة والعلماء ، المال والتجار والبنود . واذا كان من اهم الدوافع الرئيسية الى الهجرة القسرية هتدو بؤور المهاجر في موطنه الأصلي بالخطر على نفسه او ماله او عرضه او دينه او عدم الارتياح الى سلطة الحاكمة في البلد ، او نفي هذه السلطة نفسها للمهاجر فان من اهم الدوافع الى الهجرة الطوعية :

1- الهجرة لاستكمال الدراسة وهذا حال كثير من طلبة كلا البلدين . ومن هاجروا الى الدار البيضاء المقيمة الى الجزائر لهذا الغرض نذكر :

محمد بن احمد البشير القاسي الذي رحل الى طلمسان . واشتد فيها عن كبار مشايخها مثال : ابي عبد الله محمد بن موسى الوجداني مفتي طلمسان ، وابي عثمان بن سعيد وغيرها . ثم رحل الى قسنطينة واشتد فيها من طالبها الكبار بن ابي حفص عمر الانباري المعروف بالوزان ، وابي عبد الله محمد الحارثي ان يسود الى وطنه طلمسان من اعظم علماء ويتنوا فيه الامام والخطابة والفتيا بمدينة فاس رحل ايضا الى تونس ومصر والمقاع المقدسة (1) .

وسعيد الماغوسي ، ومحمد بن سليمان الدوداني ومحمد بن مزبان التواتي وغيرهم من مشايخ نذكرهم . في الفصل الآتي بشيء من التفصيل .

ومن الطلبة الجزائريين الذين هاجروا الى المغرب في الفترة موضوع الدرس لفرض استكمال الدراسة ايضا نذكر :

سعيد المقرئ (بن احمد) الذي انتقل الى فاس في النصف الاول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي واشتد هناك عن عبد الواحد الونشريسي ، وطلمسان بن هارون الملقبي . وكلاهما من اصل جزائري ، كما اخذ ايضا عن ابي محمد عبد الوهاب الزقاق (2) ، وغيرهم ، ثم عاد الى طلمسان وتولى فيها التدريس والفتوى والخطابة بالجامع الكبير ، فترة طويلة لا تقل عن خمس واربعين سنة (3) .

واحمد الحقوقي ، ومحمد المصطفى الطلمساني وغيرهم من مشايخ نذكرهم . في الفصل الآتي ، بشيء من التفصيل .

سعيدا قدورة الجزائري البار وريحا المولد ايضا التونسي الاصل الذي قصد المغرب للدراسة وتبنته استاذة ابن مولي بمناسبة استيلائه على سجلماسة ، ثم ما لبث ان عاد الى مدينته الجزائر حيث تقلد وظائف طيبة ودينية عديدة كالفتوى والخطابة والامامة والتدريس وغيرها (4) .

- (1) ابن عسكر : الدوحة ص 9 ، ابن القاضي : الجدوه ص 157 ، والندوة ص 201 - 203
(2) ابن عسكر : نفس المصدر السابق ص 43
(3) ابن مرهم : البستان ص 259 ، الحفناوي : تعريف الخلف ص 155
(4) الحفناوي : المرجع السابق ص 1 ، المرجع السابق ص 364 - 377

٢- الهجرة للحمل : وهذا حال بعض العمال في المناطق الحدودية على الخصوص الذين كانوا ينتقلون للحمل في البلدان في الاعمال الزراعية او الصناعية كهنبي بجوي على سبيل المثال الذين كانوا ينتقلون الى فاس للحمل في مختلف الاعمال فهناك كانت وظيفة (١) . وحال بعض الاثرياء وبعض الجزائريين الزواويين الذين كانوا ينتقلون من الجزائر الى المغرب للمسبل كجنود في صفوف السعيديين . وقال كثير من علماء البلد من :

ومن علماء الجزائر الذين انتقلوا الى المغرب نذكر على سبيل المثال لا الحصر :
- سميح بن عبد الرحمن بن بلال المتقدم ذكره . وهو الذي قلده كما اشرنا السلطان السعدي محمد الشيخ السعدي منصب الافتاء في فاس . وجمع اليه الشكاه ، والامامة ، والتدريس في جامع القرويين . وانتفع الناس بعلمه الفزير بها وفي تارودانت التي مكث فيها سنة مع محمد الشيخ المذكور (٢) .

- واحمد بن محمد الهادي التلمساني الذي تولى التدريس في القرويين مع توافر العلماء . وفي عهد النوطاسيين ، ولحقه منافسة شديدة من نظرائه (٣) .
ومن علماء المغرب الذين انتقلوا الى الجزائر للفرقة نذكر ايضا على سبيل المثال لا الحصر :

- محمد السوسي الناصي : الذي انتقل الى الجزائر في وقت غير معلوم ، وتولى التدريس في مدينة الجزائر (٤) ، وفيها توفي سنة ١٠٢٣ هـ .
- عيسى ابو سميدى الجناتي الذي رحل الى تلمسان وتصدر للتدريس فيها (٥) .
- احمد القاسي الذي استوطن قسنطينة بالجزائر وكان شاعرا يتكسب بشعره (٦) .
- القسري القاسي الذي كان يدرس في زاوية (٧) .
- علي بن عبد الواحد الانصاري السجلماسي الذي استقر في مدينة الجزائر وتصدر فيها للتدريس وتخرج على يده الكثيرون منها كانت وفاته ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ (٨) .
وقد طاب لبعض علماء الجزائر والمغرب المقام في مدينتهم فاستقروا فيه بصفة نهائية . وقال بعضهم وجادة نيرة لدى جناب موطئهم الجديد . كما سنرى بشيء من التفصيل .

-
- (١) مارجول : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٦
(٢) انظر عن ابن بلال ، ابن عسكر : المصدر السابق ص ٩٠ - ٩١ وابن القاضي : الجدوة ص ٢٦
(٣) ابن عسكر : نفس المصدر السابق ص ٨٨
(٤) محمد الله : المرجع السابق ج ١ ص ٤٤٩ - ٤٥٠ والحنوني : ملاح في المرجع السابق ص ٨٢٤
(٥) محمد الله : المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٧
(٦) نفسه : ص ٤٤٨ - ٤٤٩
(٧) نفسه : ص ٢٢٧
(٨) نفسه : ص ٣٢٧ - ٣٨٣ والمياشي : الرحلة ج ٢ ص ٢٧ : المشاوي : تعريف الخلف ج ١ ص ٦٩

بالهجرة لجمع الشمل : وهذا حال الذين ابتلوا بالهجرة القسرية ، ثم طرأت ظروف مناسبة
 سودتهم كالأمراء المستبد بهم السابق ذكره واتباعهم . وحال كثير من الاندلسيين الذين تشتت
 طيهم بين الجزائر والمغرب فكانوا يهتفون من بلد الى آخر لجمع شطرتهم (لشمال بعض طعما تلسان
 يدين هاجروا في اعقاب فتنة سنة ١٠٦٨ هـ / ١٥٦٠ م كالعبادى التلمساني (٢) .
 - التنقل لدوافع اخرى دينية واجتماعية ودبلوماسية .
 - كان الحج دافعا كبيرا للقيام المغاربة بالرحلة الى المقام المقدسة لاداء هذا الركن ،
 وروا ببلاد الجزائر . واجتمع هذا المعامل ^{القديم المتجدد} لا تخفى بالنسبة للعلاقات الاجتماعية والثقافية بين
 لبلدين ان يتيح فرص اللقاء بين الجزائريين والمغاربة بما في ذلك مثقفي البلدين ، والامتناع
 بينهم وتلاقح افكارهم ، والتبادل في المسائل العلمية المطروحة على العلماء وتبادل الكتب
 ودواولها وانشاء الصداقات بينهم وقد كان ركب الحج ~~المغربي~~ ينطلق
 سنويا الى الحج ، فيجوز بلاد الجزائر في الذهاب والا ياب ما كان يتيح فرص اللقاء
 بشكل منتظم ومستمر . ومن المغاربة الذين زاروا بلاد الجزائر بمناسبة الحج وكانت لهم
 اتصالات مع مثقفي الجزائر في المدن التي مروا بها ووطوا علاقات وليدة معهم ابو سالم الحياشي
 صاحب رحلة ماء الموائد ، التي خلد فيها مشاهداته ، واتصالاته في الجزائر وسينما مرعب
 الجزائر بمناسبة حجته الاولى في سنة ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م وحجته الثانية في سنة ١٠٦٤ هـ /
 ١٦٥٤ م ، ربط عراقات وليدة مع عبد الكريم الفكون (الحفيد) وابنه محمد ، وكذلك
 مع ابي مهدي عيسى الشاذلي وغيرهم . ومن هذا الاخير درس كثيرا من الكتب وحصل على الاجازة
 منه . وعن الفكون التلميذ المذكور اخذ الطريقة الزروقية في الصوف (٣) .
 والى جانب الحج كانت زيارة كبار مشايخ الصوفية والمرايدين واخرعتهم دافعا
 للتنقل من بلد الى آخر . وفي دوحة الناشر لابن عسكر اشارات كثيرة للاضرحة التي كان
 يقصدها التلمساني من مشارق الارض ومغاربها كضريح سيدي ابي بكر السرفسي
 بشمال المغرب على سبيل المثال (٤) .
 وقد كانت زيارة الاضرحة وكبار مشايخ الصوفية والمرايدين للتعرف ، ظاهرة ملحوظة ،
 ولا تقتصر على عامة الناس بل تشمل ايضا الفئة المثقفة منهم . ومن الزارات الكبرى في
 الجزائر التي كان يأتونها الجزائريون والمغاربة بكثرة ضريح سيدي ابي مدين شبيب في
 طمس - ان (٥) ، وضريح سيدي خالد (٦) ، بنواحي سيدي بركدة .

- (١) محمد داود : تاريخ تطوان المجلد الاول ص 63
- (٢) ابن عسكر : دوحة الناشر ص ٨٧
- (٣) انظر عن الرحلة شمس الدين واتالات في الجزائر ، رحلته خاصة الصفحات ٢٢ ، ٤٩ من الجزء الاول ص ١٢٧ ، ١٢٩ ، ٢٨٢ ، ٣٩٠ - ٣٩١ من الجزء الثاني
- (٤) ابن عسكر المصدر السابق ص ٢٠
- (٥) ابن مريم : المسكن ص ١٨ - ١٩
- (٦) انظر عنه الحياشي : في المزيين السابق

محمد الشيخ ، لافادة العالم ورسم الحدود بين البلدين شل دعوته للدخول تحت لواء الدولة
العثمانية ، وذلك في ١٥٩٩/١٥٥٢ شم ١٦٦١ هـ / ١٥٥٤ م وبهذه المناسبة التقى بشخص
من مثقفي المغرب وتناقشوا وتناظروا معهم في قضايا فقهية وكلامية وتصوفية ، واخذ عنه
الكثيرون منهم أبو عبد الله الرزوي . واهو الحسن علي الاغصاوي المعروف باليقال ، وغيرها .
واستكمالا للمناقشة التي بدأها مع علماء فاس ومراكش بعث الخروبي برسالتين احدهما
الى خواص فاس سماها : ((رسالة ذي الافلاس الى خواص مدينة فاس)) تعرض فيها الى آداب
القواعد الحسن للسلام ، وارج افكارا وآراء ظلت مدار النقاش حوالي قرن من الزمان ، والاخرى
الى كبير مراهطي مراكش ابي عمر القسطلي المراكشي بنك - رحمه الله - كثيرة (١) .
وفي الوقت الذي نطأ فيه معلومات اخرى كثيرة عن التروبي السفير الذي اثار ضجة
كبيرة في الاوساط المثقفة بالمغرب لاطلاعه معلومات كثيرة عن ابي الدائم - ب - العسكري الذي توجه
الى المغرب سفيرا من قبل السلطان العثماني لتهنئة المنصور بالانتصار في معركة وادي المخازن ،
١٥٨٦ هـ / ١٥٧٨ م ، والجلوس على الحكم ، وقد كانت سفارته في صيف ١٥٧٩ .
وعسب القسطلاني فان ابا الطبيب العسكري كان مفتحي الجزائر ، ووصفه بالشيخ العالم ،
والصدر الكبير ، والخطيب الشهير . وذكر ان السلطان العثماني " اختاره للشهيرة وكانت
في العلم والرياسة ليحسن اداء الرسالة وتقرير المودة والاعراب عما في الشرائع ، وليرد
بارساله على طوعه وشرف مقدار العرسل اليه " (٢) .
اما السفيران عبد الله التتوي، ومحمد بن عبد الحصري المزغاني اللذان توجهوا الى سجلماسة
عام ١٥٦٤ هـ / ١٦٥٤ م ، موفدين من قبل حكام الجزائر ، الياسا ، والديوان مع اثنين آخرين
من اركان الديوان الاتراك . اماوضة محمد بن الشريف الملو في العلم بهمه وبين حكومة
الجزائر ، فلا تصرف زيادة عما تقدم ذكره سوى انها فقيهان من فقهاء الجزائر . وصف المذكور
اولا منهما بالفقيه الوجيه والثاني ذكره بالفقيه الابر السيد الحاج (٣) .
وقد بحثت من السلطانين السعديين وحكام الجزائر سفرا آخرين الى الجانب الآخر ،
وسمينا ان ضمن تقدم ذكرهم مايلي بالخرس المسود .
ويستغل من تشاغل التروبي ، في المغرب ، واتصالات الوزان ، والتجبروتي فسي
الجزائر ان السفارات ، ولا سيما حين يقوم بها مثقفون بايزون لها اهمية كبيرة في مجال العلاقات
الثقافية ، حيث تتيح فرص التآلف ، والاحتكاك بين مثقفي البلدين ، وتلاقح افكارهم ، واخذ
بعضهم عن بعض ، وتوطد العلاقات بينهم ، مما يعود بالنفع على الحياة الثقافية والاجتماعية
ايضا في البلدين .

(١) ابن عسك : الدوحة ص ٨ ، ابن القاضي الجدوة ص ٢٠ ، الافرائي : النزهة ص ٤١ - ٤٢
كنون : النبوغ المغربي في الادب العربي ج ٢ ص ٢٤
(٢) القسطلاني : الخاهل ص ٥٠
(٣) السلواي : الاستقصا ج ٢ ص ٢٥

ومهما كانت الدوافع الى الهجرة ، والتثقل من الجزائر الى المغرب ، او في الاتجاه
عكسها ، فانها اذا استثنينا ما كانت تتسبب فيه الهجرة القسرية بصفة خاصة من تقسيم شمل العائلات
الشمال ، وما كانت تساهم فيه من توتر العلاقات السياسية بين البلدين بسبب امراء كل طرف
سناوئي الطرف الآخر ، فقد كانت انعكاساتها على العلاقات الاجتماعية والثقافية بصفة
خاصة ايجابية ان كانت قد ساهمت في توطيد اواصر الاخوة بين الافراد والقبائل الاجتماعية
في المجتمعين الجزائري والمغربي ، بما كان ينشأ بين افرادهما وجماعاتهما من علاقات ثقافية
اجتماعية كالعلاقات التي كانت تساهم في تحقيق مزيد من التجانس في مختلف الجوانب :
في العادات والتقاليد ، وفي الآراء والافكار بين المجتمعين . وسنرى في الفصل الاتي
ان المهاجرين الجزائريين والمغاربة كان لهم نشاطهم الطموح في المغرب .

جـ - موقف حكام البلدين من الهجرة والمهاجرين وأثره على العلاقات الاجتماعية والثقافية :

لكن ما جعل حركة الهجرة والتثقل بين الجزائر والمغرب للافراد والجماعات من مختلف
القبائل ، ولمختلف الافراس قوية هو ان حكام البلدين لم يضعوا قيودا في وجهها . فكان
التثقل سيرا من بلد الى آخر ، بل ان لحكام البلدين اثرا كبيرا في تشييدها عن طريق
ترسيخهم بالمهاجرين وخاصة بازقة الشقة وطية القوم من امراء والقادة والحكام ، بسبل
واغراء بمنسبهم على البقاء بالمال والنصاب والقطاعات .

د - موقف حكام الجزائر الاتراك العثمانيين :

لم يكن حكام الجزائر الاتراك العثمانيون في مجموعهم من اهل العلم ولا اصيلين مجالس
علمية بل من رجال الحرب والسياسة ، واكثرهم كانوا لا يفقهون كثيرا في العلوم الدينية ، وقد
لا يعرفون شيئا في علوم اللغة العربية وهي العلوم التي كانت لها السيادة في ذلك العصر ،
وهذا خلاف لما كان عليه الامراء الزياتيون والحمفيون ، ولكن كثيرين من حكام الاتراك الذين
بنوا السجون والزوايا وأوقفوا عليها ارقاما سخية للمنايا بها ومن يشتغل فيها ، ولم تكن
تلك الزوايا والمساجد مبردة امانا للعبادة ، بل كانت ايضا اماكن للتدريس ، بحيث يمكن
القول انهم بنوا ما هم بالشريعة والدين ، قد شجعوا التعليم وان لم يكن من غرضهم الا صلي
تشر العلم المحض في تلك الزوايا والمساجد التي أسسوها ، ولما خدعة الدين ، والتقرب من
الله وربما كانوا يودون ان يسلطوا من خلالها على الشهرة ، او الخطوة لدى العلماء
يوثقهم من مهاجرين العلم من العلماء : وقد كان اغلب الحكام الاتراك العثمانيين ان لم يكونوا كلهم يقدرون
العلماء ويجلسونهم ، ويزيدون بالزوايا من منهم واليهب سوا كانوا من المغرب او المشرق . وقد يكون
ذلك ليس بها خالصا في العلم والعلماء ، وانما لاغراض اخرى مقصودة كاستيعاب المعلومات الموثوقة
عن المغرب منهم او عن اوضاعهم ، وتوطيد سلطتهم بواسطتهم ، او مساعدتهم ، ان كان
للعلماء والمرايطين في هذه المرحلة تأثير كبير على الرأي العام ، او على عامة الناس وتوجيههم

الى جانب السلطة الحاكمة ارشدها ، او غير ذلك من الاغراض .
ولا أدل على ترحيبهم ومن استقبال الوافدين عليهم ، من ان كثيرين من العلماء
الذين وفدوا الى الجزائر العاصمة وبالكثيرة من المغرب وتونس ، والبلن ، وعلى من
مشرق ، وآثروا العظام في كنفهم لما وجدوه من تقدير واحترام لديهم . وقد حصل بعضهم على
مائة مرسوقه كمحمد بن علي الشريفي الدرابلسي الذي وفد على الجزائر طالباً للعلم ، ثم
ستون شهراً . فقد اشتره بكتام الجزائر سفيراً لهم اكثر من مرة الى المغرب . وكان ذا وجهة
مباشرة لديهم .

اما من المعارضة فنحن نرى الى ان عليا بن عبد الواحد البجلجاسي المتقدم
كروه قد ثار يمتنع بوجهة وخطوة كبيرتين لدى الباشا يوسف (١) ، والى ان مخارطة آخرى من
محمد القاسي وغيره ، را التدريس في الجزائر ، او في قسنطينة في طحسان من قبل حكام
الجزائر .

ولكن الاتراء العثمانيين لم يقدوا احداً من المعارضة فيما اظم . غططاً اخرى كخطوة
لقضاء او الافتاء او الخطابة او الامام في الجزائر العاصمة او في غيرها من الحواضر الكبرى
الجزائرية . في حين قد حثام المغرب الكثيرين من علماء الجزائر المهاجرين الى المغرب ، مخطف
لخطاب .

وقد يكون ذلك من الطبعي لا اختلاف مذهبهم الديني عن المذهب الحنفي ، مذ شرب
لدولة الرسمي . ولكن الاتراء من جهة اخرى لم يمنعوا تنقل علماء المغرب واليه في الجزائر
من مركز الى آخر كما لم يمنعوا من يرغب من الجزائريين في الهجرة الى المغرب من ان يفعل
ذلك ولم يطلقوا حرساً للتفتيش فتال وانما سرية التفكير والرأي أياً . ولم يخطبوا
اي عالم او مسجونه او يظهروا سبب آرائه الفكرية او المذهبية كما فعل عبد الله الخالب بالـ
السدي وابنه محمد . ان الخطم الاول اتباع احمد بن يوسف الطياني الجزائري في المغرب
بدعوى الزندقة والغرور من زيادة الصواب ، والتطوي في اعتقاداتهم في الشيخ المذكور .
وامر الثاني بقتل ابي عبد الله محمد الاندلسي ، الذي كثر اتباعه في المغرب وسواها بالمحمديين
في مقابل المالكيين . وهذا نمو المذهب الظاهري في فهم الامور الدينية ، وقامت بسبب ذلك
فتنة كبيرة في المغرب .

ولعل الشرط الوحيد الذي كان الحكام الاتراء العثمانيين حريصين على ان يعترفوا
كل الرافدين الى الجزائر من مثقفي المغرب او غيرهم ، وشأنهم في ذلك شأن معظم الساسة ،
هو عدم التدخل في الشؤون السياسية على نحو يناوئ حكمهم او يهدده بأي شكل من الاشكال ،
سواء بالدعوة الى السلطان المغربي ، او محاولة اثاره الرأي العام في الجزائر على الحكم القائم
فيها ، او مساعدة المعارضين للاتراء .

فانما حدث من اندحارهم ان تجاوز هذا القيد، ولم يقتيد به، لم يتويع الحكام الا تراك من تسلط العقوبات المديدة عليه ، التي قد تصل الى حد القتل او السجن ، او النفي والاضطهاد . كما حصل للمسلم المغربي محمد بن مزبان التواتي على سبيل المثال الذي تمتعه الا تراك المشانين بسبب ابراءه للمعارضين لهم (١) ، فوجد نفسه مضطرا للفرار من قسنطينة حيث كان يدرس ، ونال شهرة كبيرة ، ولجأ الى باجة في القطر التونسي ، وهناك توفي بالطاعون في ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م .

والواقع ان الشرط المذكور لم يكن خاصا بالوافدين الى الجزائر، ومن المغرب بالذات بل كان مفروضا ايضا على علماء الجزائر وشقيقتها . فالملاقات بين هؤلاء وعلماء الجزائر كانت تتم دائما تدخل احد طرفي الشئون السياسية في الجزائر ، وما يهاجم الجزائريين نحو مثلاً للحكم . وهذا ان يكون الا تراك المشانين في الجزائر ، وما يهاجم الجزائريين وبالمقابلة حكمهم لهم لم تكن دائما سال الرضا والاستحسان لدى هؤلاء المشانين فقد كان بعض المرابطين او العلماء يمتنعون عن فترة واخرى ضد الحكم ، ويتضمن الثورات لقلبه ، كما فعل احمد بن القاضي الزواوي في عهد خير الدين (٢) ، والشيخ بوالمعرق الطلياني في عهد خليفة حسن آغا (٣) ، وفي الاواسي في أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي وغيرهم .

موقفهم من المهاجرين من غير العلماء :

وكما رغب حكام الجزائر بالعلماء والمعارفة ، فقد رحبوا ايضا بالوافدين المهمين من غير العلماء ، وفي طليعتهم طلبة العلوم من المعارفة : امثال عديد من الامراء والقادة الوطنيين الذين لجأوا الى الجزائر في اقطاب قضاة محمد الشيخ على الدولة التونسية في المرة الاولى ، و١٥٤٩ م / ١٥٦٦ هـ . ولا سيما في الثانية ١٥٥٤ م / ٩٦١ هـ في عهد صالح رايس الذي رحب بهم وادناهم منه عززي ابنه لاهي بكر بن السلطان احمد الرطابي (٥) ، وامثال الامراء السعديين الذين لجأوا الى الجزائر في عهد عمن بن خير الدين ، فرحب بهم فزج اعداءهم ، وهو عيسى المومن من ابنه ، واستند له طمسان لحكمها ، واقطعه اقطاعات سفية ، انتقلت بعد وفاته الى ابنه عبد الطي الذي كان هو الآخر يتمتع بحظوة وتقدير لدى حكام الجزائر (٦) . كما اقتلع المهاجرون مع الامراء السعديين اقطاعات اخرى . (٧)

وبخلاصة القول فان موقف حكام الجزائر الا تراك المشانين لم يكن معارضا لحركة هجرة المعارفة الى الجزائر ، او تثقلهم فيها ، كما انهم لم يكونوا معارضين لركة هجرة الجزائريين

- (١) عهد الناصر النشون : منشور البداية ص ٢٢
- (٢) المجهول : غزوات ص ١٠٠ - ١٠٣
- (٣) ماهدو : طين الجزائر ص ٧ - ٧١
- (٤) الفكون : منشور البداية ص ٢٦ من المخطوط وسعد الله : المرجع السابق ص ٢١٥ - ٢١٦
- (٥) انظر فصل العلاقات السياسية : الرابع
- (٦) انظر فصل العلاقات الاقتصادية : الرابع
- (٧) (٦)

من مختلف الفئات إلى المغرب . يشهد على ذلك وجود جزائريين كثيرين في المغرب ، ووجود كثيرين من المغاربة من مختلف الفئات في الجزائر . وموقف سكان الجزائر هذا موقف إيجابي لا أثر على العلاقات الاجتماعية والثقافية ، حيث كان يسمح باستمرار التبادل الثقافي ، وانتقال المؤثرات المختلفة من بلد إلى آخر .

موقف حكام المغرب تجاه الوافدين إليهم : موقفهم من العلم

يتميز أغلب حكام المغرب في الفترة مابين الدرس سواء كانوا وطنيين ، أم سعيديين ، أم علويين ، بأنهم كانوا يعترفون العلماء بل ويؤثرون مجالستهم ، واصطحابهم معهم ، واستشارتهم ، واتخاذ اتوائهم منهم . ولا عجب في ذلك ، فقد كانوا هم أنفسهم من العلماء أو الآخذين من العلم ، أم بنصيب وافر ، فإذا استمعنا بعض السلاطين السعديين على سبيل المثال وجدنا أن :
- محمد الشايح السعدي ((باع في العلم درجة الدرس حتى كان يخالف القضاة في الأحكام ، ويرد عليهم فتاويهم فيجدون السوابق معه (١))) ويذكر أنه كان حافظا للقرآن وله عواش على تفسيره ، وأنه كان حافظا لديوان المتنبي ، أدبها متفندا (٢) .
أما ابنه عبد الله فكان هو أيضا حافظا للقرآن العظيم وأخذا . بطرف واسع من العلم (٣) . وكان محمد بن عبد الله المعتمد ذكره فقيها مشاركا في الفنون ، أدبها مجيدا ، قوى المارضة نظاما ونشرا (٤) .

وأما أحمد المنصور فقد كان " خبيرا بالعلوم متضلعا بالفنون من شعر وتاريخ وسير ولغة ، بيان ، منطق وتفسير وحديث ، وحساب ، وفرائض ، وهندسة ، وبهر ومقابلة (٥) . وله عدة تأليف منها كتاب في السياسة ، وحاشية على تفسير القرآن . وحاصلا على عدة إجازات من علماء المغرب والمشرق منها إجازات من كبار علماء مصر أحدها من الشيخ الإمام العالم محمد المكني السديقي ، والاخرى من بدر الدين القدراني (٦) ، قاضي قضاة الحائمية بمصر . وكان ابنه زيدان فقيها مشاركا ، متضلعا في العلوم وله تفسير على القرآن العظيم (٧) .

مواقف حكام المغرب تجاه المثقفين الجزائريين الوافدين إليهم : بارالوماسيون والسعديون
تقليد من سبقهم من حكام المغرب ، من ناحية تقديرهم لهم بل وتوثيقهم بمن يفد إليهم منهم ، بل وإيثارهم على علماء المغرب بأسناد أرفع الوظائف العلمية والدينية إليهم ،

(١) (٢) الأفراني : النزهة ص ٢٣ ، ٢٤

(٣) نفسه : ص ٤٥

(٤) نفسه : ص ٥٧

(٥) نفسه : ص ١٢٩ والفشتالي : المناهل ص ٢٦٥

(٦) انظر نفسها في الفشتالي : المناهل ص ٢٦٩ - ٢٩٤

(٧) الأفراني : النزهة ص ٢٤٧

كثرة العلماء في المغرب ، إلا أن الذي لم يكن ليرضي دائما هؤلاء أو بعضهم على الأقل ، لما يشهده هذا في نفوسهم من غيرة وفساد وتنافس على المناصب . وكان هؤلاء لا يشفون أحيانا استياءهم ، من الوضع . وفي الترتيب الذي خصصها ابن عسكر للعالم الجزائري الطمساني أحمد بن محمد المهادي الطمساني ، الذي هاجر إلى فاس في عهد الناصر بن الشيخ الرناسي ، ما يدل من جهة على ترحيب هذا الأخير بما يثار له على علماء فاس وما يدل من جهة أخرى على عدم الرضى الذي قابل به هؤلاء الأخيرين منافسة عالم طمسان لهم ، ومداواة السلطة الحاكمة له . ما يذكر بهذا الخصوص أن الناصر الوطاسي قدم العالم الطمساني لدوافد اليهلته من في فاس مع توافر العلماء وشرف قائل ((ولقي من منافسة نظرائه من فقهاء فاس في ذلك الوقت أمورا لعل ذكرها لتقدم عليهم وتوسد أرباب الدولة إلى جهة)) (١) .

وإذا انتقلنا إلى عهد الشيخ السعدي وجدنا أنه رحب بوفادة محمد بن عبد الرحمن ابن جلال الطمساني اليه في صدر أيامه وفقد الفتوى بمدينة فاس وتولى التدريس والخطابة والإمامة في جامع الاندلس القرنين (٢) .

أما عهد الله المسمى قد رحب بهذا علماء طمسان الذين استفاضوا به في أعقاب الفتنة التي وقعت بينهم وبين التري التي أشير إليها سابقا ، في سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م ونظمهم إلى فاس واحتفي بهم . وروى كلا منهم على قدر حاله ، وأمر لا محمد بن أحمد المهادي بالف مثقال ذهب وكساء واقامة بليلتين قال لا عوانه ولا تسوده بأحد من الفقهاء فان سمته كبيرة (٣) . وقد عهد الله محمد بن هبة الله المعروف بشقرون الفتوى ورئاسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب ، واعتقل الفقهاء لحضوره (٤) .

وأما عهد الطي فأمر إلا أن يصلح مع في عودته إلى المغرب في ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م العالم الجزائري يحيى بن سليمان الزواوي (٥) .

ونأتي الآن إلى موقف سلطان العلماء أو عالم السلاطين السعدي بين أحمد المنصور فقيه ومؤثر العلماء الجزائريين الذين استوطنوا المغرب قبل أن يتولى الطي محمد بن الوقاد ، والثاني وفدا عليه وهو طي كرسي الطي محمد المري الطمساني ، وأحمد المقرئ ومحمد بن من رأس الميسر .

فكان لابن الوقاد الذي تولى الفتوى والخطابة والإمامة في الجامع الكبير المنزلة رفيعة ووجاهة كبيرة لديه ، حتى أنه كان يتأخذه بالهدايا والديف إلى منزله ، وإذا ما حضر إلى مراكش كان يؤثمه بالموافاة معه على ما تقدم (٦) .

(١) ابن عسكر : دوحه الناشئة ٨٨

(٢) نفسه : ص ٩١ - ٩٢

(٣) نفسه : ص ٨٧

(٤) نفسه : ص ٨٦

(٥) ابن القاضي : درة البحال ج ٣ ص ٣٤

(٦) المشتلي : المناهل ص ٢٢٥

واسند إلى محمد العري الفتوى والتدريس بمرانكش (١).
 واستقبل المنصور أحمد العري في بلاطه وهو لا يزال طالب علم في مرانكش (١٠١٥) (٢) . ولمسا
 اتهم د راسه وعاد إلى المغرب للمرة الثانية كان المنصور قد توفي ، فطلب في الفتوى في فاس ،
 والعناية به بجامع القرويين في عهد محمد بن عبد الله بن محمد الشيخ (٣).
 ولا شيء ان معدا بن رأس الدين الاندلسي الاصل الجزائري الدار الذي وفد على
 المنصور في أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وشيخه ببعض قصائده المدحجية (٤)
 قد نال الخطوة اللائقة به ، وأصاب من سخاء المنصور ما كان يفي به الوافدين إليه من الأدياء .
 ولم يشذ أوائل السلاطين العلويين من أوائل السلاطين المرينيين في الترحيب بعلماء
 الجزائر وأدباؤها الذين كانوا يفدون عليهم ، وانزالهم المنازل الرفيعة وإكرامهم بسخاء كبير .
 فهذا محمد بن الأرفف يرسب بالشاعر الجزائري التلساني أبي عثمان سعيد الذي
 وفد إليه وشيخه بقصائد مدحجية من الشعر الموزون والمحسن ، وأعطاه مكافأة طريفا نحو خمسين
 وعشرين رقلا من خالص الذهب (٥) .
 أما أخوه مولاى اسماعيل ، فرسب بوفادة الفقيه والأديب الجزائري محمد بن عبد الكريم
 الجزائري ، وأكرمه وأجله وحاشاه وغيره بكرمه ، فاستوطن فاس إلى ان توفي بها في سنة ١١٠٢ هـ
 / ١٦٩٠ م (٦) . وكذلك أنه من عالم جزائري آخر وفد إليه من قسنطينة ، وساعد بن أحمد
 (ابن الكسار) الذي استوطن فاس بصفة دائمة ونهائية (٧) .
 ومن العواهد المتقدمة يفتح لنا ان حكام المغرب ، المعينين أصلا للمسلم والمسلماء ،
 كانوا لا يمانعون فقط في دخول الدلبة والعلماء الجزائريين إلى المغرب بل كانوا يرحبون
 بهم ويقدمونهم على الدلبة والعلماء المغاربة الأمر الذي كان له اثره بدون شك على استمرار
 حركة العبادات الثقافية بين الجزائر والمغرب ، وسيلها لصالح البلد الأشهر ، حيث ان
 الكثيرين من المهاجرين الجزائريين استحسنوا استيطان المغرب بصفة نهائية ودائمة في كنف
 حكام المغرب .

ولا يخفى ان بقاء الكثيرين منهم في المغرب كان يساعد على تشييد الحياة الثقافية فيه .
 ويعلم في نفس الوقت الجزائريون من جهود الكثيرين من أدباؤها ، وساهمتهم في حياتها الثقافية ،
 ما جعلها تبدو في هذه المرحلة أقل حيوية ونشاطا عما هو الحال في المغرب .

- (١) المقبرى : روضة الأوس ص ٣٠٧
 (٢) الحفناوى : تعرفت إلى المؤلف ص ٥٤ - ٥٥
 (٣) ابن القاضي : درة البحال ص ٢٣٠ - ٢٣١
 (٤) الأفرانسي : الكزفة ص ٣٠٢ ، السبلاوى : الاستقصاء ص ٢١٠
 (٥) الحفناوى : المرجع السابق ص ٢٠ - ٢١
 (٦) نفسه : ص ٣٤٤ - ٣٤٧
 (٧) نفسه : ص ٢٠ - ٢١

ولا أخال ان تروى بكام المغرب بالعلماء والعلية الجزاريين الذين كانوا يفدون
 منهم ، بل وايثارهم على علماء الحنرب ، كان رغبة منهم في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب ،
 فطائها وما يجد باستمرار ، اوحيا خالما منهم في اهل العلم ، خالدا من اى غرض آخر
 من ترويج ذكرهم مثلا في الجزائر ، او احتياقا للمعلومات منهم ، او عموما من الاوساع فيفسها
 كانت الصلة بين العلماء الجزائريين المهاجرين في المغرب وأعلمهم في الجزائر مستمرة حتى
 ا ما من لهم خاطر غزوها وجدوا سمعتهم قد تقدمت اليها ، والمعلومات عن الوضع فيها متوافرة
 بهم . وقد يفسر السهولة التي كان الحكام المخاربة السعديون والعليون يجدونها
 اجتياح طلمسان ونواحيها ، ان كان لهم فيها موالين ، اكتسبواهم بفضل ايواسهم وايثارهم
 علماء الذين وفدوا اليهم بكثرة من تلك الجهات .
 ولكن حكام المغرب السعديين وقبلهم الوداسيين ، شأن اترك الجزائري لم يقتصر
 عليهم على الفئة المثقفة فقط ، بل كانوا يربطون ايضا بين وفد طليهم من الفئات الاجتماعية
 اخرى من جزائريين واتراك ، وينسجون لهم باب العمل في المغرب بشأن الزواوين والاتراك
 الذين كانوا يحلون في سفوف الجوارح السعدى .
 وتبادل عرب الشراقة الطلمسانية التي انتقلت الى المغرب وقلمها تهاطل طليونه (الوهرانية)
 برهما .

وخلاصة القول : فان العوامل المؤثرة في العلاقات الاجتماعية والثقافية في الفترة
 صوع السمك كشمسها بدخها قديم موروث ، بعضها جديد ، كان تأثير بعضها سلبيا وكثيرها
 ايجابي . ويمكن اعتبار ثقل المثقفين الجزائريين والمخاربة وغير المثقفين ، وهجرتهم من بلد
 آخر هجرة مؤقتة او دائمة سواء لاسباب سياسية او أمنية ، او للتخلص من الطلي او ابتغاء
 عمل او لجمع الشمل اول بعد ذلك من الاسباب والدافع ، هذه الهجرة التي كانت تنشيط
 سادانا من الجزائر نحو المغرب ، واجهانا قلبية من المغرب نحو الجزائر ، في طليمة العوامل
 هامة الايجابية التأثير على العلاقات بين البلدين ، في المجالين الاجتماعي والثقافي ، ان كانت
 مع فرص الالتقاء بين افراد وجماعات من مختلف فئات المجتمع . وكان ينجم عنها تلاقح
 أفكار وتبادل الآراء واستمد العلم بعضهم من بعض ، وقيام سدايات بينهم .
 ا كان ينشأ عنها تبادل التأثيرات المخططة في العادات والتقاليد ، وكل ذلك كان يمسود
 الى ا ما من الاجتماعية والثقافية في كلا البلدين بالنفع الخميم وقوى اواصول الشرى وسههم
 تحقيق وحدة ثقافية وفكرية بين الجزائر والمغرب .

الفصل الحاشي

مظاهر العلاقات الاجتماعية والثقافية

ان من يتأمل في العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب ، في الفترة مدار البحث ، يجد انها اتخذت صورا ومظاهر متعددة ، لعل ابرزها :-

حركة الهجرة والتنقل القوية بين البلدين للجزائريين والمغاربة ، من مختلف الفئات الاجتماعية سبب ودافع مختلفة ، تقدمت الاشارة اليها في الفصل السابق ، تلك الحركة الدائبة التي جعلت الاحتكاك بين شعبي البلدين ، ولا سيما بين افراد الفئات الاجتماعية التي كانت تنتقل بين البلدين ، كفئات المثقفين من العلماء والطلبة ، والتجار ، والعمال ، والجنود ، وغيرهم ، ممكنا مكانية قيام علاقات وطيدة اجتماعية وثقافية بين الشعبين ، متاحة . وبالفعل فقد اتاحت حركة نقل الجزائريين والمغاربة بين البلدين ، والاقامة الدائمة لبعضهم في مهنهم والمؤقتة لبعضهم لآخر ، فرص قيام علاقات ولطيفة بين الجزائريين والمغاربة ، في الميادين الاجتماعية والثقافية .

1 - العلاقات التي للرجال الاجتماعيين ، وتتمثل في اولها في المصاهرة ، التي تعد من بين العلاقات بين الجزائريين والمغاربة ، وهي نوعان : مصاهرات بين عامة الجزائريين والمغاربة ، من مختلف الفئات من غير الحكام ، وهي مصاهرات لينة من الاطمان السياسية .

2 - ومصاهرات ذات طابع سياسي بين فئة الحكام في البلدين ، وهي مصاهرات لا تخلو من دوافع سياسية قصد الطرقات الى تحقيقها عن طريق المصاهرة .

وكنموذج عن النوع الاول من المصاهرات بين الجزائريين والمغاربة نذكر : زواج البلاط الجزائري ، ابي مهدي عيسى الثعالبي من ابنة استاذة علي بن عبد الواحد السجلاسي المغربي ، وقد وفد الى الجزائر من المغرب ، مع أسرته واستوطنها في اواخر النصف الاول من القرن الحادي عشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وشهد للتدريس فيها ، كما تقدمت الاشارة . وهناك في سيرة تصرف على تلميذه ، وتوطدت العلاقات بينهما ، ثم تطورت الى المصاهرة (1) .

اما من الناحية الثانية من المصاهرات فنسوز كأمثلة منه : زواج بعض الامراء البولساين ، والسعديين بنات حكام الجزائر وعلية القوم فيها ، بعد لجوء اولئك الامراء الى الجزائر في الظروف التي توضحها (2) ، من امثال :

(1) السجاسي : الرحلة ، ص 122

(2) انظر فصل الحياة السياسية في الجزائر والمغرب .

١- الامير الوطاسي ابي بكر بن السلطان احمد الوطاسي، الذي تزوج بعد لجوئه إلى الجزائر من ابنة صالح راس بايلرهای الجزائر (١٥٥٢ - ١٥٥٦ م) ، وتذكر المصادر ان هذا الأخير حاول لدى دخوله إلى فاس في سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٤ م ان ينصب صهره المذكور على عرش فاس ، ولكن الفاسيين رفضوا له ذلك ، والزموه بتنصيب الامير ابي حسون ، فما كان منه الا ان انصاع ، وينصب ابا حسون^{الذكر} الذي كان قد استنجد به .^(١)

٢- عبد المؤمن بن محمد الشيخ السعدي ، الذي تزوج ابنة حسن بن خير الدين بايلرهای الجزائر ، وبناى عنده حظوة كبيرة ، ومكانة مرموقة ، فوله ايضا على تلمسان ، فظل يحكمها إلى ان اغتيل فيها .^(٢)

٣- عبد الطيف بن محمد الشيخ السعدي الذي تزوج من ابنة حاجي مراد ، الذي كان من علمة القوم في الجزائر ، واحد الوجوه السياسية البارزة فيها ، في النصف الثاني من القرن^{العاشر} الهجري / السادس عشر الميلادي .

ولا شك ان المصاهرات التي كانت تقوم بين الجزائريين والمغاربة ، كانت تساهم في توطيد العلاقات الاجتماعية ، وتثمين الروابط بين الشعبين ، وتزدها عمقا وترسيخا اكثر فأكثر ، ولا سيما تلك المصاهرات التي لا تكون وراءها اهداف سياسية ، كاتخاذها ملية لتحقيق اغراض معينة تتعارض مع رغبة الجميع او الاقلية ، كمحاولة صالح راس الأنفة الذكر ، التي اصطدمت بمعارضة الفاسيين لانهم ادركوا فيها يبدو ان الهدف البعيد لصالح راس كان هو العمل على ضم المغرب تحت سلطته ، وادخاله تحت اراة الدولة العثمانية .

ثانيا- تلك بعض الجزائريين والمغاربة للاقطاعات في مهبهم :

وانا كان بعض المهاجرين من الجزائريين ، او المغاربة ، قد ارتحلوا في مهبهم بعلاقات مصاهرة فان بعضا منهم قد سعى ايضا إلى تلك الاقطاعات في مستقرهم الجديد . وتقدمت^(٣) إلى بعض الجزائريين الذين حملوا على اقطاعات في المغرب عن طريق المنسحق او المظالم من حكام المغرب ، او الشراء ، كما تقدمت الاشارة ايضا إلى بعض المغاربة ، ولا سيما من الامراء السعديين واتباعهم الذين هاجروا معهم إلى الجزائر ، والذين منحهم حكام الجزائر الاتراك تمارات واقلاعا^(٤) خاصا ، مثل عبد المؤمن وعبد الطيف وغيرهما . ولا ريب ان المالكين للاقطاعات من المغاربة في الجزائر ونظرائهم من الجزائريين في المغرب كثيرون . ولكن المعلومات الموثقة عن تلك الطنكيات قليلة .

(١) انظر فصل العلاقات السياسية الرابع
(٢٠٢) نفسه ر مقال شانتال دولا دولا فيرون في مجلة الغرب الاسلامي عدد ١

ص ٣٩٢ - ٣٩٣ ، ٣٦٦

(٤) انظر بحث العلاقات الاقتصادية الفصل الثاني

وجود جالية مغربية في الجزائر، وجالية جزائرية في المغرب .

تسبب حرية التنقل بين الجزائر والمغرب للأفراد، والجماعات، ومواقف حكام البلدين من هجرة الجرحى إلى بلدهم، تلك المواقف التي اتضح أنها لم تكن ضد حركة التنقل من بلد إلى آخر، بل من أجل السماح لهم بالعودة إلى بلدهم، بل إلى آخر، بل أن حكام البلدين كانوا يرحبون بالوافدين عليهم من البلد المأوى لبلدهم، فقد كان هناك دوما جالية من سكانهم في المغرب، وجالية مغربية في الجزائر. ولكن كتب التراجع والتاريخ المتوافرة بيننا لا تقدم إحصاءات عن عدد أفراد الجاليات ولا تفاصيل غنية عن تكوينها أو تنظيمها أو عن سكنها الخاصة، أن كانت أعلاما أو أحياء خاصة بهما ضمن المدينة أو المنطقة حدة. كما كان حال المغاربة هنا في المشرق. وتكتفي كتب التاريخ التي تتناول الهجرة بالاشارة إلى المدن المغربية التي حل بها الجزائريون والمدن الجزائرية التي استوطنتها بصفة مؤقتة أو دائمة، وأهم تلك المدن فاس ومراكش وتطوان وسجلماسة رودانت في المغرب، وتلمسان، ومدينة الجزائر، وقسنطينة في الجزائر.

ولا شك أن وجود جالية جزائرية في المغرب، وأخرى مغربية في الجزائر، من شأنه أن يساهم في توطيد العلاقات بين الشعبين الجزائري والمغربي، اللذين هما في واقع الأمر شعب واحد بحكم أصل الواحدية لهما، وسكانهما، وفي تحقيق مزيد من التجانس في العادات والتقاليد وغير ذلك بقضاء على كل تمايز عن طريق نقل المهاجرين لمواثبات بلدهم إلى مهجرهم.

ولكن حركة تنقل الجزائريين والمغاربة بين البلدين، ومواقف حكام الجزائر والمغرب من تلك حركة، اتاحت أيضا إمكانية قيام علاقات ثقافية وطيدة، وبالأحرى استمرار العلاقات الثقافية التي كانت قائمة بين البلدين في الظروف الجديدة التي طرأت على البلدين في الفترة من بعد الحرب. ولعل من أبرز مظاهر تلك العلاقات تنقل رجال العلم وطلبة بين البلدين، والمناقشات الفكرية والدينية التي كانت تجري بين علمائهما، والمراسلات المتبادلة بين مثقفيهما.

العلاقات بين الجاليات في الجزائر والمغرب وتختل في - تنقل العلماء والطلبة الجزائريين والمغاربة بين البلدين تنقلا طوعا أو قسرا، سواء للأخذ أو العطاء أو للعرضين معا، كان ظاهرة ملحوظة في الفترة من بعد الحرب، إذ كانت حركة تنقلهم نشطة فيها أكثر من الحقبة السابقة لها، لظروف التي شهدتها البلدان السياسية والاقتصادية على الخصوص. وقد تم تقديم نماذج عديدة، في الفصل السابق من العلماء والطلبة الذين هاجروا أو تنقلوا بين البلدين. وبينما الآن أن نلاحظ أن المثقفين المغاربة الذين تقدم أو سيأتي ذكرهم، مساهمة إيجابية في تنشيط الحياة الثقافية العلماء المغاربة الذين تقدم أو سيأتي ذكرهم، مساهمة إيجابية في تنشيط الحياة الثقافية

(1) انظر فصلي الحياة السياسية في الجزائر والمغرب.

في الجزائر ، وأعمار مراكزها الثقافية الجديدة مثلما ساهم المهاجرون من مثقفي الجزائريين في المغرب في تنشيط الحياة الثقافية فيه ، وأعمار مراكز ثقافية كثيرة فيه . ولعله ليس من المبالغة إطلاقا القول بأن نشاط الحياة الثقافية في المغرب ، طوال الفترة مدار البحث كان قائما الى حد كبير على جهود عديد من العلماء الجزائريين الذين استوطنوا المغرب ، وإن كان لا يغفل عن مركز المراكز الثقافية في المغرب ، ولا سيما الكبرى منها ، كقاس ومراكش وتطوان وسجلماسة وتارودانت . وإن ان يتصدر عالم جزائري بارزا وأكثر للتدريس فيه . وقد يجمع ذلك العالم أكثر من خطبة كأن يجمع الى التدريس ، خطبة القضاء ، أو الافتاء ، أو الامامة أو الخطابة ، كعلي الططري ، ومحمد شقرون ، وابن جلال ، وابن الوقاد ، الذين تقدم ذكرهم وغيرهم ، من العلماء الجزائريين الذين تخرج على أيديهم أغلب الطلبة المغرب وعلماء في الفترة مدار البحث .

وقد يكون عسيرا حصر اسماؤهم ، كما انه ليس من فرضنا وضع قائمة بها ، وإن كان سيرد ذكر بعضهم عند الحديث عن مراكز التبادل الثقافي في المغرب . هذا من جهة ولا نعدو الحقيقة من جهة أخرى ، وإذا قلنا ان بعض الانتعاش الذي شهدته الحياة الثقافية في الجزائر في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، ولا سيما في تلمسان وقسنطينة والجزائر ، يعود في قسم منه على الأقل ، الى جهود المثقفين المخاربة الذين وفدوا على الجزائر فسي هذه الفتوة بكثرة نسبية ، واستوطنوها ، وفدور عيسى البوسعيد في تلمسان وعلي بن عبيد الواحد السجلماسي في الجزائر ، ومحمد بن محمد بن مزبان الواتسي في قسنطينة ، في مجال التعليم لا ينكر ، وعلي يدهم تخرج الكثيرون من الطلبة الجزائريين الذين أصبحوا من مشاهير

علماء الجزائر في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وتطول أيضا القائمة لو حاولنا ذكر : من نعرفهم منهم ومن تلاميذهم ، ناهيك عن لانعرفهم منهم ، وإن أكثر الآخذون عنهم وهم الدالية من مختلف جهات الجزائر لما كان لهم من شهرة . وساهم بعضهم ، كعلي السجلماسي على الخصوص في دفع حركة التعليم في مدينة الجزائر

وقد نال العلماء المخاربة في الجزائر ولا سيما العلماء الجزائريون في المغرب بفضل نشاطهم العلمي ، وجهودهم في المجال الثقافي احتراماً وتقديراً عاليا لدى عامة الناس وحظوه ووجاهة

(١) انظر عن جهود الانصاري ونشاطه التعليمي والتألفي : السحبي : خلاصة الاثر ج ٣ ص ١٧٣
١٧٤ ، الحفناوي : تصريف الخلف ج ١ ص ٦٩ ، وسعد الله / المرجع السابق ج ١ ص

بصورة لدى السلطات المحكومة في البلدين وعلية القوم فيهما ، فأسندوا المهم المناصب العلمية الدينية . كالتدريس والقضاة والافتاء والامامة والخطابة كما تقدم القول .

ب- المناقشات والمناظرات الفكرية والدينية : وكانت المناقشات والمناظرات الفكرية والدينية

مظهرا آخر من مظاهر العلاقات الثقافية بين البلدين ، ذلك ان تطابق وجهات نظر اهل العلم فيهما الى حد كبير بحكم التكوين المتشابه من حيث مواد الدراسة والكتب الدراسية ، وطريق التدريس التي كانت سائدة في البلدين ، لم تمنع اختلاف وجهات نظر بعض علماء البلدين حول بعض القضايا الفكرية والدينية ، وبالتالي قيام مناقشات ومناظرات حولها بينهم .

ونشير هنا الى المناقشات التي دارت بين المصوح الجزائري الى المغرب ابي عبد الله محمد الخروبي الجزائري الدار ، الذي كان على درجة عالية من العلم والتصوف ، وبين بعض كبار مراهطي المغرب والمتصوفة فيه من امثال ابي عمر القسطلي وابي عامر ، وكان لابي عمر المذكور في مراكش وسائر بلاد المغرب شهرة عظيمة ، وللناس في شأنه اضطراب لانه كانت له دعوة عريضة في مقام الاولياء ، ومناشقة الخيب ، ودعون القطبانية ، وانه صاحب الوقت . (١)

وقد شملت تلك المناقشات الامور المتعلقة بالتصوف ، فأنكر الخروبي على ابي عمر وقد شملت تلك المناقشات الامور المتعلقة بالتصوف ، فأنكر الخروبي على ابي عمر واتباعه مسائل كثيرة ، بما في ذلك قسمة لشعر الشارب معشرا ذلك :
بدعوة ورد على اتباع ابي عمر الذين حاولوا تبرير عمل شيخهم ولغت نظره الى ان الشيخ الجزولي كان يقصد ذلك ، بأن هذا الاخير قد يكون فعل ذلك باذن ، والاذن للولي لا يسم اتباعه ، في حين ان الاذن للنبي (ص) يسم اتباعه .

ولما عاد من سفارته التي قام بها الى مراكش ، وجه رسالة الى ابي عمر المذكور قال عنها الافراني (انه اهدى له فيها) (٢)

وكما اثار الخروبي نقاشا عادا مع المتصوفة من اتباع الطريقة الشاذلية الجزولية في مراكش ، اثار نقاشا آخر مع علماء فاس ، وخواصها برسالة التي وجهها اليهم والتي سماها (رسالة ذوى الافلاس الى غواص مدينة فاس) ، وقد ذكر فيها آدابا على القواعد الخمس ، اثار بمسألة ما جاء فيها نقاشا كبيرا بين علماء المغرب ، (٣) ذلك مستترا فترة طويلة قبل ان يهدأ ، وتركيز الناس على المسألة ، والقسمة النفي في القاعدة الاولى وهي (لا اله الا الله) واختلقت الآراء حول ما اذا كان النفي بلا في القاعدة المذكورة ، تنتفي به الوهية الصنم وغيره

(١) ابن عسكر : الدوحة ص ٨٠

(٢) الافراني : الغزوة ص ٤٢

(٣) ابن عسكر : الدوحة ص ٨

بعد من دون الله ام لا ، وكان رأى العالم الجزائري في القضية حسب ما ذكره ابن عسكـر :
من الارب الا يتناول نفسه عند النطق بحرف النفي ، الا ما ادعاه المشركون من الالهة سوى
تمالي ، وليكن الحق جل جلاله ثابتا عندك في حال النفي والاثبات ، واضاف قائلا : والى
اشار بمن الملما حيث قال : النفي لما يستحيل كونه ، والاثبات لما يستحيل عدمه (١)
مع الناس عليه هذه العبارة لما يلزم عليها من الكذب في الخبر الالهي .

وقد كان الهبتي مفتي فاس ، وابو محمد عبد الله الهبتي وغيرهما ممن شاركوا في مناقشة
ورد في قضية النفي المذكورة ، وتدخل السلطان السعدي محمد الشيخ حين احتدم الخلاف
بين الهبتي والهبتي لمعرفة الحقيقة ، وعقد مجلسا للمناظرة ، دعا اليه الطرفين المختلفين .
من الهبتي اثر الا يتحدث في الموضوع ، دفعا للمزيد من الساحنة . به وبين خصمه ، الذي
من يعرف بطبعه الحال الى المناد ، والتعميم على اللجاج ، حتى انه اذا قال مثلا (الشمس
تطلع من المغرب) ، قال الناس كلهم انها تطلع من المشرق ، لم يرجع عن قوله (٢) . فانفج المجلس
في غير طائل .

وكان الهبتي قد اتهم في هذا المجلس الهبتي بأنه مبتدع ، وحث السلطان على قتله ،
لا ان محمدا الشيخ أبى ، وثبت له ان الهبتي كان يتعامل على الهبتي ، ان حاول ايضا
من يثير شكوكه . قوله ، والايضا له بأنه يشكل خطرا على ملكه (٣) .
وكان لابد من انتالار لعو قرن من الزمان لزوية عالم مغربي آخر يتصدى لهذه القضية ،
لتي ظلت ملتهبة في المغرب ، يفصل فيها القول بما لا يدع مجالا للمزيد ، وهو ابو علي الحسن
بن محمود اليوسي المتوفى سنة ١١٠٢ هـ / ١٦٩٠ م ، الذي ألف في الموضوع كتابا سماه
" مشرب الماء والخل من كلمة الاخلاص " . او منهي الخلاص من كلمة الاخلاص (٤) . فاعلى فيه
كما قال : لكل ذي حق حقه ، وللحق حقه ايضاً (٥) .

وليس غرضنا ان ننتج ما اورد به هذا الصدد مفصلا في كتابه المذكور ، وانما ان نؤكد
ان تبادل الرسائل بين اهل العلم في البلدين كان مظهرا من مظاهر العلاقات الثقافية
بينهما ، مثل تبادل الزيارات واللقاءات بين الدلمية والملماء ، والراييين والشرفاء .

ج - المراسلات : وقد كانت المراسلات بين اهل العلم ، كما يفهم ذلك من رسالتني
الخروبي الآتني الذكر وفيها من الرسائل الآتني ذكرها ، في اغراض متنوعة ، فكرية ، اود بنية نواد بنية ،

(١) نفسه : الدعوة ص ٩

(٢) نفسه : ص ١١

(٣) نفسه : ص ١٠

(٤) عبد الكريم كنون / النبوغ المغربي في الادب المغربي ج ٢ ص ٢٦٦ واليوسي : منهج الخلاص .
فاس ١٣٢٧ هـ

علماء ، وبين الدالة واساتذتهم ، وبين كبار مشايخ الصوفية واتباعهم .

في إطار المراسلات التي كان غرضها طبع وتوضيح بعض المسائل الفكرية ، والدينية الخاصة ،
استيفاج حولها نذكر بالإضافة الى مراسلات محمد بن علي الخروبي مع خواص اهل فاس ، ومراكش ،
سلالات التي كانت تتم بين احمد الورنيدي ، التلمساني ، المعروف بابن الحاج ، والامام محمد
بن كبر علماء فاس في مسائل مختلفة في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر
م . وقد كان كما يقول ابن مريم - كل واحد يلغز لصاحبه بالمسائل نظماً ، وبجمل
به بالنظم (١) ، كما نذكر رد الشيخ الوزان القسنطيني عن المسائل التي كانت تسيرو
من المغرب (٢) .

نذكر مراسلات محمد بن عبد الكريم المصلي ، المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ / ١٥٣٠ م الى علماء
حول التعامل مع اليهود ، والسلوك الذي ينبغي ان يتبع معهم . ولوان هذه المراسلات
تقبل الفترة موضوع الدرس ، وما يدل على ان المراسلات بين علماء البلد من في هذه
رة كانت استمرارا للمراسلات التي كانت قائمة من قبل .
ولا شك ان مراسلات العياشي مع عبد الكريم الفكون (٣) ، تدخل ايضا في إطار التوضيح والاستيفاج
المسائل .

واما المراسلات بين الدالة واساتذتهم ، فالباب الاجازة منهم فنذكر كبر كمال عنها
مراسلات التي كانت بين ابي المباس احمد بن القاضي ، صاحب جذوة الاقتباس ودارة الحجج
من المغرب ، وسعيد المقر ، عالم تلمسان الشهير من الجزائر . وفي هذه المراسلات
اب احمد بن القاضي من الاستاذ العالم المذكور ، الاجازة العامة فيما له من مروي وقسرو ،
اجاز ومسوق ، مع ذكر مشايخه الاعلام ، وذلك في سنة ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م ولبي سعيد
حقن طلبه في نفس السنة (٤) .

اما ابن عسكر صاحب الدوحة ، فقد انتهر فرصة وجود علماء تلمسان في المغرب ، فأخذ
منهم ، وحصل منهم على الاجازة . ومن الذين اجازوه منهم : ابو المباس احمد بن محمد السبادي
لتلمساني (٥) ، وابو عبد الله محمد بن هبة الله الوبيديجي . كما حصل احمد المقر من جهته ،
وهو في المغرب ، على عدة اجازات من علماء المغرب منهم : ابو المباس احمد بن القاضي ، وابو
المباس احمد بن ابي القاسم التادلي (٦) ، في حين كان حصول العياشي صاحب الرحلة
البيستان (٧) .

- (١) ابن مريم : البيستان ٨
- (٢) عبد الكريم الفكون : منشور الهداية (٨) اشار الى ورود اسئلة عليه بصدور الترجمة لابي عبد الله
- (٣) العياشي : ما امواء ج ٢ ص ٣٩
- (٤) انظر استدعاء احمد بن القاضي للاجازة ، واجازة سعيد المقر له في احمد المقر / روضة الآس
- (٥) العياشي في ذكر من لقبته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس الرباط ١٩٦٤ ص ٢٢٦-٢٦٩
- (٦) انظر اجازته في : ابن عسكر : دوحة الناصر ص ٨٢-٨٨
- (٧) انظر اجازته في : المرجع السابق ص ٨٦-٨٧
- (٨) احمد المقر المصدر السابق ص ٢٨٩ وما يليها

أجازة من شيخه أبي مهدى عيسى الشمالي (١) ، ومن الشيخ عاشور القسنطيني (٢) ، في المشرق هـ
 كد على أن الصلة بين علماء البلدين ، وأخذ بعضهم من بعض قد تتولد خان المغرب
 ثر .

كانت بين المياشي وأبي مهدى عيسى الشمالي مراسلات ، حين كان هذا الأخير مقبلاً في
 وكان المياشي في طريقه إلى الحج سنة ١٠٦٤ - ١٠٦٥ هـ ، وفي إحدى الرسائل التي كتبها
 والتي أوردها في " رحلاته " كان الغرض هو الاستمارة بأبي مهدى في التقرب من كسار
 مصر ، للاخذ عنهم (٣) .

كما كانت بين أبي الديار أحمد المقرئ ، حين كان مقبلاً في مصر مراسلات عديدة مع علماء
 رب في أغراض مختلفة ، أمثال علي بن عبد الواحد الأنصاري ، ومحمد بن أبي بكر الدلائلي
 عسا . وفي رسالة من المقرئ مؤرخة بربيع الأول سنة ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م إلى الدلائلي
 ذكره ، كان الغرض هو أن يتولى الشيخ الدلائلي الاشراف على تزويج ابنته ، التي خلفها في المغرب
 شراف على تطلين زوجته . حيث بات من المسير عليه أن يعود إلى المغرب ، وليس من المسير
 تلحق هي به (٤) . وهذا يدل على مدى العلاقة الوثيقة التي كانت بين المقرئ ومحمد بن أبي
 الدلائلي ، وهو نموذج لما يمكن أن تتطور إليه العلاقات بين علماء الجزائر والمغرب .

وقد كان محمد بن أبي بكر الدلائلي رجلاً ديناً وعلمياً ، يتمتع بسمعة كبيرة في المغرب والجزائر
 كانت الرسائل تأتيه من مختلف جهات المغرب ، ومن الجزائر أيضاً ، في أغراض مختلفة ، في سائل
 شخصية كما تقدم ، ودينية ، وروائية .

وفي الغرض الأخير كتب إليه جماعة من علماء الجزائر ، ورايهم ، يحثونه ، بعد أن أوضحوا
 ارتباط الجزائر بما يصبغ المغرب ، على أن يعلن الجهاد ، لتطهير البلاد من الكفار ، واستئصال
 كسبه السموية (٥) . ولا ندر ما كان جوابه إليهم . ومن مراسلات المراهطين فيما بينهم حول بعض
 القضايا الدينية والتصوفية ، ونشر إلى مراسلات عبد العزيز القسنطيني مع عبد الله بن عمر المظفر
 ومحمد بن علي الدرعي ، والتي وصفها ابن عسبر بأنها مراسلات عجيبة وناقصة (٦) ، وإلى مراسلات أحمد
 بن يوسف الطياني مع أتباعه ، ومريديه ، ومناوئيه في الجزائر والمغرب (٧) .

(١) المياشي : المرجع السابق ج ٢ .

(٢) نفسه : ج ١ ص ٣٨٢ .

(٣) نفسه : ج ٢ ص ١٢٩ - ١٣٠ ، وانظر جواب الشمالي في نفس المرجع ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٤) انظر الرسالة في كتاب الزاوية الدلائية لمحمد حجي (ملحق ٨) ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

(٥) المهدي الموعدي / اغواء على تاريخ الجزائر / في / الاصلة عدد ٨ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٦) ابن عسبر : دوحة الناشر ص ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٢ .

(٧) المورتلاني / : المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٨ .

— كالطريقة الجانولة الشاذلية ، التي أسسها محمد الجزولي ، الذي ينسب الوحد سليمان ، فيعرف
 باسم محمد بن سليمان . وقد كان هذا الأخير من اكابر مشايخ الصوفية في المغرب في القرن
 التاسع الهجري / الثامن عشر الميلادي . ، وكثر اتباع طريقته بعد وفاته أولعوا بدورها
 في رفع الاسرة السعدية الى الحكم ، والاطاعة بالاسرة الوطاسية .

— والطريقة الزروقية التي تنسب الى مؤسسها الشهير ابي العباس احمد بن عيسى البرنوسسي ،
 القاسي (المصري) المتوفي في سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م ، وقد كان لهذه الطريقة اتباع في
 الجزائر والمغرب . ومن اشهر اتباعها في الجزائر عبد الكريم الفكون القنطيني (الجزائري)
 وعنه اخذ الطريقة نفسها المياشي المغربي ، صاحب الرحلة الشهيرة (٣) .

— والطريقة اليوسفية ، التي تنسب الى مؤسسها ابي العباس احمد بن يوسف الطياني ، الجزائري ،
 المتوفي سنة ١٠٣١ هـ / ١٥٢٤ م ، الذي كان واحدا من اكابر مشايخ الصوفية في الجزائر .
 وكان له اتباع كثيرون في الجزائر والمغرب ، افرق بعضهم في الاعتقاد فيه . وربما نسب اليه
 النبوة ، ومن هؤلاء المدعو ابن عبد الله . ولكن احمد بن يوسف الذي لاحظ بداية الفلوسو
 على اتباعه ، وهو لا يزال على قيد الحياة فاتهم بسبب اعتقاداتهم فيه ، واعتُهد من قبل الامراء
 الزناتيين ، كما اتهم اتباعه من بعده ، واضطهدوا في المغرب ، كان يستنكر القول بما لم يقله ،
 ويقول بهذا العدد " من قال عنا ما لم نقله يمتلئ الله بالحلة بالثقل والموت على غير طه (٥) " .

ومع ذلك فان الكثيرين هم الذين ذهبوا في شأنه مذهب ابن عبد الله فتشككت منهم طائفة
 في المغرب عرفت باليوسفية ، ثار غدا عنها فقها المغرب ، وأشاروا على السلطان السعد بن عبد الله
 بأن يستأصل شأفتها ، فسجن جماعة عيين افراد الطائفة ، وقتل آخرين بدعوى انهم ليسوا
 احوال الشيخ احمد بن يوسف في شيء ، وانهم ساروا في اعتقادهم فيه على غرار الشيعة
 في انتهم (٦) .

الا ان تشدد عبد الله تجاه افراد الطائفة المذكورة قد يكون له دافع آخر هو مخاوفه من ان يكون
 افراد الطائفة اليوسفية موالين للاتراك كأحمد بن يوسف ، وعيوننا لهم في ملكته . ولا سيما ان علاقات
 عبد الله لم تكن دائما طيبة مع الاتراك كما رأينا (٧) .
 وقد كان لأحمد بن يوسف زاوية في رأس الماء بمنطقة طمان ، كانت مقبولة من قبل الجزائريين ،
 والمغاربة على السواء ، لاخذعته ، ومن انتقل من الصغاية لهذا الغرض : ابو محمد عبد الله

(١) انظر من البازلي : محمد المصلي القاسي ، منشع الاسماع في ذكر الجزولي والاتباع ، ص ١٣١٣ ؟

- (٢) انظر عنه ابن عسكر : الدوحة ص ٣٠ - (٤٠) وابن مريم : البستان ص ٤٠ - ٥٠
- (٣) المياشي : رحلته ص ٣٩٦ وسعد الله : المرجع السابق ج ١ ص ٥٣٠
- (٤) انظر عنه محمد التنباع القلعي : بستان الأزهار في مناقب زمزم الاحبار ومعدن الانوار
 سيد احمد بن يوسف الراشدي النسب والدار . وابن عسكر الدوحة : ص ٩١ - ٩٢
- (٥) ابن عسكر : نفس المصدر ص ١٩٠
- (٦) نفسه :
- (٧) انظر بحث الحلاقات السياسية الفصل الرابع

الخطاط الذي قد اثنى من مشايخ الصوفية في المغرب الذائبة الصيت . وكان مقره في جبل زرهون شمال المغرب (١) .

وابو عبد الله محمد بن علي المعروف بالقطيبي ، صاحب التأليف العديدة في الفنون ، والمعلوم المستطعة من تفسير وكيمياء ، وتاريخ وغير ذلك . وخلافا للخطاط الذي كان له اتباع كثيرون فان القطيبي كان زاهدا في الدنيا واهلبها (٢) .

— وعبد الله بن عمر الخطير ، الذي وصفه ابن عسكرا بأنه " الفقيه الكبير ، العالم النحرير شمس الاسلام " (٣) . والا انه عاد ولم يأخذ عنه لانه انكر عليه عدم المحافظة على اوان الوقت في الصلاة ، وانصرف الى الاخذ عن عبد العزيز السقسطيني (٤) .

اما وحدة الكتب والمواد الدراسية في البلدين ، فظاهرة تلفت نظر الباحث ، الذي يرجع على الخصوص الى الاجازات التي كان طلبة البلدين يحصلون عليها من مشايخهم ، والتي كان هؤلاء يذكرون فيها بمادة العلوم والفنون تلقاها طلبتهم عنهم ، والكتب التي درسوا من خلالها كعلم اوفن ، فسن خلال الاجازات المذكورة (٥) ، نكتبين ان الفقه واصول الفقه ، والحديث ، والنحو ، والبلاغة ، والمروني ، والمنطق ، والتوحيد ، والقراءات ، والضبط والحساب وغيرها كانت مواد دراسية يمكن على دراستها الطالب في المغرب ونظيره في الجزائر .

ومنها ايضا نكتبين ان هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر :

— صحيح البخاري . وشروح كثيرة عليه في الحديث .

— والرسالة لابن ابي زيد ، ومختصر خليل في الفقه .

— ومختصر ابن العاربي ، وجمع الجوامع للسبكي في اصول الفقه .

— وعقائد السنوسي في التوحيد ، وسكنا بن هاشم الله في التصوف .

— والنبه ابن ماله والآبروسية في النحو .

— وتلخيص المفتاح لمحمد القزويني ، والجواهر المكنون للاخضر في البلاغة ، والخزرجية في العروض .

— والجميل للخوانساري ، والسلم المروني للاخضر في المنطق .

— والتلسانية في الفرائض ، ورجز الخراز ، في الرسم ، والضبط لابن بزي .

— والشاطبيتان الكبير والصغير في القراءات .

(١) ابن عسكرا : الدوحة ، ص ٦٣

(٢) نفسه : ص ١٤ - ١٥

(٣) نفسه ص ٦٥

(٤) الحسن الموسوي : ص ١٤٤

(٥) انظر اجازة سعيد المقرئ : لاحمد بن القاضي في روضة الاس لاحمد المقرئ ص ٢٦٦ - ٢٦٩

واجازة احمد المهادي لابن عسكرا في الدوحة ص ٨٧ - ٨٨ واجازة ابي مهدي عيسى الشعالبي

لابي سالم المهادي في كتاب رحلة هذا الاخير (ما الموائد)

غنى ابن البناء في الحساب . . الخ

ت متداولة لدى علماء البلد من وطلبتها ، من كتب أخرى كثيرة في العلوم المذكورة ، وفي
 من أخذت الدراسات فيها تنشط كالمهندسة والطب ، وعلم الهيئة والفلك والحساب وغيرها .
 كانت الكتب والسجلات الجديدة التي تصل إلى الجزائر من المشرق ، أو تولد فيها من
 ما فيها سرعان ما تنتقل إلى المغرب ، وذلك كان يحصل أيضا بالنسبة للكتب
 تولدت في المغرب أو التي حصلت عليها من المشرق أو من أي جهة أخرى كبلاد السودان .
 طرق انتقال الكتب من بلد إلى آخر متعددة ، واحداهما الانتقال مع طلبة العلم والعلماء
 كانوا ينتقلون من بلد إلى آخر ، فمختبر غليل في الفقه الذي وصل إلى الجزائر قبل
 ب . نقله منها إلى هذا الأخير عالم جزائري انتقل إلى المغرب فمكث النامي على دراسته هناك
 فواصل دراسته في الجزائر ^(١) . وكذلك الأمر بالنسبة لمعقائد السنوسي التي ألفها العالم
 ثري محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة ٨١٥ هـ في التوحيد ، فقد نقلها أحد الطلبة
 رية من تلمذاته إلى المغرب ، فأقبل الناس على حفظها وقراءتها ^(٢) .
 د عرف علم التوحيد ، بعد تأليف السنوسي لمعقاده الثلاث الكبرى والوسطى والصغرى توسعا
 في البلدين ، لكثرة الدارسين والعاشقين لها ، وتوافق الأقبال على علم التوحيد في البلدين
 فسان التدريس المسيحي ، الأسباني والبرتغالي فيهما . الذي كدسان من هيمس اشداك
 فقط ملاحقة المسلمين إلى بلاد المغرب ، ولكن أيضا نشر المسيحية في شمال أفريقيا .
 قد كان انتقال الكتب بين البلدين أيضا بمناسبة الحج عن طريق الحجاج المغاربة
 كانوا يأتون معهم بالكتب لبلادهم ، أو يقومون بنسخ ما يجدونه من الكتب القيمة . وسو
 ن يفعله المياشي ، فقد ذكر في رسالته أن محمداً بن إبراهيم (الجزائري) ، أحد تلاميذ
 لايسار أخذ منه الكراسة التي جعل فيها معاني أو الشرطية ، والكراسة التي سماها تنبيهه
 الهم المالية على الزهد في الدنيا القانية ، وأعضاء مجموعاً ، فيه عدة تأليف اغتبط بها كثيراً ^(٣) .
 ال حاشي نفسه يذكر أنه قام بتلخيص بعض ما جاء في كتاب "سدد السنان في نحو اخوان
 خال" لمؤلفه الجزائري عبد الكريم الفكون . القسنطيني (الحفيد) حيث لم يكن لديه الوقت
 ي لنسخه كاملاً ، إذ اطلع عليه وهو في طرابلس في طريقه إلى الحج ، كما اطلع على كتب
 ف الجزائري المذكور في المدينة ذاتها ، أعاره إياها محمد بن عبد الكريم ابن المؤلف المذكور ^(٤)
 ابن مريم : البستان (ترجمة محمد بن عمر الفتوح) ع ٢٦٤ و ع ٩٩
 ابن عكبر : الدوحة ع ٢٧
 المياشي : ما الموائد ج ١ ع ٤٩
 نفسه : ع ٣٩٠

لما كانت الكتب المتداولة بين الدارسين في الجزائر هي ذات الكتب المتداولة بين الدارسين بالمغرب، وتنتقل بين البلدين دون قيود، وتصل إلى المتعلمين فيها بطرق عديدة، وأن الدراسة في البلدين أيضا واحدة، وأن كان تدرّس بعضها في هذا المركز أو ذات يتوقف وجود الأستاذ المختص، مما كان يدفع الطلبة للانتقال من مركز إلى آخر، ومن بلد إلى آخر عن الأستاذ المختص في مادة معينة أو أكثر، وأن طرق التدريس في البلدين كما بهتخلص من عسكر والوزان أيضا واحدة فقد نجم عن ذلك أن وجهات نظر علماء البلدين في قضايا الفكرية والاجتماعية والدينية وغيرها واحدة أو تكاد، ومواقفهم منها متقاربة أن لم تكن متفقة.

وجهات نظر علماء البلدين على سبيل المثال في قضية التبغ التي اثيرت في البلدين فسيلا من القرن السادس عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، لما اخذ تدخين التبغ فيهما، والاقبال على شرائه من الأوروبيين بالعملة الذهبية يزداد، متقاربة إلى حد كبير عبد الكريم الفكون القسنطيني (الجزائري) صاحب كتاب محدد السنان في نحو اخوان ان، رايي النحاس احده المقر (التلمساني)، صاحب نفع الطبيب الشهير، وعبد الرحمن ارتي (الدخيري)، صاحب كتاب الفوائد، وعبد الرحمن بن محمد الفاسي، وغيرهم علماء البلدين قالوا بتحريمه، والمتساهلون قليلا في شأنه الذين لم يصرحوا بتحريمه كالعياشي بنوا اباسته كما فعل الكثيرون من علماء المشرق، وبلاد السودان امثال ابي الحسن الهمداني وسليمان بن محمد بابا التميمي وغيرهما (١).

نوافذ وجهات نظر علماء البلدين او وجهات بعضهم على الاقل نلمسه في انتقادهم، كمن لبدع المتصوفة، وادعاء التصوف المنحط، الذين كثروا في الفترة موضوع الدرس كثيرة، كقصة، اقبال الناس عليهم، وسال اعتقادهم فيهم او كان.

وضع بعض اولئك العلماء مؤلفات عديدة تبين مللهم ومختصر، ومنظوم ومنثور، يحذرون فيها من ويردون فيها على ادعاء التصوف، ويكشفون ادعاءاتهم، وينبهون عامة الناس وخاصتهم منهم إلى الداريق الصحيح، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

(٢)

ب" الرد على المراهط عرفه وصحبه " لمؤلفه ابي حفص عمر بن محمد الكمار القسنطيني (جزائري) (٢).

نفسه : ج ٢ ص ٣٩٦-٤٠٣، التاماري : الفوائد الجمة ص ٥٣ (الترجمة الفرنسية) محمد المنوني : ملامح من تطور المغرب العربي في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ص ٨٧٤-٨٧٥

لحقناون : تحريبات الخلف ج ١ ص ٧٦

— وأرجوزة عبد الرحمن الأخصري (الجزائري) ، المسماة القدسية ^(١) ، في التصوف والتحذير من البدع ، ونشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، (لمؤلفه الجزائري عبد الكريم الفكون (العفيد) القسنطيني ^(٢) .

— والفقيه الامام محمد عبدالله الهبطي المسماة (الالفية السنية في تنبيه العامة والخاصة على ما غمروا في الطة الاسلامية) ^(٣) .

وقد كان الامامان احمد زروق الغاسي ، وابوعبدالله محمد بن عبد الكريم الحفيلي ، قد سبقا مدوّنات الى نقد بدع التصوف وادعيائه في كتب قيمة كان لها تأثيرها على من تلاهما . ومن كتبهما في هذا المجال :

— " النسخ الانفع والجنة والمعتصم من البدع بالسنة " للامام زروق ^(٤) .

— " فتح الوعاب في رد الفكر الى الصواب " و " تنبيه الخافلين عن مكر الطمسين بدعوى المارفين " وكلاهما للحفيلي ^(٥) .

اما ابوعبدالله محمد المغربي الجزائري الذي كان على درجة عالية من العلم والتصوف ، فقد كان جريئا اكثر في انتقاداته الموجهة لادعياء الولاية والتصوف ، والعلم حيث انه كان ينتهز فرصة سفارته الى المغرب ليعتد به العلماء ومرايئهم ، ويحذر مع مدوّنات اولئك مناقشات دينية وعلمية هامة جريئة ، لم يكن يباذل فيها احدا ، وقد تقدمت الاشارة الى المناقشات التي دارت بينه وبين ابي عمر القسنطيني واتباعه .

وقد كان الاعتناء بين الجزائريين والمغاربة ، وتبادل التأثير والتأثير في المجال الاجتماعي ولا سيما في المجال الثقافي يتم في مراكز عديدة في الجزائر والمغرب . ونسأله الآن عن اهم تلك المراكز ودور او نشاط الجزائريين والمغاربة فيها ، واهز العلماء والطلاب الجزائريين والمغاربة في تلك المراكز .

(١) نفسه : ج ١ ص ٦٣ .

(٢) المشاشي : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٠٦ ، عبدالله : المرجع السابق ج ١ ص ٥٢٧ .

(٣) ابن عسكر : الدعوة ص ٦ - ١٣ .

(٤) المنوني : المرجع السابق ص ٧٦٧ - ٧٦٨ .

(٥) : ابن عسكر : الدعوة ص ٨١ .

٢- مراكز التبادل الثقافي في المغرب والجزائر :

إذا تأملنا المراكز الثقافية التي كان يقدمها المفاربة في الجزائر ، والتي كان يقدمها الجزائريون في المغرب ، سبوا* لاخذ العلم منها ، ولنشره فيها ، وللغرضين معا ، اولغير ذلك والتي يمكن ان نعتبرها مراكز للتبادل الثقافي بين البلدين وجدنا اهمها هي :

١- مدينة فاس في المغرب :
هذه المدينة التي ما انفكت تنمو منذ ان وضع ادريس الاول حجرها الاساسي على الاربع في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م ، حتى تفوقت على ما سواها من المدن المغربية ، وغسدت بفضل جامع القرويين ، الذي اسس فيها في العقد الخامس من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وعيخته الحضامة التي كانت تتألف دوما من مشاهير علماء المغرب والبلاد المجاورة ، مركزا ثقافيا لا ينفك يزداد اهمية ، حتى بلغ الذروة في عهد المرينيين ، وخلفائهم الوطاسيين ، فصار مقصد العلماء وطالب العلم من مختلف جهات المغرب وكذلك من الجزائر ، ولا سيما من تلمسان والمغرب الجزائري عامة .

وعلى الرغم من ان فاس فقدت ابتداء من النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، بعض اهميتها لصالح مدينة مراكش التي اتخذها السعديون عاصمة لهم ، فان فاس* ظلت بفضل جامعتها المذكور ، وجامع ومدارس اخرى كثيرة^(١) ، مركزا من مراكز التبادل الثقافي الرئيسية بين الجزائر والمغرب ، في الفترة موضوع الدرس ، ان لم يكن اهمها على الاطلاق . ان كانت مدينة فاس ، المدينة التي قدمت علماء الجزائر وطلبتها بكثرة في هذه الفترة كما في الفترة السابقة لها ايضا ، والتي استوطنها الكثيرون منهم حتى كونوا فيها جالية جزائرية كبيرة ، كما ان فاس كانت المدينة التي توجه منها عديد من طلبة المغرب وعلمائه الى الجزائر ، بعضهم لاستكمال دراساتهم ، وآخرون للمساهمة في نشر العلم في مراكزها المختلفة .

اما علماء الجزائر وطلبتها الذين أموا فاس في الفترة التي تهيئنا فمن الكثرة بحيث يستحيل احصاؤهم ، ولعلنا نذكر بعض من تميزنا بهم المصادر ، ولا سيما ان ذكرنا كل ما عرب عن كل واحد منهم ، ولذلك نكتفي بالاشارة الى بعضهم مع تصريح منتشر بهم ، يبرز على الخصوص مساهمتهم في الحياة الثقافية في فاس ، ومن غلظها في المغرب كله .

(١) حسب الوزن كان يوجد في فاس قرابة / ٦٠٠ / جامع او مسجد منها خصصون كبريات اهمها جامع القرويين و / ١١ / مذهب او مدرسة عدا عن المدارس المخصصة للأطفال التي كان يوجد فيها قرابة / ٢٠٠ / مدرسة : انظر وصف افريقيا ج ١ ص ١٨٣ وما يلحقها .

٦- وإلى جانب من تقدم ذكرهم تجدر الإشارة إلى بعض أبناء المهاجرين إلى فاس الذين ولدوا ونشأوا في فاس ، ولبنهم احتفظوا بنسبهم إلى موطنهم الأصلي ، ومن هؤلاء : ^(١) عبد الواحد بن أحمد الونشريسي ، الذي وصفه ابن عسكرو ^(٢) الفقيه ، العالم العلامة بالبحر الفهامة صاحب القلم الفصيح ، واللسان السريع ، فريد دهره وأعجوبة عمره . . . انتهت إليه رئاسة السلام وجمع بين الخلال الثلاث الفتيا والقضاء والتدريس . ^(٣) واحد بن محمد المراهيل بن محمد بن عبد الرحمن بن بلال التلمساني ، الذي وصفه الأخير بأنه كان من العلماء الاعلام ، عارفاً بالنحو والفقه اتم معرفة ومشاركاً في غيرهما . لم يعد إلى موطن ابيه إذ توفي في فاس سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٨ م ^(٤)

٧- محمد بن عبد الكريم الجزائري ، وهو من أبناء المهاجرين إلى المغرب وإنما من الذين هاجروا إلى فاس بعد الفترة موعود الدرس . وقد ذكرته من بين شقيقي هذه الفترة ^(١) لانه رجل بعد ان اتم دراسته في الجزائر على يد سعيد قدورة الصوفي في حدود سنة ١٠٦٦ هـ / ١١٥٥ م وأوقف دليلاً على ان فاس ظلت بعد ١٠٦٩ - ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م تاريخ نهاية الفترة التي تنهنا ، تستقلب لليلة الجزائر وعلماءها .

وقد كان سعيد بن عبد الكريم فقيهاً ، أدبياً ، علامة ، موعود تقدير واحترام كبيرين من قبل أهل المغرب ، والسلاطان مولانا اسماعيل الخلو ، وتوفي بفاس سنة ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م ^(٢) . ويركز أبناء استقرار توبه علماء الجزائر وليلتها من مختلف جهاتها إلى فاس هجرة محمد بن أحمد القسنطيني المحروني ، ابن الكاد إليها واستيطانها فيها ^(٣) . ان توفي في فاس سنة ١١١٦ هـ / ١٢٠٤ م ^(٤) .

ولعل فمن تقدم ذكرهم ما يكفي للدلالة على ان مدينة فاس في هذه الفترة استقبلت الكثير من دلالة الجزائر وعلمائها . وفي نشاط هؤلاء في مهجرهم ما يدل على دورهم الايجابي في الحياة الثقافية في فاس ، ومن خلالها في المغرب كله .

ولما كان محام العلماء والطلبة الجزائريين ، الذين هاجروا إلى فاس ، آثروا الاستقرار فمهما بصفة نهائية ، فان هجرتهم تلك كانت تسببت ترك فراغا كبيرا في المراكز التي هاجروا منها ، مثل طلسان التي هاجرت منها مجموعة كبيرة فضصف نشاطها الثقافي قياسا بما كان عليه في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / الثامن عشر الميلادي

(١) ابن عسكر : دوعة الناشر ص ٤١

(٢) الحفناوي : تمرين الخلق ج ٢ ص ٦١

(٣) نفسه ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١

(٤) نفسه ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٥

القرن العاشر الهجري (السادس الميلادي) ، بل ان تلمسنا ان تد حرجنا
النصف الاول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي الى المركز الثاني
حيث الادمية الثقافية و تاركة المركز الاول لمدينة الجزائر العاصمة التي قصدنا العلم بها
مختلف جهات البلاد الاسلامية بما في ذلك المغرب .

مراكش : انتمشت مراكش بعد ان كان يسميها الخراب في مطلع القرن العاشر
هجري السادس عشر الميلادي (1) ، وازدهرت الحياة الثقافية فيها ، خصوصا في النصف الثاني من
قرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، حيث أصبحت عاصمة للمغرب . وناست فاس
المركز العلمي الاول في المغرب ، وتفوقت عليها بفضل من نوح اليها من علماء فاس نفسها ،
بأثر حواجر المغرب ، ومن وفد اليها من علماء البلدان المجاورة للمغرب ومن المشرق وبلاد
سودان ، وتميزت للمعاشرة في مساجدها ومدارسها الكثيرة واسمها جامع الشرفاء والمدرسة المجاورة له .
وقد كانت مراكش اوجها في عهد السلطان المنصور السعدي ، الذي كان يقرب العلماء
وثرى ، ويصدق عليهم ، فأما بلاطه الكثير منهم . هذا قبل ان تأخذ في التدهور بعد وفاة
سلطان المذكور ، لما عرفت من احوال من جراء تناقض ابناء المنصور على السلطة ، وكثرة الثائرين
على هؤلاء .

والمهم ان مراكش قد تدهورت خاصة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر
ميلادي ، مركزا ثقافيا هاما قصدته كثير من المثقفين الجزائريين ، اما للاخذ عن علمائها او للمسلمة
في نشاط الحياة الثقافية فيها بنشر العلم ، او المناقشة والمناظرة مع اهل العلم فيها . وقد حلا
حتم لبعضهم هناك ، فاستولت عليها بصفة نهائية ، ذلك ان السلاطين السعديين لم يرضوا عنهم بالمطل
لوظائف العلوية والدينية الرفيعة ، ومن بين المثقفين الجزائريين الذين اموا شطر مراكش
سعة السعديين لهذا القرن او ذاك . نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

محمد بن علي الغروي الطرابلسي نزيل الجزائر : ذهب الي مراكش في سنة
١٥٠٢ م / ٩٠٢ هـ موفدا من قبل الاتراك العثمانيين الى السلطان السعدي محمد الشح ، بشأن
قائمة السلام بين الطرفين ، وتحديد الحدود بين البلدين : الجزائر والمغرب ، الا انه انتهى
لفرصة ودخل في مناقشات جريئة مع مرابطي المغرب وعلمائه في فاس وفي مراكش . وفي الاخير

(١) انظر عن مراكش في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي الحسن الوزان
لرجع السابق : ١٠١

(٢) ماركول : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٩

فل في مناقشات مع كبير مزاهلي مراكش ، ابي عمر المراكشي القسطلي وانكر عليه فيهمسا
 عن كثرة بما في ذلك خلق شعر الشارب وفي هذه السفارة ، والسفارة الثانية له الى المغرب
 سنة ١٥٥٤ م اخذ عن الخروبي الكثيرون من علماء المغرب وطلبتة . ان كان
 بروبي يجمع بين سعة العلم والقدم البراسخ في التصوف .^(١)

محمد بن دية الله المعروف بشقرون : رحل الى فاس ، ومنها الى مراكش سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م
 بالمدينتين . وقد تقدمت الاشارة اليه ، ونضيف هنا ان فقهاء مراكش احتفلوا بقدمه
 (٢) كان فقيها ، يقوم على ابن الحاجب اتم قيام ، وكان عارفا بالاسلمين والبيهتان والمنطق^(٣) ،
 تنفع الناس بعلومه الفخرية ، وكثر الآخذون عنه من الملوك والامراء السعديين وعلية القوم فسي
 غرب وعلماء لا يدرى منهم ، فنكرتهم . الخالب بالله ، والنصور ، وابن القاضي ، وابن عسكر ،
 محمد المنصور وغيرهم . وكانوا يحضرون الى دروسه الشائعة في الفقه والمنطق والتفسير والبلاغة
 فرائس والحساب .

كان ابن دية الله من الذين استوطنوا المغرب بصفة نهائية وفي فاس ، كانت وفاته في سنة
 ٩٨٨ هـ / ١٥٧٥ - ١٥٧٦ م قبل يوم واحد من دخول الاتراك العثمانيين الذين كان يكرههم^(٤)
 بها من عبد الملك .

٣- ابا الدية البسكري : ذهب الى مراكش في سنة ٩٨٧ هـ / ١٥٧٦ م سفيرا موفدا من
 الى الاتراك العثمانيين لتقديم التهنئة للمنصور بالانتصار في معركة وادي المخازن ، والجلوس
 على كرسي الملك . وكان ابو الطيب من علماء الجزائر البارزين آنذاك ، ووصفه القشتاليسي
 " الشيخ العالم ، الصدر الكبير ، الخطيب الشهير " ، وذكر انه كان مفتي الجزائر . ولكنه
 لم يحدثنا عن نشاطه فان الاطار النبيلوماسي في الميجان الثقافي ، كما حدثنا غيره عن نشاط
 محمد الخروبي ، واجل ذلك لقصر مدة اقامته في مراكش .

٤- محمد بن رأس الصين الاندلسي الاصل ، الجزائري الموطن ، رحل الى مراكش . وصاح
 المنصور ، ثم عاد فيما بعد الى الجزائر ، ان كان من بين نواب سعيد قدوة في الخطابة
 في الجزائر . قال ابن القاضي الذي ترجم له انه " جواب رساله ، من اهل الجزائر ، له
 مداح في النبي (ص) وديوان شعر ومقامات وغير ذلك ... " .^(٥)

(١) انظر عنه وعن نشاطه في مراكش - ابن عسكر ، دوحة الناشر ص ٦٣ الافرائي : النزهة ص ٤٢
 ابن القاضي : مذوة الاقتباس ص ٢٠٧

(٢) ابن القاضي : درة الحجال ج ٢ ص ٢١٥ ، ابن مريم / البستان ص ٢٦١ ، التماري الفرائد
 المدة ص ٣١-٣٢

(٣) القشتاليسي : نماهل الصفا ص ٥
 (٤) ابن القاضي : درة الحجال ج ٢ ص ١٦٣ ، وانظر عنه ايضا سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي
 ص ٣٩٩

- ٥- محمد المرن التلمساني : الذي قصد أول مرة فاس لأخذ العلم ، ثم استقر في مراكش حيث قلده الحنبلية الافتاء فؤاده التدريس واخذ عنه كثيرون في الفقه منهم محمد بن عبد المزيـر لقشتالي . ولم يحد إلى وطنه الأصلي ، حيث توفي في مهجره سنة ١٠١٨ هـ (١٦١٨ م) .
- ٦- أحمد المقرن التلمساني : قصد مراكش للدراسة ، ثم استقر في فاس حيث اشتهر بصيته بها وتولى فيها الفتوى والخطابة قبل أن يهاجر إلى المشرق ويستقر في مصر .
- ٧- محمد بن محمد القواشي : رحل إلى مراكش من توات ، وكان من كبار مشايخ الحديث فيها ، والآخذون عنه فيها كثيرون ، منهم الخطيب بن القاضي .
- ٨- عبد الرحمن المنايبي : ورد ذكره في مناهل القشتالي على أنه من كتاب المنصور السعد ، وأنه نجل العلماء المالمين ، وأنه الفقيه الأجل (٤) . ولم يذكر القشتالي شيئا عن تاريخ ميلاده ، أو مكان ولادته ، ولا تاريخ هجرته إلى مراكش ، ويبدو أنه من الذين انشأوا على أديم المغرب ، إذ كان والده محمد المنايبي (٥) ، أوجده على الأرجح نزول درعة ، بجنوب المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / ومطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .
- ومهما يكن من أمره فاحتفاظه بنسبه إلى عنابة يدل على أنه من ذوي الأصول الجزائرية . وما أكثر أمثاله في مختلف المدن المغربية . ويتضح من التراجم التي تقدمت ، أن المثقفين الجزائريين قد كان لهم دور إيجابي في مراكش ، حيث ساهموا مساهمة فعالة في تنشيط الحياة الثقافية فيها .
- وعلى الرغم من العدد الكبير من المثقفين الجزائريين الذين رحلوا إلى مراكش ، فإن المدينة الأخيرة تال في المرتبة الثانية كمركز للمبادلات الثقافية بين الجزائر والمغرب ، ذلك أن عدد المثقفين الجزائريين الذين قصدوا وحلوا في فاس ، ولا سيما من استوطنها منهم أكبر كمـا يتبين للباحث في كتب تراجم المصنفين موضوع البحث .
- أما مركز المبادلات الثقافية الثالث في المغرب فيبدو أنه سجل مأساة ولكن ليس دون منافسة من تارودانت ، وتطوان علمية :
- (١) المقرن : روضة الآس ص ٢٠٧
- (٢) المحبي : خلاصة الآثار ج ١ ص ٣٠٢ والحفناوي تعريف الخلق ج ١ ص ٥٤-٥٥
- (٣) عباس بن إبراهيم : الإعلام ج ٤ ص ١٩٨
- (٤) لقشتالي : مناهل الصفا ص ٢١٦ وانظر الأفراني : النزهة ص ١٢١
- (٥) انظر ما سيأتي .

سجلماسية

اشتهرت سجلماسية على الخسوس بأنها مركز تجارى هام في جنوب المغرب ،
ومحطة رئيسية بين شمال المغرب ، وبلاد السودان . على ان سجلماسية يمكن ان ينظر إليها على
انها مركز ثقافي ايضا ، بفضل الزوايا الجديدة التي كانت تقوم بنشر التعليم في مقاطعتها ،
ومقاطعة درعة المجاورة لها ، والتي كان يرومها الطلبة من مختلف الجهات المجاورة ، ولم يقيم
احد باحصائها كما فعل المختار الموسي بالنسبة للسوس . ومن اهم هذه الزوايا :
- زاوية تاجيروت : التي استمرت نشطة طوال عهد السعديين ، ومن تخرج من علماء المغرب

في هذه الزاوية او درس فيها نذكر : (١)

- محمدا بن علي الدرعي ولده محمدا زعلما :
وقد كان الاول من العلماء العاطلين ، كما يصفه ابن عسكرو ، وهو من تلاميذ عبد العزيز القسنطيني
الذي ذكره ، وكانت له باستاذة مراسلات مفيدة في التصوف . اما ولده محمد الذي ذهب في
سفارة الى القسطنطينية سنة ٩٨٠ هـ موفيا من قبل السلطان عبد الله الغالب بالله ، فقد كان
فقيها كبيرا ، ثم كان زاعيا في الشهر بالتجروتي الذي اوفده السلطان احمد المنصور
سفييرا منه الى القسطنطينية سنة ٧٩٧ هـ وهو صاحب النفحة المسكية في السفارة التركية ،
كان فقيها ادبيا يروى عنه المترجمون له . كالأفرائي في صفوة من انتشر ، بالشئ العلامة ، وتوفي

سنة ١٠٠٣ هـ .

- وزاوية ملخسرة : التي كان صاحبها عبد الله بن عرفقها كبيرا وعالما جليلا ، اخذ عن
احمد الوتريسي ومحمد المرز القسنطيني وغيرهما من اكابر علماء القرن التاسع الهجري / الخامس
عشر الميلادي ، وكانت له باستاذة الاشهر مراسلات وصفها ابن عسكرو بأنها عجيبة . ومن
تلاميذه السلطانان محمد الشيخ ، واهمده الاعرج توفي سنة ٩٢١ هـ . وتخرج من الزاوية :
ذاتها ابنه محمد ، وعبد الرحمن ، وكانا من الآخذين من العلم بطرف واسع ، بل ان ابن
عسكرو وصف الاخير منهما وكان التقى معه في فاس بالشئ الفقيه الحافظ النقادة والعلامة . . .
توفي سنة (٧) هـ ، وتوفي اخوه في نفس العقد الثامن .

ومن علماء سجلماسية ودرعة البارزين ايضا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . .
علي بن عبد العزيز السجلماسي ، الفقيه الاستاذ في القراءات توفي . . . ومحمد بن مهدي
الدرعي الذي درس على محمد بن علي الدرعي المتقدم ذكره صاحب زاوية تاجيروت تصدر ابن مهدي

(انظر عن محمد الدرعي وولده محمد : ابن عسكرو : دوحة الناصر ص ٦٩ - ٧٠ ، ٨٣ وانظر عن
ولده علي : الأفرائي : صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ص ١٠٦
ابن عسكرو : العرب السالقي ص ٦٥ - ٦٦)

سعيد المنداسي التلمساني كان ادبياً شاعراً، انتقل الى محمد بن الشريف العلوي،
 من قاعدته سبيل ماسة، ومدحه بأشعاره، وكافأه عليها باعطائه نحو ٢٥ رطلا من خالص الذهب (١)
 يدل على صفاته وكرمه لادبائه. وعلى ان الذهب استمر في الوصول الى سبيل ماسة من
 السودان.

محمد بن علي الحضرمي المزغنائي (الجزائر) وعبد الله البغوي : لانصرف عنهما سوى
 هما من فقهاء الجزائر، وان وفادتهما الى سبيل ماسة كانت ضمن السفارة التي وجهها حكام
 الجزائر الى محمد بن الشريف العلوي للتفاوض منه في اقامة السلام بين الطرفين فسي
 في ١٠٦٤ هـ / ١٦٥٤ م، وانهما رجعا في سفارة ثانية لاستكمال المهمة السابقة. ويجعل ما اذا
 لهما نشاط ثقافي في سبيل ماسة بهاتين المناسبتين على غرار نشاط محمد الخروبي في
 ومراكش، ونشاط التجبروتي في الجزائر وغيرهم من السفراء المثقفين. ولذلك لانطكك الا
 ن نقول ان يكونا قد اجريا اتصالات مع القبة الشقفة في البلدة، واحتكاكها، وتبادلا
 الآراء في المسائل الفقهية تشبا مع سقمتهم كفقيهي.

٥- عبد العزيز القسنطيني : وصفه ابن عسكربانه " من اكابر الاولياء واعلام الصوفية، ويقال
 له بلع مقام الافراد، فنازل الاقطاب، " (٢) الا انه لم يذكر متى هاجر الى المغرب، ولم يحدد ابن
 عز في فيه، ويفهم من ميان تراجمه لاهد الجنوب المغربي انه نزل سبيل ماسة واعمالها. وكانت له
 مراسلاته الكثيرة مع اشهر تلاميذه الشيعيين عبد الله بن عمر المظفر (٤)، ومحمد بن علي الدرعي
 التجبروتي (٥).

وكانت وفاة عبد العزيز القسنطيني في العقد الرابع من القرن العاشر الهجري / السادس عشر
 الميلادي.

٦- محمدا بن الحناي : لانصرف بالنسبة متى هاجر الى المغرب واستقر في جنوه. ومن
 ترجمة ابن عسكربانه (٧) ونعلم انه نزل وادي درعة ما يلي اعوان سبيل ماسة حسب بعض
 التقسيمات الادارية ومن اعمالها حسب اخرين، وانه من اهل القرن التاسع الهجري / الخامس
 عشر الميلادي وواكب بداية لدولة السعدية في العقد الثاني من القرن العاشر الهجري /
 السادس عشر الميلادي. حيث كان على صلة بمؤسسها ابي عبد الله محمد الطقب بالقائم
 بأمر الله، وفي حين ان يتمتع بوجاهة كبيرة ايضا لدى الوطاسيين الذين كانوا يدخلونه السرى

- (١) الافرائي : النزهة ص ٣٠٢ والساوي الاستقصاء ج ٢ ص ٢١٠
- (٢) الساوي : المرجع السابق ص ٢٥-٢٦
- (٣) ابن عسكربانه : الدوحة ص ٩٢
- (٤) نفسه : ص ٦٥
- (٥) نفسه : ص ٦١
- (٦) نفسه : ص ٩٢
- (٧) نفسه : ص ٦٠-٦٩

دارهم حيث نساؤهم وجوارهم . ويندبونهم لافتداء الاسرى المسلمين ، وقد مات غرقا وهو
طريقته الى جزيرة الاندلس لافتداء الاسرى المسلمين .
وصفه ابن عسكراً بأنه كان سيدا فاعلا عالما بفرائب المعلوم عثر على الحكمة ظاهرا وباطنا ،
رفا حتى يحلم الزهر والكيمياء ، ولكنه لم يذكر احدا من تلاميذه . ولعل عبد الرحمن
صنابي كاتب الحضور المتقدم ذكره ابنه او عفيده ، ان ذكرانه من نجد العلماء الماطيين
سلالة المالبيين . (١)

ومقاطعتها
وما تقدم يتبين ان سجلاسة استقايات هي الاخرى شققين جزائريين من مختلف جهات
لجزائر من قسنائنة ، وعناية والجزائر وطمسان وغيرها . وكما كان للشققين الجزائريين
في فاس ومراكش دورهم الايجابي ، وساهمتهم في تنشيط الحياة الثقافية في المركز الثقافي
لذلك توجهوا اليه اشدا وعطاء ، كذلك كان حال غالبية من توجه الى سجلاسة واعمالها .

١- تطوان :
لم تبرز تطوان مركزا ثقافيا في شمال المغرب ومركزا للعبادات الثقافية
بين المغرب والجزائر الا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بعد ان اعاد
الاندلسيون بناء المدينة في اواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وبمسد
ان اصبحت المراكز الثقافية التي كانت نشيطة في الماضي كسبتة وطنجة تحت الاحتلال البرتغالي
والاسباني .

الا ان تطوان لم تبلغ ما بلغت سبتة وطنجة في سالف عهودهما ، ولا ما بلغت فاس او مراكش ،
ان كان اهتمام اهلها واكثرهم من الاندلسيين موجها لمقاومة الفزو البرتغالي والاسباني ،
والمجاهدة ضد الاسبان والبرتغاليين . ولذلك فان الجزائريين الذين قصدوا تطوان واستوطنوها ،
كانوا على الغصور من الشققين الذين اتموا دراستهم في الجزائر او في فاس بالمغرب ، او فسي
الشرق ، وادورا اليها للسانعة في نشر العلم بها ، ومن هؤلاء :

١- ابو القاسم بن سلطان القسنطيني ، الذي استقر في تطوان بعد ان تخرج في فاس على يد
احمد الشاذلي ، وابتعد عن علماء كثيرين في الشرق ، كالتاجور وابي الحسن البكري الصديقي .
وكان فيها خدائيا ومدرسا للفقه والمقولات . وصفه معاصره ابن القاضي بأنه الفقيه المسنولي ،
وبأنه الرجل الزاهد ، ألحق المسانعة على دينه ، واثني عليه وعلى مؤلفه الذي رد فيه على
الطائفة الاندلسية التي نحت نحو المذهب الظاهري واطلحه عليه سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٥٧ م . (٢)

٢- احمد بن يوسف الزياتي : تصدر هو الآخر لنشر العلم في تطوان سنين طويلة . بعد

- (١) الفشتالي : المناهل ص ٢١٦
(٢) ضرب الاسبان تطوان سنة ١٤٠٠ م واعاد المهاجرون الاندلسيون بنائها قبيل سقوط غرناطة
سنة ١٤١٢ م - انظر محمد داود تاريخ تطوان المجلد الاول .
(٣) ابن القاضي درة المعجال ج ٢ ص ٢٨٨

من نهيل من معاصده فاس . وكما تدل نسبه فهو سليل بني زيان سلاطين تلمسان ، استوطنت
سرتة شمال المغرب على الاربع بعد القنساء على الدولة الزيانية في تلمسان سنة ١٥٥١ م
٢- ابو علي الحاج منصور البجاشي : لم ينزل في تطوان ، وانما في المنطقة المجاورة لها ،
المسماة تازغدره من اعواز ورغة . ذكره ابن عسكرو على انه التلميذ الكبير للشيخ ابن عبد الله
سيد المعروف بالحاج الشطبي الاندلسي الاصل ، ولم يذكر تاريخ وفاته على شمال المغرب ،
واستقراره به ، ولهذا ذلك بعد احتلال الاسبان لجاية سنة ١٥١٠ .

وكان الحاج منصور صاحباً لرجال التصوف في شمال المغرب ، مثل يوسف الطيبي ، واستاذ
الشطبي وغيره ، ومن اخذ عنه ابن عسكرو صاحب الدوحة ، ولم يذكر له غيره من التلاميذ .
وبعد وانه لم يجد الى بجاية بعد تحريرها سنة ١٦٣ هـ / ١٥٧٥ م .
ولا شك ان تاروان كانت مركزاً احتكاكاً ، والتقاء بين عدد آخر كبير من الجزائريين ، والمغاربة ،
والاندلسيين ، تجاراً ، كانوا ام شققين ام فزاة ، ومرة مشعة لتبادل الافكار والتأثيرات المختلفة ،
الفكرية والعنصرية والاقتصادية والسياسية . ان كانت السفن الجزائرية الناقلة للمسافرين
المغاربة والجزائريين من تجار ، وعلماء ، وسفراء ، وحجاج ، لا تنفك عن القدو والرواح اليها .

هـ- تارودانت : برزت تارودانت كمركز ثقافي له اهميته في جنوب المغرب في عهد
السعديين ، الذين اتخذوها قاعدة لهم قبل مراكش . ورغم بعد تارودانت عاصمة بلاد السوس
عن الجزائر ، ووجود مراكز ثقافية كثيرة في المغرب تحول دون تفكير الجزائريين في الهجرة
اليها كفاس ومراكش وسجلماسة وغيرها ، لانها اهم منها ، فان بعض الشققين الجزائريين شاجسروا
اليها وآثروها على غيرها . كاستقر دائم لهم في مدينتهم ، وفي مقدمة هؤلاء يتبادر الى الذهن .
١- الشيخ العلامة الامام ابو عبد الله محمد بن احمد التلمساني المعروف بابن الوقاد المستند ذكره ،
فلان تارودانت ، بعد هجرته من تلمسان سنة ١٦٨ هـ / ١٥٦١ م ، واستقر فيها بصفة نهائية
بعد ان تردد في اول الامر حيث غادرها الى سجلماسة بعد ستة اشهر فقط من الاقامة
فيها او مرة ، ولما عاد اليها للمرة الثانية بعد الطواد على سجلماسة ومكناسة وفاز طساب
له السقام ، وعلا له القرار فيها مباشرة . وفيها جمع بين الفتوى والخطابة والامامة والتدريس
في جامعها الكبير .

وكان فضله كبيراً في تحبيب اعلمها البربر بالسرية او نشر العلوم الدينية واللغوية المختلفة
فيها ، من حديث وتفسير وفقه وقواعد اللغة ، وغير ذلك ، فتغن على يده خلق كثير .
(١) ابن عسكرو : دوحه الناشر ص ١٥-١٦

كانت له وجامعة كبرى عند الطوك السعديين ، فكان المنصور يتاحفه ويؤثره بالموالكة معه ويؤثره
 لي بيته ويقول : ليس عندنا خطيب من الوقاد الا ان الله اختاره لتأرواد انت وأن لـ
 كرسى الخلافة .

ولما توفي ابن الوقاد سنة (١٠٠١ هـ / ١٥١٢ - ١٥١٣ م) خلفه ابنه ابو زيد عبد الرحمن في كثير
 من الخلق التي كان يتولاها كالخلافة والامامة والتدريس ، ولم يكن ذلك دون بعض المناقشة بينه
 بين القاضي السكتاني ، وبعد الرمن التاضرتي صاحب الفوائد الجمة (٢) وقد حظيت
 تأرواد انت قبل ان يستقر فيها ابن الوقاد مع أسرته بزيارة عالم جزائري جليل من تلمسان ،
 سجد السلطان السعدي ابي عبد الله محمد الشيخ ، مكث فيها نحو سنة يحاضر بجامعة
 الكبر في العلوم الدينية واللغوية والادبية من فقه وحديث وتفسير عقائد ، وبيان ، وغيرها ، إلا
 وهو محمد بن عبد الرحمن بن جلال الوهزاني التلمساني ، الفقيه ، العارف بالمنطق والعقائد
 والبيان وغير ذلك الذي تقلد الفتوى والخطابة والامامة والتدريس في القرون ، بعد ان هاجر
 اليها من تلمسان كما تقدم في مدارج السالكين محمد الشنقي .

وحكذا تعددت المراكز الثقافية التي كان يقصدها المشقون الجزائريون الطلبة منهم للاخذ
 واستكمال دراستهم ، والعلما منهم لنشر علومهم فيها ، والسفراء والزوار منهم للمناقشة والتعارف
 والمناظرة . فمنها ما هو في الشمال كتاوان وفاس ، ومنها ما هو في الجنوب كراكن واسس
 الجنوب المغربي كتأرواد انت وسجلماة واعمالها . ولو حاولنا تتبع كل المراكز التي كانوا يترددون
 عليها لا غفنا الى ما ذكرنا زوايا كثيرة وفي تلخيصها الزاوية الدلائية التي كان موقعها
 في اقليم تافلاك بوسان المغرب ، والتي قصدتها احمد المقرئ التلمساني للدراسة فيها عن الشيخ
 محمد بن ابي بكر الدلائي ، وهذه الزاوية ازدهرت كثيرا في العقود الثمانية الاولى من القرن
 الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، قبل ان يخرنها السلطان الرشيد العلويون
 في سنة ١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م ، وان استفادت من اضطراب الاوضاع في فاس وسجدة الكثير من
 الطلبة والعلما اليها وقد بنى فيها كثير من مشايخ علماء المغرب .
 ومن يتأمل موطن الجزائريين الذين ترددوا على المغرب كما استقروا فيه ، يجد ان المغرب استقبال
 مشققيين جزائريين من مختلف جهات الجزائر ، فهناك من جاءه من عناية وقسنطينة وبجاية في

(١) التاضرتي الفوائد الجمة ص ٣١ والحفناوي تعريف الخلق ج ٢ ص ٣٥٠ - ٣٥١

(٢) التاضرتي : المصدر السابق ص ٥ (الترجمة الفرنسية) والحفناوي تعريف الخلق ج ٢ ص ١٩٦

(٣) ابن بريم : البستان ص ٢٦٠ - ٢٦١ ، التاضرتي : المصدر السابق ص ٣١ ابن القاضي : الجدوة
 ص ٢٠٦ وابن مسكر : الدرحة ص ١٠ - ١١

(٤) انظر عن الزاوية الدلائية وعلاقة المقرئ بشيخه محمد حجي : الزاوية الدلائية ص ١٠٨ وغيرها

الجزائر ، ومن بجاءه من زواو ومدينة الجزائر في وسطها ، ومن بجاءه من مفرارة والونشريس .
ان وتلمسان وصلخره في الحرب الجزائرى . ومن بجاءه من يسكره وتوات بالجنوب الجزائريين .
وكثيرون منهم كما تبينهم الذين آثروا البقاء في المغرب لما لقوه لدى اخوانهم المغاربة
مهمين وتقدير ولدن العظام المغاربة من حظوه وترتيب .

واذا كانت تلك هي اهم مراكز التبادل الثقافي التي كان يقصدها الجزائريون في المغرب
في ياترى اهم مراكز التبادل الثقافي التي كان يقصدها المثقفون المغاربة في الجزائر وما دورهم
؟ وهل وجدوا لدى اخوانهم الجزائريين وحكام الجزائر من التقدير والحظوة ، ما وجدته
فنون الجزائريون في المغرب ؟
: مراكز التبادل الثقافي في الجزائر :

كما هو الحال في المغرب فان في الجزائر مراكز عديدة للتبادل الثقافي ، كان المثقفون
ماربة يقصدونها اما لاخذ العلم منها ، او نشره فيها ، او لمجرد الزيارة بمناسبة الحج
سفارة للتعرف بملامها ، وتبادل الآراء ، والافكار والكتب معهم ، او الوقوف على معالمها
ر اولياها او مدافنها ، او لغير ذلك من الاغراض ، ومن اهم مراكز التبادل الثقافي فسي
زائر نذكر :

١ - مدينة تلمسان : التي كانت من اهم المراكز العلمية في الجزائر ، ان لم تكن اهمها على
للاق خلال عدة قرون ، وقبل ان تضرب الاوضاع السياسية فيها ، اضطرابا شديدا طوال النصف
ال من القرن الماشر الهجرى / السادس عشر الميلادى ، وينتهي الامر في منتصفه بسقوط الاسرة
بانية من الحكم ، ويفقدان تلمسان لمركزها كخاصة لصالح مدينة الجزائر لكثير من اهميتها
ذلك في جميع المجالات ، بما في ذلك المجال الثقافي ، حيث هجرها الكثير من علماءها
المغرب في النصف الثاني من القرن الماشر الهجرى / السادس عشر الميلادى .
كانت تلمسان ، ولا سيما قبل ان يؤول امورها الى ما ذكرنا ، مقصد الكثيرين من المثقفين
فارية ، الطلبة منهم ، وحتى العلماء ، يأتون اليها للاخذ عن علماءها الذين طبقت شهرتهم بعضهم
فاق ، ومن ابرز المثقفين المغاربة الذين قصدوا تلمسان لغرض من الاغراض :
ابوعبدالله محمد بن احمد البسيتي : المتوفى سنة ٩٥٦ هـ ، جاء الى تلمسان للاخذ
علمائها ، ومنهم ابو عبد الله محمد بن موسى الوجدجي ، مفتي تلمسان واحد كبار علماءها ،
في عثمان سعيد المصوفي ، وغيرهما ، ثم انتقل للاخذ عن آخرين في المراكز الثقافية الاخرى في
جزائر ، والمشرق .
خطابة والتدريس في قاصد .

٢ - الحسن الوزان : اما الحسن بن محمد الزباني المسمى عند الغربيين بـ (ليون الافريقي) ،
يوحنا الاسد) ، فقد جاء تلمسان مرارا ، موفدا فيما يبدو من قبل السلطان الوطاسي محمد
برتغالي ، وللتنازع . وكان قد اوفده قبل ذلك لنفس الغرض الى ملوك بلاد السودان .
كث الوزان في تلمسان في كنف السلطان الزباني فترة سمحت له بمعرفة الاوضاع التي كانت عليها
تلمسان وملكيتها ، السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما يتجلى ذلك من خلال كتابه
شين المسمى " وصف افريقيا " . وفيه ذكر فيما يتعلق بالناحية الثقافية ان في تلمسان بضعة
وامم جميلة ، تتمتع بحفاة نهيرة ، وفيها أئمة وخطباء ، وخمس مدارس جيدة البناء ، مزخرفة ، وان فئة
متعلمين (الطلبة) تشكل احدى الفئات الاجتماعية الاربع وهي : الصناع ، والتجار ، والطلبة
لبنود . وقد لاحظ الوزان ان حياة الطلاب في مدارسهم تترك

(ابن عسكر : دوحه الفاشر ٩ - ١٠ - ٤٥٤) ، وابن القاضي جذوة الاقتباس ١٥٢ .

درة المجال لنفس المؤلف ج ٢ ص ٢٠١ - ٢٠٢

كانت حياة بائسة ولكن وضعهم كان يتحسن بعد التخرج والحصول على رتبة من الوظائف الدينية او التعليمية او الادارية كأستاذ اثار امام او كاتب (١). وفي النصف الثاني من القرن الماشر الهجري / السادس عشر الميلادي لم تمتد تلمسان مركزا ثقافيا بذاتها للطلبة المغاربة ، ان لم يكن فيه من العلماء البارزين غير سعيد المقبري ، في حين كانت المراكز الثقافية المغربية تضيء بأمثاله من علماء المغرب ، والعلماء الوافدين عليه من تلمسان وتونس وغيرهما .

اما العلماء المغاربة فأخذوا يتوجهون الى العاصمة الجديدة للجزائر والى عاصمة بايلك الشرق " قسنطينة " .

ولكن النصف الاول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي الذي شهد اضطراب المغرب بعد موت المنصور سنة ١٦٠٣ / ١٠١٢ هـ . جمع كثيرا من مثقفي المغرب طلبية وعلماء ينحدرونه بحثا عن الهدوء ، والسلم ، او الدراسة في الجزائر ، فغصد تلمسان الشيخ عيسى اليوسفي ، قادم اليها من فاس ، واستقر بها ، وتعددت للتدريس فيها ، فأفاد خلقا كثيرا (٢) .

وجاء تلمسان ولكن بعيد نهاية النثرة موضع الدراسة مجموعة من الدلائل يتقدمهم محمد الحاج ، المدعي ان الدلائل بعد ان خرب السلطان الرشيد الملوك زوايتهم يوقون ملكهم ، في سنة ١٠٧٦ هـ / ١٦٦٨ م ، ونزلوا بحرم المهاد ، حيث غرغ الشيخ ابي مدين شعيب ، ومكشوا فيها بضع سنوات ، فلحقها محمد الحاج ، ودفن بالمهاد (٣) .

وخلاسة القول فان تلمسان في الفترة التي تهبها قد فقدت الكثير من حمويتها ، ونشاطها ، كمركز للمبادلات الثقافية ، حيث قل الوافدون اليها من طلبة المغرب وعلمائه ، وكثر المهاجرون منها من الطلبة والعلماء الى مختلف المراكز الثقافية في المغرب .

جاء مدينة الجزائر : غدت مركزا ثقافيا مقصودا من قبل علماء المغرب والمشرق بشك طموس في النصف الثاني من القرن الماشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، بعد ان استقر امرها للاتراك وفدت عاصمة للبلاد الجزائرية ، ومركز نشاط اقتصادي كبير . ومن مثقفي المغرب الذين قصدوها في الفترة التي تهبها :

- (١) انظر الوزان : وصف افريقيا ج ٢ (تلمسان)
- (٢) سعد الله / تاريخ الجزائر الثقافي ج ١ ص ٢٩٧ هامش ١٦٥
- (٣) محمد حجي : الزاوية الدلائية ص ٢٣٥

المسن الوزان ، والمتقدم ذكره ، دخلها قبل ان تصبح تحت الحكم التركي المثناني بقليل
ت فيها فترة قصيرة ، اتمل خلالها بطلية القوم فيها ، ونزل ضيفا على صحوث اهل المدينة
اسبانيا بشأن ابرام السلام مع لاسبان وذكر في كتابه المتقدم ذكره ان هذا السفير عاد من
بانيا بحوالي ٣٠٠٠ مخطوط اشتراها من شاطبه (١)
ذكر معلومات مهمة عن اوضاع مدينة الجزائر في المقد الثاني من القرن العاشر الهجري /

سادس عشر الميادين .
عبد الواحد بن محمد الليلي الميموني الكناسي : هاجر البني الجزائر واستقر بها
في ان مات في سنة ١٢٨٨ هـ / ١٥٨٠ م . كان فقيها (٢) . قال ابن القاضي (٣) كان يستظهر ابن
حاجب الفرعي ، وله معرفة بالنحو والفرائد (٢) . وسكت عن ذكر دواعي هجرته الى الجزائر ونشاطه
ثقافي فيها وتاريخي لهجرة اليها .

٣- محمد السوسي الناسي : هاجر الى الجزائر من فاس ايضا ، ونزل اول الامر في قسنطينة
على الاربع في مطلع القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، ثم انتقل الى مدينة
الجزائر ، واستوطن بها الى ان توفي في سنة ١٠٢٣ هـ / ١٦١٤ م (٣)

كان الداعي لهجرته في اول الامر الرغبة في الاخذ عن العلماء في الجزائر ثم طعن الى احتلال
المنصب المرموقة السامية وفتح باشا الجزائر ومن دونه ، ولكنه لم يحصل الا على خطوة التدرج (٤)
٤- علي بن عبد الواحد السجلاسي : هاجر الى الجزائر ، وهو كامل المدة وجاهز للمطالعة
بعد ان نهى العلم من معاهد المغرب ، واخذ عن كثير من مشايخ مصر كالأجهون الذي اجهزه
وغیره ، وتدرج للتدريس فيها ونشر العلم فأقبل الناس للاخذ عنه ، وتخرج على يده الكثيرون
منهم ابو محمد بن عيسى الشمالي ، وحيي الشاوي وغيرهما ، وساهم مساهمة ايجابية في تشييد
الحياة الثقافية ، ورفع مستوى التعليم فيها . بعض دروسه وتأليفه المتعددة في المواد الدراسية
التي كان يدرسها وحتى في غيرها . في التفسير والفقه والنحو والحديث والبصائر
والمنطق والشرائع والادب . فاستحق تقدير الحكام والاشالي على السواء . واذا كان لا يعرف
بالضبط تاريخ هجرته الى الجزائر واستقراره فيها بسنة نهائية ، فان وفاته كانت سنة ١٠٥٧ هـ /
١٦٤٧ م بالوفاة التي كان سائدا في مدينة الجزائر في تلك السنة فترك فراغا كبيرا في المدينة (٥)

- (١) الوزان : المرجع السابق ج ٢ ص ١
 - (٢) ابن القاضي : درة العجال ج ٣ ص ١٤٠
 - (٣) المنوني : ملاح ٠٠ في المرجع السابق
 - (٤) سعد الله : المرجع السابق ج ١ ص ٤٤٩-٤٥٠
 - (٥) المياشي : الرحلة ج ٢ ص ١٢٧ ، الحفناوي في تعريف الخلف ج ١ ص ٦٩
- وسعد الله في المرجع السابق ص ٣٧٧-٣٨٢ ، والسحب : خلاصة الاثر ج ٣ ص ٢٤٠
- Joachim de Gonzalez: Essai chronologique sur les musulmans
célebres de la ville d'Alger.
ALGER 1886, P.9.

١٥ - محمد بن سليمان الريداني :
 قصد الزواجر للاخذ عن عالمها الشهير سميد بن ابراهيم قدورة وغيره
 بعد ان اخذ على كبار العلماء في المغرب امثال السكتاني ومحمد بن ابي بكر الدلاشي وغيرهما .
 ومكث فيها فترة طعن خلالها الذكر وليس المفرقة من اجل مشايخه سميد قدورة المذكور . ثم
 قصد المشرق واخذ ايضا على مشايخه، ومن وجاور ، وبلغ درجة عالية من العلم والمعرفة وفي علوم
 وفنون كثيرة، والى في بعضها . وكانت وفاته في الشام سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م .
 (١)

٦ - التجبروتي : وقد توجه في الفترة التي تمنينا عدد قليل من علماء المغرب، وادبائه
 الى الجزائر مؤفدين من قبل السلاطين السعديين الى حكمها ، وتوقنا آخرون فيها ، وهم في
 طريقهم الى اسطانبول مؤفدين الى السلاطين العثمانيين ، ولكننا سنقتصر على ذكر واحد منهم
 فقد على سبيل المثال وهو التجبروتي الذي توقف في الجزائر في طريقه الى اسطانبول سنة
 ١٠٨٩ هـ / ١٥٨٩ م ، وانتهاز الفرصة ، فقاها بمصر علمائها ، وزار معالمها وكتب في رحلته الصماسة
 بالنفقة المسكية (٢) في السفارة التركية يقول ((وطلبة العلم بها (اي بالجزائر) ولا بأس بهم ،
 الا ان حب الدنيا واينار الماجلة والافتتان بها فليهم كثيرا ، والكتب فيها أوجد من غيرها من
 بلاد افريقيا، وتوجد فيها كتب الاندلس كثيرا) (٢) .

وقد كان يرافق التجبروتي في سفارته الاديب الشاعر الفقيه محمد بن علي الفشتالي .
 وخلاصة القول ان مدينة الجزائر قد برزت في هذه الفترة موضوع الدرس مركزا نشيلا للبادلات
 الثقافية بين الجزائر والمغرب وبصفة خاصة في النصف الاول من القرن الحادي عشر الهجري /
 القرن السابع عشر الميلادي بفضل مساهمة المصاهرة كملّي الانصار ، ومحمد السوسي القاسمي
 الوافدين اليه .

ج - قسنطينة : على الرغم من كل الظروف السياسية التي عرفت قسنطينة في الفترة موسوع
 الدرس من فتن واضطرابات ظلت مركزا مقصودا من قبل المثقفين المغاربة وربما اكثر من المراكز الاخرى

(١) السحبي : خلاصة الاثر ج ٤ ص ٢٠٤ . المعاشي (رحلته) ج ٢ ص ٣٠ الحفناوي
 التمرّيف ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥
 (٢) التجبروتي / النفقة المسكية ص ١٣٩

ذلك ان الهيئة العلمية التي كانت تتألف من عمر الوزان ومحمد المطار ، وعبد اللطيف السبيع ،
 محمد السبيع ، وابو محمد بركات ، وعبد الكريم الفكون كانت هيئة علمية قوية جذابة ، ان كان
 كل واحد من افرادها باعه في علوم كثيرة وشهرته الواسعة . فشهرة عمر الوزان على سبيل المثال
 انت تتجاوز حدود الجزائر الغربية والشرقية ، بحيث كانت تأتبه الاسئلة والمسائل من فاس وغيرها ،
 عمل ذلك ما جعله عددا غير قليل من المفاربة يقصدون قسنطينة للاخذ عن علمائها امثال :
 محمد بن احمد البستني المتقدم ذكره اقصد قسنطينة بعد تلمسان فأخذ عن عمر الوزان
 لاصلين والبيان وغيرهما ، وبسم الله عن محمد الحامري (١)

سعيد الطافوسي الصنهاجي الشهير بالحاج ابي جمعه ، وهو من اهل مراكش قصد قسنطينة
 لاخذ عن الشيخ عبد الكريم الفكون (الجد) وقرأ عليه منتصر السعد ، ومختصر ابن الحاجب
 لاسلي ، وحصل منه على الاجازة (٢)

محمد السوسي الفاسي : تقدمت الاشارة اليه انه قد رحل اليها من فاس للاخذ عن علمائها ،
 ثم انتقل منها الى الجزائر حيث صار مدرسا الا ان المقد التاسين القيرن الماشر
 الهجر / السادس عشر الميلاد كان عقد شوم على الهيئة العلمية في قسنطينة ان قضى نحبه فيه ،
 فمضى من تقدم ذكرهم ، فمجد اللطيف توفي في سنة ١٨٠٠ هـ / ١٥٧٢ م واحمد السبيع توفي في
 ١٨ / ١٥٧٢ م ، وابو محمد بركات سنة ١٨٢٠ هـ / ١٥٧٤ م ، وعبد الكريم لفكون (الجمد)
 في سنة ١٨٨٨ هـ / ١٥٨٢ م وكان عمر الوزان قد توفي في سنة ١٦٠٠ هـ / ١٥٥٣ م والحمد لله في سنة ١٦٤٣

٤ - ابو عبد الله محمد بن مهران التواتي :
 اسلمه من المغرب من قبيلة الرواشد (٤) ، بجسالة الى قسنطينة وتصدر للتدريس
 فيها وذا صيته فاستجاب له الطلبة من كل جهات الجزائر ، واراد العودة الى زواجه للاستزادة
 عن علمائها ، وكان قد قصدها من قبل واخذ عنهم فتدبى بها الى قسنطينة وغالوا بينه وبين ذلك الا ان
 التواتي اضطر الى الانتقال بعد ذلك الى باجة بتونس فمما يبدو من ملاحقة الاتراك
 له بسبب بعض من لاذ به ، من كانوا موضع سخطهم ، وهناك توفي في سنة ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م .

- احمد الفاسي : لم يقصد فيما يبدو الجزائر وقسنطينة بالذات طلبا للعلم ، ولنشهره ،
 وانما بحثا عن المناقشة لدى كلية القوم في الجزائر عن طريق مدحهم بشعره ، وطلب المتعة
 منها كانت محصورة . ولذلك فليس غريبا ان يكون موقدا لعمارة الجزائر في قسنطينة وفي مقدمتهم

- (١) انظر عن افراد الهيئة العلمية في قسنطينة المتقدم ذكرهم : الحفناوي تعريف الخلف ج ٢ ص ٢٥٢
- (٢) انظر عن البستني : ابن القاضي : الجدوة ص ١٥٢
- (٣) انظر عنه المقرئ روضة الاس ص ٢٢٦ - ٢٢٧
- (٤) انظر عن محمد التواتي : عبد الكريم فكون منشور الهداية وسعد الله المرجع السابق ج ١ ص ٢٩٧

(١) الكريم الفكون (الحفيد) موقف المندوب ، الساخذ عليه .

وهناك نموذج آخر من المصارفة ليس افضل من نموذج احمد الفاسي ان كان يستتر تحت غطاء الولاء
علاء البركة لارتكابهم وقد اورد هاید وسورة عن احد مدعيها الى الجزائر في سنة ١٨٢٧/١٥٢٩
فاس؟ وكان ان اصدر الباشا قرارا تجانبه بالخروج من مملكته كلها خلال ثلاثة ايام .
اما احمد الفاسي فيبدو ان اعطاه لم تكن تزعم كثيرا الحكام ، ولذلك فقد استمر في سلوكه
مذكور .

وخلاصة القول فان قسنطينة التي هاجر منها بعض مثقفيها الى المغرب واستوطنوه استقبلت
من المصارفة المثقفين ولكنهم لم يكونوا جميعا من مثل محمد بن مزبان التواتي الذي كان
يؤثر كبير في تنشيط الحياة الثقافية فيها .

زواوه ، وطنيانه ، وسكره : ان بروز زواوه وسكره ولا سيما طمأنه كراكز ثقافية على مستوى
البلدين الجزائر والمغرب لم يكن ثابتا لول الفترة موضوع الدرس ، فطمانه برزت على المستوى
كرا مقصودا من قبل الية الجزائر والمغرب وعلمائها المراهقين في عهد ابي العباس احمد بن يوسف
لكنها لم تحتفظ بنفس الاهمية التي كانت في عهد هذا الخليفة . وقد
سده بين المغرب لاخذ التصوف عنه كل من محمد الشلبي (٣) ، وعبد الله الخياط (٤) .
اما زواوه التي تشتهر بزواياها الكثيرة في الفترة التي تهيمن عليها فقد كان بعض العلماء فيها
برزون من حين لاخر فيهم الطلبة المهم من مختلف جهات الجزائر وبأتمهم الوافدون من المغرب
تونس . وفي القرن السادس عشر الهجري / السابع عشر الميلادي كانت شهرة ابي محمد عبد الله
بن صباح . وابي محمد عبد الميزان الخراز قد طبقت الآفاق فخرج محمد بن مزبان التواتي
لمغربي للاخذ عنهما الفقه والنحو والقراءات السبع (٥) .

ويبدو ان بعض المصارفة الوافدين على زواوه قد آثروا الاستقرار فيها كالمندوب الغربي
لفاسي الذي قصد للتدريس في زواوه (٦) .

اما سكره فقد كانت وما مقصد المثقفين المصارفة ولا سيما بمناسبة الحج ان كانت محطة
عمامة من محطاتهم يتيقن من الاحتكاك والاخذ والعطاء بين مثقفي البلدين . وفي رحلته

(١) محمد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ١ ص ٤٤٨-٤٤٩ .

(٢) هایدو : طبوغرافية / في / المجلة الافريقية عدد ٨٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) ابن عسکر : الدوحة ص ١٤-١٥ .

(٤) نفسه : ص ٦٢ .

(٥) الفكون : مشر الهدايا ص ٣٠ من المخطوط .

(٦) محمد الله : المرجع السابق : ص ١ - ٢٢٨ .

مياشي نماذج كثيرة لما يحصل بمناسبة العلم من تبادل للأفكار والآراء ، ومناقشة للسائل
(١) علمية والدينية .

- المشرق :

وهناك مراكز أخرى لا يقل أهمية عن مراكز التبادل الثقافي المذكورة في كلا البلدين
ان يلتقي فيه مثقفو الجزائر والمغرب ، ويتبادلون الأفكار والآراء ، يأخذون بعضهم عن
بعض ، الا وثق البقاج المقدسة التي كان علماء البلدين كثيرا ما يجاورون فيها ، كما فعل ابو مهيدي
عيسى الشمالي ، ومحمد بن سليمان الورداني وغيرهما . فباتي طلبه العلم من البلدين ، الجزائر
والمغرب ، للاخذ عنهم هناك ، كما فعل المياشي على سبيل المثال حيث اعتكف هناك يأخذ ويضلل
من فيض علم أبي مهيدي . بد انه في المشرق كانت تسمى الهوية الخاصة للمغربي والجزائري
وتتقدم الفوارق الثقافية لديهم الوافد اليه من تلك البقاج " مغربيا " فقط . ومن المؤكد ان لقاء
الطرفين في المشرق بعلماء مسلمين من مختلف الجنسيات ، ان من الفرس والمثاليين
والاكراد ، كان عاملا بدوره في نقل متشابهة للمؤثرات الشرقية على اختلاف ألوانها الى بلدتهما
ومساعدتهما على تمتين الاواصر الثقافية بينهما .

وخلاصة القول ، ان العلاقات الاجتماعية والثقافية ، بين المغرب والجزائر ، اتخذت صورا
متعددة من تنقل لرجال العلم وطلبته ، والتجار ، والصالح وغيرهم بينهما ، و اعمار متبادل
بالعلماء والطلبة للمراكز الثقافية المتعددة في البلدين ، وقام مصاهرات عديدة بين الجزائريين
والمغاربة ، ومناقشات فكرية ودينية متواصلة بين المثقفين منهم . وكل هذه الصور صور لا صنفية
رسمية لها ، ولا معاهدات تحدد لها ، وانما اتت طبيعية وعفوية ، فرضتها عناصر الترابط الاصلية
بين البلدين ، من وحدة في المنصر والدين ولغة الثقافة والقرب الجغرافي ، والصلة الواحدة
المنفتحة على اجزاء العالم الاسلامي ، وبذلك تجاوزت هذه العلاقات الاجتماعية والثقافية
الامر السياسي ، على الرغم من كل تبدلاتها وآثارها ، وكانت هي المؤثر الاقوى والاكثر ديمومية
في الصلات بين شعبي البلدين .

(١) المياشي : ما المؤثرات ج ٢ ص ٤١١ على سبيل المثال

(٢) نفسه : ج ٢

((الثالثة -))
 ~~~~~

بعد هذا السير الدليل في تفاصيل العلاقات بين المغرب والجزائر خلال الحقبة الممتدة ما بين ١٩٢٢-١٩٦١ م / ١٣٤١-١٣٨١ هـ يتضح أن تلك العلاقات في مجموعها كانت على نوعين ،  
 - علاقات بين الشطرين ، وهي علاقات ذات طابع عفوي ، لم تتحكم فيها السلطات السياسية بشكل مباشر ، ولم تخضع لطبقات ومجاهدات واتفاقات ، كما أنها كانت موروثة من  
 - علاقات بين الحكومات المتعاقبة بين البلدين ، وهي على الخصوص العلاقات السياسية .  
 قد تم التعرف خلالها بأهداف تلك الحكومات ، ومبادئها السياسية ، كالمبحث عن أمنها وسلامتها  
 أو تدعيم قوتها ومد سيطرتها ، أو الدفاع على نفوذها وهيبتها ، أو الحصول على مناسبات اقتصادية  
 تثبت فيها . كما اتضح فيها بشكل بارز دور أولئك الأفراد القاهضين على السلطة ، والذين مارسوا  
 ذلك العمل السياسي ونواياهم ، وتغريراتهم المباشرة ، أو عبر البعثات المتبادلة بينهم ، والمفاوضات  
 الدبلوماسية ، والفتاوى التي تم التوصل اليها ، من معاهدات ، أو اتفاقات ، أو مشروعات اتفاقات ،  
 أو على العكس ما نرى من صدامات عنصرية وحروب . وهذه العلاقات بين الحكومات بصورتها تلك  
 هي التي نؤمن بجزء ما يدلل على عادة اسم التاريخ الدبلوماسي " للبلدين " .

وإذا ما أجريت موازنة بين هؤلاء النوعين من العلاقات خلال الحقبة المدروسة من ناحية  
 مدى ديمومتها ، يلاحظ أن الأولى كانت أطول أمرا وأثرنا ، بينما الثانية كثيرة التعرُّك ،  
 والتذبذب من مرحلة زمنية إلى أخرى ، ومن عالم إلى عالم ، بل وتقلب في ظل العالم الواحد  
 وفي فترة زمنية متعاقبة خاصة في تلك لحديد من الظروف الطارئة .

وإذا ما سعي إلى تحديد الحركات لتلك العلاقات سواء منها الدائمة والعفوية ، أو  
 المتذبذبة وهي تتراق بين حزبين تارة ، وسام قلق تارة ، واتلاف وتوافق مرة ، وحرب باردة  
 أخرى ، وتتعاقب العلاقات الدولية في المشرق الإسلامي ، والعالم المسيحي الغربي ،  
 أن وراء تلك العلاقات عوامل موروثة وشبه ثابتة ، ومنبثقة من البنى العميقة للمجتمعين ، وعوامل جديدة  
 ظاهرة دائمة على تلك البنى .

أما البنى العميقة وشبه الثابتة التي ولدت العوامل الأولى فيأتني في البحثها دون شك  
 البنية الجغرافية للبلدين ، المتمثلة في موقعهما ، وتباينهما دون عوائق طبيعية ، وفي طبيعتهما  
 المتشابهة ، وقد شوهت أنه كان لتلك الأمور آثارها الكبيرة في مختلف العلاقات ، وأن كانت آثار  
 وضوحا في العلاقات الاقتصادية والثقافية والالتزامية ، ولا سيما أن البنية البشرية والثقافية  
 المتشابهة في البلدين ، والموروثة من زمن بعيد هي الأخرى ، وكانت تدعم تلك المؤثرات الطبيعية  
 كما كانت الأخيرة تمكن بدورها الأولى ، فالعناصر السنانية التي يتألف منها سكان الجزائر  
 والمغرب هي من أصول أمازيغية عربية واحدة ، وهذه الأصول البشرية على الرغم من خصائصها  
 القبلية الاستقلالية ، تمارست محال الحزم الإسلامي الدليل ، وصهرها الدين الإسلامي ، ووطد  
 بينها المذهب السني المالكي الواحد ، وانتشرت بينهما ثقافة واحدة هي الثقافة الحربية الإسلامية

بفتحها العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، على الرغم من بقاء بعض ديوب اللغة الامازيغية  
سابقة بلهجتها المتعددة . وهذا كان من الطبيعي ان تكون الروابط الاجتماعية بين  
تحتل القارين وواحدة ، فالجزائر ووجود عواطف في وجه التنقل والتمازج ، والتعاون ، والاستقرار  
من اى من المجتمعات كانت عوامل سياسية في تنمية العلاقات البشرية والثقافية بل والاقتصادية  
بين البلدين .

الا انه يجب ألا ينسى في فترة الدار العلم تلك الحقائق ، ان تحول المجتمع من  
الجزائر والمغرب الى مجتمعين ينضم إليهما النظام الحضري نان بدايتا . فالنظام القبلي  
البدوي ، حال قائما بقبايله وزعاماته ، وعصبياته ، وكان له من ثم تأثيراته الكبيرة في الاحوال السياسية  
للمجتمعين ، فالقبائل كانت تتحالف ارتقاء مع ، ولوانت احيانا من اصالة واحدة ، وعندما  
تستأجر القوى السياسية العانة او الفارسية من الحكم تستعملها ، او عندما تنافس في نفسها في  
الحكم . فبهذه البنية القبلية في البلدين كانت في الواقع وراء الانقسامات السياسية التي عاشها  
قبل مرحلة البحث ، كما كانت وراء كثير من الخلافات الاجتماعية والاقتصادية السلبية في البلدين  
بمضامنها الكثيرة حول المروى ، والنفوذ ، والمصلحة ، ولما كانت خلف تطور العلاقات بين القارين  
الما الى سائر اوجزها ، بدعها هذا اوردنا ، او بتأليبها هذا على ذلك . وهذه البنية القبلية  
لم تتبدل ، بل هذه المرحلة ، فالقبائل بقيت هي هي ، بتزويجها بل وبحواقفها الضمنية ، على  
الرفح ، مما فعله الاتراك العثمانيون لتثبيت يدها على الارض ، وتحويلها الى عناصر ادمية حضورية .  
وسا فعله السعديون ايضا ، وقد رأينا في مناسبات عديدة دور هذه القبائل في العلاقات  
السياسية ، وتأبيدها في الجزائر والمغرب لهذا اوردنا من السلاطين في المغرب اوراقها له  
او موالاة اخرى في البلدين للاتراك العثمانيين ارماداتهم لهم ، وهكذا فالبنية السياسية في  
المغرب والجزائر كانت خلال هذه المرحلة ، كما كانت قبلا ، بنية قبلية ، الى حد كبير ، بمعنى ان  
الرؤساء القبايل كانت تبقى على رأس الحكم مادام وراءها عصبية من القبائل تؤيدها . . . واذنا هذا  
قد يبدو جليا في السلاطة العانة المغربية لانها من اهل البادية ، فانه يظهر صحتها الى حد ما  
في حكم الاتراك العثمانيين الغرباء من الامم الى البشرية لسنان الجزائر والمغرب على السواء ،  
لان الاتراك كانوا قلة ، ولم يكن ليزيد عددهم في ضمن الاحوال عن ( 6000 ) ، فسيارهم  
على البادية اعتمدت على القبائل المغربية التي استمالوها اليهم واقطعوا الارض . ولكن حتى هذه  
القبائل الموالية مبدئيا ، كانت مستعدة لبيع ولاعيا لمن تراه ، ناهية عن بنيتها الاستقلالية  
التي اعتادت عليها . ومن هنا كانت تلك التغيرات الثورية شبه الدائمة في الجزائر والمغرب بقيادة  
زعاماتها المحلية ، وما لمبته من دور في العلاقات السياسية بين البلدين ، بتزويجها لغة احدى  
السلاطين السياسيين الحاكمين في البلدين على حساب الاخرى ، فقد قلب تلك العلاقات من  
صورة الى اخرى .

ومثلا كان لتلك البنية القبلية للمجتمعين تأثيراتها في تذبذب تلك العلاقات السياسية ،  
فانه كان لها خلال هذه المرحلة ، كما كان لها في الماضي ، آثارها السلبية في العلاقات الاقتصادية  
في حياة الفخرو التي كانت تعيشها فترة من القبائل بل جليا ، كان لها نقاءها العشرية في ميادين  
الزراعة والصناعة والتجارة كما رأينا ، ولما كانت الخامل الانهري في انعدام الامن في الدار قسما .

ومن ثم في اعادة التواصل الاقتصادي بين البلدين ، هذا بالإضافة الى ان حياتها المحدودة المتطلبات الاقتصادية ، وجدت محاذم الاقتصاد في البلدين لتأمين حاجات ذلك المجتمع ، التي لم تتغير منذ زمن بعيد ، اذ ان حاجات المجتمع الحضري القليل الحدود نسبيا كانت محدودة النعم ، وان كانت متنوعة الكيف ، وتشابه هذه المتطلبات الاقتصادية في مجتمعي البلدين ، وتشابه الانتاج بالتالي لتشابه الظروف الجاهية ، وبحل العلاقات الاقتصادية ، على الرغم من وجودها وشاغلها احيانا ، لا توجد المعاملات الواسع لتبادل الانتاج المحلي ، وانما تعتمد على العلاقات الاقتصادية الخاصة لكل من المجتمعين مع المشرق ، وأوروبا ، والسودان ، اى ان العلاقات الاقتصادية بين البلدين كانت اشبه بعلاقات وسيط ، بوسيط أكثر منها علاقات متنى بمتنى .

ومن ثم يمكن القول ان العلاقات بين البلدين والسياسة منها بصفة خاصة ، لم تكن متأثرة فقط بخصيصة هذا العالم او ذلك ، واهدافه ، وقراراته ، وانما بما وراء ذلك الحام من قوى وهذه القوى الداخلية لم تكن مبادئ اجتماعية تصيرها مصالح اقتصادية مهيمنة ، بقدر ما كانت جماعات او جماعات قبلية ، تكون موانع قوى في البلدين ، ولكن يجب ألا يغفل اهدا في هذا المجال دورى اخرى في المجتمع غير البنية الاجتماعية القبلية ، ومنها البنى القبلية ، وتشمل في هذه المرحلة بالفترة السوفية ، التي تضاعف نشاطها منذ القرن التاسع الهجرى / الثامن عشر الميلادى / في ظل من البلدين ، والتقف في وجه اخلاص الخنزرو الاوربي ، الفارسي ، فقد انتشر مريدو كل دايقة في انحاء العالمين ، وتشكلوا في دنيا المجتمع القبلي والريفي ، وكان ذلك حاملا من عوامل اشكال السياسية القبلية ، وتدعيم العلاقات النكبة والاجتماعية بين المجتمعات ، ومؤيدة بالمعالم الثقافية الاصلية الواحدة ، ومع ان هذه الدارق السوفية ساعدت على طمس بعض الخصيصة القبلية الا انهم بالمقابل تأثرت بها فكونت هي نفسها ، اشبه ما يكون بالمبادئ الاجتماعية التي كان لها تأثيراتها المباشرة وغير المباشرة في السلسلة السياسية ، بل وفي العلاقات بين البلدين ، من سالم وحرب ، وتوتر وصراع ، اذ لعبت دورا مماثلا للمجتمعات القبلية في ترميز احدى كفتي السلسلة السياسية في البلدين على حساب الاخرى .

وام ثمة فئة العلماء ولا سيما انما امتزجت في هذه الفترة مع فئة المتصوفة ، اقل اثرا فسي تلك العلاقات ، لا الثقافية فحسب ، بل يتبادر الى الذهن ، وانما السياسية ايضا . وقد يكون ابرز مظاهر تأثيرها ، دورها في الشؤون الادارية ، وتأثيرها في السلسلة السياسية ، واخيرا في السفارات التي كانت تنظمها . وقد رأينا بعض نماذج من تلك السفارات ، والمهمات التي اودتها ولا سيما في الدفاع عن آرائها التي هي آراء العالم السياسي الذي تمثله ، والمبنية على نظريات سياسية اسلامية فان لها اهميتها الكبيرة في العلاقات بين البلدين وتطورها ، وبعض بالذكور دورها في تأييد نظرية (العلاقة الاسلامية القرنى) التي كانت تدعم موقف المغرب ، وتبطل نظرية العلاقة الاسلامية للزعامة الاسلامية الاقوى التي كانت تحكم لها الدولة العثمانية .

واذا كانت هذه البنى العميقة في البلدين ، والموروثة عوامل شفية او ظاهرة في تسيير العلاقات بين البلدين ، فان العوامل الدائرة على تلك البنى فان لها هي الاخرى اتارا البيئة في هذه المرحلة ضمن هذه الامور الجديدة الدائرة على البنية الاجتماعية مثلا دخول جماعات الاندلسيين مهاجرين الى البلدين للأسباب المعروفة وتوحيدهم في اماكن محدودة لتأوان وسلا والرياء

المغرب وشرشان والجزائر في الجزائر وفي هذه الجماعات كما رأينا بنت المسيحية في البنية  
اقتصادية للبلدين ، وكان في الميدان الزراعي أو الصناعي أو التجاري وصيغة خاصة في الخضرو  
جدي ، وبالتالي فإن لها آثارها المباشرة وغير المباشرة في تنشيط الحلاقات الاقتصادية  
زيادة عدد القوة العاملة الفنية في القدارين ، وبدعم التواصل بينهما في مجالات الاقتصاد  
تقي دخلهما ، ومع أن الاندلسيين في أصا انضم البشرية والثقافية يختلفون عن سكان البلد ليس  
لا أنهم من الوجهة الاجتماعية كانوا عنصرًا حضريًا ، وبذلك دعوا سكان المدن وزادوا في ثقلهم  
تأثيرهم ، فمدلوا ولو قليلا اثر العنصر الفلبي ، إلا أنهم بالمقابل للداروف المختلفة التي اتوا بها  
التي كانوا يعيشونها في بلادهم ولم يمتزوا مباشرة مع السكان بل كونوا جاليات متميزة فسي  
البلدين كان لها حتما صلات مع بعضهم ، وتحوّلت هذه الجاليات الى قوى سياسية ، بل ودويلات  
وبالذات لم تبق بعيدة عن التدخلات السياسية والحلاقات بين البلدين لحماية مصالحهم  
في ليبيا . وبدوا اثرهم واضحا في الحلاقات الاقتصادية والسياسية التي اقاموها مع شمسرة  
البحر في المجتمعين ، وفي انضمامهم الى جمهور الدارفين ، وفي تكوينهم مراكز قوى تربي احدى  
الفتين وبخاصة لغة الحكم العثماني في الجزائر لشمسهم بأنهم مدبرون للأثراك الذين انتدوهم  
من الاضداد ، علما بأنه كان لهم ايمانهم السياسية في تحرير وطنهم اسبانيا ما كان لها  
انكساراتها على الحياة السياسية في البلدين والحلاقات بينهما ، وقد رأينا بحضرة اوارهم  
واحدة في قلبهم بين مزار الجزائر والمغرب أثناء الصدام المسلح بين الدارفين ، كما  
حدث على سبيل المثال بنسابة حملة رمضان باشا على فاس في سنة ١٥٨٤هـ / ١٥٧٦م ، بحيث  
انازوا الى صفوة باشا الجزائر وعروا المزعمة على محمد المتوكل على الله بما احدثوه من فساد  
في صفوف جيشه ، وببرهم من القهائل العنصرية . وقبل ذلك كانوا قد شجعوا محمد الشنقي  
على التدخل في تلمسان ، ووعدوه بمساندته .

ومن الامور الطارئة على البنية الاجتماعية ايضا هجرة اليهود مع الاندلسيين ، فبالاضافة  
الى من كان موجودا منهم سابقا في كل من الجزائر والمغرب في المرحلة المدروسة جاءت جماعات  
منهم اليها من اسبانيا والبرتغال فزاد عددهم . وقد حمل هؤلاء معهم كما حمل الاندلسيون  
فجالياتهم المختلفة ، وكان لهم صلاتهم مع بعضهم في القدارين ومع سكان اليهود ، ولا سيما  
في العيادين الاقتصادية ، ولما هي حالتهم . وكان لهم هم الاثريين تجمعاتهم في المسمدين  
وتأثيرهم في مختلف الحلاقات ، وان لم تهد بارزة ، وبخاصة عندما كانوا يحطون مترجمين او  
وساطة تباريين المأويين ، او تبارا ، او في الوظائف الحكومية او وراءها .

ومن العناصر البشرية التي تزايدت في هذه المرحلة في القدارين السودانيين ، وفي الواقع  
لقد كانوا من ودين من السابق ، إلا أن عددهم تزايد عندما ادخل بعضهم في الديار ، ولا سيما  
في الدولة السعدية ، ومن ثم كانوا من المدعين للقوة العسكرية المأوية ، تلك القوة التي لعبت  
دورا هاما في علاقات السلم والحرب على المسحوا .

ومن الجماعات الدينية ايضا على البنية الاجتماعية الاصلية للسكان في هذه المرحلة ،  
الاربيين النصارى ، وهؤلاء كانوا من اصول مختلفة ، وكان بعضهم مستعبدين اي من اسر جدي

الخزوا البعري في البلدين ، وقد اسلم بعضهم ونفون ما يسميهما يدرو في الجزائر " اترابا المصنعة " وقد استندم هؤلاء في احوال مختلفة واسمهم عدد منهم في الخزوا البعري ، وفي الديبش ، وفي البلدين وبعضهم كان من الاحرار وهم الثوار الازييين الموزعون في حدود المدن الجزائرية والمغربية ، والدارفان كان لهما دور في تحريك العلاقات بين البلدين ، اما الاول بصفتهم سلطة متبادلة او سلطة يتفاوض عليها سياسيا لصالح احد البلدين او لبلد اوروبي او بصفتهم عاطلين في حالات مختلفة ، او منها الترجمة او عاطلين فيهرات متنوعة تنفذ احد البلدين على حساب الاخر ، واخيرا بما كانوا يعملون من مال نتيجة اقتنائهم يدمعون به قوة مالية للقطين ، كما يجب ألا ينحسروا تأثيراتهم الثقافية وان بدت محدودة ، ولا سيما في مجال اللغة ، وفي المدن التي كان عدد هم كبيرا فيها ، فالجزائر مشحولة .

واخيرا هناك الاثراك العاطلون في الجزائر ، هؤلاء هم الذين كونوا الدايقة الخاصة فيها ، وتزاي بعضهم من سكان البلاد ، والجزيرة فئة اجتماعية جديدة من هذا التزاي ، ثم الترافلة . ومن ان هؤلاء الاثراك كانوا يعملون الدولة العشمانية الخاصة ، ويتعلمون اللغة التركية ، ويدعون بالاسلام ، الا انهم في اصلهم لم يدعوا لهم من احوال تركية ، وان كانت فئة منهم من اصل اوروبي ، ومن الواضح ان هؤلاء الاثراك بصفتهم الدايقة الخاصة ، كان لهم دورهم السياسي الفعال في العلاقات بين البلدين ، وانما من البايكرايات او الباشوات ، او من الموظفين الاثريين او من الاندشارية ، بل كان لهمؤلاء الاثريين دور كبير في تلك العلاقات ولا سيما في عهد الباشوات حينما غدت السلطة الفعلية بيدهم ، وقد رأينا موقفهم من حملة علي علي ورفضهم لها ، وانما كان لهم تأثيرهم غير المباشر في تلك العلاقات ، اما ولدوه من اشغال ربات وضعف في الاحوال السياسية في الجزائر .

ولم يكن للاثراك اثرهم في العلاقات بين الجزائر والمغرب لمجرد قبضهم على السلطة السياسية في الجزائر ، وقد غلب الواسع في الخزوا البعري ، بل لوجودهم في المغرب ايضا . فقد انتقل اعداد منهم ليحلوا جنودا في بعض الواسيين والسحديين ، وغبرا عسكريين . وقد حملوا كما اشير سابقا من التأثيرات الى الهيئة الادارية السياسية في المغرب ، فاميك من الامدادات في اللباس ، والاعلام ، وقد تقدم هذا الاثر بالصادات الدرة بين البلدين من تنقل لاهل ايامه ، وتبادل تدريجي ، ومن مشترك ، وان هؤلاء الاثراك على الرغم من قلة عددهم النسبي اثرهم كذلك في دعم القوة الدفاعية والمهيمية في المغرب ، مما كان له ساب في العلاقات السياسية بين البلدين .

وانا كانت تلك الامور قد دارت على البنييتين الاجتماعية والاقتصادية في القارين ، وكانت مؤثرا كبيرا او صغيرا خفيا او ظاهرا في العلاقات بين البلدين ، فان الخزوا الإسباني والبرتغالي لهما وتوضعه في عدد من دولتهما ، كان من الامدادات الكبرى التي زعمت الترابيب السياسي والاقتصادي في البلدين .

وقد تبين بليا من ان العلاقات السياسية بين البلدين ان الدولتين المعتلتين البرتغال واسبانيا كان لهما دائما دور حاسم في تلك العلاقات ، فهما اولا محور اساسي في تلك العلاقات الثاني والتحالف بين المغرب والجزائر وذلك لرغبة القارين الحميقة في التخلص من قواعد الدولتين



على ترابهما ، والتحرر من احتلالهما . وثانياً مما منحور فعال في علاقات الافتراق والتوتسـسـر للجزء السلالة السياسية الحاققة في المغرب في محال الأحوال للتحالف معها التنازل على استقلاليتها من الحكم العثماني ، ولا بعد هذا الحكم عن الجزائر ، وأن ذلك لمجرد التهديد ، أو احصل بعد وفلي . أو لانقضاء القوى السياسية المتعددة على السلالة العثمانية في البلدين اليهم حسا ، لتجد سندا يمينها في الوصول الى السلالة الفعلية ، وارد الحكم العثماني . وبالفعل تانحت امان الدولتان لا تتفان عن التدخل في الشؤون الداخلية للقطرين بطريقة أو بأخرى ، ويستث الفرة بينهما ، أو بالأحرى في تعزيق وحدة السلالة السياسية فيهما كضرب افراد الاسرة العثمانية في المغرب بفسخهم ، وتشجيعهم على شق صفها الدائمة ، وفقى بالادها ملها لهم ، ثم استخدم وسائل ضغط للحصول على ما يريد ، بعد تعزيق بقائهما على الأرض التي احتلتها ، بسل والوصول على مرائر أخرى تابع بها ، وضغ وصول الدولة العثمانية الى قريها ، والشئ نفسه كانت تفعله في الجزائر بتأليب مرائر القوة السياسية الوانوية ضد الحكم العثماني ، وتشغل هذا الحكم بالاضاع الداخلية المضاربة فيهم صرف عن السعي لوضع عدلهم ، ودأ على تلك الأرض .

ومثلا كانت للدولتان الايريهتان المثلثان معورا فعلا في الحازقات بين البلدين ولا سيما السياسية ، فان الدول الاوروبية المتباركة مع البلدين والتي تزايد عدد ما في هذه المرحلة ، واتبع دأمرهما بتغييراتهما وموقعهما الاستراتيجي ، وتأثرت سلبيا بحركات الغزو البحري فيهما ، كانت هي الاخرى معورا من المحاور التي تتحرك عليه تلك الحازقات السياسية والاقتصادية . فحتى تحقق هذه الدول نواياها الاقتصادية والسياسية ، كانت تدعم مرائر القوة في البلدين التي ترى بانها قادرة على تنفيذ رغباتها . وقد اتخذ ذلك الدعم سورا عسكريا وسياسيا او الاثنين معهما . وقد تنوع انكلترا ومولدة مثلا على ذلك في دعمهما للمسيحيين في المغرب . ومن ثم كان لهم هذه الدول بشكل عام دور سلبي وفكك للحازقات بين القدارين لانها كانت تروجهم لصالحها ، والى الانقسام لا الى التحالف والترابط ، وهكذا فمع الدول الاوروبية الخازية والمطالبة ، وعلى الرغم من بعض مظاهر الود التي كانت تبديها بين حين وآخر للقدارين او لأحد هما ، او للدولحة العثمانية ، فانها كانت تسعى لدب الفرة بين البلدين او بين الدولة العثمانية والمغرب قداما لدابر الوحدة الاسامية العثمانية ، والوحدة المغربية الجزائرية ، او الوحدة المغربية المغربية ، تلك الوحدة التي لو تمت لهددت العالم الاوربي المسيحي بخوار مجسم ، وفي وقت شرع فيه هذا العالم ياض قدمه الخازية في معنى انهاء العالم ، وتطبيق مناسب اقتصادية مثالة .

وفي هذه الحازقات بدت الدولة العثمانية في استانبول ، لا الدولة العثمانية في الجزائر دارقا هي الاخرى وذلك في بعض المراحل ، ولا سيما أيام المنصور السعدى واولاده من بعده ، اى عندما اندلج العرب العثماني في الجزائر في عهد الباشوات ، ويبدو ان اعتداد المنصور بسلطته وبشأنه يمينته ، وقوته العسكرية وحسنه السياسية جعلته يبعث عن السلالة الحقيقية وراء الحكم في الجزائر ، تلك السلالة التي يمينها مع ان تقرر الحازقات بين البلدين . . ولا سيما انه اراد ان يثبت لهذه الدولة انه ند لملطانيا ، ان لم يكن يفوقه ، وأنه يمثل دولة ذات كيان مستقل تان لها يرميا امتدادها الواسع ، وليست هي ولاية من ولايات الامبراطورية للجزائر . وقد سار اولاده واعفاده من بعده على هذه الخدمة وعلى الرغم من انهم تانوا ببيددين في قوتهم عن قوة المنصور

لا انهم شعسروا انهم باتخاذهم هذا الدال السياسي ، يدمم موقفهم كسلادين مستقلين ويحق  
سلس التي وضعها المنصور في علاقته مع الدولة العثمانية .  
ويبدو من مظهر تلك الامور الجديدة الدارثة على الهن الحمية المتوارثة التي كان لها  
تاريخا المستمرة في العلاقات بين الدارين ، ان لم تبق على السطاح ، بل تغلغل الى جذور تلك  
البنى لتتغلغل ما يمكن ان يندم مصالحها فيها .

ومثلما ان للبنى الحمية نتائجها المورثة في العلاقات بين الدارين ، وللأمر الدارسة  
تاريخا النيرة او الصغيرة في تلك العلاقات ، فان العلاقات نفسها بسانمها وحدها ، وتوترها  
وتراخيمها كان لها نتائجها في تلك البنى .

فاذا ما بدىء بالبحث من اثرها في البنية الدابعية المقارين يلاحظ ان تلك العلاقات  
اذا لم تزد الى تغيير في معالم الدابعية المشتركة ونقش طارق جديدة مثلا بين البلدين ، او  
ازالة عوائق دابعية يمكن ان تشمل سبل التواكل والتعاون على نطاق اوسع بينهما ، او على العكس  
لتحصر سير العمليات الحسنة ، اولتقيم ، وانجز تمنع الانتقال وتوقف التلاقح ، فانها تاندست  
الخاص الوعيد والمباشر في تغايد الحدود بين البلدين . ومع ان تلك الحدود لم تكن سدودا  
مانعة غيرت البنية الدابعية في اعادة الاتصال بين الدارين ، الا انها ولدت على الاقل شعورا بوجوب  
حوار بينهما ، ونمت في البلدين الشعور بالاستقلالية ، او بالقومية المحلية ، جزائرية ام مغربية .

ان تلاحظ البلدين ، وانعدام العوائق الدابعية بينهما ، والبنية البشرية والثقافية والاجتماعية  
الواحدة اوجدت مع الزمن لدى البلدين ولا سيما في ظل الحكم الاسلامي الواحد ، شعورا خفيا  
حادي انما ليسا مجتمعين متغايرين ، وانما مجتمع واحد ، وولد لدى القوى السياسية الفاعلة فيها  
انها يجب ان يحكمها بقوة سياسية واحدة . وهذا الهدف سعى لتحقيقه قبل المرحلة المدروسة  
المرابطين فالموحدون ، ولا حقه بحددهم كما رأينا المرينيين ، والزياتيين ، والحفصيين . وقد ا  
المغرب هو المتعصب الاكبر لهذا التيار السياسي ، او القادر الاكبر على قيادته ، لاقتتاده ، انه  
الورث الوحيد للزعامة السياسية للمغرب النيرة ، لأن المرابطين والموحدين انبثقا معه ، وقد  
شاهد انشاء تنب العلاقات بين البلدين ان هذا التيار اصدام دائما بنزعات العظام الاستقلالية  
ورفضاتهم في السيادة والنفوذ ، والانفراد بالحكم ، وبالزعامات القبلية . الا انه مع ذلك كان تيارا  
سياسيا قويا له مؤيدوه في الاقلية المغربية الثلاثة ، وفي المغرب والجزائر بصفة خاصة . ولم يمت  
هذا التيار او يتقلص خلال المرحلة المدروسة على الرغم من ان اصالة الحكم في البلدين لم تحدد  
واحدة ، ومع ان الحكم الاتراك في الجزائر كانوا متمايزين في العرق والمذهب الديني عن مؤيدي  
البلدين ، ومن حكم المغرب ، فانهم تهلوا هذا التيار ، لأنه يخدم مصالحهم في الامتداد والتوسع  
والعنايب الاقتصادية ، والزعامة الاسلامية العامة . ومع انهم تجاوزوا في نظر الكثيرين من سبيلان  
البلدين ، ومخلصين للجزائر من غزوات الفصائلية الاربية ، الا انهم بقوا في نظر كثيرين ايضا من اهل  
البلاد من الزعامات القبلية ، ومن المتصوفة ، والعلماء ، وخصرا دغيا ، وربما لبعضهم ، كالمحتل  
الاربي نفسه ، يجب مقاومته بشتى السبل واخراجهم مع من ما يمكن ان يحققه البلدان مبدئيا في ظل  
الحكم الاسلامي المشترك من امن وسالم ، وتحرير من القوى الاربية المحتلة ، وتوحيد بل ان المغرب

بالذات نظر الى هؤلاء الاتراك ولا تدارته الى اعاجيب غرباء فحسب من البنية البشرية للبلد ومن ه  
وانما ايضا نظرت الى قوم بنيدين من اصالة الشرف العربي المعجدي الذي كان حكامه من الاشراف  
المعجدين ينتمون اليه ه ولذا فانه لاحق لم هؤلاء ان ينتزعوا من المغرب والقائد الاول لاون صلية  
توسيد للمغرب الكهبر ه هذه الصفة التي انبثقت من الاصلة الواحدة للشعبين ه كما لا يخفى ان  
يدعوا سيادة العالم الاسلامي كله على الرغم من ان القوة العنصرية والسياسية والاقتصادية التي  
كانت تتمتع بها الدولة العثمانية آنذاك تحولها تلك الزخامة ه وقد ظهر هذا الصراع النفسي  
في العلاقات بين المنصور السعدي والسلاطان العثماني ه وفي اقوال سديرة التتبعين في كتابه  
( النفقة المسلكية ) في السفارة التركية من الخائفة والامامة ه بل بدا المغرب في عهد بعض سلاطينه  
النيار بأنه لا يدافع في ضم الجزائر ه والمغرب الأدنى فحسب ه وتحقيق امبراطورية الموحدون  
المسابقة فحسب ه وانما بجادا ايضا في بحث تيار تاريخي اسلامي واحد وعميق ه مرتب ه بالملات  
الاصول الشريفية للدولة السعدية ه وهو الامتداد شرقا حتى مصر ه وربما ابعد كما فعل النقاد اميون  
المعاضلون في نسبهم الشريفين للمسلمين ه واحياء مفهوم الخلافة العربية الاسلامية فيهم ه فوجدوا  
الحكم العثماني في الجزائر ه والى مايرته للبنية البشرية الحقيقة للسكان وللبنية السياسية ه  
ولا يتلاقى حتى في المذهب الديني ه والمطامع والاهداف انتاب في الحقيقة سدا عاليا امام خنفس  
المغرب وقاع عليهم ه يريقهم الى الشرق القريب والشرق البعيد ه ومع كل قوة هذا المذهب  
فان السعديين لم يهابوه ه بل علوا على اختراقه عدة مرات بالحنف ه وشجعهم على ذلك قوتهم  
العنصرية العثمانية ه وانعدام الحدود الى البعية الخائفة بين البلدين ه والروابط البشرية والاجتماعية  
والثقافية بينهما ه الا انهم اشتقوا ه وانتم ه هم الامر الى الانزواء في الزاوية الشمالية الغربية من  
افريقيا ه والتدلي في صلاتهم من العالم ه ولم اشرفا ثمر الى العالم الاوربي العارام ه  
من الشمال والغرب ه الذي اخذ بدوره يستغل هذا الاتفاق ه وهذه العزلة النسبية والتعقيق  
مالمه الاقتصادية والسياسية ه التي تفاقت بشكل واضح ه بعد الثورة الاقتصادية الاوروبية  
اي منذ كشف طريق المند عبر رأس البراء الى الماني ه وكشف امرنا ه بل انه سعى ايضا الى الجنوب  
الى السودان وهو باب من الابواب المفتوحة امامه ه يفتن من طريقه ان يدغم هيئته وقوا لاقصادية  
بالوصول الى خيراته ه وصناعة خاصة الذخيرة ه كما يفتنه بذلك ان يقف على الحكم العثماني فسي  
الزائر دارق العجالة من هذا الجنوب ه ويحولها الى المانع ه ومع ان المنصور السعدي قد فوجئ بهذا  
الميدان الاخير ه الا ان هذا لم يدم ه ولم يفتن المغرب من عزلة السياسية من الشرق المنزوي  
والشرق هربا ه تلك العزلة التي زادت من تشبه المغرب باستقلاليته ه ودعمت الشعور القومي  
بالقومية المحلية ه فلا سيما ان ذلك الشعور قد تمكن بدم اده ضد البرتغاليين والاسبان ه وبصراف  
ضد الاتراك العثمانيين الاعاجيب ه

وانا كانت هذه نتيجة موقف المغرب من تيار وحدة البلدين ه فان النظام الاتراك كما اسلفنا  
التون تبغوه هم الآخرون وسعوا عبره لاحتواء المغرب ضمن دولتهم ه وتحقيق وحدة العالم الاسلامي  
ناله ه كما كان عليه الامر يوما ايام الامويين ه وما لاشك فيه انه كان هناك وراء هذه الرغبة في  
الدم عوامل اقتصادية ه ومنها الوجهات المناصب المعبقة من المغرب نفسه ه السيادة ثانية على  
طريق الذهاب والوصول الى المحيط الاطلسي ه حيث شرعت اوربا المسيحية التي كانت الدولة  
العثمانية في صراع حنيف معها ه ثالثا بثقلها الاقتصادي والسياسي ه وتداريق البرتغال التي كانت

لم يمت فطردا لا في المغرب فحسب وإنما في الشرق الأفريقي العربي ، وشرقي الجزيرة العربية  
البحر العربي والمحيط الهندي ، وتسمى لحدائق تبارة الشرق الأقصى من الشرق والمغرب  
الاسبانيون . إلا أن محاولات العثمانيين الجديدة ، العسكرية والسياسية لضم المغرب لم تنجح  
حتى ولا بتدقيق نفوذ اسمي فيه ، وذلك لعدم استجابة المغرب المطلقة للأسباب المذكورة آنفا ،  
لتردد الدولة العثمانية نفسها في قيادة تيار التوحيد هذا . أما أسباب التردد فتبد ونشيرة  
فيها : تعوقها من الاوضاع الداخلية والخارجية التي عاشتها المغرب خلال هذه الحقبة من الزمن .  
فالاوضاع الداخلية ، ممثلة أولا في الصراعات السياسية المختلفة فيها قبل عهد الموحدين  
في الوقت الذي لم تكن قدم الدولة العثمانية قد ثبتت في الجزائر نفسها ، وثانيا ، قوة الدولة  
المعدية الشريفة نفسها المؤيدة بقوى كثيرة دينية وسياسية لا في المغرب والجزائر فحسب بل  
في كل العالم الاسلامي ، والمدعمة بقوة عسكرية برية وبحرية ، ومنظمة تدليا حديثا مقتبسا من  
التدعيم العثماني نفسه ، والاروين ، والمستندة الى قوى اوروبية معادية او مسالمة للدولة العثمانية  
يؤمن أن تأتي لتجديتها ، وأن تحولها بالمناج والمال والرجال ، اذا ما دعيت الحاجة الى ذلك ، ولا  
سيما في عهد المنصور ، الذي كان لها نظرية سياسية جديدة للوحدة الاسلامية ، بدأ فيها  
موقف الدولة العثمانية هو الاضعف .

أما الاوضاع الخارجية ، فهي الاحتكاك البرتغالي والاسباني لحد من موانئ المغرب  
وما قد يترتب على ذلك من واجبات جهاد جهاد ومباشر من قبلها ضد البرتغال واسبانيا اللتين  
بدأتا في القرن السادس عشر الميلادي انهما من اقوى الدول الالهوية ، وما ينجم عن ذلك من تبليل  
في علاقاتها مع مختلف الدول الالهوية ، ومن فتحها جبهة ساحلية في المغرب بالاضافة الى الجبهة  
البحرية في شرقي اوروبا ، وهذا كله مع عدم ضمانها داخلية البلاد الى جانبها . ولا بد انما ان دخلت  
في حسابها البعد العثماني عن مركزها على الرزم من أن وجودها في الجزائر يجعلها يتمازج معها  
ومن عوامل تردد الدولة العثمانية ايضا في اتخاذ خطوة حاسمة تجاه المغرب هو انشغالها  
العربية المتعددة في الشرق ، فحرب الصفويين ، والحرب في شرقي اوروبا كما الصفا الى دامت  
وعملتها البحرية الى الهند ، وشبهت قدمها في كل اجزاء الشرق العربي ، والضعف الذي انتاب  
النظام الاداري والسياسية والاقتصادية فيها بعد عهد سليمان القانوني ، واحوال الامراء الالهوية  
العسكرية من ثورات عسكرية في الحامية والولايات ، واستئساد الدولة الالهوية عليها . واخيرا ، نشية  
الدولة العثمانية من تكوين المغرب والجزائر ثقتا ضدها اذا ما تحقق توحيدهما في وقت ما لمست  
فيه هي نحو الضعف .

ومكثدا اخفقت الدولة العثمانية في قيادة تيار التوحيد بين البلدين ، وقد سيطرت على  
المغرب الأقصى ، ولم تستطع بالتالي أن تعد يد الحزن القوية للأندلسيين في اسبانيا الذين  
كانوا يترجون لها النداء تلوا النداء . لانتادهم ما دم فيه ، ولا حتى عندما قاموا بشورتهم الذاتية  
عام 1571 ، والتي دامت قرابة سنتين ضد الحكم الاسباني ، وكانوا ينتظرون منها حونا أكبر مما  
قدم لهم الحلي على في الجزائر ، ولا حتى عندما قررت اسبانيا اخيرا طردهم بين عامي 1609-1611  
1611 ولما استغقت ايضا حتى في دارد الاسبان من الجزائر التي كانت تخضعها مباشرة ، وذلك

السيادة على الحوض النوبي للبحر المتوسط . ومن ثم يحق للمباحث ان يقول : ان العلاقات بين المغرب والجزائر ، او بالاحرى بين المغرب والدولة العثمانية ، كانت في الواقع العامل الاكبر لابقاء على التوازنات الاسبانية والبرتغالية في البلدين . لأن تلك العلاقات التي تضمنت رابع هذه التجارة ، والتوترات اخرى ، والحذر من هوان القلة اخرى ، كانت عائقا في وجه حركة تجميد اديمة قوتية ضد القوى الأوروبية الغازية ، والناجمة على السرا . وباعتبار الحكم العثماني في الجزائر سرقة حقيقة التوحيد بين المغرب والجزائر ، كانت هذه العلاقات التي شغلتها في مسندها اذنى والمشرق يحكم صلاتها الاقوى في هذا الزمان ، والى امرها التي شغلتها في مسندها مرحلة بعملائها العسكرية عليها ، وسفارتها وملاحمها التجارية ، وهكذا يتضح ان اقامة علاقات بين البلدين على الرغم من بقاء سير العلاقات الاقتصادية والثقافية في مجراها ، كان واقعه تعبيرا فاعليا من اشتغال التيار التوحيدي بين البلدين ، ولما خدت تدريجا لاستقلال الولاية القدارين ولتموتيار القومية المحلية فيهما ، وشاروا للمصالحات بينهما ، تبدت جليا في الحقيقة المعاصرة .

واذا كانت تلك بعض نتائج العلاقات على البنية الطبيعية المشتركة بين القدارين ، وبالتالي على البنية السياسية فيهما ، فاننا نلاحظ دائما لها آثارها الجينية في تغيير الرأس العائمة في القدارين . فالقوة السياسية الاقوى في احدهما كانت تحمل دائما في ثوب السلطة السياسية العائمة فسي القدار الاخر مواءمة لها او معالفة ما امكن . وقد يظن هذا بشكل اوضح في المغرب ، حيث استلزم حكم الجزائر من الآثار ان يتدخلوا بدارقة او بالخرى ، بالشؤون الداخلية للمغرب ، فيستميلون من القوى ، ما يفتنهم بها ان يبلبلوا الحكم السياسي او يخبروه اذا رآوه انه ليس له الحزم ، فان يذهبوا اليهم الامراء الطامعين بالمعلاة ، ويتبعوا معهم صلات مصاهرة احيانا ، ليصلواهم الى سدة الحكم عندما يبدون الفرصة مواتية ، او ان يذهبوا الى صفهم القوى القبلية والسونسية ليوازنوا بها قوتهم . فالعلاقات بين البلدين كانت مسؤولة اذن الى حد كبير عن تدعيم حزم الاوضاع السياسية فيهما ، كمسؤولية تلك الاوضاع بدورها من صفات تلك العلاقات من سلم وتوتر وعصام ، وقلق .

واذا ما نظرنا في نتائج تلك العلاقات على الاحوال الاقتصادية في البلدين ، فمن الغريب ان الإشارة الى ان تلك العلاقات لم تؤد بحسب المصادر المتوافرة بين ايدينا الى اتفاقات اقتصادية بين القدارين ، او الى تحديد للرسم البرزخية مثلا ، ولما انه قد لا يتبين لأول وهلة اية حرب اقتصادية ضد بعضها ، الا ان اتجاه الحكم العثماني الى دعم وجوده في الجنوب ، الجزائر ، وسيارته على المراتب التجارية مع السودان والمقاتل ، فتعاضد المغرب للسودان ، ويرتد التنافس الاقتصادي الخفي على التجارة مع الجنوب من الذهب والعبود من الزنق ، وبلى يظن ان يرى في استقلال المنصور للسودان ، حريا واضحة ، انه استدلال ان يحصل معمر التجارة مع السودان من الجزائر وتونس وليبيا الى المغرب بصفة خاصة ، ولأن البقاء القوي للمغرب في السودان لم يفتش اشر من حياة المنصور . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان من الواضح انه كان للمحادثات السياسية بين البلدين ، بما اوردته من سلم او حرب ، نتائجها الدائمة او الجزئية على صلات التبادلات المختلفة ، وان كان بيدوان عملية الخزو الهامى بالذات ، لم تتأثر كثيرا بنوعية تلك العلاقات

تأثير التجارة البرية ، إذ ظلت تدور في المصالح والمخاطر على سبيل واحد ، إلا أنها كانت تتأثر  
بما رأينا به صلات كل قارة مع الدول التي تان بينهما لذلك الغرض .

ويضاف إلى تلك النتائج أن تلك العلاقات كانت عاملاً في تمهيد الدول الأوروبية على القارين  
وساهم في الاقتصاد لتتأثر ما تبغى من مصلح واتفاقات مستقلة العلاقات السياسية السلمية والمتوترة  
بين القارين لتثبيت دعائمها الاقتصادية في المغرب والجزائر ، وانتزاع اتفاقات اقتصادية منها  
وبما لا يرى ، كانت العلاقات السياسية المتذبذبة بين البلدين لها ما ساعد على التفات كل منهما  
إلى تنمية علاقته الاقتصادية بل والسياسية مع الدول الأوروبية ، لما قد يعود لهما من دعم  
إقوتها السياسية ، وبصفة خاصة المغرب الذي استغل تلك العلاقات التجارية لدعم قوته العسكرية .  
بل أن مراقبة القارين لبعضهما البعض واصلتها ، وقد يكون عاملاً مؤثراً في سعي كل واحد  
لإزالة الآخر ، في تنمية علاقته الاقتصادية مع الدول الأوروبية وغيرها ، إذا كانت تعود عليه  
بالمنفعة ، أو في تقليد الواحد الآخر في فعلها .

وبالنظر في نتائج العلاقات السياسية وانحسارها على العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب ،  
يبدو أن هذه الأخيرة لم تتأثر بالعلاقات السياسية المتوترة في معظم الأحيان بين القارين ، أو  
بتدبير آخر فإن قيام حكم الأتراك العثمانيين في الجزائر ، رغم الإشراف المزدوج في المغرب  
لم يمتد العلاقات الثقافية بين البلدين ، أن تستمر في مبرراتها السابق المتميز بالحنفية وحريته  
التي تنقل من بلد إلى آخر لفئة المثقفين من العلماء والدعاة في بعض الظروف الملائمة أو العكس .  
أو للمؤرخين معاً ، ولا يبدو من المصادر المتوافرة بين أيدينا وفي حقيقة أن العلاقات الثقافية  
بين البلدين كانت موضوع اتفاقات خاصة للمبادلة الثقافية ، إلا أن هذا لا يمنع  
من القول بأن بعض حكام المغرب بصفة خاصة كانوا يستمدون بعض العلماء من الجزائر أو يقومون  
بنقلهم من بلادهم ، أو يقومون ببعضهم ، كحكام الجزائر ، وإذا كانت المصادر المتوافرة بين  
أيدينا تزخر بتراجم أولئك العلماء والدعاة الذين انتقلوا من بلد إلى آخر للأخذ أو العمل في  
المراتب العلمية للبلدين ، أو حتى لمثل الدواوين الفكرية والسياسية التي تقدم الدعم القائم على  
بلدهم والمؤيدة له ، فإن تلك المصادر لا تعطينا بالمقابل معلومات عن أوقاف مبادلة لصالح  
المؤسسات الدينية والتعليمية ، مما يستدعي من هذا من البحث للكشف عن حقايق هذا الأمر وحيثته

أما نتائج العلاقات المتغيرة في العلاقات الاجتماعية بين القارين ، فمن الذي إنهما  
لم تتأثر تأثيراً مباشراً . فقد ظلت تلك العلاقات تدور ، هي الأخرى بمبرراتها ، وتشتمل بصفة  
خاصة بحركة انتقال شبابة ، خلال هذه المرحلة بين البلدين لأفراد والجماعات ، واستقرار بعضهم  
لفترة أو قصيرة في أحد القارين ، وبما دخل فيها انتقال الأفراد للتجارة أو العمل الزراعي  
أو الصناعي ، أو الملتحق بالخدمة كالأتراك والفرسان ، أو بتسليم المناصب العلمية كالدراسات  
والفتوى والقضاء والخطابة ، أو للتعليم والتعلم ، أو لمصالحهم ، وكان هذا حال من ابتلوا بالخدمة  
القسرية ، ثم دارت ظروف مناسبة لمودتهم كالأموال المصدرة إلى الجزائر وأتباعهم وعائل  
أشهر من الأندلسيين الذين تشتت عددهم بين الجزائر والمغرب ، أو لزيارة مدافن الأولياء ، أو لخدمة  
الزوايا والارباب ، أو للقيام بالسفارة ، وأخيراً الانتقال مع قافلة الحج . ولا ينبغي أن ننسى لهذه  
الانتقالات والهجرات الطوعية والقسرية من نتائج إيجابية على العلاقات الاجتماعية بين الشعبين

ان كانت تسبب في توطيد اواصر الألفة بين الافراد والفتات الاجتماعية في المجتمعين ، وفي تحقيق مزيد من التجانس في مختلف الجوانب ، وفي الحاديات ، والتقاليد ، والافكار والآراء ، مما كان ينشأ عن تلك الاتصالات التي يقوم بها هؤلاء المتنقلون من فئات مختلفة بأفراد الفئات الاجتماعية المتنقلة اليها ، من علاقات ، وتأثير وتأثير من الجانبين ، ومصاعير وروابط عمل . ويفضل هذه التثاقلات استحداث التجانس بين عادات المجتمعين الجزائري والمصري ، وتقاليدهما القديمة والرائدة حديثا على ايدي الاثراك والاندلسيين والعسودانيين والاربيين . الا انه كان لهذه التثاقلات المفتوحة آثارها ايضا السلبية في نقل بعض الافات الاجتماعية كالامراض والايضة الخاصة بالانسان والحيوان والنبات .



واخيرا مع كل مظاهر العلاقات بين البلدين ، السياسية والاقتصادية ، والثقافية والاجتماعية ، بين ان نتائجها في البناء المعنوية في البلدين ، خلال هذه المرحلة ، يغلب المباحث الى ان العلاقات المنبثقة من البناء الحقيقية للمجتمعين الدائمة والبشرية والثقافية والاجتماعية ، او ما أسميناها بعلاقات الشعبين الاصلية ، كانت هي الاقوى والاثبت من العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين ، وما نشأ عنها من صدامات ، وحروب ، ان كانت هذه العلاقات على الرغم من قيل خفيها من تدهور ومفهومات القومية المحلية في التقدير ، وعدم تفهمها من الارتقاء بالعلاقات السياسية التي مستوى التزويد ، بل وعدم التضامن امام المشكلات الصحية الواحدة ، وانعكاسها الخبز العنصر ، في حالتين ، يرى بعمق التراب والحدائق ، وتدفع نظام البلدين مهما كانت اصالتهم الى التواضع بحسد الاقتراق ، والى السلام والتودد بحمد العسرب .



ملحق رقم ( 1 )  
رسالة السلطان العثماني مراد الثالث الى السلطان السعدي احمد المنصور  
التي يحرف فيها الله الف على هذا الاخير .

هو المحين . هذا كتابنا الشريف العالي والصلواتي وخطابنا العزيز والميسر  
بقائي ، لا زال نافذا ، مصونا عن التعريف بالحق والبرهان . اصدرناه وارسلناه منطويا على  
نصف ما اسلف اسلافنا عن اتعاف محقق تحية زكية في بحر الوداد ، واهداء هدية  
مسة ثينة من بحر الاتحاد الى جناب العالي ، الامير والكبير ، المولى والمهماسي  
عسني النسي ، نعل السادة الهاشمية وفتح الشجرة الزكية والنبوية ، طراز المثابة العلوية  
مير بيوش المسلمين ، ظهير جيوش المهاددين ، المحفوف بصنوف مواطن الملك المحين ، سيد  
ملوك والسلاطين ، بن خاتم النبيين ، الشريف مولاى احمد ، بن الشريف مولاى الحاتم يومئذ  
راى وفاء - دام سعده وعاهه - موصونا بحسن ملك الناس .

ينهي اليه ويوضح مضمون ما اندن فيه ، ويحرف ويفصح مكتون ما اندن في ملاويده ، وهو  
الله - تعالى - عز شأنه عما يقولون - اما اظهر ، بمقتضى حكمته البالغة ، ما اضمن في مكان  
ره المكتون ، وخص بنوع الانسان من بين سائر الانواع ، ان يكون مدنيا بالدواعي ، مستجابا في  
تعايش الى التعاون والاجتماع ، وجعل نظام التعاون بينهم مربوطا بالتعامل الذي اتفق  
ليه جميع الاوضاع ، ليندفع الشان فيما تشتهي انفسهم وينزع النزاع .

ارسل من عنده عبده ورسوله سيد الانبياء ، والرسل ليهن لهم مناصب الدين واقوام السبيل .  
م استغلف عنه خلفاء ، الراشدين ورضوان الله - تعالى - عليهم اجمعين . ثم جعل كذا مسن  
سلاطين اهل الاسلام والمسلمين ، ضد الطغاة والذين . فتمسكت سلسلة الانتظام الى هذا الحين .  
يد الله ذلك النظام ابد الابد ، وانا ، وانا من تلك الزمرة ، وانا من لدنه سلاطينا  
سيرا ومشرقا بذكرنا وذكر اسمك الشريف في كل قار وفيها وسيرا . وسلم اليها من عنده التسليم ،  
يصدق لدافه الحميم مقاليد جمهور الامور ، وانزى احكامنا واحكامكم من حمل كرمالديم ، متضمنة  
لامور الجمهور .

فتدع بأمره الى مبايعتنا بالسداة الزائرة ، ومتابعتنا بالعلقة الباهرة بجمع ائمة الدين  
والعلماء العلامة ، وجماسر ارباب الحق والعدل ، من الولاة والحكام ، وكل من سار وداره وتوطن  
في المدائن والامصار ، من مالكة الشرق والغرب ، ومالك السلم والحرب .

فتحنا ابوابنا العالية الامتاز ، من جهة المعادات والمعادقات ، على وجوه الاحادي والاحباب  
واثرنا متابعة اسلافنا الطاهرة ، الذين جمعوا باصالح ذات البين ، وبين غيرى الدنيا والآخرة  
في حسب من يكن على الرشد والمواد ، خصوصا من اتى اليه اذا مات العبد . ومن مؤمن  
نعل الشجر التي تلال الرنج والمسجد .

فلما وصل بمسامعنا الشريفة وشامرنا العفانية العظيمة ، عبر بالنية تشمله بوالهاتون ، على  
سداة يرتقل أو كاد ، وانه جعل اعله في الافاضل والاصفاد ، وانه لكم جاره وعد ومضاره من كسبا



بسة الاسلاميه ، والمحرفة الاولى ، في النشأة اليهودية لاظهار الالفه الاولى ، في الموالم  
حورية ، اذا صارت قلوب الملوك جنود العبدية التعارة ، والتناصر والائتلاف ، انمقد الاجماع  
فلوس المودة وارتفاع الائتلاف .

فنادية الكلام بهذه التقديمه ، وتنبية الامم من تلك المقدمة ، هو ان نتخذ عهدا وثيق  
بيان ، وصحية خالصة بين الاخوان ، بين الاولاد والاحفاد الى آخر الجوار ، مع مملكتنا  
باسم الاقداس ، وثقود ان المملكتين محروسا الجوانب والادراف ، من سوء الشقاق  
لائتلاف ، ومحموتا الارحام ، بالوفاء ، ونعلق العهد بالكعبة المنورة والحوضه  
معدنية .

فاذا تم هذا الشأن ، واسس هذا البنيان ، صفى ما بين الاخوان ، ونوجه لكم ثمانمائة غرابا  
سماوية ، ويحيى عز ونصره ، ونساة عثمانية ، تستفتح بها - ان شاء الله - بلاد الاندلس  
يكون على ايديكم انقاذها من البربر .

والله - تعالى - لا يخفى افق المملكتين من اقطارها الضيرة ، ويجعل ثغور الثغور يبقاها  
ضاحية مستبشرة ، ان شاء الله - تعالى .

والعهد لله وحده ، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده ، وتعزيرنا بأوائل رجب الفرد من  
صام ثمانية وثمانين وتسعمائة . المقام بقستندائية المحروسة ( ١ )

( ١ ) قلل نصح هذه الرسالة من مجلة الدراسات العربية واليهودية جز ٦ سنة ١٩٥٧ وهو  
ملحق لمقال : دار يونان بانيلا ( أو . فم ) . وانظر النص الاصل في المخطبة الوطنية  
لعدريد ، مخطوط رقم ( ٧٤٥٣ ) .

له عشق رقم ( 2 )

سأله السلطان احمد المفسر الى الحلبي علي وزير البحرية العثمانية وبإلزامي البزائير  
المنابة التي لها في تدبير الاسمايل الجهادية العاقانية الاثر المشهور والظنانية التي  
قد رما في الابواب العثمانية التنويه الممنوع والميت المذكور والعام الذي لا ينفك متدايها  
شاية النفوة مقون البعور والاصيل الذي له في ايقار الجهاد المسند المروي والتمير الماك - حره  
شاية التيقان المصالح والماليد القنر والابن الاقص والاصف الاقص والاشير الاحل بالاصيل  
لا رضى الازلي الاسمي السجاد النعم والارقي الاسعد والافرة الامجد والتمير الغزير المحبتر  
الورع والاولد الاحب والابجد الابجب والاشير الاوحد والاسنى الاسعد ابى العسك  
علي باشا ابقاه الله وسمته مصرية الى الانتفاء بشدد الداعي والشواني ولا زال رضى الصانعة  
بذلك الجناب الموفيد العثماني والمسلم كريم ايتها النفعة ورائق الصفحة ويعتمد بانهم ورحمة  
الله وبركاته.

اما بعد حمد الله الذي باسمه العالم تفتتح الجهادى ويقدرته تم التصرف الذى راسى  
وقادى والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم الانبياء والرسول والذخيرة العظمى  
التي هي المدينت غاية التوسل وعلى آله بدور افعاله وخصايه فخره وجلاله واصحابه الذين  
اوضحوا الشرائع وارتفعوا للمناصرة معه العسيرة الرواق فاننا نعتناه اليكم تحب الله اثم من حاسن  
الاعمال ما محمد عاقبته في الحارب وسمى لهم من المسايح الجميلة ما يورثك حظ وتكم بذلك الجناب  
من حضرتنا العالية ومن معنا نزلنا الى العلية فاسم عرسها الله ولا فاسم بفضل الله الامور  
لهيئذ والمنابة الحسنية من المواضع النبوية البهاء والحوارة المستوحية لاجزاء النعمانية  
الله المنة.

هذا ودرودكم كانت تقذفها اليها على البعد امور البعور وعرف ولا تكم ما زالت تهديهم  
المقلوب على شجيرة الدار ونسب الامصار ومقائد الخلاصكم بلسان الاشتجار هنا وهناك في  
القديم تتلى وعقائل ما فاشم على منصات الوفاء تتلى والاعتقاد الجميل بهما تكم صار لنا  
قبل دأبا ودينا وعلى دعائهم الشواهد لنا أسسنا سيدنا والاهم ارموا الاتكم كسان امره مستفيضا  
والحب في الله على الدوام يلى لنا من تلقائهم ويضا الى ان ورد خبر التحرك الذى كان  
لهم اخذ الناحية والاحتفال الذى استنبضتم له هناك الناحية ومن اهل الحاضرة والبادية  
فتأدى اليها عنكم اولا على وانه كان الدان بكم خلافة وعلى تاويل مانا لنعتقد بكم فيه اتبعنا  
البرى واسحافه وما زلنا ونحن نبتدئ من الشانكم وذلك داعيه وسببه وتجرؤكم للحدوان  
لا لغير اتبعنا وأوبى به ونبيل التفكير في استعانة وادانكم الى ضده وانتقال العصب في الله  
الرامح من بعده وتكدير منهل الامانة بعد صفا ورده وانتقاض حكم الولا بعد تعديل شهود  
وتعديل حقه وان ورد على باينا رسالنا الاتعب من تلك الابواب العثمانية والعودي لفصيلة  
الوقوف بتلك الحقبات الثرية العاقانية فلان فانهم اليها بما تلقاه منهم وصحت به روايتهم  
الثابتة عنهم ان تحرككم ذلك على ما نلتكم مانان منهم لبايت نفسي ولا انرضى ان لكم فيه مخفى  
ولا عسى وانتم فيه على غير معنى منهم ولا اختيار ومولاي في امره من هناك على حكم التمسك



ملحق رقم ( 3 )  
الرسالة الجوابية من السلطان العثماني "احمد" الى السلطان السعدي "زيدان"  
=====

الحمد لله الذي اهلّى معالم الاسلام وبشر المباحدين في سبيله بالنعيم المقيم في دار  
السلام وألم المؤمنين بتوفيق المباحدين خاية الاثام ووجع عبدة الاصنام وحندة البشريين  
وبردة الملعدين مغرسة الرؤوس وندوة الامام والمروة والميلام على مافة الحق من البادال  
ونارن شرك الشرك بشرة المبشر بالندوام سيدنا ونبينا محمد المبعوث بسيف الجهاد وحسام  
الانتقام على قاصدي حصن الايمان والاسلام وعلى آله العظام وأصحابه الثرام الذين  
سبحوا في ميادين الدين بأقدام الاقدام صلوة وسلاما داعمين الى قيام الساعة وساعة القيام  
أما بعد نسام على ذلك الحقام الجليل مسلم افرام وتبدينا وننتي الى ذلك المجد النبيل  
أمة انشاء الجليل فنتمي الى المقر الحزير والمعن العزير لأشب اعتبارنا وأصدق اصدقنا ابوابنا  
عند دواتنا الباهرة الزاهرة مصب دواتنا القادرة حارس المعصون الذرية لجمال الاسلام فارسي  
معارك ارفام كن مقام مشيد ارفان الانتظام مؤيد أمت الاعتصام بالحررة الوثقى التي مالم  
انقسام مبدد قوة البغي والاشقاق ايضا المجهول التحلي الشأن غليظنا المتكمل السني الثمان  
صاحب المنز والمجد والسيادة رفي الشأن المولى زيدان عفا الله عنه الملك الثمان من تطرق  
مايد الزمان واغافره على الثرة وامن الانبياء انه قد وصل اليها من مقام الشرف عفا بالاداف  
الملاء المدايف كتابان كريمان ويدرا الاغراض دليمان الذان يتعمار برواي انقاسهما النفيسة  
حسام الاثاق وتفن من مضامينهما فواي تأكد انميثاق ويحسن الوفاق المبعوثان مع العالم المهاد  
المرن الزاهد المعارف جامع المعامد والآداب والمعارف مفر ارباب التمييز المشين عبد الحزير  
احدنا اجمع فيه مراد المحبة والوداد ويزانوار بدر المراد من افق الفوائد (كذا) وذكر فيه  
معامد واندنا المرحوم السلطان المعاهد وضام ابدادنا الانام الامام جسد السلاطين العثمانية  
والثواقين الايمانية الذين نائرا خلفاء الله تعالى في ارضه واقداره ، ولو كانت المعامد وندما  
لثانوا ارضها ولو كانت المحبة بدرا لثانوا نوره وسناه ولو كانت الشجاعة غصنا لثانوا نوره ونياه  
وسمار فيه مائتان بيد آباؤكم الثرام واساننا الفخام الذين حصل لهم تمام السيت وعظيم الثغار  
والذفر البميل الذي عم زوايا الاثاق والاقطار من العجب الذي لا يقدر صياد القلم ان يسيده  
حسام بيانه (كذا) بحبات النقاط وشبهات المعروف من الانعراط سلك الوفاق والالتيام الذي  
ينال به في اعياء الدين واهزازه كن مرام وما اوجب ارسل اذيان التأخير والامهان من الاشتغال  
بقتال الثغار الماضين ومعارية اعداء الدين واعزاب الشهداء والمجاهدة في رفع آفتهم والاستقصاء  
في استيصال شأمتهم (كذا) وبين فيه توجهمهم بعد ما اضحت تلك الاقدام رآمنة الادراف وصارت  
بنقاية مجاهدتهم سالمة الانفاف الى اذهار ما ادخرتم في البال من ارسل الكتاب وتبدير مسلم  
(كذا) لبيئنا ما عندكم من بميل الموالاة والمناصرة والمشافهة ويقدم ما انتم عليه من عهود  
الآباء والابداد مواجبة والجلن الحسن معاودتهم من ديارنا وانصرافهم من اقدارنا بما يكون

سببها لا عزاز أهل الهدى وإذلال الثغرة المترددين في عاوية الردى وباعنا لما يشد به من  
الاسقام الحما وتشد ببرنته دامة من كفر وحصى وأما الذنوب الآخر فموايد مصحوب  
بالمبالغة في تنويه المحبة المنروسة وتروية العودة المؤسسة المحروسة ومشتعل على ذكر  
ما غصه الله تعالى بالصلادين الشمانية والخراتين الايمانية من الفضائل التي يتضايق عن  
عدها دوق المحصى ويتقاصر دون حصرها باج المستقصى ومنهم ما اقترضهم في البحر من اساطيل  
البحر وأباطيل أهل الطغيان والحقوق حتى اوجب انتقادهم ما اقتضى قفولهم وايابهم وعين  
مبادلة ارسالهم على بلاد بعد ما تعذر السفر من جهة البزائر لما في وقف هناك ومنهم  
التيار الثغرة وهمهم الحلق بين دواضهم الفجرة ومن قسدهم والحياء بالله على البساذ  
الاسامية والديار الايمانية أذلهم الله تعالى ونذلهم هـ وصرف وجهه الضيف قبلهم هـ ومن  
استمدادهم منا صرف همنا الحلية والى ابطال طريق المخذ الذي يتقوى به اعتقادهم ويتمشى  
استنادهم واحتمادهم ونايتنا باعانة ولي الهداية محروقة في كل حين الى نصرة اولياء الديين  
وناية اعداء الله الكافرين حتى لا يمس المسلمين شر الحدود ومضرتهم ولا يصد المؤمنين فما داهل  
الشر ومضرتهم ولا ينفق من علمهم ان من عادتنا البيلة المورثة من آباءنا واجدادنا اصحاب  
بأثر البيلة ان نلقى من يرد علينا ويرغب اليها من البلاد التاسعة للترحيب والترحيب بالسلين  
له بشار الانس ليفوز من سفره بهيب وسعوفي دفع ما يرهونه من ساق البعد ونستفر في تحصيل  
ما يالهونه اقصى الوسع والجهد فلما قرأت ( قلنا ) علينا آيات اغلاصكم واستقرت اليها مواد ودانم  
وانتم بكم واحضر رسلكم في حضرتنا الحلية في مقام المثل وهرغر علينا اعدائهم البهية المتلثة  
بالتهون اثينا الى تلك الاماكن المأثرة والامارات الزائدة ثناء ثنائ الفضائل متبين الفضائل  
فما دهم في مراعاة الحقوق ساعين ولدولتنا الاسامية راعين لا تلقون من سدة العز والاقبال سوى  
الندار بحين الاعزاز والاجلال رصود انقواد من التفاد والامبال من الاختلال ونرجو من الناس  
ذو الرقة والرافعة ان لا يفسد بدر كمال الموافقة بطولها ارضي بعد المسافة ويقينا وايام حسن  
مسافته ومخافة وما ما ادن في ذلك الدق البليل من المسافة بالمسعى الجليل في ابداسال  
احسان اهل التخليل فمعن باذنه سبحانه وتعالى لتقيد بأدائه راجعين منه تعالى عنه واحسانه  
وترويل الاوامر الشريفة الى امرائنا المسافلين في حدود البصرة وأنهم في ذلك الفتوة والنصرة  
ثم لا يذم من علم انه وفي عندنا واتفي لدينا شر الخفاف وبعض الاعراب الاشرار قهرهم الله  
القمار وانزلهم دار البراري بعضهم يارتلك الاقارم مثل الحرايين ( قلنا ) والمحمورة ومسا  
يضاهيها من القانج المشمورة وعجزهم من اقلهم وانقراضهم وتطهير تلك الاراضي ويقاعها وزيان  
الذيق بكم والواجب على ذمتهم ان تستمدوا بنا وتستعينوا بأعتابنا قبل ان يتصادم الصفوف  
وتتزامن الصفوف فمن دعوى الله ودولته قادرون على ايصال حذر يضيح عليهم الدايق والمسالمة  
ويلدعهم الى المضايق والمبالك وتغلب المسلمين من بوابق قهرهم وهوايق قدرهم وثنون احانتنا هذه  
مرفعة لانوف الكافرين ومفكرة لبعين امراء الناس من المتأسرين حتى ينقلح ادماع اعدائهم من  
تلك البلاد ويندفع عنها اسباب الشر ومواد الفساد ولا يشغنا من الامداد بحون رب العباد  
اشغالنا بما نحن عليه من اعداد لواء الدين اذ لا استعجال اهل الرقص والالمام ونرى شك شوة  
اهل البزائل والفساد وتبميز المحاربتين المحاربتين الى البعدين المسجونين بحسارنا المتفجرة  
حقناهم الله بما يورثوا الشين في الدارين ونحمد الله على ما اسبح علينا من جزايل الآثمة ونستزده  
سببانه جزايل نعمائه والمسالمة عليهم من جهة الله وبرذاته • حرر هذا السفر المبارك في اواخر صفر الخير  
في سنة ست وثمانين والذات الممطرة من اهل الممطرة والسلام ما ختمت الصلوة بالصلاة

## المصادر والمراجع

### أ - الوثائق المخطوطة والمطبوعة والصورة :

- 1 - مهمة دفتري ( وثائق مركز الدراسات التاريخية ، صورة من أرشيف رئاسة الوزراء المتريكة ) .
- 2 - منشآت السلاليين ( لفرديون بك ) ، جران .
- 3 - رسائل سحدي ( عبد الله كسون ) .
- 4 - الوثائق المنشورة في المصادر والمجلات المغربية والاوربية ، كجريدة الوثائق ، وتاسوان ، وأرشيف مارشان ، والاندلس ، والمجلة التاريخية المغربية وغيرها .
- 5 - مجموعة الوثائق المنشورة تحت عنوان Sources Inedites de l'Histoire du Maroc (S.I.H.M.)  
ان المصادر المنقولة لتاريخ المغرب .  
جميع وتحقيق هجري دو كاستري وأخرون ، 21 مجلدا عن الدولة السعدية .
- 6 - مجموعة من وثائق صورة من أرشيف سيمانكاس العام .
- 7 - الوثائق المنقولة لبريغودان Documents Inedités sur l'Histoire de l'Occupation Espagnole en Afrique (1506 - 1574), ALGER 1875.

### ب - المصادر والمراجع العربية

- 1 - الكتب المخطوطة والمطبوعة :
- \* ابن أبي دینار : أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعياني القيرواني ( 1967 م )  
المؤلف في أخبار إفريقية وتونس . تحقيق وتحليق محمد شعاع ، ط 3 تونس
- \* ابن أبي الدنيا : ( أحمد )  
اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان . ج 2 تونس 1963
- \* ابن إبراهيم ( عباس )  
الاعلام بمن حل مرآث وأغصان من الاعلام . 5 اجزاء فاس 1937
- \* أحمد بابا ( التبتكتي )  
نيل الابتهاج بشاويز الديبل . فاس 1313 م
- \* الاخضرى ( عبد الرحمن )  
حسن المسلم المرزوقي في علم الطبائع دمشق مخطوطة
- \* الانصاري ( او الوضرائي ) : محمد المنصور بن الحاج بن عبد الله المراكشي ( 1888 م )  
نزهة البحادي بأخبار ملوك القرن الحادي . ( تصحيح موداس ) أنجي فاس 1309 م
- صفوة من انتشار من طبعها القرن الحادي عشر .

- \* بازمنة (محمد مصالحي) : ليبيا في عشرين سنة من حكم الاسبان . دلماريلمس 1965 م
- \* برزكلمان (كامل) : تاريخ الشعوب الاسلامية . (ترجمة : نبية أمين فارس  
ومفسر البجليسي) ط 5 بيروت 1968 م
- \* البوريني (الحسن بن محمد) : تراجم الاعيان من ابناء الزمان . جز 1 ، دمشق 1963 م
- \* القاضاري (عبد الرحمن) : الفوائد الجمة في علوم الامة . (ترجمة الى الفرنسية :  
بوستينار) فرنسا 1953 م
- \* القحطاني (ابو الحسن علي) : النفحة المسكية في السفارة التركية .  
(ترجمة المقدم / دو كاستري) المغرب 1929 م
- \* التتسي (عبد الجليل) : نظم الدر والحقائق في شرف بني زمان . بكاريس  
1852 م
- \* الدجنابي (مصطفى بن حسين) : البحر الزخار والمسلم الديار .  
(في مستلزمات مفصلة لغاتيان) الجزائر 1924 م
- \* بسودت (احمد) : تاريخ بسودت (ترجمة عبد القادر افندي)  
بيروت 1308 هـ
- \* البيلالي (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ الجزائر المسلم . ج 2 ، الجزائر  
1955 م
- \* حجي (محمد) : الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي . الرباط  
1964 م
- \* حسون (علي) : تاريخ الدولة العثمانية .  
دمشق 1980 م
- \* الحفناوي (ابو القاسم) : تصريف التلف بزمان السلف . جز 1 ، الجزائر  
1906 م
- \* حميدة (عبد الرحمن) : المملكة المغربية (دراسة في الديمقراطية البشرية) . القاهرة  
1972 م
- \* ابن تليدون : كتاب المبر . ج 7  
بيروت 1977 م
- \* داود (محمد) : تاريخ تليدون . مجلد 1 ، ج 2  
تلمسان 1959 م
- \* ابن زائور : نشر ازايمر البستان فيمن ايجازي بالجزائر وتلمسان .
- \* زبادية (عبد القادر) : ملحة منحنى في عهد الاسيقيين 1493 - 1591 ، الجزائر  
1971 م
- \* الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية . ج 1  
بيروت الطبعة الثالثة .
- \* الزرلي (خير الدين) : الاعلام . 9 مجلدات وثلاثة مستدرجات
- \* الزماني (ابو القاسم احمد) : الترميزان المغربي عن دول المشرق والمغرب . ج 1 باريس 1886 م  
(ترجمة دوداس)
- \* ابن زندان (عبد الرحمن) : اتحاف اعظم الناس . ط 1 ، ج 1  
الرباط 1929 م
- \* سامح (عزيم) : الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية (ترجمة عبد السلام ادوم) ط 1  
بيروت 1969 م
- \* سعد الله (ابو القاسم) : تاريخ الجزائر الثقافي (من القرن 10 الى القرن 14 هـ) ، الجزائر  
1981 م
- \* السحدي (عبد الرحمن) : تاريخ السودان (تحقيق دوداس) . بكاريس  
1964 م
- \* السفياني (ابو القاسم محمد بن محمد) :  
صناعة تفسير الذهب وحل الذهب . ط 2 . بكاريس 1925 م

- \* السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) :  
كتاب الاستبصار لأخبار دول المغرب الأقصى (تحقيق وتعليق وليد المؤلف)  
الدار البيضاء 1955 م.
- \* حفص بن محمد :  
الموسى (محمد المختار) : سوس الحاضرة . ط. 10  
عبد القادر (نور الدين) : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر . قسنطينة 1965 م.
- \* ابن عسكر (محمد بن علي) :  
دوحة الناصر لناصر من كان بالمغرب من ضارب القرن العاشر . فاس 1309 هـ (ك. حجرية)  
القاد (صلاح) : المغرب العربي . ط. 3  
ابن العماد (الحنبلي) : شذرة الذهب في أخبار من ذهب . ج. 8 . مصر 1351 هـ.
- \* عثمان (محمد عبد الله) :  
نماسة الاندلس وتاريخ المغرب المتعصرين . ط. 3 . مصر 1966 م.
- \* العياشي (أبو سالم) :  
ماء الموائد (رحلة) . جز. 1 . فاس 1316 هـ . (طبعة - بحرية)  
غيث (فتحي) : الاسلام والحضارة عبر التاريخ . بدون تاريخ الطبع وتكليف .
- \* فارسي (محمد شمس) :  
تاريخ الجزائر الحديث . دمشق 1969 م.  
تاريخ المغرب الحديث والمعاصر . دمشق 1982 م.
- \* فريد (محمد) :  
تاريخ الدولة الخليفة العثمانية . ط. 2  
الشمسالي (عبد العزيز) : مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء .  
(تحقيق عبد الله ككون) . ج. 2 . الرباط  
مناهل الصفا في متأثر مواليدنا الشرفاء .  
(تحقيق عبد الكريم كرم) . الرباط 1972 م.
- \* ابن فضل الله (العمري) :  
مسالك الابصار... (في مستلزمات مفصلة لفانيان)  
الجزائر 1924 م.  
(الترجمة الفرنسية)  
ابن الفلكون (عبد الكريم القسطليني) : منشور المداية في حال من ادعى الحلم والولاية (مخلوط)  
فاس 1304 هـ.
- \* الشاذلي (عبد السلام) :  
فسر الغساني .
- \* ابن القاضي (أبو العباس أحمد الناصري) :  
جذوة الاقتباس فيمن من الاعيان مدينة فاس .  
درة البحال في أسماء الرجال . ط. 1 ، 3 . جز.  
المنتقى المشهور على متأثر خلافة المنصور .
- \* السكاني (محمد) :  
سيرة الانصار . 3 جز.
- \* الكراسي (محمد) :  
عروسة المسائل في تاريخ تلمسان ولحميد دارد : المجلد الاول . تلمسان 1959 م.
- \* كرد علي (محمد) :  
الاسلام والحضارة العربية . جز. 1  
كريم (عبد الكريم) : المغرب في عهد الدولة السعيدية . القاهرة 1968 م.
- \* ككون (عبد الله) :  
النبوغ المغربي في الادب العربي . جز. 1 . تلمسان 1977 م.
- \* ابن الجبارك (أحمد) :  
تاريخ قسنطينة . (تحقيق بونار ربيع) . ط. 1 . الجزائر 1971 م.



- \* المجلد 1 : - تاريخ الدولة السعدية الفاندارية . ( تصحيح : جون كولان ) ، الرباط 1934 م .  
 - غزوات عرق وغير الدين . ( تصحيح وتعليق عبد القادر نور الدين ) ، الجزائر 1934 م .  
 \* المصبي ( محمد ) : رسالة النثر . ( 4 مجلدات )  
 \* المدني ( أحمد توفيق ) : حرب الثلاثة سنة بين الجزائر واسبانيا ( 1492 - 1792 ) ، ط 1 .  
 \* ابن مريم : البستان في ذكر الاطباء والعلماء بطنسان . ( تحقيق ابن شنيب محمد )  
 \* المقرئ ( احمد ابو العباس ) :  
 - روضة الآس السامرة الانقاس .  
 - نفع الطبيب . ( تحقيق الدكتور احسان عمار ) ، ط 1 : 7 .  
 \* الممدي ( محمد الفاسي ) : منتج الاسماع في ذكر الجزوي والتابع ولهما من الاتباع .  
 \* الممدي ( محمد ) : أم الحواضر في الماضي والحاضر .  
 \* مؤنصر ( حسين ) : الشرق الاسلامي في العصر الحديث . ( ط 2 ) ، القاهرة  
 \* الورثيلاني ( الحسين بن محمد ) : نزعة الانظار في فضل علم التاريخ والاشعار .  
 \* السوزان ( الحسن بن محمد ) : المدعو : ليسون الاقريش ) ،  
 \* يوسف اثريفي : ( تحقيق عبد الرحمن حميد )  
 \* اليوسفي ( الحسن بن محمد ) : المحاضرات .  
 \* السعدية  
 \* فاس 1317 هـ . ( طبعة حصرية )

## 2 - العجسيلات الحربية

- \* مجلة الاصالة : تصدرها وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية . الجزائر  
 \* البوعبدلي ( الممدي ) : اشواق على تاريخ الجزائر في العهد العثماني من خلال مخطوط النثر  
 \* الجمناني ، عدد 6  
 - مراكز الثقافة وشؤون الكتب بالجزائر عبر التاريخ ، عدد 7  
 \* التميمي : رسالة من مسلمي غرناطة الى السلاطان سليمان القانوني . عدد 23  
 \* المبلغ ( ليلي ) : ثورة مسلمي الاندلس . عدد 27  
 \* ابن آشنم ( عبد الحميد ) : الايام الاخيرة لطون بني زيان  
 \* مجلة البحث العلمي : تصدر في الرباط بالمغرب . عدد 27  
 \* ابن تاروت : سيرة الاسيرة . عدد 23  
 \* التقي ( الحطوي ) : اصول المنهارة . العددان 6 و 7 ، 1965 / 66 م  
 \* ( صمد ) : المراكز الثقافية المدرسية في العصر السعدي الثاني . عدد 27  
 \* اللوي ( امينة ) : قضية الدرايش من خلال كتاب :  
 المؤلفين : Carlos ( R. ) & Tomas ( G. )  
 L'ARACHE

- \* مجلة تاريخ وحضارة المغرب تصدر في الجزائر -  
الرقية (مسند التلمساني) : الزمعة النيسرية .
- \* مجلة التاريخ : تصدر في الجزائر عن مركز الدراسات التاريخية .  
مسيد وني (ناصر الدين) : لمادة حول الوثائق العثمانية بالجزائر .
- \* العجلة التاريخية المغربية - تونس -  
حجي (محمد) : النشاط الثقافي في المغرب في عهد الدولة السعيدية .
- 1974 عدد 2  
1978 عدد 11/10  
1978 عدد 11/10  
1976 عدد 5  
1978 عدد 12
- المساحلي (خليل) : تقليد صالح باشا ولاية الجزائر سنة 1552 .  
التميمي (عبد الجليل) : الخلفية الدينية للصراع الإسباني - العثماني في القرن السادس والسابع عشر .  
رسالة من ادمالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول عدد 5 سنة 1519 .
- الساغلي : سنوات الازدلاف وازمات الامبراطورية العثمانية تحريبا وتقديم عدد 12 التميمي .
- \* مجلة تادوان : تادوان المغرب .  
ابن عبد الله (عبد العزيز) : البحرية المغربية والقوسنة .  
ابن تارست : من زوايا التاريخ المغربي .
- 1959/958 عدد 4/3  
1965-958 عدد 6/5/4/3/7/10/9/8/7  
1961 عدد 6  
1961 عدد 6
- التياني : السفارات والبعثات المغربية الى فرنسا .  
حكيم محمد ابن عزوز : سفارة بدروفتيه الى المغرب (1579-1581) .
- \* مجلة دعوة الحق : المغرب .  
التياني (محمد عبد المالك) : مدخل الى دراسة الحضارة المغربية .  
الخليبي : (عبد اللطيف) : تاريخ حطة البرتغال على المغرب في العهد والبرتغالية .
- 1965 عدد 7/6  
1965 عدد 2  
1965
- المنونسي : علاقات المغرب بالشرق في عصر المريني الثاني .  
اساتذة الهندسة ومولفودا في المغرب السعدى .  
حركات (ابراهيم) : جمهورية ابي رقراق .
- \* مجلة كلية الآداب - بنسداد .  
القيسي (حبيب) : نظرات في بعض الملامح للحياة الروحية والفكرية في المغرب .
- 1973 عدد 16
- \* مجلة مجمع اللغة العربية - دمشق .  
محمد المنونسي : ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات الحضور الحديثة . المجلد 51
- 1976 عدد 7  
1975 عدد 2  
1977 عدد 8  
1977 عدد 9  
1975 عدد 3  
1977 عدد 9
- مجلد المناظير : المغرب .  
المجلد (شوقي علما الله) : الحضارة الاسلامية في غرب افريقيا .  
الحسن بن محمد الوزان .  
علاقات المغرب بالاقاليم الصحراوية الواقعة بجنوبه .  
محمد الحياثي : عهد الاسبان والبرتغال .  
العلاقات الانجليزية المغربية .
- التازن (عبد المادي) : سفارة انداوني شيرلي وعلاقتهما بالقدس والاوربي في الخليج

A - OUVRAGES:-

- 1- ARVIEUX: Mémoires de chevalier d'Arvieux, t.5, Paris 1735.
- 2- BARGES (l'ABBE): Complément de l'histoire des Beni Zéyan.  
Paris 1837.
- 3- " " : Histoire des Beni Zeyan. Paris 1852.
- 4- " " : Relations commerciales de Tlomoncen avec le  
Soudan sous les Beni Zéyan, 1vol., Paris 1853.
- 5- BEL (A.) et RICARD (P.): Le travail de la laine à Tlmoon.  
Alger 1913.
- 6- BRECHIER: Les anciennes sucreries du Maroc. Système hydrolique  
Etude archéologique et d'histoire économique.  
Rabat 1966.
- 7- BOULET (l'Abbé): Histoire de l'empire des Chérifs en Afrique.  
Paris 1733.
- 8- BRAUDEL (F.): La méditerranée et le monde méditerranéen à  
l'époque de PHILIPPE 2, 2vol., Paris 1966.
- 9- BRUNSCHVIG: Deux récits de voyage inédits en Afrique du nord  
au 15<sup>e</sup> siècle, Paris 1936.
- 10- CARETTE (E.): Du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale  
et les états Barbarèsques, Paris 1844.
- 11- CERVIAL (P. DE): Description de l'Afrique de Soudan au Sénégal.  
par Valentin Formando (1506-1507). Portugal 1698.
- 12- CHENIER (DE): Recherches historiques sur les Maures et histoire  
de l'empire de Maroc, 3 vol., Paris 1787.
- 13- COINDREAU (R.): Les corsaires de Salé. Paris 1948.
- 14- COLOMB (M.): Le passé de l'Algérie, in Initiation à l'Algérie.
- 15- COUR (A.): Les établissements des dynasties des Chérifs au  
Maroc et leurs rivalités avec les Turcs de la  
régence d'Alger (1509-1830) Paris 1904.

- 16- DAN (R.P.): Histoire de la Barbaria et ses corsaires.  
Paris 1649.
- 17- DENICE: L'Afrique au 16<sup>e</sup> siècle et le commerce Anversoïs.  
Anvers 1937.
- 18- DEPONT(O.) et COPPOLANI(X.): Les confréries religieuses  
Musulmanes. Alger 1897.
- 19- ESTHERIAZI (W.): La régence d'Alger sous la domination Turque.  
1 vol., Paris 1840.
- 20- FAGNAN: Extraits inédits relatifs au Maghreb. Alger 1924.
- 21- FEY (H.L.): Histoire d'Oran avant, pendant et après la  
domination Espagnole. Oran 1858.
- 22- GODARD (l'Abbe): Histoire du Maroc, 2vol., Paris 1860.
- 23- GONZALEZ (J.DE): Essai chronologique sur les musulmans  
célèbres de la ville d'Alger. Alger 1886.
- 24- GRAMMONT (H.DE): Histoire d'Alger sous la domination Turque,  
1515 - 1830 , 1 vol., Paris 1887.
- 25- HAEDE (F. DIEGO DE): Histoire des Rois d'Alger. (trad. H. DE  
GRAMMONT), Alger 1881.
- 26- HAMMER (J.): Histoire de l'empire Ottoman (trad., J.J. Hellert)  
Paris 1837.
- 27- HAUSSE: La prépondérance Espagnole (1559 - 1660), Paris 1946.
- 28- JULIEN (Q.A.): Histoire de l'Afrique du nord. Paris 1966.
- 29- JUSTINARD: Un petit royaume Berbère le "TAZEROUALT". Paris 1954.
- 30- LAFOUSSE (DE): Relation du Maroc et du Soudan à travers les  
âges. Paris 1924.
- 31- LAROUÏ (ABDELLAH): Histoire du Maghrib, t. 2. Paris 1975.
- 32- LAVOIX (H.): Catalogues des monnaies musulmanes, t. 1. Paris 1899.
- 33- LEON L'AFRICAIN (ou: Hassan Ibn H<sup>ed</sup> Al-Wazan): Description de  
l'Afrique, (trad. de l'Italien par A. EPAULARD),  
2 vol., Paris 1956.
- 34- MARMOL (L. DE CARAVAJAL): Description générale de l'Afrique.  
(trad. PERROT D'ABLANCOURT). Paris 1637.
- 35- MAS-LATRIE (DE): Traité de paix et de commerce et documents  
divers. Paris 1872.
- 35 bis- MARTINET & Autres : Histoire du Maroc, Casablanca 1967.

- 36- MASSON (P.): Histoire des établissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbarèsque. Paris 1903.
- 37- MERCIER (E.): Histoire de l'Afrique septentrionale, 3 vol., Paris 1891.
- 38- MICHAUX (B.): Villages et tribus du Maroc. Région de Doukala. Paris 1932.
- 39- MONCHICOURT (CH.): Etudes Kairouanaises (1450 - 1592), Paris 1909.
- 40- " " " : L'Expédition Espagnole de 1560 contre l'île de Djerba. Paris 1913.
- 41- MONROY: Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale. Paris 1845.
- 42- " " : Précis de l'histoire du commerce de l'Afrique septentrionale. Paris 1852.
- 43- MONTAGNE (RO.): Les Berbères et le makhzen dans le Maroc. Paris 1930.
- 44- MONTRAN (R.): Istanbul dans la seconde moitié du 17<sup>e</sup> siècle. Paris 1962.
- 45- PARIS (R.): Histoire du commerce de Marseille dans le Levant. Paris 1957, t. 5.
- 46- PIERROT DESSELLIGNY (I.): Traité d'Antoine de Bourbon avec le Chérif de Fez et tentative d'expédition au Maroc. Macon 1891.
- 47- PIQUET (V.): La civilisation de l'Afrique du nord, Paris 1917.
- 48- PRAX (M.): Commerce de l'Algérie avec la Mécque et le Soudan. Paris 1849.
- 49- PRIMAUDAIE (ELIE DE): Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête Française. Paris 1861.
- 50- PROVENCAL (E. LEVIE): Les historiens des Chorfa au Maroc. Paris 1922.
- 51- RICARD (P.): Les arts et industries indigènes du nord de l'Afrique (Arts Ruraux). Fez 1918.
- 52- ROTALIER (DE): Histoire de la régence d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la méditerranée, 2 vol., Paris 1841.
- 53- ROZET et CARETTE: Algérie. Tunis 1930.

- 36- MASSON (P.): Histoire des établissements et du commerce Français dans l'Afrique Barbarèsque. Paris 1903.
- 37- MERCIER (E.): Histoire de l'Afrique septentrionale, 3 vol., Paris 1891.
- 38- MICHAUX (D.): Villages et tribus du Maroc. Région de Doukala. Paris 1932.
- 39- MONCHICOURT (CH.): Etudes Kairaouannaïses (1450 - 1592), Paris 1909.
- 40- " " " : L'Expédition Espagnole de 1560 contre l'île de Djerba. Paris 1913.
- 41- MONROY: Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale. Paris 1845.
- 42- " " : Précis de l'histoire du commerce de l'Afrique septentrionale. Paris 1852.
- 43- MONTAGNE (RO.): Les Berbères et le makhzen dans le Maroc. Paris 1930.
- 44- MONTRAN (R.): Istanbul dans la seconde moitié du 17<sup>e</sup> siècle. Paris 1962.
- 45- PARIS (R.): Histoire du commerce de Marseille dans le Levant. Paris 1957, t. 5.
- 46- PIERROT DESELLIGNY (I.): Traité d'Antoine de Bourbon avec le Chérif de Foz et tentative d'expédition au Maroc. Macon 1891.
- 47- PIQUET (V.): La civilisation de l'Afrique du nord, Paris 1917.
- 48- PRAX (M.): Commerce de l'Algérie avec la Mècque et le Soulan. Paris 1849.
- 49- PRIMAUDAIE (ELIE DE): Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête Française. Paris 1861.
- 50- PROVENCAL (E. LEVIE): Les historiens des Chorfa au Maroc. Paris 1922.
- 51- RICARD (P.): Les arts et industries indigènes du nord de l'Afrique (Arts Ruraux). Foz 1918.
- 52- ROTALIER (DE): Histoire de la régence d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la méditerranée, 2 vol., Paris 1841.
- 53- ROZET et GARNETTE: Algérie. Tunis 1930.

- 54- RUFF (P.): La domination Espagnole à Oran, sous le gouvernement du comte D'ALCAUDETE (1534-1558). Paris 1900.
- 55- SOUSA(LUIZ DE): Les Portugais et l'Afrique du Nord, (trad., R. RICARD). Lisbonne 1940.
- 56- TERRASSE (H.): Histoire du Maroc, t. 1,2. Paris 1950.
- 57- TORRES (DIEGO DE): Relation de l'origine et succès des Chérifs. Paris 1636.
- 58- VAYSSÈTES : Recueil. Constantine 1867.
- 59- VOULX (DE): Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger. Alger 1853.

B- PERIODIQUES :-

- \* A.A. (Al Andalus), GRANADA España.
  - 1- CABANELAS (R.): Cartas del Sultan de Marruecos a Filipe 2. t. 23, 1958.
- \* A.F.L. (Annales de la Faculté des Lettres), Aix-en-Provence.
  - 2- LE TOURNEAU (R.): Décadence Sâdienne et anarchie Marocaine au 17<sup>e</sup> siècle, t. 32, 1958.
- \* A.I.E.O. (Annales de l'Institut d'Etudes Orientales), PARIS.
  - 3- RICARD (R.): Le commerce de la Barbarie et l'Empire Portugais. 1936.
  - 4- " " " : Le commerce Génois au Maroc. (1415.- 1550), t. 3, 1937.
- \* A.M. (Archives Marocaines), PARIS.
  - 5- JUSTINARD : Carnet d'El-Mansour, t. 29, 1933.
  - 6- MICHAUX- BELLAIRE(E.): Les musulmans de l'Algérie au Maroc t.11, 1907.
- \* B.H.P.A.N. (Bulletins Historiques de la France en Afrique Noire), DAKAR.
  - 7- MAUNY (R.): L'Expédition Marocaine d'Oudan(vers 1543- 1544) t. janvier, avril, 1949.
- \* B.S.G.A. (Bulletins de la Société Géographique et Archéologique)
  - 8- PASSET(R.): Documents musulmans sur le siège d'Alger, par Charles-Quint 1541. ALGER 1890.
  - 9- CUEVA(F. de la): Les guerres de Tlemcen, trad., BRUNEL. t., 10,11,12,13. ORAN 1890.

\* C.T. (Cahier de Tunisie), TUNIS.

10- EMERIT(M.): Trois notes d'histoire Tunisienne, l'apropos de la caravane de Salé, t. 3, 1935.

\* H. (Hesperis), PARIS.

11- CASTRIES(H. DE): La conquête du Soudan par AL-MANSOUR (1591), 1923.

12- " " " " : Les sept patrons de Marrakech 1924.

13- GENIVAL(P. DE): La légende du juif Ibn Machâl, t.5, 1925.

14- CHAPPELLE(F. DE LA): Esquisse du sahara occidental, t. 10, 1930.

15- MICHAUX BELLAIRE : Les terres collectives du Maroc et la tradition. 1924.

16- RICARD(P.): Le Maroc à la fin du 16<sup>e</sup> siècle. 1957.

17- RICARD(R.): Les Portugais et le sahara atlantique, t. 10, 1930.

\* H.T. (Hesperis Tananda), RABAT.

18- CAILLE(J.): Consuls Hollandais au Maroc à l'époque des Sultans Sâdiens, t. 11, 1970.

19- DZIUBINSKI(A.): L'Armée et la flotte de guerre Marocaine à l'époque des Sultans de la dynastie Sâdienne, t. 13, 1972.

20- ROSENBERGER et TRIKI HAMID : Famine et épidémie au Maroc au 16<sup>e</sup> et 17<sup>e</sup> siècles, t. 14. 1973.

\* J.A. (Journal Asiatique), PARIS.

21- DELPHIN : Histoire des Pachas d'Alger.(1515-1745). 1922.

\* M.E.A.H. (Miscelanea de Estudios Arabes,y,Hebraicos), ESPAÑA.

22-DARIO CADANELAS O.F.M.:Proyecto de Alianza Entre Los Sultanes de Marruecos Y Tuquia contra FELIPE 2. vol. 9, 1957.

23- VERRONNE(CH. DE): Política de Españâ, de Marruecos y de los Turcos en los Reinos de Fez, y Tremecen a mediados del siglo 16, t. 3 1954.

24- " " " " : Séjour en Andalousie de deux princes Sâdiens après la bataille d'El-Kasr El-Kébir (1589-1595), t. 16, 17. 1967/68.



\* R.A. (Revue Africaine), ALGER.

- 25- BOURAS : Gharab al asfar, trad. ARNAULD, ts. 22 a 27
- 26- BERBRUGGER : Cannes à sucre, t. 32. 1862.
- 27- " " " : Les époques militaires de la grande Kabylie. 1847.
- 28- " " " : Les frontières de l'Algérie, t. 24. 1860.
- 29- " " " : Négociations Hassan Agha et D'Aloaudète, 1865.
- 30- " " " : Le pignon d'Alger. 1866.
- 31- BRAUDEL: Les Espagnoles et l'Afrique du nord (de 1492 à 1577). 1928.
- 33- CAILLE(R.): Le commerce de l'Angleterre avec le Maroc pendant la seconde moitié du 16<sup>e</sup> siècle, 1940.
- 34- EISENBETH(M.): Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque Turque, (1516-1830), t. 96. 1952.
- 35- ERNEST WATBLED : Etablissement de la domination turque en Algérie . 1873.
- 36- FERAUD : Les Beni - Djellab, t. 136.
- 37- " " : Lettres Arabes de l'époque de l'occupation Espagnole en Algérie, t. 18. 1886.
- 38- HAEDO(F. D. DE): Topographia historia general de ARGEL. trad. Berbrugger et Momoreau 1870/71.
- 39- PLAYFAIR : Episode de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les états Barbarèsques avant la conquête Française, ts. 22, 23, 24. 1878/79/80
- 40- TERRASSE(H.): Réflexions sur une frontière, t. 100. 1956.
- 41- WATBLED et MONNEREAU : Négociations de Charles-Quint avec Kheir Edine, t. 15.

\* R.H.C.M. (Revue d'histoire et de la Civilisation du Maghreb), "ALGER"

- 42- GRILLON(P.): En marge d'un manuscrit du 16<sup>e</sup> siècle. Le registre de la chancellerie du consulat de France à Alger (1579 - 1582), t. 1. 1966.

\* R.H.D. (Revue Historique et Diplomatique), PARIS.

- 43- CAILLE(J.): Ambassades et chefs de missions Marocaines aux Pays-Bas, t. 4. 1963.

\* R.H.E.S. (Revue d'Histoire Economique et Sociale) "PARIS".

44- DEVISSE(J.): Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la méditerranée.  
t. 50. 1972.

\* R.H.M. (Revue d'Histoire Maghrébine), "TUNIS".

45- TEMIMI(ABDELMADJID): Lettre de la population Algéroise au Sultan SALIM 1<sup>er</sup> en 1519, t. 5.  
1976.

\* R.M. (Revue Maritime), "ALGER".

46- LACOSTE(E.): La marine Algérienne sous les Turcs. 1931.

\* R.M.M. (Revue du Monde Musulman), "PARIS".

47- GRAULLE : La mort et le tombeau de DABA AROUDJ, t.24, 1913.

48- " " " : Notice historique sur KALAT BENI RACHED,  
t. 24. 1913.

\* R.O.M.M. (Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée),  
"AIX - EN - PROVENCE".

49- BOYER(P.): Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la régence d'Alger, (du 16<sup>e</sup> S. au 19<sup>e</sup> Siècle), t. 1. 1966.

50- " " " : Espagne et Kouko, les négociations (de 1598 à 1610), t. 8. 1970.

51- " " " : Histoire des Beni Aneur, t. 24. 1977.

52- " " " : La révolution des Aghas, ts. 13, 14. 1973.

53- " " " : Le problème Koukouloughli dans la régence d'Alger 2<sup>e</sup> Congrès Int. et Nord Africain. 1970.

54- LE TOURNEAU(R.): Histoire de la dynastie SA'DIDE,  
t. 23. 1973.

55- GANDIN(G.M.): La remise de l'Arache aux Espagnoles en 1610, t. 7. 1970.

56- HAKAKAT(Ib.): Le makhzane SA'DIEN, ts. 15, 16. 1973.

57- LAWLESS(R.I.): Tlemcen capitale du Maghreb central.  
Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale, t. 20. 1975.

58- MOUGIN(L.): Remarques sur les débuts du marabout El-Ayachi (1563 - 1641). 1974.

59- VERONNE(CH.DE LA): Séjour en Andalousie des deux princes  
SA'DIENS(1580-1595),T.7, 1970.

60- " " " " " : Les relations entre le Maroc et la  
Turquie du 16<sup>e</sup> S. au début du 17<sup>e</sup> S.  
(1554 - 1516), t. 1. 1973.

\* T.I.R.S. (Travaux de l'Institut de Recherches Saharienne), "ALGER"

61- EHERIT(M.): Les liaisons terrestres entre le Soudan et ..  
l'Afrique du Nord. 1954.

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

3/10/73

## المحتويات

|                                                                                                      |         |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| المقدمة .....                                                                                        | 1       |
| التحريف بأسماء مصادر البحث .....                                                                     | 8       |
| تقديم ..... الباب الأول                                                                              | 13      |
| العلاقات السياسية بين الجزائر والمنسرب .....                                                         | 14-275  |
| تمهيد : لمحة عن العلاقات بين القارين قبل سنة 923 هـ / 1517 م .....                                   | 15-18   |
| <u>الفصل الأول :</u> الحياة السياسية في الجزائر .....                                                | 19-65   |
| أوضاع الجزائر في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .....                                | 19      |
| الجزائر في عهد البايلربايات .....                                                                    | 27      |
| الجزائر في عهد الباشاوات .....                                                                       | 56      |
| <u>الفصل الثاني :</u> الحياة السياسية في المنسرب .....                                               | 66-126  |
| أوضاع المنسرب في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي .....                                | 66      |
| قيام دولة السعديين والمقوول التدريجي لدولة الولاسيين .....                                           | 70      |
| المنسرب في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي (عهد محمد الشيخ رابنصائه) ..... | 81      |
| المقوول التدريجي لدولة السعديين .....                                                                | 111     |
| <u>الفصل الثالث :</u> العلاقات بين القوى السياسية المتشعبة في القارين .....                          | 127-148 |
| - العلاقات بين الزنانيين والولاسيين .....                                                            | 127     |
| - العلاقات بين الزنانيين والسعديين .....                                                             | 131     |
| - العلاقات بين أتراك الجزائر العثمانيين والولاسيين .....                                             | 133     |
| - العلاقات بين أتراك الجزائر العثمانيين والاشراف السعديين .....                                      | 143     |
| <u>الفصل الرابع :</u> صراع الاهداف السياسية بين الاستقلال والتوحيد .....                             | 149-199 |
| ميل العلاقات نحو النزاع وأسباب ذلك .....                                                             | 149     |
| التدخل السعدي الاول في تلمسان .....                                                                  | 154     |
| التدخل العثماني في المنسرب (المهلة الجزائرية الاولى على المنسرب) .....                               | 159     |
| التحارب السعدي - الاسباني .....                                                                      | 172     |

|     |                                                             |
|-----|-------------------------------------------------------------|
| 183 | التدخل السعدي الثاني في تلمسان .....                        |
| 185 | الحملة الجزائرية الثانية على المغرب .....                   |
| 188 | التدخل السعدي الثالث، في تلمسان .....                       |
| 190 | ميل العلاقات بين عبد الله وخاتم الجزائر والسلام التلق ..... |

#### الفصل الخامس: السلام بين تبة المغرب للعثمانيين وترسيخ سيادته 200 — 234

|     |                                                           |
|-----|-----------------------------------------------------------|
| 200 | 1. تشرب المتوكل من الاتسار .....                          |
| 203 | الحملة الجزائرية الثالثة على المغرب .....                 |
| 207 | علاقات عبد الملك مع أتراك الجزائر والدولة العثمانية ..... |
| 209 | تشرب عبد الملك من الأسبمان .....                          |
| 211 | تأرجع عهد الملك بين الولاء للأتراك والحذر منهم .....      |
| 220 | ميل العلاقات نحو التوتس .....                             |
| 224 | عرش مراد الثالث التحالف والمهادنة على المنصور .....       |
| 227 | حملة الحج علي .....                                       |
| 228 | أسباب تراجع مراد الثالث عن غزو المغرب .....               |
| 230 | ميل العلاقات نحو السلام الحذر .....                       |

#### الفصل السادس: الصراع على السلطة في القبليين والسلام التلق بينهما 235 — 273

|     |                                                                    |
|-----|--------------------------------------------------------------------|
| 235 | العلاقات بين خاتم الجزائر الباشاوات والسلامان أحمد المنصور .....   |
| 249 | العلاقات بين خاتم الجزائر الباشاوات وخاتم المغرب بحد المنصور ..... |
| 251 | 1- العلاقات مع أبناء المنصور .....                                 |
| 264 | 2- العلاقات مع القوي السياسية غير المحدية .....                    |
| 268 | 3- العلاقات مع أحفاد المنصور .....                                 |
| 269 | 4- العلاقات مع الأشراف العلويين .....                              |

#### الباب الثاني: العلاقات الاقتصادية بين القبليين 276 — 333

#### الفصل السابع: البنية الاقتصادية في البلديين والعوامل المؤثرة فيها 277 — 286

|     |                                         |
|-----|-----------------------------------------|
| 277 | العوامل الذاتية المؤثرة والمستندة ..... |
| 286 | العوامل الخارجية القديمة والجديدة ..... |

الفصل الثامن :

|           |                                         |
|-----------|-----------------------------------------|
| 333 — 305 | مظاهر العلاقات الاقتصادية               |
| 308       | في الزراعة                              |
| 310       | في الصناعة                              |
| 310       | في التجارة                              |
| 311       | — طرق المواصلات                         |
| 316       | — التوازن المتبادلة                     |
| 319       | — المواد التجارية المتبادلة             |
| 323       | — مراكز التبادل التجاري                 |
| 331       | الهيمنة العلاقات والمواصل المتوفرة فيها |

الباب الثالث :

|           |                               |
|-----------|-------------------------------|
| 395 — 334 | العلاقات الاجتماعية والثقافية |
|-----------|-------------------------------|

الفصل التاسع :

|           |                                                   |
|-----------|---------------------------------------------------|
| 362 — 335 | المواصل المتوفرة في العلاقات الاجتماعية والثقافية |
| 335       | المواصل القديمة                                   |
| 343       | المواصل الحديثة                                   |

الفصل العاشر :

|           |                                        |
|-----------|----------------------------------------|
| 395 — 363 | مظاهر العلاقات الاجتماعية والثقافية    |
| 363       | 1 — مظاهر العلاقات في المجال الاجتماعي |
| 365       | 2 — مظاهر العلاقات في المجال الثقافي   |
| 377       | 3 — مراكز التبادل الثقافي              |

|           |                  |
|-----------|------------------|
| 407 — 396 | الخاتمة          |
| 413 — 408 | الملاحق          |
| 426 — 414 | المصادر والمراجع |
| 429 — 427 | المحتوى          |

الفصل الثامن : مظاهر العلاقات الاقتصادية ..... 305 — 333

- 308 ..... في الزراعة
- 310 ..... في الصناعة
- 310 ..... في التجارة
- 311 ..... — طرق المواصلات
- 316 ..... — التوازن المتبادل
- 319 ..... — المواد التجارية المتبادلة
- 323 ..... — مراكز التبادل التجاري
- 331 ..... — أهمية العلاقات والمواصلات الممتدة فيها

لباب الثالث : العلاقات الاجتماعية والثقافية ..... 334 — 395

الفصل التاسع : المواصل الممتدة في العلاقات الاجتماعية والثقافية ..... 335 — 362

- 335 ..... المواصل القديمة
- 343 ..... المواصل الجديدة

الفصل العاشر : مظاهر العلاقات الاجتماعية والثقافية ..... 363 — 395

- 363 ..... 1 — مظاهر العلاقات في المجال الاجتماعي
- 365 ..... 2 — مظاهر العلاقات في المجال الثقافي
- 377 ..... 3 — مراكز التبادل الثقافي
- 407—396 ..... الخاتمة
- 413—408 ..... الملاحق
- 426—414 ..... المصطلحات والمصباح
- 429—427 ..... المحتويات